الاشتراك السنوي
٣٥ ريالاً للأفراد و١٧٥ ريالاً لغير الأفراد
البلاد الأخرى يتفق عليه مع الإدارة
ثمن الجزء : ٦ ريالات

العرب

مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري

منشئها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٣٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج١، ٢ س ١٥ رجب وشعبان ١٤٠٠ — إيار، حزيران (مايو — يونيو) ١٩٨٠م

من ذكريات الرحلات

— ٨ —

في تايلند (سيام) :

وما كانت المسافة بين (كوالالمبور) و(بانكوك) طويلة ولهذا لم نُحس بشيء من التعب .

واسم (تايلند) أطلق على هذه البلاد حديثاً فقد كانت معروفة إلى عهد قريب باسم (سيام) وكان حجاج سيام لهم شأن عند أهل مكة من المطوفين وغيرهم .

ومدينة (بانكوك) تقع في براح من الأرض ولهذا فهي واسعة ولكنها غير نظيفة ، ويخترقها نهر عظيم تتسرب إليه الأوساخ ، وعلى شواطىء هذا النهر تقام أسواق من صناديق مصنوعة من الخشب ، يقصدها السياح الذين تحملهم زوارق صغيرة ، فتسير بهم بقرب الشواطىء ، التي تمتد حولها أمكنة عرض البضائع .

ذهبت في صباح اليوم التالي لمشاهدة معالم هذه البلاد ، ولكنني عندما شاهدت شدة الزحام على القوارب مع عدم نظافتها بل عدم الاطمئنان إلى السلامة ، رجعت من الشاطىء بعد أن دفعت أجرة الرحلة كاملة .

وأجمل ما في هذه المدينة فنادقها ، ومن أشهرها فندقان اثنان أحدهما يدعى (فندق مونتين ، Montien) والثاني فندق الشرق (أُورْيَنْتَال) ، وهذا الأخير على شاطىء النهر ، وفيه بركتان للسباحة .

كان الجو في الأيام التي أقناها في هذه البلاد (من ١٠ ابريل إلى ١٣ منه) شديد الحرارة ، ولهذا فالمرء لا يرتاح إلا في داخل الفندق حتى في المساء ، وبعد غروب الشمس حاولت في إحدى الليالي أن أجلس على الشاطيء في (فندق الشرق) في مكان واسع صفت فيه مئات الكراسي وأضيء بالأنوار القوية ، ولكني وجدت مضايقة من البعوض .

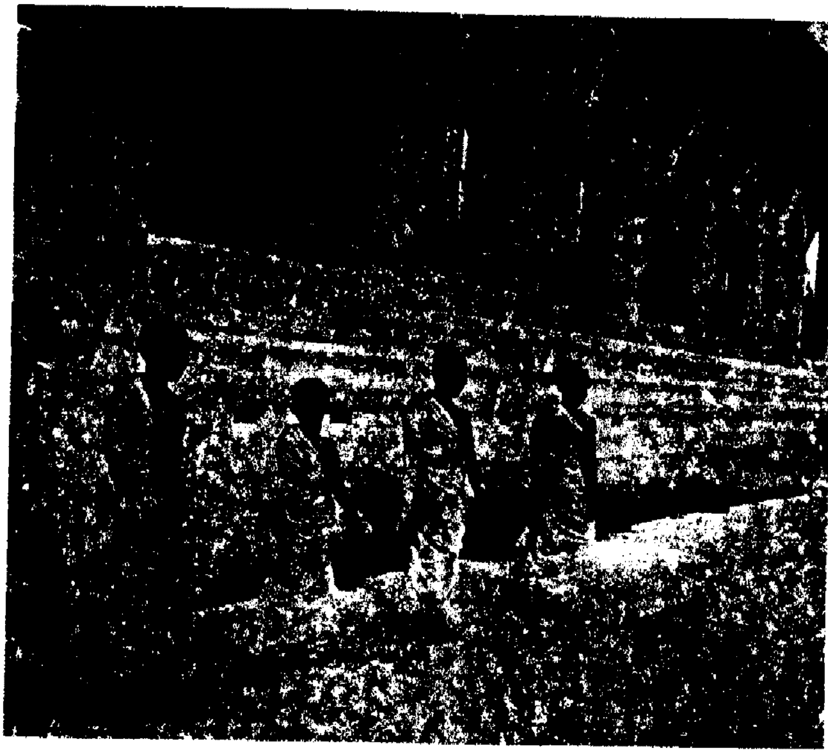
وأجور الفنادق في حدود عشرين دولاراً أمريكياً للغرفة الواحدة .

لم يلفت نظري في هذه المدينة سوى منظر الرهبان من البوذيين ونِحْلَةُ هؤلاء هي الشائعة في تايلند مع انتشار مختلف النِّحَل .

لقد كان من عادتي الخروج من الفندق صباحاً ، وإمضاء ما يقرب من ساعة في رياضة المشي ، فأبصرت على مقربة من الفندق طائفة من الناس غريبي الزي والمظهر ، إنهم يلبسون حُلَلاً صُفراً غير مخيطة ، تتكون الْحُلَّةُ من قطعة من قماش قد ارتدى الواحد منهم بقسم منها وائتزر بالقسم الثاني ، والرؤوس مكشوفة قد حُلِق شعرها ، والأقدام عارية . كان اجتماعهم قرب مَعْبَدٍ من معابدهم ، وكانوا وقوفاً مصطفِّين ، فذهبت حتى توسطتهم ، لأنظر على مَ اجتمعوا ، فإذا بنسوة تأتي كل واحدة منهن بإناء كبير ، مملوء طعاماً وفاكهة ، فتقف بقرب مدخل المعبد أو تجلس ، فيقبل إليها أولئك واحداً واحداً ، وكل ما وقف عندها واحد منهم انْحَنَتْ فقدم لها إناءاً مجوفاً له علاقة يحمله بها ، فتغرف من الطعام وهو في الغالب من الأرز ، وتضع فوقه شيئاً من التوابل ، ثم تضع حبة برتقال أو منجة في ذلك الإناء وتناوله ذلك الرجل بعد أن تَنْحَنِي له مرة أخرى ، فيأخذ إناءه ويمضي ، وقد تقدم له غصناً فيه زهرة أو زهرتان من زهور كانت أحضرتها معها ثم يأتي مَنْ بعده فتفعل معه كما فعلت للذي قبله وعندما ينفد ما في إنائها يكون هناك من النسوة من يَحِلُّ محلَّها .

لقد حاولت أن أقدم لواحد من هؤلاء نقوداً فلما مددت يدي بها أدار لي متنه وانصرف بعيداً عني ، فحاولت مع شيخ كبير السن كان جالساً فلما مددت يدي إليه أغمض عينيه ، فطرحتها في حجره ، فنفض رداءه وقام مهرولاً وتركها ، بعد أن نظر إِلَيَّ شَزَراً .

لقد كان منظر هؤلاء مؤثراً في النفس ، إنه يعبِّر عن عدم الاكتراث بالجسم بل بالحياة كلها ولا أدري كيف لا ينقرض هؤلاء اللذين لا يرى المرء أي أثر في أجسامهم للعناية بصحتهم ؟





لقد وجدت نوعاً من التسلية في الذهاب صباح كل يوم إلى هذا المكان ، والناس في هذه البلاد ـــ في ما يظهر ـــ طيبون ، فأنت حين تجلس في أحد الأمكنة العامة تشاهد هدوءاً تاماً . وعندما تسير في الشوارع لا تجد شيئاً من المضايقات التي قد تحس بها في كثير من البلاد الشرقية .

ولا أدري فقد يكون هذا ناشئاً من بُعْد الفندق الذي سكنت فيه عن الأحياء الواقعة وسط البلدة .

وأذكر أنني حين رجعت من شاطىء النهر ـــ حين ذهبت لمشاهدة معالم المدينة ـــ اضطررت للذهاب إلى الفندق مشياً على القدم ، لأنني لم أعرف اسم الفندق الذي أسكنه بَعْدُ ، وكنت تركت عنوانه مع الرفاق الذين ذهبوا في النزهة النهرية ، ولكنني في الصباح عند الخروج منه شاهدت بقربه هو مكتبي طيران هما مكتب الطيران الياباني ومكتب الطيران الهولندي فسرت في اتجاه القصد إليه حتى تعبت من المشي ، فصرت أسأل من قابلت عن هذين المكتبين ، فما كنت أجد إجابة وخاصة من أصحاب المحلات الذين يظهر أنهم يجهلون الكلمات الإنجليزية القليلة التي أتحدث بها ملحونة غير واضحة ، حتى اهتديت إلى محل للسياحة ، فلما سألت شاباً كان واقفاً عند مدخله سار أمامي بعد أن أشار إلي لأرجع مع شارع طويل كنت قد أتيت منه وأن أتبعه ثم أشار نحو جهة كنت أظنها بعكس الجهة التي أقصدها ، وفهمت منه أن المكان بعيد ، فطلبت أن يكتب اسم الشارع الذي يقع فيه مكتبا الطيران واسم الفندق القريب منها ففعل ووقف بجانبي حتى مرت بنا سيارة أجرة فأوقفها فركبت فيها حتى أوصلتني إلى المكان الذي أقصده .

والحياة في هذه البلاد تتّسِم بالبساطة في كل شيء ، ولا شيء يكدِّرُ صفوها سوى الاستهانة بالنظافة . وأكثر من يعمل في الأمكنة العامة ـــ كالمطاعم والمقاهي ـــ من النّساء .

ولَنْ يعدم المرء مشاهدة مختلف الأجناس من الشرق والغرب ، ولا سيَّما العرب ، في الفنادق الكبيرة . ولهذا فليس غريباً أن يرى بعض المحلات المعنونة بالعربية .

إلى الهند :

وفي صباح الجمعة ١٦ جمادى الأولى ١٣٩٩ هـ (٢٣ إبريل ١٩٧٩ م) كان السفر من

(بانكوك) قاعدة (تايلند) إلى مدينة دِلْهِي ، والمفروض أن تقلع الطائرة في العاشرة إلا ربعاً فتأخرت إلى الساعة الثانية عشرة ، فبقينا في المطار البعيد عن البلدة ، حتى حان وقت السفر وبعد ساعتين هبطت الطائرة في مدينة (دكا) في (بنقلاديش) وكان البقاء داخل الطائرة ساعة كاملة ثم كان الإقلاع والوصول إلى مدينة دلهي بعد ساعتين والبقاء في الجمرك أربع ساعات .

لم أشاهد في حياتي معاملة أسوأ مما شاهدته من موظفي الجمارك هنا ، لم يتركوا شيئاً من أمتعتنا نحن الثلاثة بدون تفتيش دقيق ، بل لم يتورَّعوا عن النظر إلى ما تَتَحَلَّى به ابنتي وأُمُّها ، وتسجيل جميع ذلك ، مما حملني على التفكير في عدم النزول في هذه المدينة ولكنني لم أجد أيَّةَ وسيلة أتمكن بها من تحقيق ما فكرت فيه إذ لا بد من إكمال عملهم سواء بقيت أو سافرت .

كان النزول في فندق يدعى (موريا Maurya) والأجرة لغرفة تسعنا نحن الثلاثة ٥٧٥ روبية ، ويقع هذا الفندق في منتصف الطريق بين المطار وبين المدينة وهو نظيف ومريح .

وكان مما أذهب عن نفسي بعض أسباب الكدر والتعب — من جراء معاملة موظفي الجمرك السيئة — أنني بعد أن أصبحت وخرجت من الفندق كعادتي مبكراً . أُعْجِبْتُ بمنظر حديقة جميلة تحيط بالفندق وبعد أن خرجت منها واصلت السير بين مروج خُضْرٍ ، متجهاً صوب المدينة غير أنني لم أسِرْ قليلاً حتى هَاجَمَتْني أسراب من الذباب بحيث اضطررت للعودة إلى الفندق .

إن مدينة دلهي الجديدة جميلة من حيث سعة شوارعها وحداثة منازلها المنتشرة بين الحدائق التي تنتشر في جميع أرجاء المدينة ، ولكن النظافة هنا كغيرها في كثير من المدن الشرقية ، وتكاليف المعيشة ليست مرتفعة فنحن الثلاثة تناولنا عشاءاً في الفندق بنحو ١٥٠ روبية ما يقارن ٢٠ دولاراً (الدولار = ٨ روبيات) وطعام الإفطار لنا الثلاثة يكلف ٢٦ روبية ولكن الأكل يعتبر من أجود الأنواع .

وفي صباح اليوم الثاني خرجت من الفندق مبكراً اتِّقَاءًا لما ضايقني بالأمس ، فسلكت الطريق المتجه إلى المدينة ، وهو شارع واسع ، تحيط به الحدائق ذات الأشجار السامقة التي تنتشر فوقها في الصباح أسرابٌ من الغربان الصغيرة ولكن أصواتها مزعجة بدرجة لا تتلاءم مع صغر أجسامها ، مما ذكرني بدعاء بعض البادية : (يا الله سنة ذباب ولا سنة غراب) فالذباب

عند البادية يكثر في أيام الخصب ، حين يكثر اللبن والسمن وأنواع الغذاء الأخرى التي يحصل عليها البدوي من جرّاء سِمَن إبله أو غنمه ، واستفادته منها للاستعاضة من أثمان ما يبيعه لشراء ما يحتاج إليه .

أما الغراب فإنه لا يكثر في البادية إلا في زمن القحط عندما لا تجد الماشية ما تقتات به فتموت جُوعاً فتتكاثر الغربان على جِيَفِها ، ولهذا كان أبناء البادية يتشاءمون بالغراب .

والتشاؤم من الأمور التي أبطلها الإسلام ، بخلاف التَّفَاؤُلِ ، فالرسول عليه الصلاة والسلام ، يُحِبُّ الفَأْلَ الحسن .

وفي ضحوة هذا اليوم وكنت جالساً في بهو الفندق أبصرت أخانا الأستاذ محمد أنعم غالب الذي عمل معي في صحيفة «اليمامة» ما يقرب من عام حتى نُزعت مني وكان يتولى الإشراف على إدارتها وكنت غائباً في بيروت .

كان الأستاذ أنعم جاء الى هذه المدينة لحضور أحد المؤتمرات ممثلاً لحكومته (الجمهورية العربية اليمنية) وقد أَنِسْتُ بالاجتماع به ، وأمضيناها سويعات قصيرة في المساء ثم في اليوم الثاني حتى سافرتُ .

للملوك المسلمين في الهند آثار عظيمة ومنها (تاج محل) في بلدة (أكْرا) وبإلحاح من أم محمد ومن ابنتنا كان الذهاب إلى (أكرا) في القطار ومسيره نحو ساعة ونصف ثم بالسيارة مثل ذلك ، وكانت رحلة شاقّة لم يُخَفِّفْ من مشقتها ما شاهدناه من عِظَمِ الآثار في تلك المدينة ، بل زادنا تعباً على تعب مع عدم الحصول على غذاء تطمئن إليه النفس من حيث النظافة .

ولا أدري هل لي أن أنْصَحَ من يزور تلك البلاد ألا تفوته مشاهدة آثار (أكرا) ولكن عليه أن يرتب أمر رحلته ترتيباً يحقق له أن يكون سيره وطعامه وشرابه وفق رغبته هُو ، إذا أراد الراحة ومشاهدة أجمل ما ينبغي أن يُشاهد في هذه البلاد .

وفي مدينة (دلهي) القديمة وهي متصلة بالجديدة آثار إسلامية كثيرة من المساجد والمدارس وغيرها ، ولكن عدم الارتياح وشدة الحرّ هنا مما حال دون زيارة شيء منها .

ولقد استأجرت سيارة أجرة في يوم السبت وبعد أن مررت بمكانٍ يدعى (نظام الدين) فيه مسجد عظيم قديم أدركني الظمأ وكنت قد عرفت بأن دار السفارة السعودية ليست بعيدة لأنني زرتها يوم الجمعة فقيل لي : إن اليوم عطلة ولم أقابل أحداً أعرفه ، فذهبت في هذا اليوم ولكن الحارس أبى أن يسمح لي بالدخول قائلاً : إن اليوم عطلة أيضاً إذ يصادف أحد الأعياد الرسمية هنا وغداً يوم الأحد عطلة أيضاً وحتى الماء قال بأنه لا يوجد لديه ماء للشراب .

ما كانت إقامتنا في هذه المدينة مريحة ، فالحر شديد ، وعلى ما تتصف به من جمال في مظهرها بحدائقها الكثيرة فإن المرء عندما يتوغل داخل المدينة لا يشاهد شيئاً مما يثير في نفسه الإعجاب أو الاستحسان .

وقد يكون منشأ هذا أنني صدمت عند وصولي إليها فأصبحت مُتَأثراً بما حدث لي يوم وصولي للمطار أو أن الوقت ما كان ملائماً لشدة الحر .

إلى بُمْبِي :

ولم تكن الرحلة متعبة لقصر المسافة ، وإن كانت الطائرة من نوع يُرَوِّض الجسم ، وإن لم يكن محتاجاً للرياضة ، ولن يحتاج الْمَرْءُ في المطار عند الوصول إليه سوى حِدَّة النظر إلى أمتعته إن لم يستطع إمساكها بكلتا يديه ، مع الاستعانة ببقية جوارحه إن أمكن .

كان السكن في فندق على ساحل البحر متوسط في المدينة يعتبر من خير فنادقها وما كانت زيارة هذه المدينة مقصودة ، ولكن منها سيكون الإتجاه للعودة إلى الرياض .

سارعت في صباح اليوم الثاني لزيارة (القنصلية السعودية) لأقابل الأخ عبدالله الحمد الشبيلي وهو أخو حبيبنا أبي سليمان ، فكيف لا يزار ، وقد وجدت القنصلية تغص بمن فيها من طالبي سمة الدخول في المملكة للعمل ، لذلك كان التريث للانتظار وما كان طويلاً ثم كان اعتذار من الأخ عبد الله بأنه عندما أبلغ اسمي توهمني شخصاً آخر ، شاركني في الاسم واللقب .

وليست المرة الأولى التي يَجْني عليَّ هذا الاسم أو أجني به على غيري أذكر أنني في عام ١٣٧٣ وكنت إذ ذاك معاوناً لمدير المعهد العلمي في الرياض الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله وكان مقر المعهد إذ ذاك في بناية (أم قُبَيْس) في الشمسيَّة ، على مقربة من مقر

مجلس الوزراء وكان في (قصر الحمراء) وفي صباح يوم من الأيام بعد أن تكلم الشيخ عبد اللطيف بالهاتف مجيباً التفت إليَّ هامساً وقال : إن مدير الشرطة أخبره بأنه سيبعث ضابطين ليأخذاني إلى السجن ثم استوضح مني عن السبب ، فأفهمته بأنني لا أعرف سبباً ، ومن الخير لي أن أذهب الآن قبل حضور الضابطين إلى مجلس الوزراء للاستيضاح عن الأمر ولكنني حين ما قابلت الشيخ صالح العباد رئيس الديوان إذ ذاك وأخبرته قهقه ضاحكاً بأعلى صوته واتصل بمدير الشرطة وأفهمه أن المطلوب للحبس شخص آخر ، وهو سَميٌّ لي وأذكر مرة أخرى أنه حدث مني ما استَدْعَى إدخالي السجن فالقي القبضُ على سَميٍّ لي كان صاحب دكان لا صلة له بالأمر الذي عوقبت من أجله بالسجن وبقي فيه حتى حللت محله .

رأيت عند الأخ الشبَيْلي الأخ رشيد رضوان وكان من تلاميذي حين كنت أدرس في (مدرسة تحضير البعثات) في مكة المكرمة وكان مديراً للخطوط السعودية في بُمْبِيْ فأخبرته بأنني أريد السفر إلى الرياض وقد اتصلت بقسم الحجز في مكتب الخطوط فوعدني الموظف وعْداً غير مؤكد لوقت السفر وأحب أن أتأكد من ذلك فقال : تَذْهب الآن إلى مكتب الخطوط لتقابل المدير الذي حل محلي فقد نقلت إلى جدة وأصبح الأخ محمد العصيل هو المدير .

ولقد أكرم اللقاء وأحسن المساعدة ويسر لي ما أنا بحاجة إلى تيسيره في الرحلة إلى الرياض بَلْ غمرني بفضله ، وكرم خلاله ــأعني الأخ محمداً العُصَيْلــ.

وكرم الأخ أحمد بن عبدالله القاضي من الأسرة الكريمة المعروفة وهو ذو محل تجاري في مدينة بمبي كَرَّم فزارني في الفندق ، وأخبرني بأن كثيراً من العرب الموجودين في هذه المدينة يجتمعون في المساء في (المدرسة العربية الكويتية) وهي مدرسة أنشأتها حكومة الكويت في أول الأمر لتدريس أبناء العرب اللغة العربية ، ولكن لقلة الطلاب أصبحت نادياً يضم مكتبة ترد إليها الصحف العربية وبعض الكتب ، ويرتادها الزوار كل يوم ، ويشرف على إدارتها الشيخ عيسى ابن عالم الكويت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ عيسى يشتغل بالتجارة ، وله ابن هو الشيخ يوسف وهو قنصل الكويت في بمبي .

لقد زرت تلك المدرسة وكانت غير بعيدة من الفندق الذي أسكنه فقابلت الشيخ عيسى وابنه يوسف كما قابلت تاجراً من اليمن هو الشيخ أحمد زيد اليماني من عدن وكان ذا اطلاع على

ما ينشر من الكتب التاريخية وقد قرأ بعض مؤلفاتي ، وأطلعني على مقال له نشره في مجلة «الحوادث» اللبنانية تعقيباً على مقال كتبه الشيخ محمد بن أحمد النعمان حول مذكراته .

وممّن عرفت في بمبي والفندق الذي أسكنه يجتمع فيه بعض مشاهير العرب المقيمين هنا — الأخ عبدالله الحسيني قنصل حكومة قطر ، إنه هو الذي عرفني فأتى إلي وأخبرني بأنني كنت من مُدَرِّسِيه في مدرسة الأحساء . ثم اتصل بالسيد أزهار صديق مدير الفندق فندق (شِيرَتون) الذي أسكن فيه فأوصاه بي خيراً فكان أن صار يتعهدنا دائماً برعاية خاصة .

ارتَحْت كثيراً أثناء إقامتي في بمبي ولعل هذا يرجع إلى أمرين أحدهما أنني كَوَّنْتُ مجتمعاً من هؤلاء الإخوة اللذين عرفتهم ، وصرت ألتقي بهم في الفندق أو خارجه ، والأمر الثاني أنني وجدت على الشاطىء الممتد أمام الفندق المكان الملائم لممارسة الرياضة المحببة إلى نفسي وهي المشي ، فهذا الشاطىء مُمْتَدٌّ آلاف الأمتار وقد حددت المسافات بالأرقام ، فكنت أبدأ السير من محاذاة باب الفندق وأتّجه على الشاطيء حتى أبلغ رقم ٢٠٠٠متراً ثم أعود فأقطع أربعة أكيال (٤٠٠٠ متر) في أقل من ساعة إنني أقطع الكيل الواحد بثلاثة عشر دقيقة ، وأسرع في المشي ولا أخشى أن يَنْظُرَ إليَّ أَحَدٌ نظرة فيها شيءٌ من الاستغراب ، أو الانتقاد ، وطالما شاهدت كثيراً من الناس ، من رجال ونساء يسيرون في ذلك المكان ومنهم من يجري جَرْياً ، فأُقَلِّدُهُمْ .

أثناء زيارتي للمدرسة العربية الكويتية جرت أحاديث حول الكتب وكنت طوال الرحلة منصرفاً عنها وقدم لي الشيخ عيسى القناعي بعض مؤلفات والده ، وقال لي الشيخ أحمد زيد اليماني إن في مكتبة الجامع الكبير في بمبي مخطوطات فحرك كل هذا في نفسي زيارة بعض المكتبات ومنها المكتبة العامة في بمبي ومكتبة الجامعة ولكنني لم أجد فيهما من المخطوطات ما أثار رغبتي في الإطلاع عليه .

ثم ذهبت يوم الجمعة إلى الجامع الكبير ويدعى (جامع القصاب) ذهبت مبكراً فرأيت مكتبة ملحقة به تابعة للمدرسة المحمدية ، ووجدت في المكتبة شيخاً كبير السن سَمَّى لِيْ نفسه (محمد اسماعيل كافري) وأخبرني بأنه كان صديقاً للشيخ يوسف الفوزان — رحمه الله — وزميلاً له وقت الدراسة ثم أطلعني على فهرس المكتبة ، فرأيت من بين مخطوطاتها ديوان الشاعر اليمني محمد بن حِمْيَر ، وهذا الشاعر من أشهر شعراء عصره يقول فيه أحدهم مقارناً بينه وبين

شاعر المخلاف السليماني القاسم بن هتّيمل :

أمّا قصائدُ قاسمِ بن هُتَيمِلٍ فمذاقُها أحلى من الصَّهباء
هُوَ شاعرٌ فِي فَنِّهِ فَطِنٌ ولَـ كِنَّ ابنَ حِمْيَرَ سيِّدُ الشُّعَراء

وديوان ابن حِمْيَرَ رقمه في المكتبة (٤٢٠) وقد كتب في هامش الورقة الأولى منه (الذاهب من أوله اليسير) وأول ما فيه قصيدة من قافية الباء وآخره (تمّ الديوان في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٧٨٦ برسم مالكه ... عمر بن المعافا بن خليفة بن الوحاري) . وملحق به «شرح الخمر طاشية» والخط جيد .

ومن الكتب التي طالعتها في تلك المكتبة «تاريخ اليمن» للرازي أوله الجزء الثالث من كتاب التاريخ فيه ذكر قدم صنعاء وفضلها وذكر بنائها وآخره في التراجم (ترجمة زياد بن جبل وروايته) وهو مخطوط سنة ١١٣٤ — وقد طبع الكتاب بتحقيق حسين العمري ورأيت في المكتبة العامة في (بمبي) — وقد زرتها — مجموعاً يحتوي على كتاب (طيب أهل الكساء والفلك الذي على جودي النَّجاة رَسَى) في سيرة الإمام القاسم وأولاده وآخرهم المهدي ، وقد ألّف سنة ١١٣٣ ومؤلّفه هو محسن ابن الحسن ابن القاسم بن أحمد ابن الإمام القاسم وآخره (تم الجزء الأول ويتلوه الجزء الثاني في شهر جمادي الأولى سنة ٦٥ بعد الألف بمحروس صنعاء بقلم مؤلفه محسن بن الحسن بن القاسم بن أحمد بن أمير المؤمنين) ويتحدث فيه إلى حوادث سنة ٩٢ بعد الألف .

وهو مجلد ضخم يقع في ٤٣٢ ورقة .

ورأيت في تلك المكتبة مع الكتاب الأول الذي رقمه فيها (٣٤٢) كتاب «الجوهرة المنيرة في جمل من السيرة» في أخبار مولانا ... أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن علي جمعها الفقير ... مطهر بن محمد بن المنتصر الهادي الجرموزي ويحوي تاريخه مفصّلاً وفيه (فصْل في سيرته نسبه ومولده) وذكر قبل ذلك (تقرر مع محمد باشا الصلح الذي كان قد عقده ولده سلام الله عليه) وذكر فيه الحوادث إلى سنة ١٠٥٤ وذكر وفاة المترجم ومراثيه وأولاده .

وهو مخطوط ١٠٦٥ ، ويقع في مجلد ضخم ، ورقاته ٣٦٣ وقد أصاب بعضها بَلَل أثّر في الكتابة .

مدينة عُنَيْزَة

[طالع القراء البحث الممتع الذي كتبه الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي عن (مدينة بريدة) في كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ومن المناسب أن يطالعوا ما كتب عن (مدينة عُنَيْزَةَ) في ذلك الكتاب، وقد أفضل الأستاذ العبودي على مجلة «العرب» به].

عُنَيْزَة : —

بضم العين فنون مفتوحة فياء ساكنة فزاي مفتوحة فتاء مربوطة.

هكذا ينطق به في القديم وفي الحديث لم يتغير الاسم إلاّ أن العامة يسكنون العين في أوله مع وجود ما يُشبه الألف اللّينة قبلها في النطق.

هي المدينة الثانية في القصيم، وكانت في وقت من الأوقات السالفة أكثر مدن القصيم

لقد حرصت على الحصول على صورة من «ديوان ابن جِمِّيَر» فذهبت مع ناظر المكتبة (الكفوري) إلى رئيسه، فبالغ في مقدار الأجرة — ولعله فعل ذلك ليصرفني — ولكنني أبديت له استعدادي لدفعها، فقال: لا بُدَّ من الاستئذان من جهة أخرى، وهذا لا يتمُّ قبل أُسبوع، ووعدني بأن يكتب اليَّ لكي أُحوِّلَ الأجرة بعد الموافقة على التصوير.

وقد أكرمني علماء (جامعة عليكرة الإسلامية) بانتخابي عضواً في (المجمع العلمي الهندي) — قبل رحلتي هذه — فكان أن طلبت من الأخ الأستاذ مختار الدين أحمد، أمين المجمع، وعميد كلية الآداب في تلك الجامعة المساعدة في الحصول على صورة لذلك الديوان، الذي كان أخي مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي حريصاً على الإطلاع عليه.

(للحديث صلة) حمد الجاسر

سُكّاناً وأقواها تجارة . وأرقاها مدنيّة حتى سمّاها بعضُ السُّواح من غير أهل نَجد (باريس نجد) .

وذلك لما يتمتع به أهلها من لطف المعشر ، ولين الجانب للأصدقاء والغرباء المسالمين .

إلى جانب ما عُرف عنهم من حماية العرين والصبر في الذود عن الدار والذّبّ عن الجار(١) .

وعنيزة هي مدينة الأدب والتأريخ في القصيم ، وهي الأم التي انجبت العديد من الشعراء والمؤرخين ، ولا زالت كذلك .

ومدينة عنيزة ذات حظ عظيم من الأدب والشعر بالنسبة إلى غيرها من بلدان القصيم ، فقد قدمت من المؤرخين والأدباء أكبر مما قدمته أية مَدينةأخرى في القصيم وطبيعي أن ذلك يجعل تاريخها المكتوب أكثر وضوحاً من تاريخ غيرها . وهذا هو الواقع فإن لدينا من التاريخ المذكور عن أحداث مدينة عنيزة بأقلام أبنائها أكثر مما لدينا عن غيرها .

ويكفي أن يقرأ المرءُ تاريخ الشيخ عبدالله بن محمد بن بسام «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق» وتاريخ مقبل الذكير المسمى «مطالع السعود ، في تاريخ نجد وآل سعود» أو تاريخ الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى الذي يعتبر من أهل عنيزة اذ استوطنها وكتب تاريخَهُ فيها ثم تاريخ الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام عن «علماء نجد خلال ستة قرون» ليعرف أيّة ثروة تاريخية تخص مدينة عنيزة قد ضمّنّها تلك الكتب بل انه كان يوجد في عنيزة أوراق متناثرة في التاريخ والانساب كان علماؤها يتناقلونها ولم تكن منسوبة إلى شخص معين ، ودوّن أكثرها مؤرخو عنيزة وضم كثيراً منها كتاب مطبوع للشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى أخرجه الأستاذ حمد الجاسر . بعنوان «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ، ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم ، وبناء بعض البلدان . وقد وصل إليّ بعضها من بين كتب قاضيها الشيخ صالح بن عثمان القاضي على هيئة كراسات مخطوطة غير منسوبة المصدر .

---

(١) هناك أمثلة على ذلك معروفة ومما ذكره المؤرخون منها ما أورد الشيخ محمد بن بُلَيْهد في صحيح الأخبار ج ١ ص ١٥٢ — ١٥٤ .

بل إن أحد أبناء مدينة عنيزة وهو الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي نظم فيها قصيدة أسماها «العُنَيْزِيَّة» طبعت ، وأصبحت بين أيدي الناس . ورغم كون ما أورده الأستاذ عبد العزيز القاضي عن عنيزة في تلك القصيدة موضع اختلاف عندي مثل نسبة بعض الحوادث التي ورد فيها ذكر عنيزة إلى مدينة عنيزة ذاتها كما سيأتي ، فإنني سوف أورد هنا بعض أبياتها ولولا انها مطبوعة لأوردتها كلها ، وهذا مطلعها :

سَلُوا عن بلادي رائد الشُعراء ... وقُسٌ إيادٍ سَيِّد الخطباء
سلوه امرأ القيس ابن حُجْر وطرفة ... وعنترة أربى على البلغاء
زُهَيراً وعَمْراً ، أو لبيداً وحارثا ... وحاتم من عَفَّى على الكرماء
وذَا الأصْبع المبسوط في الناس حُكمُهُ ... له الفضل معروف لدى الحكماء
ويوم خَزارى سائلوا فيه رأسه ... كُلَيباً وأوفى حَقَّهُ المُتنائي
وفارس عَبْسٍ اذ جرى دَاحسٌ به ... وفارس غَبراء جرى بمضاء

إلى أن قال :

سلوهم بما قالوا وما عرفوا به ... من الشعر إنَّ الشِّعر غير خفاء
سلوهم لقد كانت بلادي مَرْتعاً ... لهم ، وبلادي مرتع العظماء
بنو أسد كانت قديماً منازلا ... لهم ، وربوعا أوطَنَتْ برعاء ،

أقول : لم أر من ذكر من المتقدمين أنَّ عُنيزة ، أو ما يقرب من موضعها كانت لبني أسدٍ في وقت من الأوقات ، وإنما هي كانت في صدر الإسلام مع منطقتها لِقُرَيْش كما سبق ذكر ذلك في فصل (منازل العرب القديمة في القصيم) في مقدمة المعجم بل إن حظ مدينة عُنيزة من التاريخ كان أوفر من حظ غيرها من مدن القصيم في ميدان الكتابة عنها إلى ما قبل سنوات قليلة ، ولعل الشاهد على ذلك ما كتبه أحد المدرسين المتدبين للتدريس فيها وهو الأستاذ عبد الرحمن صادق الشريف إذ ألَّفَ كتاباً بعنوان : «منطقة عنيزة : دراسة اقليمية» تكلم عن منطقة عنيزة حتى تاريخ تقديم ذلك الكتاب بمثابة رسالة لنيل درجة (الماجستير) من قسم الجغرافيا بكلية آداب عين شمس بالقاهرة عام ١٩٦٥م[١] .

---

(١) هناك ملاحظات على ما ذكره في هذا الكتاب ليس هذا بموضع ذكرها وقد لاحظ عليه المرحوم الأستاذ حمد العبيدي في مجلة العرب ، وذلك أمر طبيعي .

وأما الشعر في (عنيزة) ما بين عَامي وفصيح فإنه كثير إلى درجة أنني لا أعلم موضعا في القصيم ورُبما في نجد قيل فيه مثل ما قيل فيها ، ولقد بلغني أن أحد أبناء عنيزة وهو الأستاذ (عبد الرحمن بن عقيل الحمد) يجمع ديواناً حافلاً يضم طائفة من الأشعار المذكورة .

تسميتهــا :

اشتقاق اسم (عنيزة) مختلف فيه بين اللغويين والأقرب منها أن تكون مصغَّرة من كلمة الْعَنز التي تعني القارة السوداء . فذلك ما رواه الأزهري عن أعرابي شافَهَهُ بذلك مشافَهةً ، وهو الذي يتفق من كون مدينة عنيزة كان بقربها أَكَمةٌ هي التي اكتسبت منها هذه التسمية قبل أن تصبح مدينة ، بل ربما قبل أن يستخرج محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس ماءها فتصبح ماء موروداً ، وذلك في القرن الثاني الهجري .

قال ياقوت : عُنَيْزة : بضم أوله وفتح ثانيه ، وبعد الياء زاي ، يجوز أن يكون تصغير أشياء منها الْعَنَزَة ، وهو رمح قصير قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً وفيها زُجٌّ كزُجِّ الرمح[1] . والعنزة وهو دُوَيْبَةٌ من السِّباع تكون بالبادية دقيقة الخطم ، تأخذ البعير من قبل دُبُرِهِ وقلَّما تُرَى ، ويزعمون أنه شيطان فلا يُرَى البعير فيه إلا مأكولاً[2] والعنزةُ من الظباء والشاء ، زيدت الهاء فيه لتأنيث البقعة ، أو الركية أو البئر ، فأما العنز فهو بغير هاء . أو العنز من الأرض وهو ما فيه حزومةٌ من أكمةٍ أو تلٍّ أو حجارة والهاء فيه أيضاً لتأنيث البقعة .

هذا ما ذكره ياقوت ، وهو لا ينطبق تمام الانطباق على ما يتبادر إلى الذهن من تسمية (عُنَيزة) ، وإن كان قد يُخرَّج على أحد المعاني التي ذكرها . أما الأزهري فقد قال : سألني أعرابي عن قول رؤبة :

وَأَرَم أَعْيس فــوق عَنْــزِ

فلم أعرفه ، فقال : العَنْزُ : القارة السوداء . والأرمُ : علمٌ يبنى فوقها . وجعله أعْيَسَ لأنه بني من حجارة بِيْضٍ ليكون أظهر لمن يريد الاهتداء به على الطريق في الفلاة ، وعُنيزة :

---

(١) الزُّجُّ : أسفل الرُّمح .

(٢) تسميها العامة من أهل نجد في الوقت الحاضر (المَسَّارَة) على وزن المخَّارة وفي معناها أيضاً .

موضع في البادية معروفٌ.

أقول : الأرَم هو الذي تسميه العامّة في الوقت الحاضر (الرُّجْم) وهو ينصب فوق التلال والظراب وما يسمى (الجال) وهو الجانب المرتفع من الجبل المتطامن ونحوه.

ثم قال الأزهريُّ : وقال اللَّيْثُ : العنزُ في قول رؤبة : صَخْرة تكون في الماء والذي قاله الأعرابي أصَحُّ. وقال الليث : العَنْزُ من الأرض ما فيه حزونة من أكمة أو تلٍّ أو حجارة[١].

أقول : المختار هو الذي ذكره الأزهريُّ عن الأعرابي ورجَّحَهُ، وتكون تسمية عنيزة عليه تصغير العَنز التي معناها : القارة بفتح الراء وتخفيفها أي الأكمة الصخرية.

وعنيزة تُسَمَّى (الفيحاء) في العصور الحديثة وهي أشبه بالصفة — إلى جانب الاسم الأصلي (عنيزة) والفيحاء معناها : الواسعة من قولهم : مكان أفيح بمعنى واسع.

وهذا الوصف ورد لمدينة (عُنَيزة) في أشعار كثيرة من ذلك قول : زامل بن عبدالله بن سُلَيم أمير عنيزة من قصيدة طويلة[٢] :

إنْشر من (الفيحا) لُمَلْفى لك قريب — عبدالله المذكور سَهْلٍ في نَبَاهْ[٣]
نوِّخْ على الحاكم، وبالك تسترِيب — مِنْ حاكمٍ كل القبايل في سناه

وقول عبَّاد الخشيّ من شعراء عُنَيزة في القرن الثالث عشر من قصيدة :

قِلْ : هَيْه، الا يا راكب شَوْشِلِيَّهْ — عن الزُّور ضلاًّ طافحات عْضُودَهْ[٤]
مْعفَّاةٍ إلاَّ من شْدَادٍ ومزْهَبْ — وعَنْزِيَّةٍ مَرْكُونْةٍ من جلودهْ[٥]
ثَوِّرٍ مْنَ (الفيحا) على هَجْعَة الْمَلاَ — والصبح وأنت مْنَكِّب ما يكُودَهْ[٦]

(١) تهذيب اللغة ج ٢ ص ١٤٠.
(٢) ذكرتها كاملة مع ما وصل اليّ من شعر زامل في ترجمته من : «معجم أسر أهل القصيم» الذي لا يزال مخطوطا.
(٣) الملفى : الذي تلافيه أي : تصل إليه إذا قصدته. والنبا : هو الحديث هنا وأصل الكلمة النبأ للحديث.
(٤) شوشلية : ناقة سريعة.
(٥) الشداد الرحل : والمزهب : ما يضع فيه المسافر زهابه وهو زاده في السفر عنزية : قربة من جلد عنز.
(٦) ثوّر من الفيحا : أي : اجعل ناقتك تثور من عنيزة بمعنى تنهض من مكانها يكوده : يكودها بمعنى يشق عليها والمراد : منكب ما : يكودها. قد جعلت ما يصعب عليها من قطع المسافة خلف منكب تلك الناقة.

وقال علي بن سليمان بن طريّف من أهل عنيزة في ذكر أمير عنيزة عبد العزيز بن سليم :

يَامْر (أبو خالد) ما نَبي فيه تَبْدِيْلْ   عساه دَايِمْ والسَّعَدْ له مْفَايِلْ[1]
مِقْدَمْ هَل (الْفيحا) بْيوم الملاهِيْل   شَيْخٍ حَمَى حَدَّ الْحمَى بالسَّلاَيِلْ[2]

وقال عبد الرحمن الربيعي من شعراء عنيزة :

رَبْعي هَل (الفيحا) مصاوِيْط الأَكْوَان   يوم السبايا بالصَّبايا مغاويرْ[3]
يوم الْمشوَّك مثلْ هَطَّال الامْزَانْ   والسَّيف يَجْزِر بالْعيال المناعِيرْ[4]

وقال عبدالله بن علي بن دُوَيْرج من اهل السِّرّ وسكن عنيزة :

رَبْعي هَل (الفيحا) كما وادْي سَالْ   يقضْ من عالي المشاريف طَيَّهْ[5]
إلى حصلْ يومٍ به قْفَايْ وِقْبَالْ   مثل الصَّوَارِيْ باللقَا حَضْرَمِيَّه[6]

ويجوز أن يكون لقب (فيحاء) مأخوذ في الأصل اللغوي القديم من الفيح بمعنى ظهور الرائحة ، ومنه : فاحت رائحة الطيب تفيح فيحاً .

وقد يفهم من تعبيرات شعراء العامة ذلك مثل قول علي بن ابراهيم القري من شعراء عنيزة المعاصرين في مطلع قصيدة له في (عنيزة) :

ألا يَامَلاَ الخير يا دار عزيزة منالْ   مع قَسْوة الوقت عَلْيه ما اختلف كارها[7]
(فيحا) تفوح أريجيتها بعملة رجال   هم (دينموها) و(ماطوَرهْ) و(تبارها)[8]

(١) أبو خالد : هو أمير عنيزة : عبد العزيز بن عبدالله آل يحيي السُّليم .
(٢) يوم الملاهيل : يوم الركض والإغارة على الأعداء في الحروب ومفايل : فأل حسن ، والسلايل : السيوف المسلولة .
(٣) مصاويط الأكوان : المقدمون على الحروب والاكوان : جمع كون بمعنى حرب .
(٤) المشوك : رصاص البنادق ذو الشوك أي الذي طرفه حاد ليدخل في جسم العدو ، والمناعير : المقدمون من الاعداء والعيال : الفتيان المحاربون .
(٥) يقض : يهدم . المشاريف : الأماكن المشرفة . الطيَّة : واحدة الطَيّ وهي الحجارة الكبيرة .
(٦) قفاي واقبال : إقدام وتأخر لشدة المعركة في الحرب ، وحضرمية : شجعان يقدمون على الحرب وهم يحضرمون بالتشفي من الاعداء أي : يتكلمون فيه .
(٧) الايا ملا : رجاء ودعاء . عليه : عليها ، بلغه أهل القصيم ، كارها : العرف والعادة التي تسير عليها .
(٨) الصملة : الشيء الحاصل الذي لا يتغير . ولذلك قال هم (دينموها) أي : مولد الكهرباء فيها وكذلك (ماطورها) : أي محركها .

عمارة عنيـزة :

عنيزة كانت روضة ينتهي اليها سيل بعض الأودية الصغيرة استخرج ماءها محمد بن سلمان بن علي بن عبدالله بن عباس وستأتي النصوص التي تدل على قدم تسميتها ، وبقي أن نعرف متى عمرت عنيزة فأصبحت قرية ثم مدينة .

والواقع أن المستفيض لدى عدد من علماء القصيم ان ابتداء عمارتها كان في القرن السادس أو السابع ، وقد سجل عدد منهم ذلك ولكن لم يذكر أحد منهم المصدر الذي اعتمد عليه في رأيه ولا غرابة فتلك كانت سمة التأليف ونهج المؤلفين في ذلك العصر ولكنني وجدت نصاً من أوائل القرن التاسع يذكر عنيزة بأنها قرية وسوف أورد كلام علماء القصيم ثم أذكر ذلك النص وما بعده بإذن الله .

وقال الشيخ ابن ضويان في تاريخه :

أو من سكن عنيزة ، واستوطنها بطن من بني خالد يسمون الجناح نزلوا على بئر تسمى «أم القطا» هي الآن في العيارية ، وسميت المحلة باسم القبيلة ، وكان ذلك في حدود المائة السادسة من الهجرة ، وبعد سبعمائة من الهجرة سكن زهير السبيعي العامري في موضع عنيزة وكثر جيرانه ، ولم تزل في زيادة إلى أن ملكت محلة (الجناح) وصار اسم الجميع عنيزة على الاسم القديم[١] .

وقال الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع :

لقد انشئت عنيزة سنة ٦٣٠ تقريباً لأنه معلوم بما استفاض عند أهل القصيم بأن أول من سكن عنيزة هو زهري بن جراح الثوري . وتحققنا بأن الموجودين الآن هم من ذريته ، اذ أغلبهم بينهم وبينه ثلاثة وعشرون أبا ، وفي اعتبار أهل النسب يجعلون لكل أب ثلاثين سنة في الغالب .

وأما إمارتها فقد مضى عليها قريب من مائتين وخمسين سنة وهي تبع للجناح[٢] ليس فيها

---

(١) نقلته من خط الأستاذ منصور العبد العزيز الرشيد الذي ذكر أنه نقله من خطه .

(١) سبق ذكر الجناح في حرف الجيم .

أمير ، ولا يحيط بها سور واحد . والجناح ثلاث دير[1] : الضبط ديرة ، والخريزة ديره ، ولها سور خاص والمليحة ديرة ولها سور خاص ، وكذلك العقيلية[2] لها سور خاص ، وأصبحت هذه القرى كلها بلدة واحدة يقال لها (عنيزة) .

وأول من أوجدها[3] عقيل بن ابراهيم بن موسى بن محمد بن بكر بن عتيق بن جبر بن نبهان بن مسرور بن زهري بن جرّاح[4] .

وقال الشيخ مقبل الذكير في تاريخه في حوادث ١٠٩٧ وفي هذا السنة خرج الشريف أحمد بن زيد الى نجد في شعر ربيع الثاني ونزل عنيزة في القصيم وكانت يومئذ كغيرها من بلدان نجد منقسمة من حيث النفوذ إلى اربعة أقسام :

(١) الجناح ــ وهي قرية لم تزل على حكمها شمالي البلد ، وأهلها آل جناح من جبور بني خالد .

(٢) العقيلية ــ وهي محلة لم تزل معروفة في البلد وأهلها آل أبو غنام الذين من ذريتهم آل يحيي الصالح وآل بكر .

(٣) المليحة ــ وهي محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم ، وأهلها آل معمر بن الفضل الجراح وآل زامل وكلهم من سبيع .

(٤) الجادة ــ وهي أيضاً محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم ، وأهلها الشختة المعروفون بالمشاعيب وهم أبناء عم آل معمر . وكان النزاع لا يزال مستمراً بين هذه الأقسام ومن المفهوم أن ثلاثة الأقسام الأخيرة هي محلات متصلة بعضها ببعض بأسواق ، وكثيراً ما تسد هذه الأسواق أثناء النزاع الذي يحدث بينهم ويتبادلون اطلاق الرصاص من بيوتهم .

وفي سنة ١٠٩٧ خرج الشريف أحمد بن زيد كما ذكرنا ونزل عنيزة ونكل بأهل العقيلية

---

(١) دير : جمع ديرة وهي محلة القوم وكثيراً ما تخصص للقرية للحاضرة .
(٢) الضبط : والخريزة والعقيلية تقدم ذكرها في أماكنها من هذا المعجم وأما المليحة فستأتي في حرف الميم ان شاء الله .
(٣) يعني العقيلية .
(٤) المنتخب في ذكر نسب قبائل العرب ص ٣٠١ وتاريخ بعض الحوادث ص ٢٣٢ .

المحلة المعروفة في عنيزة تنكيلاً شديداً تجاوز به حدود العقوبة ، وانتهب ما فيها وما في بيوتها ولم تقف على الأسباب التي ذعته إلى مثل هذا العمل ونظم فحوى هذه الأقوال صاحب «العنيزية» الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي فقال وهو يستعرض تاريخ عنيزة :

ولما أتى القرن الذي هو سابع ... لهجرة خير الخلق والنظراء
تأسس مبناها وكان شمالها ... لآل جناح أول المترائي
بها نزلوا حتى أقامت قبيلة ... سبيع من الجرّاح ذات دهاء[1]

إنّ كلام هؤلاء العلماء لا يعطينا ما يستند عليه من مرجع قديم مكتوب ورأيي أنهم كتبوا ما كتبوه بناء على الاستفاضة وعلى تقييدات تاريخية ليست بكتاب مشهور ، على أنه يمكن القول بأنهم قد عثروا هم بأنفسهم أو من نقلوا عنه على مصدر بهذا الشأن لم أطلع عليه وعلى فرض عدم وجود ذلك فإن بعض الدلائل تدل على صحة قولهم . وأهمها ما ذكره الجزري في طبقات القراء إذْ سجّل واقعة حدثت عام ٨٢٢ هـ ووصف فيها عنيزة بأنها قرية ، وهذا التاريخ لا يبعد عما قالوه إلا بفترة زمنية لا تتجاوز قرناً ونصفه من الزمن وهي فترة ليست بالطويلة في أعمار القرى والبلدان في نجد في تلك العصور وهي تعطنا دليلاً يمكن أن يَنهض على أن عنيزة كانت قرية صغيرة حديثة العهد بالعمارة واستمرت كذلك إلى سنة ٨٢٢ هـ حيث زارها الجزري أو أنها كانت قبل ذلك التاريخ في عدة محلات كما تقدم . ثم أصبحت قبل زيارة الجزري لها قرية واحدة تسمى «عنيزة» وعلى كل حال فإن لنص الجزري أهمية خاصة لأنه أقدم نص مكتوب عثرت عليه وصف عنيزة بأنها كانت قرية .

وهذا نص كلامه في الطبقات :

خرج — أي ابن الجزري — للحج هو ومعين الدين بن عبدالله بن قاضي كازرون ، فوصلا إلى (قرية عنيزة) من نجد وتوجها منها فأخذهم الاعراب من بني لام بعد مرحلتين ، فرجعا إلى عنيزة ، فنظم بها الدُّرَّة في قراءات الثلاثة حسبما تضمنه تحبير التيسير . ثم جاء فيه : وفتح الله تعالى بالمجاورة بالمدينة وبمكة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة بعد أخذ الاعراب له ، ورجوعه إلى عنيزة[2] .

---

(١) العنيزية ص ١٢ .
(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ج ٢ ص ٢٥٠ — ٢٥١ .

ان قيمة هذا النص تكمن في أنه وصف عنيزة بأنها قرية والا فإن اسم عنيزة كان معروفاً قبل البعثة بأنه موضع .

وقد أشار الجزري رحمه الله في الدُّرة القصيدة التي نظمها في عنيزة أشار إلى تلك الحادثة وذكر عنيزة ولكن لم يصفها بوصف آخر قال :

غريبة أوطانٍ بنجد نظمتها | وعُظْم اشتغال البال واف وكيف لا
صُدِدْت عن البيت الحرام وزوري الـ | ـمقام الشريف المصطفى أشرف الْمَلاَ
وطبقني الأعراب بالليل غفلةً | فما تركوا شيئاً وكدت لأُقتلا
فأدركني اللّطف الخفيُّ وَرَدَّني | (عنيزة) حتى جاءني مَنْ تكفَّلا
بِحَمْلي وايصالي لطيبة آمناً | فيارب بَلِّغْني مُرادي وسَهِّلا
وَ مُنَّ بَجَمْعِ الشمل واغفر ذنوبنا | وصلِّ على خير الأنام ومن تَلا

وذكر العلامة تقي الدين الفاسي هذه الحادثة في تاريخه وذكر عنيزة ، ولكنه لم يصفها بقوله انها قرية . ولا شك في أنَّ ذلك كان منه طلبا للاختصار أو ربما كان ذلك لكونها كانت معروفة عنده بأنها قريةٌ قال :

في سنة ٨٢٢ توجه العلامة عمدة المقرئين شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري الدمشقي الشافعي توجه من شيراز مريداً للحج فعرض له بنولام بقرب (عنيزة) فنهبوا ما معه من التحف التي استصحبها هدية الأعيان أهل الحرمين . وتأخر بعنيزة لتحصيل كتبه وترقيع حاله ، فلما ظفر بكتبه توجه قاصداً للمدينة النبوية ، فنهبه بعض بني حسن أيضاً . وتوصل إلى المدينة النبوية في شهر صفر سنة ٨٢٣[1] .

ولكن هنالك نصا أقدم عهدا من هذه النصوص الثلاثة ورد فيه ذكر عنيزة إلا أنه لم يرد فيه بيان حالها وما إذا كانت قرية أو ماء . وهذا النص أورده ابن فضل الله العمري عن بعض النجديين في القرن السابع الهجري وذكر عنيزة ، في معرض كلامه على بلاد بني خالد .

---

(١) العقد الثمين ج ٤ ص ١٣٨ .

وهذا يتفق مع ما أورده علماء القصيم من أن الجناح كان لبني خالد وأنه كان أقدم من عنيزة .

وهذا نص كلام ابن فضل الله :

وخالد : ودارها : التنومة وضيده وأبو الديدان والقريع ، وضارج والكواره والنبوان إلى ساق العرفة إلى الرسوس فإلى (عنيزة) إلى وضاخ[1] .

أقول : كل هذه الأماكن معروفة لي في القصيم وخصصت لكل منها رسماً تكلمت فيه عليه . وهي التنومة وَضيْدَة باقيتان على اسميهما وهما في ناحية الأسياح وأبو الديدان هو أبا الدود الآن في الاسياح أيضاً والقريع هو القرعا في جنوب ناحية الجواء ، وضارج هو ضاري حالياً في الشقة إلى الشمال من بريدة . والكوارة هي القوارة في شمال القصيم والنبوان هو الصوال حالياً في شرقي قصيبا في شمال القصيم وساق العرفة هو ساق الجواء وعرفته مشهورة في القديم والحديث تكلمت عليها في موضعها . والرسوس هي الرس والرسيس وموضع آخر بقربهما والرس الآن احدى المدن الرئيسية في منطقة القصيم . واضاخ معروف وهو في نهاية حدود منطقة القصيم الجنوبية الغربية وهذه الأماكن كلها يصح ان يقترن ذكرها بذكر عنيزة والله أعلم .

ولقد بحثت عن وثائق تاريخية قديمة ربما تكون موجودة عند أهل عنيزة وبخاصة عند الأسرة التي كانت ولا تزال تتولى إمارتها وهي أسرة (آل سليْم) فسألت الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السليم من أكبر افرادها الموجودين من حيث السن ، وأكثرهم علما بل هو زميل كريم في طلب العلم ووجيه من وجهاء عنيزة إلى جانب كونه من الرجال الذين يتحرون الصدق في الأمور والدقة في الحكم على الأشياء ، فأخبرني انه لا يوجد لدى الأسرة تاريخ مكتوب لحوادث عنيزة وما حولها إبان القرون الأولى لتأسيسها وزاد على ذلك بأنه كان قد أملى على ابنه ابراهيم نبذة مختصرة من تاريخ أمراء عنيزة قرر في أولها هذا المعنى اعطاني إياها وهذا نص ما كتبه :

---

(١) مسالك الأبصار ج ٤ ورقة ٩١ مخطوطة أياصوفيا . وقد نقلت عبارته محرفة في قلائد العقيان ص ٨٩ .

أما إمارة عنيزة فلم تخرج من أولاد المؤسس الأول ، زهري بن جراح من العتايقه ، أحد فخوذ بني ثور من قبيلة سبيع أما تاريخ يَضْبط ذلك فهو كالمحال اذ ليس يوجد تاريخ لبلاد عنيزة أما الذي نعلمه فإمارة عنيزة لم تخرج عن ذرية زهري إلا في الفترة التي بين ترحيل عبدالله بن رشيد من عنيزة تقريب ١٢٠٤ إلى سنة ١٢٣٢ حين احتلال ابراهيم باشا للدرعية . اما الأمراء قبله فهم المشاعيب والمعمر، والرشيد وكلهم من أولاد علي بن زهري جراح ولا نُحيْط علما بتحرير ولاياتهم وفي سنة ١٢٣٢ أمَّر الاتراك عَبدالله الجمعي رحمه الله وهو من أولاد علي بن زهري بن جراح وقتله يحيي بن سليمان بن زامل وهو من ولد علي بن زهري بن جراح ، وأخوه عبدالله سنة ١٢٣٨ وتأمّر يحيي السليمان بن زامل وفي سنة ١٢٤٦ عزله الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأمر في عنيزة محمد بن ناهض من أهالي السِّر وأقام تقريب سنة واحدة ثم أمر محمد الحسن الجمل وهو من أولاد علي بن زهري بن جراح ولم يكمل سنه . ثم أمر صالح المحمد القاضي وذلك تقريب ١٢٤٨ هـ وفي سنة ١٢٥٠ تنازل عنها لأميرها الأول يحيي السليم وقتل في وقعة بقعا ١٢٥٦ هـ التي بين أهل القصيم وبين الرشيد .

ثم تولى الامارة بعنيزة أخوه عبدالله السليمان بن زامل وقتل في وقعة الغريِّس[1] ويقال وقعة الجوى عام ١٢٦١ ثم تولى أخوه ابراهيم بن سليمان الزامل فأقام بالإمارة تقريب سنة وتنازل عنها تورعا وتديناً رحمه الله لأنه طالب علم واتفق أهل البلد على تأمر ناصر بن عبد الرحمن السحيمي وهو من أولاد بكر بن زهري بن جراح وذلك لأن السليم بوقتها لم يكن فيهم من يصلح للإمارة لصغرسن عبدالله اليحيا وزامل وفي سنة ١٣٦٤ تولى إمارة عنيزة جلوى بن تركي بن عبدالله إلى سنة ١٢٧٠ هـ ثم تولى الإمارة عبدالله اليحيا السليم وتوفي عام ١٢٨٥ هـ وتولى الإمارة زامل العبدالله بن سليم حتى قتل في وقعة الْـمُلَيْدا التي بين أهل القصيم ومحمد بن رشيد في جماد سنة ١٣٠٨ هـ ثم أمر محمد بن عبدالله الرشيد عبدالله بن يحيي الصالح بطلب أهل عنيزة لذلك وهو من ولد مسرور بن زهري بن جرّاح وتوفي سنة ١٣١٢ وتولى بعده أخوه صالح بن يحيي حتى ذا القعدة سنة ١٣١٨ وتولى الإمارة عبدالعزيز العبدالله اليحيا السليم ثمانية عشر يوماً ثم انهزم مبارك الصباح بوقعة الصريف وخرج السليم من عنيزة وأمر عبد العزيز بن متعب بن

(١) الغريس : بتشديد الياء على لفظ التصغير.

رشيد حمد بن عبدالله اليحيا الصالح وقتل في المحرم ١٣٢٢ قتله السليم وتولى الإمارة عبد العزيز بن عبدالله اليحيا وتنازل عنها لابن أخيه عبدالله الخالد بن عبدالله اليحيا السليم ١٣٣٥ حتى ١٣٧٤ فتنازل عنها لابن عمه خالد بن عبد العزيز بن عبدالله اليحيا السليم وهو الأمير الحالي لكتابة الأحرف سدد الله خطاه ووفقه لما يحبه ويرضاه . في ١٣٨٣/١١/١٣ هـ .

أقول : الذي تولىّ الإمارة أصالة بعد خالد المذكور هو محمد بن خالد العبدالله السليم وهو الأمير الحالي عند كتابة هذه السطور في آخر عام ١٣٩٩ هـ .

أقول : كان الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله قد نشر شيئاً يتعلق بذكر أمراء(عنيزة) وقضاتها في آخر كتاب المنتخب في انساب قبائل العرب ، واعاد الأستاذ حمد الجاسر نشره ملحقاً بكتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» لابن عيسى .

وفيما ذكره الشيخ ابن مانع ما يحسن ذكره بعد ذكر ما ذكره الشيخ عبد الرحمن الزامل إكمالاً للفائدة .

لذلك سألخص ما ذكره الشيخ ابن مانع وعلى من يريد الاطلاع عليه بنصه أن يرجع اليه قال :

وأما إمارتها — أي عنيزة — فقد مضى عليها قريب مائتين وخمسين سنة وهي تبعٌ للجناح ، ليس فيها أمير ، ولا يحيط بها سور واحد .

إلى أن قال :

ثم بعد ذلك اجتمع أهل المليحة والخريزة والعقيلية ، وصارت إمارة الجميع لآل فضل من سبيع . وصارت الإمارة لفوزان بن حميدان بن حسن بن معمر من آل فضل . ثم في ١١١٠ سطا آل ابى غنام على أهل الخريزة ، وآل بكر بالمليحة وأخرجوهم من بلد (عنيزة) وفي ١١١٥ قُتِل فوزان بن معمر قتله آل جناح من الجبور من بني خالد ، واستولوا على بلد (عنيزة) ثم أخرجهم منها حميدان بن فوزان بن معمر . ثم في سنة ١١٢٨ سطا إدريس[1] بن صعب بن شايع الخالدي شيخ الجناح على عنيزة ، وهدم قصرها . فلما كان في رمضان سطا عليه آل فضل وأخرجوه .

(١) الصحيح (دويس) بدال وواو ثم ياء وسين لا ادريس .

ثم بعد ذلك صارت إمارة (عنيزة) للمشاعيب من آل جرّاح من سبيع ، وفي سنة ١١٥٥ قتل حسن بن مشعاب أمير (عنيزة) واستولى آل جناح من بني خالد على (عنيزة) ثم سطا آل فضل على آل جناح في (عنيزة) وأخرجوهم منها وتأمر في (عنيزة) رشيد من آل فضل من سبيع . وفي سنة ١١٧٤ قُتِل رشيد وفراج امير الجناح بعد العصر وهما جالسان في مجلس (عنيزة) ثم تأمر دخيل بن رشيد ، ثم صار بعده أخوه عبدالله بن رشيد الذي قتل من قبل جنود ابراهيم باشا .. عندما عزموا على الارتحال عَن نَجْد بعد وقعة الدرعية .

وكان قد بقي موقوفاً في الدرعية لأن الامام سعود بن عبد العزيز عندما استولى على عنيزة أمّر عليها عبدالله بن يحيي أبا الشحم ، ثم تأمر محمد بن عُفَيْصَان العائذي[1] .

ولما قدم ابراهيم باشا إلى نجد أمّر عبدالله بن حمد الجمعي من سبيع .

وفي سنة ١٢٣٦ تأمر في (عنيزة) محمد بن حسن الجمل باتفاق من العلماء ، ثم تأمر الجمعي إلى أن قتله يحيي بن سليمان — المعروف بسليم[2] .

ولما تمكن الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود في الرياض ، أمّر في (عنيزة) خيرالله تابع سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، ثم أمّر تركي بعده محمد بن ناهض ، ثم صالح القاضي .

ولما قُتِل تركي سنة ١٢٤٩ تأمر يحيي السليم ، ثم قُتل في بقعا سنة ١٢٥٤ [3] أثناء حربه مع ابن رشيد ، فتأمر أخوه عبدالله السليم ، وقتل بالجو[4] سنة ١٢٦٧ ، ثم تأمر ابراهيم السليم . ثم عزله الإمام فيصل رحمه الله ، وأمّر ناصر بن عبد الرحمن السحيمي .

ثم في سنة ١٢٦٥ تأمر في (عنيزة) جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود . ثم خرج من (عنيزة) سنة ١٢٨١ وتأمر عبدالله آل يحيي السليم ، وتوفي سنة ١٢٨٥ ، وتأمر علي السليم

---

(١) علق على ذلك الشيخ حمد الجاسر تقدم في ص ١٣٩ ابراهيم .
(٢) يريد بالمعروف بسليم (سليمان) لا يحيي .
(٣) الصحيح ان وقعة بقعا حصلت سنة ١٢٥٧ .
(٤) الصحيح (الجوي) وقد سبق ذكره في حرف الجيم من هذا المعجم .

ولم يكن له إلا اسم الإمارة فقط ، وحقيقتها لزامل العبدالله السليم . ثم تأمر زامل حتى قتل في المليدا في جمادي الأولى عام ١٣٠٨ .

ثم تأمر من قبل ابن رشيد عبدالله آل يحيي الصالح الغانم ، ثم تأمر أخوه صالح ، ثم تأمر حمد العبدالله آل يحيي الصالح .

ثم زالت دولة آل الرشيد فعادت إمارة (عنيزة) إلى أهلها بمساعدة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فتأمر في (عنيزة) عبد العزيز العبدالله آل يحيي السليم ، ثم تنازل عنها لابن أخيه الأمير عبدالله الخالد السليم ، ثم تنازل عنها ، وتأمر خالد بن عبد العزيز بن عبدالله آل يحيي السليم سنة ١٣٧٤ [١] .

وعلى ذكر أمراء عنيزة لعل من المفيد أن ننقل هنا ما ذكره الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع رحمه الله عن قضاة عنيزة ملخصاً ثم نعقب بذكر القضاة الذين تولوا قضاءها بعد الذين ذكرهم استكمالاً للبحث .

قال :

ولي قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن أحمد بن عضيب التميمي الناصري سنة ١١١٠ هـ بطلب من أهلها ، وكان قبل ذلك في بلد المذنب .. وتوفي في الضبط وقبره معروف حتى اليوم في مقبرتها .

وأمّا قبله فالظاهر أنه لم يكن بالقصيم علماء مشهورون ، بل كان عندهم مطاوعة ، يصلون بهم ، ويعلمونهم القرآن .

ثم تولى القضاء بعده تلميذه الشيخ سليمان بن عبدالله بن زامل سنة ١١٦١ ، ثم بعده الشيخ محمد ابراهيم ابا الخيل ، ثم الشيخ عبدالله بن حمد بن اسماعيل ، ثم الشيخ محمد العلي بن زامل المسمى «أبو شامة» ثم الشيخ صالح بن عبدالله الصائغ .

ثم لما تولى عنيزة الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٢٢٠ أسند القضاء إلى الشيخ عبدالله بن سويلم .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٢٣٢ — ٢٣٨ .

ثم تولى القضاء الشيخ غنيم بن سيف من أهل ثادق ، وبعده تولى القضاء أخوه عبدالله بن سيف كما ذكر ذلك العلامة ابن بشر في تاريخه ، ثم الشيخ عبدالله الفائز أبا الخيل ثم الشيخ عبد الرحمن بن محمد القاضي .

وفي سنة ١٢٤٨ أرسل الإمام تركي بن عبدالله الشيخ عبدالله أبابطن إلى عنيزة ، قاضيا ثم رجع إلى بلده — شقراء .

فلما استشهد الإمام تركي رحمه الله وتولى الإمام فيصل ركب أمير عنيزة ومعه جماعة وجاؤا به مع عائلته ، ومعه زوج ابنته الشيخ محمد بن عبدالله المانع .

ثم تولى القضاء بعده الشيخ علي المحمد من الراشد أهل الزلفى .

ثم في سنة ١٣٠٣ تولى القضاء الشيخ عبد العزيز بن محمد بن مانع .

ثم تولى القضاء بعده الشيخ عبدالله بن عائض سبع سنين . ثم تولى بعده الشيخ ابراهيم بن حمد الجاسر من أهالي بريدة سبع سنين .

ثم تولى بعده الشيخ صالح بن عثمان القاضي نحو ٢٧ سنة . ثم تولى بعده الشيخ عبدالله بن محمد بن مانع عشر سنين .

ثم تولى بعده الشيخ محمد العبد المحسن[(١)] أبا الخيل من اهالي بريدة تسعة أشهر ثم بعده الشيخ عبد الرحمن بن عودان من أهالي شقراء تسع سنين .

ثم بعده الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عقيل سنة ١٣٧١ هـ[(٢)] .

ثم في سنة ١٣٧٥ هـ نقل قاضي المجمعة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع إلى قضاء بلدة عنيزة[(٣)] .

قال الشيخ محمد مانع معقباً على ما سبق .

---

(١) الصحيح : محمد بن عبدالله الحسين أباالخيل وانظر ترجمته في (علماء نجد خلال ستة قرون) للشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن بسام .

(٢) الصحيح عام ١٣٧٠ وذلك في ٢٠ شوال منها حتى عام ١٣٧٥ هـ .

(٣) تولى القضاء من آخر سنة ٧٥ حتى عام ٧٩ هـ .

قلت : وقبل ولاية الشيخ عبدالله بن عائض كان يأتي إلى عنيزة أحياناً الشيخ صالح بن الشيخ قرناس من أهالي الرس . ويتولى القضاء . وقد ذكر صاحب «السحب الوابلة» ان الشيخ عبد العزيز بن حمد سبط شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب تولى قضاء عنيزة ولكنه لم يذكر مع قضاتها(١) .

أقول : تولى القضاء بعد الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع الشيخ سليمان بن عبيد آل عبيد من ٧٩/١١/٢٥ الى ١٣ صفر ١٣٨٣ هـ وبعده الشيخ محمد بن صالح الخُزَيِّم منتدباً ثم أصيلاً حتى اليوم الحادث والعشرين من شهر ذي القعة عام ١٣٨٣ هـ .

ثم تولى قضاء عنيزة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز بن عبدان من أول عام ١٣٨٤ ولا يزال فيه حتى كتابة هذه السطور في أوائل عام ١٣٩٩ هـ .

عنيزة في النصوص القديمة :

تردد ذكر «عنيزة» كثيراً في نصوص قديمة جاهلية وإسلامية وقد دأب بعض الكاتبين على أن يجعل كل نص ورد فيه ذكر عنيزة وارداً في مدينة عنيزة وبعض المقتصدين منهم جعل أكثر تلك النصوص واردة في مدينة عنيزة .

ولكن كان يوجد في بلاد العرب عدة مواضع يسمى كل موضع منها باسم «عنيزة» وقد ذكرها ياقوت .

وتنقسم تلك النصوص إلى ثلاثة أقسام : قسم واضح ان المراد به عنيزة هذه التي أصبحت مدينة مشهورة في القصيم . وقسم ثانٍ : واضح انه يراد به مكان آخر غيرها وذلك إما بنص قديم ، أو بِقَرِينَةٍ دلت على انه لا يراد به مدينة «عنيزة» أو موضعها ،

وقسم ثالث : لم يتضح المراد به : أهو لمدينة عنيزة أم لمكان آخر غيرها .

هذا هو حاصل ما وصلت اليه بعد البحث ، وقد سرت على هذا المنوال وذلك — بطبيعة الحال — حسبما أدركه فهمي ، ولعل بعض الباحثين يخالفني في بعض ما أوردته ولا ضير ،

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٢٣٩ — ٢٤٤ .

فلكل فهمه والمهم أن يعتمد الفهم على دليل يصح الركون إليه .

ولنبدأ بالأشعار والنصوص التي هي في عنيزة هذه التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم :

قال بشر بن ابى خازم الأسدي وهو شاعر جاهلي قديم[1] :

عفا رسم برامة فالتلاع ... فكثبان الحفير إلى لُقاع
فَجنب (عنيزة) فذوات خَيْمٍ ... بها الغزلان والبقر الرتاع[2]
عفاها كل هطّالٍ هزيم ... يُشَبّه صوته صوت اليراع[3]
وقفتُ بها أسائلها طويلاً ... وما فيها مُجاوَبة لداع

والدليل على أنه يريد عنيزة هذه أنه شاعر أسدي . وبلاد بني أسد واقعة في شمال القصيم وغربه وانه قرن ذكر (عنيزة) بذكر مواضع معروفة في القصيم بعضها لا يزال باقياً على اسمه حتى الآن .

ومن ذلك (رامة) التي تقع إلى الغرب الجنوبي من عنيزة وعلى مسافة هي حوالي ثلاثين كيلاً . ثم (كثبان الحفير) والحفير الذي ذكره بشر بالتكبير اي بفتح الحاء وكسر الفاء يسمى الآن « الحفيره » بصيغة التصغير والتأنيث ، ولعل الاسم — في الأصل — لبئر واحدة في الحفير انثتها العامة ثم صغرتها لتحقيرها . والحفيرة آبار تزرع قمحاً واقعة إلى الغرب من عنيزة فيا بينها وبين رامة وهي إلى عنيزة أقرب منها إلى رامة . واضافة الحفير إلى الكثبان تجعلنا نتيقن ان المراد به هذا المكان الذي أصبح يسمى الآن (الحُفَيِّرة) بالتصغير لأنها محاطة بالفعل بكثبان رملية .

ثم ذكر بشر (لقاع) بضم اللام وفتح القاف ونرجح انه الذي يسمى الآن « القاع » في عنيزة وكان في القديم خارج عنيزة ثم أصبح سوق مدينة عنيزة وتحول الكلمة على مر الزمان إلى القاع على صيغة لفظ الأرض المستوية الطينية غير غريب اذ لقاع بضم اللام غريب على نطق العامة فكأنهم سكنوا لامه على عادتهم في لغتهم العامية ثم جاء من بعدهم ولم يعرف معنى لقاع بضم

---

(١) ديوانه ص ٣٩٦ .
(٢) في هذا البيت اقواء . ورتاع : راتعة .
(٣) هطال : سحاب يهطل منه المطر . والهزيم : الذي لرعده صوت .

اللام فاعتقد انها كلمة قاع ادخلت عليها أداة التعريف «أل» فأصبحت القاع بالتعريف.

وهذا له مماثل عند العامة وهو (لُغَاط) ذلك الوادي الذي أصبح بلدة بين المجمعة والزلفي إذ كان اسمه القديم لُغاط بضم اللام، ولكن العامة ينطقون به كما ينطقونه بكلمة غاط مدخلاً عليها اداة التعريف «ال».

ويدل على أن المراد به موضع مدينة عنيزة أيضاً ان بشراً رتب المواضع ترتيباً من حيث الموقع فرامة وهي الأولى في الذكر إلى جهة الغرب. ثم الحفير إلى الشرق منها ثم القاع وعنيزة إلى الشرق من الحفير.

بقي اسم لا نجزم بقدمه ولكن كلام بشر يشعر به وهو التلاع جمع تلعة وهو المسيل الصغير من السيل فمن الجائز أن تكون (أم تلعة) وهي البدايع الشرقية من التلاع التي ذكرها بشر بن ابي خازم هذا إذا كان يريد بشر تلاعاً معينة ولكن قد يستأنس لذلك ان أم تلعة التي يمكن أن تكون احدى التلاع التي ذكرها بشر واقعة بين موقع رامة، وبين (الحفيره).

ويروى بيت بشر الثاني بلفظ (خبت) فخاء فباء موحدة فتاء بدل كلمة (جنب) بجيم فنون فباء.

وهكذا ورد في شعر لامرىء القيس الخبتين وصيغة تثنية «خَبْت» إلا أن فيه اشكالاً يجعلنا لا نستطيع الجزم بأن المراد بعنيزة فيه مكان مدينة عنيزة لأنه ذكر مواضع متباعدة إلا إذا افترضنا ان فيه تحريفاً وان كلمة «لعلع» صحتها (لفلف) كما أن سير السحاب الذي ذكره فيه يخالف سير السحاب في نجد قال امرؤ القيس[1]:

سقى واردات والقليب ولعلعا ... مُلِثٌّ سماكيٌّ فهضبة أيهبا
فمَرَّ على الخبتين خبتي (عنيزة) ... فذات النقاع فأنتحى وتصوَّبا
فلما تولى من أعالي (طميَّةٍ) ... أَبَسَّتْ به ريح الصَّبَا فتحلَّبا

فظاهر السياق ان السحاب السماكي يمر على خبتي عنيزة وعلى ذات النقاع التي نفترض أنها

---

(١) الثاني في الأصل هو الثالث وجعل الثالث هو الثاني فيكون ترتيبها صحيحاً بالنسبة الى سير السحاب الممطر في نجد.

هي (النقع) جمع نقعة وهي تقع الآن شرقي مدينة بريدة وسنذكرها في حرف النون ونبين ان تسميتها قديمة بإيراد شواهد شعرية على ذلك ان شاء الله . وبعد ذلك عندما يمر السحاب بجبل طمية تهب عليه الصبا وهي الريح الجنوبية الشرقية فيتحلب بالماء .

وطمية كما هو معروف جبل يبعد عن مدينة عنيزة بمسافة ٢٥٠ كيلاً إلى جهة الغرب على أنه يمكن توجيهه بأن امرأ القيس يريد الجهام الذي يسير من الشرق إلى الغرب في أيام البرد إذا كانت الريح شرقية شمالية فإنها تدفعه إلى جهة الغرب وفي العادة انه إذا هبت عليه ريح الصبا وهي الجنوبية الشرقية فإنها تلقحه ويتساقط مطره بإذن الله . أما المواضع التي ذكرها فإننا إذا قلنا ان لعلعا — بالعين — محرفة عن لفلف — بالفاء — فإن المواضع التي ذكرها امرؤ القيس تغدو معروفة لنا ومتقاربة وهي واردات ويراد بها هنا واردات العليا والقليب ولفلف وكلها إلى جهة الغرب من حِمَى ضرية . اللهم إلا إذا قلنا ان في رواية الأبيات تقديماً وتأخيراً جعل الثاني في الأصل هو الثالث وجعل الثالث هو الثاني فيكون ترتيبها صحيحاً بالنسبة إلى سير السحاب المطر في نجد .

وورد ذكر عنيزة ، في شعر لكعب بن زهير مقرونة في الذكر بأماكن في عالية القصيم مثل الغمار (الغمار) حالياً ، وثادق (ثادج حالياً) والقنان (المُوَشَّم في الوقت الحاضر) وساق العناب — في رواية — وهي بحذاء جبل ساق ويسمى الآن «الأصبعة» فيما أعتقد . أما الذي قرنه كعب بن زهير في الذكر بجانب (عنيزة) مباشرة فهو اداني الغضا ومعروف ان غميس عنيزة حتى الآن هو أشهر موضع بالغضا في القصيم في الوقت الحاضر قال كعب رضي الله عنه[١] :

واخـلَـفَـهُـنَّ ثِمادُ الـغمار ... وما كُنَّ من ثادقٍ يحتسينا
جـعـلـن القنانَ بإبط الشمال ... وماء العناب جعلن اليمينا
وبصبصن بين أداني الـغضـا ... وبين (عـنـيزة) شأواً بطينا .

وقال جبهاء الاشجعي[٢] :

(١) ديوانه ص ١٠٠ — ١٠٢ وسبق شرح الابيات في رسم : ثادج .
(٢) المناسك ص ٥٩٠ .

فهممت ثم ذكرت ليل لقاحنا بلوى عنيزة، أو بنعف قشام
اذ هُنّ عن حسبى مذاود كلما نزل الظلام بفتية أعتام

فذكر لوى عنيزة ولعله هو الحبل من الرمل الواقع في الشرق من «الزغيبية» والذي يحتفظ الآن باسمه القديم «لوى» وسيأتي ذكره في حرف اللام ان شاء الله ولا يبعد عن مدينة عنيزة إلا بمسافة لا تزيد على ٨ أكيال .

وورد ذكر عنيزة في قصيدة مالك بن الريب المازني اليائية المعروفة قال[1] :

وهل أترك العِيسَ العوالي بالضحى بركبانها تعلوا المِتَان الفيافيا
إذا عُصَبُ الركبان بين (عنيزة) وبولان عاجوا المُبقيات النواجِيا

والدليل على أنه يريد عنيزة ذاتها انه قرن ذكرها بذكر بولان — وهو قاع كان معروفاً بالقديم في طريق حاج البصرة إلى مكة ، بعد الصريف وقبل القريتين ورأيت انه هو الذي يسمى الآن القاع الأبيض ، كما سيأتي في حرف القاف ان شاء الله . قال جرير بن حازم الجهضمي من ارجوزته في منازل حاج البصرة :

حتى إذا أوفَتْ على القصيم وخلفت أرض بني تميم
قلت لها : جِدّي ولا تقيمي
فاختلَفَتْ تَنحَطُّ في رماله مثل انحطاط الوعْلِ في أجباله
تحذو إذا انحطَّتْ على مثاله
حتى إذا مرت بقاع (بولان) مزهُوَّة ، تَخدي امام الركبان
عامدة (للقريتين) ما تني لو عطفت لمرتع لم تنثنِ[2]

ولا يرد على ذلك ما نقله القالي عن ابن حبيب في تفسير بيت مالك بن الريب من قوله : عنيزة قارة سوداء في بطن وادي فلج قد شَجِي بها الوادي ، فسمي الشَّجي بها[3] فإن ذلك يشير إلى القصة التي تقدم الكلام عليها حول عنيزة والشجا بفتح الجيم والشجي بكسرها فيا

(١) راجع القصيدة بتمامها مشروحة في أمالي القالي ج ٣ ص ١٣٨ وما بعدها .
(٢) المناسك ص ٦٣١ .
(٣) الأمالي ج ٣ ص ١٤١ .

يظهر بدليل أننا لم نجد من فسره بهذا التفسير من المتقدمين غير ابن حبيب والله أعلم .

ومما يؤيد كون المراد بعنيزة في قصيدة مالك بن الريب إنما هي عنيزة هذه التي في القصيم ان مالكا كان يقيم في القصيم ومعه أشرار من العرب يقطعون فيه على الحاج الطريق وقد قدمنا ما يفسر ذلك من النصوص في مقدمة هذا المعجم . ونزيد هنا ما ذكره القالي في مقدمة كلامه على هذه القصيدة نفسها وهو قوله فيما يرويه عن ابي الحسن المدائني ان سعيد بن عثمان بن عفان لما ولاه معاوية بن أبي سفيان خراسان مَر بمالك بن الريب في البادية وهو منحدر من المدينة يريد البصرة . فخاطبه في أن يخرج معه إلى خراسان وأجزل له العطاء فخرج منه[1] ومعلوم أن طريق البصرة من المدينة ومكة يمر بالقصيم .

وقال النابغة الجعدي يصف سحابا[2] :

فأصبح بالقمْرى يجرُّ عفاءه[3] ... بهيماً كلون الليل أسود داجياً

فلما دنا للخُرْج خُرْج عنيزة ... وذي بقر ألقى بهنَّ المراسيا

والدليل على ان المراد بعنيزة موضع مدينة عنيزة انه ذكر خرج عنيزة وهو موضع مذكور بأنه هناك فقد جاء في شرح ديوان الحطيئة ان الخرج بعنيزة خلف القريتين في طريق البصرة إلى مكة[4] .

ودليل آخر وهو أنه ذكر القمرى والقمرى هو القاع الذي يسمى الآن «قاع الخزما وخريمان» وهو الذي ينتهي اليه سيول وادي الرشا (التسرير قديماً) ويقع إلى الغرب من «الشقيقه» .

ووردت نصوص عدة تبين اسمه القديم وذكرناها في رسم «الخزما» في حرف الخاء ومنها قول أبي علي الهجري وهو يتكلم على وادي التسرير : ثم يخرج اي — الوادي — من ديار

---

(١) الأمالي ج ٣ ص ١٣٦ .
(٢) شعر النابغة الجعدي ص ١٧٩ — ١٨٠ والبكري : رسم «قرى» .
(٣) عفاءه : ترابه .
(٤) المناسك لأبي اسحاق الحربي حاشية ص ٥٨٩ وسيأتي نص البكري على ذلك .

عكل ، فيفضي الى (قاع القمري) والقمرى في خط بني نهشل من بني دارم يقال لهم «بنو مخربة».. وبين هذا القاع وبين أضاخ خمسة عشر ميلاً[1] .

ودليل ثالث وهو انه ذكر «ذا بقر» وقد حققت في حرف «الباء» انه الموضع الذي يسمى الآن «بقر» بدون كلمة «ذي» ويقع في جنوب الشماسية إلى الشرق من مدينة عنيزة وأوردت نصوص المتقدمين التي تدل عليه .

فالنابغة رتب مسير ذلك السحاب بأنه أصبح في القمرى أي : قاع الخرما وخريمان يجر عفاءه — أي ترابه — والقمرى كما نعلم هو منتهى سيول وادي الرشا (التسرير قديماً) ولذلك لا يستغرب أن يثور منه تراب كثير شأن الأراضي الطينية ثم سار ذلك السحاب مشرقاً كما يفعل السحاب الممطر في نجد حتى إذا وصل عنيزة ألقى بها مراسيه كناية عن المطر الغزير وكذلك فعل عندما وصل «بقرا» التي على خط سيره وهي إلى الشرق من مدينة عنيزة .

وورد ذكر عنيزة في قصة تردد فيها لفظ (الشّجا) بفتح الشين وتشديدها ثم جيم مفتوحة فألف ، وقيل : بأنه ظَرِبٌ قد شَجِيَ به الوادي . وشجي هنا : التي هي الفعل هي بكسر الجيم .

ومعلوم أن الظرب في اللغة بفتح الظاء وتشديدها ، ثم راء مكسورة فباء يطلق على ما يسمى بالعامية النجدية الجال الصغير ، والصفراء العالية .

قال ابن منظور : الظَّرِبُ : ما تَنَأّمِنَ الحجارة ، وحدَّ طَرَفُهُ وقيل : هو الجبل المنبسط ، وقيل : هو الجبل الصغير ، وقيل : الروابي الصغار[2] .

أقول : يصدق ذلك على الظراب : جمع ظرب إذا كانت هي الروابي الصغار من الحجارة .

كما ورد لفظ «أكمة» في قصة أشك في صحتها إذ تكاد تبدو الصنعة عليها سواء في متنها أو في سندها ، وقد تناولت عددا من الأماكن أكثرها في منطقة القصيم وذكرناها عند الكلام على

---

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٦٩ .
(٢) اللسان : مادة : ظارب .

شري (شرج في القديم) وعلى فرض صحتها فقد بحثنا عن الأكمة عند أهل المعرفة من أهل عنيزة وأين كانت توجد قبل توسع عمارة مدينة عنيزة الذي غطى عليها فيا يظن.

وكان أكثر الأقوال قرباً من الصواب قولَيْن:

أحدهما: أنها أكمة سوداء صغيرة من الحجارة واقعة في شرقي مدينة عنيزة الجنوبي قريبة من مسجد الضليعة إلى الشرق منها بينهما حوالي ثلاث مئة متر، وأصبحت داخلة الآن في ملك لعبدالله الغنّام، وقد أزال قسما منها. ثم دخلت بجملتها في بيوت للسكن وفيها يقع بناء (إدارة الإشراف على التعليم في عنيزة). وبذلك أصبحت لا تمكن ملاحظتها إلا بالدخول إلى محلها. وكان اسمها في القديم (ضلع الطبق) إضافة إلى (آل طبق) أسرة معروفة:

القول الثاني: انها هي الأكمة التي بني عليها مستشفى عنيزة في الوقت الحاضر.

وهذا هو نص ما يتعلق بعنيزة من قصة ذلك الشيخ الكبير الذي كان يَسأَلُ من حوله عن عدد من الأماكن حتى إذا ما أخبروه بها خَطّأهم، وقال لهم: ليست بتلك تلك اسمها كذا وإنّما هي غيرها: إنها كذا: لموضع لا يبعد عنها كثيراً.

قال: فهل وجدتُم عُنيزة؟ قلنا: نعم، قال: أين؟ قلنا: عند قفا الظِّراب الذي سَدَّ الوادي. قال: ليست تلك عنيزة. ولكن تلك الشجا ولكن عنيزة بينها وبين مطلع الشمس عند الأكمة السوداء[1].

قال: فاستخرجها محمد بن سليمان أمير البصرة حيث وصف الشيخ وقال: ان امرأ القيس كان عالماً حيث يقول:

تراءت لنا بين النقا و(عنيزة) وبين الشجا مما أحال على الوادي

وبعث الحجاج رجلاً من بني سليم، يقال له: عُضيدة لحفر المياه بين البصرة ومكة، فقال: احفروا بين عنيزة والشجا، حيث تراءت للملك الضليل فإنها والله لم تترَآى له، إلا على ماء فحفروا فاستخرجوها.

---

(١) البكري ج ١ ص ٣٢٤ — ٣٢٧

والشجا : ظَرِبٌ قد شَجِي به الوادي فلذلك سُمِّيَ الشجا قال سالم بن قُحْفَان العنبري :

وقد بدا لي في اللوى المُنطَّقِ رأسُ الشَّجا مثل الفَلُوِّ الابلق[1]

أقول : الشجا المشار إليه هذا غير الشجي المذكور في منازل طريق حاج البصرة إلى مكة وهو بفتح الشين المشددة وكسر الجيم . ذلك يقع في سافلة نجد قبل حفر أبي موسى الذي يسمى الآن حفر الباطن ذكره الإمام أبو اسحاق الحربي وروى بسنده عن الأصمعي انه قال : إنما سمي الشجي بإحاطة الماء به يقال : رجل شَجٍ — يا فتى — إذا غَصَّ .

ثم قال الحربي : وبالشجي آبار عذبة احتفرها محمد بن سليمان فيما اخبرني ابن أبي سعيد عن النوفلي عن أبيه ، وليست بالبعيدة[2] .

أقول : لَعَلَّ كون محمد بن سليمان احتفر هذه الآبار بالشجي بكسر الجيم وكونه استخرج عنيزة هو الذي سبب اللبس لبعض الناس ومع أن الأمر لا يقتضي ذلك لأن محمد بن سليمان هو محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس قد ولي البصرة وطريق الحاج البصري فكان ان اعتنى بهذه الطريق وكان له ولأخيه جعفر بن سليمان آثارٌ كثيرة في الطريق منها في القصيم العسكرة ، احدى القريتين وقد استظهرت انها هي التي تسمى الآن العيارية ، واستمرت له ولعقبة ردحاً من الزمن . كما كان لهم الفوارة ، ووجدت كتابة أثرية تدل على ذلك على جبل قرب النبهانية يسمى الآن «الكويفر» سيأتي في حرف الكاف عند ذكر هذا الاسم ان شاء الله تعالى ، ويدل على ذلك هذا النص الذي أورده الإمام الحربي نفسه قال : أخبرني عبدالله بن عمرو عن علي بن محمد بن سليمان عن أبيه قال : القريتان الدنيا منهما قرية ابن عامر والأخرى قرية بناها جعفر بن سليمان وبها حصن يقال لها العسفر[3] وهي بلد نخل ، تطرد بين أضعافها عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون ماء (عنيزة) وهي على ميلين من القريتين[4]

---

(١) البكري ص ٣٢٧ .
(٢) المناسك ص ٥٧٨ .
(٣) واضح من النصوص ان هذا تحريف صحته العسكره كما سبق في رسم «العيارية»
(٤) المناسك ص ٥٨٨ — ٥٨٩ .

وطبيعي أن يعمر جعفر بن سليمان العسكرة القريبة من عنيزة وان يستخرج أخوه محمد بن سليمان «عنيزة» التي تجاورها ، وان يكون محمد بن سليمان قد احتفر آباراً في الشجي في سافلة نجد إلى الشرق الشمالي من حفر الباطن بسبب كونه والياً على البصرة وعلى طريق حاج البصرة إلى مكة ، والله أعلم . ولكن لماذا كان عمل جعفر بن سليمان للعسكرة مذكوراً مشهوراً على الأيام وما عمله أخوه محمد بن سليمان في عنيزة ليس كذلك ؟

والجواب : أن جعفر بن سليمان عمر العسكرة بأن أساح عيونها ، وأعاد بناءها حتى أقام فيها أولاده وغيرهم من الناس ، أما محمد بن سليمان فإن عمله في عنيزة لم يزد على حفر بئر أو آبار فيها لغرض ان يردها الناس من المسافرين وذلك لأن عنيزة كانت روضة تنتهي اليها سيول ، ولم يكن ماؤها قريب النبط وان كان عذباً .

لذلك ورد في الخبر لفظ استخرجها محمد بن سليمان ولم يرد لفظ عمرها ولفظ استخرجها يدل على أنه استخرج ماءها من الأرض أي حفر فيها آباراً للشرب أو نحوه . دون أن يحدث فيها عمارة .

لذلك لا نعتبر عمله هذا ذا أهمية كبيرة لأنه لم يزد عنيزة ذكراً كثيراً ولا صيتاً شائعاً كالذي حصلت عليه العسكرة التي هي العيارية فيا يظهر من عمل أخيه جعفر بن سليمان .

ولذلك — أيضاً — صح القول بأن عنيزة لم تعمر إلا بعد محمد بن سليمان بقرون كما سبق ذلك . والله أعلم .

وقال جرير[1] :

يا أثل كابة لا حرمت ثرى الندىٰ   هل رام بعدي ساجر فالأجرع
وسقى الغمام منيزلاً بعنيزة   إما تُصاف جدى ، وإما تُرْبَعُ[2]

وكابة ذكر الأقدمون ومنهم أبو زياد الكلابي موقعها بما يلخص أنها في الجهة الشمالية من

---

(١) ديوانه ص ٣٤٢ والنقائض ج ٢ ص ٩٦٤ .
(٢) الجدي : المطر الواسع . وتصاف : يصيبها مطر الصيف . وتربع : يصيبها مطر الربيع .

النباج (الأسياح حالياً) وقد استظهرت انها التي تسمى الآن (كابده) في تلك الجهة وسوف يأتي الدليل على ذلك من شعر جران العود النميري في رسم «كابده» في حرف الكاف بإذن الله .

أما ساجر فإنه معروف الموقع من السر وهو الذي يمكن أن يقرن بعنيزة في الذكر.

ثم قال جرير بعد ذلك من القصيدة نفسها .

هل تذكرين زماننا (بعنيزة) والابرقين وذاك ما لا يرجع

والأبرقان : الظاهر أنهما اللذان يقعان إلى الجنوب من الأسياح قرب قرية الجعله ويسميها العامة (البرقان) كما يسمون الكبير منهما «أبرق السيح» وقال جرير أيضاً[1] :

أمسى خليطك قد أجدَّ فراقاً هاج الحزين وجَدَّدَ الاشواقا
هل تبصران ظعائنا بعنيزةٍ؟ أم هل تقول : لنا بِهِنَّ لحاقا؟

وقال جرير أيضاً[2] :

ما هاج شوقك من رسوم ديار بلوى عُنَيِّق أو بصلب مطار

ويروى بلوى عنيزة ولعل ذلك هو الصحيح بدليل قوله من القصيدة نفسها :

أبقى العواصف من معالم رسمها شَذَبَ الخيام، ومربط الأمهار
أمن الفراق تعبت يوم (عنيزة) كهواك يوم شقائق الأحفار

وربما يستدل على أن المراد بذلك مكان مدينة عنيزة بأن جريراً رحمه الله ذكر مواضع كثيرة في القصيم ومنها مواضع لم تذكر في شعر آخر غير شعره فيما بلغني مثل «صلاصل» شمال بريدة ، والاعراف شرقها وتسمى الآن «العرف» وسبق ذكرها .

وقال شاعر آخر :

خليليَّ للتسليم بين (عنيزة) وبين صَفَا بَلْدٍ الا تقفان؟

---

(١) ديوانه ص ٣٩٦ .
(٢) ديوانه ص ٣١٧ والنقائض ج ١ ص ٣٣٣ — ٣٣٤ .

قال ياقوت : صفا بلد هضبة ململة في بلاد تميم[1] .

أقول : ربما كان لكلمة «صفا» علاقة بكلمة الصفا في عنيزة التي أضيف اليها القصر المشهور في عنيزة وكان يسمى «قصر الصفا» وورد ذكره في تاريخ ابن بشر وغيره[2] ، فإذا كان الأمر كذلك جاز أن نقول : ان المراد بعنيزة هذه موضع مدينة عنيزة ولا يرد عليه ما ذكره ياقوت لأن بلاد بني تميم في صدر الإسلام كانت تمتد من ساحل الخليج العربي إلى قرب رامة غربي عنيزة هذا إذا كان قول ياقوت صحيحاً .

ومثل ذلك يقال في هذا النص[3] :

خليليّ إنّا يوم روض عنيزة رأينا الهوى من كل جَفْن ومحجر

والظاهر أن المراد به موضع مدينة عنيزة ، لأن موضعها كان روضة تنتهي اليها سيول بعض المرتفعات الشرقية ، ولا يزال أهل القصيم يضربون المثل بطيب أرض عنيزة للزراعة .

وهذا شاعر آخر ممن قالوا الشعر في الجاهلية والإسلام وهو أسديٌّ من سكان الجنوب الغربي للقصيم قد ذكر في شعره عنيزة مضافة إلى (جنب عنيزة) كما ذكر ذلك غيره من شعراء الجاهلية ووردت الكلمة عند بعض الرواة عنهم (خبت) وهو عمر بن شاس وقال من قصيدة ذكر في أولها محبوبته (لَيْلَى) التي شغفت قلبه حُباً عشية رآها في عاقل (العاقلي في الوقت الحاضر) الذي يقع إلى الجنوب من مدينة الرس قال[4] :

وخِلْتُ ظعائناً من آل لَيْلَىٰ (بجنب عنيزة) أُصُلاً سفينا[5]
يَؤُمّ بها الحدة مياه (نَخْل) وَيُبدين المحاجر والعُيُونا
ظعائن لم يَقُمْن إلى سبابٍ ولم يعلمن من أهلي مُهينا

فذكر أن تلك الظعائن يَؤُمُّ بها ــ أي يقصد بها ــ الحداة وهم جمع حادى الذي يسوق

---

(١) ياقوت : رسم صَفَا بَلَدِ .
(٢) عنوان المجد ج ٢ ص ٨٧ . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ١٥٣ .
(٣) ياقوت : رسم «عنيزة»
(٤) شعر عمرو بن شأس الأسدي ص ٧٤ ــ ٧٥ .
(٥) أصلاً : جمع أصيل وسفين : جمع سفينة .

الابل وهو يحدو أي يرفع عقيرته بالحداة ، مياه نخل ونخل هي الجِنَاكِيَّةُ . فكأن تلك الظعائن اللاتي هن النساء في الموادج كان الحداة يفعلون بهن كما فعل حداة آخرون بظعائن استطرن قلب شاعر أسَدِيٍّ آخر من شعراء الجاهلية الا انه أقدم عهداً من عمر بن شأس هذا . وهو مثله أسدي من أهل القصيم وذلك في قول بشر[1] .

ألا بـان الخليـطُ ولم يـزاروا   وقـلبك في الظعائـن مستعار
أسـائـل صـاحبي ولـقـد أراني   بصيراً بالضعـائن حيث ساروا
تـؤم بها الحداة مـيـاه (نخل)   وفيهـا عن أبـانين ازورار

وقال امرؤ القيس[2] :

تَـراءتْ لـنا يـوما بِسَفْحِ عُنَيْزَةٍ   وقـد حـان منها رحلة وقُلُوصُ
بـأسـود مُـلْتَـفُّ الـغـدائر واردٍ   وذي أُشر تشوفـه وتشُوصُ[3]

والدليل على أنه يريد (عنيزة) في القصيم قوله بعد ذلك من القصيدة نفسها :

كـأنّي ورحلي والـقـراب ونمرقي   إذا شَبَّ للمَرْوِ الصغار وبيضُ[4]
على نـقـنق هَيْـق لـه ولـعرسه   بمنعرج الدعساء بيضٌ رصيصُ[5]

إلى أن قال :

ويـأكـلْـنَ مـن قَوٍّ لَـعَاعاً وَرِبَّةً   تَجَبَّر بعد الأكل فهو نميصُ[6]
تـطير عـفـاءٌ مِنْ نسـيـل كـأنـه   سُدوسٌ أطارته الرِّياح وخُوصُ[7]

---

(١) ديوانه ص ٦١ — ٦٢ .
(٢) ديوانه ص ١٢٢ — ١٢٤ .
(٣) بأسود أي : بشعر أسود . والغدائر خصلات الشعر الملتفة المدلاة ، وذوأشر فم محزز الأسنان ، وهي كلمة لا تزال مستعملة في العامية النجدية ولكن بلفظ وشر للجميع (ووشره) للمفرد وتشوصه : تدلكه بالمسواك .
(٤) وبيض : لمعان .
(٥) التعتق : الظليم ، أي ذكر النعام والحصيص : فرخ النعام.
(٦) لعاع : وربة بنات والنميص : نوع من النبات الضعيف.
(٧) الصفاء : الشعر ، وسوس : ثوب حرير والخوص خوص النخل .

تَضَيَّفها حتى إذا لم يُسَغْ لها نَصِيٌّ بأعلى حائلٍ وقصِيص[1]

اذ هو ذكر قوّا بعد ذكر عنيزة : وقوٌ هو قُصَيْبَاءُ التي تقع في شمال القصيم وسيأتي ذكرها في حرف القاف إن شاء الله .

عنيزات أخرى :

قال ابو علي الهجريُّ وهو يتكلم على حمى فيد : وأول أجبله على ظهر طريق الكوفه بين الأجفر وفيد جبيل (عنيزة) وهو في شق بني سعد بن ثعلبة من بني أسد بن خزيمة ، والى جنبه ماءةٌ تسمى الكهفة[2] .

أقول : الكهفة ، لا تزال معروفة باسمها القديم وهي في آخر القرى الجنوبية لمنطقة حائل ، فيما بينها وبين القصيم .

وقال أيضاً بعد ان انشد لعبد العزيز بن زرارة :

لعمري لقد اشرفت رأس عنيزة ، على رغبة لو شَدَّ نفسي مَرِيْرُهَا

عنيزة في غير موضع[3] وهي ها هنا قرن بأباريات من جانب الهميان بين حرة ليلى والجباب .

أقول حرة ليلى والجناب واقعان إلى الشرق من خيبر فيما بينها وبين منطقة حائل كما حقق ذلك الأستاذ حمد الجاسر[4] .

ثم أنشد بعد ذلك البيت :

وخفت نواها من جنوب (عنيزة) كما خَفَّ من نبل المعالي جفيرها[5]

---

(١) تضيفها : نزل بها في قَوّ: والنصي والقصيص : نوعان من النبات .
(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٨٠ وهذا النص في البكري رسم «فيد»
(٣) يريد انها مواضع متعددة .
(٤) راجع كتاب «في شمال غرب الجزيرة» .
(٥) أبو علي الهجري ص ٣٤٧ — ٣٤٨ .

نقد كتاب :

شبه جزيرة العرب

— ٢ —

[تحدث الأستاذ سعد بن جُنَيْدِل — في «العرب» ص ٣٩٨ وما بعدها من السنة الرابعة عشرة — عن كتاب «شبه جزيرة العرب» — نجد — تأليف الأستاذ محمود شاكر ، وكان من الملائم مواصلة نشر حديث الأستاذ عن ذلك الكتاب غير أن أسباباً ألجأت إلى تأخير هذا القسم من نقد ذلك الكتاب] .

القصيم :

قال الأستاذ محمود شاكر : هو المنطقة المحصورة بين منطقة حائل شمالاً وعالية نجد جنوباً وبين الحجاز في الغرب والنفود في الشرق .

أقول : ظاهر ان المراد بعنيزة هذه (عنيزة) المذكورة في البيت قبله .

ثم أورد الهجري من قصيدة طويلة لعمران بن مكنف الحرملي من عوف بن عامر :

فلما تلاحقنا بنعف عنيزة ضُحَيّاً . وقرن الشمس رخص جديدها

وفي الهامش : نعف (عنيزة) : قرن بجانب الحفر من كشب[1] أقول : كشب لا يزال معروفاً باسمه لم يتغير منه شيء ويقع في عالية نجد بعيداً عن القصيم[2] .

وأنشد الجاحظ للأسدي[3] :

وكأن أرحلنا بجو مخصب بلوى (عنيزة) من مقيل الترمس
في حيث خالطت الخزامى عرفجا يأتيك قابس اهله لم يقبس

(للبحث صلة) محمد العبودي

(١) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٣٤٨ وتكرر هذا القول في ص ٣٦٢ .
(٢) وهو جبال وعندها حرة مشهورة تسمى «حرة كشب» يقع كشب شمالاً من المويه .
(٣) الحيوان ج ٣ ص ١٢١ .

قلت : هذه العبارة يلاحظ عليها أمران :

أولاً : إنه في هذه العبارة قال : إنّ عالية نجد تحدّ بلاد القصيم من الجنوب ، وهو بهذا القول يناقض ما رسمه على الخريطة في صفحة ٣٤ حيث رسم عالية نجد بخط كبير غرب بلاد القصيم .

ثانياً : إن عالية نجد يراد بها البلاد الموالية لمرتفعات الحجاز من نجد ، فهي تشمل المنطقة الغربية من بلاد نجد وكل غربي بلاد القصيم داخل في مُسَمّى العالية .

فَلْجَة :

قال الأستاذ محمود : منهل ماء يندفع نحو الرُّمة من جهة الشمال ، من بلاد حائل والحجاز . قلت : الواقع أن فلجة ليست شمال الرمّة بل هي منهل يقع جنوب الرّمَة على طريق حاجّ البصرة ، بقرب منهل الدّفينة فهو غرب بلدة عفيف وليس من بلاد حائل والحجاز ، وقد حدّد في كتب المعاجم تحديداً واضحاً .

الشَّرَبَّة وشُرْبَة :

علق الأستاذ محمود على عبارة الأصمعي (وادي الرُّمَة يقطع بين عَدَنَة والشرَبَّة) فقال : الشربة ، وتسمّى الآن الشرمة ، وهي قريبة من الدفينة أول بلاد نجد من جهة الحجاز من الجهة الجنوبية لوادي الرُّمَة .

قلت : في هذه العبارة خلط بين الشَّرَبَّة وشُرْبَة وظنّ أنهما موضع واحد ، والشرَبَّة بتشديد الشين وفتحها وتشديد الباء الموحدة وفتحها اسم لبلاد واسعة وهي ما يقع بين وادي الرمة وبين الجريب من البلاد .

أما شُرْبَة بضم الشين المخففة وسكون لراء وفتح الباء وتخفيفها فهي منهل يُدعى في هذا العهد شرمة ، يقع غرب مدينة عفيف ، وقد ذكر محمد بن بُلَيْهد كلا الموضعين في كتابه ويبدو لي أنه نقل منه غير أنه التبس عليه الفهم في التفريق بينهما .

الجَرِيب :

قال محمود : وادٍ عظيم تجتمع إليه عدة أودية وشعاب ، ويبدأ من جنوب الطائف .

قلت : الواقع أن الجريب من أودية عالية نجد وليس من أودية الحجاز ، وتبدأ سيوله من ناحية أجلَى والذّنائب ، ويبعد عن مدينة عفيف غرباً ٧٥ كيلاً ، أما أسفله فانه يدفع في بطن الرُّمة غرب أبانَيْنِ ، فهو بعيد كل البعد عن جنوب الطّائف ، فكيف يأتي من جنوب الطائف وهو غير معروف هناك ، وكل الأودية التي تدفع من ناحية الطائف لا تتجاوز سيولها صحراء ركبة .

وادي الرشا :

قال الأستاذ محمود : وهو يعدّد روافد الرمّة : كما كانت تصل إليه مياه وادي الرشا الذي يأتي من شمال الوشم .

قلت : الملاحظة على هذه العبارة من ناحيتين .

أولاً : إنّ وادي الرِّشا لا يأتي من شمالي الوشم ، وأودية شمالي الوشم لا يصل مياه شيء منها إلى وادي الرُّمة ، أمّا وادي الرِّشا فإنه من أودية العالية المشهورة ، وموقعه بالنسبة لبلاد الوشم في الغرب ، وسيوله تأتي من غربي ثهلان ، وتدفع فيه روافد عديدة ، وسيله يتجه صوب الشمال حافًا بجبل ثهلان من الغرب ، وهو معروف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد ، قال الهمداني : بطن الرشاء وهو بظهر ثهلان إلى ذات النطاق .

قلت : ذات النطاق جبل معروف جنوب ثهلان تبدأ منه سيول الرشاء .

ثانياً : لا صلة له بوادي الرمة ولا تصل سيوله إليه ، فهو يبدأ من ذات النطاق ومن غَرْبَي ثهلان كما تقدم ، وبعد أن يُنكّب جبل ثهلان يجوز طريق السيارات المُسَفْلَت الذي يصل بين مدينة الدوادمي ومدينة عفيف ، وقد أقيم عليه جسر لعبور الطريق ، وبعد أن يتجاوز هذا المكان يسير باتجاه شمالي شرقي حتى ينكب هضبة جَبَلَة ثم يتجه شمالاً ويدفع في روضة الحزما وخريمان جنوب نفود الشقيِّقة وتستقر مياهه في هذه الروضة ، فهي منتهى سيره ومقر مياهه .

منطقة الجبل :

قال الأستاذ محمود : تمتد جبال الحجاز شمالي المدينة نحو الشمال الشرقي حتى مدينة حائل .

فتكون منطقة مرتفعة تعرف باسم منطقة الجبل أو منطقة حائل .

قلت : الواقع أن من يزور هذه البلاد يُدرك أن جبالها تشكل تكويناً طبيعياً مُتميِّزاً فإنّها لا تتصل بجبال الحجاز .

عالية نجد :

قال الأستاذ محمود : هي المنطقة المرتفعة الواقعة بين اليمامة شرقاً والحجاز غرباً وبين القصيم وبلاد حائل شمالاً والحجاز واليمامة جنوباً ، وتشمل الأراضي الممتدة على جانبي طريق شقراء ـــ الطائف والمنطقة الجنوبية الغربية لها .

قلت : يتّضح من مفهوم هذه العبارة أن بلاد القصيم خارجة عن مسمّى نجدٍ وقد سبق أن أوضحت تناقض آرائه في تحديد عالية نجد ، وهنا يرى أنها واقعة جنوباً من بلاد القصيم ، وهذا التحديد غير صحيح إذ بلاد القصيم من بُحبُوحة نجد وعاليتها من عالية نجد ،

وذكر كذلك أن القصيم وحائلاً يحدانها معاً من الشمال . ولا أدري كيف تصوّر مفهوم هذا القول .

وذكر كذلك أن اليمامة تحدّها من الشرق ومن الجنوب أيضاً ، فأي جزء من بلاد اليمامة يحدّها من الجنوب ؟

ويفهم من عبارته هذه أيضاً أنه يرى أن عالية نجد لا تعدو البلاد التي تحفُّ بطريق الحجاز ـــ الرياض المسفلت فيما بين شقراء والدوادمي ، وهذا مفهوم ضيق لا يتفق مع آراء الجغرافيين القدماء من العرب ولا ما تعارف عليه أهل نجد في هذا العهد .

وقد استوفيت بحث الموضوع في مقدمة كتابي (المعجم الجغرافي لعالية نجد) الذي صدر حديثاً[1] .

الدوادمي :

قال الأستاذ محمود : الدّوادمي وعفيف قد وجدت على الطريق الرّئيسي بين اليمامة

---

(١) من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

والحجاز واستفادت منه في نشوئها وأعمالها التجارية فنمت نتيجة ذلك .

قلت : هذا القول صحيح فيا يخصُّ عفيفاً ، أما بالنسبة للدوادمي فهو صحيح بالنسبة لاستفادتها في تجارتها ، أما نشوؤها فانه سابق لمرور الطريق الرئيسي عليها بما يزيد على قرنين من الزمان .

مرة وسواج وشعباء والمخامر :

قال الأستاذ محمود شاكر : ونرى في المنطقة بعض المرتفعات الصغيرة التي تُكَوِّن جبيلات صغيرة يطلق عليها اسم جبال وهي ذات صخور قديمة بارزة بعد الحتّ المائي والرِّيحي مثل جبل (مرة) و(سواج) و(شعباء) و(المخامر) شرقي عفيف .

قلت : هذه العبارة يلاحظ عليها من عدة وجوه :

أولاً : تحريف الأسماء ، فقد ذكر إمَّرة بدون همزة في أوله ، والصحيح أنّ أوله همزة معروف بهذا الاسم قديماً وما زال يعرف به ، قال ياقوت : إمَّرة : بكسر الهمزة وفتح الميم وتشديدها وراءوها ، وفيه يقول الشاعر :

ألا هل إلى عَيْش بإمَّرة الحمى وتكليم ليلى ما حييت سَبِيْلُ

ويعني الشاعر بالحمى حِمَى ضرية ، وهي من بلاد غَنِيٍّ ويمّر بها طريق حاج البصرة ، ويقول الشاعر الشعبي ، مطلق بن رباح الرومي :

مَالِي حَسَايْف يومَ رَاحْ أبو نايفْ حَطَّ أمْرَهْ دُونَهْ وأبَانَاتْ وسَوَاجْ

فذكره بفتح الهمزة ، وقد ذكره بعض الأقدمين بالكسر وبالفتح أيضاً .

وكذلك ذكر شعبَى بالمد ، والمعروف قديماً وفي هذا العهد أنه مقصور .

قال ياقوت : شُعَبَى : بضم أوله وفتح ثانيه ثم باء موحدة والقصر ، وقال جرير :

ستطلع من ذُرى شُعَبَى قواف على الكنديّ تَلَتَهِب التهابا

ويقول الشاعر الشعبي عبد العزيز المحمد القاضي :

وَسَرَّحْنا مِنْ لُهُوب شعبَى نِشْهَم النِضا وحَـطّن طُـخْـفَـةَ الضّـحَى الْمَالْ
والعَصْـرِ مالَـنْ عَنْ سُواجٍ وشَرَّقَنْ وَعشّـنْ خَزَازٍ والشّـفَـق مَـا بَعَدْمالْ

ثانياً : الوصف لهذه الأعلام ، فقد وصفها بأنها جبيلات صغيرة ، وهذا الوصف يختلف كل الاختلاف عن واقع هذه الجبال ، إذ هي من أكبر جبال نجد وأشهرها .

شُعَبَى :

سلاسل جبلية تمتد من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي آخذ بعضها برقاب بعض حافة ببلدة ضرية وبلدة مِسْكة من الغرب ، بعيدة ما بين الطرفين ، فسيحة ما بين الجانبين ، تبرز في وسطها قنة ذُرَيّع سامقة ، وجبال العساكر في طرفها الشمالي عالية المناكب ، وفيها مناهل وأودية وطرق ودارات مشهورة ، وقد كثرت فيها القرى والنخيل في أوديتها الداخلية . يقول ياقوت في وصفها : عن أبي زياد ، شُعَبَى : من بلاد الضِّباب بالحمى حمى ضرية ، وهي جبال واسعة مسيرة يوم وزيادة . وشعبى جبال منيعة متدانية ، قال بعضهم :

إذا شُعَبَى لاحت ذراها كأنّها فوالج بُخْتٌ أو مُجَلَّلةٌ دُهْمُ

المَخَامِر وسُواج :

المخامر هضب أحمر يتكون من عدة هضاب تمتد من الشرق الجنوبي إلى الغرب الشمالي ، وتشمل الهضاب الآتية : فرقين ، هضاب السّباع ، العيبيّة ، هضبة الماء ، هضبة قهيبان ، هضبة وُرَيْك ، هضبة حُجَيضا ، ثم في النهاية جبل سواج . وفي كل هضبة منها ماء ، وقد تأسّست فيها قرى بعضها لقبيلة عتيبة ، وبعضها لقبيلة حرب . وكان هذا الهضب يدعى قديماً هضب الأشْيق ، وهو من أعلام حمى ضرية . وقد استوفيت تحقيق هذه المواضع في كتابي معجم العالية .

إمّرة :

جبل أحمر كبير يقع شمال المخامر . فهذه الجبال التي قال عنها الأستاذ محمود إنها جبيلات صغيرة ، هي في الواقع جبال واسعة وشاهقة وشهيرة في جغرافية نجد قديماً وحديثاً ، ولما ذكر

كثير في أشعار العرب وأخبارهم لا يتسع هذا التعليق لايراد ما ورد فيها .

ثالثاً : الموقع ، والتحديد : قال الأستاذ محمود شاكر : إنّها شرقي عفيف .

قلت : الواقع أنه لا يقع شيء منها شرقي عفيف ، وإنما هي واقعة شمال عفيف نائية عنه ؛ ولا ينبغي تحديدها بموقع عفيف لبعدها عنه ، فهي واقعة في جنوبي غربي القصيم .

نفوذ العُريق ونفوذ كثيفة :

قال الأستاذ محمود إنهما شرقي عفيف ، وذكر الأول بالكاف في آخره (العُرَيك) وصحته بالقاف تصغير عرق ، وذكر الثاني بالثاء المثلثة ، (كثيفة) وصحته بالتّاء ، تصغير مؤنث كتف ، وهما واقعان شمالي عفيف وليسا شرقيه .

نفود الشقيقة :

قال إنه شرق الدوادمي ، والواقع أنه شمال الدوادمي بعيد منه ولا ينبغي تحديده بموقع الدوادمي ، فهو من مواضع منطقة القصيم .

ثم تحدث عن سيول عالية نجد فقال : فقال ثم تجري السيول حسب الميل العام للجزيرة نحو الشمال الشرقي فتسير حتى ترفد وادي الرُّمة في القصيم مثل وادي جرير حيث يقطع الطريق العام بين شقراء والطائف قبل عفيف ، ووادي الشبرم بعدها ، ووادي داث حيث يبدأ من جبل (مرة) وجبل (سواج) شمالي الطريق العام .

و(وادي الرشا) بين عفيف و(الدوادمي) ويبدأ من جبال (المخامر) و(شعباء) و(سواج) جنوبي الطريق العام ، هذا إضافة إلى أودية صغيرة لا تستطيع الوصول إلى وادي الرمة فتغيض مياهها في الرمال .

قلت : يلاحظ على هذه العبارة من جوانب ، منها أنه ذكر (الجرير) و(الدّاث) غير معرّفين ، وهما لا يعرفان إلّا معرّفين بالألف واللّام ، ومنها الخطأ في تحديد الأعلام الوارد ذكرها في هذه العبارة ، ومنها الخطأ في مواقع ورؤس ومصابّ الأودية .

قال : وادي جرير يقطع الطريق العام بين شقراء والطائف ، والواقع أن هذا الوادي لا

يقطعه هذا الطريق ، بل إن مجراه بعيد عن هذا الطريق صوب الشمال .

وقال : ووادي الشبرم يقطعه بعد عفيف ، أي شرق عفيف كما أوضح ذلك في الخريطة التي رسمها لهذه البلاد ، والواقع أن الطريق يقطع هذا الوادي غرب عفيف على بعد ستة وثلاثين كيلاً ، وليس شرق عفيف .

وقال : وادي داث يبدأ من جبل (مرة) (إمرة) و(جبل سواج) شمال الطريق العام : والواقع أن هذا الوادي لا يبدأ من هذه الجبال ، بل بدايته بعيدة عنها كما أنّ وادي الدّاث أيضاً بعيد عن الطريق العام ، وكذلك إمَّرة وسواج بعيدان منه ، داخلان في حدود بلاد القصيم .

ثم قال : و(وادي الرشا) بين (عفيف) و(الدوادمي) ويبدأ من جبال المخامر وشعباء ، وسواج جنوبي الطريق العام . والواقع يخالف ما ذكره ، أولاً : وادي الرشاء لا يبدأ من هذه الجبال ، بل يبدأ من غربي جبل (ثهلان) وشرقي (الأسودة) وجبال (النِّير) .

ثانياً : (المخامر) ، و(شعبى) ، (سواج) ليست جنوب الطريق العام — كما يظن — بل كلها تقع شمالاً من الطريق العام ، بعيدة من الطريق ولا ينبغي تحديدها به لبعدها عنه .

وهنا يتضح مدى جهله بهذه البلاد وتناقضه فيما يكتبه ، فمرة — في تحديد الداث يذكر أنّ جبل سواج شمال الطريق ، ومرة أخرى — في تحديد وادي الرشا — يذكر أنه جنوب الطريق .

ثم يقول : هذا إضافة إلى أودية صغيرة لا تستطيع الوصول إلى وادي الرمة فتغيص مياهها في الرمال : وحبذا لو ذكر بعض هذه الأودية أو الرمال التي تغوص فيها الأودية ، ومن الملاحظ أنه عدّ (وادي الرشا) من الأودية التّي تدفع في (وادي الرمة) والواقع أنّ (وادي الرشاء) لا صلة له بوادي الرُّمة ، بل إن سيله ينتهي ويستقر في روضة الْخَرْمَا وخُرَيْمان ، وقد سبق الحديث عنه في هذا البحث حيث ذكره فيما تقدّم وقال إنّ سيوله تأتي من شمال الوشم ، وهذا تناقض عجيب من خطإ إلى خطأ آخر :

ثم قال : وفي الجنوب الغربي نلاحظ وادي رانية[1] ، — وقد رسمه براء بعدها ألف —

(١) وردت في بعض المعاجم القديمة بهمزة (رنئة) والبعض ذكرها بدون همزة (رَنْيَة) وهو الأشهر والمعروف في هذا العهد ، أما بألف بعد الراء فغير معروف .

ووادي بيشة فبعد أن يأخذا اتجاها شماليا شرقيا ينحرفان نحو الجنوب الغربي ليشكلا وادي الدّواسر .

قلت : هذا القول لا يصحّ .

أولاً : إن سيول بيشة ورنية لا تنحرف نحو الجنوب الغربي ، بل هي منحدرة من الجنوب الغربي .

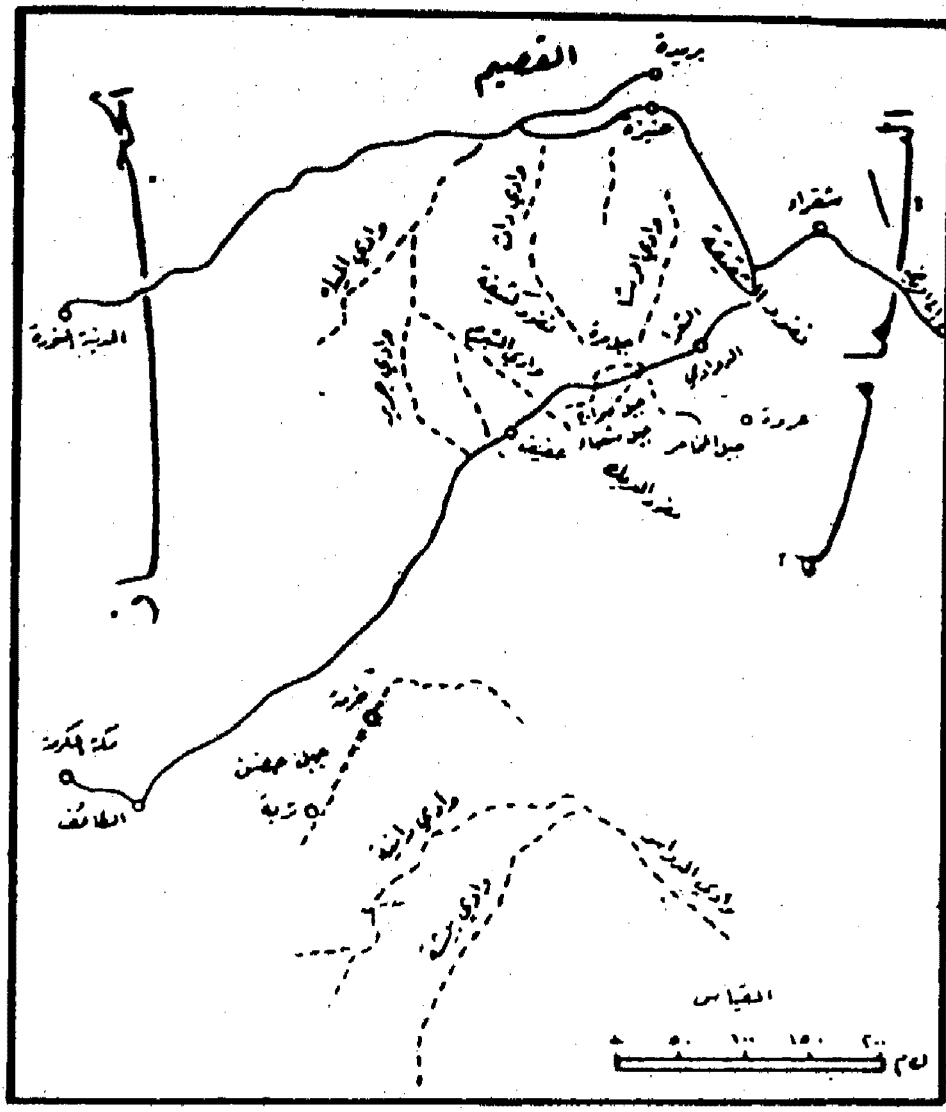
ثانياً : إنها في العصور المتأخرة لا تصل إلى وادي الدوسر بل تسيح في صحاري الفرشة ثم تضعف وتتلاشى ، فان تلاحقت عليها السيول تسرّبت من صحاري الفرشة إلى قرارة الختميَّة فانتهت فيها لأن كثبان نفوذ عرق الدواسر نَمَتْ مع الزمن فكونت حاجزاً طبيعياً يحول بينها وبين وادي الدواسر.

حضن :

قال الأستاذ محمود : حضن جبل يقع شرقي الطايف شمال تُرَبَة بينها وبين خرمة : والواقع أن جبل حضن كبير جداً وواسع ، يجعله الذاهب من الطائف إلى الخرمة أو تربة على يمينه ، وكذلك الذاهب من الخرمة إلى تربة ، وليس بينهما ، كما ذكر أن هناك أيضاً جبلاً آخر بهذا الاسم في منطقة حائل ، وقال : وهو بين جبل شمر ونجد . وهو بهذا التحديد يعتبر جبل شمر خارجاً عن حدود نجد .

ثم ختم بحثه عن عالية نجد بذكر عدد سكانها فقال : وما يقيم في عالية نجد من السكان لا يزيد على خمسين ألفا . وهذا القول إنما يدل على جهله بعالية نجد جغرافيا وبشريّا ، وأنه إنما يدوّن معلوماته دون تَرَوٍّ أو معرفة ، وبدون مبالاة بصحة ما يكتبه أو خطئه .

وقد ألحق ببحثه هذا خريطة رسمها لعالية نجد بيّن عليها الأعلام والأودية التي تحدث عنها وقد استحسنت الحاقها في هذه الملاحظات ليرى المطَّلع عليها مدى جهله ومدى استهانته فيما يكتبه عن هذه البلاد فهو يرى أن بلاد القصيم خارجة عن عالية نجد ويرسم عليها الأعلام والأودية حسبما يتصوره لا على خبرة سابقة بطبيعتها أو استناد على مصادر موثوقة وسيرى المطلع على هذه الخريطة الخطأ في رسم الطريق العام من شقراء إلى الطائف .



منطقة عالية نجد

كما وردت في كتاب «شبه جزيرة العرب» لمحمود شاكر.

من نوادر المخطوطات في مكتبة "قونية"

[كنت زرت البلاد التركية مراراً بحثاً عن المخطوطات المتعلقة ببلادنا ، ومما زرت من تلك البلاد مدينة قونية ، وكان أن اطلعت في مكتبتها على مخطوطات قيّمة وإن لم تكن مما قصدت البحث عنه][1] .

ومن الأخطاء البارزة في هذه الخريطة ، ما يأتي :

١ ــ طريق الرياض إلى الطايف يقطع نفود الشقيقة ، والواقع أنه يقطع نفود السرّ.

٢ ــ هذا الطريق ينشعب منه طريق القصيم شرق النفود والصواب غربه .

٣ ــ بلدة الشعراء وضعها شمال الطريق العام ، شمال الدوادمي ، والصواب أنها جنوب الطريق العام وغرب الدوادمي .

٤ ــ وادي الرشاء وضعه شمال الطريق وصوابه أنه جنوب الطريق .

٥ ــ جبال الخامر ، وجبل إمَّرة وجبال شُعَبى ، ونفود العُريق وضعها جنوب الطريق العام ، والصواب أنها شماله بعيدة منه .

٦ ــ وادي الشَّبرِم وضعه شرق عفيف والصواب أنه غرب عفيف .

٧ ــ وادي المياه وضعه من روافد الجرير الغربية والصواب أنه من روافده الشرقية فهو واقع شرق عفيف . وغير ذلك أخطاء أخرى .

فهي خريطة خاطئة وضعت بدون تروّ أو تثبت .

الرياض : سعد بن عبدالله بن جنيدل

---

(١) تحدثت عن مخطوطات مكتبات تلك البلاد قبل عشر سنوات ــ في مجلة «العرب» ، وهذا مما لم أذكره .

في مدينة قونية :

في هذه المدينة مكتبتان تحويان مخطوطات كثيرة ، رغبت في الاطلاع على ما يتيسر لي الاطلاع عليه منها .

فتوجهت في صباح يوم الثلاثاء (٥/١٠/١٩٦٥م) من (اصطنبول) إلى (أنقرة) في حافلة ، والأجرة عشرون ليرة تركية ، فبلغتها الساعة السادسة مساء ، والمسافة (٤٥٠) كيلاً ومنها واصلت السير إلى (قونية) فكان الوصول إليها الساعة العاشرة والنصف — أي بعد سير أربع ساعات في حافلة والأجرة عشر ليرات ، والسكن في فندق يدعى (بشكابلس) .

ومدينة (قونية) من أجمل المدن التركية ، وأبهجها في النفس ، غير أنني أحسست حين حللتها بالوحدة ، لأنها كما يقول المتنبي : في وصف شِعْبِ بوّان— :

ولكنّ الفتى العربي فيه غريب الوجه واليد واللسان

فإلى ما أتيت هنا من أجله !

ومن المخطوطات التي اطلعت عليها في (مكتبة يوسف أغا) في مدينة (قونية) وقد زرتها يوم الأربعاء (٦/١٠/ ١٩٦٥ م) ومجموع مخطوطاتها (٥٧٠٣) :

١ — كتاب «المقصور والممدود» رقمه في المكتبة ٢٥٤ (٤٣٦٥) وهو مجموع يحوي :

المقصور والممدود — لابن ولّاد المتوفي سنة ٣٣٢هـ ، ويقع في ١٨٩ ورقة في ٤٧٨ صفحة وفي الصفحة ١٦ سطراً — جاء في الصفحة الأولى : (على حروف المعجم ، ليقرب وجود الحرف على طالبه ويسهل (تقطيع في الورقة) من موضعه ، وابتدأته في هذا الكتاب بما كان متفرقاً منثوراً مما لا حد له يحصره) .

وفي الورقة ١٨٩ : (هذا آخر الكتاب ، وفرغ منه الحسن بن علي السعلي في شعبان ست وثمانين وثلاثمائة ، وتَمَّت المقابلة ، والحمدلله كثيراً) .

الورقة ١٩٠ : (وفرغت من قراءتي هذا الكتاب على أبي الحسين علي بن أحمد بن جعفر بن محمد المهلبي في رجب من سنة أربع وأربعين وثلاثمائة .

قال أبو الحسين المهلبي : إن أبا العباس بن ولّاد ــ رحمه الله ــ صنّف هذا الكتاب في سنة ثلاث وثلاثمائة ، وهو قبل مولد أبي الحسين بسنة) .

٢ ــ كتاب المذكر والمؤنث :

تأليف أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني .

في [١٩١ب] : (قال أبو حاتم : الفصاحة زينة ومروءة : ترفع الخامل ، وتزيد النبيه نباهة ، ويقال : المرء مخبوء تحت لسانه ، يعني إذا نطق فأحسن وأفصح عظم في العين ، وإن كان رثّ الهيئة ، تقتحم العين مَرْآتَهُ ، وإن آنث المذكر وذكر المؤنث وجعل الضاد ظاء ، والظاء ضاداً اقتحمته العين وإن كان بهيّ المنظر والملبس ، ويقال أيضاً : المرء بأصغريه لسانه وفؤاده . وقال الأعور الشني :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدّم
ــ (الورقة ١٩٢) ــ وكائن ترى من معجب لك شخصه
زيادته أو نقصه في التكلم

وأول الفصاحة معرفة التأنيث والتذكير في الأسماء والأفعال والنعت ، قياساً وحكاية .

ومعرفة التذكير والتأنيث ألزم من معرفة الإعراب ، وكلتاهما لازمة ، غير أنّ العرب اجتمعت على ترك كثير من الإعراب ، في مثل بنات التاء والواو ، في الأسماء ، والأفعال المضارعة للأسماء ، استثقالاً ، وعلى ترك الإعراب في السكت على الاسم المرفوع والمجرور المنوّنين ، وعلى المنصوب غير المنوّن ، حين لم يكن الوقف على الحركات وجفا اللسان عنه .

ثم بعد ذلك أطبق على ترك أكثر الإعراب (١٩٢ب) أهل القرى والأمصار ، وذلك تضييع وتقصير ، ألا ترى أن القرآن لا يقرأ إلا بالإعراب ، لأنه نزل بالإعراب .

ويقال : اللحن يقطع الصلاة . وحدثونا أنه قيل للحسن البصري : لنا إمام يلحن . قال : أخروه .

وكانت لغة الرسول ــ صلوات الله عليه ــ وأصحابه الفصاحة طبعاً لا تعليماً .

وأما تأنيث المذكر وتذكير المؤنث فن العجمة عند من يعرب وعند من لا يعرب .

كما أنّ من العجمة أن تجعل الضاد ظاء ، والظاء ضاداً ، والحاء هاء ، والخاء هاء ، وإن لم يستطع الرجل أن يتكلم بها ولم يكن ذلك في فطرة لسانه .

وأمّا اللثغ فعيب ، وصاحبه معذور لأنه ممنوع من الراء ، فمن اللثغ من يجعل الراء غيناً ، فيقول في سرير (سغيغ) .

ومنهم من يجعلها لاما فيقول : (سليل) .
ومنهم من يجعلها ياء ويجعل اللام أيضاً ياء .
وقد رأيت من يهمز كل راء ولا يقدر على غير ذلك .

وأمّا أنا فلا أحبّ الصلاة خلف القبيح اللثغ لأنه يقول : (أيّه) وهو يريد (الله) عز وجل .

ويقول : (اللّياء) وهو يريد (الرياء) .

ويقول في سُرُر : (سُغُغ) أو (سُلُل) أو (سُيُيْ) .

وإن صليت رجوت أن تكون صلاة جائزة — إن شاء الله — لأنّ اللّثغ في ألسنة الفصحاء ، ومولدي البادية ، وليس جعل الخاء هاء والحاء هاء في ألسنتهم ، وإنما هي في ألسنة الأعاجم) .

(٣٩٩) : (تمّ كتاب المذكر والمؤنث عن أبي حاتم السجستاني .... وتمت المقابلة في شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلاثمائة) .

والنسخة جيدة ، والخط متقن ، قريب من القاعدة الكوفية .

٢ — كتاب «جامع التعريب» :

ومما اطلعت عليه في (مكتبة يوسف أغا) في مدينة (قونية) «جامع التعريب» ورقه (٢٥٩) .

وأوله بعد البسملة والخطبة : (أما بعد فإني بعد أن وقفت على كتاب «المعرب» إبداع الأستاذ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي ، شكر الله مسعاه ، وجعل الجنة مقره ومثواه ، وكان محتاجاً إلى تتمة في الترتيب ، وزيادات فائقة في آثار التعريب ، ظفرت بكتاب

«التذييل والتكميل لما استعمل في اللفظ الدخيل» الذي جمعه الفاضل المتتبع جمال الدين عبدالله بن أحمد ابن محمد بن عبد العزيز بن أبي بكر بن موسى العذري الرثوي ، الشهير والده بالبشيشي — بخطه ، فوجدته — والله — قد أفرغ الوسع في التتبع والاستشهاد ، بهمة تقارب رتبة الاجتهاد ، بل أحسن فيه الجمع وحسن الترتيب ، معونة للطالب والأديب ، غير أنه فيه تكرار وإطالة ، ربما يفضي إلى الكسل والملالة ، فأحببت أن أختصر عن الأصل ما زاد ، جرياً على المألوف المعتاد ، مع رعاية الاختصار والايجاز ، وتبيين ما يتحقق به الإحاطة والامتياز ، مع زيادات وحسن تلخيص ، تباعد عن الاسهاب والتمحيص ، وسميته «جامع التعريب بالطريق القريب» والله أسأل المعونة والتوفيق .

باب الهمزة : الهمزة مع الألف : آب : أبو الحسن صاحب «المحكم» هو من أسماء الشهور ، أعجمي معرب . عن ابن الأعرابي : هو من شهور الروم ، سرياني الأصل) .

(ص ٣٦٢) : (هذا آخر ما تيسّر من تلخيص الترتيب ، والتذييل على معرب الاستاذ أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد الجواليقي للفاضل المطلع جمال الدين عبدالله بن محمد بن أحمد العذري الشهير بالبشيشي — جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ، وعند وحدتي أنيسي كتبه الفقير إبراهيم بزمي سنة ١٠٨٣) .

٣) رسائل ابن الحنبلي :

ست رسائل لرضي الدين محمد بن إبراهيم بن الحنبلي الحلبي . رقمها (٢٦٦) كلها بخط الحصفكي الآتي ذكره — وهي :

١) ذبالة السّراج ، على رسالة السراج — في الفرايض من ص١ إلى ٢٢٢ مخطوطة في أواسط رمضان سنة ٩٦٢ ، وفيها إجازة المؤلف لأحمد بن الملا محمد الحصفكي الأصل ، الحلبي الشافعي ناسخ الرسالة ، والإجازة مؤرخة في سنة ٩٦٥ .

٢) قفو الأثر ، في صفو علوم الأثر — في مصطلح الحديث .

٣) الفرع الأثيث ، في أصول الحديث — شرح للرسالة التي قبلها من ص ٢٢٣ إلى ٢٥٨ — بخط الحصفكي المذكور في رجب ٩٦٤ وإجازة المؤلف له .

٤) ظل الحريش ، في منع حل البنج والحشيش . من ص ٣٦١ إلى ٣٨٥ — مخطوطة في ربيع الآخر سنة ٩٥٣ .

٥) تأهيل من خطب ، في ترتيب الصحابة في الخطب . مخطوطة في رمضان سنة ٩٦٥ — من ص ٣٨٩ إلى ٤٠٠ .

٦) إخبار المستفيد ، بأخبار خالد بن الوليد .

من ص ٤٠١ إلى ص ٤١١ .

(سبب تأليفها مرور الشيخ محمد بن أحمد الخالدي الكشي ثم السمرقندي المشهور بمولانا شاه) في جمادي الآخرة سنة ٩٦٤ .

٤ — أبيات كتاب سيبويه :

وطالعت في مجموع رقمه (٦٦٧) رسالة تحوي «أبيات كتاب سيبويه» من ص ٢٢١ إلى ص ٢٥٦ ، أولها بعد البسملة : (جملة أبيات كتاب سيبويه ، أبي عمرو بن عثمان — رحمه الله — ألف وخمسون بيتاً ، منها خمسون غير معروفة ، رتبته بالحروف ، مفهرساً :

ألف

الحمد لله العلي الأجل :

وفي ص ٢٥٦ :

يضحي على جذم الجذول كأنه — البيت —

ثم الترتيب بالحروف ، وآخره : (تاريخه جامشقه ابن المستقيم ١١٧٩) جعل ما بعد (جا) تاريخاً باعتبار حساب الجمّل (أبجد) .

ورتب الشواهد بحسب الحرف الأول من الشاهد .

٥ — ديوان هارون بن صالح التنوخي الشيزري :

واطلعت على (جزء من ديوان أبي الخير هارون بن صالح التنوخي الشيزري ... كان مقامه بالموصل ، وولي ديوان عرض الجيش بها ، في عهد جمال الدين ابن الوزير) كذا جاء في طرة

الكتاب رقم (٤٩٠٦) وجاء فيه : (قافية الدال : ومما عملته في ذوي الأمجاد من الأمجاد ، فقلت مادحاً الأجل ... عزيز الدين ، صفي الإسلام ، أبي المحاسن أبن أبي الفتح ، ومهنئاً له بعيد الفطر سنة ثمان وخمسين وخمس مئة ، وفي آخر جمادى الآخرة من هذه السنة عزل الوزير جمال الدين محمد بن أبي منصور ، وقبض عليه ، وتولى عز الدين الاستيفاء ، وتوفي جمال الدين في الحبس ، في السنة المذكورة ، والجماعة مع المولى ، في مساعدة أخيه ...

حمائم أيك في الغصون تغرد تقرب مني من له البين يبعد

ويقع الديوان في ٥١٨ صفحة في الصفحة ٩ سطور ، وبعض الصفحات فيها ما ليس من الديوان وفي هامش الصفحة الأولى ما يشير إلى أن هذه النسخة بخط الشاعر : (تولى جمع ديوانه ... له ، وإحياء لذكره الراجي رحمه ربه ، صفوان بن أبي سالم ... وعملت به نسخة ثانية ، وحفظ هذه بخط المذكور) ويظهر أنها مسودة المؤلف ، لأن كثيراً من القصائد مكتوب في ظهور رسائل ، وقد ألحق بين الصفحات جذاذات فيها هوامش .

وفي هامش الصفحة الأولى : (وقف هذا الكتاب الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق رضي الله عنه ، على الزاوية المبنيّة عند قبره ، وشرط لا يخرج إلا برهن) .

وصدر الدين هذا هو القونوي الصوفي عالم مشهور توفي سنة ٦٧٢ وهو من أهل قونية ، وفي هذه المكتبة كتب قديمة من كتبه التي أوقفها .

٦ ـــ كتاب «الفصيح» :

وفي هذه المكتبة نسخة نفيسة لقدمها ، مكتوبة بالخط الكوفي ، من كتاب «الفصيح» لثعلب العالم اللغوي المعروف . رقمها (٥٠٠٨) وهي من كتب الشيخ صدر الدين محمد بن اسحاق بن محمد القونوي التي أوقفها .

جاء في الورقة الأولى منها : (كتاب الفصيح : لأبي العباس أحمد بن يحيى ، ثعلب النحوي ـــ لأبي يحيى عبدالله بن الحسين بن عثمان ، جبره الله وعلمه خيراً ـــ لخزانة الأجل مؤيد الدين معد بن أحمد بن مهدي ـــ من كتب الفقير إلى رحمة الله تعالى نجيب الدين بن أبي بكر بن المظفر التبريزي ، ابن أخ الفقيه كمال الدين المظفر) وكل هاؤلاء ملكوها قبل محمد

بن اسحاق الذي أوقفها .

وأول النسخة : (بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم ، فمنه ما فيه لغة واحدة والناس على خلافها فأخبر بكتاب ذلك (؟) ومنه ما فيه لغتان كثرتا واستعملتا ، فلم تكن إحداهما أكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما ، وألّفناه أبواباً .

فمن ذلك : باب فعلت — بفتح العين) .

وفي الصفحة الـ(٨٥) ما نصه : (تمّ كتاب الفصيح ، والحمدلله كثيراً ، وصلى الله على محمد وآله وسلم) .

تقع النسخة في ٨٥ صفحة مقاس ١٦ × ١٦ ونصف سم وفي الصفحة ١٣ سطراً .

ولا أستبعد أن تكون النسخة من مخطوطات القرن الرابع الهجري .

٧ — ديوان التّهامي :

وفي المكتبة تحت رقم (٤٩٠٥) شعر أبي الحسن علي بن محمد التّهامي — نسخة قديمة الخط ، وهي من كتب صدر الدين محمد بن اسحاق القونوي التي أوقفها ، وقد تحدثت عنها في موضع آخر تقع في ١٨٩ ورقة مكتوبة سنة ٥٨٩ ، وهي وإن كان ما فيها من الشعر أقل مما في طبعة دمشق سنة ١٣٨٤ — ففيها ما ليس في تلك المطبوعة .

٨ — كتاب «الفسر» :

وفي المكتبة نسخة كاملة من كتاب «الفسر» وهو شرح ابن جنّي لشعر المتنبي في مجلدات ثلاثة ، رقمها (٥٤٩٠/٤٩٢) .

وقد طبع الكتاب في العراق ، طباعة نقدها بعض الباحثين (أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤١٤) .

وفي (المكتبة الأحمدية) في حلب : «شرح ديوان المتنبي لابن جني» ، رقم ٥٨١ ، مجلد

بالقطع الكامل بخط هبة الله بن عبدالله القرشي سنة ١١٥٨ هـ[١] .

وفي (المكتبة الكتانية) في (الخزانة العامة) بمدينة الرباط ، تحت رقم ١٧٦٨ قطعة من شرح المتنبي المطول لابن جني في ٢٣٨ صفحة إلى البيت :

يفنى الكلام ولا يحيط بوصفها أيحيط ما يفني بما لا ينفد

— حرف الدال — بخط مغربي .

ثم رأيت في طرة تلك النسخة كتابة يفهم منها نفي كون هذه المخطوطة أن تكون كتاب «الفَسْر» .

وعلى ذكر هذه الكلمة تحسن الإشارة إلى أن أحد الكتّاب أنكر أن يكون اسم شرح ابن جنّي يدعى (الفَسْر) (انظر مجلة «المورد» البغدادية — المجلد الثامن العدد الثالث ص ٤٥٧ — ورجّح أن يكون صواب الاسم (المُفَسِّر)

٩ — كتاب في التاريخ :

وفي المكتبة ، تحت رقم (٥٤٨٨) قطعة من كتب كتب بطرتها بخط حديث (من تاريخ الطبري) تبحث في حوادث سنة ١٣٣ وما بعدها إلى سنة ١٥٨ — يظهر أنها من مخطوطات القرن السادس أو أوائل السابع ، ومؤلف الكتاب يروي عن الأصمعي وغيره ، وتتكرر كلمة (قال عمر) وفيه معلومات عن عهد المنصور .

ويقع في ٣٦٢ صفحة .

١٠ — تاريخ ابن خلكان :

وفي المكتبة نسخة من تاريخ ابن خلكان رقمها ٥٢٨٥ — تقع في ٣٩٥ ورقة وتحوي ٨٧٣ ترجمة — كما في فهرسها ، وهي كاملة وغير مؤرخة .

وفي آخرها يذكر ابن خلكان انه انتهى من كتابه في جمادى الآخرة سنة ٥٧٢ في القاهرة ، وأنه خرج من القاهرة مع السلطان بيبرس سنة ٦٥٠ فأقام بدمشق عشر سنين ، وعاد للقاهرة .

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء الأمكنة
للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨/٥٨٤هـ)

— ٥ —

١٣١ — بَابُ بُوَنَّا ، وَتُوثَا

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِضَمِّ الْبَاءِ وَفَتْحِ الْوَاوِ بَعْدَهَا نُونٌ مُشَدَّدَةٌ — : نَاحِيَةٌ مِنَ الْعِرَاقِ قُرْبَ الْكُوفَةِ ، لَهَا ذِكْرٌ فِي الْأَخْبَارِ ، وَالْأَشْعَارِ[١] .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ، ثُمَّ وَاوٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ — : كَفَرْتُوثَا بَلَدٌ بِالْجَزِيرَةِ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ بَعْضُ الرُّوَاةِ[٢] .

وهذا في كتاب نصر :

(١) بُوَنَّا : قال نَصْرٌ : ناحية من سواد العراق قرب الكوفة . وقال ياقوت : بُوَنَّا بفتح أوله وثانيه وتشديد نونه : ناحية قرب الكوفة ، يقال لها تلُّ بُوَنَّا ، ذِكْرُها في الأشعار . وفي تلّ بَوَنَّا ضبط الاسم بفتحتين وتشديد النون ، وقال : من قرى الكوفة ، وأورد شِعْراً لمالك بن اسماء الفزاري فيها ، ومحاورة بين مالك هذا وبين عمر بن أبي ربيعة حول ورود أسماء المواضع في شعرهما . فضبط ياقوت لهذا الاسم مخالف لضبط نصر والحازمي .

(٢) تُوثا : عرفه نَصْرٌ كما هنا . وأورده ياقوت برسم كفر تُوثا — الكفر القرية — وقال ياقوت : كفرتوثا قرية كبيرة من أعمال الجزيرة . وكفرتوثا أيضاً من أعمال فلسطين .

وقال : إنه عازم على تأليف الكتاب الذي وعد به .

وأضيف : لقد أطلعني الشيخ محمد بن عبد القادر قاضي المبرز — رحمه الله — على مجلد كبير من تاريخ ابن خلكان في التراجم ، وقال لي : إنه من تاريخ ابن خلكان المطول .

وفي ظهر نسخة مكتبة يوسف أغا : تملك لعبد الكريم بن محب الدين القطبي : (استكتبه بمكة سنة ٩٩٣) ؟ .

وعبد الكريم هذا من علماء مكة وله كتاب في تاريخها مطبوع ، ملخص من كتاب عمه قطب الدين المكي النهروالي العالم المعروف[١] .

حمد الجاسر

(١) أنظر ترجمته في مقدمة «البرق اليماني في الفتح العثماني» ص ٥٦ .

١٣٢ — باب بَوَارٍ ونُوَّارٍ

أمّا الأَوَّلُ — بِفَتْحِ الْبَآءِ وتَخْفِيفِ الْوَاوِ ، وآخِرُهُ رآءٌ — : بَلَدٌ بِالْيَمَن لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الأَخْبَار .

وَأمّا الثّاني — أَوَّلُهُ نُونٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ وَاوٌ مُشَدَّدَةٌ — : رَوْضَةُ النُّوَّارِ مَوْضِعٌ(١) .

١٣٣ — بَابُ بَيْرُوذَ ، وَبَيْرُود ، وَبَيْرُوت

أمّا الأَوَّلُ — بِفَتْحِ الْبَاءِ وسُكُونِ الْيآءِ الْمُعْجَمَةِ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا ، بَعْدَهَا رَاءٌ مَضْمُومَةٌ ، وآخِرُهُ ذَالٌ مُعْجَمَةٌ — : ناحِيَةٌ بَيْنَ الأَهْوازِ ، وبَلَدِ الطِّيْب ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبو عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنُ بْنُ بَحْرِ بن يَزِيْدَ الْبَيْرُوذِيُّ ، حَدَّثَ عن أَبِي زَيْدٍ الْهَرَوِيِّ ، وَغالِبِ بن حَلْبَسٍ الْكَلْبِيِّ وَجُبَارَةَ بنِ مُغَلِّسٍ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو عَرُوبَةَ الْحَرَّانِيُّ(٢) .

وَأَمّا الثّاني آخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ — : صُقْعٌ شَامِيٌّ بَيْنَ حِمْصَ وَدِمَشْقَ ، عَلَى طَرِيْقِ الْبَرِّيَّةِ(٣) .

وَأَمّا الثّالِثُ — آخِرُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَان — : بَلْدَةٌ فِي سَاحِلِ الشّام ، مِنَ الْعَوَاصِم ،

---

(١) تقدم الكلام على هذا في (باب بوَّان وبُوان) حيث أضاف نَصْرٌ هنّا إلى ذلك الباب ، وهو موضعه ، لتقدم الألف على النون .

(٢) بَيْرُوذ : عند نَصْر : قال نَصْرٌ : ناحية بين الطِّيب وسوق الأهواز . وعند ياقوت : ناحية بين الأهواز ومدينة الطِّيب ، ثم نقل عن البشّاريّ أنها كبيرة بها نخل كثير ، حتى أنهم يسمونها البصرة الصغرى ، وذكر ممن يُنْسَبُ اليها هذا الذي ذكره الحازميُّ ، وذكر أنه توفي غازياً بمدينة ملطية .

(٣) بَيْرُودُ : قال نَصْرٌ بيرودُ : أوله ياء تحتها نقطتان ثم باء موحدة ساكنة وآخره دال مهملة صُقْعٌ بين حِمْصَ ودِمشق على طريق البَرِّيَّة ، وبخطِّ أبي الفضل . بتقديم الباء . انتهى . والغريب أن هذا الذي من بلاد الشام لم يذكره ياقوت في موضعه من «معجم البلدان» وياقوت حَمَويّ من تلك البلاد !

يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَرُوَاةِ الْحَدِيْث ، مِنْهُم الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ مَزْيَدَ الْبَيْرُوتِيُّ وَغَيْرُهُ[1] .

١٣٤ ــ بَابُ بَيْنُونَة ، ويَنْبُوتَة

أَمَّا الْأَوَّلُ ــ بَعْدَ البَاءِ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ نُوْنٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ الوَاوِ نُوْنٌ أُخْرَى ــ : أَرْضٌ مُتَاخِمَةٌ لِأَرْضِ الشِّحْرِ ، وَهِيَ فَوْقَ عُمَانَ وَلَهَا ذِكْرٌ فِيْ الْأَخْبَارِ ، وفِي الشِّعْرِ[2] .

وَأَمَّا الثَّانِيْ ــ أَوَّلُهُ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ، ثُمَّ نُوْنٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ ، وَبَعْدَ الوَاوِ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ ــ : مَنْزِلٌ كَانَ يَسْلُكُهُ حَاجُّ وَاسِطَ قَدِيْماً إِذَا قَصَدُوْا مَكَّةَ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ زُبَالَةَ نَحْوٌ مِنْ أَرْبَعِيْنَ مِيْلاً[3] .

١٣٥ ــ بَابُ بِيْشٍ ، وَبَيْشٍ وَتَيْسٍ وقَيْسٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ ــ بِكَسْرِ الْبَاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ وَآخِرُهُ شِيْنٌ مُعْجَمَةٌ ــ : مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، قُرْبَ دَهْلَكَ له ذِكْرٌ فِيْ الشِّعْرِ .

---

(١) بَيْروت : لم يزد نَصْرٌ على القول بأنها بَلدٌ بالشَّام . وأطال ياقوت الحديث عنها . وذكر أن الافرنج استولوا عليها في شوال سنة ٥٠٣ وأن صلاح الدين استنقذها سنة ٥٨٣ ثم استولوا عليها مرة أخرى قال : وهي في أيديهم إلى هذه الغاية ، ياقوت توفي سنة ٦٤٦هـ (١٢٢٨م) .

من أبواب كتاب نصر.

(٢) بَيْنُونَة : عَرَّفها نصر بقوله : أرضٌ فوق عُمَان ، تَتَّصلُ بالشِّحْر ، انتهى وذكرها ياقُوت وغيره ، ولا تزال معروفة ، وقد تحدثتُ عنها في «المعجم الجغرافي» قسم المنطقة الشرقية ، والشِّحْرُ ــ بكسر الشين ــ ناحيةُ عُمَان ، معروف الآن .

(٣) يَنْبُوتَةُ : قال نَصْرٌ : منزل على أربعين ميلاً من زُبَالَة ، على جادَّة الطَّرِيق قديماً ، إذا خرجوا من واسط . انتهى . ونقل ياقوت عن أبي حَنيفة نحو كلامِ الحازميِّ ، وزاد : ويَنْبُوتَة من نواحي اليمامة فيه نَخْلٌ . انتهى ويظهر أن هذا الموضع يقع في الجنوب الشرقيِّ من زبالة بينها وبين لينة إذ يفهم من كلام بعض المتقدمين أن طريق الحج من واسط يمر بالأخاديد ــ أنظر هذا في «معجم البلدان» ثم لِينَةَ . ولم أر لِيَنْبُوتَةَ ذكراً فيما بين يديَّ من الكتب سوى ما تقدم أو نقل عنه .

وَأَمَّا الثَّانِي بِفَتْحِ الْبَاءِ ـــ : مِنْ مَخَالِيفِ مَكَّةَ[1] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـــ أَوَّلُهُ تَاءٌ فَوْقَهَا نُقْطَتَانِ مَفْتُوحَةٌ ، وَآخِرُهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْكُوفَةِ وَالشَّامِ يُقَالُ لَهُ رِجْلَةُ التَّيْسِ[2] .

في كتاب نصر سوى (قَيْس)

(١) بِيْش : قال نَصْرٌ : بلدٌ من اليَمَن . قُرْبَ دَهْلك ، وجاء في شعر عُمَيْر بن الأيْهَم في قَتْل عُمَيْر بن الحُبَاب ، وهو قتل بالجزيرة . انتهى . وفي «معجم البُلْدان» : بِيْش بكسر أوله ـــ من بلاد اليمن ، قُرْبَ دَهْلَك ، له ذِكْرٌ في الشعر ، قال أبو دهبل :

اسْلمي أمَّ دَهْبَلٍ قَبْلَ هَجْرٍ ... وتَـقَضّي من الـزَّمـان ودَهـر
واذكري كَرِيَّ المطيِّ السَّيكَم ... بـعـدما قَـدْ توجَّـهَت نحو مصر
لا تخالي أنّي نَسيتُك لمّـا ... حال بِيْشٌ ومن به خلف ظهري

وهذا الشعر يدل على أن بيشا موضع بين مكة ومصر ، أو تكون صاحبته المذكورة كانت باليمن . وقبل هذا جاء في «المعجم» : بِيْش ـــ بالشين المعجمة ـــ من مخاليف اليمن ، فيه عِدَّةُ معادن ، وهو وادٍ فيه مدينة يقال لها أبوتُراب ، سُمِّيَت بذلك لكثرة الرياح والسوافي فيها ، وهي مِلْكٌ للشرفاء بني سليمان الحسنيّين ، وقال ربيعة اليَمنيُّ يمدح الصُّلَيْحيَّ :

قَرَنْتَ الى الوقائع يَوْمَ بِيْشٍ ... فكَانَ أجلُّها يَوْمَ السِّبَاق

وأقولُ : هو موضع واحد ، مفتوح الباء ، وادٍ عظيم من أشهر الاودية التي تنحدر من السَّراة ، حتى تخترق تهامة فتصب في البحر الأحمر ، وفروعه العليا الشرقيّة تمتد من سراة قحطان الواقعة في الجنوب الشرقي من مدينة أبها ، فتتجه نحو الجنوب الغربي حتى تصب في البحر شمال وادي ضَمَدٍ على مقربة من جازان ، وجنوب وادي بَيْضٍ وعتود ، ووادي بيش هذا من أطول الأودية وأعظمها ، وعلى ضفتيه قرى كثيرة (يقع وادي بيش بين خطّي الطول ٤٢/٣٠ْ و٤٣/٠٠ْ وخطّي العرض ١٦/٥٠ْ و١٨/٠٠ْ ، ما غرب من سيول سراة قحطان ينحدر في بِيْشٍ وما شرّق ينحدر في وادي بِيشَة الذي يبتلع سيول أكثر الأودية المنحدرة من تلك السراة وما يقع شمالها من السروات الأخرى الى سراة غامد .

ولا صلة لوادي بَيْشٍ بدهلك التي هي جزيرة في غربي البحر الأحمر ، وأبو دَهْبلٍ قصد بَيْشاً هذا ، وقد تكرر ذكره في شعره ، وذكر مواضع أخرى في جهته ، وانظر عن بيش «المعجم الجغرافي» منطقة جازان ، تأليف الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي .

(٢) رِجْلَةُ التَّيْسِ كذا عَرَّفَها نَصْرٌ ، وياقوت وقال : الرِّجْلَةُ واحدة الرجل ، وهي مسايلُ المياه في الأودية . والرِّجَل كثيرة تحدثت عن بعضها في «المعجم» قسم شمال المملكة ، وهناك في أسفل حَزن بني يربُوع رِجلٌ لا تزال معروفة بأسمائها لا أستبعد أن تكون رجلة التَّيس إحداها ، على أنّ البكري ذكر في «معجم ما استعجم» أنّ رجلة التَّيس موضع بين بلاد طيء وديارِ بني أسدٍ ، وهُما حليفان ، وفي هذا الموضع أصابت بنو يربوع وبنو سَعْدٍ طيئاً وأسَداً ، وضَبَّةَ ، وكانت ضبَّةُ تحوَّلت عن بني تميم إلى طيء ، وتركوا حلف بني تميمٍ ، فقتلتهم بنو أسدٍ وأسرتْهم . ويرى موزل أن رجلة التيس هذه هي التَّيسيَّة لقربها من بلاد أسدٍ وطيء .

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـــ أَوَّلُهُ قَافٌ مَفْتُوحَةٌ ـــ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى صَعِيدِ مِصْرَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا لَبِيبٌ القَيْسِيُّ ، مَوْلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَرْوِي عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ، رَوَى عَنْهُ يَزِيدُ بْنُ أَبِي حَبِيبٍ[1] .

١٣٦ ـــ بَابُ بِيلٍ ، وَتُبَلٍ ، وَتِيْلٍ ، ونِيْلٍ

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بِكَسْرِ البَاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان ـــ : نَاحِيَةٌ بِالرَّيِّ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا عَبْدُاللهِ بْنُ الحَسَنِ ، بنِ أَيُّوبَ البِيْلِيُّ الزَّاهِدُ ، سَمِعَ سَهْلَ بْنَ زنجلَةَ ، وغَيْرَهُ ، رَوَى عَنْهُ أَبو عَمْرِو بْنُ نُجَيْدٍ .

وَأَيْضاً قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى سَرَخْسَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْدُوْنَ بْنِ خالد البِيْلِيُّ ، رَوَى عَنْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ العَسْقَلاَنِيِّ ، رَوَى عَنْهُ أَبُو الحَسَنِ الجَوْهَرِيُّ[2] .

وَأَمَّا الثَّانِي ـــ أَوَّلُهُ تَاءٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدة مَفْتُوحَةٌ ـــ : وادٍ عَلَى أَمْيَالٍ يَسِيرَةٍ مِنَ الكُوفَةِ ، وَقَصْرُ بَنِي مُقَاتِلٍ فِي أَسْفَلِهِ ، وَأَعْلاَهُ يَتَّصِلُ بِسَمَاوَةِ كَلْبٍ .

وَأَيْضاً اسْمُ مَدِينَةِ تَبالَة فِيما يُقَالُ[3]

---

(١) قَيْسٌ : ذكر ياقوت أنها سُمِّيَت بقيس بن الحارث المرادي لأنه فتحها ، وكانت غربيَّ النيل ، بَعْدَ الجيزَة . وقد خربت ، وذكر ممن يُنْسَبُ اليها لبيباً مولى محمد بن عياض ، يروى عن سالم بن عبدالله ابن عمر ، روى عنه الليث بن سعد بن أبي طاهر كذا قال وذكر أيضاً جزيرة قَيْس ، وهي كيش ، في بحر عُمَان ، ووصفها لأنه رآها .

أورد نصر هذا الباب في حرف التاء .

(٢) بِيلُ : قال نَصْرٌ : ما أوله باءٌ موحدة مكسورة ، فهو بِيل في الشعر ، يوصف خَمْرَهُ . انتهى والكلام غير واضح . أما ياقوت فقال : بيلُ ـــ بالكسر واللام ـــ قال أبو سعد : ظَنّي أنّها من قُرى الرَّيّ . وقال نصر : بِيلُ ناحية بالرَّيّ ، ينسب إليها عبدالله بن الحسن بن أَيُّوب البِيْلِيُّ ، واسترسل في ذكر من يُنْسَبُ إليها وأخشى أن يكون ياقوتُ خلط بين كلام نصر وكلام أبي سعد السمعاني ، فالأول ليس من عادته ذكر المنسوبين إلى الموضع إلاّ نادراً ، بخلاف الثاني ، وكلام نَصْر الذي ذكر ياقوت ليس في النسخة التي بين يديّ في هذا الموضع ، أو لعله نسب كلام الحازميّ إلى نَصْرٍ ، وهذا أقرب إلى الصواب .

(٣) تُبَلُ : التعريف لِنَصْرٍ ، وعنه نقل ياقوت . ووادي تُبلَ لا يزال معروفاً في شرق الجزيرة تحدثت عنه في «المعجم» قسم شمال المملكة .

ولعل إطلاق اسم تُبَل على تبالة ورد في الشعر ، وتَبَالَةُ وادٍ مشهور لا يزال معروفاً ، وهو من روافد وادي بيشة ، وفيه قرى لا تبلغ أن تكون مُدُناً .

إمارة العصفوريين

ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة

— ١ —

نشر الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحميدان، هذا البحث الممتع في مجلة كلية الآداب من جامعة البصرة في عددها الخامس عشر في هذا العام (١٣٩٩ — ١٩٧٩) وقد كرم فبعث إليَّ بنسخة منه مفصولة من المجلة رأيت نشرها لأن تلك المجلة ليست منتشرة بين جميع القراء.

ويشفع لي في نشرها على ما عليه من طول أمران أحدهما أنها تتناول تاريخ حقبة تكاد تكون مجهولة من تاريخ بلادنا والأمر الثاني أنني قد أبدي بعض ملاحظات حولها لا أتفق مع القارىء الكريم في ما أبداه من رأي قد يكون الصواب بجانبه ولكنه لم يتضح لي وها هو نص ذلك البحث الممتع.

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ تَاءٌ مَكْسُورَةٌ فوقَهَا نُقْطَتَانِ — : جَبَلٌ أَحْمَرُ شَاهِقٌ، مِنْ وَرَاءِ تُرَبَةَ فِي دِيَارِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وإِلَيْهِ تُنْسَبُ دَارَةُ تِيْلٍ[1].

وَأَمَّا الرَّابِعُ — أَوَّلُهُ نُونٌ مَكْسُورَةٌ — : نِيلُ مِصْرَ، وَنَهْرٌ بِالْعِرَاقِ، حَفَرَهُ الْحَجَّاجُ، وَهُنَاكَ قَرْيَةٌ كَبِيرَةٌ يُقَالُ لَهَا النِّيلُ أَيْضاً يَخْتَرِقُهَا هَذَا النَّهْرُ، وَهُوَ خَلِيجٌ كَبِيرٌ، يَتَخَلَّجُ مِنَ الْفُرَاتِ الكَبِيرِ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبو الْوَلِيدِ، خَالِدُ بْنُ دِينَارٍ الشَّيْبَانِيُّ النِّيلِيُّ، حَدَّثَ عَنِ الْحَسَنِ وَسَالِمِ بْنِ عبدِالله ومُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّة، رَوَى عَنهُ الثَّوْرِيُّ وغَيْرُهُ[2].

---

(١) تِيْلٌ: هذا الكلام لنَصْرٍ. ونقله ياقوت بنَصّه غير منسوب، وأضاف قال ابن مُقْبل:

لِمَنِ الدِّيارُ بجانب الأَحْفارِ فَبَتِيْلِ دَمْخٍ، أو بسفح جُرارِ

ومن إيراد ياقوت هذا البيت اتضح الخطأ في هذا الاسم، فالباء ليست حرفَ جرٍّ، بل هي من الاسم وهو (بَتِيل) بالباء الموحدة المفتوحة والتاء المثناة الفوقية المكسورة. بعدها مثناة تحتية ساكنة فلام. والغريب ان ياقوتاً ذكر بَتِيلاً هذا الجبل، وأورد شواهد عليه من الشعر، ومع ذلك وقع في هذا الخطأ هُنا، وكذا نَصْر فقد ذكره في حرف النون (باب نَبْتَل وتِيَل، وَبَتِيْل وتَبِيل، وشَلٍّ) وكذا فعل الحازميُّ.

والبَتِيل جبل بقرب دَمخ في عالية نجد، يعرف الآن باسم (فريدةِ دَمْخٍ) لأنه مُنْفَرِدٌ منه — و مُنْبَتِلٌ يؤدي هذا المعنى، وانظر هذا الاسم في كتاب «عالية نجد» للأستاذ سعد بن جنيدل — فريدة دمخ، لا فريدة الأكموم كما وقع في الفهرس خطأً.

(٢) النِّيلُ: أورد ياقوت ما هُنَا، وزاد عليه، وذكر أنَّ النِّيل أيضاً من أنهار الرَّقة حفره الرشيد، ورد في شعر الصَّنوبريّ ذكره.

مقدمـــة :

إن مما يثير دهشة وحيرة المتتبع لتاريخ شبه الجزيرة العربية ذلك الغموض الذي يكتنف حقبة طويلة من تاريخ المنطقة الممتدة من كاظمة شمالاً لتنتهي جنوباً بعمان الشمالي ويدخل ضمن ذلك سلسلة من الجزر الواطئة والواقعة في الخليج العربي والمجاورة للساحل والمحاطة ببحر ضحل مملوء بالحواجز الرملية وقد استقرت في قاعه أشهر مغاصات اللؤلؤ الطبيعي في العالم من حيث الجودة والانتاج ، وأكبرها حجماً وأوسعها شهرة جزيرة أوال (البحرين) .

أما النهايات الغربية لهذه الرقعة الجغرافية ، المعنيَّة بالبحث فتتصل باليمامة . لقد تعارف البلدانيون العرب الأوائل على إطلاق إسم بلاد البحرين على هذه الرقعة ، وهي بهذا الاتساع والامتداد تشمل في الوقت الحاضر دول شرق الجزيرة العربية كافة ، ابتداء بالكويت وانتهاء بعمان الشمالي . فتاريخ بلاد البحرين هو في الواقع يشكل جزءاً رئيساً وهاماً من تاريخ دول شرق الجزيرة العربية كافة .

إن هذا الاتساع والامتداد لبلاد البحرين وعدم وجود موانع طبيعية تفصلها عما يحيط بها ويجاورها ويصعب اجتيازها ، قد أدى إلى ارتباط تاريخها ارتباطاً عضوياً ووثيقاً بتلك المناطق عبر العصور المختلفة . وهذه الحقيقة تستلزم من الباحث المدقق الذي يحاول التصدي لإماطة اللثام عن الغموض الذي يكتنف تاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصاً وتاريخ الخليج العربي عموماً بأن لا يكتفي بمصادر وأحداث المنطقة وحدها بل عليه أن يجول بناظريه نحو المناطق المجاورة ليستوعب احداثها وينقب في مصادرها الخاصة والعامة .

والواقع فان منطقة الخليج العربي ليس اصطلاحاً جغرافياً يدل على رقعة محدودة من سطح الارض فحسب وإنما يشير كذلك إلى لون معين من الحياة ، فهي تغري الباحث في التاريخ الحضاري بدراستها كمنطقة متحدة داخلياً ، إذ أنه بالرغم من المؤثرات الخارجية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعرضت لها عبر العصور فإنها كانت بودقة انصهرت فيها هذه المؤثرات المتنوعة وبقيت تمتلك وحدتها الداخلية في البناء والتنظيم ، فموجات الهجرات البشرية المتبادلة بين سواحلها من جهة ، وكذلك فيا بينها وبين السواحل المحيطة بالبحار العربية والتي كانت تجري تحت ضغط الظروف الطبيعية والحاجات البشرية المتبادلة هي من عوامل وحدتها . وبالرغم من وجود المغريات لدراسة الخليج العربي كوحدة فان هنالك اعتبارات اجتماعية

وتاريخية وسياسية تدعو الباحث لإبراز خصوصيات الدور الذي لعبه كل جزء من أجزائها عبر مختلف العصور وبشكل متميز.

إن بحثنا هذا ما هو في الواقع إلا الحلقة الأولى من سلسلة دراسات تتناول تاريخ الخليج العربي في العصر الوسيط والحديث، وسوف يكرس لإبراز الصورة المميزة لتاريخ بلاد البحرين للفترة الممتدة منذ مطلع القرن الحادي عشر حتى مطلع القرن السادس عشر، وهي من أشد فترات المنطقة غموضاً الأمر الذي حمل الباحث النجدي سليمان الدخيل على القول بأنه يشكل على المؤرخين الوقوف على حوادثها ووقائعها في أوقاتها[١]. ومع بروز الأهمية الإقليمية والدولية لمنطقة الخليج العربي في عصرنا الحاضر وظهور الكيانات السياسية المستقلة فيها، ازداد الاهتمام بتاريخ المنطقة وأخذت تظهر دراسات عديدة وبلغات مختلفة إلا أن الباحثين قد أحجموا حتى الآن عن ارتياد هذه الفترة أو أنهم مروا بها مروراً عابراً لسبب رئيسي هو قلة مصادرها إن لم يكن ندرتها ولادراكهم أيضاً مدى الجهد المضني الذي يحتاجونه لجمع شتات المادة المتناثرة هنا وهناك والتقاط الإشارات من المصادر النادرة وبلغات متعددة. ولقد عبر الأستاذ أبو حاكمة عن أسفه لعزوف الباحثين عن محاولة الكشف عن تاريخ الخليج العربي خلال العصور السابقة لعصرنا هذا ووصف دراساتهم التي ظهرت حتى الآن بأنها دراسات عصرية لا تتجاوز «عصر النفط إلا قليلاً»[٢]. إن هذه الفجوة في معلوماتنا عن تاريخ الخليج العربي تشكل نقطة ضعف كثيراً ما استغلت للتشكيك بالهوية القومية والتاريخية للسواحل العربية ولترديد ادعاءات سياسية وقومية فيها، كما رسمت صورة تاريخية للمنطقة بنيت أساساً على تجاهل دور العرب في صنع احداثها لكي ينسجم ذلك ومثل هذه الادعاءات وعلى الرغم من أن مثل هذه الادعاءات قد خفت إلى حد كبير فان آثارها الثقافية لا تزال باقية، الأمر الذي يستلزم التصدي بموضوعية لرسم صورة أقرب إلى وقائع التاريخ لتتجاوز على الصورة المنحازةالتي رسمت لتاريخها[٣].

توطئة في السمات العامة لبلاد البحرين

قبل التطرق لتاريخ بلاد البحرين خلال الفترة المنوه عنها سابقاً، يستحسن أن نشير ولو إشارة موجزة جداً إلى المظاهر العامة لبيئتها الطبيعية والتي أثرت أعمق الأثر في حياتها وطبعت

تاريخها السياسي والاجتماعي والاقتصادي بطابعها ، وأول هذه المظاهر سعة رقعتها الزراعية بالمقارنة مع كثير من مناطق جزيرة العرب ، حيث تتوفر فيها المياه الغزيرة والعيون التي تجري مياهها على سطح الأرض ، إضافة إلى قرب مياهها الباطنية من سطح الأرض ، وهذا العامل ساعد على امتداد الرقعة الزراعية فيها والتي كانت في العصور الماضية أكثر اتساعاً مما هي عليه اليوم . ويستدل على ذلك أولاً من كثرة أسماء القرى والمستوطنات المأهولة بالسكان والتي أورد ذكرها البلدانيون العرب ، إلا أن كثيراً منها قد اختفى من خارطة الإقليم في الوقت الحاضر ، وثانياً أن الابحاث الحديثة قد أيدت أيضاً اتساع الرقعة الزراعية في الماضي(٤) .

لقد وفرت هذه الظروف الطبيعية المستلزمات الضرورية لقيام حياة مستقرة تعتمد على الفعاليات الزراعية وسد الطلب على المنتجات الزراعية لكل من سكان البوادي وأسواق الخليج العربي ، بل وتصدير ما يفيض عن ذلك وخصوصاً التمور إلى السواحل المطلة على البحار العربية والمحيط الهندي .

إن هذه البيئة الزراعية قد فرضت وجود نشاط اقتصادي ذي أوجه متعددة وقيام علاقات إنتاجية وتركيب اجتماعي في المنطقة يختلف في كثير من خصائصه عما حوله من بوادي . ففي مثل هذه البيئة يفترض سعي سكانها لإقامة سلطة تعمل على توفير الأمن والنظام وحمايتهم من خطر سكان البوادي المتربصين دائماً بالمنطقة ، وكذلك الإشراف على توزيع المياه وحماية مصادرها من الاندثار وتنظيم العلاقة بين المستثمرين والمنتجين وأوجه النشاطات الاقتصادية الأخرى ، وكل ما ينشأ عنها من علاقات اجتماعية وقانونية ، الأمر الذي يستلزم وجود أجهزة متخصصة وقوة رادعة . إن السلطة التي تقوم في مناطق الاستقرار من بلاد البحرين سوف يكون من أهدافها الاستراتيجية الثابتة هو التطلع لتحقيق صلة وثيقة بالبيئتين المجاورتين ، وهما البيئة الصحراوية ، والبيئة البحرية ، وأن تسعى لإقامة هذه الصلة أما بطريق الإخضاع المباشر أو بإقامة التحالفات القائمة على أساس المنافع المشتركة . وكثيراً ما ينشأ عن ذلك حروب مع سكان هاتين البيئتين . إن نجاحها في ذلك سوف يحقق ربط طرق التجارة البحرية بطريق التجارة البرية ، الأمر الذي ينتج عنه نفع اقتصادي كبير لمناطق الأرياف ويحقق الاستقرار السياسي والاقتصادي فيها والنقطة الأخيرة والجديرة بالإشارة هنا هو أن سكان المناطق الزراعية نظراً لارتباطهم بالأرض وبالملكيات الثابتة هم أطوع للحكام وأسهل خضوعاً للسلطة بل

واستغلالاً من قبلها ومن قبل طبقة الملاكين ، وهذا على عكس الحال في البيئتين المجاورتين البحرية والصحراوية .

أما المظهر الثاني لبلاد البحرين فهو البيئة البحرية ، إذ أن طول سواحلها الممتدة على الخليج العربي وكثرة تعاريجها أدى لأن يلعب سكانها دوراً مؤثراً في كافة أوجه النشاط التي تحدث في المنطقة كما أنها أصبحت من المناطق التي تستقبل التأثيرات من خارج حدودها عن طريق سواحلها وجزرها ، ونظراً لكون المناخ والبيئة الصحراوية هي السائدة في بلاد البحرين فان الأمر قد أدى لأن تصبح بيئة طاردة لسكانها نحو البيئة البحرية المجاورة والتي هي أكثر غنى وضماناً فيما تغله من ثروة سمكية في مياهها ومن لؤلؤ في أعماقها ومن فرص للربح في النشاط التجاري مع الخارج ، ومما هو جدير بالذكر هنا أن النشاط الاقتصادي لسكان السواحل والجزر في حرفتي صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ يتزامن مع النشاط الاقتصادي لسكان الأرياف في بلاد البحرين في جني محصول التمر . على أن هناك وجه شبه بين حياة سكان البيئة البحرية والبيئة الصحراوية فإذا كان البدو ينتقلون مع قطعانهم من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ فان عرب السواحل والجزر ينتقلون هم أيضاً من مكان إلى آخر عندما تضطرهم الظروف إلى ذلك ووسيلتهم هي سفنهم التي يحملون فيها أهم ممتلكاتهم . فالسفينة لديهم كوسيلة للحياة في عالم البحار تحتل نفس الأهمية التي تحتلها الإبل لدى البدو . فإذا كانت الطبيعة قد سخت على عرب البادية بهذا الحيوان العجيب الذي أطلق عليه جوازاً بسفينة الصحراء ، فان المعارف البحرية المتميزة لعرب السواحل قد هدتهم لصنع السفن الشراعية وتطويرها بما يتناسب وحاجاتهم في النشاط البحري فطبعوها بطابعهم وحققت لهم بذلك امتداداً لتحدي الطبيعة البحرية استجابة مناسبة جداً ، تنم عن عبقرية فذة بالمقاييس الحضارية لعصرهم فاكسبتهم بذلك تفوقاً متميزاً في النشاط البحري ولقرون طويلة جداً(٥) .

إن البيئة البحرية لبلاد البحرين قد ولدت طبقة من السكان لها ثقلها في الحياة الاقتصادية والسياسية ، لا يجوز للباحث في تاريخ المنطقة إغفالها كما إنها أفرزت زعامات تعتمد في مراكزها على قوتها الاقتصادية الناتجة عن سيطرتهم على قطاعات واسعة وهامة من النشاط الاقتصادي وهؤلاء هم تجار اللؤلؤ وأصحاب السفن ويسندهم عدد كبير من الاتباع الذين يدينون لهم بالولاء نتيجة لتبعتهم الاقتصادية لهذه الزعامات وهؤلاء صيادو الأسماك واللؤلؤ والعاملون في

السفن التجارية .

إن هذه القوة المنتجة اقتصادياً تشكل في الواقع قوة عسكرية احتياطية ، كثيراً مازجها هاؤلاء الزعماء في صراعاتهم السياسية ، فكثير من الأحداث التاريخية التي مرت بها منطقة الخليج عبر عصورها المختلفة لا يمكن فهمها فهماً سليماً من دون الانتباه إلى الدور الذي لعبته هذه القوى في صنع الأحداث في المنطقة .

أما المظهر الثالث والأخير للبيئة الطبيعية لبلاد البحرين والتي لها التأثير الأعمق فهو البيئة الصحراوية السائدة في الإقليم والتي فرضت نمطاً من الحياة الاجتماعية ، هي الحياة القبلية والتي طبعت التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي للمنطقة بطابعها حتى العصر الحديث ، مما حمل أحد المتخصصين بمنطقة الخليج العربي على القول بأن من الخطأ أن نعزو الخلافات حول الحدود في شرق الجزيرة العربية إلى سبب رئيس هو اكتشاف النفط بل يجب الانتباه إلى عامل آخر لا يقل عنه خطورة يسبق اكتشاف النفط ألا وهو الطبيعة القبلية للمجتمع العربي في المنطقة وما يتمسك به من مفاهيم حول حدود السيادة الإقليمية والمستمد من تراثه القبلي(٦) .

إن الظاهرة الرئيسية للبيئة الصحراوية هي فقرها وعجزها عن سد احتياجات سكانها خصوصاً عندما تتزايد أعدادهم ويحدث نقص خطير في مراعي القبائل لذا فهي بيئة طاردة نحو المناطق الأكثر غنى من بلاد البحرين وهي البيئة البحرية الزراعية الأمر الذي يعرض هاتين المنطقتين دائماً لضغط سكان البادية وتوغلهم فيها ويزداد توغلهم كلما أحسوا بضعف السلطة السياسية في هاتين المنطقتين ، ويميل قسم منهم إلى الاستقرار ، ولقد أوضحت دراسة بارث عن البداوة أن الذين يميلون إلى الاستقرار من بين البدو هم الأكثر غنى وكذلك الأكثر فقراً(٧) .

على أن الأفراد الذين لهم ثقلهم بين القبائل ــ بالرغم من استقرارهم وامتلاكهم الأراضي ــ فإنهم يبقون على صلة بقبيلتهم ويحافظون على نفوذهم فيها ، وهم بذلك يشكلون همزة وصل ما بين البدو والسكان المستقرين وما بين القبيلة ومناطق الاستقرار ، وربما يكون استقرار هؤلاء هو في الواقع إضعاف لهذه السلطة لأنهم سوف يكونون جاهزين للعمل كوسطاء مع قبائلهم .

والنقطة الأخيرة التي يجب ذكرها هنا في العلاقة ما بين سكان البادية والسكان المستقرين هو أن عرب البادية في بلاد البحرين يسيطرون دائماً على طرق القوافل التجارية البرية التي تبدأ عادة أو تنتهي بالموانىء الواقعة على ساحل الخليج العربي . لذا فهم كثيراً ما يحاولون السيطرة على هذه الموانىء التجارية ليمدوا منها سيطرتهم أيضاً على الطرق البحرية فتقوم حالة من التعايش ما بين طرق القوافل البرية والطرق البحرية وما بين البدو الذين يسيطرون على الطرق البرية وسكان السواحل والجزر في الخليج العربي الذين يديرون الطرق البحرية .

من هذا ندرك أن القوى القبلية كانت تلعب أدواراً خطيرة كلما سمحت لها الظروف العامة بذلك .

والواقع فإن التفاعل ما بين البداوة والاستقرار وما بين القبيلة والدولة يمثل أحد المظاهر الأساسية لتاريخ شرق الجزيرة العربية خصوصاً وتاريخ الوطن العربي عموما . إن هذه السمات البارزة للبيئة في بلاد البحرين وما أفرزته من نتائج قد أوردناها توطئة تساعدنا على تفهم أكثر للوقائع التي سوف نتعرض إليها في الصفحات اللاحقة .

— ١ —
استقرار بني عامر في البحرين

يلاحظ الدارس لتاريخ الخلافة العباسية في فترة ضعفها أن القوى القبلية قد أخذت تلعب أدواراً سياسية رئيسة ضمن مناطق مختلفة من العراق والجزيرتين العربية والفراتية بحيث لا يمكن للباحث تجاهلها .

وقد نجحت بعض هذه القوى القبلية في تكوين كيانات سياسية خاصة بها كالحمدانيين وبني عقيل وبني أسد والمنتفق وخفاجة ، إلا أنه بظهور الوصاية السلجوقية على الخلافة العباسية أخذت هذه الكيانات تختفي من الخارطة السياسية الواحدة بعد الأخرى .

ومع نهاية القرن السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد ومطلع القرن السابع/الثالث عشر كانت خارطة القوى القبلية المؤثرة في الحياة السياسية قد تغيرت عما كانت عليه في السابق .

ويورد لنا القلقشندي (ت ٨٢٨/١٤١٨) خارطة للتوزيع القبلي في حدود النصف الأول

من القرن السابع للهجري/ الثالث عشر للميلاد معتمداً فيا يورده من معلومات عن هذه القبائل في هذه الفترة وما بعدها على مؤلفين متأخرين لمعلوماتهم أهمية خاصة.

ومن أبرز هؤلاء ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥/١٢٨٦) والحمداني المعروف بابن زماخ المتوفي في مطلع ق ١٤/٨ ، وابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩/١٣٤٨) وأخيراً ابن خلدون (ت ٨٠٨/١٤٠٥) . والذي يهمنا من هذه المعلومات هو ما يتعلق منها ببلاد البحرين

إن روايات هؤلاء جميعاً تكاد أن تتفق تمام الاتفاق على أن القبيلة التي كانت تمتلك زمام السلطة السياسية خلال القرنين السابع والثامن /الثالث عشر والرابع عشر في كل من البحرين واليمامة هي قبيلة بني عامر بن عقيل . فمن هم بنو عامر وما هو دورهم في الأحداث قبل هذا التاريخ وبعده ؟ للإجابة على هذا السؤال سوف نعود القهقرى بضعة قرون إلى الوراء لنستعرض جوانب من تاريخ بلاد البحرين بما له من علاقة ببني عامر.

تجمع المصادر على أن بني عامر ينتسبون إلى بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من العدنانيين ، وأن بطون بني عقيل المشهورة هم بنو عبادة وبنو المنتفق وبنو خفاجة وبنو عامر.

وكان العراق وبلاد البحرين أحد المواطن الرئيسة التي استقرت بها هذه البطون ، بعد أن غادرت موطنها في نجد ، وقد لعبت هذه البطون أدواراً مهمة في هذين الاقليمين ، وكثيراً ما أطلق اسم بني عقيل على بطن أو أكثر من هذه البطون ، الأمر الذي يثير بعض الاشكال للباحثين في التمييز بين الفرع والأصل وهذا ما يحدث كثيراً عندما يشار لبني عامر في البحرين ببني عقيل . ويبدو أن ذلك راجع إلى تجاورها في المسكن واختلاطها بعضها ببعض[٨] .

إن من الأجدى عند دراسة القبائل أن نميز ما بين الاتحادات القبلية وبين زعامة هذا الاتحاد إذ ان بعض العشائر والبطون والأفخاذ كثيراً ما ترتبط بهذا الاتحاد أو تنفصل عنه تحت ضغط الظروف السياسية والطبيعية والاجتماعية.

وفي الحقيقة فان اسم بطون بني عقيل قد ارتبط ببلاد البحرين منذ أن انتقلوا إليها من مواطنهم في أواخر القرن الثالث/ التاسع على رأي رنز[٩] ، حيث عاشوا جنباً إلى جنب مع

قبائل كثيرة مثل بكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبني سليم ، وكان أبرز هذه القبائل القبيلتين الأخيرتين[١٠] .

إن ترتيب الأحداث يشير إلى أن بطون بني عقيل عندما غادرت مواطنها الأصلية في نجد استقرت في البحرين حيث كانت هذه البلاد تحكم من قبل القرامطة ، أو أنهم انتقلوا إليها مع ظهور حركة القرامطة بعد أن تحالفوا معهم . فابن الأثير يذكر في حوادث سنة ٨٩٩/٢٨٦ ان أبا سعيد الجنابي مؤسس دولة قرامطة البحرين قد لقي مؤازرة وتأييد بعض القبائل ذكر منها : عقيل عامر ، والى هذه المؤازرة يعود نجاحه . أما ابن خلدون فيروي أنه عندما قامت فتنة القرامطة بالبحرين صار كل من بني سليم والكثير من بني عقيل حلفاء وجنود لأبي طاهر سليمان ابن أبي سعيد الجنابي الذي خلف أباه في حكم قرامطة البحرين في حدود عام ٩١٥/٣٠٣ . كما أنه قال في موضع آخر بأن القرامطة كانوا يستنجدون بعرب البحرين على أعدائهم ويستعينون بهم في حروبهم[١١] .

والواقع أن هجمات قرامطة البحرين المتكررة على عمان وبلاد الشام وأرياف العراق خلال القسم الأكبر من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي [١٢] ، يمكن اعتبارها من بعض الوجوه هجرات قبلية رافقها تسلل واستقرار بعض بطون بني عقيل في هذه المناطق .

فالروايات المتواترة تشير إلى ظهور نشاط بطون بني عقيل في حدود هذا التاريخ . فبنو خفاجة كانوا قد استقروا في خلال هذا القرن على أطراف الفرات الأوسط حيث تصاعد نشاطهم إلى درجة كبيرة في القرون اللاحقة .[١٣] يضاف إلى ذلك ظهور نشاط المنتفق بجوار البصرة بقيادة زعيمهم الأصفر[١٤] اعتباراً من عام ٣٧٨ ، أما بنو عبادة وبنو مالك من بطون عقيل ، فان ابن خلدون يعزو تكوين دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة في حدود عام ٩٩٠/٣٨٠ إلى هذين الفرعين بعد أن استطاعوا انتزاع هذه المناطق من أسرة بني حمدان من قبيلة بني تغلب إلا أنه بعد القضاء على دولتهم في الموصل عام ١٠٩٦/٤٨٩ عادت هذه البطون على الأقل الغالبية العظمى منهم إلى جنوب العراق حيث استقروا ما بين البصرة وواسط والكوفة ، فعاشت عبادة متجاورة في المسكن مع بني المنتفق[١٥] .

وبمتابعة النشاط القبلي الذي كان يرافق نشاط قرامطة البحرين نجد أن بني هلال بن عامر

بن صعصعة وبني سليم قد استقر قسم منها في بلاد الشام ضمن دائرة النفوذ القرمطي هناك ، إلا أنه بعد أن استطاع المعز لدين الله الفاطمي (٣٤١ــ٣٦٥/ ٩٥٣ــ٧٥) انتزاع بلاد الشام من القرامطة ، قام بنقل أتباعهم من بني هلال وسليم وإنزالهم ببلاد الصعيد[١٦] .

أما مصير القسم الأكبر من بني سليم في بلاد البحرين ، فانه بعد ضعف قرامطة البحرين وارتخاء قبضتهم على البلاد خلال القرن الخامس/ الحادي عشر ، اتحدت عبد القيس مع بني عامر إحدى بطون عقيل ضد بني سليم وأخرجوهم من البحرين ومعهم قسم من بني المنتفق (الخلط) فغادروها إلى أفريقيا (تونس)[١٧] .

أن ابن خلدون حينما يتابع نشاط بطون عقيل المختلفة ، يمتاز عن القلقشندي بدقة نسبية في التمييز بين هذه البطون فهو يذكر أنه بعد نزوح سليم والمنتفق (الخلط) إلى أفريقيا ، بقيت في جهات بلاد البحرين سائر بني عقيل ، إلى أن استطاع أحد بطونهم وهم بنو عامر اخوة المنتفق أن يتغلبوا على بني الحسين[١٨] (العيونيون) وينتزعوا الملك منهم في بلاد البحرين وعمان .

بقي أن نضيف ملاحظة أخيرة إلى ما ذكره ابن خلدون في أن بني عامر يعيشون إلى الجنوب من البصرة إلى جوار اخوتهم المنتفق[١٩] ، فإنه قصد بذلك بأن مساكنهم تمتد من جنوب البصرة حتى البحرين ، وقد استندنا في ذلك إلى ما أورده سابقاً من نصوص والى ما سوف نورده حول مواطن بني عامر . كما أنه من الممكن أن نشير أيضاً إلى عدم وجود تعارض بين ما ذكره ابن خلدون هنا من أن مواطن المنتفق في البصرة هي إلى جوار بني عامر وبين ما ذكره في موضع آخر من أن بني المنتفق قد انتقلوا إلى أفريقيا (تونس) وعرفوا هناك بالخلط . إذ أن ابن خلدون قد قصد بذلك إلى أن قسماً من المنتفق قد انتقل إلى أفريقيا أما القسم الأكبر فقد استقر بجهات البصرة وقد بقوا في هذه الأماكن دون تغيير كبير حتى العصور الحديثة .

والواقع أن بطون بني عقيل وعلى وجه التخصيص المنتفق وعامر واللذان امتدت ديارهما من البصرة حتى اليمامة وعمان كانوا متداخلين فيما بينهم وكان طبيعياً أن تقوم بينهم صلات التعاون والتناحر على حد سواء .

إن هذا التقارب في الأصل والموطن هو الذي حمل البعض على أن يطلق اسم أحد البطون على الأخرى أو أن يستعمل اسماً جامعاً لكافة هذه الفروع في هذه الامتداد الجغرافي والقبلي

المتصل وهذا ما عبر عنه ابن فضل الله العمري في القرن الثامن الرابع عشر حينما قال بأن عرب عقيل وبطونها من عامر والمنتفق وغيرهما يعبر عنهما بعرب البحرين[٢٠] .

— ٢ —

علاقة بني عامر بقرامطة البحرين ونشاطهم في هذه الفترة

إن استعراضنا لنشاط بني عامر في هذه الفترة سوف يكون من أهدافه الأولى تأكيد وجود الصلة الوثيقة التي كانت تربطهم ببلاد البحرين ، ثم إضعاف إن لم يكن نفي الفكرة القائلة بأن ظهورهم فيها ونشاطهم كان مرتبطاً أشد الإرتباط بسقوط دولة بني عقيل في الموصل والجزيرة عام ٤٨٩/ ١٠٩٦[٢١] . إذ أن الأحداث التي سوف نوردها ولعب فيها بنو عامر دوراً رئيساً قد وقعت قبل تاريخ صلة سقوط دولة بني عقيل . على أننا لا نستطيع أن نقطع بعدم وجود صلة بين تصاعد قوتهم وعودة بطون بني عقيل من جهات الموصل إلى جهات البصرة .

لقد سبقت الإشارة إلى ما رواه كل من ابن الأثير وابن خلدون عن قيام تحالف بين قرامطة البحرين وبعض القبائل ، والتي كان من بينها اتفاق تام في الأهداف والمبادىء بين الطرفين إذ ليس هناك ما يشير إلى ان هذه القبائل قد تقبلت معتقدات القرامطة ، كما أنه ليس هناك من دليل على أن الزعامة القرمطية كانت تقيم تحالفاتها على أسس عقائدية دائماً ، بل أنه من المؤكد أن مثل هذه التحالفات قد قامت نظراً لوجود نقاط التقاء سياسية واقتصادية وعسكرية بين الطرفين . إن إقليمي البحرين واليمامة هما من الأقاليم التي تكررت فيها الحركات الخارجة على السلطة المركزية في بغداد قبل ظهور القرامطة ، وأن البعض من هذه الحركات كان ذا أهداف ومبادىء سياسية ودينية معينة ، وقد ساهمت بعض قبائل هذه الأقاليم في هذه الحركات خصوصاً قبائل عبد القيس . وبالرغم من فشل هذه الحركات إلا أنها بالتأكيد قد تركت أثاراً في نفوس وعقول السكان وأن أقل ما يمكن أن يقال في ظاهرة التمردات المتعددة في هذه المناطق هو وجود الكراهية للسلطة المركزية وزادها كرهاً الحملات العسكرية التي جردت ضدها وما يرافقها عادة من تنكيل وبطش ، الأمر الذي جعل السكان على استعداد لتأييد كل خروج على هذه السلطة كلما أتيحت لهم الفرصة لذلك . وفي تقديرنا أن العامل الرئيسي الذي يدفع القبائل للتعاون مع الخارجين على السلطة المركزية هو حالة الفقر المدقع التي يعيشها أفرادها نظرا

لفقر بيئتهم وعجزها عن سد متطلباتهم وما ينشأ عن هذه البيئة من قيم بدوية ومفاهيم سياسية يتضاءل أمامها أي وازع حتى الوازع الديني لذا فهم ينظرون إلى سكان المناطق الحضرية نظرة فيها الكثير من الازدراء والحقد ، لما يتمتع به هؤلاء من رفاه نسبي في العيش مقارنة بحياتهم البائسة . كما أنهم ينظرون إلى المناطق الحضرية على أنها المجال الحيوي لنشاطهم ولسد احتياجاتهم المادية ، بصورة سلمية أو حربية ، فعيشهم في أطراف سيوفهم كلما اضطروا إلى ذلك .

ومن هنا كان التقاء هذه القبائل التي تغلب عليها البداوة في عيشها أو في قيمتها مع الزعامة القرمطية التي قد تتيح لهم فرصة للكسب . أما القرامطة فقد كانوا يرون بالتأكيد في هذه القبائل القوة العسكرية الأساسية التي يمكن بواسطتها تحقيق أهدافهم أو بعضها دون أن تكلفهم أعباء مالية باهضة فهاجموا بواسطتها مناطق واسعة من الهلال الخصيب ومصر والجزيرة العربية وتحقق للطرفين فوائد مادية وسياسية واضحة . على أنه يجب أن نستدرك فنقول أنه لا يمكن أن نتوقع أن تسير العلاقة بين هذين الطرفين بشكل متوافق ولمدة طويلة . إذ لا بد أن تثور المنازعات فيما بينهم لسبب أو لآخر وقد ألمح ابن خلدون إلى ذلك حين قال : كان القرامطة يستعينون بعرب البحرين في حروبهم وربما يحاربونهم ويقاطعونهم في بعض الأوقات(٢٢) . وكلما ظهرت بوادر ضعف السلطة تزايدت هذه التمردات ، وإذ كنا قد أشرنا فيما سبق إلى اضطرار بعض القبائل المتحالفة مع القرامطة إلى مغادرة البحرين فانه من الصعب ربط هذه المهاجرة بعلاقات سلبية مع السلطة القرمطية لعدم توفر الدليل الواضح الذي يؤثر ذلك إلا أننا نملك بعض الأمثلة الواضحة على خروج بعض حلفاء القرامطة عليهم خصوصاً في فترة ضعفهم وارتخاء قبضتهم على البلاد حيث أصبحوا تحت رحمة حلفائهم .

إن ما يعنينا هنا من هؤلاء الحلفاء هم بنو عامر ومن يمت إليهم بصلة نسب قريب وتتابع هذا النشاط حتى نجاحهم في الاستيلاء على السلطة في بلاد البحرين .

يقول ابن الأثير أنه في ٣٧٨/٩٨٨ـــ٨٩ قام زعيم المنتفق المعروف بالأصفر (ويرد تارة باسم الأصيفر) ـــ وهو لقب له فيما يبدو وليس باسمه الحقيقي ـــ بحشد جموع كثيرة وحارب القرامطة وانتصر عليهم وأوقع بهم خسائر كبيرة ثم حاصرهم بالأحساء حيث تحصنوا ، فلما امتنعت عليه زحف إلى القطيف فاكتسحها وأخذ ما فيها من عبيد وأموال تعود للقرامطة ثم انسحب إلى البصرة(٢٣) .

إن ابن الأثير لم يعطنا أية تفاصيل عن الموضع الذي تحرك منه الأصفر ، فلا نعلم أكانت البصرة هي المكان الذي تحرك منها وإليها عاد أم أن ذهابه إلى حدود البصرة كان خشية من أن ينتقم منه ؟ ومهما يكون من أمر فان زعيم المنتفق كان يقوم بنشاطه في مناطق يعتبرها القرامطة واقعة تحت نفوذهم . والدليل على ذلك أنه عندما قام معز الدولة ومعه الخليفة المطيع بالله بالزحف على البصرة عام ٣٣٦/ ٩٤٧ـ٤٨ لانتزاعها من أبي القاسم البريدي وسلكوا إليها طريق الصحراء احتج قرامطة البحرين على ذلك معتبرين هذا العمل خرقاً لحرمة أراضيهم التي لا يمكن سلوكها بدون إذنهم وقد دفعهم هذا الانتهاك لأراضيهم للانتقام بالتعاون مع ابن الوجيه صاحب عمان في الهجوم على البصرة عام ٣٤١/ ٩٥٢ـ٥٣[٢٤] . فزعيم المنتفق الأصفر كان نشاطه مستمراً في هذه البادية ما بين البصرة والبحرين حتى وفاته ، يعترض طريق الحاج ويرغم البويهيين على أن يدفعوا له مبالغ معينة لقاء عدم تعرضه للحاج[٢٥] ، ومن الجدير بالذكر أن مثل هذه الأعمال كانت في السابق موكولة للقرامطة . وأن بروز المنتفق في هذه الفترة وفي بادية البصرة دليل واضح على إنكماش نفوذ القرامطة .

أما الرحالة الشهير ناصر خسرو فانه يذكر لنا أنه خلال وجوده في الاحساء عام ٤٤٣/ ١٠٥١ شاهد أميراً عربياً يحاصرها وانه قد مضى على حصاره لها سنة كاملة ، وقد قال له الأمير العربي أنه يعتزم الاستيلاء على الاحساء لأن أهلها لا دين لهم[٢٦] . على أن الرحالة خسرو لم يذكر لنا اسم القبيلة المتمردة أو زعيم هذه القبيلة ، إلا أنها إشارة مهمة تدل أيضاً على تداعي سلطة القرامطة وخروج بعض القبائل عليهم . وأعقب هذه الأحداث بقليل قيام أحد الأثرياء العرب في جزيرة البحرين الملقب بأبي البهلول واسمه العوام بن محمد بن يوسف الزجاج بالاستيلاء على جزيرة أوال (البحرين) عام ٤٥٠/ ١٠٦٨ ، ولقد سارع القرامطة بالاستعانة ببني عامر وبعض بطون عبد القيس ، إلا أن العوام انتصر عليهم في معركة بحرية وأعلن استقلاله في الجزيرة وولاءه للخليفة العباسي[٢٧] . ثم ثار على القرامطة بنو محارب أحد أقوى بطون عبد القيس بزعامة ابن عياش الذي انتزع القطيف منهم في العقد السادس من القرن الخامس/ الحادي عشر ثم مد ابن عياش سيطرته على جزيرة أوال منتزعاً أياها من العوام[٢٨] ومن المحتمل جداً أن بني عامر كانوا هم القوة الرئيسية إن لم تكن الوحيدة من بين حلفاء القرامطة التي بقيت إلى جانبهم حتى النهاية . أن دي غوية الذي كتب عن نهاية قرامطة

البحرين معتمداً على الشروح والتعليات الغنية لمخطوطة نادرة لديوان ابن المقرب تفوق كثيراً مخطوطة بومبي ، ذكر بأن بني عامر كانوا قد فرضوا على القرامطة أن يدفعوا لهم جزءاً من حاصلات بلاد البحرين مقابل الحماية أو الخفارة[٢٩] والخفارة أو الحماية نظام كان معروفاً عند العرب قبل الإسلام بقرون عديدة وقد ظل موجوداً حتى وقت قريب ، وهم يعتبرونه حقاً من حقوقهم وكان عدم الإقرار لهم بهذا الحق يعرض القوافل التجارية ومناطق الاستقرار لهجماتهم . إن اعتراف القرامطة لبني عامر بهذا الحق هو موقف يبدو سليماً من جانبهم لأنه يخفف عنهم أعباءاً أمنية ومالية كبيرة ، ويؤمن سير القوافل التجارية مقابل نفقات قليلة تدفعها السلطة والتجار ، إلا أنه من الوجهة الثانية يعكس ضعف القرامطة وعجزهم عن القيام بهذا العبء أمام قوة بني عامر .

— ٣ —

علاقة بني عامر بالعيونيين

لقد تلا الأحداث التي أشرنا إليها سابقاً والتي هي مؤشر على ضعف وتداعي قوة القرامطة قيام عبدالله بن علي العيوني الذي ينتمي إلى عبد القيس بمحاولته الناجحة في إنهاء حكم القرامطة من بلاد البحرين مستعيناً بسلطان السلاجقة أبي الفتح ملكشاه الذي أرسل له قوة كبيرة بقيادة أرتق بك ، فتم له انتزاع القطيف أولاً من ابن عياش عام ٤٦٧/ ١٠٧٦ — ١٠٧٧ وأقام حكومة فيها تدين بالتبعية للخلافة العباسية في بغداد .

ومما هو جدير بالملاحظة أن بني عامر وقفوا إلى جانب القرامطة في محنتهم هذه فقاتلوا جنود العباسيين كما قاتلوا جنود عبدالله بن علي العيوني[٣٠] .

إن قيام سلطة العيوني الجديدة في بلاد البحرين لم تمنع بني عامر من محاولة فرض نفوذهم عليهم ومطالبتهم بأن يدفعوا لهم مثلما كان يدفع لهم القرامطة ، لذا فقد شهروا سلاحهم ضد الأمير عبدالله بن علي العيوني الذي كان قد قطع عنهم ما كان يدفعه لهم القرامطة من عوائد وجرايات إلا أن الأخير تصدى لهم بقوة وعنف وأوقع بهم هزيمة كبيرة وخسائر فادحة الأمر الذي اضطر قسماً منهم إلى اللجوء إلى قبيلة المنتفق بجوار البصرة[٣١] .

على أن نشاط بني عامر لم يتضاءل أو يضعف بعد قيام حكم العيونيين واتجاه سلطة العيونيين

نحو الانحدار التدريجي ، بل اننا نستطيع أن نقول إلا فترة قصيرة ، ثم أخذ يتزايد بشكل ملفت للنظر وبصورة طردية يتناسب إنهم كانوا أحد العوامل الرئيسية في إضعاف سلطة العيونيين وأن ما سوف نورده من وقائع تؤيد ما ذهبنا إليه .

فابن الأثير يذكر في حوادث عام ٤٨٣/ ١٠٩٠ ان زعيم بني عامر قد قام على رأس عشرة آلاف رجل بالزحف من الاحساء نحو البصرة ونهب المدينة نهباً شنيعاً وأحرق بعض مواضعها الأمر الذي حمل السلطة ببغداد على الإسراع في إرسال نجدات كبيرة لإنقاذ المدينة المنكوبة(٣٢) .

إن هذا الحادث يعكس لنا أن بني عامر قد أصبحوا سادة البادية ما بين البصرة وبلاد البحرين وهذا ما يؤيده أيضاً وصف الشريف الأدريسي (ألف كتابه في حدود عام ٥٤٨/ ١١٥٣) لبادية البحرين حيث قال ... « ويتصل بالقطيف إلى ناحية البصرة بر متصل لا عمارة فيه ، أي ليس فيه حصن ولا مدينة وإنما به اختصاص لقوم من العرب يسمون عامر ربيعة »(٣٣) .

ومهما يكن من أمر فأن اشعار ابن المقرب العيوني (ت في حدود عام ٦٣٠/ ١٢٣٢ — ٣٣) طافحة بالإشارة إلى نشاط بني عامر وإلى الصدامات التي كانت تحدث فيما بينهم وبين الحكام العيونيين وكثيراً ما حاصروا واحات القطيف والاحساء تحت قيادة زعيمهم غفيلة (أو عقيلة)(٣٤) . فقد كان بنو عامر يصرون على أن يدفع لهم العيونيون من الأموال مثلما كان القرامطة يدفعونه لهم . إلى أن نجحوا في النهاية في إرغام العيونيين على الإقرار لهم بذلك . لذا فقد وصف ابن المقرب في إحدى قصائده بلاد البحرين بأنها أرض عامر لأنهم أهل البادية وأصحاب خفارتها(٣٥) .

إن خضوع الحكام العيونيين لمطالب بني عامر مؤشر واضح على عجزهم عن إخضاعهم بالقوة لذا فقد فضلوا اتباع سياسة الترضية معهم . وأن ذلك يمكن أن يترجم على أن بني عامر قد أصبحوا يتحملون مسؤولية حماية أرياف البحرين وقوافل التجار والحجاج مقابل مبالغ معينة يحصلونها من المزارعين والسلطة الحاكمة ، الأمر الذي جعلهم على صلة مباشرة بهؤلاء جميعاً مما سوف يمكنهم في المستقبل من تطويرها إلى علاقات ذات طبيعة سياسية أيضاً .

كما أنه من الجهة الأخرى أصبح زعماء بني عامر في وضع مادي مكنهم من كسب ود زعماء القبائل الصغيرة عن طريق العطايا والهدايا لكي يعترف هؤلاء بزعامة بني عامر وعدم التعرض من جانبهم إلى طرق القوافل وكل ذلك كان يؤدي إلى تزايد الدور الذي يلعبه بنو عامر في حياة بلاد البحرين .

ولعل ما أورده كل من ابن الأثير وابن خلدون يعكس مدى تزايد قوة بني عامر في نهاية القرن السادس/ الثاني عشر فقد ذكر بأنه في سنة ٥٨٨/ ١١٩٢ قام بنو عامر بقيادة زعيمهم عميرة (بن سنان بن عقيلة بن شبانة) بمهاجمة البصرة ونهبها ، وعندما تقدمت قبيلتا خفاجة والمنتفق لصدهم تمكنت عامر من هزيمتهم ، وقد تكرر هذا الهجوم عام ٥٩٣/ ١١٩٦ — ٩٧ إن هذه الهجمات يمكن اعتبارها من بعض الوجوه مؤشراً على ضعف العيونيين الذين كان قد وكل إليهم الخليفة الناصر لدين الله حماية أرياف البصرة وطريق الحاج (٣٦) .

لقد أشرنا فيما سبق عند الحديث عن سمات البيئة في بلاد البحرين إلى أن البدو يأخذون بالتغلغل التدريجي في مناطق الاستقرار في ظل ظروف معينة ، وكما أوضح كوبر فإن أي شيء يضعف الحكومة في مناطق الاستقرار ينتج عنه تغلغل البداوة (٣٧) ومن بين الذين يستقرون منهم بعض أفراد الأسر التي تتزعم القبائل ، إلا أنهم يحافظون على صلتهم بقبائلهم ، وبحكم استقرارهم يكونون على صلة بالزعامات المؤثرة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في مناطق الاستقرار وبما يدور بينهم من منافسات وصراعات فينجرون إلى الاشتراك بها بطريقة أو أخرى مرتكزين في قوتهم على قبائلهم .

وتنطبق هذه الصورة بوضوح علي بني عامر منذ النصف الثاني من القرن السادس خصوصاً بعد أن أصبحوا يشكلون جزءاً أساسياً من سكان البحرين ، وكانوا القوة التي ارتكز عليها الحكام العيونيون في المحافظة على مناطق الاستقرار وطرق القوافل من هجمات البدو .

ولقد ازداد ارتباط بني عامر بالأسرة العيونية الحاكمة بالبحرين وذلك عن طريق المصاهرة التي من الواضح أن دوافعها كانت سياسة (٣٨) . فازداد اتصالهم بالحكام العيونيين واشتركوا في الصراعات التي كانت تدور فيما بينهم فكانوا يمنحون تأييدهم إلى هذا الحاكم أو ذلك بحسب مصالحهم . ومما هو جدير بالملاحظة هنا أن بني عامر أخذت تظهر بين أفخاذهم زعامات

متعددة وينتسب كل فخذ إلى زعيمه فهناك الشبانات نسبة إلى زعيمهم شبانة والقديمات نسبة إلى زعيمهم قديمة والغفيلات أو العقيلات نسبة إلى زعيمهم غفيلة أو عقيلة وكل فخذ أو أكثر كان يمنح ولاءه لزعيم من زعماء العيونيين المتقاسمين حكم البلاد . إلا أنه من الواضح أن قوة بني عامر الرئيسة كانت تتركز في يد أسرة عميرة بن سنان بن غفيلة . فمصادرنا تشير إلى أن زعيم بني عامر راشد بن عميرة أخذ يلعب دوراً هاماً في الحياة السياسية[٣٩] . فقد اشترك مع أحد أفراد الأسرة العيونية الطامح في السلطة المدعو عزيز بن الحسن في اغتيال الحاكم العيوني محمد بن أبي الحسين مقابل حصول راشد على جميع أموال الحاكم الموجود في القطيف وأوال بالإضافة إلى حصوله على عدد من السفن وآلاف الدنانير التي سوف تدفع له سنوياً .

وقد تم تنفيذ المؤامرة وتولى عزيز بن الحسن السلطة[٤٠] . إلا أن الفضل ابن القتيل سارع إلى الاستعانة بخاله الحسن بن المقداد بن سنان زعيم أحد أفخاذ بني عامر . كما طلب الفضل المساعدة من الخليفة العباسي الناصر لدين الله(٥٧٥/١١٨٠ ـ ٦٢٢/ ١٢٢٥) فأنجده بها . ولما نجح الفضل في استلام السلطة قرب إليه قسماً كبيراً من بني عامر الذين أخذوا يمارسون نفوذاً كبيراً عليه ، فنحهم ما أرادوا بأن أقطعهم البساتين في أوال والعيون الجارية بما تسقيه من النخيل والأراضي وقسم عليهم جميع مناطق صيد الأسماك . كما ملكهم السفن التجارية وسفن الغوص وما فيها من الغاصة ، وأخذوا يتوارثون ذلك[٤١] .

وقد أوضح الشاعر ابن المقرب في إحدى قصائده بأن بني عامر قد أصبحوا يملكون كل شيء ويلبسون الحرير ويركبون الخيول المطهمة ويأكلون أحسن الطعام[٤٢] .

ولعل القصيدة التالية لابن المقرب العيوني تعبر أصدق تعبير عن مدى تغلغل بني عامر في الحياة الاقتصادية والسياسية في بلاد البحرين ، وتعكس مدى الخطر الشديد الذي أصبح يهدد المستقبل السياسي للأسرة العيونية الحاكمة[٤٣] .

أخذوا الحساء من الكثيب إلى محا ... ديث العيون إلى نقا حلوان[٤٤] .
والخط من صفواء حازوها فما ... أبقوا بها شبرا إلى الظهران[٤٥] .
والبحر فاستولوا على ما فيه من ... صيد إلى در إلى مرجان
ومنازل العظماء منكم أصبحت ... دوراً لهم تكرى بلا أثمان

وأَمَضُّ شيءٍ للقلوب قطائع بالمورزان لهم وكرزكان[٤٦] .

ومهما يكن من أمر فإن هذا التغلغل الواسع لبني عامر في المرافق الاقتصادية للبحرين سوف تنشأ عنه بالتأكيد سيطرة سياسية . لأن كل سيطرة اقتصادية سوف يعقبها حتماً سيطرة سياسية . على أن الذي يجدر بالذكر هنا هو أن ضعف وتداعي الدولة العيونية في بلاد البحرين ليس منشأه الضغوط الداخلية فحسب ، بل كانت هناك ضغوط خارجية تعرضوا لها صادرة من جزيرة قيس التي حلت محل سيراف كمركز تجاري رئيس في الخليج العربي ، وقد استطاع ملوكها من بني قيصر بعد عدة هجمات على سواحل وجزر البحرين ، في فرض شروط معاهدة لم تكن لصالح العيونيين . إذ أصبح بموجبها لملوك بني قيصر جزء كبير من واردات بساتين القطيف والاحساء ومن واردات مغاصات اللؤلؤ بالبحرين[٤٧] فحرموا بذلك الدولة العيونية من جزء كبير من وارداتها ، إضافة إلى تحكم قيس بتجارة الخليج العربي . ومما هو جدير بالإشارة هنا أن وصف ابن المجاور لجزيرة البحرين أوال في حدود هذه الفترة يدل على ازدهار حياتها الاقتصادية ، إذ يقول بأن أهلها شبه البحر في كرمهم وأن جزيرة أوال بها ثلثمائة وستين قرية امامية ما خلا قرية واحدة ، وليس هناك أجود من لؤلؤها[٤٨] .

— ٤ —

قيام إمارة العصفوريين العامرية

إن حالة التمزق والتداعي الذي أخذ يهدد إمارة العيونيين بالسقوط منذ مطلع القرن السابع/ الثالث عشر ، قد أثار كما يبدو حالة قلق واسعة بين أعيان بلاد البحرين ، بعد أن أدركوا تمام الإدراك عجز الحكام العيونين بما هم عليه من الضعف عن حماية الأمن ، الأمر الذي سوف يعرض أموالهم ومصالحهم التجارية للخطر من قبل بني عامر إذا لم يسارعوا لكسب رضاهم ، فأخذ أغنياء البحرين وأعيانها يتسابقون إلى إرضاءهم بالأموال والهدايا ويقيمون معهم صلات شخصية وثيقة ، بل ويتواطؤون معهم ضد العيونيين ، وعلى رأس هؤلاء المتواطئين كان إبراهيم بن عبدالله بن أبي جروان أبرز أعيان الاحساء وأثريائها . وقد عاتبه على ذلك الشاعر ابن المقرب العيوني المعاصر للأحداث بقصيدة جاء فيها :

أتراك ترضى أن يحدث جاهل أو عالم من نازح أو دان

فيقول كان خراب دار ربيعة بعد العمار بنوابي جروان[٤٩]
يأبى لك الطبع الكريم ونخوة عربية شهدت بها الثقلان

وقد تطور الأمر أخيراً إلى اتفاق معظم أعيان الاحساء ووجوهها على تسليم السلطة في البلاد إلى زعيم بني عامر المحنك عصفور بن راشد بن عميرة ، فاتصلوا به واتفقوا معه على خطة يقوم بموجبها بمحاصرة الاحساء على أن يقوموا هم بدورهم بخذلان الحاكم العيوني الأمير الفضل بن محمد بن مسعود واقناعه بعدم جدوى مقاتلة بني عامر بل عليه أن يسترضيهم وأن يفتح لهم أبواب أسوار الاحساء . وفي حالة نجاح هذه الخطة فقد اشترط زعماء الاحساء على الشيخ عصفور بأن يكتفي بالاستيلاء على أملاك الأسرة العيونية جميعها وأن لا يتعرض لغيرها من الممتلكات .

وقد تم تنفيذ الخطة بنجاح وقبض الأمير عصفور على الأمير العيوني الفضل بن محمد وطرده من الاحساء بعد أن كان قد استولى على كافة أمواله وأموال أسرته وكف عن أموال الآخرين[٥٠] وهكذا تم لبني عامر الاستيلاء على السلطة في الاحساء وإنهاء حكم الأسرة العيونية فيها وبذلك استطاعوا أن يحققوا الخطوة الأولى والأهم لكي يتموا سيطرتهم على كافة بلاد البحرين على أن مصادرنا لا تسعفنا بتاريخ محدد لاستيلاء الأمير عصفور بن راشد بن عميرة العامري على السلطة في الاحساء ، لكن الشيخ محمد بن عبدالله العبد القادر الذي ألف كتاباً في تاريخ الاحساء قد ذكر بأن ذلك قد تم في العقد الرابع من القرن السابع[٥١] . ومن الواضح كما سوف نرى بأن هذا التاريخ الذي حدده الشيخ ابن عبد القادر قد قصد به تاريخ استيلاء العصفوريين على كافة بلاد البحرين . والذي يميل إليه أن ذلك قد تم على فترات وأن تاريخ استيلاء الشيخ عصفور على الاحساء هو في حدود العقد الثاني من القرن السابع / العقد الثاني من القرن الثالث عشر ولقد استندنا في تقرير ذلك إلى قائمة الحكام العيونيين ومدة حكمهم في كل من الأحساء والقطيف وأوال والتي أوردها صاحب المخطوطة التيمورية والذي كان معاصراً للأحداث كما يفهم من إشاراته[٥٢] .

بعد أن استولى الأمير عصفور بن راشد بن عميرة بن سنان على واحات الاحساء ، أصبحت تواجه إمارته الفتية مسؤوليات متعددة ، وأهمها هي أولاً حمايتها من الأخطار المحتملة من بقايا الإمارة العيونية في كل من واحات القطيف وجزيرة أوال وثانياً الخطر المنبعث من

مملكة جزيرة قيس التي تملك أسطولاً بحرياً وتجارياً قوياً يتحكم بتجارة وسيادة الخليج العربي ، وإذا كان من الصعب حسم العداوة ما بين بني عامر والعيونيين إلا عن طريق القوة ، إلا أنه من الممكن جداً إقامة علاقات حسنة مع بني قيصر ملوك جزيرة قيس خصوصاً فيما إذا اعترف لهم بحقوقهم في جزء من واردات بساتين الأحساء التي كانت قد ضمنتها لهم المعاهدة المعقودة سابقاً بينهم وبين حاكم الدولة العيونية الأمير الفضل الذي كان قد أطاح بحكمه العصفوريون . وإذا ما تحقق ذلك فإن الإمارة العصفورية الناشئة سوف تستطيع المحافظة على منفذها التجاري على الخليج وهو ميناء العقير الذي لا يمكن لها الاستغناء عنه في تجارتها ما بين داخل الجزيرة العربية والعالم الخارجي . كما أنه من الجهة الأخرى ربما سوف يتمكن الأمير عصفور بن راشد من تحييد بني قيصر فيما لو حاول الاستيلاء على بقايا ممتلكات العيونيين .

ومن المرجح جداً أن مثل هذه العلاقة الحسنة ما بين الطرفين قد تحققت كما يفهم من كلام ابن المجاور (ت ٦٩٠/ ١٢٩١)(٥٣) ، وكما يستدلُ من وصف المؤرخ العثماني أحمد منجم باشي (ت ١١١٣/ ١٧٠٢)(٥٤) للأمير عصفور أنه مقدم أمراء الملك جمشيد ملك جزيرة قيس(٥٥) . فهذا الوصف للأمير عصفور بن راشد يحمل في طياته دلالات معينة هي وجود علاقة حسنة بين الطرفين ، ومهما يكن من أمر فان منطق الأمور يقودنا إلى مثل هذا الاحتمال ، إذ أن ملوك بنو قيصر بالإضافة إلى أنهم سوف يضمنون حقوقهم في جزء من واردات الاحساء فان قوة الأمير عصفور هي أحد الضمانات المهمة لاستمرار حصولهم على جزء من واردات أوال والقطيف من العيونيين ، إذ يمكن استخدام هذه القوة للضغط من الداخل على العيونيين في سبيل هذا الهدف .

ومهما يكن من أمر فاننا نجهل بشكل دقيق الكيفية التي تم بها انتقال القطيف إلى حكم بني عامر ، وكل ما نعرفه أن صاحب المخطوطة التيمورية قد ذكر بأن آخر حاكم عيوني هو الأمير محمد بن محمد بن أبي ماجد كان قد غادر القطيف في حدود عام ٦٣٠/ ١٢٣١ — ٣٢ أو قبلها بقليل وأن حكمه قد اقتصر بعدها على جزيرة أوال(٥٦) . أما وصاف الحضرة (ت ٧٣٥/ ١٣٣٤ — ٣٥) فإنه كان أكثر وضوحاً عن مصير القطيف بعد مغادرة الحاكم العيوني الأمير محمد بن محمد لها فحين تعرضه للحديث عن استيلاء الأتابك أبو بكر السلغري على جزيرة أوال قال بان القطيف كان يحكمها آنذاك أقوى شيوخ العرب وأوسعهم نفوذاً هو أبو عاصم بن سرحان

بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان[٥٧] . ومما لا شك فيه بأن أبا عاصم هذا ما هو إلا أحد زعماء بني عامر وقريب الصلة بالأمير عصفور . والسؤال الذي قد يثار هو كيف استولى العصفوريون على السلطة في القطيف وهل أن أبا عاصم بن سرحان كان يحكم القطيف نائباً عن قريبه الشيخ عصفور بن راشد أم أنه كان مستقلاً عنه تمام الاستقلال ؟ والذي نميل إليه هو أن الصلة وثيقة بين الاثنين وأن الأمير عصفور كانت زعامته معترف بها بين كافة أفخاذ بني عامر ، ونستدل على ذلك من الأحداث التي سوف تتلو مقتل الأمير أبا عاصم حيث أن الشيخ عصفور أخذ يحكم القطيف مثلها مثل باقي بلاد البحرين من دون أن تثور في وجهه معارضة قبلية . من الواضح إذا أنه في حدود نهاية العقد الثالث/ من القرن السابع/ الثالث عشر تمكن بنو عامر من بسط سيطرتهم على معظم بلاد البحرين باستثناء جزيرة أوال كما أن سيطرتهم قد امتدت إلى اليمامة وعمان أيضاً .

قال ابن سعيد المغربي الذي كان قد زار المشرق العربي مرتين ، الأولى بين عامي ٤٦٨ ــ ١٢٤٥/٦٥٢ ــ ١٢٥٤ والثانية عام ٦٦٦/ ١٢٦٧ وهو يصف بلاد البحرين بأن «بين القطيف واليمامة مجالات بني عامر ولم يبق معهم لأحد من العرب عز في بلاد اليمامة والبحرين ، ومنهم الآن ملوك الصقعين» . ثم وصف بني عامر في موضع آخر فقال بأنهم عرب اليمامة والبحرين[٥٨] .

والواقع فان الروايات عن نفوذ بني عامر في القرن السابع/ الثالث عشر والتي عند ابن فضل الله العمري وابن خلدون والقلقشندي كلها منقولة عن ابن سعيد المغربي وهي تتشابه إلى حد كبير لفظاً ومعنى . فهم ينقلون قوله سألت أهل البحرين في سنة ٦٥١/ ١٢٥٤ حين لقيتهم بالمدينة النبوية عن البحرين فقالوا «الملك فيها لبني عامر بن عقيل ، وعصفور وبنوه هم أصحاب الأحساء دار ملكهم»[٥٩] .

كما ترد رواية عن ابن سعيد المغربي تتعلق بنفوذ بني عصفور في اليمامة فهو يقول «سألت عرب البحرين لمن اليمامة اليوم؟ فقالوا لعرب من قيس عيلان وليس لبني حنيفة بها ذكر»[٦٠] .

ولعل النص التالي الذي يروى عن ابن سعيد هو أكثر وضوحاً ، فعند حديثه عن بني عامر

قال «وملكوا أرض اليمامة من بني كلاب ، وكان ملكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة عصفور وبنوه»[٦١] . ومما هو جدير بالذكر أن ابن خلدون ينفرد بالقول بأن بني عصفور قد غلبوا أيضاً على عمان[٦٢] .

— ٥ —

علاقة إمارة العصفوريين بالسلغريين (أتابكة فارس) »

قبل التعرض لعلاقة العصفوريين بأتابكة فارس من السلغريين ، يجدر بنا أن نثبت ملاحظتين هامتين تتعلقان بمجمل الأوضاع العامة في الخليج العربي في الربع الثاني من القرن السابع/ الثالث عشر.

فالملاحظة الأولى هي أن بلاد فارس أخذت تتعرض في هذه الفترة لهجات الخوارزميين الذين كانوا قد غادروا بلادهم على أثر الهزائم القاسية التي ألحقها بهم المغول . ثم ما لبث أن ظهر خطر المغول بعد اختفاء الخوارزميين عن المسرح بقليل فانتشرت هجاتهم في رقعة من إيران . وقد ولدت هذه الهجات المتكررة تخريبات واسعة واضطراباً في الحياة السياسية والاقتصادية والأمنية في إيران ووصل إلى مياه الخليج العربي وسواحله الشرقية . وفي مثل هذا الجو من الخوف والهلع يمكن لنا أن نتصور اندفاع سيل من المهاجرين نحو المناطق الأكثر أمناً من الخليج . ولما كانت الجزر والشواطىء العربية بعيدة نسبياً عن مراكز الخطر فهي أكثر أمناً ، لذا فان قسماً من المهاجرين كان لا بد له أن يندفع للاستقرار فيها إذا ما توقعنا أن نسبة مهمة من المهاجرين كانوا من التجار والأثرياء الذين هم من أكثر الطبقات شعوراً بالخوف فاننا نستطيع أن نقول بأن إمارة العصفوريين قد تعزز مركزها الاقتصادي والسياسي باستقبالها لمثل هؤلاء المهاجرين .

والملاحظة الثانية هي أن الإمارة العيونية التي أصبحت ممتلكاتها قاصرة على القطيف وجزيرة أوال ثم بعد ذلك على جزيرة أوال فقط كانت تعاني ضعفاً شديداً في الوقت الذي كان تحت سلطانها أثمن ثروة في الخليج وهي مغاصاة اللؤلؤ ومثل ذلك يمكن أن يقال عن ملوك جزيرة قيس من بني قيصر.

إن مجمل هذه الأوضاع في الخليج العربي كان لا بد أن تحرك الزعماء الطموحين للاستفادة

منها في الحصول على أفضل غنيمة . وكان أسبق هؤلاء أمير هرموز سيف الدين أبو النظر ، إذ استطاع في جمادى الأخرة عام ٦٢٦/ مايس ١٢٢٩ الاستيلاء على جزيرة قيس بعد أن تمكن من قتل الملك سلطان قوام الدين آخر ملوك بني قيصر. وبذلك أنهى حكم هذه الأسرة في جزيرة قيس[٦٣] . وبعد أن تم لأمير هرموز ذلك أرسل نوابه إلى جزيرة البحرين حيث طالبوا حاكمها العيوني الأمير منصور بن علي بأن يدفع لهم من واردات البحرين مثلما كان يدفعه لبني قيصر على اعتبار أن أمير هرموز أصبح الوارث لكافة ممتلكات وحقوق ملوك قيس بعد أن أدخل قاعدتهم الرئيسية تحت سلطانه . وقد اضطر الأمير العيوني على الإقرار لأمير هرموز بهذه الحقوق/[٦٤] .

إلا أنه بعد وفاة أتابك فارس الأمير سعد بن زنكي بن سنقر بن مودود السلغري عام ٦٢٨/ ١٢٣٠/ ٣١ خلفه في الملك ابنه أبو بكر (٦٢٨/ ١٢٣٠ — ٦٥٨/١٢٦٠) فثار نزاع بينه وبين أمير هرموز سيف الدين أبو النظر ، ويعلل لنا زكريا القزويني سبب ذلك بأن سكان جزيرة قيس وبسبب ظلم أمير هرموز لهم قد استغاثوا بأبي بكر السلغري في حين أن غفاري القزويني (ت ٩٧٥/ ١٥٦٧ — ٦٨) ومنجم باشي‌ء يعللان أسباب هذا النزاع بخروج أمير هرموز عن فروض الطاعة والخضوع التي كان يؤديها سابقاً للسلغريين وذلك بعد وفاة أتابك سعد ، مما حمل الأمير الأتابك أبو بكر على أن يحشد ضده جيشاً كبير مستعيناً بأصحاب السفن من أتباع بني قيصر والذين لا بد أن يكون القسم الأكبر منهم من العرب ، وقد استطاع أبو بكر في محرم ٦٢٨/ تشرين الثاني ١٢٣٠ انتزاع جزيرة قيس من أمير هرموز ، وبعد ذلك سعى أبو بكر لأن يبسط نفوذه على كافة المناطق التي كان لبني قيصر نفوذ عليها فقام بإرسال عماله إلى جزيرة آوال ليطالبوا حاكمها العيوني بأن يدفع له مثل ما كان يدفعه لبني قيصر سابقاً ولأمير هرموز لاحقاً ، ولكن الأموال التي تجبا في هذه المرة كانت تتم باسم حقوق الخلافة العباسية في بغداد وأن أبا بكر نائب عنه وقد خضع الأمير العيوني لهذه المطالب . ومما يجدر ذكره هنا أن صاحب المخطوطة التيمورية كان من بين موظفي الأتابك الذين كانوا يتولون الإشراف على جباية حقوقه في جزيرة أوال[٦٥] .

على أن الأتابك أبا بكر السلغري لم يكتف بما حصل عليه من العيونيين بل تطلعت نفسه للسيطرة المباشرة على جزيرة أوال ، وربما كان قد حصل على تأييد وتشجيع في خطته هذه من

الأمير عصفور بن راشد ، فأرسل ضدها حملتين بحريتين إحداهما عام ٦٣٠/ ١٢٣٢ ـــ ٣٣ والثانية عام ٦٣٣/ ١٢٣٥ ـــ ٣٦ إلا أن الأمير العيوني محمد بن محمد بن أبي ماجد الذي خلف منصور بن علي في الحكم قد استطاع ببسالة صد هاتين الحملتين[٦٦] .

إننا نميل إلى الاعتقاد أنه في حدود هذه الفترات بالذات قام بنو عامر بالاستيلاء على القطيف مستغلين الظروف الصعبة التي أخذت تمر بها الإمارة العيونية وهي تواجه أطماع السلغريين .

ومهما يكن من أمر فان الأتابك أبا بكر قد أعد حملة بحرية كبيرة عام ٦٣٦/ ١٢٣٨ ـــ ٣٩ اشترك فيها عدد كبير من العرب استطاع من خلالها الاستيلاء على جزيرة أوال وقتل آخر حكام العيونيين الأمير محمد بن أبي ماجد ثم نهبت أمواله وأموال أسرته وتعرضوا لتنكيل شديد وبذلك يكون حكم العيونيين قد زال من جميع بلاد البحرين وأن الأمر الجدير بالانتباه هنا أن وصاف الحضرة قد سكت تماماً عن الحملات الفاشلة التي قادها أبو بكر ضد عرب البحرين كما أنه حدد ذا الحجة من عام ٦٣٣/ آب ١٢٣٥ كتاريخ لاستيلاء أبي بكر على جزيرة أوال ، وعنه أخذ هذا التاريخ جميع الكتاب المعاصرين الذين قد أشاروا إلى هذه الواقعة . إن سبب متابعتهم لوصاف يعود إلى عدم اطلاعهم على ما أورده صاحب المخطوطة التيمورية بخصوص هذه الوقائع والتواريخ التي ذكرناها . لقد رجحنا أقوال الأخير لأنه معاصر للأحداث والتواريخ التي ذكرناها . فهو أحد الموظفين الذين عملوا في جزيرة أوال في خدمة أبي بكر السلغري[٦٧] . في حين أن وصاف قد ألف كتابه سنة ١٣٢٨/٧٢٨ أي بعد حوالي القرن من وقوع هذه الأحداث . ويعطينا وصاف بعض المعلومات المفيدة عن علاقة أتابكة فارس بالخلافة العباسية حيث قال بأنه بعد الاستيلاء على أوال والتي يسمونها البحرين ثبتت في ديوان الخليفة المعتصم بالله ، وفي كل سنة يكتب دخلها وخراجها ويرسل به إلى بغداد مع معتمد الخليفة في أوال ثم يضيف القول أيضاً بأن الأتابك أبو بكر السلغري بعد أن انتهى مباشرة من أوال اعتزم الاستيلاء على القطيف ، إلا أن مناعة تحصيناتها وقوة العرب الذين يحكمونها وكثرة عددهم جعلته يؤجل تنفيذ هذه الخطة لحين استكمال الاستعدادات الضرورية لمثل هذه الحملة[٦٨] . إلا أنه من المحتمل أن لهذا التردد والتأجيل علاقة بالأخطار التي أخذت تهدد بلاده في هذه الفترة من قبل المغول ، بعد أن أخذت هجماتهم تنتشر في مناطق عديـدة من

إيران على الرغم من أنه — وكما يذكر الجويني كان قد سبق له أن أرسل أخاه تهمتن وهو يحمل هدايا ثمينة[٦٩] . إلى أوكتاي (ت ٦٣٩/ ١٢٤١) الذي تولى حكم المغول بعد وفاة جنكيزخان . ومن الواضح أن الأتابك كان بذلك يحاول استرضاء المغول لتحاشي خطرهم عن بلاده .

بعد مرور أكثر من خمس سنوات على استيلاء الأتابك أبي بكر السلغري على جزيرة أوال ، سنحت له الفرصة ، كما يبدو ، لاحتلال بعض موانيء ساحل بلاد البحرين ، ففي ربيع عام ٦٤١/ ربيع ١٣٤٤ جرد حملة كبيرة استطاع بها الاستيلاء على قلعة جزيرة تاروت ، وقتل أكبر شيوخ بني عامر فيها وهو أبو عاصم بن سرحان بن محمد بن عمرو [عميرة] بن سنان والذي كان كما يبدو حاكماً لمنطقة القطيف . إذ أن وصاف قد نعته بأنه كان «من وجوه العرب ومشايخهم ومن أرباب المجد الشامخ والكرم الباذخ»[٧٠] . وكنتيجة للانتصار الذي أحرزه الأتابك في معركة تاروت استطاع الاستيلاء على مدينة القطيف وواحاتها . كانت خطة الأتابك ترمي إلى حكم هذه المناطق حكماً مباشراً ، فوضع لهذا الغرض حاميات عسكرية فيها . إلا أن وجود هذه القوات الأجنبية قد أثار غضب واستياء بني عصفور ، فأخذوا يشنون الهجمات المتكررة ويضايقونها الأمر الذي حمل الأتابك أبو بكر على أن يقوم باستبدال هذه الحاميات كل سنة بغيرها ، ويزيد من دعمها وتقويتها . لكن ذلك كما يبدو لم يخفف الضغط على قواته ومن أزمتها وأعبائها المالية ، لذا فقد لجأ إلى استرضاء العصفوريين بأن أخذ يدفع لشيوخهم اتاوة سنوية مقدارها اثنا عشر ألف دينار مصري ، على أن يكون وقت دفع هذا المبلغ عند جني محصول نخيل واحات القطيف وفي مقابل ذلك يكف العصفوريون عن التعرض للإدارة السلغرية .

ولقد كان بنو عصفور وفي أحايين كثيرة يلجأون إلى التهديد باستعمال القوة كلما شعروا بوجود تلكوء ، من قبل السلغريين في دفع هذه الأتاوة بل أن شيوخ بني عصفور كما يبدو لم يكتفوا بمبلغ الاتاوة السنوية المقررة لهم . إذا يروي لنا وصاف حكاية تعكس بعض متاعب الإدارة السلغرية وهو ينقل ما يرويه عن أحد موظفي الأتابك الذين يعملون في جباية الرسوم في ميناء القطيف .

ومفادها أنه في بعض الأحيان يقوم بعض الشيوخ بإرسال أحد أتباعه إلى موظفي الاتابك

في ميناء القطيف يطالبهم بأن يدفعوا له مبلغاً من المال مع بعض السلع ، وعندما يظهر هؤلاء الموظفون تلكؤا في دفع ما يطلب منهم ، يتم إرغامهم على الدفع عن طريق التهديد باستعمال القوة ضدهم ويضيف وصاف إلى ذلك القول بأن عرب البحرين كانوا ينظرون إلى ما يدفع لهم من أتاوة ، كحق من حقوقهم الثابتة ، وأنها بمثابة الفدية لقاء قبولهم ببقاء الأتابكة في بلادهم .

في ضوء التجربة الصعبة التي مرت بها الإدارة السلغرية في بعض أجزاء بلاد البحرين والتي استمرت لمدة تزيد على العشر سنوات ، ونتيجة للأخطار الخارجية التي أخذت تهدد دولتهم ، وبغية التخلص من بعض هذه الأعباء والاستعداد لمواجهة أخطار محتملة تكون أشد من سابقتها ، قام الأمير أبو بكر بن سعد السلغري بتسليم السلطة في بلاد البحرين للعصفوريين مقابل قيامهم بدفع مبالغ معينة من الأموال سنوياً إلى خزينة الأتابكة في فارس . وقد أورد وصاف ذكر زعيمي بني عامر اللذين تم تسليم السلطة إليهما ، وهما عصفور بن راشد بن عميرة ومانع بن علي بن ماجد بن عميرة ، كما أنه أورد ذكر تسليم القطيف إليهما وسكت عن ذكر جزيرة أوال في حين أننا نجد أن كلا من القاضي أحمد غفاري ومنجم باشيء قد ذكر اسم الأمير عصفور بن راشد فقط . أما المناطق ، التي كانت قد سلمت إليه ، فعندهما انها قد شملت كلا من القطيف والبحرين وعمان (صحار) والحسا[٧١] . ومعنى ذلك أن سلطة إمارة عصفور العامرية قد أخذت تشتمل على كافة بلاد البحرين بما فيها أوال ، إضافة إلى أجزاء من نجد (اليمامة) ومن عمان . ومما يجدر ذكره هنا أن اسم عمان كان قد ذكرها ابن خلدون أيضاً كجزء من ممتلكات إمارة العصفوريين[٧٢] . وأن مؤلفات العصر الوسيط كثيراً ما تطلق عبارة عمان لتعني بها ميناء صحار . لذا فن المرجح أنه قد استعمل هنا بهذا المعنى . ان التاريخ الذي أعطاه وصاف لاستقلال بني عامر بالسلطة في كافة بلاد البحرين هو عام ٦٥٤/ ١٢٥٦ ، وهذا التاريخ يتعارض بعض التعارض مع ما رواه ابن سعيد المغربي — والذي سبقت الإشارة إليه — من أن السلطة في بلاد البحرين كانت في عام ٦٥١ لعصفور وبنيه وأن قاعدة ملكهم هي الحسا . وللتوفيق بين ما رواه كل من وصاف وابن سعيد ، نرى أن هناك احتمالين : فالاحتمال الأول هو أن وصاف ربما لم يكن دقيقاً في هذا التاريخ الذي ذكره حول تسليم السلطة في بلاد البحرين لعصفور بن راشد ، والاحتمال الثاني هو أن رواية ابن سعيد يجب أن تفهم على أن

المقصود بها أن سلطة الشيخ عصفور كانت تشمل على كافة بادية البحرين ، وأن منطقة الاستقرار التي تحت حكمه المباشر هي واحات الحسا فقط ، حيث اتخذ منها قاعدة لنفوذه ، وأن عدم إشارة ابن سعيد لكل من جزيرة أوال والقطيف في روايته ، قد يعني انهما كانتا خارج سلطة الشيخ عصفور . والواقع فأن رواية وصاف حول تسليم القطيف إلى الشيخ عصفور تتضمن الاعتراف بأنه صاحب النفوذ الأول في معظم بلاد البحرين .

بقيت نقطة أخيرة يجدر مناقشتها وهي تتعلق بمدى اتساع نفوذ السلغريين في بلاد البحرين . إذ أن كلا من المستوفي القزويني (ألف كتابه عام ٧٤٠/ ١٣٤٠ وحاجي خليفة (ت ١٠٦٧/ ١٦٥٧) كانا قد ذكرا بأن أبا بكر قد استولى على الأحساء إضافة إلى القطيف وأوال[٧٣] في حين أن وصاف الحضرة والذي كان عصره أقرب لعهد الأتابك أبي بكر من عصرهما ، لم يذكر اسم الحسا ضمن المناطق التي استولى عليها . يضاف إلى ذلك أن ابن سعيد المغربي قد ذكر في روايته التي مرت بنا سابقاً بأنه في عام ٦٥١/ ١٢٥٣ ــ ٥٤ ، كانت الحسا قاعدة نفوذ الشيخ عصفور بن راشد في البحرين ، ومعنى ذلك أنها تحت سلطته قبل التاريخ المذكور وقبل التاريخ الذي حدده وصاف لانسحاب السلغريين من بلاد البحرين .

للتوفيق بين هذه النصوص يمكن القول بأن الحسا لم تخضع لحكم الأتابك بشكل مباشر ، وإنما بقيت تحت حكم الشيخ عصفور والذي ربما كان يعترف بتبعية اسمية للسلغريين .

ومهما يكن من أمر فلا بد لنا أن نشير إلى الأسباب المحتملة التي كانت تكمن خلف انسحاب السلغريين من بلاد البحرين في هذه الفترة وتسليمها إلى الأمير عصفور بن راشد . إذ لا يمكننا أن نعزو ذلك إلى المتاعب العسكرية والمالية التي واجهتهم في حكمها فحسب ، بل يمكن أن تعزى إلى عوامل لا تقل عنها أهمية وهي : أولاً الزحف المغولي المدمر في داخل الأراضي الايرانية بقيادة هولاكوخان . وثانياً ظهور زعيم طموح في الخليج العربي . وهو محمود بن أحمد الكوسي (الكوشي) القلهاتي ، الذي استولى على السلطة في مملكة هرموز التي كانت تشمل على جزء من الساحل الايراني والعماني وأخذ يتطلع إلى توسيع دائرة نفوذه واستطاع أن يتحكم بمدخل الخليج العربي ولا بد أن يكون هذا الزعيم قد أثار مخاوف الأتابك أبي بكر من احتمال قيام تعاون بينه وبين العصفوريين ، يكون الهدف منه مواجهة خصمهم المشترك أبي بكر السلغري وإذا ما علمنا بأن للعصفوريين أسطولاً تجارياً قوياً يمكن أن يستخدم أيضاً في عمليات عسكرية ، مثلما

كان قد سبق للأتابك نفسه أن استعان به في حملاته على جزيرتي قيس وأوال ، لادركنا مدى المخاطر المحتملة التي قد تهدد السلغريين من قيام مثل هذا التعاون .

كل هذه الاحتمالات التي سبق الإشارة إليها ربما كانت تكمن خلف سياسة الأتابك أبي بكر الجديدة التي أخذ يتبعها اتجاه بني عامر وزعيمهم عصفور بن راشد وذلك بفتح صفحة جديدة معهم وتسليمهم السلطة في كافة بلاد البحرين بما فيها جزيرة أوال . وبذلك يكون قد أضعف احتمالات قيام جبهة مشتركة ضده ، كما أنه سوف يتمكن من الاستفادة من جنوده الذين كانوا يرابطون في البحرين في مواجهة الخطر المغولي المحتمل .

قبل أن ننهي الحديث عن علاقة السلغريين ببلاد البحرين ، نرى أنه من المفيد أن نشير إلى النقود السلغرية التي اكتشفتها البعثة الدانماركية في جزيرة البحرين . فقد وجدت قطعة نقدية مصنوعة من الرصاص ، تعود إلى زمن الأتابك أبي بكر إلا أنه غير واضح عليها مكان الضرب أو تاريخه . ويقرر لوويك الذي كتب بحثاً عن النقود المتداولة في الخليج العربي ، بأن هذه العملة لا بد أن تكون قد ضربت في جزيرة البحرين ، فان الأمر ليس مؤكداً بل محتملاً . خصوصاً ونحن قد عرفنا فيما سبق أن البحرين قد استقلت وخرجت من دائرة النفوذ السلغري في عهد أبي بكر . والواقع فان اكتشاف النقود في مكان ما لا يحتم على كل حال أن تكون هذه النقود قد ضربت في المكان الذي اكتشفت فيه . وإذا كانت هذه النقود قد ضربت في عهد السيطرة السلغرية على الجزيرة فمن المفروض أن اسم الخليفة العباسي يجب أن يذكر إلى جانب الأتابك ما دام الأخير يعترف بتبعيته إلى الخلافة العباسية . ولما كان اسم الخليفة غير مذكور على هذه العملة . فمن المحتمل جداً أنها كانت قد ضربت بعد سقوط بغداد أي بعد زوال السيطرة السلغرية عن الجزيرة . الأمر الذي يحملنا على رفض فرضية لوويك من أن هذه العملة قد ضربت في جزيرة البحرين .

لقد اكتشفت أيضاً في جزيرة البحرين نقود مصنوعة من النحاس وهي تحمل اسم أبش خاتون بنت الأتابك سعد بن أبي بكر السلغري (١٢٦٤ — ١٢٨٦) ، وهي آخر حكام السلغريين ، وكان قد تزوج بها منكوتيمور وهو الابن الحادي عشر . لهولاكوخان . كما وجدت أيضاً عملة برونزية تعود إلى السلغريين ، وهي لا تحمل تاريخاً ولا اسم الحاكم الذي ضربت باسمه .

ومهما يكن من أمر فان اكتشاف هذه النقود في جزيرة البحرين ، يدل على وجود صلات كثيرة وربما سياسية أيضاً ما بين إمارة العصفوريين وبلاد فارس[٧٤] .

— ٦ —

علاقة إمارة العصفوريين بمماليك مصر ومغول العراق وإيران

بتدمير المغول لمركز الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦/ ١٢٥٨ ، ثم سيطرتهم على معظم أجزاء إيران والأناضول تكون الحضارة العربية الإسلامية عموماً ، والمشرق العربي خصوصاً قد دخلت مرحلة جديدة وحرجة للغاية ولفترة طويلة نسبياً . فقد كان من نتائج هذا الاحتلال المغولي أن تغيرت الخارطة السياسية لمنطقة واسعة من العالم الإسلامي ، إذ اختفت كيانات سياسية تماماً ، وبرزت كيانات سياسية جديدة ومن هذه الكيانات السياسية التي ظهرت وقدر لها تلعب دوراً مهماً جداً في تاريخ المشرق العربي ، دولة المماليك في مصر . وقد برزت أهميتها السياسية والعسكرية بسرعة بعد نجاحها في سحق الهجوم المغولي على بلاد الشام في معركة عين جالوت عام٦٥٨/ ١٢٥٩ ، ثم نجاحها في توحيد سوريا ومصر في دولة واحدة ، مثلما كانتا في معظم الفترات التاريخية السابقة . كذلك في استمرار تصديها للخطر المغولي ، وتولي دور القيادة في هذا السبيل .

إن تجاور هاتين الدولتين — دولة المغول الأيلخانيين في إيران والعراق ودولة المماليك في مصر والشام — وتصدي إحداهما للأخرى ، أدى إلى أن يقوم بينهما صراع عسكري وسياسي وثقافي واقتصادي لفترة طويلة ، مما دفع كُلاً منهما لكسب الأنصار والحلفاء وحشدهما لمواجهة الطرف الآخر .

إن إحدى القوى المهمة التي توسل كل طرف لكسبها إلى جانبه وزجها في الصراع الدائر بينهما ، هي القوى القبلية ، وذلك لما تتمتع به هذه القوى من أهمية عسكرية واقتصادية ، إذ كانت مساكنها تتاخم أرياف العراق والشام وتتحكم بطرق القوافل التجارية وقوافل الحجاج ومن هذا الموقع يكون بإمكانها أن تقدم خدمة عسكرية واقتصادية لأحد الجانبين أو كلاهما . وقد يكون العكس إذ قد تلحق ضرراً لأحدهما أو كليهما . ومن أبرز هذه القوى القبلية ، آل فَضْل الذين كانوا يبسطون زعامتهم على قبائل طي القوية إضافة إلى قبائل كثيرة كانت منضوية

تحت لوائهم ، فنفوذهم كان يمتد على بوادي الشام وأجزاء واسعة من البوادي الغربية للعراق وكذلك على أجزاء من نجد[٧٥] .

ومن القوى القبلية المهمة أيضاً قبيلتا عبادة وخفاجة أصحاب النفوذ الواسع في معظم غرب ووسط وجنوب العراق . ثم أخيراً قبيلة بني عامر والتي تبسط نفوذها في المنطقة الممتدة من جنوب البصرة حتى عمان الشمالي ، ثم يمتد غرباً إلى أجزاء من نجد .

إن الدارس لموقف هذه القوى القبلية من القوتين الكبيرتين المتصارعتين ، يلاحظ أنها كانت متقلبة في ولائها نحوهما وذلك تبعاً لظروفها وما تأمل الحصول عليه من منافع من كل منهما . فهدف القبائل الذي يهمها قبل كل شيء الحصول على أكبر قدر ممكن من المغانم . إلا أن المماليك كانوا في معظم الأحيان هم الفائزون بولاء هذه القبائل . ومهما يكن من أمر فإننا مَعْنِيُّونَ بالدرجة الأولى بمتابعة علاقة العصفوريين بهذه القوى ، وحديثنا سوف يقتصر عليهم بقدر ما تسعفنا به المصادر .

وقبل كل شيء يجب القول أن المصادر لا تسعفنا لكي نقرر بدقة الموقف الذي اتخذه العصفوريون . من ظهور النفوذ المغولي في كل من إيران والعراق ، بالرغم من أننا نميل إلى الافتراض بأن العصفوريين لم يأسفوا كثيراً لزوال دولة بني العباس وسبب هذا الافتراض أن العباسيين قد كانوا سنداً قوياً للعيونيين الذين كانوا يعترفون بتبعيتهم للخلافة العباسية ولا بد أن زوال الإمارة العيونية على يد الشيخ عصفور قد أدى إلى توتر علاقتهم بالعباسيين ، ولعل ذلك خلق خشية لدى بني عصفور من احتمال انتقام العباسيين ، هذا من جهة ومن الجهة الأخرى فإن الخصم الآخر للعصفوريين وهم السلغريون الذين كانوا قد فرضوا سيطرتهم لفترة محدودة على أجزاء هامة من بلاد البحرين — هم أيضاً أتباع للعباسيين ويعترفون بسيادتهم ، وكانوا قد فرضوا نفوذهم على الخليج باسم الخلافة العباسية . فالغزو المغولي فضلاً عن كونه قد أزال خطر العباسيين عن بني عصفور ، فانه أيضاً قد أدى إلى إضعاف نفوذ السلغريين في الخليج إلى حد كبير . الأمر الذي ربما أدى إلى شعور بني عصفور بنوع من الارتياح ، رغم الأخطار المحتملة على بلادهم من قبل المغول . هذا وكنا قد افترضنا سابقاً بأن إمارة العصفوريين ربما تعزز مركزها الاقتصادي والسياسي بتقاطر سيل المهاجرين من العراق وإيران خصوصاً من طبقة

التجار وأصحاب الأموال الهاربين فزعاً من الخطر المغولي المحيق بهم ، وربما تعزز هذا المركز أكثر بظهور الصراع المغولي المملوكي .

على أن الأمر الذي لا لبس فيه ، هو نشوء علاقة جيدة ما بين بني عصفور وسلطنة المماليك في مصر . فالقلقشندي ينقل عن الحمداني المعاصر لما يرويه قوله ، بأن بني عامر قد (وفدوا على السلطان بالديار المصرية في دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨/ ١٢٥٩ — ٦٧٦/ ١٢٧٧) ، صحبة مقدمهم محمد بن أحمد بن العقدي [العقيدي] بن سنان بن غفيلة [عقيلة] بن شبانة بن عامر ، وعوملوا بأتم الاكرام وأفيض عليهم سابغ الأنعام ، وحظوا بعين الاعتناء[٧٦] . على أنه لدينا ما يدل على أن هذه العلاقة الحسنة قد أصابها بعض الفتور بعد وفاة السلطان بيبرس فبتجدد الصراع على نطاق واسع وفي كافة الميادين بين المغول والمماليك قام آل فضل وآل مرا حلفاء المماليك بمهاجمة عرب البحرين عام ٦٨٤/ ١٢٨٥ — مثلما هاجموا المغول — ونهبوا أموالهم وقتلوا عدداً من رجالهم وكان من بينهم أحد زعمائهم المدعو علي بن ماجد[٧٧] . إن هذا الهجوم على بني عصفور ربما كان قد تم بتوجيه من المماليك لأنهم كانوا قد حالفوا المغول . على أن تطور الأحداث كان قد أرغم الطرفين على إعادة توثيق علاقتهما . فالمغول كانوا قد سعوا لا للتحكم بطرق التجارة البرية عبر أوراسيا فحسب ، بل كانوا راغبين بالسيطرة أيضاً على الطرق البحرية الرئيسية التي تربط البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي بالصين والهند[٧٨] . فقد أرسل الايلخان أرغون ، البوذي المتعصب (١٢٨٤ — ٩١) في عام ٦٨٩/ ١٢٩٠ يطلب مجيء مئتين من الجنويين إلى بغداد على أن يُبْحِرَا في نهر دجلة هذا وقد صادف في الوقت ذاته وجود سبعمائة شخص من الفرنك (من أطني غربي أوربا في بغداد ، وصلوها عن طريق البحر ، معتزمين قضاء فصل الشتاء فيها . فما كان من الايلخان أرغون إلا أن طلب منهم صنع سفينتين من نوع قادرغه (غراب) ، والتي هي من السفن التي تسير بالأشرعة والمجاذيف ، وتستعمل للأغراض التجارية والحربية . ويمكن لكل سفينة من هذه السفن أن تحمل ما بين ١٠٠ — ١٢٠٠ شخص ، أما طولها فيتراوح ما بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ قدم . وكان هدف الايلخان من صنع هذه السفن ، هو لتسيرها في الخليج العربي والبحر العربي لعرقلة المواصلات التجارية ما بين الهند ومصر . إلا أن هذه الخطوة لم يكتب لها النجاح نظراً للنزاع الذي ثار بين الجنويين من بحارة السفينتين ، فانقسموا إلى فئتين متناحرتين ، الأمر الذي أدى إلى استحالة استمرار ابحار السفينتين وتنفيذ الخطة المرسومة[٧٩] لها .

والثاني والذي قد يكون هو الأرجح أن يكون قد تم بتحريض من الملك عز الدين عبد العزيز بن إبراهيم الطيبي (ت ١٣٢٥/٧٢٥) والذي سبق وأن ذكرنا بأنه كان يحكم إقليم فارس ومعظم أجزاء الخليج العربي . وأن العراق العربي بما فيه البصرة كان قد أقطعه المغول لوالده ثم أقطع له أيضاً بعد أن أعقب والده في السلطة . فقيام السلطان أبو سعيد بإقطاع البصرة لآل فضل كان يعني خسارة مادية للطيبيين ، فطرد آل فضل من البصرة من قبل العصفوريين الذين يدينون بالتبعية لعز الدين عبد العزيز ربما قد يرغم السلطان أبي سعيد على إعادة إقطاعها للطيبيين كما كان في السابق .

ومها يكن من أمر فان هجوم العصفوريين على آل فضل في البصرة كان فيه خدمة لكل من المماليك والطيبيين معاً .

على أن العلاقة بين بني عصفور وسلاطين المماليك في مصر قد دخلت مرحلة جديدة من القوة والرسوخ في عهد السلطان الناصر قلاوون والذي تولى السلطنة ثلاث مرات أطولها وأهمها الفترة التي امتدت من ٧٠٩ إلى ٧٤١ — ١٣٠٩ — ٤٠ ، ويبدو أن هذا السلطان كان يدرك أكثر من غيره مدى النفع السياسي والعسكري والاقتصادي الذي يمكن أن تؤديه العلاقة الحسنة مع أمراء العصفوريين . والأدلة التي سوف نوردها تؤكد لنا قيام مثل هذه العلاقة . ويبدو أن أحد أشكال هذا التعاون هو أن يتولى العصفوريون التعرض لقوافل الحجاج العراقيين والايرانيين التي قد تسير تحت راية السلطنة المغولية وذلك لمنعها من تحقيق أي كسب سياسي أو اقتصادي من ذلك . إلا أنه بعد ما تصالح السلطان الايلخاني أبو سعيد مع السلطان الناصر قلاوون قام مباشرة بتسيير قافلة الحج العراقية من البصرة عام ٧٢١/ ١٣٢١ ، قام العصفوريون باعتراض طريق هذه القافلة بألف فارس وأرادوا نهبها . فما كان من المسؤولين عن قيادة هذه القافلة إلا أن سارعوا لابلاغ بني عصفور بأن القافلة قد سيرت بموافقة السلطان الناصر ، وعندما تأكد لبني عصفور الأمر أجابوهم — لأجل الناصر نخفركم بغير شيء — وسمحوا للقافلة بمواصلة السير إلى مكة .

فلما بلغ الأمر السلطان الناصر سر به وبالغ في الإنعام على بني عصفور[٨٣] .

على أن ابن فضل الله العمري يروي لنا ما يدل على قوة العلاقة ما بين العصفوريين

والسلطان الناصر قلاوون إذ يقول «بأن بني عامر قد توالت وفادتهم على الأبواب العالية الناصرية وأغرقتهم تلك الصدقات بديمها ، فاستجلبت الثاني منهم وبرز الأمر السلطاني إلى آل فضل رؤساء بوادي الشام بتسهيل الطريق لوفودهم وقصادهم ، وتأمينهم في الورود والعود ، وانثالت عليه جماعتهم ، وأخلصت له طاعتهم ...» ثم ان ابن فضل الله قد أوضح بأن بني عامر قد استمروا في التردد على مصر بأعداد كبيرة ، حيث قال «فكان لا يزال منهم وفود بعد وفود ، وكان منزلهم تحت دار الضيافة ، لا يزال يسد تلك الرحاب ويغص بقبابه تلك الهضاب ، بخيام مشدودة بخيام ، ورجال بين قعود وقيام» ثم قال «وكانت الإمرةُ فيهم في أولاد مانع بن عصفور إلى بقية أمراء فيهم وكبراء لهم»[٨٤] . وقد ذكر لنا ابن فضل الله بعض أسماء زعماء بني عصفور الذين وفدوا على السلطان الناصر قلاوون عدة مرات والتقى هو بهم ، فذكر منهم هلال بن أبي الحسن العامري العقيلي ، والذي وصفه بأنه من كبار قومه[٨٥] . وكلبي بن ماجد العامري العقيلي ، والذي قابله ابن فضل الله عام (٧٣٢/ ١٣٣١) في مصر وسمع منه بعضاً من شعره ، ووصفه بأنه من أمراء البحرين وأنه ذو وقار وإجلال[٨٦] .

والواقع فإن الجهاز المملوكي المعقد كان يضم في أقسامه ، قسماً خاصاً مهمته متابعة شؤون القبائل . وهذا الدائرة تسمى المهمندارية ، والموظف المسؤول عنها يسمى المهمندار[٨٧] .

كما أن الإدارة المملوكية قد اعتنت عناية خاصة بمراتب رؤوساء القبائل ، فقسمتهم إلى رتب كل بحسب قوته وسعة نفوذه والخدمات المتوقعة منه . وعلى أساس هذه الأهمية ثبت أسلوب مكاتبته والألقاب التي يجب أن تذكر عند مراسلته .

وفيا يخص أمراء بني عصفور ، فبعد أن ضبطت أسماؤهم ، صنفوا إلى ثلاث مراتب . فأصبحت ألقابهم التي ترد في المراسلات معهم على الشكل التالي : فالمرتبة الأولى منهم يخاطبون في الرسائل بالمجلس السامي الأميري . أما المرتبة الثانية فيخاطبون في الرسائل بألقاب مجردة من ياء النسب . كالمجلس السامي الأمير... أما الذين يأتون في المرتبة الثالثة فيخاطبون بلقب مجلس الأمير[٨٨] .

هذا وقد أورد القلقشندي قائمة تتضمن أسماء أمراء بني عصفور ومرتبة كل منهم في سلم المخاطبات السلطانية ، كل حسب أهميته . وسوف نورد هذه الأسماء في الموضع المناسب ،

محاولين الاستفادة منها في معرفة نوع الإدارة في الإمارة العصفورية العامرية .

بقي لدينا إشارة واحدة يجمل بنا ذكرها ، وهي تخص العلاقة ما بين بني عصفور ومغول العراق . فقد ذكر الحسيني (ت ٧٦٥/ ١٣٦٣ ـــ ٦٤) بأنه في عام ٧٥٥/ ١٣٥٤ قام عرب البحرين بمهاجمة البصرة بهدف الاستيلاء عليها ، فتصدت لهم قوات المغول ، إلا أنها عجزت عن صدهم ومنيت بهزيمة . فما كان من حاكم العراق الشيخ حسن الكبير الجلايري ـــ الذي كان قد خلف المغول الايلخانيين بعد انقراض دولتهم ـــ إلا أن استنجد بالأمير فواز بن مهنا الطائي أحد شيوخ آل فضل والمتحالف مع الجلايريين فاستطاع الأمير فواز ايقاع الهزيمة بعرب البحرين من بني عصفور بعد أن قتل من الفريقين عدد كبير[٨٩] .

والذي يبدو لنا أن هجوم بني عصفور على البصرة كان بهدف تعويض خسارتهم الاقتصادية والسياسية باستيلاء ملك هرموز على جزر البحرين وإرغام الأمراء في بقية أجزاء بلاد البحرين على أن يدينوا له بالتبعية ، وهذا ما سوف نشير إليه عند الحديث عن علاقة بلاد البحرين بمملكة هرموز .

يتضح لنا مما سبق بأن سلاطين المماليك في مصر كانوا أوفر حظاً ونشاطاً من المغول في كسب ولاء رؤساء القبائل العربية المختلفة بما فيهم بني عصفور ، وعلى امتداد رقعة جغرافية واسعة كما كانوا أكثر تقديراً للأدوار التي يمكن للقبائل العربية أن تنهض بها في صنع الأحداث .

(٧)
علاقة العصفوريين بالطيبيين حكام فارس وجزيرة قيس

إن الاضطراب في الحياة السياسية والاقتصادية في إيران والذي رافق ظهور المغول فيها ، قد انعكس أثره أيضاً في مناطق واسعة من الخليج العربي ، وكان من أبرز نتائج ذلك ضمور بعض القوى السياسية فيه وانكماش حجمها وظهور قوى جديدة نشطت لملء الفراغ في المنطقة . ففي حدود عام ٦٤٢/ ١٢٤٤ ـــ ٤٥ قام الأمير محمود بن أحمد الكوسي القلهاتي ـــ الذي ينحدر من أصل عربي ، كما تذكره الشاهنامة ـــ بالاستيلاء على السلطة في مملكة هرموز[٩٠] لينهي بذلك السلالة الحاكمة القديمة ويؤسس سلالة جديدة أخذت تلعب دوراً خطيراً في الحياة

السياسية والاقتصادية للخليج العربي لفترة طويلة . لقد تطلعت نفس هذا الأمير الطموح لبسط نفوذه على كافة سواحل الخليج العربي والبحر العربي ، فقام في العقد السابع من القرن السابع/ الثالث عشر ، بقيادة حملة بحرية وبرية كبيرة هدفها إخضاع عمان الداخل . إلا أن هدفه هذا سرعان ما اصطدم بمعارضة من قبل أمراء عمان الداخل من النبهانيين ، مما جعله يغير في إتجاه حملته ويوجهها نحو ظفار التي كانت تحكمها أسرة الحبوضيين . وقد شن هجوماً بحرياً عليها بعد أن جند عدداً كبيراً من العرب وفتك بأهلها ونهبها نهباً ذريعاً وانسحب بعدها عائداً إلى قاعدته قلهات . إلا أن هذا النصر الذي أحرزه الأمير محمود القلهاتي لم يمر دون أن يدفع ثمنه غالياً . فقد تاهت قواته في الصحراء وهي في طريق عودتها براً إلى مواطنها ، فمات عدد كبير من أمراء هذه القوات جوعاً وعطشاً . أما بقية أفراد هذه الحملة والتي تركت كحامية في قلهات ومعها عدد من السفن ، فقد تعرضت هي الأخرى لهجوم شنه عليها رجال قبيلة بني جابر ، فأبادوها وأحرقوا سفنهم الراسية في الميناء . ولقد قدرت المصادر العمانية عدد الذين كانوا قد هلكوا من أفراد هذه الحملة بخمسة آلاف رجل[٩١] .

ولقد أخطأ ولكنسون حينما ذكر بأن أمير هرموز محمود بن أحمد القلهاتي كان من بين الذين هلكوا في هذه الحملة[٩٢] ، إذ أن الأمير القلهاتي قد عاش فترة غير قصيرة بعد هذه الحملة .

إن هذه النكبة التي أصيبت بها قوات الأمير محمود القلهاتي لم توقف طموحه للسيطرة على مناطق الخليج العربي ، فقد قام في حدود عام ٦٧٠/ ١٢٧١ بحملة بحرية ضد جزيرة قيس إحدى أهم المراكز التجارية في الخليج — وتمكن من الاستيلاء عليها . كما تمكن في حدود هذا التاريخ من إخضاع جزر البحرين والقطيف .

ويعدد لنا الشبانكاري (ألف كتابه في حدود عام ٧٤٣/ ١٣٤٢ — ٤٣) ونطنزي (ألف كتابه في حدود ٨١٦/ ١٤١٣) المناطق التي كان قد أخضعها الأمير محمود بن أحمد القلهاتي لسيطرته ، بأنها قد شملت كل من ظفار وقلهات وقيس والبحرين والقطيف وتزوين[٩٣] ، وأن نفوذه أخذ يمتد من الهند حتى البصرة[٩٤] .

والذي يبدو لنا أن الأمير محمود قلهاتي لم يتمتع بنفوذه طويلاً في جزر وسواحل بلاد البحرين ، إذ أن اتساع سلطته كان يتهدد مشاريع المغول الاستراتيجية في السيطرة على طرق

التجارة ما بين المحيط الهندي والبحار العربية ، لذا فقد قام الحاكم المغولي لبلاد فارس سوغونجاق ببناء أسطول في خورسيف عند سواحل فارس وهاجم به أساطيل أمير هرموز عام ٦٧١/ ١٢٧٢ . إلا أن هذه الحملة منيت بهزيمة كبيرة ، فما كان من سوغونجاق إلا أن عاود الكرة مرة أخرى وقام باستعدادات أكبر ، فبنى سفناً جديدة كما صادر سفن بني عصفور ورعاياهم من سواحل وجزر بلاد البحرين واستطاع بذلك تحقيق النصر على أسطول الأمير محمود القلهاتي وتعقبه حتى قلهات .

إن البرفسور أوبين يبدي شكوكه في الرواية القائلة بأن الأمير القلهاتي كان قد استطاع إخضاع جزر البحرين والقطيف . فهو يرى بأنه من غير الممكن لأمير هرموز بعد الهزيمة التي حاقت بأسطوله أمام أسطول المغول أن يستطيع السيطرة على هذه الأجزاء[٩٥] .

إلا أننا نقول بأنه ليس هناك من مصدر يشير بأنه قد تم للأمير محمود القلهاتي بسط نفوذه على جزر وسواحل بلاد البحرين بعد هزيمته أمام المغول . ان الأكثر قبولاً أن يقال بأنه يستبعد على أمير هرموز أن يحتفظ بسلطته على بلاد البحرين بعد هذه الهزيمة ومهما يكن من أمر فإن الفترة التي سيطر فيها أمير هرموز على بلاد البحرين ربما كانت قصيرة جداً .

ومما هو جدير بالذكر أن النبهاني قد ذكر بأن جزر البحرين كانت قد خضعت لحكم المغول مباشرة بعد زوال سلطة السلغريين ، من دون أن يبين سنده التأريخي في ذلك[٩٦] . ولقد تابعه في ذلك آخرون ممن نقل عنه دون أدنى تمحيص . ان الأدلة التي أوردناها أو التي سوف نوردها تضعف هذا التصور إلى حد كبير . ويمكن أن نوضح ابتداء بأن جزر البحرين يصعب إخضاعها بالقوة إلا لمن يملك قوة بحرية ضاربة في الخليج العربي . وحيث أن المغول لم تتوفر لديهم مثل هذه القوة لذا فإن فرض سيادتهم عليها أمر مشكوك فيه إلى حد بعيد .

ومهما يكن من أمر فإن ما لدينا من أدلة تكفي للقول بأن العصفوريين كانوا في هذه الفترة يتمتعون بسلطة كاملة في بلاد البحرين وأنهم أقاموا علاقة حسنة مع السلطان المملوكي الظاهر بيبرس على الرغم من العداء القائم بين هذا السلطان والمغول في العراق وإيران . أما بخصوص ظفار فان الحبوضيين كانوا أصحاب السلطة الواسعة فيها كما كانوا أصحاب النفوذ الأقوى في حضرموت أيضاً إلى الحد الذي جعلهم يتحدون الدولة الرسولية في اليمن . ومما هو جدير بالذكر

أن كلا من ظفار والبحرين هي من المناطق التي ذكرتها المصادر بأنها كانت خاضعة للأمير محمود القلهاتي .

لقد كانت هناك صلات قوية ما بين العصفوريين في البحرين والحبوضيين في ظفار وحضرموت خلال هذه الفترة ونستدل على ذلك من أنه عندما قام سلطان اليمن المظفر الرسولي عام ٦٧٨/ ١٢٧٩ بإرسال حملة ضد ظفار الحبوضي ، ووصلت هذه القوات إلى ظفار ، سرت إشاعة مفادها ان قوات بلاد البحرين قد وصلت لنجدة الحبوضيين مما أثار مخاوف القوات اليمانية . وبالرغم من أننا لا نملك معلومات كافية عن مدى صحة هذه الإشاعات التي راجت في حينها ، إلا أن مجرد انتشارها يعكس في الواقع وجود الصلة المتينة ما بين ظفار الحبوضي وحكام البحرين . على أن موقف أمراء بني عصفور من ظفار سرعان ما تغير بعد أن نجح سلطان اليمن في إنهاء حكم الحبوضيين فيها . فالخزرجي مؤرخ الدولة الرسولية ، يذكر بأنه «لما افتتح السلطان مدينة ظفار وقتل سالم بن ادريس ارتعدت الأقطار القصية هيبة للسلطان وامتلأت من خوفه قلوب ملوك فارس وأصحاب الهند والصين ... فأرسل صاحب عمان بهديته ... ووصلت هدايا صاحب الصين ، ووصل صاحب البحرين إلى زبيد[٩٧] ..» إن كل ما نستطيع قوله مع كثير من التحفظ هو أنه في أواخر القرن السابع/ الثالث عشر ارتبطت بلاد البحرين بنوع من العلاقة الغير مباشرة بالمغول . إذ أنه في عام ١٢٩٣/٦٩٢ أقطع الايلخان كيخاتو (٦٩٠/ ١٢٩١ ــ ٦٩٤/ ١٢٩٥) سلطان العراق وإيران ، إقليم فارس بما فيه جزيرة قيس إلى تاجر عراقي اسمه جمال الدين إبراهيم بن محمد الطيبي الملقب بابن السواملي[٩٨] لمدة أربعة أعوام . وإبراهيم هذا كان قد استطاع أن يجمع له ثروة طائلة من تجارة اللؤلؤ والخيول ومن احتكار التجارة ما بين الخليج العربي والمحيط الهندي وامتلك ما يقرب من مائة سفينة . فهو في عرف ذلك الزمان من أصحاب الملايين . ولقد حصل جمال الدين إبراهيم الطيبي من الأيلخان المغولي على كل امتيازات الحاكم المستقل ، فقد منح لقب ملك الإسلام وأن تضرب له النوبة في بابه ثلاث مرات[٩٩] .

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المقصود بالاقطاع الذي منحه الايلخان كيخاتو إلى جمال الدين إبراهيم الطيبي ليس شبيهاً بالاقطاع الأوربي أو الإقطاع الحربي ولا يقابل كلمة FIEF بل ان المقصود به هو التفويض لشخص ما بإدارة إقليم من الأقاليم إدارة شبه مستقلة مقابل

(٧) M. B. Rowton. Autonomy and Nomadism in Western Asia, **Orientalia,** Vol. 42, Nova Series Fasc. 1, 2, Rome 1973) PP. 247-58 esp. 253-4.

لمن يريد من الباحثين أن يتعرف على الدراسات الأخرى لروتون عن القبائل ودورها في تاريخ العراق والبحرين منذ القدم حتى العصر الحديث عليه مراجعة الأبحاث التالية لنفس الكاتب.

Urban Autonomy In a Nomadic environment, J. of Near Eastern Sts. No. 1 and 2 (1973) pp. 200-15, Enclosed Nomadism, **JEsho,** Vol. x III/i, PP. 1-30.

(٨) حول عقيل وبطونها ومواطن سكناها راجع الحسن بن عبدالله الأصفهاني (ت حوالي ٣١٠) ، **بلاد العرب** ، تحقيق حمد الجاسر وصالح أحمد العلي ، (الرياض ، ١٩٦٨) ، ٣ — ١١ ، ابن حزم (ت ٤٥٦) **جمهرة أنساب العرب** (القاهرة ١٩٦٢) ، ٢٩٠ — ٩٢ ، ٧٨٢ ، وابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون جـ٢ (بيروت ١٩٦٦) ، جـ٦ (بيروت ١٩٦٨) ، ٢٤ — ٢٥ ، القلقشندي ، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب** (القاهرة ١٩٥٩) ، ٧٥ ، ١٠٦ ، ٢٤٦ ، ٣٣٠ ، ٣٦٦ . نظراً لكثرة الأخطاء في هذه الطبعة يستحسن مقارنتها بالنسخة المطبوعة في بغداد عام ١٩٥٨ بتحقيق علي الخاقاني . راجع أيضاً لنفس المؤلف **صبح الأعشى** (القاهرة ١٩١٤) ، ٢٠٤/٤ . **قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان** (القاهرة ١٩٦٣) ٧٦ — ٧٧ ، ١١٩ — ٢١ ، عبد الستار الحسني نظرات في نهاية الأرب للقلقشندي ، **مجلة البلاغ** ، ٦/٢ (١٩٧٦) . ٦٣— ٧١ . خاشع المعاضيدي ، **دولة بني عقيل في الموصل** (بغداد ، ١٩٦٨) ، ٢٧ — ٣٠ .

H. C. Kay, Notes on the History of the Banu Okayl, JAS, Vol. XVIII, 1886, PP. 491-526.

لقد اعتمد كي في بحثه على ابن خلدون بشكل رئيسي .

(٩) الأصفهاني ، **بلاد العرب** ، ٣ — ١١ .

G. Rentz, art. "Katif", EI2

(١٠) الهمداني (ت ٣٣٤/٩٤٥ — ٤٦) **صفة جزيرة العرب** ، (القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٣) ، ١٣٦ — ٣٧ ، ١٦٩ وكذلك أنظر عبد الرحمن عبد الكريم النجم . **البحرين في صدر الإسلام** (بغداد ١٩٧٣) ، ٤١ — ٤٤ .

(١١) ابن الأثير ، الكامل (القاهرة ١٣٥٣) ٩٣/٦ ، تاريخ **ابن خلدون** ، ١٩٥/٤ ، ٢٨/٦ ، ٦٣ : ثابت بن سنان ، **تاريخ أخبار القرامطة** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ١٤ ، ٧١ ، ١١٠ .

(١٢) حول هجمات قرامطة البحرين هذه ، راجع **ابن الأثير** جـ٦ ، جـ٧ ، **ابن خلدون** ١٨٨/٤—٩٤ .

(١٣) أنظر على سبيل المثال **ابن خلدون** ٢٥/٦ ، عبد الجبار ناجي ، **الامارة المزيدة** (البصرة ١٩٧٠ ٣٥—٤٢ ، الدكتور جعفر خصباك ، **العراق في عهد المغول الايلخانيين** ، بغداد ١٩٦٨) ١٧٣ — ١٧٧ ، يذكر **ابن الأثير** ١٢٣/٧ ، أنه في سنة ٣٦٤ تقلد أبو طريف عليان بن ثمال الخفاجي حماية

الكوفة وهي أول إمارة بني ثمال .

(١٤) ابن الأثير ١٣٦/٧ ، ١٦٥ ، ٢٢٤ (في حوادث ٣٧٨ و٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٢٩٤) : ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٤/٧ .

(١٥) **تاريخ ابن خلدون** ٦٤٧/٢ — ٤٨ ، ٢٤/٦ — ٢٥ .

(١٦) نفس المصدر ٢٨/٦ .

(١٧) ابن خلدون ٢٤/٦ — ٢٥ ، ٦٣ .

(١٨) يرد هذا الاسم في **تاريخ ابن خلدون** بصور ثلاث ، فتارة بني أبي الحسن (٤٦٨/٢) وتارة أبي الحسين الأصفر بن تغلب (٢٥/٦) وأخرى بنو الأصغر بن تغلب (١٤٢/٦) ، وكذلك **قلائد الجمان** ، ١٢٠ . ولا شك أن المقصود بهذا هو الأسرة العيونية التي تنحدر من أحد بطون عبد القيس أي أبناء محمد بن أبي الحسين بن عبدالله علي العيوني . كما أنه من المحتمل أن بني الحسن ربما قصد بهم أولاد أبي الحسن علي بن مسمار زعيم عبد القيس الذي انتزع منه القرامطة القطيف . إلا أن هذا الاحتمال الأخير ضعيف ، أنظر محمد بن عبدالله العبد القادر ، **تحفة المستفيد بتاريخ الاحساء في القديم** ، (الرياض ١٩٦٠) ٢٥٦/١ ، **صفة جزيرة العرب** ، ١٣٦ . أما إطلاق اسم بنو الأصفر بن تغلب فهو نوع من التخليط ، إذ لا نعرف ظهور أسرة بالبحرين بهذا الاسم وكل ما نعرفه استناداً إلى ما ذكره ابن الأثير ، بأن زعيم المنتفق المسمى الأصفر قد قام بمهاجمة البحرين عام ٣٧٨/ ٩٨٨ ونهب القطيف ونظراً لانتشار بني المنتفق ما بين البصرة والبحرين وغموض تاريخ البحرين حدث هذا التداخل في الأسماء والإحداث . راجع **الكامل جـ٧** (القاهرة ١٣٥٣) ١٣٩ . أما الأصفر التغلبي الذي ذكره ابن الأثير في حوادث عام ٤٣٩ في رأس العين ، وجمع حوله أتباع كثيرين وادعى بأنه مرسل ، فقد تم إنهاء حركته هذا وقد ذكره ابن خلدون أيضاً ١٩٦/٤ فلا نرى له أية صلة بالبحرين .

(١٩) **تاريخ ابن خلدون** ٢٤/٦ — ٢٥ ، ٦٣ .

(٢٠) أنظر **قلائد الجمان** ، ١٢١ .

(٢١) ابن خلدون ، **تاريخ ابن خلدون** (بيروت ١٩٦٨) ١٩٥/٤ — ٩٦ ، القلقشندي ، نهاية الأرب ٩٦٦ ، قارن ذلك مع ما ورد في طبعة بغداد ، ٣٣٨ ، أنظر أيضاً القلقشندي ، **قلائد الجمان** ، ١١٩ — ١٢٠ .

(٢٢) ابن خلدون ١٩٥/٤ .

(٢٣) ابن الأثير ١٣٦/٧ : قارن ذلك بما جاء في ابن الجوزي ، المنتظم ١٧٠/٧ .

(٢٤) ن . م ٣٢٥/٦ ، ٣٤٠ : ابن مسكويه ، (ت ٤٢١/ ، تجارب الأمم) ، (القاهرة ، ١٩١٥) جـ٢/ ١١٢ ، ١٤٤ ابن الجوزي ، المنتظم ٣٦٨/٦ .

(٢٥) ن . م راجع ٦٥/٧ (حوادث ٣٨٤) ، (حوادث ٣٨٥) ٢٢٤ (حوادث ٣٩٤) هذا وقد توفي

الأصغر أو الأصيفر المتوفي عام ١٤٠٩ أو عام ١٠٤١ أنظر الكامل ٣٠٣ : تاريخ هلال الصابي ، ذيل على تجارب الأمم (القاهرة ، ١٩١٩) هامش ٣ ، ص ٤٠٩ .

(٢٦) **سفرنامة** (بيروت ٩٧٠) ، ١٤٥ ترجمة يحي الخشاب .

(٢٧) محمد بن خليفة النبهاني ، **التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية** (القاهرة ١٣٤٢ ط٢) ٩٣ — ٩٤ كذلك أنظر ، **تحفة المستفيد** .

(٢٨) **التحفة النبهانية** ، ٩٤ — ٩٥ ، **تحفة المستفيد** ، ٩٨/١ — ١٠٠ ، ٢٥٤ .

(٢٩) J. M. de Goeje, **Lafin de** Empire des Carmathes dus Bahrain, J. A. 1895, lx Serie, 1-30 Quoted in Caskel, Eine Unbekannte Dynastie in Arabien" **Oriens,** 2, 1949, 66-71, eap. 70.

ومما هو جدير بالذكر هنا أن عبد الفتاح الحلو الذي حقق ديوان ابن المقرب لم يطلع عند تحقيقه الديوان على مخطوطة دي غويه أو على بحثه المذكور أعلاه . وحول نظام الحماية راجع .

CL. Cahen, art, "Himaya", EI2.

(٣٠) **التحفة النبهانية** ، ٩٦ — ٩٨ ، **تحفة المستفيد** ، ٩٨/١ — ١٠٠ ، ٢٥٩ — ٦٠ ، وحميد بن رزيق ، **الفتح المبين** ، (القاهرة ١٩٧٧) ٢٣٨ — ٣٩ .

(٣١) ن . م وكذلك **تحفة المستفيد** ١٠١/١ ، ١٦١ ديوان **ابن المقرب** (القاهرة ١٩٦٣) هامش ص ص ٥٣٣ .

(٣٢) المصدر السابق (القاهرة ، مطبعة الاستقامة ، ب . ت) ١٥٣/٨ ومما هو جدير بالذكر هنا أن ابن الأثير قال بأن الرجل الذي حرض زعيم بني عامر على مهاجمة البصرة قال له فيا قال (لقد فعل أجدادك بالحاج كذا وكذا وأفعالهم مشهورة مذكورة في التواريخ . إن هذا لدليل على أن بني عامر في ظل القرامطة كانوا يقومون بهذا العمل راجع أيضاً الذهبي/ **دول الإسلام** (القاهرة ١٩٧٤) ١١/٢ . ومما هو جدير بالذكر أن البرفسور بوزورث قد وصف هؤلاء المهاجمين بأنهم قرامطة البحرين ، وهذا ما لم يقله ابن الأثير الذي كان مصدره في هذه الواقعة ، إذ أن القرامطة قد انتهى أمرهم في تلك الجهات قبل هذا التاريخ . أما إذا كان بوزورث قد قصد بأنهم كانوا على مذهب القرامطة فهو أمر يصعب قبوله أيضاً . راجع .

C. E. Bosworth "The political dynastic history of the Iranians World, 1000-1217" PP. 1-202, esp. 99.
In **the Cambridge History of Iran,** Vol. 5, Cambridge, 1968.

(٣٣) جزيرة العرب في نزهة المشتاق تحقيق إبراهيم شوكة ، م . **المجمع العلمي العراقي** م/٢١/١٩٧١ ص ٥٠ .

(٣٤) **ديوان ابن المقرب** ، ٦٤٦ — ٤٧ .

(٣٥) **ديوان ابن المقرب** ، ١١١ — ١١٢ ، هامش ص ٥٤٦ — ٤٧ أنظر كذلك .
Caskel, op. Cit. 70.

(٣٦) **تاريخ ابن خلدون** ٥٣٠/٣ الكامل ، ٢١٩/٩ : **تحفة المستفيد** ، ١٠٤ .

(٣٧) Quoted in M. B. Rowton. The Role of Water Courses in the Growth of mesopotamian Civilization, **Alter Orient und Altes Testament.** Bd. 7. 1969, 307-16.

(٣٨) **ديوان ابن المقرب** ، ٢٠٢ .

(٣٩) **تحفة المستفيد** ٢٦٨ .

(٤٠) نفس المصدر ١٠٧ ، ٢٦٩ .

(٤١) ن. م. ، ١٠٧ — ٨ ، ٢٥٢ ، ٢٦٩ .

(٤٢) **ديوان ابن المقرب** ٤٥٦ — ٤٦٥ .

(٤٣) **ديوان ابن المقرب** ٦٣٨ — ٣٩ : **تحفة المستفيد** ، ٣١٣ .

(٤٤) الكثيب طرف الاحساء الجنوبي ، والعيون طرفها الشمالي . المحاديث من أرض العيون وحلوان مكان بين الاحساء والقطيف .

(٤٥) الخط . هي القطيف . صفواء طرفها الشمالي ، الظهران طرفها الجنوبي .

(٤٦) وأمض شيء ، أوجعه . المروزان وكرزكان قريتان في جزيرة أوال .

(٤٧) **التحفة النبهانية** ، ٩٨ ، **ديوان ابن المقرب** ، ٥٠٥ وللاطلاع على تفصيل أكثر راجع تحفة المستفيد ١٠١/١ ، ١٠٨ — ٩ ، ٢٥٣ .

(٤٨) **صفة بلاد اليمن** أو تاريخ المستبصر ، ٢٠١ .

(٤٩) **تحفة المستفيد** ١١٢ — ١١٤ . **ديوان ابن المقرب** ٦٣١ — ٦٤١ .

(٥٠) **تحفة المستفيد** ١١٣ ، ١١٦ — ١٨ ، ٢٥٣ .

(٥١) ن. م. ١١٨ .

(٥٢) حول هذا المخطوط أنظر **تحفة المستفيد** ملحق رقم ٣ ، ٢٥٠ — ٥٤ . خصوصاً صفحة ٢٥٣ .

(٥٣) ابن المجاور ، **صفة بلاد اليمن أو تاريخ المستبصر** ، (ليدن ١٩٥١) ص ٢٨٨ .

(٥٤) حول حياة منجم باشي ومؤلفاته راجع .

S. A. Hasan, Munejjim Bashi, Turkish Historian of the Sljugids of Iran, Islamic Studies, Vol. 2, (1963) PP. 457-66.

(٥٥) أحمد أفندي الملقب منجم باشي ، جامع الدول (مخطوط) ، ٤١٨ ، (المكتبة السليمانية) ، مجموعة أسعد أفندي الرقم ٢١٠١) — للورقة ٦٤٧ .

(٥٦) **تحفة المستفيد** (ملحق ٣) ٢٥٣ .

(٥٧) وصاف الحضرة عبدالله بن فضل الله الشيرازي ، **تاريخ وصاف المسمى تجزية الأمصار وترجية الأعصار (بوبي ١٢٦٩) أعيد طبعه في طهران ١٣٣٨) جلددوم ، ١٧٩ .**

(٥٨) أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي — **كتاب الجغرافيا** — (بيروت ، ١٩٧٠ ، ١٨ — ١٣١ .

(٥٩) **تاريخ ابن خلدون** ١٩٦/٤ — ٩٧ ، **قلائد الجمان** ، **٢٠** ، نهاية الأرب ١٠٦ .

(٦٠) **صبح الأعشى** (القاهرة ١٩١٥) ٦٠/٥ .

(٦١) تاريخ ابن خلدون ٦٤٨/٢ — ٤٩ ، ٢٥/٦ ، قلائد الجمان ، ١٢١ : نهاية الأرب ، ٣٣ .

(٦٢) المصدر السابق ٢٥/٦ .

• لقد استعمل الشيخ النبهاني تسمية الزنجيين لأتابكة فارس بدلاً من الاسم الشائع في المصادر التاريخية وهو السلغريون نسبة لجدهم سلغر التركماني الذي كان حاجباً لسلطان السلاجقة في العراق طغرل الأول . ولقد تابع النبهاني في تسميته هذه من نقل عنه دون أدنى تمحيص . بل أن هذه التسمية قد أدت بالبعض من هؤلاء إلى الوقوع في خطاء شنيع ، إذ تصوروا أن السلغريين هم من الزنج الذين كانوا قد ثاروا في جنوب العراق وحكموا البصرة في النصف الثاني من القرن الثالث/ القرن التاسع .

(٦٣) **تحفة المستفيد** (ملحق ٣) ٢٥٣ ، وصاف ، جلد أول ١٧٦ — ٧٧ قاضي أحمد غفاري قزويني ، **تاريخ جهان أرا** (تهران ١٣٤٣ شمسي) . ١٢٦ — ٢٧ . ومن الجدير بالذكر أن القاضي غفاري قد ذكر اسم جمشيد كآخر ملوك بني قيصر وتابعه في ذلك منجم باشيء الورقة ٦٤٦ ، وهذا يخالف ما ذكره **وصاف الحضرة** الذي لمعلوماته عن بني قيصر أهمية خاصة . لذا رجحنا روايته : عباس إقبال ، المصدر السابق ، ٣٣ أنظر أيضاً .

Jean Aubin, Les Princes D' Ormuz Du XIII' Au XV' Siecle, Journal Asiatique, Vol. 241 (1953), PP. 77-137, esp. 81.

(٦٤) **تحفة المستفيد** ، ٢٥٣ ومن الجدير بالذكر هنا أن اسم أمير هرموز يرد في المصادر بصور متعددة فتارة سيف الدين أبو المظفر أبو نصر وتارة أخرى أبو النظر أو أبو النضر .

(٦٥) آثار البلاد (بيروت ١٩٦٩) ٢٤٣ ، **تاريخ جهان أرا** ١٢٦ — ٢٧ ، جامع الدول ، ورقة ٦٤٦ ب — ٦٤٧ — عباس إقبال ٣٣ — ٣٤ .

Aubin, Op. Cit. 18

ومما هو جدير بالذكر هنا أنه في عام ٦٣٢/ ١٢٣٤ — ٣٥ ، كان قد وصل بغداد كل من أمير البحرين محمد بن محمد عن طريق البر ، وأمير هرموز (أبو النظر) عن طريق نهر دجلة ومعهم عدد كبير من الأتباع . ولا بد أن يكون حضورهما لغرض الحصول على الدعم المادي والأدبي من الخليفة المستنصر ضد الأتابك أبو بكر السلغري وضد العصفوريين راجع ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، القاهرة ١٣٢٩ . مجلد ٤ ص ٤١ .

(٦٦) **تحفة المستفيد** ٢٥٣ — ٢٥٤ .

(٦٧) **تحفة المستفيد** ٣٥٤ ، **وصاف** ، جلد دوم ١٧٩ ، عباس إقبال ٣٤ — ٣٥ ، **التحفة النبهانية** ، **٩٩**

ـــ ١٠٠ راجع أيضاً .

Rentz & Mulligan, art, "al-Bahrayn", EI², Aubin, Op. Cit, 81.

(٦٨) وصاف ، ١٧٩ .

(٦٩) Ata-Malik Juvaini, **The History of the World Conqueror**, Translated by j. a. Boyle (Manchester, 1958), Vol. 1, 234.

وأيضاً ، منجم باشيء المصدر السابق ورقة ٦٤٧ .

(٧٠) **وصاف** . جلددوم ، ١٧٩ .

(٧١) وصاف ، جلددوم ، ١٧٩ ، **تاريخ جهان أرا** ، ١٢٦ ـــ ٢٧ **جامع الدول** ، ورقة ٦٤٦ ـــ ٤٧ ، عباس إقبال ، ٣٥ . لقد ذكر رنز بأن عام ١٢٥٣/٦٥١ هو تأريخ انسحاب السلغريين من جزيرة البحرين واستقلال العصفوريين بها وهو بذلك يكون قد اعتمد على ما رواه ابن سعيد المغربي .

راجع . art, "al-Bahrayan" EI²

(٧٢) راجع رواية ابن خلدون في السابقة .

(٧٣) حمد الله مستوفي قزويني ، **تاريخ كزيدة** نشرة بروان (لندن ١٩١٠) ، ٥٠٧ ، حاجي خليفة (كاتب جلبي) **فذلكه أقوال الأخبار في علم التاريخ والأخبار** . مكتبة بايازيد ، مخطوط رقم (١٠٣١٨) ورقة ١٣٨ .

(٧٤) حول النقود في الخليج العربي ، في العصر الوسيط راجع :

Nicholas M. Lowick, Trade Patterns on the Persian Gulf in the light of Recent Coin Evidence" In **Near Eastern Numismatic, Iconography, Epigraphy and History**, ed Dickrank Kouy mijian -- 319-33, (Beirut, 1974).

(٧٥) للاطلاع على الدراسات الحديثة المتعلقة بآل فضل .

د . جعفر خصباك ، المصدر السابق ، ١٦٨ ـــ ٧٧ ، د . محمد صالح القزاز ، **الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية** (النجف ١٩٧٠) . ٣٢٦ ـــ ٤٣ ، د. مصطفى الحياري ، **الإمارة الطائية في بلاد الشام** (عمان ، ١٩٧٧) ، وأخيراً فايد حمادي عاشور ، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى (القاهرة ١٩٧٦) .

(٧٦) نهاية الأرب ، ١٠٦ .

(٧٧) محي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢/ ١٢٩٣) **تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور** (القاهرة ١٩٦١) ، ١١١ .

(٧٨) Yajima, **The Arab Dhaw Trade**, v3«**Pani-nan Rashid Wa, The Fall of Baghdad and**
(٧٩) **the Mongol Rule in Al-Iraq**, 1258-1335 Unpublished Disscrtation for Ph. D. Univ. of Utah, 1974, 133-34.

لقد اعتمد المؤلف الصيني رشيد ووكثيراً على كتاب الأستاذ جعفر خصباك ونقل عنه معظم أفكاره وسايره في تبويب أطروحته . إلا أنه مما يميز هذه الأطروحة أن المؤلف قد استعمل المصادر الصينية في كتابة تاريخ العراق وأثار قضايا كثيرة كانت لحد الآن من القضايا المسلم بها . وقد رفض الفكرة القائلة بأن المغول قد دمروا الاقتصاد العراقي وموارده ومنها مشاريع الري والتجارة الخارجية . وفي مكتبتي نسخة مصورة من هذه الأطروحة .

(٨٠) المقريزي (ت ٨٤٥/١٤٤١) **السلوك في معرفة دول الملوك** (القاهرة ، ١٩٦٨) ، ٧٤٢/١ .
Subhi Labib "Egyptian Commercial Policy In the Middle Age" In **Studies in the Economic History of the Middle East,** ed. M. A. Cook, (London, 1970), 63-77, esp. 69.

(٨١) أبو الفدا ، **المختصر في أخبار البشر** ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ٨١/٤ وابن عنبة ، **عمدة الطالب في أنساب أبي طالب** ، النجف ١٩٦١ ، ١٤٣ — ٤٤ المقريزي ، **السلوك** ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ٥٣٣/٢ .

(٨٢) **المختصر في أخبار البشر** ، ٨٣/٤ — ٤ .

(٨٣) المقريزي ، **السلوك** ، ٢١٤/١ — ١٥ .

(٨٤) عن القلقشندي ، **نهاية الأرب** ، ١٠٦ ، **تحفة المستفيد** ، ١١٩ . ومن الجدير بالذكر هنا أن السيد نوري عبد الحميد العاني قد خلط بين زعيم المنتفق مانع بن شبيب وبين زعيم بني عامر مانع بن عصفور لذا فقد فسر قول العمري «بأن الأمرة في أولاد مانع على أن المقصود به مانع شيخ المنتفق وبأنه إشارة إلى حكام البصرة وهذا خطأ ، واضح . راجع **العراق في العهد الجلايري** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٧٦ .

(٨٥) ابن حجر العسقلاني ، **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة** القاهرة ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٨/٥ .

(٨٦) ن. م. القاهرة ، ١٩٦٦ ، ٣٥٤/٣ .

(٨٧) المهمندار ، كلمة فارسية الأصل تتكون من مقطعين الأول مهمن ومعناها الضيف ، والثاني دار وتعني الشخص الذي يستقبل الضيف .

(٨٨) راجع حول ذلك ، **صبح الأعشى** ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٤٤٧/٥ — ٤٨ . ١٣٧٠/٧ — ٧١ .

(٨٩) الذهبي والحسيني ، من **ذيول العبر** ، (الكويت ، ١٩٧٠) ، ٣٠٢ وكذلك راجع عباس العزاوي ، **تاريخ العراق بين احتلالين** ، جـ٣ الملحق ص ٣٩ ، والعزاوي ينقل ما أورده ، عن ابن قاضي شهبة .

(٩٠) تورانشاه توفي ما بين عام ٧٧٢/١٣٧٠ وعام ٧٧٩/ ١٣٧٧ وكان قد تولى الحكم عام ٧٤٧/ ١٣٤٧ ويرى أوبين انه ألف كتابه «**الشاهنامة**» بعد عام ٧٥١/ ١٣٥٠ . هذا وقد قام الرحالة البرتغالي الشهير تكسيرا بترجمته باختصار إلى البرتغالية في النصف الأول من القرن السابع عشر وعن هذه الترجمة قام وليم سنكلير بترجمته مع رحلة تكسيرا إلى اللغة الإنكليزية وجعل الشاهنامة ملحقاً للرحالة وعلى هذه

الترجمة كان اعتمادنا وقد أشرنا إليها تحت تكسيرا . وعنوان الرحلة مع الشاهنامة هي : —

The Travels of Pedro Teixira, with "His Kings of Harmuz" Translated by W. F. Sinclair, (London, 1902).

(٩١) حميد بن زريق (١٢٩١/ ١٨٧٤) ، **الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين** ، تحقيق عبد المنعم عامر ومحمد مرسي . (منشورات وزارة التراث القومي العماني) ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ٢٤٧ — ٤٨ .

(٩٢) J. C. Wilkinson, art, "Kathat" EI[2].

(٩٣) لعل عبارة تزوين الواردة في النص ما هي إلا تحريف لاسم جزيرة تاورت أو دارين إذ لا يوجد في ساحل الخليج العربي مكان باسم تزوين .

(٩٤) محمد بن علي الشبانكاري ، **مقتطفات من مجمع الأنساب المتعلقة بهرموز** نشرة أو بين كملحق لبحثه باللغة الفرنسية ، الذي سبق وأن أشرنا إليه مراراً راجع Aubin, 129-37, esp. 130. معين الدين نطنزي . **منتخب التواريخ معيني** ، تحقيق أوبين تهران . ١٣٣٥شمسي) ١١ — ١٢ .

(٩٥) Aubin, 85. عباس إقبال ، ٣٦ .

(٩٦) **التحفة النبهانية** ، ١٠٠ — ١٠١ .

(٩٧) علي بن الحسن الخزرجي ، العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة **الرسولية** ، القاهرة ، ١٩١٤ . ٢١١/١—١٣ .

(٩٨) للاطلاع على ترجمة مقتضبة عن حياته أنظر ، الذهبي ، **من ذيول العبر للذهبي والحسيني** . الكويت ، ١٩٧٠ ، ٣٥ (حوادث ٧٠٦) أيضاً أنظر ، ابن حجر العسقلاني ، **الدور الكامنة في أعيان المئة الثامنة** ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ط ٢ جـ٢ ، ٦١ .

(٩٩) وصاف ، ٢٦٨ ، عباس إقبال ، ٣٧ : Aubin, Op. Cit, 89-90 ;

(١٠٠) للاطلاع على عرض شامل لتطور أنواع الإقطاع في العصور الإسلامية المختلفة ، راجع البحث القيم لكاهين . CL. Cahen, art, "Ikta" EI[2]

(١٠١) وصاف ، ٣٣١ — ٣٢ . Aubin, 93

(١٠٢) وصاف . ٣٠٢ — ٣٠٣ . Aubin, 90

(١٠٣) Aubin, 97

(١٠٤) **مجمع الأنساب** ، ١٣٣ . Aubin, 100

(١٠٥) **مجمع الأنساب** . ١٣٣ ، **منتخب التوايخ معيني** ، ١٥—١٦ .

Teixira, 167-71 Aubin, 101-2

(١٠٦) **مجمع الأنساب** . ١٣٤ — ٣٦ ، **منتخب التواريخ معيني** ، ٧٦ — ١٧ عباس إقبال ٤٢ .

B-Spluler, Die Mongolin in Iran, (Berlin, 1955), 151 ; Teixeria, 173-81.

(١٠٧) رحلة ابن بطوطة ، (القاهرة ، ١٩٦٤) . ١٤٦/١ .

طخفة : الجبل المشهور

من مباحث كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي تقوم «دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر» بنشره ، وقد صدر منه جزءان من تأليف الأستاذ المحقق الشيخ محمد العبودي] .

طُخْفَةُ :

جبل مشهور أحمر ، وعر المسالك ، ولذلك تعيش فيه الأروى إلى الآن ، يقع إلى الشرق من ضريَّة في غرب القصيم . تنطق العامة لفظه ، بضم الطاء مع إمالتها للكسر ، ثم خاء ساكنة ، ففاء فتاء مربوطة تنطق دائماً هاء .

وفي القديم كان ينطق بكسر الطاء . قال ياقوت : طخفة بالكسر ويروي بالفتح عن العمراني : ثم السكون ، والفاء ، والطخاف : السحاب المرتفع ، والطخف : اللبن الحامض وحكي البكريُّ فتح الطاء وكسرها عن الخليل .

قال لغدة : ثم طِخفة ، وهو جبل أحمر طويل ، حذاؤه بِئارٌ ومناهل قال الشاعر الضبابي لبني جعفر :

قد عَلِمَتْ مُطَرَّفٌ خضَابُها يَـزِلُّ عن مِـثْـلِ النَّقَا ثيابُها
أنَّ الضِّبَاب(۱) كَرُمَتْ أحسابُها

Hamd-allh, Mustawfi of Qazwin, The Geographical part of the Nuzhat-al-Qulub, (١٠٨)
Translated by G. Le Strange, (Leyden, 1919), 135.

(١٠٩) صبح الأعشى ، القاهرة ، ١٩١٥ ، ٣٧٠/٧ .

(١١٠) G. Rentz, art, "al-Katif" EI2. قارن ذلك بما ذكره ابن بطوطة في رحلته ، ١٧٧/١ .

(١١١) N. M. Lowick, Op. Cit, 324-30.

---

(١) الضباب فخذ كبير من بني كلاب .

وغلمت (طخفةٌ) مَنْ أربابُها إذ السيوفُ ابتُذِلَتْ صِحَابُها[1]

وقال آخر يصف ناقة سمينة[2] :

كأنْ فوق المتن مِنْ سنامها عنقاءُ مِنْ طِخْفَةَ أو رِجامها[3]
مُشْرِفَة النِّيقِ[4] على أعلامها

فقرن ذكره بذكر الرجام الذي هو جبل يسمى الآن (الشعب) شعب الْعِظْيَانَ وتقدم ذكره في حرف الشين :

وقال آخر :

وطِخْفَةُ ذَلَّتْ[5] والرِّجَام تواضَعَتْ وَدُعْسقن حتى ما لَهُنَّ حنَان

قال لغدة : مالهن حنان ، أي : حتى لم يرقّ لهنَّ شيء ، ولم يَتَحنَّنْ عليهن أحد . ودُعْسِقْنَ أي : وُطِئْن ، أي : غزتهن الخيل فدعسقت تلك الأماكن[6] .

وروى الحربي أنَّ : طِخفة لبني كلاب : لبني جعفر خاصة ، قال الأُستاذ حمد الجاسر معلقاً على ذلك : في كتاب «بلاد العرب» : غول للضِّبَاب ، وطخفة وشُعَبَى للضِّبَاب ، وبعضها لبني جعفر والقبيلتان متجاورتان ، ومنازلهم مختلطة ، ويظهر أنهما اختلفا على هذا[7] .

قال الحربي : وطخفة : هي التي يقول فيها زهير بن جذيمة حين أنذره بالخيل ، وحذَّره هوازن ، فقال : أما بنو فلان فبمكان كذا وبنو جعفر بطخفة يصيدون الأراوي .

ومعلوم أن الأُرواي جمع أروى ، وهي : الماعز الجبلية ،

---

(١) بلاد العرب ص ١٠٣ .
(٢) بلاد العرب ص ١٠٤ وهذا الرجز من أرجوزة أنشدها الإمام الحربي في المناسك ص ٣١٥ .
(٣) الرجام : يسمى الآن «الشعب» راجع هذا الرسم .
(٤) النيق : أعلى الجبل .
(٥) يريد : ذل أهل طخفة .
(٦) بلاد العرب ص ١٠٤ .
(٧) «المناسك» : ٥٩٣ .

وقد اشتهرت طخفة بعد ذلك لكونها أصبحت منزلاً من منازل حاج البصرة إلى مكة.

قال الحربي وهو يتكلم على الطريق من البصرة إلى مكة: ... ومن إمَّرة[١] إلى طخفة ستة وعشرون ميلاً، وبها ــ أي طخفة ــ آبار كثيرة[٢].

وقال في موضع آخر: ومن طخفة إلى ضرية ثمانية عشر ميلاً[٣].

وقال ياقوت: طخفة: موضع بعد النباج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة.

أقول: هذا صحيح في أنه بعد المنزلين المذكورين إلا أنه لا يلي النِّبَاجَ وهو بعيد عنه، وإنما يلي «إمرة».

وفي إحدى الأراجيز التي نظمت في طريق الحج البصري إلى مكة قال الراجز.

حـتى إذا مَـرَّتْ بماء طِـخْـفـة عَـطَـفْـتها فـلم تَـمَـلَّ الـعَـطْـفَـة
مَضَتْ ولم تعرض لتلك النطفة[٤]

ورُوي عن أبي السَّفَّاح الأعرابي أنه قيل له عند موته: أَوْصِ، فقال: إِنَّا الكرام يوم طِخْفَة، قالوا: قل خيراً يا أبا السَفَّاح قال: إن أحبَّت امرأتي فأعطوها بعيراً، قالوا: قل خيراً، قال: إذا مات غلامي فهو حرٌّ![٥].

ومن الشعر في طخفة قول مزاحم العُقيلي يتشوق:

فليت ليالينا بطخفة فاللِّوى رَجَعْنَ، وأياماً قصاراً بمأسل[٦]
فإن تُؤثري بالودِّ مولاك لا أقُلْ أسأت، وإن تستبدلي أتبدَّل
عذاريَّ لم يأكُلْنَ بطيخ قريةٍ ولم يتجنَّيْنَ العَرار بِثَهْلَل[٧]

(١) راجع رسم «إمَّره».
(٢) المناسك ص ٥٩٣.
(٣) المناسك ص ٥٩٤.
(٤) المناسك ص ٦٣٣.
(٥) شرح نهج البلاغة ج ١٨ ص ١٦٦.
(٦) راجع عن اللوى رسم «عريق الدسم». ومأسل باق باسمه كتب عنه الشيخ سعد بن جنيدل في معجم العالية.
(٧) وثهلل قال ياقوت عنه: قرية في الريف، والأبيات في ياقوت رسم «ثهلل».

فعطف «اللوى» على طخفة وهو «عريق الدسم» الآتي في حرف العين.

وأنشد الهجري لجحيفة الضبابية من قصيدة وقد أوعدها زوجها إن قالت بيتاً أن يقتلها:

دَعُوني وأبياتاً أقُلْهُنَّ ويحكم ... وإن جَمَعَتْ حرباً سُلَيْمٌ وعامر
نَعَمْ أنا عن هضب القليب[1] وجُزْجُزٍ[2] ... وعَنْ طِخْفَة الشَّمَّاء لا بد نافر[3]

وقالت أم موسى الكلابية وقد زُوِّجَت في حجر[4] باليمامة:

لله درِّي أيَّ نظرة ناظر ... نظرتُ، ودوني طخفة ورجامُها
هل الباب مفروجٌ فانظر نظرة ... بعيني أرضا عَزَّ عندي مرامُها[5]

فقرنت ذكر طخفة أيضاً بذكر الرجام مضافاً إلى طخفة لقربه منها وهو جبل الشعب في الوقت الحاضر وسبق ذكره، كذلك فعل السمهري العكلي[6]:

ونبئت ليلى بالغريَّين سَلَّمتْ ... عليَّ ودوني طخفة ورجامها
عديد الحصى والأثل من بطن بيشة ... وطرفائها ما دام فيها حَمامها

وقال ربيعة بن مقروم الضَّبِّي[7]:

وقَوْمِي، فإن أنت كَذَّبْتَنِي ... بقوليَ، فاسألْ بقومي عليما
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا ... حسبْتَهُمْ في الحديد القروما[8]
وإذْ لَقيت عامرٌ بالنِّسار[9] ... منهم وطِخفة يوماً غشوما

(١) هضب القليب: سيأتي الكلام عليه استطراداً في رسم «فرقين» وأنه خارج عن منطقة القصيم.
(٢) جزجز: لم نستطع معرفته.
(٣) أبو علي الهجري ص ٢٢٤.
(٤) حجر في موضع مدينة الرياض اليوم راجع بحثاً مستفيضاً عنها للعلامة الأستاذ حمد الجاسر في كتاب «مدينة الرياض عبر التاريخ».
(٥) ياقوت: طخفة.
(٦) ياقوت: رسم الغريين وقال: هما من أخيلة حمى فيد.
(٧) النقائض.
(٨) استلأموا لبسوا اللامات استعداداً، للحرب. واللامات: جمع لامة.
(٩) قال أبو عبيدة: أراد بطخفة والنسار يوم ضرية فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة، والنسار لقربهما من ضرية وتبعد النسار عن طخفة حوالي ٣٣ كيلاً وهي إلى الجنوب من طخفة.

وقال الفرزدق[١] :

وَفَضْلَ آلِ شَيْبَةَ كُلَّ يومٍ ... وقائعُ بالمُجَرَّدة العواري[٢]
وتقتيلُ الملوك ، وأنّ منهم ... فوارسَ يوم طِخْفة والنِّسار[٣]

في هاتين المقطوعتين قرن ذكر طخفة بالنسار وهي جبال تسمى الآن «الأنصر» تحريف الأنسر : جمع نسر تابعة لعفيف .

وقال أيضاً[٤] :

لعمري لقد لاقت من الشرِّ جعفرٌ ... بطِخْفَة أيّاماً طويلاً قَصيرُها
بِطخْفَة والريّان حيث تَصَوَّبَتْ ... على جعفر عقبانُها ونُسُورها

فقرن ذكره بذكر الريان الذي يسمى الآن «مبهل» وسيأتي في حرف الميم .

وقال النابغة الجعدي : [٥]

ألا أبلغ بني شيبان عَنِّي ... فقد جَلَبَتْ صِرَامُ لكم صَرَاها[٦]
دعاها صوت قُرَّةَ من سُوَاجٍ ... فَجَنْبَيْ طخفة فإلى ذُرَاها

قال جرير[٧] :

وَتَرْفَعُنَا عليك إذا افتخرنا ... ليربوعٍ بَوَاذِخُ شامخات[٨]
هُمُ سلبوا الجبابِرَ تاجَ مُلْكٍ ... بِطِخْفَةَ عند مُعْتَرَكِ الكُمَاة

---

(١) ديوان الفرزدق ص ٤٤٣ والنقائض ص ٢٣٧ .
(٢) المجردة : السيوف تجرد من أغمادها فتعرى .
(٣) قال أبو عبيدة : أراد بطخفة والنسار يوم ضربة فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة ، والنسار لقربهما من ضرية وتبعد النسار عن طخفة حوالي ٣٣ كيلا وهي الى الجنوب من طخفة .
(٤) ديوانه ص ٤٦٢ .
(٥) شعر النابغة الجعدي ص ٢١١ — ٢١٢ والشرح منه .
(٦) الصرام : بفتح الصاد وضمها : الجنوب ، والصرى اللبن يترك في ضرع الناقة فلا يحتلب فيصير ملحاً ذا رياح .
(٧) ديوانه ص ٨٥ .
(٨) بواذخ شامخات . عاليات يريد أن مقام قومه قد علا وشمخ في السماء .

وقال أيضاً[1] :

أَلا رُبَّ جَبَّارٍ وَطِفْنَ جَبِينَهُ صريعاً ، ونَهْبٍ قد حوين إلى نَهْبِ
بِطِخْفَة ضاربنا الملوك ، وخيلنا عَشِيَّةَ بَسْطَامٍ جَرَيْنَ على نَحْبِ[2]

وقال أيضاً[3] :

إنَّا بِطِخْفَةَ أو أيّام ذي نَجَب نِعم الفوارس لما التَفَّتِ العُكَرُ

وذو نجب : يسمى الآن (النجبة) ويأتي في حرف النون إن شاء الله .

وقال[4] :

غَضِبْنَا يوم (طخفة) قد علمتم فَصَفَّدنا الملوكَ بها اغْتِسارا[5]

وقال[6] :

وهامات الجبابر قد صَدَعْنَا كأنَّ عظامَها فَلَقُ المَحار
فما شَهِدَتْ رجال التَّيْمِ حَرْباً ولا أيّامَ طِخْفَةَ والنِّسارِ

وقال[7] :

لو كُنْتَ تعلم ما جَهِلْتَ فوارسي أيّام طِخْفَةَ ، والدماءُ تَمُورُ

وقال أيضاً[8] :

وقد جَعَلَت يوماً بِطِخْفَةَ خَيْلُنَا مَجرًّا لذي التَّاجِ الهُمام ، ومَصْرَعا

---

(١) ديوانه ص ٥٨ .
(٢) النحب (بالحاء) : الخطر العظيم هنا .
(٣) ديوانه ص ٢٥٨ .
(٤) ديوانه ص ٢٨٢ .
(٥) يروى : اقتساراً : واعتساراً في معناه .
(٦) ديوانه ص ٢٩٩ — ٣٠٠ .
(٧) ديوانه ص ٣٠٢ .
(٨) ديوانه ص ٣٣٩ .

وقال[1] :

واستنزلوا حَسَّان وابني مُنْذرٍ أيَّامَ طِخْفَةَ والسُّروج تُقَعْقِعُ

أقول : وطخفة في الوقت الحاضر كل سكانها تقريباً من الصلبة أغلبهم من «الخلوة» منهم ، وأعتقد أن الخلوة هؤلاء من أعقاب بني محارب ، إذ بنو محارب كانوا محتقرين من عرب ذلك الزمن وكانوا يتخذون الحمر للركوب وهذا هو شأن الخلوة ، وقال ربيعة بن عثمان الذي يلقب بالشويعر[2] :

فسائل جعفراً وبني أبيها بني الْبَرْزَى بطخفة والملاح[3]
غداة أتتهُمُ حمر المنايا يسقن الموت بالأجل المتاح
وأفلتنا أبو ليلى طفيل صحيح الجلد من أثر السلاح

وفي طخفة كان يوم لبني يربوع من تميم على قابوس بن المنذر ابن ماء السماء ، ولذلك قال جرير :

وقد جعلت يوماً بطخفة خيلنا لآل أبي قابوس يوماً مُكَدَّرا[4]

وقد أكثر جرير من ذكر ذلك اليوم في طخفة كما تقدم ومن ذلك قوله[5] :

نحن الحُمَاةُ غداة جوفِ طويلعٍ والضاربون بِطِخْفَةَ الجَبَّارا

وقال أيضاً[6] :

صَبَرْنَا يَوْمَ طِخْفَةَ قد علمتم صدور الخيل تَنْحَط في الحراب[7]

---

(١) ديوانه ص ٣٤٧ .
(٢) في البيان والتبيين ج٢ ص١٠ . البيتان الأول والثالث وهي في ياقوت : رسم «ملاح» .
(٣) جعفر أي : جعفر بن كلاب بنو البزرى لقب لبني بكر بن كلاب والملاح : موضع .
(٤) هذا البيت من قصيدة طويلة في ديوانه ص ٢٤٠ — ٣٥١ .
(٥) ديوانه جرير ص ٢٢٨ .
(٦) ديوانه ص ٢٨ .
(٧) تنحط أي : تزفر من المشقة .

وَطِئْنَ مَجَاشِعاً، وأخذْنَ غَصْباً بني الجَبَّارِ في رَهجِ الضباب[1]

وكان من أمر ذلك اليوم أنَّ الرِّدافةَ كانتْ في بني يربوع، ومعنى الرِّدافةَ أنه كان إذا رَكِبَ المِلكُ رَكِبَ خلفه، وإذا جلس المِلك في مجلسٍ وشرب جلس عن يمينه، وشرب بعده فأراد حاجب الملك أن تجعل الردافة في شخص لا يريده بنو يربوع، فأبت بنو يربوع ذلك، ورحلت، فنزلت طِخفة، وبعث الملك إليهم جيشاً فيه قابوس ابنه، وابن له آخر، وحسان أخوه فهزمتهم بنو يربوع وأسروهما فضمن لهم أموالاً، وجعل الرِّدَافَةَ فيهم، على أن يطلقوا من أسروا، ففعلوا، فبقيت الرِّدافةُ فيهم.

فقال الأحوص وهو زيد بن عمرو بن قيس بن هَرَمي بن رياح اليربوعي:

بأبناء يربوع، وكان أبوهُمُ إلى الشَّرَفِ الأعلى بآبائه يَنْمِي
علا جَدُّهُم جَدَّ الملوك فأطلقوا بطِخْفَةَ أبناء الملوكِ على الحكم[2]

وقال سُحَيم بنُ وَثِيلٍ الرِّيَاحي[3]:

ألسيس الأكْرَمُونَ بنو رِياحٍ نَمَوْني مِنْهُمُ عَمِّي وخالي

إلى أن قال:

وذَادُوا يوم (طِخْفَةَ) عن حِمَاهم ذِيَادَ غَرَائِبِ الإبِلِ النِّهالِ

وقال شاعر رياحيٌّ آخرُ في هذا اليوم هو عَمْرو بنُ حَوْطِ بن سُلْمِيٍّ[4].

قسطنا يوم (طِخْفَةَ) غير شك على قابوس إذْ كُرِهِ الصَّبَاحُ
لَعمر أبيكَ والأبناءُ تنمي لَنِعْمَ الحيُّ في الجُلَّى رياحُ
أبوا دِيْنَ الملوك فهم لَقَاحٌ إذا هِيجُوا إلى حَرْبٍ أشاحوا

(١) يريد ببني الجبار قابوس وحسان ابن المنذر أسرتهما بنو يربوع يوم طخفة.
(٢) راجع لهذا اليوم العقد الفريد ج٦ ص ٧٥. وأبيات الأحوص في ياقوت: رسم (طخفة).
(٣) العقد الفريد ج٦ ص ٥٤. وياقوت والبكري (طخفة).
(٤) النقائض ج١ ص ٦٩.

وليس ذلك اليوم باليوم الوحيد في طخفة كانت معارك كثيرة في القديم.

ووقعت في صدر الإسلام بين الأعراب في طخفة وفيما قرب منها وقائع كثيرة منها يوم سمي «يوم هراميت» وهي بئر قريبة من طخفة لعل لاسمها علاقة باسم «هرمولة» مورد الماء الواقع في تلك المنطقة الذي سيأتي الكلام عليه في حرف الهاء إن شاء الله.

وذلك اليوم كان في أثناء عهد عبدالله بن الزبير قبل أن يتغلب عليه عبد الملك بن مروان، وهو بين جعفر وبين الضباب وكلا الْحَيَّيْنِ من بني كلاب قال أبو عبيدة: وكان الذي فعل ببني جعفر الأفاعيل درَّاج بن زرعة قتل من بني جعفر تسعة وأقاده عبد الملك — يعني ابن مروان — بثلاثة نفر. وقد قال درَّاج في حبسه قبل مقتله قصيدة منها:

ألا يا غُرابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فاربَع ... وطِرْ بالذي قد حُمَّ — ويحك — أَوْقَع
فطار بتحليق وجُدْتُ بعبرةٍ ... أتاها رَشاشُ العين من كل مدفع
فليس لياليـنا (بطخفة) والحمى ... بمرتجعـات فـابك شـجوك أَوْدَع
إذا أُمُّ سرباحٍ (؟) غَدَتْ في ظعائِن ... عـوامِدَ نَجْدٍ كادتِ العين تَدْمَع[1]

ونقل ياقوت عن ابن الفقيه قوله: وطخفة: جبل لكلاب، ولهم عنده يوم. وقال لغدة: وإنما حَدُّ الحِمَى طِخْفَة، وهي يطؤها الطريق وهي التي اقتتل عليها بنو جعفر[2] والضِّباب[3] أيام مات هارون الرشيد أمير المؤمنين[4].

قال: وطِخْفَة: ماءٌ لجعفر والضِّباب، فظفرت به الضِّباب، وقُتِلَ فيها رجل من جعفر كان شديداً[5].

أقول: قوله: إنها جبل لبني جعفر والضباب ثم قوله: إنها ماء لهم. لا تنافي فيه إذ الجبال تكون فيها عادة مياه من مياه الموارد في الصحراء وطخفة بالذات كان فيها مورد بل

---

(١) النقائض ج٢ ص ٩٢٧ — ٩٣٢.
(٢) بنو جعفر بن كلاب بن عامر من صعصعة.
(٣) الضباب: هم من بني كلاب أيضا. وسيأتي فيما ننقله من كلام أبي أحمد العسكري سبب تسميتهم بذلك.
(٤) مات هارون الرشيد عام ١٩٣ هـ.
(٥) بلاد العرب ص ٣٩٠.

موارد معروفة ومنها مورد ماء كان ينزله حاج البصرة إلى مكة كما سيأتي فيما بعد . بل إنه كان فيها أو قربها عين كانت قد ساحت وتحدث عنها المتقدمون سيأتي نقل كلامهم .

وذكر أبو عبيدة أن الضِّباب قتلوا من بني جعفر رجالاً ، وسَبَوْا نِساءً قال : وهي وقعة مشهورة بطخفة والرَّيان في العرب قال : وفي يوم طخفة يقول الحارث بن رومي بن شريك وهو يُحَضِّضُ بني كلاب على الضِّباب ، وذلك بما صنعوا ببني جعفر ويعيِّرهم بذلك :

تـركتم لأفراس الضِّباب نساءكم ... وما قَتَلُوا منكم بطخفة كالجُزُرِ[1]
وهُنَّ بهم يَعْدُونَ ما بين مُحْدَثٍ ... إلى عَسْعَس بتركِكُمْ سَوْءَةَ الدَّهْرِ[2]
بـطـخْـفَـةَ مِنْ قـتلاكُـمُ أخواتُها ... حواسرُ بيضٌ من عَوَانٍ ومن بِكْرِ[3]
حواسر مما قـد رأتْ فَـعُـيـونُـهـا ... تفيض بماء لا قليل ولا نَزْرِ[4]

وذكر ياقوت : عُقَيْصَاء وقال : ماء عند أَنْفِ طِخْفَةَ الغربيّ كانت ثَمَّ وقعة .

وقال القُحَيْف العقيلي[5] :

أتنسون يا خِزَّانَ (طِخْفَة) نِسوَةً ... تُرِكْنَ سبايا بين فَيْشَان والنَّقْبِ[6]

وأنشد الهجريُّ للحرشيِّ يمدح آل منين من عامر من عُقيل[7] :

رحلنا وخلَّفنا (بطخفة) جيرةً ... مِنَ آل مُنين كُلُّ جار مودّع

وقال نعامة بن شريك :

---

(١) الجزر : جمع جزور ، وهي الناقة التي نحرت .
(٢) وهن أي : الخيل ، ومحدث . موضع ، وعسعس : جبل بقرب ضرية سيأتي ذكره في حرف العين .
(٣) حواسر : جمع حاسر وهي المرأة التي أزالت عن رأسها ووجهها الغطاء والعوان : التي سبق أن تزوجت والبكر التي لم يسبق لها الزواج .
(٤) النقائض ص ٩٢٥ .
(٥) ياقوت رسم «فيشان» .
(٦) خزان : جمع خزز وهو ذكر الأرانب .
(٧) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢١١ .

استنزلتْ رماحنا سناناً وشَيْخَه (بطخفة) عيانا
ثم أخوه قد رأى هوانا لما فقدنا بيننا معدانا[1]

وقال بشر بن بُجير الغنويُّ يبكي منازل قومه حين جلوا عنها[2] :

ألم تعرف ديار بني بُجَيرٍ بطخفة بين غَوْلٍ فالبراقِ ؟
ولما أنْ رأيْتُهُم تَوَلَّوْا سقَى عيني من العبراتِ ساقي

فقرن ذكرها بذكر غول القريب من طخفة ، والذي لا تزال تسميته القديمة باقية وسيأتي ذكره في حرف الغين إن شاء الله . أما البراق فهي جمع برقة .

وقد تعدت شهرة (طخفة) دائرة الأعراب في الجزيرة إلى المولدين في العراق قال الرقاشي في قِدْر[3] :

لنا من عطاء الله دَهْمَاء جَوْنَةٌ تناول بعد الأقربين الأقاصيا
جعلنا الإلاء ، والرِّجام و(طخفة) لها ، فاستقلَّتْ فوقهنَّ أثافيا

وليس تاريخ طخفة مقتصراً على أيام العرب وحروبهم وقتالهم فيما بينهم ولكن عُرِف في تاريخها أثرٌ عمرانيٌّ جليلٌ في ذلك الوقت ألا وهو إساحة عين وإجراؤها في تلك المنطقة لبعض الأشراف فقد نقل السمهودي قوله : واحتفر بعض بني حسن بن علي بالحِمَى واتخذ إلى جنب حفيرته عيناً ساحت ثم خرجت في غربي (طخفة) بشاطىء الريان[4] على ثلاثة عشر ميلاً من ضريَّة ، وهي بيد ناس من بني جعفر ثم من بني ملاعب الأسنة من جهة بني أُختهم الحسينيين[5] .

هكذا أطلق السمهودي رحمه الله القول بأنها في أيدي ناس من بني جعفر اتباعاً لمن

---

(١) العقد الفريد ج٦ ص ٧٨ وفيه تعريف بأصحاب الأسماء المذكورة في البيتين .
(٢) المؤتلف ص ٦٠ .
(٣) الجمان ، في تشبيهات القرآن ص ١٨١ .
(٤) راجع رسم «مبهل» حيث رأيت أنه هو الوادي الذي كان يسمى «الريان» في القديم .
(٥) وفاء الوفاء ص ١٠٩٦ .

سبقه ، ولكنه لم يبين الوقت الذي كانت فيه للمذكورين وما إذا كان ذلك في زمنه أو كان سابقاً له وفي أي وقت ذذك إذا كان قبل زمنه . والظاهر أنه نقل من الهجري كما يرى أستاذنا حمد الجاسر[1] والعبارة في الهجري فيها بعض التحريف والنقص فيما يظهر وهذا نصها :

واحتفر بعض بني جسر بالحمى وبشاطىء الريان في غربي طخفة وسمي تلك العين (المشقرة) وهي اليوم في أيدي ناس من بني جعفر ، وبين هذه الحفيرة وبين ضرية ثلاثة عشر ميلاً[2] .

فالهجري يقول إنها اليوم بأيدي ناس من بني جعفر ويريد في زمنه أي في آخر القرن الثالث الهجري ، هذا إذا لم يكن ينقل ذلك عمن قبله فتكون تلك العين التي ساحت في غربي طخفة موجودة قبل ذلك ثم دثرت ، أو لعل هذه العبارة هي التي جعلت طخفة تستحق أن ينظر إلى أي الجهات تتبع ولم يكن يكفي فيها أن يقال إنها تابعة للحمى الذي كان تابعاً للمدينة كبقية الجبال هناك . فقد نقل ياقوت عن ابن الفقيه أنه ذكر أن طخفة في أعمال المدينة[3] .

ومن الشعر العامي في طخفة قول ابن سبيِّل يصف نوقاً من قصيدة :

مِرْبَاعِهِنَّ (طخفة) وأداني القريّات وانْ حدرْن لِـمُرَيْـطْبَـه والثنادي[4]

بقي أن نعيد قول ياقوت في معنى تسمية «طخفة» التي هي تسمية غريبة بالفعل قال : طخفة بالكسر ويروى بالفتح عن العمراني ثم السكون والفاء . والطخاف : السحاب المرتفع ، والطخف : اللبن الحامض .

أقول : المتبادر للذهن أن يكون اشتقاقه من الطخاف الذي هو السحاب المرتفع لأن جبل طخفة يظهر على البعد أول ما يظهر في الأفق البعيد كالسحاب المرتفع ولارتفاعه كانت الطيور

---

(١) مقدمة كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع .

(٢) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٢٥٣ .

(٣) رسم «طخفة» .

(٤) مرباعهن : مرعاهن في فصل الربيع ، والقريّات هما مسكة وضرية (راجع هذا الرسم) حدرن : انحدرن ، ومريطبة : واد : شمال هجرة عرجا الواقعة إلى الشمال من الدوادمي . والثنادي : برق تقع إلى الشرق من الدوادمي وتنقاد إلى الشمال ولكنها لا تدخل في حدود القصيم .

حول كتاب :

معجم قبائل الحجاز

جاء اهتمام العربيّ بعلم النسب بغرض المحافظة على العنصر العربي الأصيل من الذوبان والاندثار ، والانصهار في العناصر الأخرى نظراً لما دخل من أمم وعناصر غير عربية في بوتقة الإسلام وكونت بذلك جنساً مختلطاً فجاء الاهتمام بعلم النسب أحد فروع العلوم التاريخية وتمثل هذا العلم عند العربي بمحافظته على الكفاءة النسبية في الزواج وغيره فلا يتزوج أو يزوّج إلا من هو من أرومته ودوحته ، مستمداً من حديث الرسول ﷺ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : «العرب بعضهم لبعض أكفاء والموالي بعضهم أكفاء لبعض» .

كما أن طبيعة العنصر الطيب والأصل النقي أن يتفرع من دوحته أصول طيبة والرسول محمد ﷺ قال : «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام

الجارحة التي تكون فيه توصف بالقوة كما قال وعلة الجرمي عند هربه يوم الكلاب[1] :

نجوت نجاءً ليس فيه وتيرة كأني عقاب عند (تيمن) كاسر[2]
خُدَارية سَفْعاء لَبَّدَ ريشها بطخفة يومٌ ذو أهاضِبَ ماطِرُ

إيضاح :

هناك جبل آخر يسميه بعض أهل البدو (طخفة) غير جبلنا هذا الذي نتكلم عليه ، وهو واقع إلى الغرب من طِخْفَةَ الحِمَى ، بمسافة طويلة ، بينهما حوالي مئة وسبعين كيلاً ، وهو هضب آخر[3] ، اعتقد أنه الذي كان يسمّى في القديم هضب القَلِيب ، تغيّر إلى طخفة .

محمد العبودي

---

(١) العقد الفريد ج ٦ ص ٧٤ .
(٢) تيمن : هضبة عند وادي الكلاب الذي يسمى الآن (وادي الشعرا) تسمى تبا في الوقت الحاضر.
(٣) تكلم عليه الشيخ سعد بن جنيدل في عالية نجد .

إذا فَقُهُوا» والإمام الشافعي رحمه الله اعتبر النسب كفاءة في النكاح .

لهذا نجد قاعدة المحافظة على النسب قاعدة قوية تمتد جذورها إلى الإسلام والى الذوق والطبيعة العربية في الجاهلية . حتى أن عمر بن الخطاب الخليفة الثاني يقول : البدو أصل العرب ومادة الإسلام . أي إن الإسلام انتشر في الأصقاع بواسطة أعراب الجزيرة العربية .

ويقول العرب الآن في أمثالهم الشعبية الدارجة (الكُحَيْلة ما يركبها إلا الحِصَان الأَصِيل) والكُحَيلة اسم من أسماء الخيل الأصيلة المعروفة الآن ، ويعني هذا المثل : المرأة ذات الأصل والنسب وتشبيه هذه المرأة بالفرس الأصيلة كناية عن عدم تزويج هذه المرأة إلا بمن يساويها كفاءة بالنسب والدين والمال والمكانة الاجتماعية أو الزيادة عليها في هذه العناصر الثلاثة .

وعُنِي علماء العرب في حفظ الأنساب العربية وذلك بتدوينها كما دونت العلوم العربية الأخرى في فترة التدوين في القرن الثاني الهجري[1] ، وظهرت بعض المؤلفات في الأنساب لعلماء عرب لهدف محاربة الشعوبية وأعداء العنصر العربي ، بعد ظهور أمم أخرى غير عربية مثل الفرس والترك والأرمن والسريان وغيرها .

فحفظت لنا أنساب الأرومة العربية .

ولكن بحكم ضياع التراث العربي إبَّان فترات الركود الفكريّ والغزوات الخارجية على البلاد الإسلامية أصبح النسب معرضاً للاندثار لعوامل منها : إندماج قبائل بأخرى ، والهجرات العربية ، وعدم التدوين لقلة المتعلمين بين العرب الأقحاح وضياع المؤلفات القديمة أو جهلها وغير ذلك من الأسباب ولكن هذه القبائل والعناصر العربية تحفظ أنسابها عن طريق نقل الخلف عن السلف ، مع تغير بعض الأسماء الأولى لبعض هذه القبائل لغفلة أو لرغبة منهم في عدم ذكر النسب الأول بفعل ما يحدث من ثأر ودم وبالتالي تغيير هذه الأنساب قد يكفل لهم الاستقرار لذلك ضاعت بعض المعالم الأولى في علم النسب وربط القبائل المعاصرة بالقبائل

---

(١) أصول علم الأنساب العربية يعتمد على مؤلفات هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفي سنة ٢٠٤ هـ ومنها ما لا يزال مخطوطاً ككتاب «جمهرة النسب» وكتاب «نسب معد واليمن الكبير» وقد وضع المستشرق الألماني ورنر سكل دراسة عن هذين الكتابين طبعتْ في مجلدين ضخمين «العرب» .

التي تنسب إليها أصلاً في السابق ، وبذلك ضاعت بعض أسس معالم الحضارة العربية فلا بيت بدون أعمدة ولا حضارة بدون علماء .

وكانت محاولات يسيرة من بعض العلماء المعاصرين ممن حاولوا الكتابة في علم الأنساب رغم صعوبة هذا العلم ولأنه من العلوم الشائكة جدًّا ، الصعبة المنال هي محاولات كما قلت يسيرة وفردية إلا أنها مشكورة .

ومن هؤلاء أخي الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في كتابه «معجم قبائل الحجاز» الذي صدر أخيراً في مجلد واحد ، ورغم جهوده التي بذلها في استقصاء مادّة الكتاب ، إلّا أنه قد جانب الصواب ، في معظم مادة الكتاب .

وللصداقة التي تربطني بالأخ البلادي فإنني على ثقة تامة أنه يرحب بهذا النقد ترحيب العالم العربي وأنّ هذا لا يُفْسِدُ الودَّ الذي بيني وبينه ، ونحن جميعاً طُلَّابُ حقيقة معرفة ، والمعرفة ضالّة المؤمن يبحث عنها أينما كانت ، وهذا مبدأ متعارف عليه في الميدان العلمي الصرف ، ولذلك نبدأ بمناقشة ما أورده أخي البلادي في كتابه الآنف الذكر ...

ذكر في عدة مواضع تمجيد قبيلة حَرْبٍ ، بصفة عامة والْبلادِيَّة منها بصفة خاصة ، وهذا مبدأ لا أريده له ، حتى لا يذكر عنه التعصب لقبيلته دون غيرها ومن وصفه لقبيلته : (شدة المراس وانتصارهم على القبائل ومنها قبيلة سليم واحتلال أراضيهم) .

كما خلط وشوَّهَ حقائق ثابتةً كثيرةً معروفة عند السواد الأعظم من دهماء الناس مثل قوله (ص ٨٦) عن الجمعيات بطن من بني علي من طفيح ، من البطنين ، من بني سعد من شملة من برقا من عتَيْبَة .

ومن المعروف أن الطفحة ليسوا من البطنين من بني سعد .

وقال عن الجعدة أنهم من البطنين من بني علي من طفيح : وأقول الجعدة ليسوا من البطنين ولكنهم من الطفحة أما بنو علي من طفيح فلم يعرف هذا الاسم الذي أورده المؤلف إنما الطفحة وهم ليسوا من البطنين بني سعد والجعدة قبيلة كبيرة الآن من عتيبة مساكنها شُقْصان وبِسْل جنوب الطائف ، وذكرت انسابهم ضمن القبائل الهوازنية في كتابي «دريد بن الصمة» ص ٢٣ ، ٢٤ .

وعن قبيلة الشيابين أنهم من عيال منصور من عتيبة وذكر مرة أخرى عنهم أنهم من قبيلة سليم .

وأقول المعروف أن الشيابين ليسوا من عيال منصور إنما حلفاء لهم وأصلهم الثابت من ثقيف ، حتى أنه يوجد منهم قبيلة تعرف بالثُّقْفَان ، والنِّسبة إليهم ثقفي وعيال منصور الآن هم الْعُصَمَة والقُثْمة والدَّغَالِبَة والدَّعَاجين فقط .

وقال عن قبيلة الدعاجين أنهم من شملة ويسكن أكثرهم الطائف .

وأقول : إنَّ — الدعاجين من عيال منصور من عتيبة وليسوا من شملة ويسكن أكثرهم بلاد نجد وليس الطائف .

وكذلك قال عن الدغالبة أنهم يسكنون شرقي الطائف ومنهم المهدي . والصواب أن — الدغالبة لا تسكن الطائف إنما مقرهم نجد والمهدي هو المهري بالراء وهو كبيرهم قاطبة .

وذكر أن الأعاضيد من قريش تسكن شمال شرقي الطائف عند المبعوث ولهم حلف في العصمة من عتيبة نقلاً عن الأستاذ محمد سعيد كمال —

وأقول : لا يوجد من قريش من يُدْعَى الأعاضيد ، إنما الأعاضيد اسم مزرعة في أسفل وادي العرفاء وقريش هؤلاء الذين أرادهم المؤلف حلفاء لقبيلة القُثمة وليس العصمة ولهم منهل القرشية والمبعوث منهل لقبيلة القثمة وحدهم ومعروف قديماً باسم الفتق ، وجواره سوق عكاظ المشهور وقد ذكرت ذلك في كتابي «دريد بن الصمة» «وسوق عكاظ في التاريخ والآثار والأدب» .

وذكر أن الْحُوَيْطات القبيلة المشهورة الآن شمال المملكة أنهم مزيج من بقايا الأنباط .

فكيف يجزم بهذا ؟ والمعروف عن الأنباط أنهم من الأمم البائدة وأي دليل يستند عليه .

وأنا أرجح أن قبيلة الحويطات من قضاعة[1] بحكم المكان والهجرات العربية من قضاعة

---

(١) «العرب» : بلادهم هي بلاد جُذام قديماً ويرى بعض النَّسَّابين أنهم منهم وقد انتشروا في بلاد كانت تسكنها عذرة وغيرها من فروع قضاعة .

إلى شمال الحجاز بعد ظهور الإسلام وقبله . والله أعلم .

وقال : الزبادية من بني شيبان من برقا عتيبة – ومن المعروف أنه لا يعرف هذا الاسم بينهم .

وقال عن ديار بني سعد مُظَلَّلة وبِسْل .

وأقول أن ديارهم المعدن وبُقران والفرعة والذيبة والشوحطة .

كما قال في حدود ديار بَلْحارث من الشمال بنو سعد وعتيبة . فكأنه ينفي أن بني سعد ليسوا من عتيبة مع أنهم أصل قبيلة عتيبة الأم .

وقال عن الذويبات : إن مساكنهم قرب مظللة .

والصحيح أنهم يسكنون منطقة الشوحطة وبها مسجد ينسب إلى حليمة السعدية مرضعة الرسول الأعظم ﷺ وهي منهم ، في وادي الشوحطة ببلاد بني سعد .

وقال عن المنادحة هم الرقبان والصواب عن المنادحة من السادة ذوي عيسى أهل الطائف الذين منهم بيت القصير والرقبان من بني سعد الثبتة .

وقال أن الحشابرة من عتيبة .

والصواب أنهم حلفاء للطفحة من عتيبة وليسوا من أصل عتيبة وهم يذكرون في نسبهم أنهم من هذيل .

وقال الروسان من شملة .

ولكنهم من المزاوحة من بني سعد من برقا من عُتَيْبَة ، ولا زال قسم منهم في دياره الأولى بوادي بُقْران ، ومنهم من نزح إلى نجد واستوطنوا مُصِدَّةَ ، قرب الدَّوادِمي شمالاً ، وأميرهم كافة ابن جامع ، ومنهم الشاعر السعودي الكبير حسين سرحان . وذكر نسبة الْجُبَرَة من القثمة من عيال منصور من برقا من عتيبة النسبة جبري .

والصحيح النسبة اليهم جباري كما رويت أنا له ونقل عني خطأ .

وكرر أسماء تشوش معلومات القارىء وفي صفحة واحدة مثل قوله الجرادبة من الكرزان من

المحاميد من البقوم والجراذبة من المحاميد من البقوم والحرادبة من محاميد البقوم .

وقال : الزراقية بطن في لِيَّة مجاور الفعور ويقال إنهم من اليمن .

وأقول : إن المعروف في الطائف أنهم بَيْتٌ في الطائف . وليسوا بطن قبيلة ولأحدهم مزرعة في لِيَّة ولهم برحة الزرقي في الطائف وهم فعلاً من اليمن .

وقال : الزُّوْران أهل لِيَّة بطنٌ من عتيبة .

والحقيقة أنَّ زُوُرَان لِيَّة يدخلون في عتيبة الطفحة بحلف ، أصلهم من ثقيف ، وهم غير زوران القشمة حيث أدمج رِوَايَتيّ له عن زوران القشمة مع زوران لِيَّةَ ويقال في نسبة زوران لِيَّة أزوري وزوران القشمة زَوَيْرِي .

وقال : ذوو صقير بطن من القشمة من برقا عتيبة .

والخطأ لديه في النسبة والصحيح الصقرة والمفرد منهم صقارى كما رويت له ذلك .

وقال : ذوو سعد بطن من الخماميش من عدوان .

والصواب أنهم ذوي سعيد وذوي مسيعيد ،

وقال عن القواسم من القشمة القواسمة .

والصواب القواسم والصقرة وليس الصفرة وقد ذكرت هذا له .

وقال : القَرَاحِين بطن من قريش .

والصحيح أنه لا يوجد في قريش بطن بهذا الاسم ، إنما القراحين اسم وادٍ به مزارع جنوب الطائف في ديار قريش .

وذكر المؤلف أن قبيلة وقدان من الثُّبَتَة والصحيح أن وقدان من قبيلة عتيبة قائمة بذاتها (١) ولا تندرج تحت اسم قبيلة الثبتة كما ذكر المؤلف .

---

(١) وَقدان لهم نسب صريح متسلسل الآباء إلى هوازن « العرب » .

وذكر قبيلة المضايفية الذي ذكرهم هم ذرية عثمان المضايفي ويعرفون بالعثمانيين نسبة إلى عثمان المضايفي ، وهم أهل قرية العقرب شرقي الطائف ، ومنهم شيخ عدوان اليوم منصور بن محمد بن عبدالله بن عثمان .

وقال المسودة أحد فرعي هذيل وبعد السؤال والتأكد من ذلك اتضح لنا عدم وجود هذا الاسم في هذيل .

وعند تحدثه عن العبابيد يخلط في الحقائق ولكن المعروف أن العبابيد حلفاء للعصمة من عتيبة يسكنون وادي القيم من أودية الطائف وهم في الأصل من بلاد المغرب ، ولم يكن هناك صلة نسب بينهم وبين الأستاذ علي العبادي رئيس (النادي الأدبي) في الطائف إنما العبادي من جنوب الجزيرة العربية ومن قبيلة معروفة وليس العبابيد هنوداً كما ذكر للمؤلف الأستاذ محمد سعيد كمال وقد خلط المؤلف بين عبابيد القُثمة الذين هم رؤساء القبيلة قاطبة وعبابيد الْعُصْمَةَ .

وقال عن الصخريين إنهم بطن من ثُمَالة .

وأقول ان المعروف عنهم أنهم من قبيلة ثقيف من هوازن العدنانية وليسوا من ثُمالة الأزدية القحطانية .

وكلمة الأشراف لم يشرح المقصود منها ولعل أول من أطلق عليه هذا الشريف الرضي[1] وأخوه المرتضي[2] في العهد العباسي .

وفي (نادي الطائف الأدبي) حجر أثري كتب عليه ترجمة لأحد نساء أشراف مكة ملقبة بالشريفة ويؤرخ موتها سنة ٥٠٧[3] هـ كما ذكرها أيضاً العصامي في كتابه «سمط النجوم العوالي» وهذا عكس ما قاله المؤلف أن الأشراف كانوا يلقبون بالسادة حتى جاء أبو نُمَيٍّ .

---

(١) الشريف الرضي هو محمد بن الحسين بن موسى يتصل نسبه بالحسين بن علي بن أبي طالب ولد سنة ٣٥٨ وتوفي سنة ٤٠٦ عالم له مؤلفات معروفة وديوان شعر مطبوع وقد ألف في ترجمته مؤلفات مطبوعة .

(٢) المرتَضَى هو علي بن الحسين ولد سنة ٤٥٥ وتوفي سنة ٥٣٦ له مؤلفات كثيرة قال عنه الذهبي في كتاب «ميزان الاعتدال» : وهو المتهم بوضع كتاب «نهج البلاغة» ومن طالعه جَزَمَ بأنه مكذوب على أمير المؤمنين ، ـــ علي كرم الله وجهه ـــ .

(٣) «العرب» : حبَّذا لو كرم الكاتب الكريم الأخ مناحي بإرسال صورة هذا الحجر لنشره .

قال المؤلف عن الصواملة : أنهم بطن من الأشراف ينزل اللِّيث قرب غُمَيْقَة ، ولا يدري إلى أي الأشراف ينسبون .

وذكر لنا الشريف محمد بن منصور أنَّ الصواملة هؤلاء هم أهل رُنَيَّة والصواملة جميعهم من الأشراف العبادلة من آل أبي نُمَيّ .

كما ذكر عن تفرق العبادلة خارج المملكة . والصحيح أن جميع العبادلة الأشراف داخل المملكة العربية السعودية وليس منهم أحد خارجها ما عدا الملك حسين بن طلال وأهل بيته الأقربين في الأردن وما ذكره المؤلف عن تفرقهم وهم لا تسنده الحقيقة .

وذكر عن آل فليته أنهم حَسَنِيُّون ولكن الشريف محمد بن منصور عارض قول المؤلف فقال : آل فُلَيْتَة أشراف حكموا مكة قبل قتادة بن ادريس وينسبون إلى جدهم فليتة أحد أمراء مكة وليسوا حسنيين إنما ينسبون إلى الهواشم .

كما ذكر أنَّ الأشراف ، ذوي هزاع يسكنون في منطقة الْعَرْج بالطائف .

وأخطأ في نسبتهم ورد على ذلك الشريف محمد بن منصور بقوله أيضاً : ذوي هَزَّاع لا يسكنون الْعَرْج ، إنما يسكنون المدينة ، وينسبون إلى أخ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون أول من تولى حكم الحجاز من آل عَوْن .

وذكر عن آل قتادة أنَّ منهم ملوك المغرب .

والصحيح أنَّ أصل ملوك المغرب الآن ليسوا من بني قتادة وهم يرجعون في نسبهم كما ذكر المؤرخون إلى عبدالله الأشتر بن محمد النفس الزكية .

وقال : آل سَبْع بطين صغير ينزل اللِّيث قرب غُمَيْقَةَ ويَدَّعون أنهم من الأشراف والأشراف ينكرون عليهم ذلك .

وقد سألت النسابة الشريف محمد بن منصور عن ذلك فقال : آل سبع هؤلاء من الأشراف ذكرهم صاحب «عمدة الطالب» وجعلهم من عقب أبي جعفر محمد ثعلب بن عبد الله الأكبر حيث قال : وأعقب عيسى بن يحيي عشرة رجال منهم سبع .

كما صَحَّحَ لنا الشريفُ محمد بن منصور نسب الْقُعُورِ الأشراف فأوصله إلى سلطان بن حسين ابن محسن بن عبدالله بن أحمد الْفِعْرِ زين العابدين بن عبدالله بن حسين بن أبي نُمَيٍّ ، لا كما ذكر المؤلف أنه سلطان بن حسين بن محسن بن حسن بن أحمد بن عبدالله الفِعْر. كما صحح لنا أيضاً أن شنبر هو فعلاً جد الشنابرة الأشراف وعاش في القرن الحادي عشر.

وذكر المؤلف أن الحراجلة من الأشراف الشنابرة في شَفَا بني عَمْرو ، جنوب الطائف .

وأقول إنه لا يوجد في الشنابرة من يعرف بهذا الاسم والنسبة وفي شفا بني عمرو من يعرف بذوي بَاز ، من الأشراف .

وقال : الرميدة قرية أسفل وادي لِيَّة ، لذوي حسن الأشراف .

والصواب أن الرميدة هي لذوي حسن وليست قرية .

وذكر عن آل دراج أنهم أسرة من الأشراف لهم إمارة ينبع .

وذكر لنا الشريف محمد أنهم يعرفون بذوي هِجَّار وكانت لهم إمارة ينبع في آخر القرن التاسع وأول العاشر الهجريين. كما قال عن الرواجحة فرع من الأشراف بني قتادة وجدهم راجح ابن قتادة .

وصحح لنا الشريف محمد بن منصور هذا فقال الرواجح هؤلاء ليسوا من عقب راجح بن قتادة إنما جدهم راجح بن أبي نُمَيٍّ الأول .

كما نسب الثعالبة الأشراف إلى ذرية أبي نُمَيٍّ الأول .

ولكن نسابة الأشراف محمد بن منصور قال : إن الثعالبة فوق أبو نُمَيٍّ الأول ، وهم من عقب ثعلب بن مطاعن .

كما صحح لنا الشريف محمد ما ذكره المؤلف عن الأشراف ذوي زيد أنهم في لِيَّة ، ولهم بجيلة وهم من الأشراف العبادلة ونزح منهم عدد كبير إلى مصر.

فقال : الشريف : أهل لِيَّةَ جميعاً من العبادلة يخالطهم قليل من الشنابرة ، ولم ينزح أحد من ذوي زيد إلى مصر ، وجميعهم في الحجاز .

وبجيلة التي ذكرها المؤلف غير معروفة في لِيَّةَ وما حولها .

كما أن أخي البلادي يخلط في نسبته القثمة إلى جُشَم فيقول مرة : إنه لا دليل لديه في ذلك ، ومرة ثانية ينفي أن جشم القثمة وهذا تناقض على أساس نفيه وعدم وجود الدليل كما قال إن القثمة بنو قثام وهو اسم معروف ومرة أخرى يقول أنا لا أنفي أن يكون القثمة من جشم .

وانني أطلب من أخي البلادي إيضاح مصدره الذي عن طريقه جزم أن القثمة بنو قثام لأنني حريص على ذلك بحكم نسبتي إلى هذه القبيلة ، ولأنني لم أعثر على هذه النسبة الجديدة إلى قثام كما ذكر أخي البلادي .

وانني أذهب مع أكبر علماء بلادنا الكبار أمثال الأساتذة المرحوم محمد بن بلهيد وحمد الجاسر وعبدالله بن خميس وهم معروفون وقد أكدوا جميعاً أن القثمة هم جشم القديمة ومن الأدلة على ذلك أن ديار جثم القديمة هي ديار القثمة الآن وأن بعض اللهجات تحرف القاف جيما فيقولون جثامي أي قثامي ثم أين تذهب قبيلة جشم الكبيرة المعروفة التي تحل هذه البلاد ، والتي لا ذكر لها الآن إذا لم تكن هي القثمة كما أن بني عمومتهم بني سعد والمقطة والجعدة وغيرهم من عتيبة لا يزالون حتى الآن في ديارهم التي هي ديار هوازن . وبنو نصر المعروفون في جشم سابقاً معروفون الآن في القثمة وأنني مع الأساتذة ابن بُلَيْهد والجاسر وابن خميس ومحمد سعيد كمال أقول ان القثمة الآن هم جشم سابقاً .

وأخيراً أرجوا من الله العون والتوفيق والصواب للأخ البلادي الذي أكثر من الانتاج الأدبي ونحن نشيد به ولكن نريد الكيف لا الكم .

وانني بهذه المقالة استهدف المساهمة معه واصلاح ما أراه بحاجة إلى إصلاح على قدر جهودي .

مع شكري سلفاً للأخ البلادي والله الموفق ...

مناحي القثامي
نادي الطائف الأدبي

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية
المنطقة الشرقية

— ٦ —

[وهذا من مباحث (الجزء الأول) من «المعجم الجغرافي» قسم (المنطقة الشرقية) وهذا الجزء أصبح بين يدي القراء، و«العرب» تهدف من وراء نشر هذه المباحث أن تتلقّى من القراء ملاحظاتهم نَقداً أو إكمالاً أو تصحيحاً، لكي يتسنّى استدراك ذلك].

بُرَيْمَان :

— بضم الباء مصغَّراً — : منهل يقع بين الْعُقَيْر والأحساء. جاء وصفه في «دليل الخليج» بأنه على بعد ١٤ ميلاً في الجنوب الغربي من العُقَيْر، فيه ثلاث آبار ماؤها مرٌّ. وبقربها آثار قصر.

الْبُرَيْمِي :

بضم الباء الموحدة وفتح الراء وإسكان المثناة التحتية وكسر الميم بعدها ياءُ النسبة — : اسم يطلق على واحة ذات قرى ومياه ومزارع واقعة شمال عُمَان، وجنوب إمارة (أبو ظبي) وقد وقع خلاف بين حكومة المملكة العربية السعودية، وبين الحكومة البريطانية التي كانت تلك الإمارة مشمولة بحمايتها، وقد زال الخلاف بعد أن سقطت تلك الحماية عن الإمارة، وقد كان من أثر ذلك الخلاف أن نشرت حكومة المملكة العربية السعودية كتاباً عن البريمي وعن أجزاء أُخرى في تلك الجهة، لإثبات كونها داخلة في ممتلكات المملكة والآن أصبح البُريمي داخل حدود إمارة (أبو ظبي) وذهبت أسباب الخلاف، واشتدت أواصر المحبة بين الإخوة في كلتا الدولتين، ولا مانع من إيضاح بعض المعلومات الجغرافية عن (البريْمي) فهو جزءٌ من بلادنا الحبيبة (بلاد العرب).

جاء في الكتاب الذي أُلِفَ في هذا الموضوع ما نصه[1] :

إن اسم البريمي مأخوذ من أكبر قرى الواحة وأهمها كما هو الحال عادة فيما يتعلق بأسماء الواحات في جزيرة العرب . وتحتوي واحة البريمي على ثماني قرى وبعض البساتين هنا وهناك ، متجمعة على شكل مثلث ، يبلغ طوله تسعة (أكيال) وعرضه عند القاعدة ستة . وتقع أكبر مجموعة من بساتين النخيل والقرى في الوسط وتضم بلدة البُريمي وحماسا ، في حين تقع صعرا قريباً منها إلى الشرق . وأقصى قرى البريمي الواقعة إلى الشمال هي قرية هيلي بينما تقع القريتان المتلاصقتان القيمي والقطارة إلى الغرب من المجموعة الموجودة في وسط الواحة . وتقع قرية العيّن[2] على بعد كيلين ونصف جنوب بلدة البريمي عبر أراض خالية . وإلى الغرب من العين وراء بساتين الجاهلي التي تكاد تكون مهجورة توجد قرية المعترض . تبلغ مساحة الثلث الآنف الذكر ٣٧ كيلاً مربعاً تقريباً وتجري زراعة حوالي خمسها .. إنتهى .

بُرَيْهِيمَةُ

ـــ بضم الباء ـــ : من مياه السنّام في الربع الخالي ، من موارد آل مرة .

بُزاخةُ :

وقال البكريُّ : ـــ في شرح قول النابغة : ـــ نقلاً عن الأصمعي :

بُـــزَاخِـيــةٌ أَلْـوَتْ بِـلـيْـف كَـأَنَّـهُ عِفَـاءُ قلاصٍ طَار عنها ـــ نَوَابِزِ

قال : بُزَاخية تَبْزَخُ بحِمْلِهَا ، أي تقاعس . قال : ويقال نسبها إلى بُزَاخة مَوْضع بالبحرين ، ويقال : هو ماءٌ لبني أَسَد ، ورواه ابن الأعرابي : قُراحية ، نسبها إلى قُراح ، وهو سيف هَجَر ، وأصل الْفَسِيْل منه . انتهى .

ليس من المستبعد وجود موضع بالبحرين ـــ وهي المعروفة بالنخل ـــ باسم بزاخ أو بُزاخة ـــ كما في بيت النابغة الذي يصف فيه النخلة ، كما روى الأصمعيُّ وهو الحجة في اللغة ، ولكن قد تكون رواية ابن الأعرابي أصح لأسباب : منها سهولة تصحيف (قراحية) بكلمة

---

(١) «عرض حكومة المملكة العربية السعودية» : ١ ـــ ٣١ .
(٢) أصبح اسم العين يطلق على الواحة كلها .

(بزاخية) ومنها عدم شهرة موضع في البحرين اسمه (بزاخ) أو (بزاخة) مع شهرة (قراح) ومنها أن بُزاخة — وهي موضع لا يزال معروفاً بقرب مدينة حائل[1] — ليس معروفاً بالنخل . ومنها أن هناك من علماء اللغة من روى البيت على ما رواه ابن الأعرابي — كما في «معجم البلدان» لياقوت — في رسم قراح . وقال : إنه سيف القطيف .

البَطَّالِيَّةُ :

بفتح الموحدة والطاء المهملة مشددة بعدها ألف فلام مكسورة فمثناة تحتية مشددة فهاء .

من القرى المشهورة في الأحساء . قال في «تاريخ الأحساء[2]» : نسبة إلى ابن بطال ، أحد رجال العيونيين الذين ملكوا الأحساء في آخر القرن الخامس ، وهي قريبة من مدينة هجر الموجودة في عهد الفتح الإسلامي ، زمن مدينة الأحساء التي اختطها أبو سعيد القرمِطيُّ سنة سبع عشرة وثلاث مئة . انتهى .

وعدها الشيخ ابن عبد القادر من قرى المُبَرَّز ، وقال[3] مالك بن بطَّال ابن مالك بن إبراهيم العيوني ، إليه تنسب قرية البطَّاليَّة في الأحساء . انتهى .

وفي «دليل الخليج»[4] : أنها تقع على مسافة ثلاثة أميال من المبرز ، وأن فيها ٣٢٥ منزلا (هذا قبل ٨٠ عاماً) .

وأنها تروي من عينَي الحارَّة والجوهرية ومجاري المياه عالية ، ويمكن أن تُملأ بسهولة . انتهى .

وقد زرتها في ١٩—١١—١٣٥٨ هـ ثم في ٢٩ رجب سنة ١٣٥٩ هـ فاتضح لي أن القرية أُنشئت على أنقاض مدينة قديمة ، هي مدينة الأحساء التي اتخذها القرامطة قاعدة للمنطقة ، ووجدت القرية تتكون من أربعة أحياء (حارات) تفصل بينها حدائق النخيل الكثيفة ، وتقع

(١) أنظر تحديده في كتاب «شمال المملكة» .
(٢) ٤٥/١ .
(٣) ج٢ ص ٣٨ حاشية .
(٤) في الكلام على قرى المبرز .

في أرض منخفضة تكثر فيها المياه ، وتدعى تلك الأحياء : (١) الرابية . (٢) الفريق الشرقي . (٣) الفريق الشمالي . (٤) الفريق الجنوبي .

وفي الجهة الغربية من القرية آثار عمران قديم ، تحيط به النخيل من جميع جهاته ، في أرض مربعة تقريباً طولها نحو خمس مئة متر ، ويطلق أهل تلك الجهة على هذا المكان : (قصر قُرَيْمط) ويَدَّعون أن آثار الحمَّام الذي قتل فيه آخر رؤساء القرامطة لا تزال باقية في هذا المكان ، وأن مَجْرَى الماء متصل به من عين غير بعيدة عن الموقع هذا تُدْعَى (القُحَيِّات) وتنتشر آثار العمران القديم بين هذا المكان وبين أحياء قرية البُطَّالِيَّة ، من مساجد ، وأساسات أبنية وغيرها ، مما يؤكِّد صحة قول أهل هذه القرية بأن جميع المكان الذي تقع فيه القرية و(قصر قريمط) وما حولها كان بلدة واحدة ، متصلة المباني إلى عهد ليس بالبعيد .

وفي الجهة الغربية الجنوبية من آثار القصر على مقربة من تلك الآثار فيما بينها وبين عين (الجوهرية) بحيث يسمع المرء هدير مائها ، يوجد مكان يطلق عليه أهل تلك الجهة (المسجد الجامع) وبعضهم يسميه (مسجد قريمط) لقربه من موقع القصر المنسوب إلى قريمط .

ومساحة موقع هذا المسجد واحد وتسعون ذراعاً عَرْضاً وتسعون ذراعاً طولاً ، وفي جهته الغربية رواقان أساطينهما قائمة ، وبعض الجدار الغربي لا يزال قائماً .

وهذا المسجد لا محرابَ له ، وفي جداره القبلي مِشْكاتَان (كُوَّتان) ضيقتان ، وارتفاعها عن الأرض قليل وشكل بناء الأساطين متفاوت ، مما يدل على أن بناءها كان في فترات مختلفة .

وأهل القرية يختلفون إلى هذا المسجد كثيراً ، وقد أحاطوه بجدار من جميع جهاته خوفاً من أن يطمع في ملكه أحد أصحاب النخيل المحيطة به من كل الجهات .

وقد رُمِّم جانبه القبلي في ذي القعدة سنة ١٣٥٤ .

هذا ما كتبته عما شاهدت في هذه القرية سنة ١٣٥٨ .

ثُمَّ لَمَّا زُرتُها في شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ — أي بعد أربعين سنة — وَجَدْت آثار القصر قد زالت ، وَقَدْ أنشأتْ وزارة المعارف هناك مدرسة كبيرة ، شملت مساحة واسعة من

المواضع الأثرية هناك .

كما أُنشِئَتْ دور ومنازل حديثة في كلِّ نَواحي القرية ، طَمَسَتِ المعالم القَدِيمة التي كانت من آثار مدينة الأحساء الممتدة في جميع نواحي القرية ، في مساحة واسعة من الأرض بحيث تكون عين (الجوهرية) وسطها ، وقد أصبح موقع المدينة نَخيلاً .

وورد اسم البطالية في المؤلفات الحديثة ، في سنة ١٢٠٨ سار الإمام سعود بجنوده إلى البطالية فقتل من أهلها جماعة ، وذلك حين قتل أهل الأحساء أميرهم المعين من قبل الإمام سعود ، ونقضوا العهد[١] .

وجاء وصفها في كتاب «دليل الخليج»[٢] — قبل تسعين عاماً بأنها على مسافة ثلاثة أميال شرق المبرز ، وأن فيها ٣٢٥ منزلاً ، وسكانها شيعة ، ونخيلها تُسْقى من عيني الجوهرية والحارَّة . انتهى .

وقد شملها — ما عمَّ غيرها من قرى المملكة — من العمران ، فتغيرت عما كانت عليه .

البَطْنُ :

على اسم البطن المقابل للظَّهْر — : قال : قال جرير[٣] :

حَيِّ المنـازِلَ بـالاجْـراعِ غَـيَّـرهـا ... مَـرُّ السِّـنِـيـنَ وآبـادٌ وآبـادُ
إذ النَّـقِـيـعَـةُ مُخْضَرٌّ مَذانِبُـهَا ... وَإذْ لَـنَـا بِشِـبَـاكِ الـبَـطْـنِ رُوَّادُ

وفي الهامش بالأجراع أيضاً — كما في أحد النسخ .

وشباك موضع . البطن : موضع .

وفي «معجم البلدان» : النقيعة خَبْراءُ بين بلاد بني سَلِيط[٤] وضبَّة .

---

(١) «تاريخ الأحساء» ١٠ — ١٣٤ .
(٢) القسم الجغرافي — ٩٨١ .
(٣) ديوانه : ٧٢٥ .
(٤) بنو سليط من بني يربوع من تميم .

قال جرير :

خَلِيلَيَّ هِيجَا عَبْرَةً وقِفَا بِنَا عَلَى مَنْزِلٍ بَيْنَ ٱلنَّقِيعَةِ وَالْحَبْلِ

وعبّر صاحب «المناسك»[1] بكلمة (البطن) عن وادي فلج ، ولعله يقصد بطن الوادي لأنه ذكر الكلمة بعد كلام جاء فيه : كان من وَرَاء الحفر — يقصد لمن كان في العراق — منازل للعرب قديمة في بطن فلج ومياهها عَذْبَةٌ . إلى أن قال : وكان في البطن من وراء ماوية عند الْتواء الوادي — وذلك الموضع يُسَمَّى العوصاء لالْتِوَائِهِ — الرقمتان . وقال أيضاً[2] : كان أبو جعفر حفر بئراً قريباً من رُوَيَّة ، وهي فيما بين الشَّجِيِّ والخَرْجَاء ، عن يسار المُصْعِدِ في البَطْنِ ، في السَّنَدِ مما يلي الصَّمَّان . انتهى المقصود منه ويظهر أنه قَصَدَ الصِّفَةَ التي هي وصف ذلك الموضع ، وليس علَمًا لوادي فَلْج المعروف الآن باسم (الباطن) وإن كان بعض الأخوة الباحثين يرى أن الوادي كان يسمى البطن أَخْذاً مما تقدم ومثل قول صاحب «المناسك» قول الراجز :

الله نجّاك من القَصِيمِ
وبَطْنِ فَلْج وبَنِي تَمِيمِ

أَمَّا الْبَطْنُ الوارد في شعر جرير فهو على ما يظهر من إضافة الشُّبَاكِ إليه يقع شمال وادي فَلْج بمسافات ، وأنه ما يعرف الآن باسم (البَطْن) .

والبطن هذا أرض واسعة منخفضة . تمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي . متاخمة للمرتفعات الواقعة غرب الوقبا الممتدة إلى نصاب فَرْفَحا فالمُعانيَّة ، ممتدة أرض البطن بامتداد هذه المرتفعات ، ولكنها منخفضة ، ويحف بجوانبها الجنوبية مرتفعات تُدْعَى ظهرة البطن أما من الشمال فتحفُّ بها الْحَجْرَةُ . ومن الغرب صحراءُ الصَّحْن . ومن الغرب أيضاً وادي حسم (حسب) والمنخفضات الواقعة غرب المعانيَّة .

وفي البطن مياه كثيرة ، منها الشُّبْرُم والجل وعثامين ، وتخاديد وشَرَاف ، والسكر والشبكة والشُّباك وعَيْدَها واللعاعة[3] .

(١) : ٥٧٠ .

(٢) : ٦١٤ .

(٣) قد حددت أكثر هذه المواضع في «شمال المملكة» ولم أحدد البطن لوقوعه داخل الحدود العراقية .

والبطن متصل بالحجرة ومياهها مختلطة ، ويخترق طريق الحج العراقي القديم صحراء البطن من الجُمَيْمة الواقعة بقرب بلدة رَفْحَا شرقها فالعقبة فعثامين فواقصة ، فشراف ، وأكثر صحراء البطن واقعة شمال المملكة داخل الحدود العراقية .

(تقع صحراء البطن بين خطَّي الطول ٠٠ــ٤٣ْ و٠٠ــ٤٥ْ وبين خطي العرض ٣٠َــ٢٩ْ و٠٠ــ٣١ْ) والبطن هذا متَّصلٌ من الغرب بما يعرف قديماً بِحَزْنِ بني يَرْبُوع ، والشُّبَاك من مياههم[1] .

بَطْنُ السِّرِّ :

في «معجم البلدان» : بطن السِّرِّ واد بين هَجَر ونجد ، كان لهم فيه يوم ، قال جرير :

اسْتَقْبَلَ الحيُّ بَطْنَ السِّرِّ أَمْ عَسَفُوا   فَالْقَلْبُ فِيهِمْ رَهِيْنٌ أَيْنَمَا انْصَرَفُوا

السِّرُّ من الأسْمَاء التي تُطْلَقُ على مواضع كثيرة . وستأتي تتمة الكلام في موضعها .

الْبَطِينُ :

بالفتح وكسر الطاء المهملة ــ : أرضٌ واسعة منخفضة . تقع جنوب الظَّفْرَةِ وشرقها ، بينها وبين الكِدْن .

والجانب الشمالي من البطين يُدْعَى الجِواء والبطنة ، وتكثر المياه في الجواء ، وهو من بلاد المناصير .

الْبِعَالُ :

بفتح الباء والعين المهملة بعدها ألف فلام ــ : جبل يقع جنوب نُقَير ، وشمال مشاش (أبو حَذْرِيَّة) يرتفع عن سطح البحر نحو ١٤٢ متراً .

وهذا هو الذي ذكره ياقوت بقوله : وقال العُمْرانيُّ : هو بُعَال بوزن غُراب موضع

(١) أنظر عن الشباك «شمال المملكة» : ١٤١٥/٧٠٣ .

بالقُصيبَة ، وأنْشَدَ :

وَيسْأل البْعَالَ أَنْ يَمُوجَا

ونقل صاحب اللسان عن ابن عبَّاد أنه جبل بالقُصْيَّة وسيأتي في القصَيَّة أنَّها قرية العجاج وأنها بِقُرْبِ نُقَير.

وهناك موضع ورد في شعر كُثَيِّر ، يقع في تهامة ، بقرب الأبواء وعسفان .

البُعْجَاء :

اسم آبار حفرها جعفر بن سليان — في القرن الثالث الهجري — في الخَرْجاء الواقعة على طريق الحج البصري ، شرقي الحَفَر . وهي غير معروفة الآن .

بَعْجَاءُ :

بفتح الباء وإسكان العين المهملة — والعامة يفتحونها مع إسكان الباء — وبالجيم مفتوحة بعدها ألف ممدودة — : ماءٌ يقع شرق الْمِجَنّ على ساحل البحر جنوب قطر ، في منتصف المنحدر الشرقي للمجن ، عند انحداره نحو شاطىء الخليج ، تقع آبار بعجاء والسلع . أما بعجاءُ فهي مبطنة بالحجارة فيها ماءٌ مقبول ، يتردد عليها المناصير كثيراً .

وأما السلع ، التي تبعد قليلاً إلى الجنوب ، فيستعملها أيضاً المناصير لإبلهم ، غير أنهم يفضلون استعمال مياه بعجاء لأنفسهم[1] .

بُعَيْجُ :

بضم الباء وفتح العين المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنة فجيم — : ماءٌ يقع غرب جنوب رأس سَلْوة ، غرب السَّكَك ، يحف به من الشمال جالٌ يدعى جال بُعَيج ، يمتد شرقاً شمالياً إلى قرب سلوة ، ويسمى خَشْم بُعَيْج أيضاً — يُشاهد على بُعْدٍ من الطريق المتجه من الأحساء إلى

---

(١) «عرض حكومة المملكة العربية السعودية لقضية البريمي» : ١—١٦ .

سَلْوَةَ ، قرب الوصول إلى الجافورة .

بَقَرٌ :

على اسم الحيوان المعروف .

قال ذُو الرُّمَّةِ — يَصِفُ غزَالاً[1] :

تَنِي الطَّوَارِفَ عَنْهُ دِعْصَتَا بَقَرٍ وَيَافِعٌ من فِرِنْدَادَيْنِ مَلْمُومُ

تني : تطرد . دِعْصَتَا بَقَر : رَمْلَتَان في شِقِّ الدهناء ، يقال لها دِعْصَتَا بَقَر — أي تحجبان عن هذا الظبي الأبصار .

ويافعٌ : كثيب مشرف . من فِرِنْدَادَيْن وهما حَبْلانِ من الرمل . يقال لها فِرِنْدَادَانِ . قال : وبِالفِرِانْدَادِ له أُمْطِيُّ .

قال أبو عمرو : والأُمْطِيُّ : شجيرةٌ خَضْراءُ غبراءُ لها لَبَنٌ ، فيجمس فيصير صَمْغاً عربياً . إنتهى من شرح «ديوان ذي الرُّمَّةِ».

ويظهر أنَّ دِعْصَتَي بَقَرٍ من أَنقاء الدهناء الواقعة غرب حُزْوَا غير بعيدة عنها ، إذْ قرن ذكرهما بالفرندادين اللذين سيأتي الكلام عليهما .

والدِّعْصُ هو الكثيب المرتفع ، وقد أَبْدَلَتِ العامة الدال طاءً والصاد سيناً (الطِّعْس) .

بَقَّةُ :

بفتح الباء الموحدة والقاف مشددة وآخره هاءٌ .

من قرى بُقَيق ، في المنطقة الشرقية .

ويلاحظ أنَّ الاسم يطلق على موضع آخر في جهات العراق ، بقرب الحيرة ، وفيه ورد المَثَلُ : (بِبقَّةَ خَلَّفْتَ الرَّأْيَ) .

---

(1) : ٣٨٧ .

واسم بَقَّة يُوحي بقدمه .

بُقَيْق :

بضم الباء وبقافَيْن — أولاهما مفتوحة بعدها ياءٌ تحتية ساكنة — ويُكتَب الإسم خطأً (ابقيق) بإسكان الباء على عادة العامة — وتأثر بذلك الإفرنج فكتبوه (ABQAIC) — كان الاسم يطلق على منهل ولكن بعد العثور على النفط في هذه الجهات ، كان الحقل القريب من هذا المنهل من أعظم الحقول ، فصار الاسم يطلق عليه وعلى ما قربه ، وشمل منطقة واسعة مما كان يعرف قديماً باسم البيضاء ، ثم أُنشئت فيه بلدة ازدهر عمرانها ، حتى أصبحت مدينةً وفيها إمارة من إمارات المنطقة يُضاف إليها قرى ومناهل للبادية .

الْبَكَرَاتُ :

— جمعُ بَكْرَة —

عدّها الهمداني من بلاد البحرين[1] — كما تقدم في الكلام على الأطيط واستشهد بقول امرىء القيس ، والواقع أن قوله ينطبق على البكرات الواقعة في عالية نجد ، التي لا تزال معروفةً .

وهناك بكرات أُخرى تقع في أسفل الوشم ، وثالثة تقع بمنطقة حائل[2] .

والغريب أنَّ الْهَمْدَانيَّ نَفْسَهُ ذَكَرَ البكراتِ الواقعة شرقي الوشم وحدد موقعها في كتابه[3] .

كما ذكر البكرات الواقعة في عالية نجد ، وحدَّد موقعها تحديداً صائباً[4] :

---

(١) «صفة جزيرة العرب» : ٣٩٠ .
(٢) أنظر «شمال المملكة» ص ٢٢٣ .
(٣) صفة جزيرة العرب» ٢٨٥ .
(٤) ص ٢٨٩ .

ولكنه نَسيَ كل هذا عندما أورد قول امرىء القيس الذي ذكر فيه البكرات الأخيرة ، فقال : إنها في بلاد البحرين ، ولا شكّ أن هذا خطأ ، فكلام امرىء القيس لا ينطبق إلا على البكرات الواقعة في أعلى نجد لأنه قرن ذكرها بمواضع قريبة منها .

الْبَلاَئِقُ :

في «معجم البلدان» : البلاثق بالفتح والثاء المكسورة مثلثة وقاف ـــ: موضع في بلاد بني سَعْدٍ . قال مالِكُ بن نُوَيْرة ، وكان قد سابق بفرسٍ له يُقال له نِصاب ، وكان سباقه في هذا الموضع فقال :

جَلَا عَنْ وُجُوهِ الأَقْرَبِيْنَ غُبَارُهُ   نِصَابُ غَدَاةَ النَّقْعِ نَقْعِ الْبَلَاثِقِ

وتقدم خبر مسابقة ابن نويرة بني سَعْد حين نَزَلَ على بثاء مما يفهم منه قرب البلاثق هذا الموضع من بثاء ، الواقع في السِّتَارَيْنِ حسب تحديد الأزهري . والستاران يعرفان باسم وادي المياه في هذا العهد .

بُلُّبُولُ :

بضم الموحّدتين بينهما لام فواو ساكنة فلام أيضاً . قال في «معجم ما استعجم» : بُلُّبُولُ موضع من شقّ البَحْرَيْن ، قال المُخَبَّلُ :

غَشِيْتُ لِلَيْلَى دِمْنَةً لَمْ تَكَلَّمِ   بِبُلْبُولَ فَالأَجْرَاعِ أَجْرَاعِ تَوْأَمِ

وقال جرير :

تَيْمِيَّةٌ هَمَشاً قَالَتْ لِنِسْوَتِهَا :   يا لَيْتَ لِلتَّيْمِ أَيْراً مِثْلَ بُلُّبُولِ

بُلُّبُولُ : جبل بالبطن بيْنَ الكُرْمةِ والدَّهْنَاء والْهمَشُ : خَلْطُ الحديث[1]

وأورد له صاحب «تاج العروس» :

---

(١) «ديوان جرير : ٧٥ .

يا طالَ ما عارَضَها بُلْبُولُ وهْيَ تـزُولُ وَهْوَ ما يَـزُوْلُ

وفي كتاب «صفة جزيرة العرب»[1] في الكلام على الوشم : وأُشيقر والشقراء وهما لبني تميم ، وبُلبول وفيه يقول عمارة حيث دَفَنَ ابْنَهُ :

سَقَى الله بُلْبُولاً وجَرْعاءَهُ الَّتي أقَامَ بها إبْني مَصِيفاً ومَرْبَعَا
كأنَّ لَمْ أذُدْ يوماً بِرَجْمَةَ من حمى[2] عَدُوًّا وَلَمْ أدْفَعْ بِهِ الضَّيْمَ مَدْفَعَا

وفي «معجم البلدان» : بُلَّبول : جبل بِالْوَشْم من أرض اليمامة عن ابن السكيت ، وفيه روضةٌ ذُكِرَتْ في الرياض ، وقال الحَفْصِيُّ : بُلَّبُوْلُ جبل . وقال أبو زياد : بُلَّبول جبل باليمامة في بلاد بني تميم .

ويوم بُلَّبول من أيام العرب .

قال النُّمَيْرِيُّ :

سَخِرَتْ مِنِّي الَّتي لَوْ عِبْتُها لَمْ تَعُدْ تَسْخَر بَعْدِي بِرَجُل
لَوْ رأتْنِي غادِياً في صُورَتِي بَيْنَ بُلْبُولٍ فَحَزْمِ الْمُنْتَقَلْ
يَنْفِضُ الْغُدْرَة بِي ذُو مَيْعَةٍ سَلِسِ الْمَجْدَلِ كَالذِّئْبِ الأزَلّ

وفي «معجم البلدان» أيضاً : روضة بلبول : جبل بالوشم من أرض اليمامة . قال أعشى باهلة :

كأنَّ بَقَايَاهُمْ صَبِيحَةَ غَيِّهِم (؟) بِرَوْضَةِ بُلْبُول نَعَامٌ مُشَرَّدُ

وفيه أيضاً : الْمُجَزَّل : جَبَلٌ أو روضة باليمامة ، وَثَمَّ جَبَلٌ يقال له بُلْبُول . انتهى وهذا نصُّ كلام نَصْرٍ في كتابه[3] .

ويظهر من أقوال المتقدمين أن اسم بلبول يطلق على :

---

(١) ص ٣١٠ (منشورات دار اليمامة) .
(٢) لعل الصواب (مزحماً) .
(٣) الورقة : ١٣٤ .

١ — موضع بالبحرين (المنطقة الشرقية) لا يزال معروفاً ، يقع شمال منطقة الْجُبَيْل ، بينها وبين رأس المشْعَاب ، والاسم يطلق الآن على منطقة فيها رأس من البر داخل في البحر يُدْعَى بُلْبُول ، سيأتي ذكرها ، وكان لِبُلْبُول هذا أزمان الغوص على اللؤلؤ شأنٌ ، بحيث كانت تُقَامُ فيه سوق ، وكان مُنْتَجَعاً للبادية . ويقع جبل مُنَيْفَةَ على جانبه الشرقي الجنوبي . ويظهر أن بُلْبُولاً هذا هو الوارد في شعر المخبل السعدي لأنه يقع في بلاد بني سعد في منطقة السودة ، على ساحل البحر ، بمقابلة جزيرة (أبو علي) وله خور واسع غزير الماء ، ولهذا كانت سفن الغوص الكبيرة تَرْسُو فيه ، وبقربه مياهٌ يرِدُها الناس ، ولكنها ليست عذْبَةً .

وفي خبر غزوة علي باشا الكرجي للأحساء في رجب سنة ١٢١٢ أقام في بلبول لأن السفن كانت تنقل له من البصرة وغيرها إلى ساحل بلبول ما يحتاج إليه ، وقد جاء ذكر بلبول في كتاب «لمع الشهاب»[١] بهذه المناسبة بأنه جزيرة بقرب الكويت من جانب الجنوب على ثلاثة أو أربعة أيام من طريق البرّ ، ولكن هي لها مقطع من الجزر ، ويمكن ذهاب الدواب إليها والناس مشاة وركباناً ، وفيها ماءٌ معهود كثير جداً وهي مما يلي القطيف من جانب الشمال على ستة أيام أو سبعة أيام ، ثم ذكر السفن التي تنقل ما يحتاج الباشا إلى بلبول وإلى البحرين وإلى العجير[٢] ، وأن الباشا أقام في بلبول عشرة أيام أو أكثر.

وذكر أيضاً أن الباشا لما رجع من الأحساء بعد عجزه عن الاستيلاء على (الكوت) أقام في بلبول ، وأن بعض أهل الأحساء هربوا إلى جزيرة بلبول عند رجوع الباشا منهزماً . وكرر القول بأنها جزيرة — كما سيأتي في الكلام على العدان[٣] — وقد أراد حاكم الكويت الشيخ سالم الصباح بناء قصر بقرب هذا الموضع ، فحدثت معركة عرفت بوقعة حمَض سنة ١٣٣٨ (١٩٢٠م) بينه وبين مُطَير وغيرهم من الإخوان .

٢ — وبُلْبُولُ أيضاً جبل في الوشم كما في كلام الهمداني ونصر الاسكندري وياقوت .

أما الوارد في قول عمارة فكلام الهمداني صريح بأنه في الوشم وتلك بلاد عمارة على ما قال

(١) ١٣٠ (طبعة دارة الملك عبد العزيز) في الرياض .
(٢) يقصد العقير .
(٣) : ١٢٦ .

ابن أبي حَفْصَةَ في هِجَائِهِ .

وَابْنُ الْمَرَاغِبَةِ حَابِسٌ أَعْيَارَهُ   بِالْوَشْمِ مَنْزِلَةِ الذَّلِيلِ الصَّاغِرِ[1]

ولكن لا يعرف الآن في الوشم جبل بهذا الاسم . وقد يكون مُسَمَّى الوشم — قديماً — يَمْتَدُّ إلى جبل بلبول الواقع شرق الفقء (سُدَير) أو أنَّ بعض المتقدمين خلط بين الموضعين ويحدث هذا عند تحديد المواضع كثيراً .

٣ — جبل في غربِيٍّ الْعَرَمَةِ يَبْدُو من بُعْدٍ بارزاً للمتَّجِه إلى سُدَير من الرياض من الطريق المارِّ ببلدة مَلْهَم ، يشاهده الْمَرْءُ حين يُقْبِل على وادي العَتْك .

وهذا هو الذي بقرب المَجزَّل ، الوارد في كلام صاحب «معجم البلدان» . وليس في الوشم ، بل في شرقي منطقة سُدَير (الفقْء قديماً) في جهة مُجَزَّل ، وهو الذي بين الكُرْمة والدهناء ، إذ الكُرْمة آخر حَدٍّ اليمامة للمتجه إلى البصرة ، وهي في الفقء وتلك بلاد تَيم الذين هجاهم جرير ، ومن بلادهم[2] في الكرمة الْخَيْسُ والخطامةَ وحَرْمة وهو الوارد في قول جرير أيضاً : (قد طال ما عارضها بُلْبُولُ) لأن المتَّجِه من اليمامة نحو البصرة يُمَاشِيْه هذا الجبل مسافة طويلة .

٤ — أما الوارد في شعري النُّمَيْرِيِّ وأَعْشَى باهِلَة فيظهر أنه ليس واحداً من الثلاثة المتقدم ذكرها ، لبعد بلاد الشاعرين عنها ، وليس من المستبعد أن يكون في بلاد الشعرين — وهي متجاورة — موضع رابع يسمى بُلْبُولاً .

الْبُلُّوقَةُ :

بفتح الباء وضم اللام مشددة بعدها واو ساكنة فقاف مفتوحة فهاءٌ — في «تاج العروس» : الْبُلُّوقَةُ المفازة ، والأرض المستوية اللَّيِّنَة أو الرملة التي لا تنبت إلا الرُّخَامَى ، والثِّيرَانُ تُوْلَعُ بِهِ وتحفر أُصوله فتأْكل عروقاً فيه .

---

(١) تجني هذا الشاعر على هذا البلد الطيب ، وهو منزل ذوي عز وفضل ، ولكن الشعراء كما وصفهم الله عز وجل من أهل الكذب إلا من استثنى .

(٢) كتاب «بلاد العرب» ٢٥٣ — ٢٥٥ — ٢٥٧ .

قال ذو الرُّمَّة يصف ثوراً :

يَـرُودُ الـرُّخَامَى لَا يرى مُسْتَرادُهُ   بِـبَـلُّـوقَـة إلَّا كَـبِيرِ الْـمَـحَـافِـرِ

ورد الاسم بلفظ الجمع في قول الفرزدق[1] يذكر امرأة من البراجم تزوجت خُزاعِياً :

فَرُبَّ رِبِيع بِالْبَلَالِيق قَدْ رَعَتْ   بِـمُـسْتَـنِّ أَغْـيـاثٍ بُعَاقٌ ذُكُوْرُهَا

وفي «معجم البلدان» : بلوقة — بسكون الواو وقاف — قيل : أرض تسكنها الجن .

قال أبو الفتح : بلوقة ناحية فوق كاظمة ، قريبة من البحر ، وهو يقصد نَصْراً الاسكندري وهو نَصُّ كلامه[2] ثم نقل عن الحفصِيِّ : بلوقة السِّرَى وبَلُّوقة الزنج من نواحي اليمامة .

وفي «معجم ما استعجم» : بَلُّوقة بناحية البحرين فوق كاظمة .

قال عُمَارَةُ بن طارق :

فَوَرَدَتْ مِنْ أَيْـمَـنِ الْـبَلَالِقِ   حَـيْـثُ تَـحَـجَّى مُطْرِقٌ بِالْفَالِقِ

مُطْرِق : واد . والفالق : مَسِيل ماء هناك وقال أبو بكر[3] : بلُّوق : موضع لا ينبت شيئاً ، تزعم العرب أنه من بلاد الجنّ . انتهى . ويظهر أن الرجز لا ينطبق على الموضع الذي في جهة كاظمة ، إذ مطرق والفالق على ما يفهم من كلام بعض المتقدمين في نواحي القصيم ، فطرق من النباج ، وهناك واد يدعى الفويلق ، والاسم قد يطلق على مواضع . والبلالق جمع بَلُّوقة وهي صفة من صفات الأرض تنطبق على مواضع كثيرة .

وقول المتقدمين عن بَلُّوقَة : إنها فوق كاظمة يقصدون في الأعم الأغلب لمن كان في العراق ، فهي على هذا دُونَ كاظمة في نواحي منطقة الكويت .

---

(١) : ٢٥٦ البلاليق : فجوات الرمل تنبت الرخامي وغيرها الواحدة بلوقة .
(٢) كتاب نصر الورقة ٢٣ .
(٣) يقصد ابن دريد في كتاب «الجمهرة» .

بَني مَعْن :

ويُقال : قرْيَة بني مَعْن — مضافة إلى الإسم المعروف بالميم والعين المهملة والنون : من قرى المفوف ، في واحة الحساء ، وأغرب صاحبُ «تاريخ الأحساء» حين قال[1] : (نسبت إلى بطن من حِمْيرسكنوها في القديم فسميتْ بهم ، انتهى وما أرى هذا صحيحاً ما لم يُثْبِت ذلك نَصٌّ تاريخي قديم ، وهي واقعة وسط النخيل بجانب مجري عين الأُخدود ، وفيها عين تُدْعَى الزَّعَابِلَة ، عَذْبَةُ الماء وتبعد عن المفوف مسيرة تصف ساعة مشياً على القدم . في الجهة الشرقية ، وحُرِف اسمهافي كتاب «دليل الخليج» إلى (بني نعم) .

بَني نَحْو :

بالنون بعدها حاءٌ مهملة فواو — ورد هذا الاسم في كتاب «دليل الخليج» في ذكر قرى المفوف باعتباره قرية تقع على مسافة ميل شرقي المفوف بقرب الطريق إلى الجشة ، فيها عشرون منزلاً للشيعة ، وقليل من النخيل ، وكثير من العيون مثل حقل أُمّ اللّيف ، وقُصَيْبَة ، واللُّوَيْمي ، وعين برابر في جنوبها وعين منصور في الشرق منها . هذا ملخص ما جاء في الكتاب المذكور ، وقد أوشكت هذه القرية الآن على الزوال بسبب تغير وسائل الرَّيّ وضعف ماء العيون .

بُنَيَّانُ :

بضم الباء وفتح النون وفتح المثناة التحتية مشددة بعدها ألف فنُون —: ماءٌ يقع في الطرف الشمالي من سَبخَةِ قَنُّور ، بمنطقة وادي المياه (الستار قديماً) حدثت فيه وقعة بين بني هاجر وبين العُجْمَان ، قال شاعر من بني هاجر يُدْعَى ابنَ عُقَيْشَة — عامي — :

قُلْ لَهْ : تَرَى العَضْبَا تَقَفَّتِ بْنَيَّانْ وَمَا راحْ لِهْ مِنْ عِلَّةٍ جَاهِ عِلَّهْ !

العَضْباءُ قارة في الأَغوار (الغوار) بينها وبين الأحساء ، حدث بقربها وقعة بين القبيلتين ، هُزِموا في وقعة بُنَيَّان .

---

(١) : ١ — ٣٩ .

ومما تجب ملاحظته أن هذا الاسم قد صُحِّف باسم (بنّيان) ومن الغريب أن الماءين يقعان في بلاد بني سعد ، فهذا واقع في الستارين من بلادهم ، وبَنْبَانُ — بالباءين الموحدتين وبالنونين — قرية لهم تقع في العارض شمال مدينة الرياض على مقربة منها .

وفي بلاد آلِ مُرَّةَ — في الجِبّانِ — بُنيَّان ، ويضاف إليه جَوْبٌ يُدْعَى جَوْب بُنيَّان .

الْبُوحُ :

بالباء بعدها واو ساكنة فحاء مهملة : من مياه آل مُرَّة ، بمنطقة الدكَاكَة ، في الرُّبْع الخالي .

بَوْزع :

العين مهملة في «معجم البلدان» : اسم رملة في بلاد بني سعد بن زيد مناة بن تميم . وفي «القاموس» وشرحه : رملة معروفة من رمال بني أسد . وفي «التهذيب» و«الصحاح» و«العُبَاب» لبني سعد قال رؤبة :

مِنْ رَمل تُرْنَا أو رِمال بَوْزَعَا[1] .

وأقول : لا يُستبعد أن تكون كلمة (أسد) تحريف (سعد) في المصدر الذي نقل عنه صاحب «تاج العروس» إذا الرمال المعروفة في بلاد بني سعد مثل رمال يبرين ورمال جنوب الدهنا بخلاف بني أسد فبلادهم ليست معروفة بالرمال. ثم إن رؤبة صاحب الرجز سعدي ، وهذا مما يقوي القول بأن المراد بلاد قومه .

الْبُوَيْرِدَةُ :

بالتصغير — من مياه وادي المياه ، جنوب ثاج ، من موارد العجمان .

---

(١) في «ديوان رؤبة» : ٩١ .

•أعين فراد إذا تقمعـا ‏ ‏ ‏ ‏ برمل يرنا أو برمل بوزعا

البِيَاضُ :

ضِدُّ السَّوَاد — يطلق هذا الاسم على مواضع :

قال ذو الرُّمَّةِ :

رَأَيْتُ النَّـاس يَـنْـتَـجِعُونَ غَيْثاً بِسَائِفَةِ الْبَيَاضِ إلَى الْوَحِيدِ[1]

وجاء في «معجم البلدان» : البياض : موضع باليمامة ، في موضع قريب من يَبْرِيْنَ ، وأَنْشَدَ بعضُهُمْ :

أَلَـمْ يكُنْ أَخْبَرَنِي غُلامِي
أنَّ الْبَيَاضَ طَامِسُ الأَعْلاَمِ

وقال الهجري بعد إيراد قول الشاعر[2] :

فَإِنَّ الذي يُـمْسِي الْبَيَاض مَحَلُّهُ بِحَيْثُ الْتَقَتْ مِعْزاؤُهُ والسَّوائِفُ
لَمُوْتَنِفٌ بِالْهَجْرِ نَأْيَ صَدِيقِهِ إِذا لم تُقَرِّبْهُ القِلاصُ الدَّفائِفُ

وقال : الْبَيَاضُ بين يَبْرِين واليمامة ، بسائِفة الرَّمل والسائفَةُ لِوَى الرَّمل . انتهى[3] وهذا يوضح مقصود ذي الرُّمةِ . وهذا البياض قد حدده الهمداني وقبله صاحب «بلاد العرب» الذي أضافه إلى كعب بن ربيعة . وبالغ في سعته فقال : البياض صحراءُ لِقُشَيْر وجعدة ، مسيرة عشرين يوماً ، وهو فلاة بين الفلج ويَبْرِينَ ، ليس به ماءٌ حتى ترد يبرين انتهى مع أنه ذكر هو والهجري من مياهه صَدَّاءَ التي يضرب بمائها المثل .

وهذا البياض لا يزال معروفاً : يحف به من الشرق ما يعرف قديماً باسم الأَدمَى — وتقدم هذا — ومن الجنوب — قُفٌّ عريض يقع جنوب إقليم الخرج يُدْعَى الدَّام ، يمتد جنوباً هذا القف حتى يحاذي بلاد الحوطة شرقاً فينتهي وتنبسط الأرض إلى شرق الأفلاج فما بعدها حتى

---

(١) ١٨١٣ والسائفة الرملة الدقيقة وعلق المحقق بما جاء في «معجم البلدان» من أن البياض موضع باليمامة وأرض بنجد لبني كعب بن عامر بن صعصعة .
(٢) «أبو علي الهجري» : ٢٠٩ .
(٣) : ١٢٣ .

يوم المنتهب

جاء في كتابكم عن أبي علي الهجري[١] : (المنتهب قرية لبني سبنس ، مقابلة أجا ، من بطن حايل في الغرب ، عن فَيْد بيومين ، بها هزم أمية بن عبدالله ، عبدالله بن عمرو بن عثمان ... ورَمَّانُ عن المنتهب بيوم ، ونقلتم هذا في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي»[٢] وأضفتم قول ياقوت ومنه : (ويوم المنتهب من أيام طيّء المذكورة) .

وقد بحثت عن خبر هزيمة أمية ، وخبر اليوم المذكور ، فلم أر له ذكراً فيما اطلعت عليه ، وأنا أُعِدُّ بحثاً عن (قبيلة طيء) .

فأرجو إرشادي إلى المصدر الذي يفيدني في الموضوع !

حايل — محمد الجارالله

العرب :

١ — أمية المذكور في كلام الهجري هو أمية بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وتكرار كلمة (عبدالله) خطأ وقع في مخطوطة «نوادر الهجري» التي هي مصدر كتابنا عن الهجري .

الرمال ، وهذا المنبسط من الأرض هو البياض ، وهو خارج عن المنطقة التي نتحدث عنها في هذا القسم من «المعجم» .

وسائفة البياض هي الرمال الواقعة شرقه ، المتصلة برمال الدهناء وحبالها كالوحيد وحزْوا وتلك البلاد التي يعنيها ذو الرُّمَّة ، فهو ذكر البياض ليوسع البلاد التي يُقْصَدُ منها الممدوح .

حمد الجاسر

٢ ــ اليوم الذي أشار إليه ياقوت من أيام الإسلام ، هو فيا يظهر اليوم الذي هزمت فيه قبيلة طيء أمية بن عبدالله المذكور ، ويقال له عبدالله بن المطرف ــ والمطرف لقب أبيه عمرو بن عثمان ــ وقد وقع ذلك اليوم أثناء إمارة عبد الواحد بن سليمان المدينة ، وقع فيا بين سنتي (١٢٩ و ١٣٠) وها هو خبر ذلك اليوم ــ على ما ذكره البلاذري في كتاب «أنساب الأشراف»[١] قال : وقُتِلَ أُمَيَّةُ بنُ المِطْرَفِ بِقَدَيْدٍ[٢] ، وكان عبد الواحد بن سليمان[٣] قد ولاّه على أسدٍ وطيّءٍ فجاءه سبعون من فزارة ، وذلك في أيام مروان بن محمد ، فسألوه أن يخرج بهم معه ليغيروا على طَيِّءٍ لِثأرٍ كان لهم فيهم ، فخرج بهم وتجمّع إليهم ناس من أهل المعادن طلباً للغنائم ، فلقيه معدان الطائي بالمنتهب في جماعة من طيّءٍ فهزموه ، وقد كانوا عرضوا عليه أن يردّ فزارة ويأتي فيمن أحبَّ لأخذ صدقة أموالهم ، وفي ذلك يقول معدانُ يعتذر إلى عبد الواحد وأهلِ المدينة ويذكر عرضهم على أمية أن يَرُدَّ فزارة ويعطوه صدقاتهم :

ألا هل أتى أهل المدينة عرضُنا ... خصالاً من المعروف يُعرف حالُها
على عامليـنا والسّيوف مصونة ... بأغمادها ما زايلتها نِصالها
أتيـنا إلى فِرْتاج سمعاً وطاعة ... نُؤدّي الزكاة حين حان عقالُها
ومن قبل ما صِرْنَا وجاءت وفودنا ... الى فَيْدَ حتى ما يُعَدّ رجالُها
فقالوا : أَغِرْ بالناس تُعطِك طَيِّءٌ ... إذا وطئتها الخيلُ واجْتِيحَ مالُها
ودون الذي مَنَّوا أُمَيَّةَ هَبْوَةٌ ... من الضرب قِدْماً لا تُجَلَّى ظِلالُها[٤]
دعوا بِنِزارٍ فاعتزينا بطيّءٍ ... هنالك زَلَّتْ في نزار نِعالُها

وهذه الأبيات من قصيدة نشرها صديقنا الدكتور حاتم صالح الضامن في مجلة «المورد» ـ المجلد الثامن ـ العدد الثالث ص٢٥٥ إلى ٢٦٢ نقلاً عن كتاب «منتهى الطلب» من أشعار العرب» والقصيدة تقع في ٣٧ بيتاً . وهي منسوبة لأنيف بن حكيم النبهاني، الذي

□ أنساب الأشراف :

يعتبر كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري-أحمد بن يحيى بن جابر المتوفي سنة ٢٧٩هـ من أهم المصادر التاريخية وأشملها[1] ، مع أن مؤلفه توفي قبل إكماله ، وبُذِلَتْ جهودٌ لِنَشْره منذ أكثر من ثمانين عاماً ، فلم يتحقق ذلك . فقد نشر أحد المستشرقين الألمان قطعة منه ، وقامت (الجامعة العبرية) بنشر ثلاثة أجزاء وقررت (الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية) نشره فصدر منه الجزء الأول قبل عشرين عاماً ، ولم يصدر غيره . ثم اتجه المعهد الألماني للدراسات الشرقية ، لنشر الكتاب بعد أن اتفق مع ثلاثة من خيرة العلماء لتحقيقه هم الدكاترة إحسان عباس وعبد العزيز الدوري ومحمود المغول .

فصدر أحد أجزائه بتحقيق الدكتور الدوري منذ عام ـــ ولم أطلع عليه ـــ ثم صدر جُزء آخر هو ـــ كما في طُرَّتِهِ ـــ (القسم الرابع ـــ الجزء الأول ـــ بنو عبد شمس ، معاوية ـــ زياد

قال عنه الدكتور الضامن : (ولا نعرف عنه غير مانقله البغدادي عن ابن المستوفي من أنه شاعر إسلامي) .

فهل معدان لقب أنيف بن حكيم ، أم هما اثنان ؟!

لعل لدى الصديق الدكتور حاتم من الجواب ما يزيل الإشكال ، ويزيد الموضوع إيضاحاً ،

---

(١) أنظر كلمة عنه في «العرب» ـــ السنة الأولى ص ١١٢/١١٤ .

ـــ يزيد ـــ عثمان) بتحقيق الدكتور إحسان عباس . في مجلد ضخم بلغت صفحاته ٧٣٠ مطبوعاً في بيروت (المطبعة الكاثوليكية) خير طباعة ، ورقاً وحروفاً وحُسْن إخراج ، وهو الحلقة الـ٢٨ من سلسلة (النشرات الإسلامية) لجمعية المستشرقين الألمان .

ومباحث الكتاب متنوعة ، ليست قاصرة على من ورد ذكرهم في طرّة الكتاب ، بل اتخذ المؤلف من سلسلة النسب وسيلة ليورد عن من يذكر اسمه ما يعرف عنه من خبر أوْ شعر ، وإذا وجد المجال واسعاً أطالَ كما في تراجم المشاهير ، ويتطرق لذكر الحوادث في مناسباتها .

أما عن التحقيق فقام الأستاذ الدكتور إحسان في هذا الميدان أشهر من أن يذكر وقد جاءت الفهارس الوافية في نحو مئة صفحة .

☐ أديب من عَسير :

هذا الأديب هو الأستاذ الشيخ عبدالله بن علي بن حُمَيِّد (١٣٢٦/ ١٣٩٩ هـ) أديب بلاد عسير ، وأعلم من عرفتُ من أهلها بتلك البلاد جغرافيةً وأنساباً . وقد عرفته منذ نحو ثلاثين عاماً ، وتوطّدت بيننا أواصر الأخوّة والصداقة ، ووعدني بكتابة القسم المتعلق بتلك البلاد من «المعجم الجغرافي» وأخبرني حين زار الرياض سنة ١٣٩٨ وهي آخر مرّة رأيته في خلالها ـــ أخبرني بأنه أكمل ذلك القسم ، وعلمتُ بخبر وفاته حين عُدْت من إحدى رحلاتي إلى أمريكا للعلاج ، فمررت بمدينة (تَابْي) فكان أن قابلت في (السفارة) الأخ أحمد علي أبو عَشِّي ـــ فعلمت منه بأن الأستاذ عبدالله قد تُوفِّيَ ، ولقد أُصِبْتُ بتأثرٍ عميق لفقد هذا الرجل ، ولكن ماذا يُجْدِي الأسَى[1] ؟!

وكتاب «أديب من عسير» يتحدث عن حياة الأستاذ عبدالله حديثاً موجزاً في أقل من صفحتين ثم يعرض نماذج من كتاباته نثراً وشعراً ، ويحوي صورته في شبابه ، وكلمة شكر لسمو الأمير خالد الفيصل الذي ينسب إليه الفضل في إخراج هذا الكتاب ومؤلفه هو الأستاذ محمد بن عبدالله ـــ المترجم ـــ ويقع الكتاب في ١٦٢ صفحة بطباعة حسنة وقد صدر هذا العام (١٤٠٠/ ١٩٨٠ م) عن (مطابع عسير) في مدينة أبها .

---

(١) أنظر ص ٦٥٥ من السنة الرابعة عشرة .

□ المعجم الجغرافي — مقاطعة جازان :

وصدرت الطبعة الثانية من القسم المتعلق بمقاطعة جازان من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليفاالأستاذ محمد بن أحمد العَقيلي ، تحوي زيادات كثيرة بحيث بلغت صفحات هذه الطبعة ٤٨٦ — فيها عدد من المصورات الجغرافية .

والكتاب من منشورات (النادي الأدبي في جازان) بإشراف (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) والطباعة بمطبعة نهضة مصر ، في العام الماضي (١٣٩٩ هـ — ١٩٧٩ م) .

□ الآثار التاريخية في جازان :

ومن منشورات (النادي الأدبي في جازان) كتاب «الآثار التاريخية» وهو من تأليف مؤرخ جازان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي ، ويقع في ١٠٨ من الصفحات ، مطبوعاً بمصر (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م) بإشراف (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بمطبعة نهضة مصر.

□ نفحات الجنوب :

هذا هو الديوان الخامس للشاعر الأستاذ محمد بن علي السنوسي ، وهو من منشورات (النادي الأدبي في جازان) ويَضُمُّ نحو ٢٩ قصيدة ومقطوعة ، منّوعة الأغراض . وليس الأستاذ السنوسي بحاجة إلى تقديمه للقراء وطباعة هذا الديوان أنيقة من حيث الورق وحسن الإخراج ، وقد صدر هذا العام (١٤٠٠) مطبوعاً بمطابع الروضة في جدة .

□ المعجم الجغرافي — المنطقة الشرقية .

وصدر من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية (البحرين قديماً) الجزء الأول . يحوي مقدمة عن تاريخ المنطقة ، ويحدد المواضع من حرف الألف الى نهاية حرف الجيم ، ويقع في ٤٦٤ صفحة ، وفيه نحو عشرين مصوراً (خريطة وصورة أثرية) وصدر سنة ١٣٩٩ (١٩٧٩ م) مطبوعاً بمطبعة نهضة مصر . وهو من تأليف صاحب هذه المجلة .

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل . هاتف ٢٢٩١٥
الرياض . المملكة العربية السعودية

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ومنشئها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالا للأفراد و ١٠٠ لغيرهم
الإعلانات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ، ٨ ريالات

ج٣ ، ٤ س١٥ رمضان وشوال ١٤٠٠هـ — تموز ، آب (يوليو – أغسطس) ١٩٨٠م

أيام في بعض بلاد الشام

– ١ –

[عنيت بالشام المعنى الشامل المعروف عند علماء العرب ، وحديث اليوم يتعلق بأحد أجزائه وهو (بلاد الأردن) ولم تكن الرحلة التي أتحدث عنها الآن اول رحلة الى تلك البلاد ، بل خامسة تلك الرحلات ، وقد أتحدث عن بعضها في مناسبة أخرى] .

واستجابة لدعوة كريمة من الإخوة القائمين على شؤون (المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام) في (الجامعة الأردنية في مدينة عمّان) كان السفر من الرياض في صباح يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من جُمَادَى الأولى سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠/٤/١٥ م) في الساعة التاسعة والنصف ، واستغرقت مدة الطيران ساعتين ونصفاً ، إذ كان الوصول الساعة الثانية عشرة بتوقيت الرياض (الحادية عشرة بتوقيت عمّان) .

جعلتُ نُصْبَ عَيْنَيَّ في هذه الرحلة أن أُقابل أيَّ أمر يعترضني بعدم الاكتراث ، وأن لا أتأثر ولا أهتم بشيء من الأمور التي قد تؤثر في النفس . وفي مطار الرياض أخرجت القلم لملء بطاقة جواز السفر ، فأزلت غطاءه ، ثم أعدته في جيبي بدون غطاء ، وكان مداده سائلاً فلم أشعر وأنا جالس في مكتب مدير المطار إلا بأحد الإخوة يشير إلى آثار المداد التي قد انتشرت فوق صدري . فأخرجت القلم وقلت للإخوة الجالسين : لا بأس ، ليعرف من رآني أنني أحسن الكتابة ، وحمدت الله على أن أم محمد لم تر ما وقع لما اختارته لي من الثياب . مع انني استنفدت — فيما يبدو لي — ما لديها من العتاب في المرة الأولى التي لم يمض لها سوى يوم واحد .

وفي الطائرة كنت آخرَ من دخلها وآخِرَ من خرج منها ، وكان الجلوس بين أخوين ملأ ما بين كرسيِّيهما بأمتعتهما بحيث سلمت الحقيبة الصغيرة التي أحملها للمضيفة التي أرشدتني الى هذا المكان ، وقعدت القُرْفصاء فوق الكرسي الذي لم يبق لي منه سوى وسطه ، فقد أحيط جانباه بذراعين عبلتين من جسمين وهبهما الله من البسطة ما جعلني أبدو بينهما كَفرُّوج بين أبويه ! !

استرخيت في مكاني فغلبني النعاس ، حتى كرم أحدهما بإيقاظي بعد أن وُضع طبق الطعام أمامي ، غير أنني لم استطع مغالبة النوم حتى أيقظني النداء للهبوط في مطار عمّان ، بعد أن رفع الطعام ولم أطعمه !

ها هي الطائرة تحاول اختراق طبقات المُزْن المتراكم ، وها هي الأرض تزدان ببقع خُضْرٍ ، تتخللها مياه جارية تعكس أشعة الشمس حين تبدو من خلال السحاب صَفَاءها ، لقد جاد هذه البلاد الغيثُ فهذه آثاره بدت واضحة بعد أن قَرُبْنا من الأرض ، فالتِلاع جاريةٌ ، والغُدرانُ منتشرة ، والمطر لا يزال يتساقط رذاذا .

وعلى سُلَّم الطائرة لم آسَ لِمَا أصابني منه . وذكرتُ الحديث الشريف : «إنه حديث عهد بربه» ولكنني غفلت عن الاختلاف العظيم بين جو البلاد التي قدمت منها ، وجوِّ هذه البلاد التي حللت فيها . إن فرق درجة الحرارة بين البلدين في هذا اليوم عشرون درجة ، فهي هنا أربع درجات مئوية ، بينما كانت في الرياض نحو ٢٥ .

وفي داخل الجمرك تناولت حقيبة ملابسي ، حامداً الله على أنني خففتها مما أكرمتني به أم محمد من ملابس ثقيلة ، ووقفت في وسط صفٍ طويل ، فلم أشعر إلا وأنا آخر الصف ، بحيث لفت نظر موظف الجمرك الذي استفهم عن وقوفي فأجبته (حتى يصلني الدور) فخجل من نفسه — فيما يظهر — وقال لسيدة كانت قد وضعت حقيبتها أمامه : (هذا قبلك) ! ولقد صدق فلقد كنت قبل كثيرين غيرها ! ورفض أن ينظر حقيبتها قائلاً : (معك شيء للجمرك) ؟ فكان الجواب : ملابسي وأوراقي الخاصة ، فأشار لي بالخروج ، وخارج الباب — والرذاذ المشوب بالثلج يتساقط — تناول الحقيبة رجل يقاربني في السن قائلاً : (تكسي) ! فقلت : نعم ! ! فأخذ يعدو يميناً وشمالاً الى غير

قَصْدٍ ، فاضطرني المطر إلى دخول (صالة المستقبلين) وجعلت أرْمُقُهُ من بعد ، فلما فقدني رجع إلى الباب الذي خرجت منه ، ووضع الحقيبة على مقربة منه ووقف تحت السقف ، فأسرعت لأخذها بعد أن ازدان ظهرها ببقع ناصعة البياض من الثلج . ولما حَاول أخذها مني قلت له : الى أين ؟ فخجل . واعتذر عن وجود (تكسي) ولكنه طلب أجرة عما فعل ! وبقيت في (الصالة) حتى أبصرت شرطياً قريباً مني فطلبت منه إرشادي الى سيارة أجرة ، وما أسرع من حضور رجل تناول الحقيبة ووضعها في سيارة كانت واقفة أمام باب (الصالة) وسار ينهب الأرض نهباً والمطر يهطل بغزارة ، مشوباً بالثلج وكنت بجواره ، قال : الأخ من تونس — قالها بصيغة التقرير لا الاستفهام — فأجبت : كيف عرفت ؟! فقال : من لهجتك ، أنا أعرف الناس من لهجاتهم . يا ليتني مثلك ! هذا ما أجبته به فأضاف : والأخ مسافر لدمشق متى ؟! لا أدري يا أخي لكنني أحب البقاء في هذه البلاد الطيبة حتى أستريح من تعب الرحلة . صحيح صحيح ! ! أنا من الخليل ولي سنين ما زرت أهلي ، (الملاعين) ما يمنعونا ولكنهم (يبهذلونا) وقت الزيارة ! الله يكون في عونكم ! أقبلنا على المدينة وأنا أريد النزول في فندق تختاره لي ! !

ذكرت — وأنا أقول هذا — ما حدث لي قبل عشرين عاماً حين مررت ببلدة معان ، وسكنت في مكانٍ يدعى فندقاً بت فيه كل الليل جالساً في السطح ، أجْرَد كما خرجت من بطن أمي بعد ان افترس جسمي البقُّ ، ولم أجد مخرجاً من ذلك المكان لأن بابه قد أُغلق لئلا يهرب سكانه . صار يسرد لي أسماء الفنادق ، فاكتفيت بأن طلبتُ منه أن يختار أجدَّها وأنظفها ، وعند باب (فندق امبسادور) وقف وأمرني بالبقاء في السيارة حتى يعود إلي ، فلما عاد فتح لي الباب وحمل معي الحقيبة ، ولدى موظف الاستقبال وضعها وطلب أجرة حددها بأربعة دنانير ، فاستوضحت من الموظف هل هي حقه ، فسكت وأجاب صاحبي : هي الأجرة المحددة ، وقد علمت فيما بعد بأنه لم يتقاض أكثر من النصف زيادة على ما يستحقه .

وبعد ملء بطاقة الاستقبال بما تُملأ به عادة سألني الموظف : من أي بلدة في تونس ؟! مع أنه نقل ما كتب من جواز سفري ! !

كان السكن مُرِيحاً ، فكل شيء شاهدته في الغرفة نظيف ، وكان الطعام حسناً وإن لم أتناول منه إلا يسيراً ، ويظهر أن تغير الجو فجأة أثر في صحتي فقد أحسست بصداع شديد ، وبآلام في الجسم ، فتناولت بعض الأدوية ، وأخلدت للراحة حتى قاربت الساعة السادسة صباحاً .

وقد حاولت فتح المِرْناة (التلفزيون) أثناء الليل فلم أُحسن ذلك ، فاكتفيت بسماع كلام لا أفهم معناه مع عدم رؤية المتكلم حتى غلبني النعاس .

(جاك يا مهنّا ما تمنّا)[1] ! ما أوْسَعَ هذا الفضاء القريب من الفندق وما أجمله ! ! لقد كَسَا أرضَهُ العُشْبُ الأخضر ، واخترقته الطرُق المعبَّدة ، الخالية في هذا الوقت من مرور السيارات . وها هي الساعة قد شارفت السادسة ، ونور الصباح قد انتشر في كل مكان ، والسماء قد حجبتها غلالة بيضاء رقيقة من الغيم ، ومع أن لفح وجهي بَرْد الهواء حين فتحت باب الفندق الخارجي كاد أن يَثْني عزمي عن الخروج لشدته ، إلاَّ أنني أسرعت في المشي ، وأدخلتُ يديَّ في جيبي معطفي ، وسِرْتُ في أول منعطفٍ يَدَعُ الفندق يمينه ، وغالبت لَفْحَ الهواء القارس ، وكان شمالاً شديد البرودة ، مما دفعني الى الانحراف عنه يسيراً ، والسير في منعرجات توصل الى دارات حديثة البناء ، فأبصرت فوق أحدها كتابة ظننتها اسم فندق ، فرفعت رأسي لمحاولة قراءتها وأنا متَّجهٌ نحوها ، حتى كدت أدخل بابها ، لولا أن صَوْتاً أجشَّ غليظاً : (وَيْن يا زَلَمَهْ ! !) صرف نظري عما شغلت به ، بل صرفت كل حواسي ، إنه شرطيٌّ يحمل (رشاشاً) قد أمسكه بيمينه ، وهو مُحْفَوفِزٌ مُتَوثِّبٌ ، ولعله توقع مني صيداً ساقه الله اليه ! (هذا فندق نفرتيتي؟!) وكنت قرأت هذا الاسم في مدخل المنعطف . (لا يا زَلَمَهْ هذي السفارة الليبية) . (يا أخي أنا ساكن في ذالك الفندق امبسادور ، ومن عادتي المشي في مثل هذا الوقت ولا أعرف هنا إلا الفندق ، والعتب على النظر ! ! (أنت سوري ، وين هويتك؟) (لا يا أخي أنا

---

(١) القاعدة المتبعة كتابة (تمنّى) هكذا بالياء لا بالألف ، ولكن هناك من متقدمي العلماء من يرى كتابة الكلمة كما تنطق ، وأمر آخر فقواعد الإملاء وضعت وسيلة لصحة النطق بالكلمة ، وليست غاية في ذاتها ، ولهذا فقد أكتب بعض الكلمات بخلاف القاعدة المألوفة دَفْعاً للخطأ في قراءتها .

سعودي وهويتي جواز سفري في الفندق) (توكّل على الله ، وامْش من هنا) ! وسار معي خطوات حتى أبعدت (عن الدّابّ وشجرته) ! !

أنا طُلَعَةٌ — كثير التطلع الى ما يَلْفِتُ النظر — وكثيراً ما استهواني ما أشاهده من العناوين ، اذا كانت كتابتها جميلة ، أو فيها شيء من الغرابة ، وأذكر أنني صبيحة أوّل ليلةٍ بتُّها في مدينة القاهرة في عام ١٣٥٨ هـ حين بُعِثْتُ للدراسة ، رأيتُ على مقربة من دار البعثة ، وكانت في حي (الحلمية الجديدة) دُكّاناً كتب فوق بابه (حانوتي الحلمية) ولم أكن أعرف معنى هذه الكلمة ، إذا الحانوت هو الدكان ، فأطَلْتُ الوقوف أمامه ، حتى خرج منه رجل من أقبح من رأيته من الناس خلقة ، وكانتْ أول ساعة خرجت فيها من المنزل ، وقد لبست أجمل ما لديَّ من الملابس ، عقالاً (مقصَّباً) فوق (الشماغ) وعباءة وَبَرٍ ، وحِذاء (نجديّاً) وثوباً جديداً . فلما أبصرني الرجل كانت أول كلمة سمعتها منه : (يا فتاح يا رزاق يا كريم) . أهلاً بشيخ العرب ! ! ثم صار ينادي : (يا بو حنفي يا بو حنفي) فأجابه صوت أجشُّ ممزوج بسعال متواصل : (حاضر . حاضر ! !) فخرج رجل شبْه عُريان ، قد استرخى بطنه حتى كاد يبلغ قريباً من ركبتيه . فقال صاحبي الأول : (أهُو زبون بَسّ لِسَّع ماشي على رجُوله) . وقال الثاني : (خدْمة يا شيخ العرب . مستعديين؟ ! — ومطَّ الياء حتى صارت ياءين — داخلتني الريبة من منظرهما ومن كلامهما ، فأسرعت الانصراف ، وعدت الى المنزل .

ولما حدثت الأخ ابراهيم السويل — رحمه الله — بخبري معهما استغرق في الضحك ، ثم قال مازحاً : الحمدلله على السلامة ! !

اتخذت في سيري وجهة أخرى حتى تجاوزت الفندق منحدراً من طريق واسع معبَّدٍ ، وشاهدت أمامي رجلاً بديناً قصيراً قد أقبل نحوي يَعْدُو ، فوقفت حتى تجاوزني وأوشك أن يبلغ الفندق ثم رجع ، فلما حاذاني حاولت مجاراته في العدو ، ولكنه سبقني ، فاتبعته بصري حتى شاهدته داخلاً إحدى الدارات القريبة ، ثم رأيته يدور في حوشها ، فدفعني الفضول الى دخول الحوش ، ولكن كلمة (مَرحباً) نبهتني إلى رجل مسلّح واقف في مكانٍ مخصص له خارج باب الدارة فقلت (أهلاً بالأخ ظننت هذا المكان من الأندية الرياضية ، لأنني رأيت الرجل يركض داخله) ! كان صاحبي هذه

المرة شاباً مشرق الوجه فقال : (هذي السفارة الصينية ، ومن عادة الصِّينيين في الصباح كثرة الجري ، وأنا شفتك تجري مثله ، وأنت ما تعودّت مثلهم ، والطريق هذا ممر للسيارات وهو خطر) . فشكرته بعد أن رحَّب بِي كثيراً حين عرف بلادي ، وأشار الى تلٌ واسع بقرب الفندق ، لكي اتجه نحوه ، ولكنني لم أكد أخرج من الطريق الممهد حتى غاصت قدماي إلى منتصف الساقّين في أرض قد ارتّوت من المطر ، فاضطررت الى خلع حذائي ، وازالة بعض ما علق بهما من الطين بالحصا والعشب ، وحملها والعودة الى الفندق حافياً ، ولكنني كنت أتمتع بقسط كبير من الراحة والنشاط ، والابتهاج . وقديماً وُصِفَت الأردن بأنها أرض غمِقةٌ فقد أورد الأزهريُّ في كتاب «تهذيب اللغة»[1] ما نصه : (وكتب عمر بن الخطاب الى أبي عُبَيدة بن الجرّاح : إنَّ الأُرْدُنَّ أرْضٌ غَمِقةٌ ، وأنَّ الجابية أرضٌ نَزِهةٌ ، فاظهر بمن معك من المسلمين اليها . وقال الأزهري : النَّزِهة البعيدة من الريف والغمِقَةُ : القريبة من المياه والخُضَرِ والنُّزوز ، وإذا كانت كذلك قاربَت الأوْبئة . أما الآن فقد تغيرت حالة هذه البلاد ، فأصبحت الآن أرْضاً نزهة ليست غَمِقةً . وجوُّها في فصل الرَّبيع من أجمل الأجواء وألْطَفها .

الى السفارة : وهي عادة اتبعتها في جميع أسفاري ، حين أقدم بلداً فيه سفارة لبلادنا أبادر بزيارتها ، ففيها قد أجد من الاخوة من أعرفه فيطلعني على ما جَدَّ من أخبار ، وقد أطالع بعض الصحف التي لم أطلع عليها ، وأهم من هذا وذاك أُسَجِّل جواز السفر ، وهذا أمر يتساهل فيه بعض من يسافرون الى خارج البلاد ، ممن لم يفكر فيما يترتب على فقدان جواز سفره من مشقة .

ها هي السفارة ، وها هو الشرطي عندما أراني مُتَّجهاً نحو الباب يعترضني سائلاً عما أريد : أنا سعودي وأرغب زيارة أي موظف هنا . ولكنه يسألني عمن أعرف ! يا أخي أعرف السفير الشيخ ابراهيم بن سلطان . وإذا كانت زيارته ليست ممكنة فها هو جواز سفري أريد تسجيله . فأجاب : السفير غير موجود ، وتسجيل الجوازات في القنصلية ، ووصف موقعها لسائق سيارة الأجرة التي أتيت فيها . وكان الشرطي الواقف عند بابها

(١) ج١٦ ص ١٥٣ .

أكرم من صاحبه ، فلم يعترضني في الدخول ، ولكنني بعد أن صعدت سُلَّماً ليس طويلاً ومع ذلك أتعبني صعوده . وبلغت الباب إذا بصوت أجش يصاحبه وقع أقدام من رجل يحمل بيديه الثنتين خرطوماً يُثجُّ منه الماء بقوة كان يسقي به ما في الحديقة من أشجار ، ويغسل السلم وما حوله : وَيْن رايح ؟ فرفعت جواز السفر بيدي وأنا ألهث من أثر الصعود ، ومن أثر البرد الذي أصابني بالأمس . إنْزل إنْزل ! ! من الباب الخلفي فقلت : يا أخي دَعْني أدخل عند أحد الإخوان لأستريح . ممنوع ممنوع ! فأطلَّ عليه الشرطي ويظهر أنه أشار إليه ليسمح لي بالدخول . ولكنه زاد في لجاجته : ما أحد يدخل ! مع الباب الثاني ! مع الباب الثاني ! ومن ذلك الباب — بعد استدارة طويلة وفي مبنى منفصل عن هذا المبنى — دخلت ، فإذا حوشٌ واسع امتدت فيه صفوف ثلاثة طويلة ، وعدد قليل من رجال ونساء يظهر أنهم فضلوا الجلوس ، إن لم يكونوا سئموا من الوقوف . ذكرني ما رأيت ما شاهدته في السفارة الانجليزية في القاهرة ، كان المراجعون للحصول على سمة دخول أكثر بكثير ممن شاهدت ، ولكن الواحد منهم يقدم جواز سفره وما معه من أوراق ، ويُهَيِّء ما تلزم تهيئته من كتابة الايضاحات المطلوبة منه في أوراق مخصصة لذلك ، ثم يناول كل ذلك لأحد الموظفين فيقدم له ورقة صغيرة فيها رقم جوازه . وتحديد الوقت الذي يحضر فيه الى السفارة لاستعادته ، تحديداً دقيقاً ، باليوم والساعة والدقيقة ، فإذا حضر أخذ مجلسه في صالة واسعة قد صفت فيها الكراسي التي يتسع الجلوس عليها لكل المراجعين في ذلك الوقت ، وسرعان ما يسمع صوت النداء بذكر الرقم الذي يحمله ، إذا أتى في الوقت المحدد له . ولقد حدثت الأخ محمد بن غيث مدير جوازات الرياض بهذا ، وتمنيت أن أرى في بلادنا مثل تلك الطريقة التي تحفظ للمرء كرامته ، وتيسر إنجاز أمره ، وتحول دون إرباك الموظفين وإشغالهم عن أعمالهم بكثرة المراجعين ، فوعد خيراً وقال : إن المبنى الجديد لادارة الجوازات رُوعي فيه أن يكون على أحدث نظام ، وأطلعني على أنموذج مصغر له ، وشرح لي طريقة الحصول على سمات الخروج ، للأجانب ولغيرهم . ولكنه لم يستطع أن يصف لي مدى استجابة كل مراجع للتقيد بالأنظمة وتقبّل وسائل تطبيقها !

أبصرت حجرة في جانب الحوش كتب على بابها (الاستعلامات) فزاحمت بعض

داخليها ، ورميت بجسمي على أقرب كرسي . فقد أحسست بقليل من التعب ، وانتابني سعال متواصل ، وبعد استراحة قصيرة ، قربت من شاب رحمته من كثرة إشغال الهاتف له واشتغاله به ، وقدمت له جواز سفري مُبْدياً رغبتي بتسجيله . فقال : لا داعي لتسجيله . فقلت : واذا ضاع مني ؟ فتحدث بالهاتف حديثاً فهمت منه أنه طلب أحداً يبعث معه الجواز إلى مكان آخر . ولم أستطل الوقت فأنا بحاجة الى الاستراحة . فلم أشعر إلا بأحد الإخوة يوجه الي هذا السؤال : هم أخذوا منك في الحدود تعهداً بأنك تسجل هذا الجواز ؟! فاستفزَّني غضباً وتناولت منه الجواز ، وقلت للأخ الجالس على المكتب : أرجو أن تسجل الرقم والتاريخ والاسم عندك في ورقة إذا كان هذا ممكناً ويظهر أنه أراد مني إخلاء الكرسي ففعل ، وناولني الجواز ، فانصرفت !

في مكتب الملحق الثقافي : والأستاذ ابراهيم بن عبدالله بن عمار الملحق الثقافي في هذه البلاد بيني وبينه من الصلة ما يوجب زيارته ، ولحسن الحظ فصاحب السيارة يعرفه في جبل الحسين ، دوّار فراس ، إنه يعرف كل موضع أسأله عنه ، فهو خبير بشوارع عَمَّان و(دوَّاراتها) الأول والثاني . والسابع وهلمَّ جرًّا ، وله سبع عشرة سنة في عمله .

ها هو جبل الحسين وها هي وزارة التجارة والصناعة . وهذا سمو الأمير محمد خارج منها . تلك سيارته السوداء ! منذ يومين مررت مع طريق مسرعا ، لأسبق سيارة مرت بجانبي ، فلما تجاوزتها إذا هي سيارة جلالة الملك . نعم ! جلالة الملك وحده في سيارته . تركني حتى مررت . إنه متواضع متواضع مع كل أحد ! يا أخي أخشى أن نكون تجاوزنا مكتب الملحق الثقافي ! لا ! لا ! ولكننا أخذنا طريقاً آخر (علشان أفرجك على مباني الوزارات ثم ها هو قصر جلالة الملك . أنظر ! أنظر !) . ما شاء الله ! ما شاء الله ! يا أخي لِنَتْرك مشاهدة بقية الوزارات والقصور ليوم آخر ، ولنذهب إلى مكتب الملحق ! : (صحيح صحيح ! وأنا ما (فكيت الريق) تجلس عنده ، تشرب القهوة والشاهي وتنبسط وأنا .. تفضل إنزل ! ولم يشعر الابن الكريم وقد أخفى وجهه بين أوراق يقرأ ما فيها إلا بتحية الواقف أمامه تصرفه فجأة عما هو فيه .

وبعد كرم الاستقبال ، والاتصال بالخطوط السعودية لتحديد سفري يوم الخمس

(١٤٠٠/٦/٩ ــ ١٩٨٠/٤/٢٤م) وزيارة الأخ الأستاذ عبد الحميد مالكي مدير المخطوط ، فقد عرفت الرجل في الرياض وفي بيروت معرفة رأيت من حق الوفاء لها أن لا أمر ببلدة فيها ثم لا أراه . ولقد عرفت جده الشيخ جمال مالكي في آخر حياته وكان من أجلة العلماء ، وله مؤلفات معروفة في النحو وغيره ، وله ابن هو الأستاذ عبد الغني تزاملنا في الدراسة في (المعهد السعودي) بمكة ، وهو عم الأستاذ عبد الحميد .

كان الأستاذ عبد الحميد بعث برجل يأتي له بتذكرة السفر التي باسمي ، فذهبت معه ، ثم عدت لمكتب الملحق الثقافي الأستاذ ابراهيم الذي أبى كرمه حين أبديت له رغبتي في زيارة (مجمع اللغة العربية في الأردن) إلا ان نذهب معاً .

كنت تلقيت قبل سفري من الرياض من الأستاذ الجليل الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس هذا المجمع كتاباً تجد صورته في موضع آخر (ص ١٧٠) .

فكان عليَّ أن أزور هذا المجمع لأعبر بما أستطيع التعبير عنه من الشكر والاعتراف بالفضل لهاؤلاء الإخوة ، الذين بلغ بهم حسن الظَنّ بي إلى إضافة اسمي الى أسماء أجلة العلماء في الشام ومصر والعراق .

وفي (المجمع) كان الاستقبال الحسن من الأستاذ عبد الحميد علي الفلاح من أمناء المجمع ، ومن الأستاذ عبد الرحمن بشناق أحد أعضائه ، وكان الرئيس في (الجامعة) فهو رئيس (قسم اللغة العربية) فيها . وبعد لأيٍ استطعت التخلص من الابن الكريم إبراهيم ، ولم أخبره باسم الفندق الذي أسكنه ، ولكنني وعدته بأن أتصل به في خلال أربع وعشرين ساعة .

كان مما قرأت في الجريدة التي وجدتها صباح اليوم في غرفتي وهي «الرأي» خبران وقفت عندهما طويلاً أحدهما نبأ وفاة الفيلسوف الوجودي المعروف جان بول سارتر ــ يوم الثلاثاء ١٤٠٠/٥/٢٩ ــ ١٩٨٠/٤/١٥م ، عن ٧٤ سنة ، بعد صراع مرير مع الشيخوخة والمرض ، على ما جاء في نبأ وفاته ، وبصرف النظر عما أحيطت به آراؤه ونظرته إلى الحياة من غموض فإنه بدون شك من أفذاذ الكتاب الذين برزوا في هذا العصر . أوكما رثاه رئيس الجمهورية الفرنسية ديستان : (كان شعاعاً من أشعة الفكر في

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

مجمع اللغة العربية الأردني

مكتب الرئيس

المملكة الأردنية الهاشمية

ص.ب (١٣٢٦٨) ـ عمان

الرقم : م ل ع/ ١/ [illegible]
التاريخ : ٦/ جمادى الاولى / ١٤٠٠هـ .
الموافق : ٢٢ / آذار / ١٩٨٠ م .

سيادة الاخ والزميل الاستاذ حمد الجاسر المحتـــــرم

يسرّني أن أبلغكم أن مجلس مجمع اللغة العربية الاردني في اجتمـــاعـــه السابع والاربعين ، بتاريخ ٢٩ /ربيع الثاني / ١٤٠٠هـ . الموافق ١٦/ آذار / ١٩٨٠ م . قد قرّر تعيينكم عضوا مؤازرا فيه ، تقديرا لفضلكم وخدمتكم الجليلة للّغة العربية العزيزة .

وانني اذ أهنئكم بهذا التعيين ، لأرحّب بكم زميلا كريما في مجمعكم الاردنـــي ، متمنيا لكم التوفيق والسعادة .

حفظكـــــم اللــــــه

رئيــــس المجمـــع
الدكتور عبد الكريم خليفـــة

نسخة الى الملف الشخصي

عصرنا فخبا) . والموت — وان كان غاية كل حيّ — إلا أنَّ لذكره مرارة في النفس تعصف بها حتى تكاد تصاب بالذهول .

وتَصَدَّرَت تلك الجريدة — كلمات تتضمن تهنئة الأميرة بسمة بنت الملك طلال بن عبدالله بن الحسين بزواجها . وهذا هو الخبر الثاني ، وإن كان بصورة اعلانات تجارية ، وان كان خبر الزواج أياًكان من الأخبار التي لا يوبه لها ، إلا أن زواج أميرة تنتسب الى الأسرة النبوية الكريمة برجل عرف بعصاميته لا بأصالة نسبه من الأمور التي يجب أن تستفاد منها العبرة .

لن أسترسل في الحديث عن الكفاءة في الزواج ، فمن ذا الذي يجهل الأثر الشريف : «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» .

ولخبر هذا الزواج ارتباط وثيق بحادثة جَرَتْ في أول عشر الثلاثين من هذا القرن ، فقد قدم من الحجاز إلى بلدة ثَرْمَدَاء في نجد رجلٌ ينتمي إلى تلك الأسرة الهاشمية الكريمة ، يدعى سعد الشريف ، قدم في أول القرن ، فتزوج في تلك البلدة امرأة من أُسْرَةِ آل مُجَيْولٍ ، فولدت له ابنةً ثم عاد الرجل إلى الحجاز ، وفارق زوجته وابنته ، فلما بلغت البنت مبلغ النساء تزوجها رجل كريم النسب من العناقر أمراء بلدة ثَرْمْدَاء يدعى عبد المحسن بن محمد العنقري وقد تولى إمارة البلدة بعد استيلاء الملك عبد العزيز عليها ، فما كان من أحد أعداء هذا الرجل إلا أن أوصل خبر زواجه بابنة الشريف إلى شريف مكة في ذلك العهد عَوْن الرّفيق ، فأخذته النخوة الجاهلية ، وأمر بمنع حجاج الوشم من العودة إلى بلادهم حتى يؤتى بتلك السيدة الهاشمية وتُفْصَل من زوجها قَسْراً ، وتنزع منها ابنتها الطفلة التي لم تتجاوز الرابعة من عمرها فأُرْغِمَتْ المرأةُ على ذلك وأُخرجت من بيتها وحجزت في بيت آخر وحدها حتى تم تجهيزها وإعادتها إلى والدها في الحجاز ، على أسوأ حالة من الْقَهْرِ والإذلال .

إن وجه العبرة في الخبرين تَتَجلَّى حين يتضح الفرق بين ما حدث في ذلك الزمان وما

زيد (الخيل) الخير

- وفادته ووفاته -

في سنة تسع من الهجرة[1] ، وهي السَّنَةُ التي سُمِّيَت سَنَةَ الوُفُود ، لكثرة وفود القبائل التي وفدت فيها إلى المدينة المنورة ، لتقديم الطاعة للرسول ﷺ .

في هذه السنة — وقيل في السنة العاشرة — قدم زيدُ الخيل ، ومعه رجال من وجهاء قومه من طَيِّء ، وكان هو سيِّدهم[2] وكان من الوافدين معه زِرٌّ بن سدُوس النَّبهانيٌّ ، وقبِيْصَةُ بن الأسود بن عامر بن جُوَيْن الْجَرميٌّ ، ومالك بن عبدالله ابن خَيْبَريٍّ — من بني مَعْن وقُعَيْن بن خُليف الطَّريفيٌّ .

فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ، ودخلوا فجلسوا بحيث يسمعون حديث رسول الله ﷺ أو خطبته ، فلما أبصر بهم قال ﷺ : «إنِّي خير لكم من العُزَّى وَلاَتِها ، ومن

يحدث الآن ، وتبرز العِبْرَةُ أكثر وضوحاً حين يشعر المرء بأن تيَّار الحياة أقْوَى من أن يُوْقَفَ في مجراه ، ومن الخير كلِّ الخير السيرُ على قواعد الشريعة السمحة التي وضعت للكفاءة في الزواج ، أسساً ثابتة تصونُ الكرامة للإنسان وتحُول بينه وبين طغْيان العواطف التي تميز بين الناس بمُمَيِّزات لا يقرها عقل ولا دِيْنٌ . «**إن الله قد أذهب نَخْوَة الجاهلية ، وفَخْرَها بالآباء ، إنّما هو مؤمنٌ تَقِيٌّ ، أوْ فاجِرٌ شَقِيٌّ**» .

(للكلام صلة) حمد الجاسر

---

(١) أنظر «العرب» س ١٢ ص ٤٩٧ وس ١٣ ص ٢١٤ وس ١٤ ص ١٤٢ إلى ١٥١ .

(٢) سيرة ابن هشام ، ص ٤٠١ من «الروض الأُنف» .

الجبل الأسود الذي تَعْبدون من دون الله عز وجل ، ومما حازَتْ مَنَاعٍ[1] من كُلِّ ضَارٍّ غَيْرِ نَفَّاع » .

فقام زيد الخيل — وكان من أعظمهم خَلْقاً وأحسنهم وجْها وشعرا — فقال له النبيُّ ﷺ وهو لا يعرفه : « الحمد لله الذي أتى بك من سَهْلِك وحزنك ، وسَهَّلَ قلبك للإيمان » . ثم قبض على يده فقال : « من أنت؟ فقال : أنا زيد الخيل ابن مُهَلْهِل ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنَّكَ عَبْدُ الله ورَسُولُهُ . فقال له : « بَلْ أَنْتَ زَيْدُ الخَيْرِ » . ثم قال : « يا زَيْدُ : ما خبرت عن رجل شَيْئاً قَطُّ ، إلا رَأَيْتُهُ دُوْنَ ما خُبرت عنه ، غَيْرَكَ »[2] فبايعه وحَسُنَ إسْلاَمُه ، وكتب له كتابا على ما أرادَ ، وأقطعه قرى كثيرةً منها فَيْدُ[3] ، وكتب لكل واحد من رجال الوفد عَلَى قَوْمِهِ[4] إلاَّ وَزَرَ ابنَ

---

(١) مَنَاع : اسم لأجأ : سمي بذلك لامتناعهم فيه من ملوك العرب والعجم ، أو اسم هضبة في جبال طيء ، ويقال : المناعان وهما جبلان . « المناسك » لابي اسحق الهجري ، تحقيق الأستاذ حمد الجاسر ص ٣٠٨ . وجاء في « الكامل » لابن الأثير ج١ ص ٣٨٨ في سياق الحديث عن يوم اليحاميم أو (قارات حوق) أن مَنَاع ذروة أجا ، وقد أوقدوا عليها النار ذلك اليوم ، وفي « معجم البلدان » الياقوت : مناع بوزن نزال ، وحكمه من المنع : اسم هضبة في جبل طيء ، ويقال المناعان : وهما جبلان . انتهى أما الجبل الذي يعبدونه فهو الفلس .

(٢) في « سيرة ابن هشام » رواية عن ابن اسحق ، وقال رسول الله ﷺ كما حدثني من لا أتهم من رجال طيء : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ، ثم جاءني الا رأيته دون ما يقال فيه إلا زيد الخيل ، فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه » .

(٣) تحدث عن (فيد) بتفصيل جميل أستاذي الجليل الشيخ حمد الجاسر في (المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) شمال المملكة بالقسم الثالث ص ١٠٤٧ فقال ما خلاصته : (فيد : بفتح الفاء واسكان الياء المثناة التحتية والدال مهملة من أقدم القرى وأشهرها وكانت من بلاد نبهان من طيء ولكونها كذلك أقطعها الرسول زيد الخيل النبهاني .. واشتهرت بأمرين ، أحدهما إضافتها إلى حمى كان من أشهر الأحماء ، والثاني وقوعها في منتصف طريق الحج العراقي ، وكان الحاج يودعون بها ما يثقلهم من أزوادهم وأمتعتهم فإذا رجعوا أخذوها ، وأهلها مغوثة للحاج ، وكان يضرب المثل بكعكها (الكليجة) ، وتقع فيد في أرض من أكرم نجد ، وكانت في فلاة بين أسد وطيء في الجاهلية ، وهي شرق جبل يدعى الصعانين الواقع جنوب جبل سلمى الشرقي بقرب الدرجة ٣٠— ٤٢ طولاً و١٠ — ٢٧ عرضاً شماليا تقريبا ، والمسافة بين فيد وحائل تقرب من مئة كيل ، وهي الآن قرية كبيرة يقارب عدد سكانها ألف نسمة ، نصفهم بدو رحل وفيها مدرسة ... أهـ . أقول : ومما ينبغي أن ينبه عليه ما ورد في الأغاني في ترجمة زيد (طبعة مكتبة الحياه) ص ٩٤ المجلي ١٦ القسم الأول قوله : (وكتب معه رسول الله ﷺ لبني نبهان بفدك كتاب مفرداً) إذ شواهد الحال تدل على أن المقصود فيد لا فدك .

(٤) في ترجمة زيد في تهذيب ابن عساكر ، أن رسول الله ﷺ أجازهم بخمس أواق من الفضّة لكل رجل منهم ، وأعطى زيد الخيل اثني عشر أوقية ونشا ، وكانت (هذه الجائزة) أرفع ما يجيز بها .

سدُوس ، فقد قال — (أيْ وزر)— : إني لأَرَى رَجُلاً لَيَمْلِكَنَّ رِقَابَ الْعَرَب ، وَلاَ والله لا يملك رقبّي عَرَبِيٌّ أبداً . ثم خرج إلى الشام ، وتَنَصَّرَ وحَلَقَ رأْسَه .

إذَنْ فقد أُعْجِبَ النبي ﷺ بشخصية زيد .. ورآى أنَّ ما نقله إليه الرواةُ عَنْهُ مطابق للواقع . ولكنه علِم بما آتاه الله من علم ، أنَّ هذه الشخصية الباذخة التي جمع الله لها من صفات الخير الشَّيء الْكَثِيْر ، تُوشِكُ أنْ ترحل عن الدُّنيا فقال مُتَأَسِّفاً عليه بعد أن غادر مجلسه : «أَيْ فَتى لو لم تدركه أم كُلْبَةَ»؟![1] يعني الحُمَّى ، أو قال : «إنْ نَجَا من آجام المدينة» .

وقد بقي زيدُ الخيرِ ، في مدينة الرسول ﷺ حوالي أسبوعين ، كما صرح هو بذلك شعراً ، حين منصرفه منها :

أُنِيْخَتْ بِآجَامِ المَدِيْنَةِ أَرْبَعاً وَعَشْراً ، يُغَنِّيْ فَوْقَهَا اللَّيْل طَائِرُ[2]
فَلَمَّا قَضَتْ أَصْحَابُهَا كُلَّ بُغْيَةٍ وخَطَّ كِتَاباً في الصَّحِيْفَةِ سَاطِرُ
شَدَدْتُ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وشَلِيْلَهَا مِنَ الدَّرْسِ والشَّعْرَاءِ والْبَطْنُ ضَامِرُ

وقد كانَ مُدَّةَ إقامته ، عند رسول الله ﷺ ، وبين ظهراني أصحابه مَحَلَّ الحفاوة البالغة والإكرام ، يُفْسِح له الرسولُ الكريمُ في المجلس ، ويُؤثِرُهُ بما يَجْلِسُ عليه من بساط ، أوْ يَدفع إليه متّكآته .. مُصِرّاً على إيثارِهِ[3] .. ويكتب له ما يُقْطِعُه من هبات

---

(١) الكَلَبُ في الأصل تعلق الشيء بالشيء في شدة ، وشدة جذب . كما هو في «مقاييس اللغة» لابن فارس ، وفيه يقول : ومن الباب كُلْبة الزمان وكَلَبه : شدته . وفي «الروض الأنف» ج٧ ص ٤٨٨ يقول : الكُلْبة شدة الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، فهذه أم كَلْبة بالهاء ، وهي الحُمَّى انتهى .

ويقال للحمى أيضاً (أم مِلْدَم) ، من لَدَمَتِ النائحةُ صدرها ، تَلْدُمُهُ وتَلْدِمُهُ ، وهي تلتدم معناه تضرب صدرها ، والمِلْدَمُ : الْحَجَرُ الذي يُدَقُّ به النَّوَى ، وإنما سُمِّيَت الحمى أم مِلْدَم من هذا «النوادر» لأبي مسحل الأعرابي تحقيق عزة حسن . وفي «لسان العرب» أن أم ملدم : الحمى ، وهي كنيتها ، والعرب تقول قالت الحمى : أنا أمُّ ملدم آكل اللحم ، وأمص الدم ، وفيه : إن الميم الأولى مكسورة ، وبعضهم يقولها بالذال المعجمة .

(٢) في رواية الأغاني ترجمة زيد :

أنخت بآجام المدينة أربعاً وخمساً يغني فوقها الليل الطائر

فتكون مدة إقامته بالمدينة المنورة تسعة أيام فقط .

(٣) روي أن رسول الله ﷺ طرح له مُتَّكأً ، فأعظم أن يتكيء بين يديه ، فرد المتكأ ، فأعاده عليه ثلاثا ، وتقول بعض الروايات : إنه بسط له بساطه ..

وأراضين ، ويُجْزِلُ جَائِزَتَهُ[1] .. فلما شَدَّ رواحله ، وعزم هو ورفْقَتُهُ على العودَة إلى ديارهم ، كانتْ حُمَّى المدينة ، التي كانت سائدةً بها تلك الأيام ، قد أَنْشَبَتْ أظفارَهَا به ، من حيث يَدْرِي أو لا يَدْري ، ومَضَى لِطِيَّتِهِ ، وطلبَ منْ أصحابِهِ أن يُجَنِّبُوهُ ديار قَيْسٍ (من المضرِيِّينَ) لما كان بينه وبينهم في الجاهلية من حروبٍ ، وهو يُرِيْدُ ـــ بَعْدَ إسلامه ـــ أنْ يَقْضِي على ثَاراتِ الجاهلية ، فلما كان في فَرْدَة[2] وهو ماءٌ لِحَيٍّ من أَحْيَاءِ طَيِّءٍ اشتدَّتْ عليه وطأةُ الْحُمَّى ، وأَحَسَّ بدُنُوِّ أجَلِهِ ، فتَصَوَّرَ حَالَهُ وقد حالَ الْمَوْتُ بَيْنَه وبين أحِبَّتِهِ في دياره ، الذين كانوا في شوق إلى عودته ، وأَنَّ رُفَقَاءَهُ سيعودون مع شُرُوقِ الشمس الى وطنهم .. وسيتلقاهم أَهْلُوهُمْ بالفرح الغامر .. وسيُوَزِّعُونَ الهدايا والأُعْطيَاتِ مما حملوا من المدينة .. أمَّا هُو ! .. ليت ما أصابه كان وهو بين أَهْلِه وذويه في القَفيل ، وطابة وإرمام ومنشد .. إذَنْ لهانَ الأمْرُ على نفسِهِ .. ولاَمْتَدَّتْ إلى تَمْرِيضْهِ ومُوَاسَاتِهِ أيدٍ حَانِيَةٌ رفيقةٌ .. من نسائه أو من محارمه ، ولكانتْ أناملُهُنَّ الناعمةُ المخلصة تُعِيْنُ على التماس الشفاء .. أما هؤلاء النِّسوة اللائي بادَرْنَ بمواساته بِفَـرْدَةَ .. لَيْتَهُنَّ لَمْ يَعُدْنَهُ وليت أولئك الأحبة الْحانِيَات كُنَّ في مكانهن :

أَمُرْتَحِلٌ صَحْبِي ، الْمَشَارِقَ غدْوَةً ... وأُتْرَكُ في بَيْتٍ بِفُرْدَةَ منْجِد ؟!
سَقَى اللهُ ما بَيْنَ القَفِيْل فطَابَةٍ ... فمَا دُوْنَ إِرْمَامٍ فَما فَوْقَ مُنْشِدِ[3]

---

(١) تقول بعض الروايات : إن زيد بن مُهلهل أهدى الرسول عليه الصلاة والسلام مخْذَماً والرسوب ، وكانا سيفين لصنم طَيِّءٍ الفلس (الروض الآنف ص ٤٤٩ ج٧) ولكن الطبري يذكر في الجزء ٢ ص ٣٧٥ أن علي بن أبي طالب حينما أرسله الرسول ﷺ سرية إلى طيء في ربيع الآخر سنة تسع سبى منهم ، وأخذ السيفين المذكورين ، ويقول ابن الأثير في الكامل : وحملها إلى رسول الله ص ١٩٤ ج٢ .

(٢) فردة : لا يزال جبل فردة معروفاً في بلاد طيء وإلى جواره ماء وبه قبر زيد ، وهما فردتان تقعان في الطرف الشمالي الشرقي من سلسلة جبال المِسْمَى (مُحَجَّر) الواقعة غرب أجا ، يفصل بينهما منخفض رملي ممتد من النفوذ ، يتجه صوب الغرب ، ثم ينقطع بقربها ، والجنوبية منها تدعى فردة الشموس ، والغربية تدعى فردة النظيم . ص ١٠٣٢ و١٠٣٣ من المعجم الجغرافي ـــ القسم الثالث ـــ حمد الجاسر ، وفيه ص ١٠٢٨ : (أن زيداً تنكب عن أرض قيس ، وهم قيس عيلان ، وبلادهم كانت تحيط بشرقي المدينة ، ولا شك أنه أخذ طريق خيبر فتيماء ، ثم عطف من طريقها المتجه إلى بلاد طيء ، حيث يمر بماء فردة التي لِجَرْم من طيء ، بغرب الجبلين المعروفين الآن بهذا الاسم ، وهناك قضى نحبه رضي الله عنه . انتهى .

(٣) القَفيل : ضبطها ياقوت بفتح القاف وكسر الفاء على وزن فعيل ، واستشهد بهذا البيت وقال عنه الأستاذ حمد الجاسر في « المعجم الجغرافي » القسم الثالث الخاص بشمال المملكة : « والقفيل لا يزال معروفاً ، وهو طرف بارز

هُنَالِكَ لَوْ أَنِّي مَرِضْتُ لَعَادَنِيْ عوائِدُ ، مَنْ لَمْ يُشْفَ مِنْهُنَّ يُجْهَدِ !
فَلَيْتَ اللَّواتِي عُدْنَنِي .. لَمْ يَعُدْنَنِي وَلَيْتَ اللَّواتي غِبْنَ عَنِّي عُوَّدِي !

وقد قضى زَيْدٌ بِفَـرْدَةَ ، بعد أن تمرض بها سبعة أيام ، وأقام عليه المناحَةَ سبعاً ، صَاحِبُهُ قَبِيْصة بن الأسود ، ثم بعث راحلته ورحله ، مع ما كتب له رسول الله ﷺ من أراضي ، إلى رهطه بَنِي نَبْهَان بِفَيْد ، فلما رأتْ زوجته الراحلة خالية من صَاحِبِها ، أشعلت النار في الرحل[1] في سَوْرَةِ غضب ويأس ، وكانت على جاهليتها ، وقالت :

أَلاَ إِنَّـمَا زَيْدٌ لِكُلِّ عَظِيـمَةٍ إذَا أَقْبَلَت أَوْبَ الْجَرَادِ رعالُها

= من حَرَّة أُبْضة ، مرتفع ، وهو طرفها الشرقي الشمالي مطل على قرية فيد ، وأهل تلك الجهة ينطقونه بضم القاف (القُفيل) .

أما طابة فاكتفى ياقوت بأن قال : موضع في أرض طيء وأورد هذا البيت ، أما الأستاذ حمد الجاسر فأضاف في معجمه عن شمال المملكة ، بأنها الآن قرية في سفح جبل سلمى من الجنوب ، جنوب مدينة حائل بنحو ١٣٠ كيلاً .

أما (ارمام) فهذا الموضع عند (ياقوت) بفتح الهمزة ، وفيه إشارة أنه واد ، وأنه على مقربة من فيد . أما هو عند البكري فبكسر الهمزة ، وقد استشهد ببيت زيد ورواه هكذا :

سقى الله ما بين القفيل فطابة فبرقة إرمام فما حـول منشـد

(والبرقة) في (لسان العرب) الأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورمل) فهي عند (زيد) برقة واحدة ، أما عند جرير برقتان : ولقد ذكرتك والمطي خواضع مثل الجفون ببرقتي إرمام .

وهذا هو الشاهد الثاني من شواهد البكري ، في سياق إرمام ، وقد استعرض الأستاذ الجاسر قول ياقوت والبكري وغيرهما ، وكأنه مال إلى فتح الهمزة ، فقد ضبطه بذلك واستنتج أنه يقع غرب فيد ، بميل نحو الجنوب حيث الاتجاه إلى الحجاز بـ٣٨ ميلاً ، وفيما لخصه ما يدل على وجود رَحبتين (برقتين) في واد واحد ، الشرقية منه هي إرمام والغربية وادي الخلة .

أما مُنْشِد ، وضبطه بضم الميم وسكون النونِ وكسر الشين ، فقد ذكر الأستاذ الجاسر في معجم شمال المملكة أنه يطلق على مواضع منها ما ذكره زيد في بيتـه هذا ، وأورد البكري رواية (مرشد) وليس فيه ولا في ياقوت ما يعين على تحديده إلا أن الأستاذ الجاسر يستنتج أنه يقع جنوب سلمى لأنَّ المواضع التي ذكرها تقع جنوبها أو شرقها .

(١) يقول ابن هشام : فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه التي قطع رسول الله ﷺ فحرقتها بالنار ، وهذا يدل على أنها اقتصرت في الحرق على كتب الاقطاع .. ولم تحرق الراحلة أو الرحل .. أما الاقطاع ، فيقول صاحب الروض الأنف ص ٤٤٩ ج٧ (وكتب له كتاباً على ما أراد ، وأطعمه قرى كثيرة منها فيد) وفيد هي بلدة زيد .

لِقَاهُمْ فَمَا طَاشَتْ يَدَاهُ بِضَرْبِهِمْ ولا طَعْنِهِم، حتَّى تَوَلَّى سِجَالُهَا

وقيل: إن رسول الله ﷺ، لما بلغه ضَرْبَ امْرأة زَيْدِ الرَّاحِلَةَ بالنَّار، واحتراق ما كتبه له قال: «بُؤساً لبني نبهان»!! ولعل رسول الله ﷺ يقصد بذلك إبداء تأسُّفِهِ على ما أضاعَتْهُ على نفسها وعلى ولدِ زَيْدٍ وذويه ورهطه من أرضين.

* * *

ولنا أَنْ نَتَطَلَّع متسائلين عن حياة زيد، مُدَّةَ بقائه في المدينة المنورة، في صُحْبَةِ الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام..

سَنَجِد في كتب السيرة والتاريخ، نُتَفاً صغيرة من الأخْبار، هنا وهناك، نَعُدُّهَا وَمَضَاتٍ خاطفةً، تُنْبِىءُ على أَيَّةِ حالٍ، على اهتمام زيد بأمور دينه، أو على بُعْدِ هِمَّتِهِ، وعُلُوِّ قدره، عند رسول الله ﷺ..

على أننا ينبغي أَنْ ندرك أَنَّ الرِّوايات كثيراً ما تتداخل في أمر الوفود الذين كثر عَدَدُهُمْ في سنة تسع أو عشر، وأنَّ ما يُرْوى في مصدر بحَقِّ وَفْدٍ ما، أو رَجُلٍ من وفد، قد يُرْوَى في مصدر آخر، بحقِّ وَفْدٍ آخر أو رَجُل فيه.. على أنَّ هذا لا يَنْفِي الاستفادة من الحادثة في حَقِّ من رُوِيَتْ عنه.. وهناك من وسائل الترجيح ما قد يُعِينُ ـــ أَحْياناً ـــ على تحديد عَزْوِ الحادثةِ إلى صاحبها.

يُرْوى في تكريم الرسول ﷺ لِزَيْدٍ أَنَّهُ علمه دَعَواتٍ إِذَا دعا بها وَجَدَ الإجابَةَ، وإذا اسْتَسْقَى بها وجَدَ السُّقْيَا.

وقيل في مناسبة إيراد أم كُلْبَةَ (حُمَّى المدينة) أنه طلب من رسول الله ﷺ أنْ يُعْطِيهُ ثلاث مِئة فارسٍ ليغْيِرَ بهم على قصور الرُّومِ، فقال له الرسول: «أيُّ رَجُلٍ أَنْتَ يا زَيد، ولكنَّ أم كلبة تَقْتُلُكَ»!

وقيل: إن رسول الله ﷺ قال له: «إنَّ فيك لَخَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا الله عز وجل. قال: ما هما يا رسول الله؟ قال: «الأَنَاةُ والْحِلمُ». فقال زيد: الحمدلله الذي جبلني

على ما يحب الله ورسُوله[1] .

ويغتنم زَيْدٌ وُجُودَهُ في صحبة رسول الله ﷺ ، فيسأله عَمّا يَهُمُّهُ من أمر دينه ، ومن ذلك استفتاؤُهُ عما تَصِيْدُهُ الكلاب الْمُدَرَّبَةُ من الصَّيْدِ أَحَلالٌ هو ؟ قال متسائلاً : يا رسول الله فينا رجلان ، يقال لأحدهما ذريح ، والآخر يكنى أبا دجانة[2] ، ولها أكلب خمسة تصيد الظباء ، فما ترى في صيدهم ؟ فأنزل الله عز وجل : «**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ، وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ، فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ، وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**»[3] .

لذلك قال له رسول الله ﷺ ، مُعَلِّماً : «إذا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ ، فَاذْكُرِ اسْمَ الله عليهِ ، وكُلْ مِمَّا أَمْسَكَ» . أو كما قال عليه السلام[1] .

وأرى مما يتَّسِقُ مع خُلُقِ زيد ، أن يهتم أيضاً بسؤال رسول الله ﷺ عن مكارم الأخلاق .. ها هو يقول :

— يا رسول الله .. إني أتيتك من مسيرة تسع .. أَنْصَبْتُ راحلتي ، وأسهرت ليلي ..

---

(١) (١) «الأغاني» : ترجمته .

(٢) في بعض الروايات : (جداية) .

(٣) الآية ٤ من سورة المائدة ، ويراجع تفسيرها من ابن كثير ، حيث وردت رواية السؤال من عدي بن حاتم ولكنّ عدياً لم يكن مقدمه مع زيد . وتراجع القصة في «الحيوان» للجاحظ ص ٢٠٤ ج٢ تحت عنوان (مسائلة زيد الخيل للرسول الكريم) واستدل بها الجاحظ على شأن الكلب ، لاهتمام وافد كريم ، أحسن الرسول عليه الصلاة والسلام وفادته والثناء عليه ، بالسؤال في أمره .. وأنا أقول أن الدلالة لا على شأن الكلب ، وإنما للصيد وما يتعلق به . تراجع الإصابة أيضاً الترجمة ٢٤٢٩ .

وفي كتاب «الحيوان» أيضاً ص ٢٠٥ ج٢ أسماء الكلاب التي يملكها الرجلان .

وفي الحيوان أيضاً ص ٣٠٨ ج٢ في سياق ما تنبأ به رسول الله ﷺ من إصابته بحمى المدينة قوله (أبرح فتى إن لم تدركه أم كلبة) وأبرح هنا كلمة تعجب ، وأورد صاحب الحيوان أيضاً ص ٣١٧ ج١ أنه ﷺ حينما استأذنه وزر بن جابر ، وهو ممن وفد مع زيد من وفود طيء : (نعم إن لم تدركه أم كلبة) .

(٤) «الأغاني» : ترجمة زيد الخيل .

وأظْمَأْتُ نهاري .. أسألك عن خصلتين ..

ــ سَلْ ..

ــ أسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد ؟

فقال رسول الله ﷺ :

ــ كيف أصْبَحْتَ ؟

ــ أصبحت أُحِبُّ الخير وأهلَه ، ومنْ يَعْمَلُ به ، فإن عملتُ به أُثْبِتُ بثوابه ، وإنْ فَاتَني منه شيء حزنت عليه ..

فقال له النبي ﷺ :

ــ « هذه علامة الله فيمن يريد ، وعلامته فيمن لا يريد ، ولو أرادك بالأُخْرَى لَهَيَّأَكَ لها ، ثم لا يُبالي اللهُ في أيّ وادٍ هَلَكْتَ[1] » .

* * *

وبعد ..

وَقَبْلَ أَنْ أَتْرُكَ قِصَّةَ وِفَادَةِ زيدِ الْخَيْرِ مع نفرٍ من قومه على رسول الله ﷺ ، لا بُدَّ مِنْ وَقْفَةِ تأمُّلٍ في بعض ما ورد من أخبارٍ ، تُدْرِجُ اسْمَهُ ضِمْنَ الْمُؤَلَّفة قُلُوبُهُمْ .. فَلْنُلْق نَظْرَةً فاحِصَةً على هذه الأخبار ..

هناك خبر يورد اسْمَهُ ضِمْنَ أولئك الرجال الذين ، أعطاهم رسول الله ﷺ أعطيات جزيلة ، مما أفاء الله عليه يوم حُنَيْنٍ .. ونحن نجد اسماء الْمُؤَلَّفَةِ قلوبهم ، ذلك اليوم ، في كتاب شامل هو « فتح الباري بشرح البخاري »[2] فنجده يقول : وذكر ابنُ الجوزيّ فيهم زَيْدَ الْخَيل ، و.. يعدد أسماء أخرى ..

وإذا افترضنا صحّة الرواية .. فلنا أن نتساءلَ : هل كان زَيْدُ يَوْمَهَا مُسْلِماً ؟! لأنَّ

---

(١) « الإصابة » وأسد الغابة » : ترجمته .

(٢) ص ١٠٩ ج٩ طبع مصطفى البابي ١٣٧٨ هـ/١٩٥٩ م .

المُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُم جماعة أسلموا إسلاماً مَبْدَئِيّاً ضَعِيفاً .. هذا حسب التعريف المشهور ..

إذا كان قد اسلم يوم حُنَيْنٍ ، وهو في سنة ثمان من الهجرة .. فإنَّ وفادته بعد ذلك في سنة تسع أو بعدها ، تكون لتأكيد اسلامه .

لكِنَّ قصة لقائه بالرسول وسؤاله عن اسْمِهِ ، ثم تسميته زيد الخير .. وسرور الرسول ﷺ بمقدمه .. لَتَدُلُّ على أنه لم يكن قد أسلم من قبلُ ..

أَمَّا إذا كان قد أُعْطِيَ ما أُعْطِيَ ، يوم حُنَيْنٍ وهو لم يُسْلِمْ بعد .. رغبةً في اجتذابه إلى الإسلام ، وهذ رَأْيٌ آخرُ يقول به بعض المؤرخين في تفسير المؤلَّفةِ قلوبهم آنذاك .. فلا يزال الرَّدُّ الأَوَّلُ قائماً ، فإنَّ قصة اللِّقاءِ الذي تَمَّ بينه وبين رسول الله ﷺ ، تُصَوِّرُهُ لِقَاءً لأَوَّلِ مرة .. فلم يبقَ على افتراض صحته بالنسبة لزيد الخيل إلا أن يكون قد أُرْسِلَتْ إليه هِبَةٌ ، وهو في بلاده ، أو على الأقل دون أن يتمكن من رؤية رسول الله ﷺ ، وهذا يبدو افتراضاً بعيداً ..

وخبر آخر يدرج اسمه أيضاً ضِمْنَ المؤلفة قلوبهم ، وهو خَبَرُ الذُّهَيْبَة .. وخلاصته أن علي بن أبي طالب ، ذهب إلى اليمن ، وأرسل من هناك إلى رسول الله ﷺ الذُّهَيْبَةَ .. أي ذهبا لم يخلص من شوائبه ، فقسمه الرسول ﷺ بين أربعة من المؤلفة قلوبهم ، وهذا الخبر في «صحيح البخاري» ، وفيه تصريح باسم زيد الخيل ، ونصه :

(بَعَثَ عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ مِنَ الْيَمَن بِذُهَيْبَةٍ في أدِيْمٍ مَقْرُوظٍ ، لم تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِها ، قال : فقسمها بين أربعة نفر : بين عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ ، وأقْرع بْنِ حابِسٍ ، وزَيْدِ الخيل ، والرابع إمَّا عَلْقَمَة وإمَّا عامِرُ بْنُ الطفيل . الخ[1] .

---

(١) الحديث طويل ، أنظر ص ١٢٩ ج٩ من «فتح الباري» طبعة مصطفى البابي سنة ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ م ، وجاء في الشرح : (ذهيبة : تصغير ذهبة ، وكأنه أنَّثَ على معنى الطائفة أو الجملة ، وقال الخطابي : على معنى القطعة ، وفيه نظر لأنها كانت تبرا ، وقد يؤنث الذهب في بعض اللغات ، وفي معظم النسخ من مسلم بذهبة : بفتحتين بغير تصغير ، وقوله (مقروظ) أي مدبوغ بالقرظ ، وقوله (لم تحصل من ترابها) أي لم تخلص من تراب المعدن ، فكأنها كانت تبرا وتخليصها بالسبك .

وهكذا نَجِدُ اسْمَ زَيْدِ الخيل ، في هذا الحديث وارداً في صلب «صحيح البخاري» وليس في شروحاته .. كما أن عنوان الحديث هو (بَعْثُ عليٍّ بن أبي طالب وخالِد بن الوليد ، رضي الله عنهما الى اليمن قبل حجَّة الوداع) .

فإذا كان وصولُ تِلْكَ الذُّهيبة ، أثناء وجودِ زَيْدِ الخير في المدينة ، مُدَّةَ وفادته ، وقد طالت كما علمنا بعض الوقت ، وكانت حركةُ الوفود نَشِطَةً ، فإنَّ اجتماع الصَّنَادِيد الأرْبعة فيها أمْرٌ وارِدٌ .. ويدل إعطاءُ الرسول ﷺ ، لزيد الخيل منها ، على إمْعَانٍ منه ﷺ في تكريمه ، وتحبيبه في الإسلام ، ولا يدل بالضرورة ، على ضَعْف إسلامه ، فقد دلَّت شواهدُ وفادته على صدْقِ يقينه ، وثباتِ قَلْبِهِ على الإسلام ..

كما لا تدُلُّ هذه القِصَّةُ ، ولا سابِقَتُها على لقاء سابق قد تم بين الرسول ﷺ وزيد الخيل وإن الخبر المشهور في وفادته ، ليدلُّ في أكْثَر مِنْ مَوْضِعٍ ، على أنه كان اللِّقاءَ الأول[1] كما كان اللِّقَاءَ الأَخيْر .

ويَبْدَو أنَّ عمرَ بْنَ الخطَّاب ، رضي الله عنه ، كان معجباً بشخصية زيد ، فقد كان بينهما حوار طويل ، نَمَّ عن اهتمام عمر رضي الله عنه ، به وبقومه ، كما دل على أنَّ زَيْداً رضي الله عنه ، كان حينما يَغُضُّ من شأنِ نفسه بين قومه ، يَرْفَعُ منْ شأنِ رِجالٍ بارزين في قبيلته ، فيتمدَّحُ بهم وبِخِصالهم فيعددهم ويعدد فضائلهم .

وسأعود — إن شاء الله — الى هذا الحديث بشيء من التفصيل .

* * *

الرواية السابقة التي أوردتها في وفاته عند عودته من وفادته ، وفي الطريق إلى بلده هي المشهورة .. التي تناقلتها أكْثَرُ المصادر .. على أنَّ هناك رواية أخرى ، تشير إلى أنه بقي الى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، بل قيل الى آخر عهد خلافته[2] .

---

(١) في «تهذيب ابن عساكر» في ترجمة زيد ، قول رسول الله ﷺ حينما جاء ليسلم على الرسول :
— تقدم يا زيد .. فما رأيتك حتى أحببت أن أراك .
وذلك في خبر وفادته ، مما يدل على أنه ﷺ لم يره من قبل .

(٢) قال صاحب «الإصابة» في ترجمته ، بعد إيراد الرواية الأولى ، وقيل : بل مات في خلافة عمر . وقال صاحب «أسد الغابة» بعد ايراد قصة وفاته المشهورة : وقيل بل توفي آخر خلافة عمر .

وقَدْ نَجدُ من الروايات ، ما يذكر امتداد عُمرِهِ إلى عهد عمر ، بل إلى آخر عهد عمر .

فإنَّ صَاحِبَ «الأغاني» يروي أن رسول الله ﷺ بعثه لقتال رئيس تَغْلِبَ الذي يقال له الْجَزَّار ، عندما أبى الإسلام ، وامتنع منه ، وأَنَّ زيداً مضى اليه يقاتله لما أبى الإسلام ، وقال في ذلك :

صَبَحْتُ حَيَّ بَنِي الْجزَّارِ دَاهِيةً ... ما إنْ لِتَغْلِبَ بَعْدَ الْيَوْمِ جَزَّارُ
نَحْوِي النِّهَابَ ونَحْوِي كُلَّ جَارِيَةٍ ... كأنَّ نِقْبَتَها فِيْ الْخَدِّ دِيْنَارُ[1]

كما أن صاحب «الاصابة» يذكر له بَيْتَيْن من الشعر بعث بهما إلى أبي بكر ، في حروب الرِّدَّة :

أَمَامَ أما تَخْشَيْنَ بِنْتَ أبِي نَصْرٍ ... فَقَدْ قَامَ بالأَمْرِ الْجَلِيِّ أبو بَكْرِ
نَجِيُّ رَسُولِ الله ، في الْغَارِ وَحْدَهُ ... وَصَاحِبُهُ الصِّدِّيقُ في مُعْظَمِ الأَمْرِ[2]

ولكنَّ الروايةَ المشهورة هي وفاته بِفَرْدَةَ أثناء عودته الى بلاده ، ولعل ما قيل عن قتاله للجزّار ، أو الشعر الذي بعث به لأبي بكر ، لعلها لأحد من أولاده الشعراء .. وقد رُوِيَت هاتان الروايتان بصيغة (يُقال) التي لا يخفى ما فيها من تضعيف ..

ومما يؤيد وفاتَهُ إثْرَ قُفُولِهِ من وفادته على الرسول ﷺ ، أَنَّهُ لَمْ يُرْوَ له أيُّ حديث .. ولو امتدَّ به الْعُمُرُ بعد ذلك ، لاتَّسَعَ له الزَّمَنُ برواية شيءٍ مما رأى أَوْ سَمِعَ في مدينة الرسول الكريم[3] .

واذا لم يكُنْ في وُسعِ الباحثِ أَنْ يُعيِّن عُمُرَ زَيدِ الخير — رضي الله عنه — حين

(١) «الأغاني» : (ترجمة زيد الخيل) .
(٢) «الإصابة» : ترجمة زيد .
(٣) جاء في ترجمته في «الإصابة» قال ابن أبي حاتم : ليس يُروى عنه حديث .

مدينة عُنَيْزَة
- ٢ -

وهذه يقال لها الآن (عنز) بالتكبير وتسمى (عنز الترمس) إضافة إلى (الترمس) في شمال القصيم وتقدم رسمها قريباً .

وقال لغدة الاصبهاني وهو يعدد مياه بني وبر : ومن جبالهم القرنان : قرنا عنيزة ، وعنيزة : ماءة كانت لربيعة .

أقول : بنو وبر هم بنو وبر بن الأضبط بن كلاب وبلادهم تقع في عالية نجد إلى الجنوب الغربي من ضريَّة بعيدة عن القصيم . وبنو ربيعة بن الأضبط من بني كلاب : وبلادهم بعيدة عن منطقة القصيم التي فيها مدينة عُنَيْزَة ثم قال لغدة : فيها — أي عنيزة هذه — بئر يقال له : أُسْت كلب قال الوهبي :

قد كنت ريّان عن است الكَلبِ وعن مقام فوقها مُجبِّي

وقالت الوهبية وزُوِّجَتْ في العراق :

لماءٌ من (عنيزة) لم يُضَيَّحْ[1] أحبُّ إليَّ من عسل العراق[2]

(١) لم يُضَيَّح : لم يمزج بلبن ، وغيره .
(٢) بلاد العرب ص ٢١٠ .

وفاتِهِ لأَنَّ تاريخَ مَوْلِدِهِ مجهول ، فإنه يستطيع أنْ يستنتج أنه لم يَمُتْ وهُوَ هَرِمٌ .. فقد دَلَّتْ أوصافُهُ يوم قدومه في وفادته مع جماعة من قومه ، أنه كان ذَا فَتاءٍ وَرُواءٍ[1] وإنني أرجّح أنه كان حوالي الستين من عمره .. وذلك على وجه التقريب ..

عبد العزيز الرفاعي

(١) قال الرسول ﷺ : «أي فتى ..» الخ .

فعنيزة المذكورة في هذا البيت والكلام الذي سبقه ليست هي التي أصبحت «مدينة عنيزة الآن» .

وقال القالي : قرأت على أبي بكر — يعني ابن دريد — للشمّاخ ، ويقال : انها لرجل من بني فزارة :

رأيت وقد أتى نجران دوني ليالي دون أرجلنا السَّديرُ
لِلَيْلِى بالعنيزة ضوء نار تلوح كأنها الشعرى العبُورُ
إذا ما قلت أخمدها زهاها سوادُ الليل والريحُ الدَّبُورُ[1]

وأنشد السُّكَّري عن أبي مُحَلِّم لسليمان بن عيَّاش وكان لِصًّا من قصيدة[2] :

يقرُّ بعيني أن أرى بين عصْبَةٍ عِراقيةٍ قد جُزَّ عنها كِنابها
وان أَسْمَعَ الطُّرَّاق يلقون رُفْقَةً مُخَيَّمة بالسِّيِّ ، ضاعت ركابُها
أتيح لها بالصَّحْن بين (عنيزة) وبُسْيان ، أطلاس جُرود ثيابها
ذئاب تعاوتْ مِنْ سُلَيْمٍ وعامر وعَبْسٍ ، وما يلقى هناك ذِئابُهَا

والدليل على أن المراد عنيزة أخرى غير التي في القصيم أنه قرن ذكر هذه بِبُسْيان وبسيان في أرض بني جُشَمٍ من هوازن في منطقة ليست بعيدة من ركبة في عالية نجد وبعيدة كل البعد عن القصيم .

ثم نذكر بيتي مهلهل المشهورين الذين ورد فيهما ذكر (عنيزة) وسارع كثير من الناس إلى اعتقاد كونهما واردين في (عنيزة) هذه التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم اليوم . مع أن أبا الفرج الأصبهاني رحمه الله قد ذكر في الاغاني في سياق كلامه على حرب البسوس موضع عنيزة في مكان ناء عن مكان مدينة عنيزة . قال : وكان أول تلك الأيام (يوم عنيزة) وهي عند (فلجة) فتكافئوا فيه لا لبكر ولا لتغلب وتصديق ذلك قول مهلهل :

---

(١) الأمالي ج ٢ ص ٢٠١ . وهي في الحماسة البصرية ج ٢ ص ٩٤ للشماخ أو أخيه مزود .
(٢) ياقوت : بُسْيَان .

كـأنـا غُـدوة وبني أبـيـنـا بجنب (عُـنـيـزة) رَحَـيا مدير
ولولا الريح أسمع مَنْ بِحَجْرٍ صليل البيض يُقْرع بالذُّكور[1]

أقول : فلجة التي ذكر أبو الفرج أن (عنيزة) هذه عندها واقعة إلى الغرب الجنوبي من ضَرِيَّة فيما بينها وبين الدفينة وقد أصبحت معروفة في الإسلام بسبب كون طريق حاج البصرة إلى مكة يمر بها وهي المنزل الثالث بعد ضرية ، والمنزل الأول بعد ضرية هو الأبرقان اما المنزل الثاني فهو جديلة ، كما أوضح ذلك الإمام أبو اسحاق الحربي .

و(فلجة) تغير اسمها فأصبحت تسمى الآن «الخضارة»[2] .

ولا تزال (عنيزة) هذه معروفة هناك باسمها القديم (عنيزة) ويدل على ذلك كونها قريبة من الذَّنائِب المشهورة في الحرب المذكورة فهي — أي الذنائب — تقع إلى الجنوب من (عنيزة) هذه وترى منها أي : إذا كنت في عنيزة رأيت الذنائب ، وتقع إلى الغرب من بلدة عفيف وقد ذكرها الشيخ سعد بن جنيدل فقال :

عُنيزة : هضيبة سويداء صغيرة لها امتداد منطرح في الأرض ، تقع غرباً شمالياً من بلدة عفيف ، على بعد خمسة عشر كيلاً تقريباً ، في بلاد الروقة من عتيبة التابعة لإمارة عفيف[3] .

ويدل على بعد موقع (عنيزة) هذه عن القصيم قربها من فلجة التي أصبحت تسمى (الخضارة) في الوقت الحاضر ان الامام الحربي ذكر عدد منازل حاج البصرة فذكر أن المنزل السادس عشر هو ضريَّة وأن السابع عشر هو الأبرقان وان الثامن عشر هو الجديلة ، والتاسع عشر هو فلجة وان المنزل العشرين هو الدثينة[4] .

ومعلوم أن الدثينة هي التي تسمى الآن الدفينة بالفاء وهي كانت محطة معروفة من

---

(١) الأغاني ج ٥ ص ٤١ (طبعة دار الكتب)
(٢) راجع معجم العالية : رسم «الخضارة»
(٣) معجم العالية (حرف الخاء)
(٤) كتاب المناسك ص ٦١٢ — ٦١٣

محطات طريق السيارات بين الرياض والحجاز ، وأنها بعد عفيف إلى جهة الحجاز فأين ذلك من القصيم ؟

وكما ذكر مهلهل بن ربيعة يوم (عنيزة) ورد ذكر (عنيزة) في شعر شاعر يقال له أوس بن حارثة بن لام قال الهمداني : إنه قال ذلك يَمُنُّ على خولان بنصرة مَذْحج لقضاعة على بني ربيعة[١] :

ونحن ضربنا الكبش من فرع وائل ... بأسيافنا حتى اشتكىٰ ألم الخَدِّ
غداة لقيناهم بسفح (عنيزة) ... بكل جنيب الرجل والأجنب الوَرْد
بما اجترمت فينا وجَرَّتْ قُضاعةٌ ... علينا ، فسرنا بالخميس وبالبُنْدِ

وقال عبد المسيح بن عسلة من شعراء الجاهلية في يوم عنيزة هذا[٢] :

غدونا إليهم والسيوف عِصيُّنا ... بأيماننا نفلي بهنّ الجماجما
لعمري لأشبعنا ضباع (عنيزة) ... إلى الحول ، منها والنُّسُوْرَ القشاعما[٣]

ويوم عنيزَة هذا اليوم في الجاهلية الذي ورد ذكره في شعر مهلهل بن ربيعة يذكرنا بيوم آخر يقال له (يوم عنيزة) ورد في شعر لشاعر إسلامي هو شبيب بن البرصاء من شعراء الحماسة ، قال من قصيدة في حماسة أبي تمام[٤] :

لعمري لقد أشرفت (يوم عنيزة) ... على حاجة لو شَدَّ نفسي مريرها
تبيّنُ أعقابُ الأمور إذا مضت ... وتقبل أشباها عليك صدورها
إذا افْتَخَرَتْ سعد بن ذبيان لم تجد ... سوى ما أتينا ما يعدُّ فخورُها
ألم تر أنا نور «قوٍّ»[٥] وانما ... يُبيِّن في الظلماء للناس نورها

---

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ .
(٢) المفضليات ص ٣٠٤ .
(٣) القشاعم : جمع قشعم وهو المسنّ من النسور .
(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ص ١١٢٤ .
(٥) قو : عدة مواضع وقد فسر المرزوقي ذلك بأنه يريد انهم نور لأهل «قو» وقد رأيت في مصدر آخر غير المرزوقي «قوم» بالميم . وهنالك موضع كان يسمى «قوا» في القصيم في الزمن القديم حققت موضعه في حرف القاف وسيأتي ان شاء الله .

على أن البيت الذي فيه ذكر يوم عنيزة روى من قصيدة لشاعر جاهلي اسمه عوف بن الأحوص من بني جعفر بن كلاب قال من قصيدة في المفضليات[١] :

لعمري لقد أشرفت يوم (عُنَيزةٍ) على رغبةٍ لو شَدَّ نَفْساً ضميرها[٢]
ولـكنَّ هُلْكَ الأمر إلاَّ تُمرَّه ولا خير في ذي مِرَّة لا يُغيرُها[٣]

ومن الواضح أنه اياكان قائل البيت فإن يوم عنيزة هذا هو غير يوم عنيزة الوارد في شعر مهلهل إلا أنه من المستبعد لنا جداً أن يكون المراد به «عنيزة» التي أصبحت مدينة عنيزة والله أعلم .

وأورد ياقوت «عنيزتين» وقال : تثنية الذي قبله — يعني عنيزة — وقال : قال العمراني : هو موضع آخر ، والذي أظنه انه موضع واحد كما قالوا : في عماية عمايتان ، وفي رامة رَامتان ، وأمثالها كثيرة . والله أعلم ، قال بعضهم :

أقرين ، إنَّك لو رأيت فوارسي بِعُـنيـزتين إلى جوانب ضـلـفـع

هكذا قال ياقوت واستشهد بهذا البيت على رسم «عنيزتين» فإذاكان انشاده البيت صحيحاً كان من المحتمل أن المراد بضلفع هنا ضلفع الذي في القصيم أي الضلفعة ، وعُنيزتان هنا هما جبلا عَنْز وعنيزة وهما جبلان يقعان إلى الغرب من الضلفعة ويرى أكبرهما وهو عَنْزٌ من القارة التي تسمى حمار الضلفعة ولكن الذي يجعل المرء لا يستطيع أن يجزم بذلك هو أن هذا البيت ورد ضِمْنَ قصيدة وفيها «عمايتان» تثنية «عماية» بدلاً من عنيزتين تثنية «عُنَيْزة» وعماية — كما هو معروف — جبل كبير مشهور يُتَحَصَّنُ به وهو بعيد عن منطقة القصيم إلى جهة الجنوب .

ويكون ضلفع الذي مرت به عمايتان في الشعر هو جبل ضلفع الواقع قرب بلدة «رنية» وليس ضلفع القصيم . ومِمَّن ذكر الشعر بلفظ «عمايتين» ابن حبيب[٤] وجاء

---

(١) المفضليات ص ١٧٨ والشرح من حاشيتها .

(٢) لو شد نفسا ضميرها أي : لو اشتد العزم . يقول : كنت عزمت على أن أغير عليهم وامكنتني الفرصة ثم فترت .

(٣) الانمره : الا تحكه . وأصل الامرار ، إحكام الفتل . يغيرها : من الإغارة وهي شدة الفتل (بالفاء) .

(٤) المحبر ص ٣٥١ .

اسم (عُنَيْزَات) بصيغة جمع عُنَيْزة ولكنها ليست بعنيزة هذه التي أصبحت مدينة فيما أظن ، وذلك في هذا الرجز الذي أنشده الخليل[1] :

ما شربت بعد طَويٍّ الْقَريق
بين (عنيزات) وبَيْنَ الخرْبق
مِنْ بَلَلٍ غَيْرَ النّجاء الأَذْفَقِ

و(عُنَيْزات) أخرى أورد ذكرها ياقوت وليست في القصيم قال : وقيل : الشعث و(عنيزات) قَرْنان صغيران ، بين السُّوارقية والمعْدن[2] .

ومعلوم أن المراد بالمعدن في هذه الجملة هو معدن بني سليم ، الذي أصبح يسمى الآن (مهد الذهب) أو المهد بدون اضافة ، والسوارقية لا تزال معروفة باسمها القديم إلى الغرب من المهد فيما بينه وبين المدينة المنورة .

ايضاح :

رأيت من زعم أن عنيزة التي ذكرها امرؤ القيس في معلقته بقوله :

ويوم دخلت الخِدْرَ خِدْرَ (عُنيزة) فقالت لك الويلات إنك مُرْجلي

المراد بها عنيزة هذه التي في القصيم ، ويفسر قول امرىء القيس فقالت : بأن الضمير فيه يعود على محبوبته وليس على عنيزة التي ذكرها في هذا البيت وقد رأيت في تكملة الصغاني توجيه إلى هذا الرأي ، لذلك لا بد من إيضاح أن المقصود من (عنيزة) في معلقة امرىء القيس هي فتاة اسمها (عنيزة) وهي ابنة عم لامرىء القيس . روى قصتها شاعر مشهور هو الفرزدق فيما حكاه عنه الانباري . ونُعقب بعد ذلك بما ذكره الصغاني قال الفرزدق : حدثني جدي وأنا يومئذ غلام حافظ لما أسمع ، أن امرأ القيس كان عاشقاً لابنة عمه يقال لها (عُنَيْزة) وانه طلبها زمانا فلم يصل اليها ، فكان مُحْتالا لطلب الغرَّة من أهله ، فلم يمكنه ذلك حتى كان يوم الغدير ، وهو يوم دارة جلجل .

(١) معجم ما استعجم ص ٩٥ ٤

(٢) معجم البلدان رسم «شعث»

وذلك أن الحيَّ ارتحلوا فتقدم الرجال وخلَّفُوا النساء والعبيد ، فلما رأى امرؤ القيس ذلك تخلف بعد قومه فكمن في غيابة من الأرض حتى مرّ به النساء ، فإذا فتيات فيهن (عُنيزة) فلما رأين الغدير قلن : لو نزلنا في هذا الغدير واغتسلنا ليذهب عنا بعض الكلال ، فقالت احداهن فافعلن .. فنزلن ونَحَّيْنَ العبيد عنهن ودخلن الغدير ، فأتاهُنَّ امرؤ القيس مُخَاتِلاً وهن غَوافِل . فأخذ ثيابهن وهُنَّ في الغدير ، ثم جمعها وقعد عليها وقال : والله لا اعطي جارية منكن ثوبها ، ولو ظَلَّتْ في الغدير إلى الليل حتى تخرج كما هي (...) فتكون هي التي تأخذ ثوبها .

ثم ذكر أنه ذبح لهن ناقته وأنهن بعد ذلك تقاسمن متاع راحلته كل واحدة حملت بعضه ، وبقيت (عنيزة) لم يُحَمِّلْها شيئاً . فقال لها امرؤ القيس : يا بنت الكرام ، ليس لك بُدٌّ من أن تحمليني معك ، فإني لا أُطيق المشي ولم أتَعَوَّدْهُ فحملته على بعيرها ، فكان يميل اليها ، ويدخل رأسه في خدرها (...) فإذا مال هودجه قالت : يا امرأ القيس ، قد عَقَرْت بعيري ، حتى إذا كان قريباً من الحي نزل فأقام .. فقال في ذلك شعراً منه .. ثم أورد معلقته التي منها فيما يتعلق بعنيزة :

ويوم دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عنيزة — فقالت : لك الويلات انك مُرْجِلي
تقول وقد مال الغبيط بنا معاً — عقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزل
فقلت لها : سيري ، وأرخي زمامه — ولا تُبعِدْيني من جَناكِ المُعَلَّل
فَمِثْلُكِ حبلى قد طرقت ومُرْضِعٌ — فألهيتها عن ذي تَمائِم محْوِلِ[1]

وبعد إيضاح هذه النقطة عن الفرزدق فيما نقله عنه الأنباري ننقل نَصَّ الصغاني :
قال في التكملة :

وعُنَيْزة : هضبة سوداء بالشَّجي ببطن فُلَيج ، وإنما سُمِّيَ الشِّجيْ بها ، وهو بطن فُلَيج وإياها عنى ابن حبيب حيث روى بيت امرىء القيس :

ويوم دَخَلْتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيْزَةٍ — فقالت : لك الويلات إنك مُرْجِلي

(١) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ١٤ وما بعدها .

وقال : هكذا الرواية . قال : والدليل على أن عنيزة في هذا البيت موضعٌ قوله :

أفاطِم مهلا بَعْضَ هذا التَّدلُّل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجمِلي

قال ابن الكلبي : هي فاطمة بنت العُبيْد بن ثعلبة بن عامر ، وعامِرٌ هو الأجدار بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة[١] .

وفي كلام الصغاني من الغريب غير القول بأن (عنيزة) في شعر امرىء القيس اسم موضع القول بأن (عنيزة) هضبة سوداء بالشجي ببطن فليج بالتصغير إذ فليج الذي ذكره ورد في أكثر النصوص (فلج) بالتكبير.

وأيًّا كان الأمر فإن (عنيزة) في بيت امريء القيس هذا إذا صح أنها موضع ليست بعنيزة هذه التي أصبحت مدينة عنيزة ، اذْ لا دليل يدل عليه لا سيما إذا عرفنا أن عنيزة من أسماء النساء عند العرب القدماء كما قال الأزهري : وعُنيزة من أسماء النساء : تصغير عَنَزَة أو عَنْزَة[٢] .

وذكر الشيخ سعد بن جنيدل في إحدى العنيزات الأخرى ويدل ذلك على أنها لا تزال تسمى بهذا الاسم وقد تكون إحدى العنيزات القديمة المجهولة الموقع التي ورد ذكرها في أحد النصوص القديمة التي سبق إيرادها قال :

عُنَيْزة : بعين مهملة مضمومة ونون موحدة مفتوحة ، وياء مثناة ساكنة ، ثم زاي معجمة مفتوحة ثم هاء كأنه تصغير عنز : هضبة سويداء صغيرة تقع في ضفة وادي الرشاء الغربية غرب جبل شهلان[١] في بلاد عتيبة التابعة لإمارة الدوادمي تبعد عن مدينة الدوادمي غرباً ما يقرب من تسعين كيلاً[٢] .

---

(١) التكلة والذيل والصلة ج ٣ ص ٢٨٦

(٢) تهذيب اللغة ج ٢ ص ١٣٩ .

(٣) ثهلان : أصبح اسمه ذهلان بالذال وهو اقع الى الغرب من بلدة الشعراء ملاصقا لها .

(٤) معجم العالية (حرف العين)

وهذه جملة من الشواهد الشعرية التي ورد فيها ذكر عنيزة ولكننا لا نستطيع الجزم بأن المراد بها عنيزة القصيم أو غيرها لعدم وجود قرينة تدل على تعيينها ونذكرها لعل أحدا من الباحثين يهتدي إلى تعيين عنيزة المرادة فيها قال أحدهم [1] :

أَلاَ هَـلَكَ امـرؤٌ ظَـلَّتْ عليـه بِجنْب عُنَيْزَة بَقَرٌ هُجودُ [2]
سَمِعْنَ بِمَوْته فَظَلَلْنَ نَوْحاً قِيـامـاً ما يَحِلُّ لَهُنَّ عُود

على أنه يمكن القول باحتمال أن تكون كلمة «جنب» محرفة عن كلمة «خبت» فإذا كان الأمر كذلك فإنه يرجح أن يكون المراد عنيزة القصيم لكونها تقع في مكان منخفض بالنسبة إلى ما حولها لأنها كانت روضة تنتهي إليها السيول كما قدمنا . ولكون «خبت» عنيزة ورد ذكره في عنيزة القصيم .

وقال الطِّرماح بن حكيم الطائي [3] :

ظُعُنٌ تَجاسَرُ بين حَزْم عُوَارِضٍ وعُنَيْزتين ، ربيعُهُنَّ الأغْيَدُ [4]
بأغَنَّ كالحُولاَء ، زَانَ جِنَانَهُ نُورُ الدكادِك سُوقُهُ تَتَخَضَّدُ [5]

فذكر عنيزتين ، تثنية عنيزة إلا أن «عوارض» واقع في بلاد غطفان إلى الغرب من بلاد طيء في المنطقة التي تقع إلى الشمال من عقلة الصقور إلى النقرة .

وقال الشَّمَّاخ بن ضرار يذكر محبوبة له تسمى «الميلاء» من قصيدة [6] :

على أن للميلاء اطلال دمنةٍ بأسْقُفَ تُسْديها الصَّبا وتُنيرها

---

(١) شرح الحماسة للمرزوقي ص ٣٧٠ وهي في الأصمعيات ص ٢٧٣ وفيه بشط عنيزة ونسبها لامرأة .
(٢) كنى عن النساء بقوله : بقر هجود وعبّر عن امساكهن عن الطعام بقوله : ما يحل لهن عود أهـ من المرزوقي .
(٣) ديوانه ص ١٣٢ .
(٤) الظعن : النساء في الهوادج . وتجاسر : تسير ، والأغيد : الناعم من النبات .
(٥) باغن : أي : بعشب أغن ، وهو الذي تسمع لمرور الريح بين أغصانه غنّة ، والحولا من الناقة كالمشيمة للانسان لون ماءها أخضر . والدكادك ما استوى وتلبد من الرمل .
(٦) ديوانه ص ١٦١ — ١٦٢ .

وخَفَّتْ خباها من جنوب (عُنيزةٍ) كما خَفَّ من نبل المرامى جفيرها
فإنْ خفت الميلاء عسفان أو دنت لحرة لـيلى أو لـبـدر مصيرهـا
لِيَبْكِ عَلَى الميلاءِ منْ كان باكياً إذا خرجتْ منْ (رَحْرَحَان) خُدُورُهَا

ومن شعر مجنون ليلى الذي أورده الأصبهاني[١] :

فلو كنت إذْ ازمعت هجري تركتني جميعَ القوى، والعقل مني وافرُ
ولـكـن ايامي بحقل (عـنـيـزةٍ) وبالرَّضْم أيامٌ جناها التَّجَاوُرُ

وقال آخر وادخل عليها الألف واللام[٢] :

لـعـمري لضَبٌّ بالـعـنيزة صائفٌ تضَحِّي عَرادا فهو ينفخ كالقَرِمْ[٣]
أَحَبُّ الـيـنـا أن يجاور أرضنا من السمك البُنِّيِّ والسلجم الوخِمْ[٤]

وقال نُصَيْبُ[٥] :

جعلن ذروء البـرْق بـرق عنيزة شمالاً، وعن ايمانهن الـعـوانـد

قال الشيخ ابن بليهد رحمه الله : عنيزة المذكورة في بيت نصيب جبل أسود في وادي الرِّشاء قريب العُويْند الواقع في عالِية نجد[٦] ، وهذا البيت المنسوب لامريء القيس :

تراءت لـنـا يـومـاً بسفح عنيزة وقـد حـان منها رحلـة وقلوص

وقال المعلوّط السَّعْدي[٧] :

---

(١) الأغاني ج ٢ ص ٤١ .
(٢) الحيوان ج ٦ ص ٨٦ — ٨٧ .
(٣) صائف : دخل في زمان الصيف والعراد : ضرب من النبات .
(٤) البنى : نوع من السمك ، والسلجم : اللفت .
(٥) البكري : رسم العوائد ص ٩٧٨ .
(٦) صحيح الأخبار ج ٥ ص ٢١٠ .
(٧) ذيل الأمالي والنوادر ص ٨٠ .

نعر الخليط نوى عليك شَطُونا وأراد يوم (عنيزةٍ) ليبينا
غَيْرَان شَمَّصَه[1] الوشاة فنَفَّروا وحشا عليك عهدتهن سكونا
ان الظعائن يوم حزم عنيزة أبكين يوم فراقهن عيونا
غَيَّضْنَ من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت، من الهوى ولقينا

فذكر حزم عنيزة إلى جانب ذكره عنيزة دون اضافة . ومراده بيوم عنيزة هنا وقت في عنيزة وليس يريد يوماً من أيام الحرب اذ هو يتحدث هنا عن محبوبته كما هو ظاهر.

كما ورد ذكر حزم عنيزة في شعر لشاعر سعدي آخر هو عريف بن ناشب[٢]

ليالي ترعى الحزم حزم عنيزة إلى الصلب يندى روضه فهو يأرج

وديار بني سعد كانت في صدر الإسلام بعيدة عن القصيم اذ هي تقع على مقربة من الخليج العربي إلى الشمال من الجبيل والى الجنوب من الكويت على وجه التقريب .

وقال البكري : عُنيزة : بضم أوله وبالزاي المعجمة على لفظ التصغير : قارة سوداء في بطن وادي فلج من ديار بني تميم . وذلك الوادي يسمى الشجِّي . والشجي : سمي بذلك لأنه شجي بعنيزة صارت في وسطه قال الفرزدق وذكر قِدراً .

أنخنا اليها من حضيض عنيزة ثلاثا كذود الهاجريِّ رواسيا

بنو هاجر من بني ضَبَّة لهم إبل سود ، شبَّه بها تلك الأحجار لسوادها والخرج متصل بعنيزة يدل على ذلك قول الجعدي المذكور في رسم «القِمْرى» .

أقول : يبدو لي أن جميع ما ذكر هنا من الأوهام ما عدا قوله : والخرج متصل بعنيزة الخ اذ ذلك صحيح والقمرى هي القاع الذي يسمى الآن قاع الخرما وخريمان وتقع إلى الغرب من الشقيقة التي تقع إلى الغرب الجنوبي من عنيزة كما سبق في حرف الخاء . فأول الوهم فيه قوله : إن عنيزة قارة في بطن وادي فلج فذلك يتنافى مع ما هو معروف بأن عنيزة روضة مطمئنة استخرجها محمد بن سليمان كما أورده البكري نفسه فيما

---

(١) شَمَّصَ الناقة : نخسها لتسرع في السير.

(٢) ياقوت : رسم «حزم عنيزة»

سبق والقارة لا يمكن أن يستخرج منها الماء كما هو معروف ، وانما ذلك من سمات الأرض المطمئنة أو مورد الماء كما هو معروف كما أن قوله في بطن وادي فلج ووادي فلج معروف مشهور مع قوله إن ذلك الوادي يسمى الشجي لانه شجي بعنيزة يظهر منهما التناقض إلا إذا أراد بعضه اما الشاهد الذي أورده للفرزدق فهو يرد عليه اذ ذكر الفرزدق «حضيض عنيزة» أي : المكان المنخفض منها والقارة : أكمة مرتفعة كما هو ظاهر .

فقول الفرزدق إذاً شاهد صحيح على «عنيزة» هذه التي أصبحت الآن المدينة الثانية في القصيم وليس شاهداً على عنيزة التي قال البكري : إنها قارة سوداء . يشهد لذلك واقع عنيزة والشواهد السابقة التي ذكرت (خبت عنيزة) وهو المكان المنخفض كما ذكر الفرزدق (حضيض عنيزة) .

ثم قال البكري بعد كلام له : وورد في شعر عنترة «عنيزتان» مثنى كما قال الفرزدق :

عشيَّة سال المربـدان كلاهمـا

قال عنترة :

كـيف المزار وقد تربع اهلها بـعـنـيـزتين واهـلـنـا بـالـعـيـلم

قال البكري : العيلم : ديار بني عبس .

أقول : لو كان العيلم هو ديار بني عبس لما قال عنترة كيف المزار الخ .. وهو يريد أن الشقة بعيدة جداً ما بين المنزلين اذ ما بين عنيزة وبلاد بني عبس التي هي في الجواء ولهم أي : بني عبس — الضلفعة— وأثال ، وأبلق ، وكلها معروفة الآن لا يزيد على خمسين كيلا وهذه مسافة قصيرة جداً بالنسبة لرؤية البدوي للأشياء في الصحراء ، وتقديره للمسافات فيها .

(للبحث صلة)

محمد العبودي

أصول الأسر القديمة
في مدينة الرياض

[يعنى صاحب هذه المجلة بوضع معجم عن (أصول الأُسر المتحضرة في نجد) وقد أمَدّهُ أحد تلاميذه الأستاذ أحمد بن سليمان بهذا البيان، استجابة لرغبته].

مقدمــة : من الصعب على الباحث أن يحدد القبائل التي تنتسب إليها الأسر التي تسكن الرياض وما حولها . تحديداً دقيقاً . في منطقة ترك أبناؤها حياة البداوة والتنقل في طلب الكلا والمرعى الى طلب الزراعة والاستيطان في القرى والحواضر منذ أقدم العصور . ذلك أن مدينة الرياض وقبلها مُقْرِن ومِعكال ومنفوحة وحَجْر اليمامةَ وغيرها من القرى تقع في هذا الوادي الخصب الذي اشتهر بالزراعة وخصوبة الأرض ووفرة المياه مما جعل قبيلة حنيفة وبني عمهم قيس بن ثعلبة يستقرون فيه وينصرفون إلى الاستيطان والزراعة حتى أصبحت منطقة اليمامة عند ظهور الإسلام من أخصب المناطق وأجودها انتاجاً في المحاصيل الزراعية وأصبحت تَمِير الحجازَ وغيرها من أقطار الجزيرة العربية . وعلى مر العصور بدأت أفواج من القبائل المجاورة للمنطقة من تميم وعامر والرباب تتحضر وتستقر طلباً للرزق وسعياً وراء لقمة العيش ولقدم الاستيطان وتعاقب الأُسَرْ التي توالت السكن مع بني حنيفة فإنه يصعب على الباحث أن يحدد الأصول التي تنتسب إليها تلك الأسر فضلاً عن الفروع إضافة الى ما طرأ على كل القبائل العربية من الاختلاط والتحالف حتى أصبحت كل قبيلة من القبائل عبارة عن مزيج من القبائل العدنانية والقحطانية . يدل على هذا أن الأسر التي ترك أسلافها حياة البداوة واستقروا في هذه المنطقة منذ عهد قريب لا توجد صعوبة في معرفة أصولها والقبائل التي تنتسب إليها مثل تلك الأسر التي تنتسب إلى قبائل مطير أو سبيع أو السهول . أما الأسر التي تنتسب إلى قبائل تركت حياة البداوة منذ أكثر من ألف عام فإنَّ من الصعوبة بمكان أن يعرف الفخذ أو القبيلة على وجه الدقة . من ذلك مثلاً أن الأُسَر التي تنتسب إلى حنيفة

أو إلى قَيس بن ثعلبة تترك الانتساب إلى هذين الجدين وتجعل انتسابها إلى «عنزة» ولعل الظروف السياسية والاجتماعية التي صاحبت انتشار هذه القبيلة أو تلك وما صاحبها من قوة أوْ من ضَعف يزيد في اضطراب المدلولات التاريخية ويجعل الوصول إلى حقيقة الانتساب الى قبائل بعينها أمراً في غاية الصعوبة.

واذا بحثنا قبيلة واحدة مثل (عائذ) نجد الاضطراب والتباين في نسب هذه القبيلة هل هي قحطانية أمْ ربعيَّةٌ ذلك أنه على خلاف المشهور من أنها قحطانية يوجد أسر في هذه المنطقة تنتسب اليها وتصر على أنها من (عَنَزَة) أي أنها قبيلة ربعية فهل هناك عائذ ربعية وعائذ قحطانية دخلت إحداهما في حلف مع الأخرى واختلط الانتساب بينهما؟ لا ندري.

ويرى أستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر في بحثه القيم[1] عن هذه القبيلة انه بالنسبة إلى نسبتها إلى سعد أو سعيد (اما القول بأنهم بطن من سعد وأرجحها على سعيد فذلك أن منازل بني سعد بن زيد مناة بن تميم كانت منتشرة في وسط نجد في اليمامة في وادي سُدير وفي الخرج وفي غير ذلك من المواضع ولذلك فأنا لا أستبعد أنَّ قسماً من عائذ تميمي النسب) انتهى.

ومثال آخر نجد أن بعضَ أفراد الأُسَر التي تنتسب إلى (سُبَيع) يرجع نسب أسرته إلى همدان من قحطان على رأى (الْمُغيري)[2] الذي أرْجَعَ هذه القبيلة إلى همدان كعادته في إرجاع معظم القبائل العربية إلى الأصول القحطانية، ومنها قبيلة سُبَيْع على خلاف المشهور، والصحيح من أنها قبيلة عدنانية[3] من عامر بن صعصعة. ولا يمنع أن يكونَ معها أخلاط من قبائل قحطانية. يُضَاف إلى صعوبة البحث عن أصول هذه الأُسَر وجود الجهل والأُميّة. ذلك أن مفهوم عبارة: (الناس مؤتمنون على أنسابهم) صحيح بحق أهل العلم والمعرفة الذين يدركون ماضي أسرهم ويهتمون به أما (العوام) فالأمر يختلف عن ذلك أشدَّ الاختلاف ففضلاً عن عدم معرفتهم لأنساب الأُسر الأخرى فإنهم يجهلون القبائل التي ينتسبون إليها. وهذا يذكرني بأحدهم ممن كنت أظنه على علم بنسبه فقد سألت ذلك الشخص عن نسبه فقال نحن من قحطان، وكنت أظنه تميمياً لمشابهة اسم أسرته لاسم أسرة تميمية مشهورة فقلت: السَم من تميم؟ فقال نعم: وأضاف

قائلاً : إن تميم يرجعون إلى قحطان ؟ فهذا أنموذج لأولئك القوام الذين لا يعول عليهم في التحقيق من نسب أسرهم .

واذا تتبعنا الأُسَرَ الساكنة في الرياض وما حولها نجد أن أغلبها تنتسب إلى ثلاث قبائل وهي حنيفة وتميم وعامر بن صعصعة بينما ينعدم وجود أسر تنتسب إلى قبائل مشهورة مثل (عُتيبة) و(حرب) إلا ما ندر . وهذا يؤكد ما ذكرناه في أول البحث من أن أُسَرَ هذه المنطقة قديمة الاستيطان ، وترجع إلى القبائل التي كانت تعيش في هذا الوادي وما حوله منذ القدم . وقد يلاحظ القارىء الكريم أن هذه الجداول قد شملت إلى جانب أسر الرياض الأُسَرَ التي تسكن منفوحة والمصانع وعرقة والدرعية وذلك لسببين :

١ ــ ان هذه الأسر لا تخلو من بيت أو بيتين تسكن الرياض منذ القدم إلى جانب المصاهرة والاختلاط بين أسر هذه البلدان .

٢ ــ ان الرياض العاصمة الكبرى للبلاد ــ قد تطورت واتسع عمرانها في هذا العهد الزاهر حتى أصبحت هذه المناطق من أحيائها وضواحيها .

وقد تتبعت هذه الأسر وسألت عن أصولها ممن يوثق به من أفراد كل أسرة كما حرصت على الاجتماع بالأشخاص المشهورين بمعرفة أسر الرياض والقبائل التي تنتسب إليها . ومنهم العلامة الفقيه الشيخ إبراهيم بن محمد بن عثمان والنسابة الشيخ صالح بن حمد بن رَيِّس والنسابة الراوية الشيخ ابراهيم بن عبدالله بن ريس فلهؤلاء الأجلاء ولكل من تفضل بمساعدتي في هذا البحث الشكر والامتنان .

وهذه المعلومات التي توصلت إليها لا زالت بحاجة إلى الكثير من البحث لاكمال ما نقص منها وتصحيح ما وقع الخطأ فيه وإضافة ما سقط عن سهو أو عدم إدراك وسيكون الباب مفتوحاً للقراء الكرام لإضافة ما لديهم من معلومات أو تصحيح ما في هذا البحث من نقص أو خطأ والله الموفق .

وها هي أسماء من عرفت من الأُسر مرتبة على حروف المعجم :

إسم الأسرة	الفخـذ	إسم القبيلـة
آل ابراهيم		فضول (آل فضل) من طيء
آل أبو حميد[1]		تميم
آل إسماعيل		عنزة
آل إدريس	أهل الدرعية	سُبَيع
آل بتَّال		مطير
آل بشر	من آل حامد	اشراف
آل بكر		تميـم
آل بَنْيَان		سبيع
البواهل		باهلة
آل تُرْكي	من آل سعود	عنزة
آل ثاقب		لأم من طيء
آل ثُنَيَّان	من آل سعود	عنزة
آل ثُنَيَّان	من آل عمران	عنزة
آل ثُنَيَّان	من آل حوشان	عنزة
آل جاسر		تميم
آل جَفَّال		عنزة
آل الجُهَيْمي		سهول
آل جبرين		من بني زيد
آل جُرَيْوي		من بني خالد
آل حاضر		العجمان من يام
آل حمود		حنيفة
آل حمود		عائذ

(١) صحة كتابة الاسم (ال ابن أُحَيْمد) لادغام النون عند العامة الذين يسهلون الهمزة كما في (ابن وهق) و(ابن واصل).

آل حمد	(هؤلاء انقرضوا)	سُبَيع
آل حسين	من الوداعين	دواسر
آل حماد		عنزة
آل الْحَمَّادي	من الخَثَالين «آل خثلان»	سُبَيع
آل حُوتان	من عَبْدَل (العبادلة)	تميم
آل حُميد	رهط الشيخ عبدالله بن حميد	من بني خالد
الحقابين		من الحقبان الدواسر
آل حذيفه		من الأشراف
آل حِقّان		من الأشراف
آل حوَّال	حَوَّال استوطن الرياض في أول عهد الملك عبد العزيز	عتيبة
آل الحسيني		تميم
آل خالد		من بني خالد
آل خُرَيِّف		تميم
آل خُنَيْزان		عنزة
آل خُضَيْر		زعب
آل دَاود		هاجر قحطان
آل ذايل	من الوداعين	دواسر
آل دِرْع	الدروع	حنيفة
آل دغيثر	من آل يزيد	حنيفة
آل دُخَيِّل	من المساعرة	من الدواسر
آل دَخيل		عنزة
آل دُهَيّمش	من السُّحَمَة	من قحطان
آل الدُّوْسِري		عنزة

آل الذهيبي		عنزة
آل راشد	أهل مُقَيْصِبَة ومقيصبة هذه حلة غرب الرياض ودخلت فيها الآن	سُبَيع (انقرضوا)
آل راشد	من آل عمران	عنزة
آل رُشَيِّد		هاجر
آل رشود		من عائذ
آل راجح	من العناقر	تميم
آل ريس	من الدروع	حنيفة
الرواتع		اشراف
آل الرعوجي		عنزة
آل رَوَّاف	من الوهبه	تميم
آل رُميزان		تميم
آل زامل		قيس بن ثعلبة
آل الزحيفي		تميم
آل الزمامي	من الوداعين	دواسر
آل زيد	أهل المصانع من الدروع	حنيفة
آل زيد	من آل راشد	سُبَيع
آل زيد	من آل سليمان العناقر	تميم
آل الزهيري		عائذ
آل زرعه		حنيفة
آل السديري		دواسر
آل سلمة	من الغبيشات	دواسر
آل سحيم	السحمه	قحطان
آل سرحان		عنزة

آل سليمان[٤]	أهل الرياض من آل ريمانمن العناقر	تميم
آل سليمان	(أهل عرقة) من النواصر	تميم
آل سالم	وهبه	تميم
آل سالم		عائذ
آل سعيد	أهل منفوحة	سُبَيع
آل سُعيِّد	وهبه	تميم
آل سيف	أهل منفوحة	عنزة أظنهم من قيس بن ثعلبة
آل سيف	أهل النبهانية في صياح من بني هاجر	
آل سيف	أهل الرياض	ودآعين من آل سويلم من الدواسر
آل سيف		
السيايرة		بني خالد
آل سعدون	أهل منفوحة من بني ثور	سُبَيع
آل سويلم	عرينات	سُبَيع
آل السُّمَاري		هاجر قحطان
آل سويدان		سبيع
آل شاشات		حنيفة
آل شقران		سُبَيع
آل الشقري		من بني خالد
آل الشُّعَيْبي		قحطان
آل شعوان		مطير
آل شُديِّد	من القريشات	من السهول
آل شُهَيْل		عائذ
آل الشنيفي		سُبَيع

الشواعر		عنزة
آل الشيخ	وهبه	تميم
آل شويش	من الجبلان	مطير
آل الشميسي		حنيفة
آل صالح (العنزي)		عنزة
آل صالح		عنزة
آل صقيعان	من الهلالات	تميم
آل الظَّفيري		الظفير
آل طالب		فضول
الطِّوَال		تميم
آل عبد الرحمن	من الهزازنة	عنزة
آل عبد القادر	من آل عمران	عنزة
آل عبد القادر		مطير
آل عبد الكريم		سُبَيع
آل عبيد		عجمان
آل عبيكان	من آل عمران	عنزة
آل عثمان	(رهط أخينا الشيخ ابراهيم بن عثمان)	قيس بن ثعلبة
آل عثمان	رهط عبدالله بن عثمان رئيس الديوان الملكي سابقاً	هاجر
آل عثمان	من الهلالات	تميم
آل عثمان	أهل الدرعية	بني خالد
آل عثمان	من آل مدهش	حنيفة
آل عجلان	من محلف	سهول
آل عساكر		عنزة
آل عشبان	من هزان	عنزة

آل عكرش	من السحمه	قحطان
آل العريني	عرينات	سُبَيع
ال عمران	السبعة	عنزة
آل عمران	(رهط حسن بن عمران أمير مراة سابقاً) من المزاريع	تميم
آل عون		اشراف
آل عواد		عائذ
آل عياف	من آل مقرن	عنزة
آل غُدَيِّر		عجمان
آل غانم		سُبَيع
آل غنيم		من بني خالد
آل الغنيمي		من بني خالد
آل غيث	من السيايرة	من بني خالد
آل غنام		قحطان وقيل من زعب
آل فرحان	من آل سعود	عنزة
آل فارس	من العرينات	من سُبَيع
آل فُرَيَّان		من بني هاجر
آل الفطيماني		سهول
آل فَيَّاض		عنزة
آل فوزان		دواسر
آل قاسم	من آل عاصم	قحطان
آل قضيب		قحطان
آل القَضيبي		قحطان
آل القريشي		قريش
الْكُثْرَانُ		من لَامٍ من طيء

آل لُوَيْتَه		من العجمان من يام
آل المُدَاوي		قحطان
آل مدهش		حنيفة
آل مرزوق		زعب
آل مديرس		حنيفة
آل مانع		تميم
آل محمود		اشراف
المدامغة		تميم
آل مزروع		تميم
آل مَرْشَد	من جُميلة	عنزة
آل مرشد		تميم
آل مقرن	من آل سعود	عنزة
آل مقرن	أهل الباطن	حنيفة
آل مشاري	من آل سعود	عنزة
آل مشاري		تميم
آل مشرَّف	من الوهبه	من تميم
آل المطرفي		عنزة
آل المُطَيْري		مطير
آل مُقْحم	من آل عاصم	قحطان
آل مُعَمَّر		تميم
آل محمد من آل حسين	من الوداعين	من الدواسر
آل ناصر		من بني زيد
آل ناصر	أهل الدرعية	من بني زيد
آل ناصر	من آل جميل	تميم
النمور ويدعون آل عبدالوهاب	من الدروع	حنيفة

آل نوح		عنزة
آل نشوان	من الوهبه	من تميم
آل أبونيان (ابن ونيَّان)		حرب
آل وعلان		تميم
آل الوَهـيْبي		قحطان
آل الوُهَيْبي	من الوهبه	تميم
آل هدَّاب		فضول
آل هذلول	من آل ثنيان آل سعود	عنزة
الهلالات		تميم
آل يوسف	اهل الرياض	تميم
آل يوسف	أهل عرقه والدرعية	عنزة
آل يوسف	أهل الداخله بالرياض	هاجر

الريـاض أحمد بن سليمان

تعليقات :

١ ــ مجلة العرب السنة الخامسة ص ١١٥٩ .

٢ ــ الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب للمغيري ص ١٣٥ .

٣ ــ مجلة العرب السنة السابعة ص ١٥٢ .

٤ ــ أسرة كاتب هذا : قَدِمَ جدنا سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن زيد بن ريمان بن إبراهيم بن خنيفر العنقري وأخوه محمد إلى الرياض في عهد الإمام تركي وغرس المكان المعروف (أم قرو) جنوب غرب الرياض .

— ٤٧ —

المطابع والصحافة والمكتبات
في معجم المطبوعات العربية السعودية

(١)

إن الطباعة (والمطابع) جديرة ببحث مستقل، وهي ترتبط برباط متين مع الكتاب ومعجم للمطبوعات، ويتصل بها وبالكتاب موضوع الصحافة في نشأتها وتطورها وبما تشتمل عليه من جرائد ومجلات.

وارتباط الصحافة بمعجم للمطبوعات قوي لأسباب منها أن الجرائد والمجلات ضروب من الكتاب، وفيها، ولا سيما في المجلات، ما يصدر خاصاً بمناسبة أو موضوع واحد، ومنها أنها قد تنشر مسلسلاً يؤلف مجموعه كتاباً، ومنها أن مجموع ما يكتبه كاتب واحد في صحيفة واحدة أو عدة صحف يمكن أن يجمع في كتاب أو أكثر من كتاب؛ ومنها أن تكون صحيفة واحدة موضوعاً لكتاب أو كتب ومنها ... ومنها انك تستقي كثيراً من أخبار الكتب لدى صدورها — أو بعد صدورها — وما يصحب ذلك من إعلان أو خبر أو تعريف أو نقد ... مع تعريج متصل أو مستقل على الحديث عن المؤلف نفسه ... ولا يمكن أن يستغني المؤلف المعجمي عن هذه الأمور ... ومن ثم لا يستغني الدارس الذي يريد أن يذهب إلى ما هو أبعد من معجم المطبوعات أو الذي يريد أن يسد ثغراته ويكمل نواقصه.

أقول هذا ... وقد صار شيء منه واقعاً فهناك الأعداد الخاصة ومن أمثلتها ما أصدرته «المنهل» وهناك الكتب الكثيرة المتسلسلة وخير مثال عليها ما تجريه «العرب» وهي تكاد تكون مجموعة كتب ...

وهناك المقالات التي جمعت، والدراسات التي أجريت ...

كل هذا ونحن في بداية الطريق وإذن ، فما أحوجنا إلى معجم خاص بالمطابع يبين نشأتها وتطورها وتاريخ تأسيسها وشيئاً عن أصحابها ... وآثارها ...! وما أحوجنا إلى معجم خاص بالصحافة وربما احتجنا إلى معجمين واحد للجرائد وثان للمجلات ...

أقول : ما أحوجنا !! ولست في ذلك مبالغاً أو خيالياً ، لأني أقول هذا اليوم ونحن في عام ١٤٠٠/ ١٩٨٠ وإزاءنا ما يصدر من جرائد ومجلات ... وكتب ... وما يدل على المنهجية في البحث وما تستدعي المنهجية ... ثم ما نراه من فهارس ومعجمات ... ولا أشك في أننا سنقف قريباً على معجم للمطابع ومعجم للصحافة ومن يدري فقد يكون بين الباحثين من سار في الطريق شوطاً ملحوظاً ولن يكون صدور عمله غداً مفاجأة .

أقول هذا وأنا أسترجع الحال وكنت في الرياض عام ١٣٨٣/ ١٩٦٣ وقلت : ما أحوجنا إلى معجم للمطبوعات ... العربية السعودية ... وبدوت في عيون بعضهم ، بمن في ذلك عدد من «الوطنيين» أنفسهم مبالغاً أو خَيَالياً ، وربما عجب بعضهم من رؤيته إياي أقَلّب الكتب وقد عَلَتْها الأتربة وأبحث عن الكتب وقد ضاعت في الزَّوايا ...

ربما ... ولكن آخرين ارتاحوا لإعلان الحاجة ... وفي هؤلاء الآخرين من كان أعد شيئاً من فهرس على وجه من الوجوه ، وقد أشرت مرة إلى الفهرس الأوليِّ الذي عملته وزارة المعارف وطبعته على الرونيو ، والفهرس الذي عمله لحاجة عاجلة وصدر عن وزارة المعارف باسم : دليل المؤلفات السعودية — مصطفى حسين عطار ١٣٨٤ هـ — ١١ — ٤٢ — ١٢٠ ص .

ومرت أيام وسنون وإذا بواحد من طلبتي النجباء (هو يحي الساعاتي) يتجرد للفهرسة ويصدر فهارس ويتخصص بالمكتبات ...

ويعمل في السعودية أديب مصري أحسَّ بالحاجة إلى الفهارس فأصدر معجمين ولعله يعمل الآن معجماً ثالثاً ورابعاً ، ذلك الأستاذ شكري العناني .

أنتهى من هذا إلى النص على ضرورة أن يكون للمطابع معجم ، وأن يكون للجرائد

والمجلات معجم (أو معجمان) وإلى أني لا أستبعد تحقيق ذلك قريباً .

وبعد .

فان الصحافة والمطابع في ترابط وتلازم ولا سيما في المراحل الأولى — لدى النشأة وبدارية التطور .

وليس في هذا القول ابتكار ، فقد تنبه إليه الأدباء منذ وقت مبكر ، تلاحظ آثار ذلك التنبه في المراجع التي يسطرها الباحثون المتأخرون في موضوع الصحافة ونشأتها : في الحجاز على وجه الخصوص .

ولعلك لحظت خلال ذلك بحثاً لرشدي ملحس في «تاريخ» الطباعة والصحافة في الحجاز» نشره في عددين من أعداد جريدة «أم القرى» ٢٠٧ (رجب ١٣٤٧/ ١٤/ ١٢/ ١٩٢٨) ، ٢١١ (رجب ١٣٤٧/ ١١/ ١/ ١٩٢٩) .

وتلاحظ في كثير من الأحاديث — والبحوث التي جعلت الصحافة مدار موضوعها ...

ولا تعدم أن تجد مقالاً خاصاً بالطباعة كالذي كتبه محمد سعيد عبد المقصود في جريدة صوت الحجاز ، العدد ٣٤٣ بتاريخ ١٥/ ١/ ١٩٣٩ ، بعنوان «الطباعة في الحجاز» (ينظر الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ ، الصحافة في الحجاز ١٣٩١/ ١٩٧١) .

ولا بد من النص على أن الصحافة وجدت عدداً لا بأس به من الأدباء يتكلم على نشأتها أو يتحدث عن انطباعاته وتجاربه فيها أو «يشرع» لما يجب أن تكون عليه الصحيفة والصحفي ... ولو جمع ما ورد في ذلك لأمكن أن يؤلف كتاباً طريفاً قيماً — وقد يعمله باحث يوماً ، وقد يعمله قسم الإعلام من جامعة الرياض ... وستكون الافتتاحيات جزءاً من ذلك المجموع .

ومما يذكر من «المقالات» التي تحدثت عن تاريخ الصحافة ما كتبه محمد سعيد العامودي (ينظر) بعنوان «من تاريخ الصحافة في بلادنا» لعله نشره في أول الأمر

مستقلاً في مجلة كالمنهل أو الحج ثم ضمه إلى مقالات أخرى متنوعة أصدرها في كتاب جعل عنوانه «من تاريخنا» وقد صدر في ١٣٧٣/ ١٩٥٤ ولكنه لم يذيل المقالات بتواريخ كتابتها أو أماكن نشرها مع ملاحظة أنه انتهى في «بحثه» بحديثه عن مجلة الحج. وقد صدرت في غرة رجب من عام ١٣٦٦ ثم رئاسته تحريرها منذ أول عام ١٣٧٠؛ وبهامش استدراكي أشار فيه إلى ظهور «مجلة جديدة راقية وتلك هي اليمامة لصاحبها ومؤسسها ... الأستاذ حمد الجاسر» ويبدو أن الاستدراك قد وقع متأخراً قبيل الانتهاء من الطبع، ومعلوم أن اليمامة صدرت في عام ١٣٧٢.

أعادت «الدار السعودية» طبع «من تاريخنا» محرم ١٣٨٧/ ١٩٦٧ مع تعديلات وإضافات طفيفة.

... هذا وانك واجد كلاما نافعاً عن الطباعة وعن الصحافة في بطون كتب ألفت لتاريخ عهد أو تاريخ بلدة أو تاريخ أدب ...

نذكر منها هنا كتاب عبدالله عبد الجبار — التيارات الأدبية في قلب جزيرة العرب، القاهرة ١٩٥٩.

وأعد محمد علي مصلي كتاباً صدر في القاهرة ١٩٦١ بعنوان «دراسات متخصصة» فيه مقالة لحمود البدر بعنوان «الصحافة السعودية في ثمانين عاماً» — وقد أحال عليه الدكتور محمد الشامخ في مقالة نشرها في مجلة العرب بعنوان الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني — الجزء الحادي عشر في السنة الرابعة جمادى الأولى ١٣٩٠/ تموز ١٩٧٠ ص ١٠١٩ — وينظر الفصل الأول من كتاب الصحافة في الحجاز.

ثم شرع صحفي معروف هو الأستاذ عثمان حافظ (ينظر) يكتب في جريدة المدينة في عامي ١٣٨٢ هـ — ١٣٨٣ هـ (١٩٦٣ — ١٩٦٤). سلسلة من المقالات بلغت «حوالي ٢٦ حلقة بعنوان «الصحافة في ربع قرن» — يمكن أن تطبع في كتاب مستقل — وقد وعد بذلك. وما أحسبه أصدر الكتاب العتيد ثم تجرد لموضوع «الصحافة في الحجاز» باحث أكاديمي هو الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ (وقد حصل على الدكتوراه من جامعة لندن وعين للتدريس بجامعة الرياض) ومضى ينشر في مجلة «العرب»، فكانت

الحلقة الأولى : «الصحافة في الحجاز في آخر العهد العثماني» — العرب س ٤ ، ج١١ ، جمادي الأولى ١٣٩٠/ تموز — آب (يوليو أغسطس) ١٩٧٠ .

وكانت الحلقة الثانية بعنوان :

«الصحافة في الحجاز في العهد الهاشمي» — العرب — س٥ ، ج١ ، رجب ١٣٩٠/ أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ .

والحلقة الثالثة «الصحافة في الحجاز في أوائل العهد السعودي» — العرب س ٥ ، ج٤ ، شوال ١٣٩٠/ ك١ (ديسمبر) ١٩٧٠ .

لو جمعت هذه البحوث القيمة الثلاثة لكانت كتاباً مهماً في بابه — وستجمع كما سنرى .

كانت هذه الجهود المتفرقة ، وبينها ما هو رسمي ، مقدمة لصدور كتب مستقلة قيمة عَرَفتُ منها :

١ — الصحافة في الحجاز ١٩٠٨ — ١٩٤١ دراسة ونصوص . تأليف الدكتور محمد عبد الرحمن الشامخ المدرس في كلية الآداب بجامعة الرياض ، بيروت ، دار الأمانة ، ١٣٩١/ ١٩٧١ .

وقد اقترن فيه الحديث عن الصحافة بالحديث عن المطابع — وضمنه مختارات مهمة منها مقالة محمد سعيد عبد المقصود «الطباعة في الحجاز» .

ويرجع تأليفه إلى ما قبل هذا التاريخ فقد نشر بحوثه الثلاثة في مجلة العرب — كما رأينا — عام ١٣٩٠/ ١٩٧٠ .

٢ — موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية تأليف محمد بن ناصر بن عباس (بكالوريوس آداب من جامعة الرياض — عضو مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر) . الرياض ، مطابع زنكوغراف مؤسسة الجزيرة ١٣٩١/ ١٩٧١ .

وفي الكتاب لمحة عن «المطابع» كنت أود لو طالت ...

٣ — عثمان حافظ — تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية . جدة ، شركة

المدينة للطباعة والنشر .

وقد صدر الكتاب من غير تاريخ . وكان آخر تاريخ بصدد التعريف بالمؤلف على الغلاف الأخير من الكتاب هو ١٣٨٦ .

ولا يبعد أن يكون التأليف في هذه الكتب الثلاثة قد جرى في وقت واحد لأني لم أجد بينها تقارباً كبيراً في منهج التأليف ولم ألحظ إشارة في كتاب الأستاذ محمد ناصر بن عباس إلى كتاب الشامخ ، وأشار الأستاذ عثمان حافظ إلى الشامخ مرتين مرة إلى بحثه المنشور في مجلة العرب (تنظر ص ٣٨) ومرة إلى كتابه (ص ٤٢٤) — وربما كانت هناك إشارات محدودة أخرى .

وللأستاذ عثمان حافظ خبرة طويلة بالصحافة (والطباعة) «ولد بالمدينة عام ١٣٢٨ هـ» ... وفي عام ١٣٥٠ عين مدرساً ... ثم اشترك مع أخيه السيد علي حافظ في تأسيس مطبعة المدينة وأصدر جريدة المدينة المنورة ... وفي عام ١٢٨٣ اختير عضواً بمؤسسة المدينة للصحافة ... وفي عام ١٣٨٦ انتخب رئيساً لتحرير جريدة المدينة . كما أسس مع السيد علي حافظ شركة المدينة للطباعة بجدة» .

وحياة الأستاذ عثمان حافظ دليل آخر على ارتباط الصحافة ، بالطباعة ... ومن هنا يمكن أن يعزى تضمينه كتابه «ما صدر من قوانين ونظم للمطابع والمطبوعات (صص ٤٢٤ — ٤٦٧) .

وليلاحظ أنه لم يضمن كتابه هذا الحلقات التي نشرها في جريدة المدينة بعنوان «الصحافة في ربع قرن» .

هذا ومن أدلة الاهتمام بالبحث في تاريخ الصحافة والعلم بأهمية الصحف مشروع الدكتور منصور إبراهيم الحازمي : «معجم المصادر الصحفية لدراسة الأدب والفكر في المملكة العربية السعودية» وقد أصدر الحلقة الأولى بعنوان «صحيفة أم القرى» ، الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ، ١٣٩٤/ ١٩٧٤ — مطبوعات جامعة الرياض — ٥ .

والمشروع ضخم وربما حالت أشغال الدكتور الحازمي الأخرى دون تنفيذه كاملاً ،

ولعله يشرك معه من يتعاون وإياه على الإنجاز أو من يعمل تحت إشرافه وتوجيهه .

وأشار الدكتور الشامخ وهو يذكر مراجعه من الكتب إلى : «فهرس أم القرى» الذي عمله «معهد الإدارة العامة بالرياض» «الرياض ، هـ . ت» .

تقول : إن مؤلف «معجم المطبوعات العربية ...» قد ابتعد عن «الكتب» وعن التاريخ الذي جعله الحد الذي ينتهي به المعجم (١٣٩٠/ ١٩٧٠) ، وفي قولك صواب ، ولكن المؤلف لا يرى نفسه مجانباً القصد الذي قام من أجله كتابه وهو خدمة الباحثين ، والعقلية السائدة في كتابه وهي الموسوعية .

ثم إن «المعجم» قد يقع بيد لم تصل إليها الصحف والكتب التي ألفت في الصحافة (والطباعة) إن المؤلف يؤمن بصلة الصحافة والطباعة بالكتاب ... وبالبحث ... وبالمعجم ... وقد فاته أن يحيل في حرف الجيم من المعجم : الجريدة ، وفي حرف الصاد : الصحافة ، في حرف الطاء : الطباعة ، وفي حرف الميم : المجلة ... المطبعة ... فليكن ذلك في المستدرك من غير اشتراط الفصل بين المواد الثلاث ، خصوصاً واننا نعني — هنا — بالنشأة أكثر ما نعني .

وسنحاول — قدر المستطاع — أن نثبت خلال ذلك الكتب التي طبعت في الحجاز — من كان مؤلفوها — قبل ضمه إلى نجد .

ونثبت الكتب التي طبعت في الهند أو مصر ... و«للسعودية» أثر أو صلة بها حتى لو لم يكن المؤلف «سعوديا» أو من العهد السعودي .

كل ذلك إتماماً للفائدة وتتبعاً للتطور واستجابة للمعنى الموسوعي في خدمة الباحثين وإيصالاً بالمعلومات إلى من لا تقع مراجع الصحافة والطباعة ... والتأليف في متناول أيديهم .

وإذا كنا قد أثبتنا شيئاً من ذلك خلال الحروف المختلفة للمعجم فلا مانع من الإثبات المنهجي هنا زيادة في الدقة والاستيعاب وحرصاً على ضبط ما يكون قد فات ولفتاً لأنظار القراء بالإضافة والتعليق والتصحيح .

كما أننا سنثبت للمطابع الحديثة ما أصدرت من كتب لمؤلفين قدامى أو غير سعوديين ...

وسيكون كتاب الدكتور الشامخ (الصحافة في الحجاز) مصدراً أساساً يرجع إليه كل ما نقتبسه ونضعه بين قوسين من غير إحالة على المرجع .

قال الدكتور الشامخ «كانت مطبعة الولاية التي أسست بمكة عام ١٣٠٠هـ (١٨٨٣م) في عهد والي الحجاز عثمان نوري باشا أول مطبعة تنشأ في الحجاز» .

وقال في بحث له نشره في مجلة الدارة بعنوان «ظهور الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين» — العدد الرابع ، السنة الرابعة محرم ١٣٩٩/ ديسمبر ١٩٧٨ .

«في عام ١٣٠٠ هـ (١٨٨٣ م) أسس والي الحجاز عثمان نوري باشا مطبعة حكومية بمكة المكرمة هي (المطبعة الميرية) أو مطبعة الولاية كما كانت تسمى في بعض الأحيان وقد أنشأها ... «ليطبع فيها كتب العلوم ليكثر انتشار العلم» ...

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» المطبوع ببيروت ١٣٩٢/ ١٩٧٢ — وكأنه يعتمد على مقالة رشدي ملحس : «استحضرت الحكومة العثمانية سنة ١٣٠٠ هـ/ ١٨٨٢ م مطبعة تدار بالقدم ، وأطلقت عليها إذ ذاك اسم «حجاز ولايتي سي» أي مطبعة ولاية الحجاز . وفي سنة ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٤ م استحضرت السلطة التركية طابعة متوسطة ، ثم أتت بمطبعة حجرية بعد عدة سنوات ، دعتها «المطبعة الأميرية» وفيها كانت تطبع جريدة «الحجاز» المكية ، وخلال الحرب العالمية الأولى صادر الأتراك «مطبعة زحلة الفتاة» ونقلوها إلى الحجاز لتدعم المطبعة الأميرية» .

ويقول الدكتور الشامخ :

«إلى جانب ما قامت به مطبعة الولاية حين إنشائها من طبع للكتاب الدوري الرسمي «سالنامة ولاية الحجاز» حجاز ولايتي سالنامة سي ، العدد الأول عام ١٣٠١/ ١٨٨٤ — كانت تسهم ... في طبع بعض مؤلفات علماء الحرم المكي الذين كانوا يطبعون

مؤلفاتهم في مصر من قبل . وفي عام ١٣٠٣هـ (١٨٨٦م) نشرت سالنامة ولاية الحجاز» قائمة بأسماء المؤلفات العربية والملايوية التي تم طبعها حينئذ في مطبعة الولاية . وحيث ان لهذه القائمة أهمية في تاريخ الطباعة في الحجاز فسأوردها هنا فيا يلي :

أولاً : أسماء الكتب العربية :

١ — تسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن الأزرق وبهامشه كتاب الطب النبوي للإمام الذهبي .

٢ — تنبيه الغافلين وبهامشه بستان العارفين لأبي الليث السمرقندي .

٣ — الرسالة المسماة فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأخير .

٤ — تحفة الصبيان في الفقه على مذهب النعمان . وبهامشها كفاية الغلام للنابلسي .

٥ — رجوع الشيخ إلى صباه في القوة على الباه لابن كمال باشا .

٦ — عمدة السالك وعدة الناسك لابن النقيب المصري الشافعي .

٧ — فيض الرحمن في المعاني والبيان .

٨ — تطبيق الألسنة الثلاثة العربي والفارسي والتركي .

٩ — المنح السنية في الوصية المتبولية للشعراني .

١٠ — دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار .

١١ — كتاب النهاية في التعريض والكناية للثعالبي .

١٢ — فتح البرية شرح نظم الآجرومية للباجوري .

١٣ — شرح بافضل في فقه الشافعية لابن حجر .

١٤ — الفتوحات الإسلامية للسيد أحمد دحلان (ينظر) .

١٥ — رسالة أيها الولد للإمام الغزالي .

١٦ ــ الفواكه الجنية في النحو .

١٧ ــ منهاج الطالبين للإمام النووي .

١٨ ــ نزهة الناظرين في تاريخ مسجد سيد المرسلين .

١٩ ــ مختصر بافضل ! وبهامشه متن التقريب لأبي شجاع .

٢٠ ــ رياض الصالحين للإمام النووي .

٢١ ــ شرح الستين مسألة للميهي في فقه الشافعية .

٢٢ ــ شرح الجزرية في التجويد للملا على القاري ، وبهامشه شرح طاش كبرى .

٢٣ ــ منظومة في التوحيد لاسحاق أفندي .

٢٤ ــ تنقيح القول الحثيث .

٢٥ ــ تعليم المتعلم .

٢٦ ــ جواهر القرآن .

٢٧ ــ الكبريت الأحمر .

٢٨ ــ شرح المولد للبرزنجي .

٢٩ ــ كتاب الأربعين النووية .

٣٠ ــ اللمعة النورانية .

٣١ ــ سلوك الجادة .

٣٢ ــ رسائل أبي الليث .

٣٣ ــ كتاب الصرف للكيلاني .

ثانياً : أسماء الكتب الجاوية الملايوية :

١ ــ فروع المسائل في الفتوى على مذهب الشافعي .

٢ — كشف الغمة في ذكر الموت وأحوال الآخرة.

«وعندما انقطعت «سالنامة ولاية الحجاز» عن الصدور في عام ١٣٠٩هـ أصبح نشاط المطبعة الميرية غير واضح، إذ لم يعثر بعد ذلك على مثل هذه القائمة الشاملة، ولكني وجدت أثناء التنقيب في المكتبات المحلية بعض الرسائل والكتب المتناثرة التي طبعت في هذه المطبعة بعد عام ١٣٠٩هـ وهي تبين أن المطبعة الميرية قد استمرت في طبع كتب التراث ومؤلفات الثقافة العربية التقليدية كما أنها كانت تولي المتون والشروح التي تستخدم في حلقات التدريس بالمسجد الحرام كثيراً من عنايتها».

«ويظهر أن المطبعة الميرية لم تكن مقصورة على المطبوعات الرسمية وما في حكمها. ذلك لأنها كانت تتقاضى أجراً على طباعة بعض المطبوعات الأخرى، فقد جاء في كتاب (أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب) للجزري بأن هذا الكتاب قد طبع في المطبعة الميرية عام ١٣٢٤هـ على نفقة الحاج عمر الميمني والشيخ أحمد المكي...

وقد طبع الشيخ محمد ماجد الكردي كذلك كتباً عديدة على نفقته في المطبعة الميرية».

«ورغم ما أحاط بتاريخ المطبعة الميرية في بعض سنواتها من غموض، فان لها دوراً بارزاً في الحياة الفكرية ببلاد الحرمين الشريفين، لقد ظلت المطبعة الوحيدة في هذه البلاد مدة تزيد على ربع قرن، فنشأت الصحافة المحلية في ظلها، حيث طبع فيها ثلاث من أولى الجرائد صدوراً في هذه البلاد كما أنها قامت بطبع عدد وافر من كتب التراث والمؤلفات العلمية التي كان يدرس فيها طلاب العلم في الحرمين الشريفين.

إذا كان المقصود بالجريدة الاولى ما سبق الكلام عليه من «سالنامة ولاية الحجاز» فان ذلك من باب التجوز والتوسع لأن «سالنامة» «كتاب دوري».

وحينما أُنشئت الصحافة في الحجاز عقب إعلان الدستور العثماني قامت المطبعة الميرية بطبع الجريدة الرسمية التي صدرت في مكة سنة ١٣٢٦/ ١٩٠٨ باسم «حجاز» والأعداد الأولى من جريدة شمس الحقيقة التي صدرت في ١٦/ ٢/ ١٩٠٩ نصف شهرية، غير

رسمية والتاريخ الذي ذكر لصدور «حجاز» أقرب ما يذكر من تواريخ إلى التصديق ويمكن تحديده بـ٨/ ١٠/ ١٣٢٦ هـ = ٣/ ١١/ ١٩٠٨ م و«حجاز» هذه جريدة بمعنى الكلمة، والاجماع — على هذا — أنها أول جريدة تصدر في الحجاز، وقد يرد اسمها على «الحجاز» وهي «جريدة الولاية الرسمية» الخادمة لعموم منافع الدولة والملة» «صدرت ... في أربع صفحات، فالصفحتان الأولى والرابعة كانتا تكتبان باللغة العربية أما الثانية والثالثة فتكتبان باللغة التركية» و«تتكون معظم مواد «حجاز» من الأخبار والمقالات المتنوعة والإعلانات الرسمية ... إن من أبرز عيوبها هو أنه قد حرر معظم ما فيها من مواد بأسلوب ركيك تكثر فيه الأخطاء اللغوية والنحوية ... ورغم ما في أسلوب تحرير جريدة «حجاز» من عيوب لغوية، فقد كانت تنشر عدداً من الافتتاحيات والمقالات التي تنعي على الحجاز تأخره، وتدعو بحرارة إلى إصلاح أمره، وتناشد الحجازيين أن يعيدوا ماضيهم المجيد وأن يلحقوا بركب الحضارة والمدنية ... من المرجح أن تكون «حجاز» قد انقطعت عن الصدور في عام ١٣٣٤ هـ (١٩١٦ م) وأنها لم تصدر بعد ٩ — ٩ — ١٧٣٤ هـ (١٠ — ٧ — ١٩١٦ م) حينما قضي على الحكم التركي بمكة».

«من الممكن أن يقال بأنه كان لجريدة «حجاز» ... أهمية أدبية واضحة، لقد كان فيها ركن أدبي نشرت فيه قصائد لشعراء معاصرين كشوقي وحافظ، وكانت تقدم لهذه القصائد بمقدمات نقدية رصينة تدعو إلى الأصالة في الأدب، وتهاجم الشعراء المقلدين، وتنادي الأدباء أن يتخذوا من شوقي — الذي مزج في شعره بين عناصر من الثقافتين الشرقية والغربية — مثالاً يتحذى. إنه لا يجوز أن ينكر أن «حجاز» قد أسهمت في الحركة الأدبية الحديثة في الحجاز، إن لم تكن قد ابتدأتها ...».

ويبدو أن الذين أسسوا شمس الحقيقة «كانوا من شبان الأتراك المولودين بمكة» و«كانوا ينتمون إلى جمعية الاتحاد والترقي» ويخدمون «المنافع العثمانية» ويعرّضون بالشريف حسين — ولم تلبث الجريدة أن أنشأت لها مطبعة خاصة باسم مطبعة شمس الحقيقة (١٣٢٧/ ١٩٠٩) أسستها «شركة تجارية».

«ولم أعثر على شيء مما طبع في مطبعة شمس الحقيقة ولكن إذا فرض أنها قامت

بالطباعة خلال الأشهر الأخيرة من عام ١٣٢٧ هـ فإن من المحتمل أن يكون من بين ما طبعته من جريدتي شمس الحقيقة (بالعربية) وشمس الحقيقة (بالتركية) ... وكذلك بعض مطبوعات الدعاية التي كانت تصدرها جمعية الاتحاد والترقي.

ويبدو أن أمر مطبعة شمس الحقيقة كان مرتبطاً بمصير جريدة شمس الحقيقة، إذ ما لبثت أن أقفلت حينما احتجبت الجريدة أواخر عام ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) على أثر النزاع الذي نشب بين الشريف حسين بن علي أمير مكة وبين أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بمكة المكرمة».

وفي الوقت الذي صدرت فيه شمس الحقيقة بمكة كان أهل جدة يعملون على تأسيس مطبعة وإنشاء جريدة و«في ٢٦ ربيع الثاني ١٣٢٧ هـ (١٧ مايو ١٩٠٩) افتتحت بمدينة جدة مطبعة الإصلاح حيث قامت في هذا اليوم بطبع جريدة الإصلاح الحجازي الاسبوعية، ويبدو أن هذه المطبعة كانت ملكاً لعدد من الشركاء، فقد ذكر صاحب جريدة الإصلاح الحجازي ومديرها راغب مصطفى توكل بأنه قام (بمعاونة بعض الأصدقاء) بانشاء مطبعة الإصلاح وجريدتها، كما أن المرحوم الشيخ محمد حسين نصيف ذكر بأن أهالي مدينة جدة وتجارها قد ساهموا في تأسيس مطبعة الإصلاح بجدة وأنه كان أحد المساهمين فيها».

استمرت الجريدة عدة شهور وكانت تتميز بالرد على شمس الحقيقة.

حين توقفت الجريدتان عن الصدور توقفت مطبعة (شمس الحقيقة عن العمل) (أواخر عام ١٣٢٧) فاشتراها الشيخ محمد ماجد الكردي وأسس «مطبعة الترقي الماجدية بمحلة الفلق في مكة المكرمة» فكان «رائد الطباعة الأهلية».

«وقد شغف الشيخ محمد ماجد الكردي (١٢٩٢ هـ/ ١٣٤٩ م) بنشر العلم فطبع وهو في صدر شبابه عدداً من الكتب في المطبعة الميرية على نفقته كما أنشأ مكتبة خاصة كانت مخطوطاتها من أنفس ما تحتويه مكتبات مكة المكرمة. وقد رأى الكردي أن رسالته في نشر المعرفة لا تتحقق إلّا بتأسيس مطبعة خاصة به ... ولذلك ... اشترى مطبعة شمس الحقيقة ثم زودها بأدوات وأضاف إليها مكائن فكون مطبعته (الماجدية)

«من ثلاث مطابع إحداها مطبعة حجرية ... تطبع بها الخرائط الملونة المتنوعة ، ومن ضمن ما طبع بها خريطة جزيرة العرب بالألوان ومعها مطبعتان حرفيتان ...»

«لم تقم المطبعة الماجدية بطبع شيء من الجرائد المحلية ولكن إسهامها الثقافي تمثل في طبع الكتب والرسائل . ويظهر أنه قد توافر لها من الإمكانات الطباعية حين تأسيسها ما جعلها تتم طبع واحد وثلاثين كتاباً ورسالة باللغتين العربية والجاوية خلال عامها الأول ـــ أنظر قائمة هذه المؤلفات في كتاب (ثمرة العلم بأم القرى) للشيخ حسين باسلامة (ينظر) مطبعة الترقي الماجدية ١٣٢٨ هـ ، ورسالة (الدرر الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية) لأبي بكر الأهدل ، مطبعة الترقي الماجدية ١٣٢٨ هـ» ـــ

نظرنا في آخر كتاب «ثمرة العلم» ـــ مستعينين بالأستاذ يحي الساعاتي ـــ فوجدنا :

«بيان الكتب المطبوعة بمطبعة الترقي الماجدية الموجودة بها من أراد شيئاً فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي» ـــ والترقيم منا .

١ ـــ تنقيح القول الحثيث للشيخ محمد نووي الجاوي على لباب الحديث لجلال الدين السيوطي .

٢ ـــ الجواهر المكية في فضيلة الجمعة وما ورد في وجوبها وشروطها للسيد سعيد شطا .

٣ ـــ الدرر البهية للمرحوم السيد أبي بكر شطا المكي .

٤ ـــ صدى العلم من الحجاز حفلة توزيع على التلامذة الفائزين في الامتحان السنوي في المدرسة الصولتية بمكة المكرمة تأسيس المرحوم الشيخ رحمة الله الهندي المكي .

٥ ـــ القول المختصر المفيد لأهل الإنصاف في بيان الدليل لعمل إسقاط الصلاة والصوم المشهور عند الأحناف للشيخ محمد صالح كمال الحنفي المكي .

٦ ـــ ثمرة العلم بأم القرى بنجاح تلامذة المدرسة الخيرية لمؤسسها ومديرها الشيخ محمد حسين الخياط المكي .

وزودنا الأستاذ يحى الساعاتي معلومات عن كتاب «فتح الإله بما يجب على العبد لمولاه من توحيد وواجبات الصلاة وجملة من معاني تقوى الله للسيد محمد بن حسين بن عبدالله بن شيخ الحبشي مفتي الشافعية بمكة . الطبعة الأولى بمطبعة الترقي الماجدية بمكة ١٣٢٩ هجرية على نفقة الشريف حسين» .

وما ورد في آخره من «بيان بعض أسماء الكتب العربية المطبوعة بمطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية والموجوده بها من أراد شيئاً منها فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي» :

وهي تكرر أسماء الكتب السابقة مع زيادة «المكي» بعد الجاوي مؤلف الكتاب الأول ، وذكر الكتب الآتية :

٧ ـــ حاشية الدردير على قصة المعراج للغيطي .

٨ ـــ دعاء ليلة النصف من شعبان .

٩ ـــ حاشية الشيخ محمد نووي الجاوي المكي على مناسك العلامة الخطيب الشربيني .

١٠ ـــ الخريدة البهية في إعراب الفاظ الآجرومية للمرحوم الشيخ عبدالله العجيمي .

١١ ـــ حل المعقود من نظم المقصود صرف .

١٢ ـــ هداية الناسك على توضيح المناسك مالكي للعلامة الشيخ محمد عابد المكي مفتي المالكية حالاً بمكة .

١٣ ـــ شرح الملا على قاري المسمى المسلك المتقسط في المنسك المتوسط على لباب المناسك للشيخ الإمام رحمة الله الهندي .

وزودنا الأستاذ يحي الساعاتي معلومات عن رسالة : «الدرر الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية تأليف أبي بكر الأهدل الذي طبع عام ١٣٢٨ هـ وورد في غلافه الأخير

قائمة بمطبوعات الماجدية هي نفسها التي وردت في غلاف «فتح الاله» السابق ولكن زادت بما يلي بعد كتاب شرح ملا على الذي هو رقم ١٣ ، والزيادة هي :

١٤ — مناقب الإمام الشافعي للسيد داود بن سليمان البغدادي .

١٥ — الفرائد البهية في نظم القواعد الفقهية للسيد أبي بكر الأهدل اليمني الشافعي .

١٦ — ملتقط الزواجر في معرفة الكبائر نظم العلامة محمد بن محمد اليمني ثم المدني الشافعي .

١٧ — فتح القدير باختصار متعلقات نسك الأمير لمحمد بن سليمان الكردي ثم المدني الشافعي .

ملاحظة : بلغت الكتب الحاوية المذكورة على آخر صفحة من كتاب «ثمرة العلم» ثلاثة عشر كتابا في التجويد والتوحيد والمناسك والمعراج ويغلب عليها الطابع التعليمي ، وجاء إزاء كتاب «مجموع المصدفات» أنه «جاري طبعه» .

ملاحظة أخرى : ذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه عن التعليم في مكة والمدينة : كتاب «الطوالع السنية في نظام التدريس الجديد بمسجد مكة المحمية» ـ إمارة مكة المكرمة . المطبعة الماجدية . مكة ١٣٣٢ هـ (١٩١٣) .

وقال الدكتور الشامخ : «يتبين من هذه القوائم وما اطلعت عليه في المكتبات المحلية من مطبوعاتها أن معظم هذه المؤلفات كان عبارة عن رسائل وشروح ألفها علماء الحرمين في الفقه والنحو والبلاغة والمنطق . ويظهر أن الجو الثقافي السائد في بلاد الحرمين الشريفين قد صبغ المطبوعات الماجدية بصبغته ، فلم ينل الانتاج الأدبي أو التاريخ الحديث شيئاً من عنايتها» .

ومما طبع في الماجدية «مزدوجة» لإبراهيم الاسكوبي (ينظر) ، والثمرات الجنية لجمال المالكي — رسالة في الأسئلة النحوية — طبعت بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة على نفقة مالكها ومؤسسها محمد ماجد الكردي ١٣٣١ .

ومنه عبد القادر حسن — من أساتذة المدرسة الصولتية — في المناسك ، المطبعة

الماجدية ، مكة (ينظر عمر عبد الجبار) .

ومنه صدى العلم من الحجاز ، المطبعة الماجدية ، مكة ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) — عن الشامخ : التعليم .

وللدكتور أحمد محمد الضبيب عميد شؤون المكتبات بجامعة الرياض بحث قيم بعنوان «حركة احياء التراث» «في الجزيرة» نشر الحلقة الأولى منه : حركة إحياء التراث قبل توحيد الجزيرة» في مجلة «الدارة» ٩ الرياض ، العدد الأول . ربيع الأول ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م (السنة الأولى) جاء فيه ص ٥٣ — ٥٨ عن الطباعة في مكة :

« ١ — **المطبعة الأميرية**»... وقد أسهمت ... في تغذية حركة النشر في البلاد فكان أن نشر بها علماء الحرمين مؤلفاتهم كما نشرت فيها بعض كتب التراث غير أن ما نشر من هذه الكتب كان قليلاً نسبياً . والظاهر أنه كان — في معظمه — متونا صغيرة تستعمل في حلقات الدرس التي تعقد في الحرمين الشريفين ، كما أن المطابع المصرية كانت — فيما يبدو — تلبي حاجات القراء من كتب التراث الكبرى ولم تكن المطبعة الأميرية قادرة بوسائلها المحدودة على منافسة تلك المطابع .

وفيما يلي قائمة مختارة تضم مجموعة من كتب التراث التي طبعتها الأميرية رتبناها حسب مداخل المؤلفين ، وقد اطلعنا على عدد من هذه الكتب فذكرنا معلومات وافية عنها وبعضها الآخر استفدناه من معجم سركيس أو غيره فأثبتنا المعلومات التي وجدناها فيه .

قائمة ببعض كتب التراث التي نشرتها المطبعة الميرية بمكة (١٣٠٠ — ١٣٤٣) .

١ — الابراهيمي : جمال الدين بن منصور (ت ٩٢٩) — ديوانه سنة ١٣٠٧ هـ .

٢ — البارزي : رسالة في طواف الحائض ، على هامش : عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتمار للوناني سنة ١٣٠٥ ، ص ١٢ .

٣ — الثعالبي : أبو منصور عبد الملك ابن محمد بن اسماعيل النيسابوري (**٤٢٩ هـ**) — النهاية في التعريض والكناية سنة ١٣٠١ هـ ، ص ٤٨ .

على هامشه : رسالة الفوائد العجيبة في اعراب الكلام الغريبة ، لمحمد أمين بن عابدين .

٤ ــ الجيلاني : عبد القادر (٤٧١ ــ ٥٦١) ــ الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل . سنة ١٣١٤ جزءان ، ٢٦ سم .

٥ ــ الذهبي : محمد بن أحمد (ت ٧٤٨) الطب النبوي ، بهامش تسهيل المنافع في الطب والحكمة للشيخ إبراهيم بن الأزرق (؟) .

٦ ــ السمهودي : نور الدين أبو الحسن علي بن غسان بن أحمد السمهودي (٨٠٤ ــ ٩١) ــ خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى سنة ١٣١٦ ، ص ٢٨٦ .

بهامشه حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهي .

٧ ــ السيوطي : جلال الدين (٨٤٩ ــ ٩١١) .

أ ــ الأشباه والنظائر في الفروع .

بهامشه : المواهب السنية شرح الفوائد البهية سنة ١٣٣١ .

ب ــ متشابه القرآن سنة ١٣١١ .

جـ ــ نور اللمعة في خصائص الجمعة بهامش صلح الجماعتين للشيخ أحمد الخطيب المنكاباوي ، ١٣١٢ هـ ، ٦٨ ص ، ٢٦ سم .

٨ ــ ابن العربي : محي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي (ت ٦٣٨ هـ) ــ الفتوحات المكية ، سنة ١٣٠٦ ، ١٤٤ ص ، ٢٨ سم .

٩ ــ الغزالي : أبو حامد محمد الغزالي (٥٠٥ هـ) ــ جواهر القرآن ودرره ، سنة ١٣٠٢ هـ . ــ كتاب الأربعين في أصول الدين : وهو القسم الثالث من جواهر القرآن سنة ١٣٠٢ ، ١٠٨ ص .

١٠ ــ الفاكهي : جمال الدين (٨٩٩ ــ ٩٧٢ هـ) ــ حسن التوسل في آداب زيارة أفضل الرسل .

بهامش خلاصة الوفاء للسمهودي . سنة ١٣١٦ .

١١ ـــ القاري : نور الدين علي بن سلطان (ت ١١٠٤ هـ) .
أ ـــ الحرز الثمين للحصن الحصين (حاشية على الحصن الحصين للنووي) .
على هامش الدر الغالي شرح إرشاد المتحلي من سنن النبي العالي لقمان القونيوي ، سنة ١٣٠٤ هـ .

ب ـــ الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ، طبع حجر سنة ١٣٠٧ هـ .

جـ ـــ المسلك المتقسط في المنسك المتوسط شرح على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندي (ت ٩٩٣) .

بهامشه كتاب أدعية الحج والعمرة لقطب الدين النهر والي سنة ١٣١٩ ، ص ٣٠٨ + ٤ ، ٢٦ سم ...

د ـــ المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية في علم تجويد القرآن المجيد مع شرح لطاش كبرى زاده سنة ١٣٠٣ ، ١١٩ ص .

١٢ ـــ ابن القيم : شمس الدين أبو عبدالله الدمشقي الحنبلي (ت ٧٥١ هـ) التبيان في أقسام القرآن . سنة ١٣٢١ هـ .

١٣ ـــ الكناني : عبد العزيز بن يحيي بن مسلم ـــ الحيدة ، سنة ١٣٣٩ هـ ، ٩٦ ص ، ٢٠ سم .

١٤ ـــ الكيلاني : أبو الحسن علي بن هشام ـــ شرح التصريف العربي .
بهامشه التصريف المذكور . سنة ١٣٠٢ هـ ، ص ٤٠ .

١٥ ـــ ابن مالك : جمال الدين أبو عبدالله محمد بن مالك ـــ تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو .

محلى بهوامش وفوائد منتخبة من شرحي المتن المذكور للمصنف والعلامة الدماميني . سنة ١٣١٩ هـ ، ٨٨ + ٥ ص .

١٦ ـــ ابن المقرب ـــ ديوانه ، سنة ١٣٠٧ هـ ، ١٢٠ ص .

١٧ ــ **النووي** : **محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن بري النوبي الشافعي** ــ الإيضاح في المناسك على مذهب الإمام الشافعي . سنة ١٣١٦ هـ ، ٢٦ ص ، ٢٦ سم .

ــ رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين . سنة ١٣٠٢ هـ ، وسنة ١٣١٢ هـ ، ص ١٤٢ .

ــ منهاج الطالبين وعمد المفتين .

بهامشه : منهج الطلاب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري . سنة ١٣٠٦ هـ .

١٨ ــ النهروالي : قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد (ت ٩٩٠ هـ) ــ أدعية الحج والعمرة ، ١٣١٩ ، هـ ٣٠٨ ص .

بهامش المسلك المتقسط في المنسك المتوسط لملا علي القاري .

١٩ ــ الونائي : علي بن عبد البر الشافعي (ت ١٢٠٦ هـ) ــ عمدة الأبرار في أحكام الحج والاعتماد .

يليه نبذة في مناقب المؤلف المذكور ، ورسالة في طواف الحائض لـ[ابن] البارزي (؟) ، وبهامشه مختصر الإيضاح لابن حجر الهيثمي سنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص .

٢٠ ــ الهيثمي : ابن حجر : شهاب الدين أحمد بن حمد بن علي (ت ٩٧٤ هـ) ــ مختصر الإيضاح (في الفقه) .

على هامش عمدة الأبرار في أحكام الحاج والاعتمار . سنة ١٣٠٥ هـ ، ١٢ ص ــ انتهى النقل عن الدكتور الضبيب بشأن المطبعة الميرية .

ومما وجدنا من مطبوعات « الميرية » :

١ ــ **الرضا والقبول** في فضائل المدينة وزيارة الرسول . تأليف أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي . مكة . المطبعة الميرية ١٣١٤ ، ٨١ ، ١٥ ص ــ على هامش كتاب العقد الثمين في فضائل البلد الأمين (للمؤلف) .

٢ ــ **العقد الثمين** في فضائل البلد الأمين مكة ، المطبعة الميرية ١٣١٤ هـ ، ٨١ ص ويظهر أن الصفحات هكذا ٨١ ، ١٥ .

وذكر ساعاتي — «مؤلفات ومراجع» ص ٧٦ : ... الرضا ...، ٩٦ ص ... العقد ...، ٩٦ ص .

ينظر عن الحضراوي القوائم السابقة ، وأعلاه في التسلسل الهجائي للأعلام ... توفي الحضراوي عام ١٣٢٧ — ينظر عمر عبد الجبار ص ٢٧١ — ٢٧٢ .

٣ — **نزهة الناظرين** في مسجد سيد الأولين والآخرين . المدني البرزجي مكة ، المطبعة الميرية ١٣٠٣ — يذكر ساعاتي أنه في ١١٩ ص .

ملاحظة : أعيد طبع هذا الكتاب بالقاهرة ، مطبعة الجمالية ١٣٣٢/ ١٩١٤ ، ١١٧ ص + ٣ كتب عليه الطبعة الأولى ، وفيها ما يدل على طبعة مكة «الميرية المكية» ١٣٠٣ ، وأن المؤلف ألف كتابه هذا سنة ١٢٨٧ .

وجاء العنوان هكذا : «هذا التاريخ المسمى نزهة الناظرين في مسجد سيد الأولين والآخرين» .

ولم أطلع على الحلقة الرابعة من بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب عن «حركة إحياء التراث» فقد يكون فيها شيء من مطبوعات الميرية .

ومن مطبوعات الميرية ديوان ابن المقرب ربيع الثاني ١٣٠٧ ينظر أعلاه علي بن المقرب .

وترد في كتاب «معجم المطبوعات» لسركيس أسماء كتب يقول إنها طبع مكة ، دون أن يحدد اسم المطبعة . وأكبر الظن أنه يقصد المطبعة الميرية فقد قال ذلك مثلاً بصدد كتب نعلم أنها من طبع «الميرية» . ومما ذكر سركيس :

أدعية زيارات المدينة المنورة ، طبع حجر مكة ١٣١٦ (سركيس ص ١٩٩١) .

فتاوي الشيخ سليمان بن محمد الكردي ، وبهامشها فتاوي الشيخ محمد صالح الرسي ، الزبيري ، مكة ١٣٠٧ ، ٣٠٤ ص (سركيس ١٥٥٣) .

مجموعة طبع مكة ١٣٠٤ ، ٤٦ ص فيها :

١ — منهل العطشان على فتح الرحمن للسيد زيني دحلان .

٢ — شرح الشيخ محمد نووي المسمّى بحلية الصبيان على فتح الرحمن .

حول مدينة جدة

[دُعيت للتحدث إلى الطلاب والطالبات في (جامعة الملك عبد العزيز) في مدينة جدة ليلة الاثنين ٢١ جمادى الأولى سنة ١٤٠٠ (٧ إبريل ١٩٨٠ م) فكان مما تحدثت به تلك الليلة هذه الكلمة التي أكتفي بنشر جزء منها ، لأن ما يتعلق بوصف المؤلفات عن تاريخ تلك المدينة ، تحدثت عنه في مجلة «العرب» بعنوان (مؤرخو مدينة جدة) وفي مقدمة رسالة المؤرخ الحضراوي التي نشرت في تلك المجلة[1] .

رحم الله عبد المطلب محمداً حيث يقول :

---

٣ ــ فتح الأقفال لشرح تحفة الأطفال للشيخ سليمان الجمزوري .

وتحت اسم : ملا علي القاري (سركيس ص ١٠١٤) :

نور الدين علي بن سلطان محمد الهروي .

الحرز الثمين للحصن الحصين ، طبع شرح عليه لعثمان وهبي القونوي ، مكة ١٣٠٤ .

الحزب الأعظم والورد الأفخم لانتسابه واستناده إلى الرسول الأكرم ــ جمع فيه ما ورد في الحديث من الأدعية .

طبع حجر مكة ١٣٠٧ .

المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية (تجويد) ... مع شرح لطاش كبرى زاده ، مكة ، ١٣٠٣ ، ١١٩ .

وفي أوراقي ما يشير إلى أن الآثار الآتية طبع مكة :

شرح رسالة حقائق البيان في علمي العروض البيان للمفتي زاده عبد الرزاق الأنطاكي ، ورسالة في علم الأدب والمناظرة له ، متن الآجرومية لابن آجروم ، صلح الجماعتين بجواز تعدد الجمعتين للشيخ أحمد الخطيب ، رياض الصالحين للشيخ النووي .

كلية الآداب : جامعة بغداد   علي جواد الطاهر

---

(١) «العرب» ش ٢ ص ١٩٣ وس ١٣ ص ٤٠٤ وما بعدها وس ١٤ ص ١٠٩ .

لي في ظِلالك مَـرْتَـعٌ ومَقِيـل   رَوْضٌ أغَنُّ ومَـرْبَـعٌ مـأْهول

فلقد كانت لي في هذه المدينة الكريمة ذكرياتٌ ما زالت تتجددُ وتزداد منذ سبع وخمسين وثلاث مئة وألف ، حين فُصِلْتُ من وظيفة القضاء ، فعدتُ للعمل في المعارف ، معاوناً لمعتمدها الأستاذ عمر بن الشيخ محمد حسين نصيف — رحمهما الله — فسكنت في المدرسة الابتدائية التي يتولى الأستاذ عمر إدارتها ، واشتغلت في التدريس فيها ، وكانت المدرسة تحوي مكتبة تضم من نفائس الكتب ما يندر وجود مثله في كثير من مكتبات ذلك العهد .

كان الثريُّ الأمريكي المعروف (كراين) قد زار هذه المدينة لمقابلة الملك عبد العزيز — رحمه الله — فأظهر لرئيس الديوان في ذلك العهد الشيخ إبراهيم بن معمر رغبتَهُ في تقديم هدية لتلك المدرسة ، فاقترح ابنُ معمَّر أن تكون كتباً ، فأجزلها المُهدي ، وأُحْسِن اخْتيارها .

ثم عرفتُ سَرِيَّ هذه المدينة وشَيّخَها الشيخ محمد حسين نصيف معرفة مكنتني من الاطلاع على كثير مما في مكتبته النفيسة من نوادر الكتب ، مخطوطها ومطبوعها . وقد أنعم الله عليّ — فيما أنعم — بفراغٍ من الوقت ، فاتجهت إلى المطالعة اتجاهاً شغل ما أُحسُّ به من فراغ .

ولا أزال أذكر كلمة لرجل كان ذا يدٍ كريمة عليَّ لا أنساها هو العالم الجليل السيد محمد طاهر الدباغ فقد زار جدة ، فبات في المدرسة ، فما شعرت آخر الليل وأنا داخل المكتبة إلا به يخاطبني قائلاً : أرفق بنفسك يا رجل إنَّ لبدنك عليك حقاً .

وأذكر أن في إحدى زياراتي المتكررة للشيخ محمد نصيف طلبت منه إطلاعي على جزء نُسِخَ له من صنعاء من كتاب «سير أعلام النبلاء» للذهبي ، فأمر فتى كان على مقربة منه بإحضار الكتاب ، بعد أن ذكر له مكانه ووصفه بأنه مجلد أسود كبير ، فأحضر الفتى كتاباً تنطبق عليه الصفة ، فلما فتحته وجدته أحد مجلدات جريدة «القبلة» فعاتب الشيخ الفتى على جهله ، فقلت : (ما يعرف للخيل إلا ركابها) فنهض الشيخ مسرعاً وهو يردد هذه الكلمة حتى أحضر لي الكتاب . وصار تكرارُ تلك الكلمة دَيْدَنَهُ

ـــ تغمده الله برحمته ــ كلما رآني داخلاً عليه ، وما أكثر ما كان يراني ، ومن ذا الذي لا يعرف سماحة خلق الشيخ وكرم خلاله ، ونفاسة ما تضمنه مكتبته من الكتب ، ولا يكثر التراداد على منزله الذي كان مقصداً لرجال الفضل والعلم طيلة حياته .

حين سألت (ماريانِلّينو) منذ عشرين عاماً حين زرت (معهد الشرق للدراسات) في مدينة روما ، وعرفت أنها أتت إلى جدة سألتها عن أحسن ما شاهدته فيها ، قالت : مكتبة الشيخ نصيف .

في هذه المدينة ، وفي مكتبتِها في ذلك العهد ، أدركت أثر المطالعة في صقل الذهن ، وتنمية الموهبة ، واستزادة المعرفة ، بل أحسست ـــ فوق ذلك بأثرها القويِّ في إتاحة الراحة للنفس ، وفي البعد بها عن كل ما يؤثر في صفائها وحيويتها .

وأذكر أنني عندما أُصبت بفقد ابني محمد ، بحادث مفاجيء من حوادث بيروت ، كاد الأسى يستولي عَلَيَّ ، فاتجهت للمطالعة بل ألزمت نفسي دراسة كتاب لم أقرأه من قبل . حتى أحسست أنني أعيش في جوٍّ بعيد عما يحيط بي ، بحيث أوشكت أن أنسى ما أُصبت به .

وكنت كثيراً ما أستغرق في المطالعة فيطغى على مشاعري من الراحة ما يذكرني بقول الصوفيّ القديم : لو علم الملوك وأشباه الملوك بما نحن فيه من سعادة لجالدونا عليه بالسيوف ـــ أو ما هذا معناه ـــ

وعندما أرادت إحدى فتياتنا أن أكون المتحدث الليلة لم أستجب للرغبة في تحديد الموضوع ، بل رأيت أن يكون حديثي حول هذه البلدة الكريمة ، ولكن ماذا أقول :

ما أُرانا نقول إلا مُعَاراً أو مُعَاداً من قولنا مكرورا

فليكن ذلك ، ولتكن التبعة على من تَوَسَّم فيَّ خلاف ما أتَّصِفُ به . ومن جاد للك لما لديه فلا لوم عليه .

ولن أكون ضنيناً بما أستطيع أن أعبر به عن الوفاء لهذه المدينة الكريمة مما يتعلق بتاريخها القديم .

بين جدة والشُّعيبة

يجد الباحث في كثير من الكتب المتعلقة بتاريخ مكة المكرمة نصوصاً صريحة في أن الشعيبة كانت ميناء مكة قبل جدة ، وأن أول من اتخذ جدة ميناء لمكة هو الخليفة عثمان بن عفان — رضي الله عنه — سنة ست وعشرين من الهجرة .. ومن تلك النصوص ما جاء في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي — ونصه[1] :

ثم إن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشُّعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جدة فانكسرت فسمعت بها قريش ، فركبوا إليها وأخذوا خشبها ورُومِياً كان فيها يقال له باقوم نجاراً بنَّاءً ، فلما قدموا به مكة قالوا : لو بنينا بيت ربنا فاجتمعوا لذلك . انتهى .

وقال ابن حجر في الإصابة[2] :

وقصة بناء الروميّ الكعبة مشهورة وقد ذكرها الفاكهيُّ وغيره في رواية عثمان بن ساج عن ابن جريج كان روميٌّ يقال له باقوم يتّجِر إلى المندب فانكسرت سفينته بالشعيبة فأرسل إلى قريش : هل لكم أن تجروا عِيْري في عِيرِكم يعني التجارة وأن أُمِدَّكُمْ بما شئتم من خشب ونجار فتبنوا بَيْتَ إبراهيم .

وفي «معجم البلدان»[3] :

عن وهب بن منبّهٍ أن سفينة حَجَتْها الريحُ إلى الشُّعيبة ، وهو مرفأ السفن في ساحل بحر الحجاز ، وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة ، فاستعانت قريش في تجديد عمارة الكعبة بخشب تلك السفينة .. انتهى .

ولا أطيل بإيراد مثل هذه النصوص التي يظهر أنها ترجع إلى مصدر واحد ، وقل أن يخلو منها كتاب تعرض لذكر بناء الكعبة المعظمة قبل ظهور الإسلام ولكنني سأعرض نصوصاً أخرى تعارضها ، وتدل على قدم جدة ، واتخاذها ميناء لمكة قبل عهد عثمان رضي الله عنه .

---

(١) ج١ ص ١٥٧ — نشر (دار الأندلس) في بيروت .
(٢) ج١ ص ١٣٧ — الترجمة رقم ٥٨٣ .
(٣) رسم (الشعيبة) .

منها ما ذكره ابن الكلبي المتوفي في أول القرن الثالث الهجري (سنة ٢٠٤ أو ٢٠٦ — في كتاب «الأصنام» أن أصنام قوم نوح دفنتها الريح في شاطىء جدة قال :

وكان عمرو بن لُحَيٍّ سيّد خزاعة كاهناً وكان له رَئِيٌّ من الجن فأتاه فقال : ائت جدة ، تجد فيها أصناماً مُعَدَّة ، فأوردها تِهامةَ ولا تَهَبْ ، ثم ادْعُ العرب إلى عبادتها تُجَبْ . فأتى جدة فاستثارها ثم حملها حتى أوردها تهامة وحضر الحج فدعا العرب إلى عبادتها . وقال ابن الكلبي أيضاً عن صنم سعد[1] :

كان لبني ملكان من كنانة بساحل جدة ، وكان صخرة عظيمة تُهَرَاق عليها الدماء ، فأقبل رجل منهم بابله ، فنفرت فأخذ حجراً فرماه به ثم قال :

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فَشَتَّتَنا سعد ، فلا كان من سعد
وما سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رشد

وذكر ابن الكلبي — فيما نقله عنه البكري في «معجم ما استعجم»[2] وغيره أن جدة بن جرم بن ربَّان من قضاعة وُلد في جدة ، فسمي جُدَّةَ باسم الموضع . انتهى .

وجُدَّة بن جرم هذا كان قبل الإسلام بدهر .

وجاء في كتاب «المناسك»[3] ومؤلفه من أهل القرن الثالث :

وأقبل تاجر من الروم يقال له باقوم حتى إذا كانت سفينته من وراء جدة وأقبل من مندل ساحل من وراء عدن انكسرت سفينته فأرسل إلى قريش هل لكم في أن تبنوا بيت إبراهيم وأعينكم بما شئتم من آلةٍ أو نجّار أو بانٍ على أن عليكم حمل ذلك إليكم . على أن تخفروا ليّ تجارتي في عِيركم إلى الشام قالوا نعم .

وأورد ابن كثير في «البداية والنهاية»[4] .

---

(١) «معجم البلدان» سعد .
(٢) ١٧ — الطبعة المصرية .
(٣) ٤٨٦ .
(٤) ٢/٣٠١ .

عن موسى بن عقبة ،وهو من أوائل المؤرخين ومؤلفه في السيرة النبوية له منزلة عند المحدثين تفوق منزلة كتاب ابن اسحاق : كانت هذه السفينة لقيصر ملك الروم تحمل آلات البناء من الرخام والخشب والحديد سرحها قيصر مع باقوم الرومي إلى الكنيسة التي أحرقها الفرس للحبشة ، فلما بلغت مرساها من جدة بعث الله عليها ريحاً فحطمها .

وجاء في كتاب «السيرة النبوية»[١] لابن هشام فيما رواه عن ابن اسحاق : وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجار الروم ، فتحطمت ، فأخذوا خشبها ، وكان بمكة رجل قبطي نجار .

وأورد ابن سعد في «الطبقات» أن أهل جدة تراأوا أناساً من الحبشة قد أقبلوا لغزوهم ، فأرسل الرسول ﷺ سرية علقمة بن مجزر المدلجي ، لرد الغزاة[٢] .

وذكر ابن هشام في كتاب «السيرة النبوية»[٥] أن صفوان بن أمية هرب من مكة لما فتحها رسول الله ﷺ ، ويريد جدة ليركب منها إلى اليمن حتى ورد عليه أمان الرسول ﷺ فرجع .

من تلك النصوص وغيرها مما يجده الباحث مفرقاً في المؤلفات القديمة يمكن القول بقدم جدة ، وشهرتها ، واتخاذها مرفأ لمكة قبل الشعيبة .

ولعل ما نسب إلى عثمان — رضي الله عنه — من إتخاذها مرفأ لمكة ناشيء عن ضعف ميناء الشعيبة في عهده ضعفاً نشأ عن اتجاه الحركة التجارية إلى الموانيء الغربية لبحر القلزم (البحر الأحمر) بعد فتح مصر والشام .

ويفهم مما أورده ابن الكلبي[١] أن جدة من أقدم مدن جزيرة العرب . إلا أن

---

(١) ١٩٣/١ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٥٧ .

(٢) والغريب أن ابن حجر في «الإصابة» في ترجمة علقمة نقل عن الواقدي أن السرية كانت إلى ناس بساحل الشعيبة .

(٣) ٤١٧/٢ طبعة الحلبي بمصر سنة ١٣٧٥ .

([) مع ما وصم به ابن الكلبي من عدم الثقة برواياته وأخباره ، إلا أن ما دونه من أخبار العرب قبل الإسلام له قيمة لدى الباحثين . ورحم الله ياقوتاً حين قال في وصفه بعد أن استشهد بكلامه في معنى المثل (أخلى من جوف الحمار) قال : ولله دره ما تنازع العلماء في شيء من أمور العرب إلا كان قوله حجة ، وهو مع ذلك مظلوم ، وبالقوارص مكلوم «معجم البلدان» — رسم جوف الحمار — .

تاريخها — كغيرها من مدن الجزيرة — قبل ظهور الإسلام لا يزال مجهولاً .

وفي العهد الإسلامي وجدت عناية من بعض المؤرخين والرحالين ، بتدوين بعض الأخبار المتعلقة بها ، وبوصف أبرز معالمها .

فقد أصبحت ميناء لمكة المكرمة ، وثغرا يحافظ عليه لحماية المدينة المقدسة ولهذا جاء في حديث رواه الفاكهي عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «مكة رباط وجدة جهاد» .

ووردت آثار عن بعض السلف في فضل المرابطة فيها وعرفت بأنها خزانة مكة — كما في تاريخ الفاكهي وغيره — وورد وصفها في قصيدة لأحد شعرائها في القرن الثاني الهجري :

وأنا الفتى العجليُّ جدة مسكني وخــزانــة الحرم التي لا تجهــل

ومما يستأنس به على قدمها القول بأن قبر أم البشر بها ، فقد نقل مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي في «شفاء الغرام» عن ابن عباس — رضي الله عنه — أن قبر حواء بجدة ، ولكن ليس كل ما نسب إلى ابن عباس ثابتاً عنه ، ولما نقل تقي الدين قول الرحالة ابن جبير أنه كان بجدة موضع فيه قبة مشيدة عتيقة يُذكر أنها منزل حواء أم البشر أضاف : ولعل هذا الموضع هو الذي يقال له قبر حواء ، وهو مكان مشهور بجدة ، إذ لا مانع من أن تكون نزلت فيه ، ودفنت فيه ، ثم استبعد أن يكون قبر حواء في ذلك الموضع لكون ابن جبير لم يذكره ، ولغيره أن يضيف بل لم يكن معروفاً لدى من تقدمه من العلماء .

مؤلفــات عن جــدة

ولقد كان اتجاه العلماء الذين تحدثوا عن هذه المدينة منصّباً على فضائلها وأخبار الفضائل منزلتها معروفة لدى محققي العلماء .

وتحسن الإشارة — قبل ذكر المؤلفات المتعلقة بجدة — إلى ما جاء عنها في كتاب[1]

(١) يسمى (تاريخ المستبصر) وقد نقل عنه بعض المتقدمين من مؤرخي اليمن كالخزرجي والعيدروس وغيرهما .

نشره المستشرق المعروف (أوسكار لوف جرين) لرحالة فارسي زار ميناء عدن ثم زار جدة ومكة والمدينة ، فقد نشرت خلاصة وصفه لهذه المدن قبل أربعين عاماً في جريدة «البلاد» .

وقد أتى هذا الرحالة بغرائب هي بالخرافات أشبه مع إيراده معلومات أخرى على درجة من الدقة — كحالة كثير من الغربيين الذين يكتبون عما يشاهدونه في بلادنا الآن .

يدعى ذلك الرحالة ابن المجاور ، ولهذا وقع الخلط بينه وبين سَمِيٍّ له عاصره في الزمن ، وكان معروفاً بخلاف ذلك الرحالة الذي يحسن الوقوف عند ذكر اسمه . عرف بـ(ابن المجاور) فيما اطلعت عليه من الكتب :

١ — يوسف بن الحسين بن محمد ، الفارسي الأصل ، وقد ولد بدمشق ، وبها توفي سنة ٦٠١ تقريباً ، وقد ترجمه الأستاذ الزركلي في الإعلام (٣٠١/٩) ونقل عن ابن سعيد الأندلسي صاحب كتاب (الغصون اليانعة ص ١٩) قوله : بيت بني المجاور ، بدمشق مشهور ، لزمهم هذا النسب من جدّهم ، ورفض جنة الدنيا دمشق ، ولزم المجاورة بمكة ، فعرف بالمجاور ، ومن شعر يوسف بن المجاور :

صديق قال لي لما رآني وقد صليت — من زهد — وَصُمْتُ
على يد أيِّ شيخ تبت؟ قل لي فقلت : على يد الافلاس تبت

٢ — يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني الدمشقي ، المولود بدمشق سنة ٦٠١ المتوفي سنة ٦٩٠ — وقد وصف هذا بأنه من الكتاب ، ومن علماء الحديث وقد ترجمه الأستاذ الزركلي وغيره ، ولكن الأستاذ الزركلي (قلّد) ، المستشرق «بروكلمان» أو غيره فنسب إليه الكتاب المسمى «تاريخ المستبصر» وليس له هذا الكتاب ، ونسبته إليه خطأ ، ومنشأ هذه النسبة أن النسخة الخطية الوحيدة من هذا الكتاب ، المحفوظة في مكتبة (أيا صوفيا) في اصطنبول تحت رقم (٣٠٨٠) والمخطوطة في ٢٨ ذي القعدة سنة (١٠٠٣ هـ) قد كتب في طرتها : (تأليف الشيخ المسند المحدث المؤرخ جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد المعروف بابن المجاور الشيباني الدمشقي رحمه الله رحمة الأبرار) .

ولأجل هذه الكتابة نسب الكتاب إلى ابن المجاور الدمشقي الشيباني كثيرون كان آخرهم المستشرق الذي قام بطبعه في (ليدن) . ولكن تلك الكتابة متأخرة ويظهر أن أحد القراء رأى جملة (قال ابن المجاور) التي تتكرر كثيراً في الكتاب فظنه الدمشقي بدون إمعان نظر ، فكتب في طرته ما كتب .

٣ — ابن المجاور مؤلف كتاب (المستبصر) .

إن كل من ينعم النظر في كتاب «المستبصر» يتضح له بجلاء أنه ليس لابن المجاور الشيباني للأسباب الآتية :

١ — أن مؤلف هذا الكتاب رجل عاميٌّ يكثر في كلامه اللحن .

٢ — إنه لم يرد في ذلك الكتاب ما يدل على معرفة مؤلفه بدمشق ، بينما يتكرر فيها أسماء كثير من البلاد الفارسية .

٣ — أنه صرح في مواضع بأنه نيسابوري ، وذكر في أحد المواضع أن سائلاً سأله : هل ترون سهيلاً في خراسان ؟.

٤ — أنه أورد اسم أبيه وجده وهما يخالفان اسم أبي ابن المجاور الدمشقي وجده .

٥ — أنه سافر من «الديبل» في إقليم السند سنة ٦١٨ — وسجل ما شاهده في رحلته ، بينما ابن المجاور في ذلك العهد لم يتجاوز الـ١٧ عاماً ولم يذكر مؤرخوه أنه سافر من دمشق إلى الهند ثم عاد منها .

٦ — أنه شاعر باللغة الفارسية ، فقد أورد بعض شعره وأشعاراً فارسية أخرى .

٧ — أن من يطالع ذلك الكتاب يتضح له من خلال اضطراب ترتيبه في التأليف وسذاجة أسلوبه ، كون مؤلفه من العامة ، لا من العلماء بخلاف ابن المجاور الدمشقي الشيباني .

قدم الرحالة الفارسيُّ ابنُ المجاور من الدَّيْبُل إلى عدن في أواخر سنة ٦١٨ ، وكان في زبيد سنة ٦١٩ ، ووصل إلى جدة سنة ٦٢١ ، حيث كان هذه السنة فيها ، ثم في مكة ، في دارة الإمارة .

ووالد هذا يدعى محمد بن مسعود بن علي بن أحمد بن المجاور البغدادي النيسابوري .

ووصل إلى المَهْجَم — في اليمن في تهامة ، في المكان الذي قتل فيه الصُّلَيْحي سنة ٦٢٦ — وذكر في كتابه وقائع وحوادث حدثت سنة ٦٢٦ كبناء المنصورة وتسميتها القاهرة (ص ٥١٧ نسختي الخطية) .

هذا الرحالة هو أول من رأيته نسب عمارة جدة إلى الفرس ، فقد قال في رحلته : (بناء جدة : حدثني موسى بن مسعود النساخ الشيرازي ، قال : لما أسلم سلمان الفارسي — رضي الله عنه — تسامعت أهلوه بالخبر ، فقصدوه وأسلموا على يد رسول الله ﷺ وسكنوا جدة ، لأنهم كانوا تجاراً .

وقال بعضهم : بل هي من بناء يَزْدَجُرْدَ بن برويز بن يزدجرد بن شَهْرَيَار بن بَهْرَام — إلى أن قال — : فلما خربت سيراف انتقلت أهل سيراف إلى سائر سواحل البحر ، فوصل قوم منهم ، وفيهم اثنان : أحدهما يسمى سيّار ، والثاني ميّاس ، فسكنوا جدة ، وأداروا على البلد سورا من الحجر الصم بالجصّ ، فلما ابتدأوا بالمقام بها بنوا هذا السور — ثم أورد ما ذكره ابن فهد ، وسيأتي ولم يصرح بالنقل عنه .

وقد أورد ابن المجاور بياناً بأسماء صهاريج جدة ، وقال : (كانت العبيد تنقل مياه الصهاريج على الدواب ، فتقلبه في الصهاريج التي عندهم في الدور ، وكذلك صهريج الأخميمي ، وصهريج مسجد الأبنوس ، وصهريج الجامع ، وصهريج بردريه ، وصهريج محمد بن القاسم ، فكان الماء يبقى عندهم من العام إلى العام ، وهم في أكل وشرب ، وهرج ومرج — ثم رسم صورة لمدينة جدة غير واضحة قائلاً : وصورتها على هذا الوضع والترتيب — وأورد فصلاً بعنوان : (ذكر خراب جدة) أورد فيه خبرا أقرب إلى الخرافة من الحقيقة ، وحدد ذلك في سنة ٤٧٣ هـ وقال في فصل عنونه بـ(ذكر فضيلة جدة) . قال : (قال ابن المجاور : وما أظن هذه البركة إلا من جهة أم البشر حوّى[١] — صلوات الله عليها — لأنها مدفونة بظاهرة جدة ، وكان الفرس قد بنوا عليها

---

(١) الغريب أن كتابة الاسم بهذه الصورة نجده في كثير من الكتب ، كشفاء الغرام ، وتواريخ جدة .

وقفات حول

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية

— المعجم المختصر —

يقول المثل الصيني : (من علمني حرفاً فهو أبي مدى الحياة) .

ضريحاً بالآجر والجص ، محكماً ، فبقي إلى سنة إحدى وعشرين وستمائة ، فعند هذا التاريخ تهدم ، وارتدم بعضه على بعض ، ولم يعد بناؤه ، ورأيته عامراً قائماً ، وقد رأيته خراباً وقد ارتدم بعضه على بعض) .

وذكر أشياء تتعلق بجباية المكوس في جدة ، كما فصل أسماء المواضع الواقعة بينها وبين مكة ، بما لا يخلو من فائدة .

ومما تجب ملاحظاته أن كثيراً مما ذكره لا يستند على أساس صحيح ، فلم يذكر أحد من المؤرخين المتقدمين — فيما علمت أن سلمان الفارسي — رضي الله عنه — وأهله سكنوا جدة ، ولم أجد ذكراً لخبر إنتقال أهل سيراف إلى جدة في غير كتاب ابن المجاور .

وبالإجمال فما ذكره هذا الرحالة من الأمور التي يستطرف ذكرها ، ولا ينظر إليها كقاعدة تاريخية يعتمد عليها كما فعل ابن فهد وغيره ممن اعتمد على أقوال ذلك الرحال ومن أقدم من عرفته أفرد الكلام عن تاريخ جدة ، أو فضائلها في كتابه .

١ — ابن فهد المكي (٨٩١ — ٩٥٤ هـ) .

جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي [٢] ، فهذا قد أقام بجدة مدة من الزمن وتولى بعض الأعمال الدينية فيها ، وألف رسالة في فضلها وأحوالها تتضمن لمحات واضحة من تاريخها .

حمد الجاسر

---

(١) أنظر ترجمته في مجلة (العرب) م٢ ج٢ ص ١٠٤ .

والحقيقة التي يجب أن تقال هي : أننا تعلمنا منك الكثير ... الكثير صحيح أنني لم ألْتق بكم قط ، ولكني عرفتك عن طريق مؤلفاتك القيّمة ومقالاتك الهادفة ..

إن قبيلتي خَثْعَم وبَلْحارث من القبائل الكبيرة في منطقة الجنوب . ولهذا فقد تتبعت كل ما ورد في « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » عن هاتين القبيلتين الكبيرتين لعلي أُصَحِّحُ خطأً ، أو أُضِيْفُ مَوْضعاً ، أو أستَبْعِد اسْماً . بحيث تأتي المعلومات في النهاية صحيحة .. ومطابقة للواقع .

وأرْجعَتُ كُلَّ سكان قرية إلى أصلهم .. وذلك تلبية لكلامكم في مقدمة المعجم (في ص ٩) وحيث أنّ هذا واجبٌ عليّ كقاريء أولاً وكابْنٍ من أبناء تلك المنطقة ، فقد أحببت أن أرسل لكم هذه الملاحظات أرجو أن أكون قد ساعدت بها في إخراج جزءٍ من « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » بالصورة الصحيحة ، وقد تعمدت أن أورد الاسم كما ورد في المعجم بدون تحريف أو تبديل ثم أُورد رقم الصفحة بعده مباشرة وبعد ذلك أكتب الصورة الصحيحة للاسم . وذلك لِتَتَسنَّى معرفة الفرق الذي يكون في بعض الأحيان يسيراً بين الصورتين .

ويطيب لي في هذه المقدمة أن أُحدثكم عن هاتين القبيلتين في عُجَالةٍ موجزة :

أولاً : بَلْحَارث :

ويسكنون وادي تَرْج وحَوْران والْبهيم ووادي المُسَمَّى ، وفي اعتقادي أنهم في الأصل من رجال الْحَجْر ، ومعظمهم بادية يتتبعون مساقِطَ الغَيْث ومَنَابِتَ الْكَلإِ بالرغم من وجود مزارع لهم إلا أنهم لا يَرْتَادُونها إلاّ في وقتِ الخريف — موسم الرُّطَب في النّخيل — لأنَّ معظم مزارعهم نخيل .

وقد علمت أن الشيخ جابرا الطيب رئيس محكمة بيشَةَ سابقاً وعضو هيئة التمييز بمكة الآن كتب عنهم[1] وقد استفسرت من فضيلته خَطِّياً وقال : إنَّ المؤلف لا يزال مخطوطاً

---

(١) كتب عنهم في « العرب » الشيخ الطيب علي ثم عقب على ما كتب الأخ عمر غرامة العَمْروي في « العرب » وتحدث عنهم في كتابه « بلاد الحَجْر » . وانظر « العرب » س٦ ص ٦٠٩ وس٧ ص ٨١٧ .

وسوف يدفع به الى المطبعة قريباً.

ويعرف هؤلاء ببلحارث تَرْجٍ تمييزاً لهم عن بَلْحارث الطائف ، والذين يرجعون في أصلهم الى بلحارث تَرْج .

فخوذ بلحارث :

أولاً : الحَلاَفَاتُ وهم عدة فروع :

أ ــ آل قِسْبَةَ
ب ــ آل غَنِيْمَة
جـ ــ آل بَطْحَان
د ــ بني علاء .

ثانياً : الخَشَارِمَة : وهم :

أ ــ آل عاطِف
ب ــ القَنافِذَة
جـ ــ هَمَّاس
د ــ الشحُوْف
هـ ــ آل الصَّمَّاء .

ثالثاً :

١ ــ آل مُرِيْر .
٢ ــ آل فاضل .

رابعاً : آل خالد : وهم :

أ ــ المُوامِرَة
ب ــ الحُصَنَة
جـ ــ الحرشة
د ــ آل مَهْدِيَّه

هـ ـــ الحراملة .

خامساً : الآذَارُ : وهم :

أ ـــ الشْمَلَة .

ب ـــ الخرَمَة (بكسر الخاء وفتح الراء والميم فهاء بعدها .

جـ ـــ البُطْلاَن .

د ـــ آل الرَّبيِّع .

هؤلاء جميعاً هم بَلْحارث .

ثانياً : بني خَثْعَم

وهم كثيرون ومعظم هذه القبيلة يسكن في الريف وهي قبيلة عريقة في التاريخ هاجر معظم أفرادها للمشاركة في الفتوح الإسلامية ، وقصتهم مع أبرهة الْحَبَشة معروفة . ولا زالت تحتفظ بمنازلها من قبل بعثة الرسول (ص) حتى الآن .

وقد برز منهم قواد مشهورون في الفتح الإسلامي والأندلس . وشعراء اتصف شعرهم بالرِّقة والعذوبة ومنهم عبدالله بن الدُّمَيْنة الخثعمي من أُكْلُب . ومنهم السُّهَيْليُّ الخثعمي صاحب «الروض الأُنُف» .

وفي رحلتكم التي ضَمَّها كتاب «في سراة غامد وزهران» وصلتم الى وادي شراء وهو أقصى حدود القبيلة من ناحية الشمال ولكن للأسف أنَّ الرحلة لم تَتعدَّ شرا . وتمتدُّ منازل هذه القبيلة من وادي شرا شمالاً حتى بلاد بَلْقَرن جنوباً وتمتدُّ شرقاً بنفس المساحة حتى شرق مدينة بِيْشَةَ في المنطقة التي تُعْرَف بالجُنَيْنة . وفي تهامة قبائل من بني خثعم منها :

العَوامر وقبائل ابن المُنْتَشِر ، وغيرهم وبعض هذه القبائل في تهامة تتبع إمارة مكة المكرمة .

فخوذ بني خثعم :

١ ـــ **قبيلة خثعم** : وهي الأصل الذي تفرعت منه الفخوذ الأخرى ، ولا زال

معروفاً بالاسم القديم وعدد القرى التي يحتويها هذا الأصل ٣٧ سبع وثلاثين قرية ومنها وادي شِرَا وشيخهم ابن عِيْدَان .

٢ ــ **شُمْرَان** : ولهم قرى تزيد على ثلاث عشرة قرية وقد اشتهر هذا الفرع أكثر من خثعم (الأصل) في المملكة .

٣ ــ **عِلْيَان** : وتزيد قراهم على ثماني قرى منهم بَدْوٌ رُحَلٌ ــ هم بني واس ــ .

٤ ــ **الفَزَعُ** : ومعظمهم بادية وهجرتهم في تَبَالة .

٥ ــ **أَكْلُبُ** ويشمل هذا الاسم :

أ ــ بني هِزْر

ب ــ بني سَعْدِ .

جـ ــ مُعَاوِية في بيشة .

د ــ الجُنَبَة .

هـ ــ النشاوَىٰ (بألف مقصورة) .

و ــ آل بالشّنينْ .

ز ــ المزابدة .

هؤلاء كلهم أَكْلب وهم من خثعم ، وتمتد مساكنهم من وادي الثَّنِيَّة أسفل وادي تَبَالَة حتى الْجُنَيْنه شرق مدينة بيشة مع ملاحظة أن كل القرى التي تسكنها هذه القبيلة (بني خثعم) قد وردت في المعجم أو أضفتها أنا في حالة عدم وجودها أصلاً وميزت سكانها من أي فخذ ثم أرجعتها إلى الأصل .

أستاذي العزيز أعلم يقيناً أنكم تعرفون الكثير عن هذه المنطقة ولكني أحببت أن أتحدّث عنها هنا فأرجو أن يَتَّسِع صدر أستاذي لقراءتها . وأنا على استعداد بأن أجيب على أي استيضاح .

ملاحظة : بلاد بَلْقَرن لم أتَحَدَّث عنها ، ولم أتتبَّعها في المعجم ، لأن من أبنائها

المتعلمين من سوف يقوم — إن شاء الله — بذلك ، ولعدم معرفتي الكافية بها .

م. عبدالله محمد حمود الشُمْراني
خريج قسم المكتبات بكلية اللغة العربية في الرياض
الأمن العام — شؤون الموظفين .

الملاحظات تبدأ من «الجزء الثاني من المعجم» .

عَرْعَرَه : بفتح العين وتسكين الراء . وفتح العين الثانية والراء وهي من قرى خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٠٢) .

آل عقبة : «من قرى آل يزيد عليان ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، (ص ٨٣٦) . والحقيقة هو أن ليس هناك قرية بهذا الاسم ، وإنما هي مجرد عَقَبةٍ للنزول إلى تهامة ، كانت تَمرُّ بها القوافل من تهامة واليها ولا زالت .

العقيق : (عقيق غَامِدٍ) ٩ص ٨٤٠) .
ذكر في الهامش أن فيه مناهل للبادية ومنهم (الجهاجهة) وهذا خطأ في الإسم . والصحيح (الهجاهِجَه) بحيث تسبق الهاء الجيم .

العَقيل : من قرى شِمْرَان . بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤١) ولكن ليس في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الاسم .

والصحيح هو أنَّ اسم القرية : الْحَبِيْل : بفتح الحاء وكسر الباء وهي من قرى خَثْعَم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

عُقَيلات : «من مياه أكْلَب ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤١) وهذا خطأ في الإسم . والصحيح : عُقَيلان : بالنون بدلاً من التاء . من مياه أكلب من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ويقع شمال وادي تَبَالَة .

ذَاعَلَبس : من قرى قبيلة (الْقَرن) مركز باشوت في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤٦) .

والحقيقة أنَّ القرن ليست قبيلة وإنَّا هو قرية من قرى باشوت من بني خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

عليان : من قرى شكران من أعمال الْعَلاَبة . بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٤٨) . وهنالك خطأ في الإسم وخلط في المعلومات والصحيح كما يلي :

عَلْيانة ــ بزيادة هاء في الآخر من قرى شِمْران من بني خثْعَم في إمارة بِلاد عسير ، والعامة ينطقونها بكسر العين .

العمار : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٥١) والصحيح آل عَمَّار ، من قرى باشوت سكانها من عِلْيان من بني خثعم ــ بكسر العين في عليان ــ هكذا تنطقها العامة هناك .

العمم : «من قرى خثعم ، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٥٦) والصحيح : «العُصُم» بضم العين والصاد من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

العور : «من قرى تَبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٨٦٤) والصحيح : ليست هناك قرية بالمفهوم الصحيح وإنّا هي عبارة عن بقايا آثار قديمة فقط . أما الاسم ففيه أصلاً خطأ : والصحيح الصُور بالصاد وليس العين .

الغدنه : بضم الغين المعجمة وإسكان الدال فنون مفتوحة فهاء . من قرى النشاوى من أكلب في بيشة من إمارة بلاد عسير» (ص ٨٩٠) .

والصحيح : الغِدنَّة : بكسر الغَيْن وكسر الدال . وتشديد النون ثم هاء . من قرى النّشاوى من أكلب وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

غَرْس الْقَرِيَة : من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٨٩٤) . وهناك نقص في المعلومات والأولى أن تُصْبح هكذا : (من قرى تَبالة ، سكانها من بني خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير) .

الغرسه : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» ص ٨٩٤ .

والصحيح : الْغَرْسَة : بفتح الغين وتسكين الراء وفتح السين فهاء . من قرى خثعم ، وتسمى أيضاً (قرية ابن عيدان) نسبة الى شيخ القبيلة بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير . وبها ابتدائية ومتوسط للبنين وابتدائية للبنات ومركز إمارة .

الْغَفَرَاتُ : «بفتحات ثلاث — في الْبُهيمْ من تَرْج ، في بلاد آل عيسى والقنافذة ، وآل عاطف وهماس من الشحوف من بَلْحارث في منطقة إمارة بلاد عسير» (ص ٩٠١) .

والصحيح : الغَفْرات : بفتح الغين وتسكين الفاء وفتح الراء . في البهيم من وادي تَرَج في بلاد آل عيسى والقنافذة وآل عاطف ، وهمّاس والشحوف من بلحارث في منطقة بيشة ، التابعة لإمارة عسير .

آل غفيس : في باشوت من بلاد بيشة ، بمنطقة إمارة عسير» (ص ٩٠٢) .

والصحيح : آل غفيل : بضم الغين وفتح الفاء وياء بعدها ثم لام من قرى شقيق من شمران . في منطقة بيشه التابعة لإمارة عسير وسكانها من بني خثعم .

الفوغاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٠٩) .

والصحيح : الفَوْقاء : — بفتح الفاء وتسكين الواو وفتح القاف ثم ألف وبعده همزة — من قرى خثعم بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير» .

الغيطه : من مياه بالحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٩١١) .

والصحيح : الغَيْطه : بفتح العين وتسكين الياء وفتح الظاء فهاء ، من مياه بالحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

الفرع : من قرى يزيد عليان بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ومورد لباالحارث فيها ، (ص ٩٢٧) .

والصحيح : الفَرْع : بفتح الفاء وتسكين الراء وعين بعدها . من قرى عِلْيَان من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

أما مورد بَالْحارث الذي فيها فلا أدري من أين أَتَتْ هذه العبارة وهي غير صحيحة وبلحارث بعيدون جداً عن هذه المنطقة وليس لهم بهم صلة .

آل فُطَيْمه : في بلاد باشوت بمنطقة بيشة من إمارة عسير ، (ص ٩٣٦) .

والصحيح : أن هذه القرية مكرر اسمها مرتين هنا وفي ص ٢٧١ ووردت باسم «الجهوم» والأخير هو الاسم الحقيقي لأن (آل فطيمة) أُسْرَة من أسر القرية ليس إلا .

والقرية (الجهوم) من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير . وتبعد عن قرية ابن عيدان حوالي كِيْل واحد .

الفلسه : «من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، (ص ٩٣٩) ، والصحيح : هو أنه ليس في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الإسم .

الفتيّقا : «من قرى آل يزيد ، عليان بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٤٠) .

وأنا لا أعرف في بلاد بني خثعم كلها قرية بهذا الاسم وربما هناك خطأ أو تحريف في الإسم .

فهر : هجرة لآل ربيع ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، ص ٩٤٢ .

والصحيح : مُهْرُ : بالميم والهاء الساكنة وراء بعدها ـــ هجرة للحَلاَفات وآل الربيع وكلهم من بَلْحَارث بوادي تَرْجٍ بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير . وقد وردت مكررة في حرف الميم ص ١٢٥٩ وفيها نقص أيضاً وقد تلافيته هنا للاحاطة .

الفَيْضُ : بفتح الفاء وإسكان المثناة التحتية وآخره ضاد معجمة : من قرى الخزمة من بلحارث ، في تَرْجٍ في منطقة بيشة (ص ٩٤٤) .

والصحيح : بفتح الفاء وإسكان المثناة التحتيَّة وآخره ضاد معجمة ـــ هجرة للحَلاَفات والحزمة وكلهم من بَلْحَارث في وادي تَرْج بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير ، ويلاحظ أن هناك نقص في المعلومات أكملته .

آل قادم : في باشوت ، من بلاد بيشة ، بمنطقة إمارة بلاد عسير» (ض ٩٤٩)
والصحيح : آل قادم : قرية من قُرَى عِلْيان من بني خثعم في أعلى وادي أدَمَة ، وفيها دوائر حكومية وتقع على خط الطائف — أبها ، المسفلَتْ .

قُرَّاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٦٤) .
والصحيح : قُرَّاء : بضم القاف وتشديد الراء مع الفتح فألف ثم همزة من قرى وادي شِرَا من بَني مَيْمُون من خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، ووادي شِرَا هو أقصى حدٌ إداريٌ لإمارة عسير شمالاً ، ويمر بها الخط المعبَّد من الطائف إلى أبها .

القراعه : «من قرى خَثعم ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٦٧) .
والصحيح : القَزَعَةُ : بفتح القاف والزاي والعين وهاء بعدها — من قرى وادي شِرا من بني ميمون من خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، وعلى ما يبدو لي أن الاسم حدث فيه تحريف فوردت في الكتاب بالاسم الأول وهو خطأ . والصحيح ما ذكرناه .

قَرْن عجيبه : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٩٧٩)
والصحيح : قَرْنُ عَجَبَة : بفتح العين والجيم والباء : من قرى شمران من بني خَثَعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

القعره : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٠٧) .
والصحيح : القَعَره : من قرى شِمْرَان وهم من بني خثعم في وادي أدَمَةَ بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

القَنيفاء : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٢٥) .
والصحيح : القُنَيْفَاء : قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

القَوْزيَّة : «من قرى أَكْلب في **الثَّنيه** في بيشة ، من إمارة بلاد عسير (ص ١٠٢٩)
والصحيح : القَوْزيّة : من قرى أكْلَب من بني خثعم وهي في وادي الثَّنْيَة — بكسر

الثاء وتسكين النون والياء بعكس ما ورد في المعجم ، وهذا الوادي هو أسفل وادي تبالة الذي يصبُّ في وادي بيشة ، وفيه نخل كثير ومزارع . ويقع في منطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير .

قوفاء : من مياه بلحارث بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١٠٣١) .
والصحيح : القوباء : وقد وردت صحيحة في ص ١٠٢٧ السطر العاشر وهي هجرة وليست قريةً ومورد من موارد البادية سابقاً .

القويزيه : «من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٣١) .
والحقيقة لا أعرف في هذا الوادي قرية بهذا الإسم وربما يُقْصَدُ بها القوزيَّة التي ذكرتها في أعلى الصفحة لأن الوادي أحياناً يطلق عليه وادي تبالة من أعلاه إلى مَصَبِّه .

اللعا : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٦٨) .
والصحيح : آل الأعلىٰ : قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المَبْعُوث : مورد من موارد بلحارث وهو أشهر من نار على عَلَمٍ هُنَاك ويقع في وادي المُسمىٰ الذي يصب في وادي تَرْجٍ بمنطقة بيشة بإمارة عسير .
وهو غير المبعوث الذي في منطقة الطائف والذي ورد ص ١٠٨٢ وقد أحببت أن أُضيفه هنا لشهرته .

المبنى : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٨٢) .
والصحيح : الْمَبْنَى : من قرى خثعم وتقع هذه القرية في وادي الزُّهَيْطَة ، وتبعد عن قرية ابن عِيْدان حوالي ثلاثة أكيال ، وهي بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

مجو : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٠٨٩) وأنا لا أعرف قرية بهذا الاسم ويحتمل أن يكون في الاسم خطأ أو تحريف .

المَحْزم : من قرى آل بالشّنين من أكْلُب في بيشة من إمارة بلاد عسير (ص ١١١٢)

والصحيح : الْمَخْرِم بكسر الراء من قرى آل بَالشِّيْن من أُكْلُب وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (وهو مكرر في ص ١١٠٠).

مرايس المطويه — الغدير — : من قرى تباله بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» .
والصحيح : المَطْوِيَّة أو — الْغُدَيِّر — : من قرى الثَّنْية أسفل وادي تَبالة سكانها أكْلُب من بني خَثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

مُرْشِد : بضم الميم وإسكان الراء وكسر الشين المعجمة وآخره دال : من قرى الشمله من بلحارث في بَرَجْ بمنطقة بيشة (ص ١١٣٣) وهو صحيح ويضاف اليه : من قرى الحَلاَفَات والشملة من بلحارث في تَرْج بمنطقة بيشة التابعة لإمارة بلاد عسير وقد تكرر هذا الاسم ص ١١٣٤ السطر الثاني .

المسلم : من قرى بيشة في إمارة عسير (ص ١١٥٦) .
١ — قرية لشمران وبالحارث .
٢ — قرية لخثعم .

والصحيح : آل مُسَلّم : قرية من قرى خثعم في وادي الرُّهَيْطة بمنطقة بيشة التابعة لإمارة عسير.

مَصْر : على اسم القطر المعروف — : من قرى أكلب في ثبيه تَبَالة ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١١٧٦) .

والصحيح : مَصْر — على إسم القطر المعروف — : من قرى أَكْلُب من بني خثعم في وادي الثَّنَيَة أسفل وادي تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

مقرا : «من قرى آل يزِّيد من عليان بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ١٢١٦) . وأنا لا اعرف في هذه المنطقة — منطقة بني خثعم — قرية بهذا الإسم ربما أن هناك خطأ في الاسم أو تحريف .

ملالة : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٢٢٨) .
والصحيح : مَلاَله : — من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

آل مِلْحَة : من قرى شُمْران بمنطقة بيشة ـــ في إمارة بلاد عسير» . والإسم صحيح ويستحسن أن يقال : من قرى شُمْران من بني خَثْعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المهامل : من قرى آل فاضل بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٢٥٧) والصحيح : المَهَامِلُ : هجرة للحَلاَفات وآل فاضل وكلهم من بَلْحَارِث في وادي تَرْجٍ بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

المثيامه : من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة في إمارة عسير» (ص ١٢٦٢) . والصحيح : البَشَامَة : ـــ بفتح الباء والشين والميم وهاء بعدها ـــ من قرى خثعم وتقع في قِمَّة جبل البَلَس مع خمس قرى أخرى من قبائل ابن عِيْدان .

النَّجاجير : من قرى شُمران في وادي أدَمَة وهم من بني خثعم وفيها السوق الأسبوعي وتقع بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير . وقد أحْبَبْتُ إضافة اسم هذه القرية لعدم ورودها في المعجم .

النشوى : من قرى أكْلُب بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ١٢٨٣) والصحيح : أن النَّشاوى اسم فخذ من فخوذ قبيلة أكْلُب من بني خثعم بوادي الثَّنْيَة أسفل وادي تبالة وهم سكان قرية الْغِدنَّة . وليس هناك قرية بهذا الإسم .

الوهاد : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ١٣٥٦) . والصحيح : الوِهَاد : بكسر الواو وفتح الهاء ثم ألف وهاء بعدها . وهي قرية من قرى خثْعم وتقع في قمة جَبَل الْبَلس مع قرى أخرى وتمتاز منطقتها في أعلى هذا الجبل بالهواء العليل ، والغابات الكثيفة وتتبع إمارة بلاد عسير .

يَمَحُ : بفتح الياء المثناة التحتية والميم وآخره حاء مهملة من واد في أعلى تَرْج ، مأهول سكانه آل الصماء من الشحوف من بلحارث في منطقة إمارة بلاد عسير .

والصحيح : يَمَح بفتح الياء المثناة التحتية والميم وآخره حاء مهملة وادٍ في أعلى تَرْج مأهول سكانه الخشارمة من بلحارث في منطقة إمارة بلاد عسير» .

الأُحَيْمِر(؟) : من قرى تبالة ، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٦) .

والصحيح : الأُحَيْمر : تصغير الأحمر من قرى الثِّنْيَة أسفل وادي تَبالة وسكانها بنو هِزْر ، من أكلب من بني خثعم . والثِّنيَة تبعد عن بيشة حوالي ٢٥ كيلاً غرباً ، وتتبع إمارة بلاد عسير .

أَدَمَةُ : بفتح الألف والدال المهملة والميم وآخره هاء . وادٍ مأهول سكانه من قبيلة شِمْران بمنطقة إمارة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٨) .

والصحيح : أدَمَةُ بفتح الألف والدال المهملة والميم وآخره هاء وادٍ مأهول سكانه من قبيلة شمْران بضم الشين وليس بكسرها كما ورد في المعجم وهم من بني خثعم وفيه مركز إمارة وقرى كثيرة ويتبع إمارة بلاد عسير .

الأصيمر(؟) : من قرى تبالة ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٧٧) .

والصحيح : ان هذا الاسم تصحيف (الأحَيْمِر) الذي ورد في ص ٦٦ لذا وجب التنبيه .

الأطرجه (؟) : من قرى باشوت في منطقة بيشه ، تابع لإمارة بلاد عسير» ص ٧٨ .

والصحيح : الأَطْرِقَه : وينطقونها الأهالي هناك بالجيم أحياناً وهي من قرى خثعم في أعلى وادي الرُهَيْطة وفيها مدرسة ابتدائية ومتوسطة للبنين . وتقع بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير .

من قرى بيشة في إمارة بلاد عسير» ص ٨٢ سقط الإسم وذلك يرجع ربما إلى ظروف الطباعة ترى ما اسم هذه القرية التي ربما سقط سهوا .

بَشَامَة : من قرى مركز باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير ، ص ١٦١ .
والصحيح : البَشَامَه : من قرى خثعم في قمة جبل البلس . وقد ورد اسم هذه القرية محرفاً في ص ١٢٦٢ وصححته في حينه وفي ص ١٣ من هذا البحث .

البناء : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» ص ١٧٥ .

والصحيح : المبنى : بفتح الميم وتسكين الباء وفتح النون ثم الف مقصورة من قرى خثعم في أعلى وادي الرهيطه وتتبع إمارة بلاد عسير . وقد وردت بهذا الاسم ص ١٠٨٢ وصححت ما وقع فيها من خطأ ص ١٠ من هذا البحث .

البُهِيْمُ : بفتح الباء الموحده وكسر الهاء بعدها مثناة تحتيّة فيم : وادٍ في أعلى مأهول ترج سكانه آل زياد من الخوف من بلحارث بمنطقة إمارة بلاد عسير (ص ١٨١) .

والصحيح : البُهيْم — بفتح الباء الموحدة وكسر الهاء بعدها مثناة تحتية فيم — وادٍ في أعلى تَرْج مأهول سكانه الخشارمة من بَلْحارث بمنطقة إمارة بلاد عسير ويكثر فيه النَّخيل .

الثَّنِيَّة : قرية القبيلة أكلب ، من بلاد بيشة بمنطقة إمارة بلاد عسير» .

والصحيح : أولاً : الثَّنية : لتسكين الثاء والنون وفتح الياء ثم هاء بعدها وليس بالتشديد كما ورد في المعجم[1] .

ثانياً : ليس هناك قرية بهذا الاسم وإنما هو وادٍ يطلق على الجزء الأسفل والأخير من وادي تبالة الذي يصب شرقاً في وادي بيشه وفيه من القرى :

شُدَيْقَ ، القَوْزيَّةُ ، مَصْر ، الجبارين ، ضُرَيْب السوق ، الْحَرْمَل ، الغِدَنَّة . وسكان هذه القرى من أكلب من بني خثعم .

الجراده : قرية سكانها شِمران بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٢٣٨) .

والصحيح : آل جَرَادَة : قرية سكانها شُمْرَان وهم من بني خثعم . وتقع في أسفل وادي أَدَمَة وتتبع إمارة بلاد عسير .

الْجَعَدَةُ : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير» . ص ٢٥٠ .
والصحيح : الْجَعْدَةُ : من قرى خثعم وتقع في قِمَّــة جبل البَلَس ضمن قرى أخرى

---

(١) الحرف الأول من الاسم لا يكون مسكناً ، فهو هنا محرك وانظر عن الثنية ص ١٠٤ من كتاب «في سراة غامد وزهران» .

هي : بَشَامة أو البَشَامَه ، مِيْبي بكسر الميم وياءين بعدها هكذا ينطقونها ، والنِدِبة بكسر النون والدال وفتح الباء وبعدها هاء .

الجفيره (؟) : «من قرى الحازمي ، بمنطقة بيشة ، من إمارة بلاد عسير» (ص ٢٥٥) والصحيح الجُفْرَةُ : من قرى الحازمي بوادي تَرْج سكانها من بلحارث بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الجوصاء (؟) : من قرى خثعم بمنطقة بيشه من إمارة بلاد عسير (ص ٢٦٧) .

والصحيح : الحَوْماء من قرى خثعم في أعلى وادي الرهْيطة وهي بالميم المفتوحة وليست بالصاد وتتبع إمارة بلاد عسير وقد وردت مكررة ص ٢٦٨ والصحيح ما ذكرناه هنا .

الجهارين : من قرى أكلب ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير ، (ص ٢٧٠) .

والصحيح : الجَبَارين : بفتح الجيم والباء وبعدها ألف ثم راء مكسورة وياء ثم نون وهي من قرى أكلب في وادي الثنّيَة أسفل وادي تَبالة وسكانها من بني خَثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير.

وقد وردت مكررة ومحرَّفة (ص ٢٧٢) باسم الجبارين والصحيح ما ذكرته هنا .

الحَلاَفاتُ : بفتح الحاء واللام والألف وفتح الفاء بعدها ألف ثم تاء وهجرتهم مع قومهم بلحارث بمنطقة ترج في إمارة بلاد عسير ، وقد أحْبَبْتُ إضافتها هنا لعدم ورودها في المعجم .

الجبيل : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير. (ص ٢٨٨) .
والصحيح : الحَبِيْلُ — بفتح الحاء وكسر الباء وتسكين الياء بعدها ثم لام — من قرى باشوت — وسكانها من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

الحومل : «من قرى أكلب بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣١٠)
والصحيح : الحَرْمَلُ : بفتح الحاء وتسكين الراء وفتح الميم وبعدها لام من قرى أكلب وهم من بني خثعم وتقع القرية في وادي الثَّنْيَة أسفل وادي تباله وتبعد عن بيشة حوالي

٣٠ كيلاً غرباً وتتبع منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحزم : من قرى تَبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣١٣) وأنا لا أعلم قرية في هذه المنطقة بهذا الإسم ، رغم معرفتي بها ورغم أنني سألت الكثير ولكني لم أهتد الى قرية بهذا الإسم وربما تكون (المَخْرِم) المذكورة في هذا البحث.

الحصن : قرية سكانها آل عامر ، بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٢٥) والصحيح : الحُصْنُ : بضم الحاء وتسكين الصاد ونون بعدها — قرية من قرى باشوت من شمران ، وهم من بني خثعم ، في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحَصِيْرْ : «بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة بعدها مثناة تحتية ساكنه فراء : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٢٧).

والصحيح : الحَصْيرُ — بفتح الحاء المهملة وكسر الصاد المهملة بعدها مثناة تَحْتِيَّة ساكنة فراء — من قرى خثعم في أعلى وادي الزُّهَيْطه وسكانها آل جِنَّة بكسر الحاء من خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحنشه : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٦٢).

والصحيح : الحِنَشَةُ — بكسر الحاء وفتح النون والشين ثم هاء بعدها — : قرية من قرى خَثْعم في أعلى وادي الزُّهَيْطة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحوز : من قرى تبالة بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٣٦٨).

والصحيح : القَوْزُ — بفتح القاف وتسكين الواو ثم زاي بعدها — قرية من قرى تبالة وسكانها الفَزَعُ من شمران وهم من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

الحيزان : من قرى شمران بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٣٧).
والصحيح : آل جُبْرَان وقد حدث خطأ في الإسم وهي قرية من قرى شَقَيْق من شمران من بني خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير.

آل حيه : من أعمال باشوت في بلاد بيشة ، بمنطقة إمارة عسير ، (ص ٣٧٥).

والصحيح : آل حِبَّة ــ بكسر الحاء وتشديد الباء الموحدة المفتوحة ثم هاء حيث أن الإسم الأول حدث فيه خطأ وهي قرية من قرى خثعم وتقع في أعلى وادي الزُّهيْطَة وتمتاز بمناخها وطبيعتها الجميلة .

خربه(؟) : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» ص **٣٩١** والصحيح : خُرَيَّة : بضم الخاء وفتح الراء وتشديد الياء مع كسرها ثم هاء بعدها ــ قرية من قرى خثعم في وادي الزُّهَيْطَة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» .

دار السوق : من قرى باشوت بمنطقة بيشه في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٢) . والصحيح : هو أنه ليس هناك قرية بهذا الاسم لأن وجود السوق الأسبوعي لا يميِّز القرية فقط لأنه ربما ينتقل عنها ولهذا كل قرية فيها سوق أسبوعي لا بد أن يكون لها اسمها الخاص بها وربما المقصود بهذه القرية قرية (الْقَرْن) قرن ابن ساهر في باشوت .

دار عامر : «من قرى مركز باقوت بكنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٣) .

والصحيح : دار عامر من قرى منطقة باشوت وتمتاز بهوائها العليل ، وغاباتها وأمطارها الغزيرة ، وسكانها من شُمْران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير .

دار الفَزَع : «بفتح الفاء والزاي بعدها عين مهملة ــ من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٣٣) .

والصحيح : أنه ليس هناك قرية بهذا الاسم في بلاد بني خثعم كلها والفزع عبارة عن قبيلة من شمران من بني خثعم تسكن وادي تبالة المشهور ، ولها فيه عدة قرى منها : المُبَرَّز ، والفَرْعُ ، والقوز ، وغيرها .

دليان : من قرى تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٤٥٤) والصحيح : أنه ليس هناك قرية في تبالة ولا غيرها بهذا الاسم وإنَّما (دُلَيَّانُ) هذا اسم جبل بعيد عن القرى غرباً حوالي ثلاثة أكيال يكثر فيه شجر الْبَشام المعروف .

الذنوب : «من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٧٣) والصحيح : الذَّنوبُ : بفتح الذال وضم النون ثم واو وباء بعدها من قرى شقيق من

شمران من بني خثعم شمال منطقة باشوت وتتبع إمارة بلاد عسير.

الرافعه : «من قرى بالحارث بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٨١)
والصحيح : آل رافعه : بفتح الراء وكسر الفاء وفتح العين فهاء بعدها — من قرى آل حَارِثَّه وليس بَلْحارث وهناك فرق بينهما وتقع هذه القرية في وادي أَدَمة من شُمْران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

آل ربيع : قرية آل ربيع في منطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٤٨٦).
والصحيح : أن هذا اسم فخذ من بلحارث بوادي تَرْج وليس اسم قرية أما هجرة هذا الفخذ فهي (مُهْرُ) وقد ذكرت في أول هذا البحث ويسكنون فيها مع قبيلة الحَلاَفَات من بلحارث أيضاً.

الرجاجين : من قرى باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٤٨٧).
والصحيح : النَّجاجِيْرُ : وقد حدث في الاسم تصحيف ولهذا ذكرت هذا والقرية عندما لم أجدها في ترتيبها الطبيعي وذلك في ص ١٣ من هذا البحث. فأرجو مراعاة ذلك وتُعتبر مكررة هنا عن طريق الخطأ.

آل رحمة : من بلاد باشوت ، من أعمال بيشة بمنطقة إمارة عسير» (ص ٤٩٢)
والصحيح : آل رَحْمَة : بفتح الراء وتسكين الحاء وفتح الميم فهاء بعدها — قرية من قرى عِلْيَان من بني خثعم وتقع في أعلى وادي أَدَمَة ، وتتبع في إمارة بلاد عسير.

الركبة : من قرى باشوت ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٥١١)
والصحيح : الرُّكْبَةُ : بضم الراء وتسكين الكاف وفتح الباء فهاء بعدها — من قرى شَقِيْق من شُمران من بني خثعم وتتبع إمارة بلاد عسير.

رنما : هجرة لبني خماش (؟) بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٥١٥)
والصحيح : رَنْمَا : بالفتح في الأحرف الثلاثة الأولى ثم ألف في الأخير هجرة للخَشَارِمَة من بَلحارِث وتتبع إمارة بلاد عسير.

زمره : «من قرى خثعم بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٥٤٧).

والأفضل : زَمْرَةُ ـــ بفتح الزاي وتسكين الميم وفتح الراء ثم هاء بعده ـــ من قرى خثعم وتقع في أعلى وادي الرُّهَيْطة ، وتبعد عن قرية ابن عيدان حوالي ٥ أكيال وتتبع إمارة بلاد عسير» .

آل سعدان : «في باشوت من بلاد بيشة بمنطقة إمارة بلاد عسير» (ص ٥٧٨)
والصحيح : آل سَعْدَان : بفتح السين وتسكين العين وفتح الدال ثم ألف ونون بعدها ـــ من قرى عِلْيان من بني خَثعم في أعلى وادي الرُّهَيْطَة وتتبع إمارة بلاد عسير .

السقبان : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٥٨٤)
والصحيح : الشِّعْبَانُ : ـــ لتشديد الشين مع الكسر وتسكين العين وفتح الباء ثم الف ونون في آخره وهي من قرى خثعم وتقع في قمة جبل البَلْس وتتبع إمارة بلاد عسير .

السقيقه : «من قرى باشوت بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير» (ص ٥٨٥)
والصحيح : الشَّقيفة : بفتح السين وكسر القاف وتسكين الياء وفتح الفاء ثم هاء بعدها وهي من قرى عِلْيان من بني خثعم بمنطقة باشوت وتتبع إمارة بلاد عسير .

آل سكن : من قرى خثعم بمنطقة باشوت ، من بلاد بيشة في إمارة عسير (ص ٥٨٦) .

والصحيح : آل سَكَن : بفتح السين والكاف وآخره نون من قرى خثعم وتقع في وادي الرُّهَيْطَةِ وتتبع إمارة بلاد عسير .

آل سلم : في بلاد باشوت بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير (ص ٥٩١)
والصحيح : آل مُسلَّم : بضم الميم وفتح السين وتشديد اللام مع الفتح ثم ميم ـــ من قرى خثعم بوادي الرُّهَيْطة اليماني وتتبع إمارة بلاد عسير .

شاعقه : من قرى خثعم ، بمنطقة بيشة ، في إمارة بلاد عسير (ص ٦١٧)
والصحيح : شَافِعَةٌ : بفتح الشين ثم ألف بعده وكسر الفاء وفتح العين ثم هاء ـــ قرية من قرى خثعم بوادي الرُّهَيْطة اليماني وتتبع إمارة عسير وقد وردت مكررة في نفس الصفحة (٦١٧) بهذا الاسم الأخير ولكن المعلومات غير صحيحة والصواب ما ذكرته هنا .

سويقة في الحمى

يسأل الأخ مناحي بن خشيمان هل لهضبة سُويقة الواقعة في غرب بلدة (نفي) بقرب جبل حِلّيت — ذكر في الأشعار والأخبار القديمة ، لأنه يوجد بقربها آثار قبور.

و« العرب » تكتفي بإجابة السائل الكريم بما جاء في كتاب « بلاد القصيم » أحد أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » للأستاذ الجليل الشيخ محمد بن ناصر

آل شجلان : من قرى خثعم بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٢٤) .
والصحيح : آل شهْوان : بفتح الشين وتسكين الهاء وفتح الواو ثم ألف ونون بعدها — قرية من قرى خثعم بأعلى وادي الرُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير . وقد ورد الإسم محرفاً في المعجم .

شُدَيْق : تصغير شِدْقٍ : من قرى الهزر من أكلب ، في بيشة في الثَّنية من الوادي من تبالة في إمارة بلاد عسير (ص ٦٢٧) .
والصحيح : شُدَيْقُ تصغير شِدْق . من قرى بني هِزْرٍ من أكْلُب من بني خثعم في الثَّنْيَة أسفل وادي تبالة بمنطقة بيشة التابعة لإمارة بلاد عسير .

الشرمس : (؟) «من قرى تبالة بمنطقة بيشة في إمارة بلاد عسير» (ص ٦٣٢)
والحقيقة : لا أعرف قرية في المنطقة كلها بهذا الاسم أو ما يقاربه وربما ذلك ناتج عن خطأ في المصدر الذي استُقيتْ منه المعلومات أصلاً .

آل شَعْبَان : من بلاد باشوت بمنطقة بيشة من إمارة بلاد عسير (ص ٦٤٩) .
والصحيح : آل شَعْبَان قرية من قرى خثعم في وادي الرُّهَيْطة وتتبع إمارة بلاد عسير وهي غير قرية الشَّعْبان التي ذكرت في هذا البحث .

الرياض : عبدالله بن محمد بن محمود الشمراني
الأمن العام — شؤون الموظفين

العبودي ، والكتاب من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) قال[1] :

سُوَيْقَـةُ :

جبل أحمر شاهق يقع إلى الجنوب من جبل حِلِّيْت ، الذي يقع بقرب (نفي) في أقصى الحدود الجنوبية الغربية لمقاطعة القصيم .

وهي قديمة التسمية :

قال الهجري : سويقة : هضبة حمراء فاردة ، طويلة رأسها محدد ، وهي في الحمى ، وفيها تقول جُمْل بنت الأسود الضِّبَابية :

ألهفى على يَوْم كيوم (سويقةٍ) شفى غلَّ أكبادٍ فساغ شرَابُها

وسويقة في أرض الضِّبَاب ، وكانت للضِّباب وقعة بسويقة ، ولها حديث يطول ذكره[2] .

أقول : المعتقد أن عبارة (ولها حديث يطول ذكره) من كلام البكري الذي نقل كلام الهجري واختصر بعضه ولكن السمهودي نقل أشياء من كلام الهجري مما حذفه البكري كما يلي : فأشارت بقولها «كيوم سويقة» إلى وقعة كانت للضباب مع عامل «ضرية» مهروب الهمداني من قبل زياد بن عبدالله الحارثي ، وذلك أن عاملاً له مع حُوَّاط الحمى وجدوا نعماً[3] للضِّبَاب في الحمى بناحية (سويقة) فطردوها أقبح طَرْدٍ ، فركبوا في أثره ، فأصابوه بضرب ، وعقروا راحلته ، فأتى عامل ضرية ، فخرج بجنده ، وسخَّر رجالاً معه من أهل ضرية كرهاً ، حتى لقي نَعَماً للضِّبَاب فيها بعضهم ، فأسر نفراً منهم ، فبلغ الضِّبَابَ فأدركوه بسويقة ، فكرَّ عليهم ، فنادوا : يا أهل ضرية ، أنتم مُكْرَهُونَ فاعتزلوا ، ونادوه أنْ خَلِّ سبيل أصحابنا ، وما أُصيب منا بالذي أُصيب منك ، فتراموا بالنبل حتى فنيت ، ثم اقتتلوا فانهزم وأدركوه فقطَّعُوه بالسيوف ، وقتلوا

---

(1) ج ٣ ص ١١٨٤ — وقد صدر .

(2) أبو علي الهجري ص ٢٧١ — ٢٧٢ والبكري ص ٨٧٤ — ٨٧٥ .

(3) «النعم» : الإبل .

نفراً من أصحابه ، ورجعوا بالأسرى[1] .

ونقل ياقوت : عن أبي زياد الكلابي قوله : سويقة هضبة طويلة بالحمى حمى ضرية ببطن الرَّيان .

أقول : والرَّيان الذي ذكره أبو زياد هو الوادي الذي يسمى الآن « مبهلاً » كما سيأتي في هذا الرسم في حرف الميم إن شاء الله .

وقال ياقوت : قال أبو زياد في موضع من كتابه : ومما يسمى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة وهي هضبة طويلة مصعلكة ، والمصعلكة : الدقيقة ، قال : ولا يعرف بنجد أطول منها في السماء ، وقد كانت بكر بن وائل وتغلب اقتتلوا عندها واستداروا بها ، وقال في ذلك مهلهل :

غداة كأننا وبني أبينا بجنب (سويقة) رحَىً مُدِير

قال : وسويقة ببطن وادٍ يقال له الربان ، يجيءُ من قبل مهب الجنوب ويذهب نحو مهبِّ الشَّمال وهو الذي ذكره لبيد فقال :

فمدافع الرَّيَّان عُرِّي رسمها خَلقاً كما ضمنَ الوحيَ سلامها

أقول : في هذا النص كلمتان فيهما إشكال أولاهما قوله : أن سويقة لبني جعفر مع أن الأوائل نصوا على أنها للضِّبَاب ويمكن توجيه قوله بأن ذلك كان في زمنه أي في زمن أبي زياد الكلابي وهو أعرابي من أهل نجد على أن بني جعفر والضباب كلاهما من بني كلاب ومتجاوران في منازلها .

وثانيهما : قوله لا يعرف بنجد أطول منها في السماء ، وأرى أن ذلك تحريف من النساخ وأن الصحيح لا يعرف بالحمى أي حمى ضرية أطول منها . لأن ذلك هو الواقع .

---

(١) وفاء الوفاء ص ١١٠٤ .

وذكر لغدة سويقة وقال : هي ماءة للضِّبَاب[1] ولعله يشير إلى ماء فيها لأن معظم الجبال يكون فيها مياه .

قال بشر بن أبي خازم من أبيات يصف فيها ناقته[2] :

كأنَّ قُتُودَها بأُرينبات تَعَطَّفَهُنَّ مَوْشيٌّ مُشيح[3]
تَضَيفَّه إلى أرطاةِ حِقْفٍ بجنب سُوَيْقَة رِهَم وريح[4]

أقول : والأبارق التي حول سويقة هي منابت الأرطى فهو يذكر — بلا شك — سويقتنا هذه التي نتكلم عليها ، كما أنه بذكره أُرينبات التي تسمى الآن (أُرينبة) ولم نفردها برسم خاص بها لأنها خارجة عن حدود منطقة القصيم مما يؤيد ذلك . وهي هضبة صغيرة واقعة في الجنوب من جبل شِعْر[5] كما أن الشاعر نفسه هو أَسَدِيٌّ من سكان منطقة القصيم .

أوهـام حـول سويقـة :

نقل ياقوت عن أبي زياد الكلابي قوله : ومما يسمى من الجبال في بلاد بني جعفر سويقة . وهي هضبة طويلة مصعلكة ، والمصعلكة : الدقيقة ، قال : ولا يعرف بنجد جبل أطول منها في السماء . أ.هـ .

وهذا وهم ومبالغ فيه إذ سويقة ليست أعلى جبل في نجد ، ولعل مبعث وهم أبي زياد مرجعه إلى أنها في مكان مرتفع فترى على البعد وكأنها سامقة الارتفاع . وإنما الواقع أن جبل خزاز الذي لا يبعد كثيراً عنها هو أكثر ارتفاعاً منها . وكذلك هضاب العسيبيَّات

---

(١) بلاد العرب ص ٣٩١ .

(٢) ديوانه ص ٥١ .

(٣) القتود : جمع قتد ، وهو خشب الرحل . وارينبات : موضع راجع رسم «أرينبة» وتعطفهن : أي : ارتداهن ولبسهن ، وموشى : المراد به ثور وحشي موشى وهو الذي في قوائمه بياض ، والمشيح : الحذر .

(٤) تضيفه : أي الجاه وأنزله . والحقف : الرمل المستطيل المموج — والرهم : جمع رهمة ، وهي المطر الضعيف المتواصل .

(٥) تكلم عليها الشيخ سعد بن جنيدل في معجم العالية .

المرأة
في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

[أقامت جامعة الإمام محمد بن سعود أسبوعاً في آخر ربيع الثاني سنة ١٤٠٠ دعت إليه العلماء من مختلف الأقطار الإسلامية للحديث عن الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ودراسة أسس دعوته الإصلاحية والبحث في مختلف آرائه وأفكاره ، فتحدث صاحب هذه المجلة عن هذا الجانب من حياة الشيخ]

لم يعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب — أسبغ الله عليه شآبيب عفوه ورضوانه — إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين ، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات .

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصّة تعترضه عقبات يقف أمامها حائراً .

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الإمامين عبد العزيز وابنه سعود ، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥ هـ) يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمداً في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ — اجتمع له أهل جُدَّةَ في جامعها الكبير ، فقرأ عليهم رسالة جَدِّهِ في بيان حقيقة الدعوة .

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

التي كانت تسمى في القديم بالشموسين وتقع غرباً من حمى ضرية هي أعلا منها بكثير . وربما كانت العبارة محرفة أصلها : لا يعرف بالحمى جبل أطول منها في السماء .

وهناك جبالٌ في الحمى أيضاً أرفع من سُويقة كما يتضح من الخارطة التي أصدرتها وزارة البترول والثروة المعدنية[1] .

---

(١) (أبحاث جيولوجية مختلفة) رقم ٢٠٦ .

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد ، وقد يكون هذا ناشئاً عن عدم اهتمامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام ، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو ألصق بها لا يزال غامضاً ، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة ، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازري الشيخ في عمله الجليل ، عالم نجد في عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن — قاضي الدرعية في ذلك العهد — الذي وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله[1] : (ما نعرف من علماء نجد ، ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه) — عندما يروم الباحث معرفة شيء مما يتعلق بحياته لا يجد فيما بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة ، بل لا يجد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبد الوهاب .

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة في حياة الإمام) لا يعدو الإشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة ، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق ، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها ، لا يزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظاً ، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء ، وتعنى ببيان صلة القرابة ، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة .

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعدّ تجاهلاً لحياتنا كلها ، ولواقعنا الذي نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد — رحمه الله — إنصاف المرأة ، والدفاع عن حقوقها .

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلاً وصفه الشيخ في إحدى رسائله[2] : (إذا أراد الإنسان أن يقسم ماله على هواه ، وفرَّ من قسمة الله ، مثل أن يريد أنّ امرأته لا ترث من هذا النخل ، ولا تأكل منه إلا حياة عينها ، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض ، أو يريد أن

يحرم نسل البنات — إلى أن قال : ويفتي له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة برّ تقرب إلى الله ، ويوقف على هذا الوجه قاصداً وجه الله) .

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة .

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية .

إن في واقع تاريخنا أمثلة حيّة لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة ، حتى في مقارعة الأبطال ، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال ، فغالية الْبُقَمِيَّةُ [٣] كان لشجاعتها وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد علي باشا في وقعة تربة سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م) ثم تصدّت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة ليثأر لهزيمة ابنه ، بشجاعة نادرة ، أثارت حفيظة الباشا الذي تمنّى أن يقدر على إمساكها بعد إنهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعة بسل ، وقال عنها المؤرخ المصري محمود فهمي المهندس في كتاب «البحر الزاخر»[٤] : وتكدر محمد علي باشا كثيراً من هرب غالية ونجاتها من يده ، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية ، علامة وشهرة على نصره وظفره . انتهى .

ومع شهرة تلك المجاهدة الشُّجاع ، لم يرد لها ذِكْرٌ في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة .

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها ، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسياً منسيا ، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبد الرحمن آل عرفج من أمراء القصيم آل عليّان من العناقر من تميم ، التي قال عنها الأمير عبيد بن علي بن رشيد — يذكر السيف — :

ليا عاد ما نرويه من دم الأضداد   ودوه يم العرفجية ترويه

وتجد خبرها مفصلاً في كتاب «بلاد القصيم»[٥] للأستاذ الشيخ محمد العبودي .

طال الاستطراد وحسن العود للحديث عمن ألصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة .

زوجة الإمام محمد بن سعود : أوّل امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موضي بنت ابن وهطان ، زوجة الأمير محمد بن سعود .

وهي من أسرة كريمة من آل كَثِير ، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد ، وهي من آل فضل ، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة ، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر .

وآل فضل من قبيلة طيّء المعروفة ، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة ، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق .

وكان آل كثير من بادية العارض ، من أول القرن الحادي عشر — على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين[٦] — حتى منتصف القرن الثاني عشر — وجري بينهم وبين آل معمر أمراء الْعُيَيْنَة مناوشات من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العُيَيْنَة حين غزوها سنة ١١٣٧ فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير ، قتله آل نبهان منهم .

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل — كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف .

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجمان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين وألف تزوج في الأحساء ابنة هادي ابن مِذْود رئيس عربان آل كثير ، وأتى بها معه إلى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف[٧] .

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي .

حين انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العُيَيْنَة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة ، فَنَبَتَتْ ونَمَتْ ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله[٨] : (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فوره ومعه أخواه ثنيان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم ، فسلم عليه ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكنّ ابن بشر فصّله على هذا النحو[٩] : (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية فقرر لهم التوحيد ، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته ، فهابوه ، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيّان الضّرير ، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة ، فأخبروهما بمكان الشيخ ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه ، فوقر في قلوبهما معرفة التوحيد ، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ ، وقالت له : إنّ هذا الرجل ساقه الله إليك ، وهو غنيمة ، فاغتنم ما خصك الله به . فقبل قولها . ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى . ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف .

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الإمام محمد بن سعود بموقف أمِّ المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع النبي ﷺ — أول ما نزل عليه الوحي ، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة ، إلى الإسلام ، فمقام أمِّ المؤمنين لا يُسَامى ، وان اتفق الموقفان في مناصرة الحقّ .

ورحم الله ابن بشر فلولا إشاراته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة في حثّ زوجها على قبول الدعوة ، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج ، لَجُهِلَ أمرُها .

ابنة محمد بن سعود : جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون»[١٠] : في الكلام على الأمراء الذين وقفوا في وجه الدعوة : (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر ، أمير العيينة ، الذي ناصره أول الأمر ثم تخلّى عنه ، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية ، واتفق مع الأمير محمد بن سعود ، صار عثمان يشنّ عليهما الغارات من العيينة ، ويرسل

كوكبات الخيل عليها الفرسان وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدّة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر . ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية :

ما شاقني كود سَرْبة لابن معمر   تطل على الزلال كل عشية
يا يبه شف للخيل خيل مثله   وإلا فنزل من شيخة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره . وأورد البيتين الأستاذ عبدالله بن خميس[11] بصيغة : (ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود ، حينما كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — في الدرعية :

تشوق عيني سربة ابن معمر   تطل على الزلال[12] كل عشية
يا بُوْي شِفْ للخيل خَيْلٍ مِثْلَهْ   وإلا فخلّ إمارة الدرعيهْ

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية ، وشجاعة ، وتطلّع إلى معالي الأمور ، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة .

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات ألاحظُ — بعد اختلاف الراويين في نصّ البيتين ، ووقوع الخلل في وزنها — مخالفة اللهجة فيهما للهجة سكان العارض ووسط نجد ، فكلمة (مِثْلَهْ) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شمال نجد بلاد القصيم وما حولها ، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة : (بالكرامة ذاتِ أكرمكم الله بَهْ ، والفضل ذِي أكرمكم اللهُ بِهْ) . بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد ، فهم لا يحذفون تلك الألف .

وأمر آخر اتّفق عليه الأستاذان الكريمان ، وهو تقرير أن عثمان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ ، وهذا الأمر — فضلاً عن كون مؤرخي الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكروه — يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال

الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثمان بن معمر عليه فيها ، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شنّ غارات الحرب فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧ هـ ووفد عليه ابن معمّر في تلك السنة . فإذ صحّ وقوع شيء من الغارات فهو حين كان العداء مستحكماً بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨ هـ التي وقع فيها الوباء الذي أفنى أكثر سكان العيينة فأضعفها ، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩ فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود ، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثمان بن عبدالله بن حمد بن معمر الذي تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢ هـ ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها .

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود ، فبعد التّصافي والاتفاق بين الأسرتين الكريمتين الأسرة المقرنية[١٣] والأسرة المعمّرية ، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد ، تقوّت الأواصر بالتزاوج بينهما ، فَزَوَّج عثمانُ بنُ ناصر بن عبدالله بن معمر عَبْدَ العزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التي أنجبت الإمام سعودا ، وزوج الإمام محمدُ بن سعود ابنته مشاريَ بنَ ابراهيم بن عبدالله بن معمر ، فأتت منه بمحمد بن مشاري ، الذي كان من رسل الصلح بين الإمام عبدالله بن سعود وبين إبراهيم باشا أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ ثم سعى للاستيلاء على نجد بعد رحيل إبراهيم باشا سنة ١٢٣٤ ، فتمّ له ذلك حتى قتل هو وابنه مشاري عند قيام الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٦ — على ما ذكر ابن بشر .

فيكون الإمام عبد العزيز خالاً لمحمد هذا ، وكذا أخوه عبدالله بن محمد ، كما أوضح ذلك ابن بشر أيضاً[١٤] ، لا الإمام سعود بن عبد العزيز ، كما ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر « عنوان المجد »[١٥] وفي الطبعات التي نقلت عنها . وقد أشار إلى هذا الخطإ الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب .

والدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب : أوّل من رأيته تحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسّام في كتاب « علماء نجد خلال ستة قرون » فقد أوضح أن جدّ الشيخ محمد لأمه (هو

محمد بن عَزّاز المُشرَّفي الوُهَيْبي التميمي من عشيرته الأدنين)[١٦] .

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزاز[١٧] أشاد بذكر آل عَزاز ، وذكر أن سيفا هذا هو خال الشيخ ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩ هـ .

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عزّاز ـــ من هذه الأسرة فيما يظهر ـــ قال : [١٨] ـــ في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم : (ولا يخفاك أني عثرت على أوراق عند ابن عَزاز ، فيها إجازات له من عند مشائخه ، وشيخ مشائخه يقال له عبد الغني[١٩] ، ويثنون عليه في أوراقهم ، ويسمونه العارف بالله وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون) .

ولا أستبعد أن يكون ابن عزّاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره ، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله .

ومهما يكن فإن ما ذكر الأستاذ ابن بسام عن والده الشيخ هو حصيلة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا .

زواج الشيخ : كان الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ـــ رحمه الله ـــ عندما قام بدعوته في بلدة حريملا قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره ، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج بعد زواجه الأول حين كان صغيراً إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيينة ، بعد وفاة والده الشيخ عبد الوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف .

قال ابن بشر : (فانتقل الشيخ إلى العيينة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر ، فتلقاه بالقبول ، وأكرمه ، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر .

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ ، بعد زواجه الأول حين كان صغيراً لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلاً بين الحجاز والبصرة والأحساء ، مشغولاً بطلب العلم ، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيينة .

أما ما جاء في كتاب «لمع الشهاب»[٢٠] ونصه : (وكان تحت محمد بن عبد الوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) ـــ أي قبل سفره لطلب العلم ـــ فهو حديث

خُرافة ، ككثير من الأخبار الواردة في ذلك الكتاب .

لقد كانت بلدة العيينة مسقط رأس الشيخ ، ففيها ولد ونشأ ، وهي مقر أسرته بعد انتقالها من بلدة أُشيقر ، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذي عزله عن القضاء وولّى شيخا آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أواصر قوية غير آصرة النسب فالأسرتان تميميتان .

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد ، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد .

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر ، فهي عمّة الأمير عثمان ، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال ، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد بن معمّر ، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه[٢١] : (في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حَلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم ، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر ، الذي لم يُذْكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد ، والعُدّة والعقارات والأثاث ، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى .

وللجوهرة — في سبيل نشر الدعوة — يدان كريمتان .

اليد الأولى : أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبباً في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم .

قال ابن بشر[٢٢] — في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة — : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد ابن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية ، وبدغيّم بن فايز الْمَلِيحي السُّبيعي وقتلهما . وذلك أنه لما أصاب بلد العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر ، طمع زيد بن مَرْخان وأتباعه في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بآل كثير وبوادي سبيع ، وغيرهم فلما

وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد ، وقال له : إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا ، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إليّ .. فسار زيد إليه في أربعين رجلاً ، ومعهم محمد بن سعود وغيره ، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجالاً من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق ، فرموه ببندقيتين فلم يخطئانه فمات . فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع ، وتحصنوا فيه ، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر .

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها ، ومعها غصيبة[٢٣] انتهى كلام ابن بشر على ما فيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يَداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ولهذا أوردته بطوله .

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الإمام محمد ، وبين ابن أخيها الأمير عثمان ، وحقّاً ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين[٢٤] : (وحين وصل محمد بن عبد الوهاب ـــ إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه ـــ إلى أن قال ـــ : وازدادت علاقة الاثنين توطّدا بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله ابن معمر ، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط ، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصّة أيضاً) انتهى .

ولا داعي للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جرّاء تلك المصاهرة ، غير أن المناسبة تلجيء إلى الإشارة إلى خاتمة ذلك الصِّهْرِ ، وهي خاتمة محزنة حقا ، لم تقف عند حد قتله ، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته ، وانجرّت إلى ابنه من بعده .

حقاً إنّ الرجل قدم على ما قدم ، و(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت) .

ولكن تاريخنا المُدوّن ـــ فضلاً عما فيه من جوانب النقص ـــ لا يخلو من مواقف يعتورها الغموض ، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع ، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية ؟

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال ، وهدم ما بُني على القبور ، ونفّذ أحكام الشريعة ، ويظهر أن أهل بلاده لم

يكونوا كلهم على وفاق معه ، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلاً منهم من رؤساء المعامرة — أي استجابوا للدعوة — وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب — رضي الله عنه — أراد أهل الجبيلة — وهي من بلاد عثمان — أن يمنعوه من هدمها فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلّوا بينهم وبينها .

ولقد استمرّ عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها ، تقبل المؤمن بها ، إيماناً صادراً عن يقين بصدقها ، لا عن رغبة في أمر ، ولا عن رهبة من أحد ، وكما قال الشيخ حسين بن غنام[٢٥] : (تلقاه بالقبول والمناصرة ، وأكرمه غاية الإكرام ، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره ، ويقبلوا قوله) فما الذي جرى له حتى غيّر موقفه ؟! قال ابن بشر[٢٦] : — بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد : (فأرسل سليمان إلى عثمان كتاباً يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلده ، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر ، فأثّر عليه جُلساءُ السُّوء — وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوةُ الشيخ قلبَهُ — وقال : (فأرسل إلى الشيخ ثانياً وقال له : إنّ سليمان أمرنا بقتلك ، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه ، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقرابتك) وذكر أنه أرسل مع الشيخ حُرّاساً إلى أن بلغ الدرعية .

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده ، ولهذا استعان به أعداء الشيخ ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله[٢٧] : (فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج ، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد أعداءه من أهل نجد ، الذين ألّبوا عليه أقوى حاكم ، ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد .

قال صاحب كتاب : «لمع الشهاب»[٢٨] : (شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدي الخالدي ، حاكم بني خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها ، فالتمسوا منه أن يمشي على والي العيينة ويجليه من بلده) وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور :

١ — قطع وظائفه التي في الأحساء .

٢ — منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رزٌّ قَدّر محصولها بستين ألف ريال ذهب .

٣ — منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد .

لقد تكالبت الأعداء على عثمان ، فقومه الأدنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ ، ولا مؤيدين لما يقوم به عثمان من مناصرته ، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجاهروا بذلك ، ومنهم من كاتب الأمراء والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التي لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية .

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عثمان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرجه من بلاده (٢٩) ، وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به ، إنه سوف يغزو ابن معمر ، وبلاد نَجْدٍ في ذلك العهد كانت ميداناً لغارات آل حُمَيْدٍ حكام الأحساء ، وليس لابن معمر — بعد أن حلّ بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم ، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عمان جنوباً إلى البصرة شمالاً ، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد ، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له ، ويتقاضى وظيفة منه ، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١١٦٦ هـ التجأ إلى الخرج فتوفي فيه (٣٠) .

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخَفِّ الضررين لدفع أعلاهما ، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب» (٣١) فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي إلى عثمان بن معمر اهتم ، وكره عداوة سليمان ، وغضب أيضاً لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه ، لكنه ارتكب أخفّ المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب خُفُيَةً ، فقال له : إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا ، فالرأيُ أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أيِّ بلدٍ شئت ، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا) .

لا أريد تبرير فعل ابن معمّر في إخراج الشيخ ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة ، وصهر القائم بها ، وجدّ بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة

التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهاد أبطالها منذ عهد الإمام محمد إلى عهدنا ، هو الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، سبط الأمير عثمان بن حمد بن معمّر .

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بإيضاح بعض ما ظهر لي حيال ما نسب إليه — فيما بعد — من تنكّر للدعوة ، وقد أكون مخطئاً فيما أبديه من رأي يخالف ما يراه غيري ، ولكن مما لا شك فيه أن فيما كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة ، وللنيل من القائمين بها .

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود الأمير بن معمّر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام ، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذي قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧ [٣٢] : (فلما علم عثمان أن محمد بن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال : ليس هذا إليّ ، وإنما هو إلى محمد بن سعود ، فأتى عثمان محمداً فأبى عليه) ويقول ابن غنام[٣٣] : (فرجع إلى بَلَدهِ مضمراً العداوة والشرّ والغدر ، وإن كان يُبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد ، إلى أن تكرر منه المكر ، وظهر نفاقه وانكشف أمره) .

وهذا كلام مبهم غير واضح ، وما تخفيه القلوب علمه عند علّام الغيوب ، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا أن الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف — أو التي بعدها — بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله ، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين ، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣ .

غير أنَّ ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين — إحدى غزوات الرياض — قال[٣٤] : وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثمان ، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم ، وزادته هذه الوقعة تهمة ، وندم على تخلّفه عن الغزو ، لأنه خاف على نفسه ، ثم ذكر أنَّ محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حُرَيْمِلاء مرّ بالعيينة فتعاهد مع عثمان واتفقا وتصافيا . ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق ،

وقال[٣٥] ؛ ثم إن عثمان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو ، فقبلا منه ، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العيينة وأهل حُريملاء ، وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد ، فعند ذلك جعلوه رئيساً للغزوات والسرايا ، وصار محمد بن سعود له منقادا ، ولا يخالفه بل يتابعه ، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد — على ما في تاريخ ابن غنام أيضاً[٣٦] بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع امير حريملاء .

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمّر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة ، وهذا غير صحيح ، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ — بجماعته أهل حُريملاء ، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥ ، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ[٣٧] .

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائنُ قبل قيام الدعوة — أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره[٣٧] — ويظهر أنّ ذلك الاتفاق لإزالة آثار تلك الحزازات ، التي كان من آخرها ما حدث من عثمان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم[٣٨] .

ويورد المؤرخان ابن غنام[٤٠] وابن بشر[٤١] في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثمان — وعبارة ابن غنام : وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان — أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء ، وأمره أن يركب إلى دهام — أمير الرياض — للإصلاح بينهما والاتفاق جميعاً مع الشيخ ، ومحمد بن سعود ، فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان ، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ وابن سعود ، فحين رآى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثمان ، فوّه عليهم — وعبارة ابن بشر : فتحقق أهل البلد منهم الخيانة — وقال عثمان : ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح ، ويدخل دهام في دائرة الإسلام . ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم ، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثمان وغدره ، فامتنع عن الذهاب ، وعرف المسلمون من أهل البلد مكرُ عثمان ، فحصروا ابن دواس في القصر ، ولكنه هرب تحت جنح الظلام ، وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء قال ابن بشر : فلما وصلها (تدرع لباس الحرب) .

لا شك أنّ ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدوّيهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها ، مهما كان قصده ، ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور ، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر .

ولا نريد أن نذهب بعيداً في محاولة الدفاع عن عثمان ، أكثر من القول بأنّ فعله هذا وسّع شقّة الخلاف وهيأ للناقين عليه — ومنهم بعض أهل بَلَدِهِ من قومه — أقوى الوسائل للنيل منه .

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد ، وجدد العهد ، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئة وألف ، وكان الأمير ، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش . ثم غزا الرياض مرة ثانية ، فقتل من الفريقين نحو اثني عشر رجلاً .

وفي سنة ١١٦١ — على ما ذكر ابن غنام(٤٢) : سار عثمان بأهل العيينة وحريملاء ، وعبد العزيز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرما والأمير على الجميع عثمان فنزلوا ليلاً في موضع قريب من ثرمداء يقال له البُطِيْن ، وجعلوا لهم كَميناً ، فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال ، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء ، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلاً ، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الْحُرَيِّص فتحصنوا فيه ، فخلا البلد من المقاتلين فأراد عبد العزيز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة ، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه ، ولم يبق مع عبد العزيز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد ، ثم عزم على العودة ، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بما حدث من عثمان ، فزاد ما في نفسيهما عليه .

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه(٤٣) : فأبى عثمان مَشَحَّة بأهلها ومَضَنَّةً بهم ، وقال في الأخرى(٤٤) : وحصل من عبد العزيز كلام على عثمان ، وأكثر عليه الملام — ثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله —: ولم يلحقه إلا آخر النهار ، فصارت الأحوال بينهما متغايرة ، والقلوب متنافرة .

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عثمان بن معمر ، جوانب ليست في مصلحته . فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عثمان ، وأمراؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر منهم ، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم) يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب ، وفات المؤرخ أنَّ البلدة قد خلت من الرجال المقاتلين ، ولم يبق فيها إلَّا النساء والأطفال ، ومن لا يقدر على القتال ، فما الغاية من دخولها ، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعثمان ما وقع بينه وبين عبد العزيز بن محمد بن سعود من خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب — كما قال ابن بشر — وصدق الشاعر :

إن القلوب إذا تنافر وُدُّها ... مثل الزجاجة كسرُها لا يُشْعَب

ولم يشفع لعثمان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك ، ودمّر جيشه مزارع بلدة ثرمداء ، حيث تحصن أهلها ، ولم يبرزوا للقتال كما فعلوا في المرة الأولى التي قتل منهم فيها نحو سبعين رجلاً .

لقد ختمت حياة عثمان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنّام(٤٥) : لما تزايد شر عثمان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل ، وتبين الشيخ صدق ما كان يروى عنه ، وجاء أهل البلاد كافة ، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين قال الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة : أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله ، وموالاة من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه ، ولو أنه أميركم عثمان ، فأعطوه على ذلك الأَيمان ، فمُلِيء قلبُ عثمان من ذلك رعبا ، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين ، فأرسل إلى ابن سويط وإلى إبراهيم بن سليمان يدعوهما للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع بالمسلمين .

فلما تحقق أهل الإسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد (الباهلي) فلما انقضت صلاة الجمعة ، قتلوه في مصلاة بالمسجد سنة ١١٦٣ .

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم في اليوم الثالث بعد مقتله ، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك في قتل عثمان أن لا يولّى عليهم أحد من آل معمر

فأبى الشيخ ، وأمر مشاري ابن معمر وكان ذلك في منتصف رجب . انتهى ونحو هذا ورد في «عنوان المجد» لابن بشر(٤٦) .

لقد مضى الرجل لسبيله ، وكما يقال : (الغائب حجته معه) ، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقين عليه أبواباً واسعة للنيل منه ، ولا يعنينا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتَّهَم دعاتها ومناصروها بتنكُّرهم لمؤازريهم .

ويكاد متتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للإمام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل ، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقرّ فيه أوضاع الدولة الناشئة ، ولم تثبت دعائم الدعوة .

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعَدَمُ انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها ، وكثيراً ما استغل ذوو الأغراض — من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها — ذلك لتحقيق أغراضهم .

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثمان بن معمر منها قتل إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن أمير ضرما سنة ١١٦٤ وقتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥ وقتل محمد بن فارس وابنه عبد المحسن صاحبا منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٨٧ ، وقتل أمير الفرعة عيبان الناصري سنة ١١٧٩ هو وأولاده ، ومهما كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمور الدعوة .

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول تَوَلِّي الإمارة ، منذ منتصف القرن الحادي عشر الهجري .

واستمر نحو قرن من الزمان ، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها ويكثر أفرادها .

ولا يجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخي نجد في تلك الحقبة ، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك .

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبدالله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبدالله الإمارة ، فأجلى آل محمد من العيينة ، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر .

ويذكر ابن بشر أيضاً أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة ويضيف : (معاكسين لعثمان بن معمر) .

ونجد أحد هاؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد مقتل عثمان وهو سلطان بن محيسن المُعَمَّرِي في سنة ١١٦٣ .

وقد ذكر الأستاذ عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة»[٤٧] بعد ذكر مقتل عثمان .. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف ، فسارع إلى العيينة ، وجمع أهلها وهدأ روعهم وعين مشاري بن إبراهيم بن معمر أميراً وناصر الدعوة .. وأخذ يشارك بأهل العيينة في غزوات آل سعود ، ولكن ظهر منه أخيراً ما جعل الدرعية تُسيءُ الظن به وتعزله .

بعد ذلك أُسندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محسن أحد موالي آل معمر ، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر ، وكان يطمع في تولي الإمارة ، فأعلن تمرّده ، ولكنه قتل سنة ١١٨٢ .

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد ، وأمر بهدم قصر معمر ، وإنهاء سلطتهم في العيينة ومن ثمّ أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها حتى أصبحت خراباً . انتهى .

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمداً ـــ رحمه الله ـــ لم يرض بقتل عثمان حقٌّ لا شكَّ فيه ، ولو لم يكن في ذلك التصرّف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحلّ والعقد .

والقول بأن سلطان بن محسن من موالي آل معمر ، لم أر له مصدراً لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبّان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله

وزيد ، وذكرا توليته إمارة العيينة ، وإمارته كانت سنة ١١٧٣ والذي تولي الإمارة بعد عثمان هو مشاري بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣ هـ ومشاري هذا صهر للإمام محمد بن سعود ، وهو الذي تولى ابنه محمد إمارة نجد ، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الإمام تركي سنة ١٢٣٦ هـ — كما تقدم —.

أما ناصر بن عثمان بن معمر ، فالرجل — على ما ذكر ابن بشر قُتِل شهيداً غازياً مع الإمام سعود بن عبد العزيز سنة ١١٨٢ فالتقى جيش سعود بقبيلة آل مرة — في ناحية الجنوب ، فوقعت الهزيمة على سعود وقومه وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر ، ولم يحدث منه تمرّد — فيما أعلم — .

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو : هل ناصر هذا هو أبو العالم الجليل ، الشيخ حمد بن ناصر ابن عثمان بن معمر ؟!

هذا ما لم أر له ذكراً فيما بين يديّ من الكتب ، وكل من ترجم الشيخ حمدا لا يفصل القول في ذكر نسبه ، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان — إن كان جدّ الشيخ — احتراماً له .

والقول بأن بلدة العيينة أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر آل معمر حتى أصبحت خراباً — قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة ، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشاري عن الإمارة وتولية سلطان — كما ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة ، لأننا نرى لها ذكراً لدى المؤرخين إلى ما بعد ذلك التاريخ ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات :

١١٧٨ — في وقعة الحاير قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلاً .

١٢١١ — هدم السيل في العيينة بيوتاً كثيرة .

١٢٢١ — كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم وكان أميراً على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود .

١٢٣٣ — استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلاً .

١٢٣٣ — انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشاري بن معمر من بلدة العيينة ، ونزل الدرعية .. وطمع في ملك نجد ، وكان خالاه عبد العزيز بن محمد ، وعبدُالله بنُ محمد آل سعود .

بنات الشيخ : لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ ، مع التفصيل في ذكر أبنائه .

وأول من رأيته تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١١٧٩/ ١٢٤٣ هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني ، وممن عاصر قيام الدعوة ، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين» في سيرة الإمام المنصور ، وأعلام دولته الميامين[٤٨] ذكر حين عدّ أبناء الشيخ أن له ابنتين ، هما شائعة وهيا[٤٩] .

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود ما نصه : (وأخبرني بعض المكيين ممن له إطلاع على خاصة عبد العزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبد العزيز ومحمد وهما على أمّ واحدة . ثم عمر وعبد العزيز — كذا — ابنا عبد العزيز ، وأمها إحدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزوجها عبد العزيز بن محمد . قال المكّيّ : وأما بناته فهن خمس ، منهن لطيفة ومنيرة . انتهى[٥٠] .

أما ابن بشر فهو يذكر لعبد العزيز بن سعود من الأبناء : سعودا وعبدالله وعمر وعبد الرحمن[٥] . ولا يذكر محمداً ولا عبد العزيز .

وابن بشر ذكر أبناء عبد العزيز بعد وفاته بزمن — ذكرهم سنة ١٢٣٢ و١٢٣٣ أثناء حصار الدرعية — فقد يكون محمد بن عبد العزيز توفي قبل ذلك الوقت .

وعبد العزيز الذي عده المؤرخ اليمني سبطا للشيخ قد يكون اسمه محرفاً ، وأنه عبد الرحمن ، أو عبدالله الذي ذكر ابن بشر أنه توفي سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح ، ويلاحظ أن بعض المؤرخين المتأخرين عدّ الإمام سعودَ بنَ عبد العزيز بن محمد من أسباط الشيخ محمد وهذا خطأ ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشيخ ، أما أمه فهي ابنة

الأمير عثمان بن معمر الذي تقدم الكلام عنه .

وتقدمت الإشارة إلى ما ورد في كتاب «تاريخ أشراف مكة» لابن عبد الشكور[٥٢] ، ونصه ــ بعد حذف الفاظ الشتم : في صفر سنة ١٢٢١ ــ وصل نحو عشرين رجلاً من أهل الدرعية ، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشريف غالب ، وكان في جدة ، فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به ، ثم عقد بينهما الصالح ، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش في الحين ، وقرأ رسالة جَدِّهِ ، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها ، وما زالوا يحضرونها حتى أتمّ قراءتها ــ ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات .

وحمد هذا هو الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر ، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة في عهد الإمامين عبد العزيز بن محمد سنة ١٢١٢ هـ وسعود سنة ١٢٢١ .

فهل هو سبط للشيخ محمد من ابنته التي ولدت للإمام عبد العزيز ابنيه عمر وأخاه ، وأن ناصراً أبا الشيخ حمد تزوجها قبل الإمام عبد العزيز ، فيكون الشيخ ربيباً له ؟! لا أستبعد ذلك ، ولا أستبعد أن يكون ذلك الزواج كان في زمن الأمير عثمان بن معمر صهر الشيخ ، وأن الشيخ زوج ابنه ناصر بنته ، فيكون الشيخ حمدٌ حفيداً للأمير عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر ، وهذا أمر لم أر له ذكراً فيما اطلعت عليه من المؤلفات .

أمَّا الثانية من بنات الإمام : فقد تزوجت عالمين آزرا الدّعوة الإصلاحية في إبّان قيامها ، وشاركا القائمين بها في نشرها والدفاع عنها ، ولازما الشيخ وعاشا معه في الدرعية .

هما الشيخان حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله ومحمد بن غريب .

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف[٥٣] : (وفيها توفي الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبد الوهاب ، قاضي مراة ، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتزوج ابنته ، وسكن الدرعية عنده ، وولدت منه القاضي عبد العزيز بن حمد) انتهى .

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد من المشارفة ، الأسرة المعروفة يلتقي

الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرف الجد الخامس للشيخ محمد[٥٤].

وهو من أسرة علم وفضل ، فقد كان جده عبد الوهاب قاضي مدينة العيينة توفي سنة خمس وعشرين ومئة وألف .

وتولّى الشيخ حمد قضاء بلدة مراة ، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف .

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما إبراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه ، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذي كانت فيه حافلة بالعلماء ، ثم تولى قضاء بلدة مراة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢ هـ .

والابن الثاني عبد العزيز . وهو الذي اجتمع به المؤرخ اليمني السيد لطف الله جحّاف ، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبد العزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور .

وصفه الشيخ عبدالله البسّام فقال[٥٥] : كان صاحب عقل راجح ، وفكر ثاقب ، ولسان بليغ ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء ، فكفى في مهمته . قال ابن حميد : وسمعت بعض مشائخ صنعاء يثنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة . انتهى .

وأشار جَحَّاف في كتابه « درر نحور الحور » إلى أن بينه وبينه مكاتبات ـــ فيما يتعلق بتاريخ عهدهما

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيراً إلى محمد علي باشا صاحب مصر ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون ، وكان ممن اجتمع به في مصر المؤرخ عبد الرحمن الجبرتي فقال عنه وعن رفيقه[٥٦] عبدالله بن محمد بن بَنّيان : وقد اجتمعت بهما مرّتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان ، واطلاعاً وتضلّعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر ، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ، وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين ، واستحضار

الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف واسم أحدهما عبدالله ، والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسناً ومعنى) .

وتحدث عنه رحالة غربيٌّ هو بركهارت[٥٧] بما ملخصه : كان أحد الرسولين من ضباط سعود ، والثاني ويدعى عبد العزيز من أقارب مؤسس الدعوة ، وكان عالماً كبيراً أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه ، وعمق إدراكه ، بحيث كان يستفسر عن كل شيء من الأمور العامة ، ولا يقتصر على الأمور الدينية ، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لها من الجند ، أينما كانا حتى تضايقا فطلبا العودة إلى بلادهما ، واشترى عبد العزيز كثيراً من الكتب من مصر .

ووصفه ابن حميد صاحب « السحب الوابلة » بقوله : (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان ، عجبا في الحفظ والاستحضار ، داهية في مجادلات الملوك والأمراء) .

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل ، وأنه كان فيصلاً في الأحكام يميل إلى ما يرجحه الدليل ، مما خالف المذهب ، ولا يبالي بأحد .

وأن شيخ المنتفق ولاه قضاء سوق الشيوخ — في العراق — فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف .

ولكن ابن حميد — ورحمة الله واسعة — وصمه بما هو منه بريء ، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن علي بن غريب سنة ١٢٠٨ هـ وكان الشيخ عبد العزيز ربيبه — ابن زوجته بنت الإمام — ذكر أنه تأثر بذلك ، ولكنه لم يستطع المجاهرة .

وهذا غير صحيح لأمور : منها أن الشيخ ابن حميد[٥٨] — والله يعفو عنه — كثيراً ما يلصق هذه التهمة بعلماء أبرياء ، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي العفالقي ، وغيره ، ولهذا لا يقبل قوله فيما يتعلق بالدعوة لأنه من مناوئيها .

ومنها أن مواقف الشيخ عبد العزيز في مؤازرة الدعوة — كما تدل على ذلك رسالته — « المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية »[٥٩] بعكس ما ذكر ابن حميد .

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لسفارتين في

عهدين عهد الإمام سعود إلى صنعاء ، وعهد الأمام عبدالله بن سعود إلى مصر ، ولو حامت حوله أية شبهة ، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأي وأصالته ، وإخلاصه لما يقوم به من عمل .

وتحملني المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثاني للإمام على ابنته أمّ الشيخ عبد العزيز ، وهو محمد بن علي بن غَريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسّام[٦٠] بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها ، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه .

والشيخ ابن بسام يعتمد فيما تقدم على ما جاء في كتاب « السحب الوابلة »[٦١] ومؤلفها — عفا الله عنه — من مناوئي الدعوة ، ولهذا فقد وصم ابن غريب بالمصانعة ، وأضاف : وردّ على مخالفيهم ، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فنون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها ، فكان عندهم مقبولاً معظما .

ويوضح الشيخ عبدالله البسام هذا بقوله[٦٢] : أن عبدالله الراوي — أحد علماء — بغداد ، بعث إلى علماء الدرعية بأسئلة في العقيدة ، فأجابه المترجم إجابة طويلة ، جاءت في كتاب طبع باسم « التوضيح عن توحيد الخـلّاق ، في جواب أهل العراق » نسب للشيخ سليمان بن الشيخ محمد ، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب . ويعلل الشيخ عبدالله البسام وقوع الخطإ تعليلاً معقولاً .

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخَ سليمانَ بن الشيخ عبدالله — حفيدَ الإمام ، والشيخ عبد العزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضاً ، والشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر — أورد خبر قتله ، بما هذا نصه : وشي به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الامام عبد العزيز بن محمد — بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب — بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها . وكانت الدعوة في أول إنتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق ، وتؤيده ، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ — عفا الله عنهم أجمعين — إنتهى كلام الشيخ عبدالله[٦٣] وهو فيما يظهر — عول على ما جاء في كتاب « السحب الوابلة » الذي

يتفق مؤلفه مع الشيخ في نهاية الشيخ ابن غريب ، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة ، ولا شكّ أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسّام .

ويحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن ، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠/ ١٢٩٠) يمر على تلك الحادثة بسرعة غريبة ، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله[٦٤] : (وفي ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبرا ، لأجل أمور قيلت عنه) .

ويستشفّ من عبارة ابن بشر هذه : (قيلت) أنّ الرجل ذهب ضحيّة وشاية — كما يرى الشيخ ابن بسام — وابن بشر يحدّد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينما في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩ ، ولعل هذا تطبيع ، فابن بشر حدد الشهر أيضاً .

ومهما يكن الأمر — بالنسبة للشيخ ابن غريب ، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل ، وسعت رحمته كُلَّ شيء .

فاطمة ابنة الشيخ : لقد لفت نظري الابن الكريم الأستاذ عبد الرحمن الرويشد إلى أن المعاصرين من أهل زمننا يتناقلون بينهم أخبارا عن ابنة للشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب تدعى فاطمة وفيما يتناقلونه أنها اتجهت لطلب العلم من صغرها حتى عنست ولم تتزوج وأنها كانت موصوفة بالجمال ومنتهى العفة بحيث حاول رجل دخل بيتها متخفياً بزي امرأة مشاهدتها ولكنها لقنته درساً قاسياً .

وقد انتقلت مع الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد إلى عُمَان بعد وقعة الدرعية سنة ثلاث وثلاثين ومئتين وألف .

والشيخ علي هو جد معالي الشيخ حسن بن عبدالله وزير التعليم العالي .

وفي عمان كانت تلقي دروساً في الحديث والتوحيد والفقه على طلبة العلم من وراء حجاب .

ويحكى من أخبارها أنها حين سارت إلى الحج مرت بقبر على مقربة من قرية الزيمة حوله سادن ، فطلب السادن من قائد راحلتها أن يقدم هدية لصاحب القبر بدعوى أنه

ولي فانتهره وقال لا أقدم له إلّا التراب ، فتكلمت وهي في الهودج قائلة : ولا تقدم حتى التراب ثم استدلت بحديث «ودخل النار رجل في ذباب» .

وقد عادت فاطمة من عمان مع الشيخ علي حين استتب الأمر للإمام تركي ابن عبدالله بعد جلاء الغزاة من نجد .

وتوفيت في الرياض وقبرها في مقبرة العود لا يزال معروفاً إلى عهد قريب .

ويظهر أن فاطمة هذه ولدت للشيخ على كبر لأنه ـــ رحمه الله ـــ توفي سنة ست بعد المئتين والألف عن عمر قارب التسعين عاماً ، ولهذا لم يذكرها المؤرخ اليمني المتقدم ذكره .

وبعد فليكن قول الله جلّ وعلا (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

ليكن حسن الختام...

حمد الجاسر

التعليقات :

(١) تاريخ ابن غنام المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ـــ ص ٣٤٢ ـــ.

(٢) ابن غنام «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦ .

(٣) أنظر عن غالية مجلة «العرب» س٥ ص ٨٠٠ وس٦ ص ٣٩٤ و«الإعلام» للزركلي حرف الغين ـــ ومجلة «الزهراء» ج١ ص ١١٨ وتاريخ الجبرتي حوادث سنة ١٢٢٩هـ و«البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج١ ص ١٧٣/ ١٨٧/ ١٨٨ تأليف محمود فهمي المهندس المتوفي في سيلان سنة ١٣١١ ـــ منفيا مع عرابي باشا .

(٤) ج١ ص ١٨٧ وما بعدها .

(٥) ص ٥٢٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد : (ليا) إذا : (عاد) : لم (ودوه) : اذهبوا به ويعني السيف . (العرفجية) : المنسوبة إلى آل عرفج ، وغلط فؤاد حمزة فظن الكلمة اسم روضة ـــ كما في حاشية كتابه «قلب جزيرة العرب» ونبهت على ذلك في نقدي للكتاب . ومجمل معنى بيت الشاعر : إذا لم نرو سيوفنا من دم أعدائنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا ـــ كما فعلت العرفجية .
وذكر الدكتور عبدالله العثيمين في كتاب «نشأة إمارة آل رشيد» أن البيت للأمير عبدالله بن علي بن رشيد

(٦) أنظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و١٠٨١ و١٠٩٧ و١١٠٥ و١١٣٣ و١١٣٧ و١١٤٢ .

(٧) : «عنوان المجد» ج٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف .

(٨) : ابن غنام : «تاريخ نجد» : ٨٠ .
(٩) : «عنوان المجد» ج١ ص ٢٤ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م) .
(١٠) : ص : ٣٧ .
(١١) : «معجم اليمامة» ١/٥٣٥ .
(١٢) الزلال : من الأمكنة القريبة من الدرعية . ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس وهو من أهل هذه البلدة — : أنه غير معروف الآن .
(١٣) من كلمات الاعتزاء التي كان الملك عبد العزيز — رحمه الله — يرددها إذا حزبه أمر من الأمور : (أنا ابن مقرن) و(أنا أخو نورة) و(أنا أخو الأنور) و(أنا ابن فيصل) .
(١٤) : «عنوان المجد» : ج١ ص ٧٧٥ و٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(١٥) ج١ ص ٢١٧ .
(١٦) : «علماء نجد» ص ٢٦ .
(١٧) ص ٣٢٩ .
(١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧ .
(١٩) هو عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠/١١٤٣هـ) .
(٢٠) ص ١٩ — طبع (دار الملك عبد العزيز) .
(٢١) : «عنوان المجد» ج٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(٢٢) المصدر السابق ص .
(٢٣) غصيبة : محلة في أعلى الدرعية ، بلغها عمرانها الآن .
(٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر ، بدون تاريخ .
(٢٥) : «تاريخ نجد» : ٧٨ .
(٢٦) : «عنوان المجد» : ١/٢٣ .
(٢٧) : «تاريخ نجد» : ٨٠ .
(٢٨) : ٣١ .
(٢٩) : «عنوان المجد» : ١/٢٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .
(٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم علي إلى سنة ١١٤٣ ثم سليمان . قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادث سنة ١١٦٦هـ : وفيها غدر المهاشير المعروفون من بني خالد في سليمان آل محمد رئيس الأحساء ، ورئيس بني خالد ، فانهزم إلى بلد الخرج ومات فيه . انتهى أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب ، فقال — ص ١٦٧ — بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية : (كان متولعا بحب النساء ، نكح ما يزيد على المئة ، لكنّه لم يجمع إلا بين أربع منهن ، بل كان يأخذ ويطلّق ، وكان يتعرض بنات بني خالد غدراً ، فأنكرت عليه مشايخ الخوالد وبنو أعمامه ، فأجلوه إلى أرض نجد ، ولما وصل اليمامة مات في الطريق فدفن هناك ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) — انتهى . وقد وقع في «عنوان المجد» ج٢ ص ٢٤٠ — طبعة وزارة المعارف غلط نصّه : في ذكر سوابق سنة ١١٤٣ : (قتل سليمان بن محمد رئيس الأحساء ورئيس عربان بني خالد ، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون) . والمقتول هو علي بن محمد وتولى بعده أخوه سليمان بن محمد ، الذي كان معاصراً لظهور الدعوة ومات في الخرج سنة ١١٦٦ .

(٣١) : ٣٢ .

(٣٢) : «عنوان المجد» : ج١ ص ٢٥ — طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

(٣٣) : «تاريخ نجد» : ٨٢ .

(٣٤) «عنوان المجد» ج١ ص ٢٨ .

(٣٥) المصدر السابق : ٣٣/١ .

(٣٦) : ٩٤ .

(٣٧) : «عنوان المجد» ج١ ص ٢٨ و ٤٢ .

(٣٨) حوادث سنة ١٠٩٨/ ١١٠٠/ ١١٢١/ ١١٢٨/ ١١٣٠ .

(٣٩) المصدر : ج٢ ص ٢٤٠ .

(٤٠) : «تاريخ نجد» : ٩٤ .

(٤١) : «عنوان المجد» : ٣٤/١ .

(٤٢) : «تاريخ نجد» : ٩٦ .

(٤٣) : «عنوان المجد» الطبعة الأولى ٢٢ .

(٤٤) : «عنوان المجد» : ٣٦/١ — طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ .

(٤٥) «تاريخ نجد» : ٩٧ .

(٤٦) ج١ ص ٨٩ .

(٤٧) ٢٠٣/٢٠٤ .

(٤٨) مخطوط — أنظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها .

(٤٩) «العرب» س ٧ ص ٤٦ .

(٥٠) المصدر ص ٤٧ .

(٥١) : «عنوان المجد» : ٢٢٨/١/ ٢٦٥/ ٢٦٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

(٥٢) لا يزال مخطوطاً ، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ٨٦٥/ ٨٦٦ .

(٥٣) : «عنوان المجد» ج١ ص ٩٠ — طبعة وزارة المعارف — سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

(٥٤) : أنظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٢٠ وص ٢١٢ .

(٥٥) كتاب «علماء نجد» : ٤٤٣ .

(٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» ص ١٧٧ و٢٢٤ .

(٥٧) هو رحالة سويسري يدعى جون لويس بركهارت (John Lewis Burkhardt) له رحلة إلى بلاد العرب مشهورة ، لخص قسم منها وعرّب .

(٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها .

(٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج٤ ص ٥٦٤/ ٥٨٤ — مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٩هـ .

(٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥ .

(٦١) : «العرب» س ١٢ ص ٧٠١ .

(٦٢) : «علماء نجد» .

(٦٣) : «علماء نجد» : ٩١٦/ ٩١٧ .

(٦٤) : «عنوان المجد» ج١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

الحَفَرُ والأَحْفار

نشرت العرب في الأجزاء السابقة مواد متتابعة من قسم المنطقة الشرقية من كتاب المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية .

[وقد صدر من هذا القسم جزءانِ ، وتكتفي العرب بنشر نماذج من ذلك القسم] .

الْحَفَرُ :

بفتح الحاء والفاء وآخره راء ، وقد تسكن الفاء — وهو في اللغة التراب الذي يستخرج من الحُفْرَة ، والمكان المحفور ، والبئرُ المُوَسَّعَةُ .

ثم عُرِفَتْ مَنَاهِلٌ في بلاد العرب بهذا الاسم ، أشهرها حَفَرُ أبي مُوْسَى الواقع على طريق الحجِّ البَصْرِيّ في وادي فَلْج (الباطن) .

جاء في كتاب « بلاد العرب »[1] : قال بعضهم : إذا جاوزتْ الْحَفَر وهو حَفَرُ أبي موسى الأشعريّ ، وهو حَفَرُ بني العَنْبَرِ ، كانَ أبو موسى احْتَفَر فيه رَكِيَّة — فأنتَ في نجد . انتهى .

وفي كتاب نصر[2] : الْحَفَرُ — بفتح الحاء والفاء — هو الحفر المنسوب إلى أبي موسى الأشعري قرب البصرة .

وقالَ الأزهريُّ في « التهذيب »[3] : والأحفار المعروفة في بلاد العرب ثلاثة ، فمنها حَفَرُ أبي موسى وهي ركايا احتفرها أبو موسى الأشعري على جادَّة الْبَصْرَة ، وقد نزلتُ بها ، واستَقَيْتُ من ركاياها ، وهي ما بين مَاوية والمنجشانيَّات وركايا الحفر مَسْنويَّةٌ ، بعيدةُ الرِّشاءِ ، عذبة الماء — مَسْنويَّة : أي يستقي منها بالسَّانية وهذا كقولهم ، زرعٌ

---

(1) : ٣٣٩ .

(2) الورقة : ٤٣ .

(3) ١٦/٥ .

مَسْقَويٌّ : أي يُسْتَقَى .

ومنها حَفَر ضَبَّة ، وهي ركايا بناحية الشَّواجن ، بعيدة القَعْر ، عَذْبَةُ الماء . ومنها حَفَرُ سعد بن زيد مَنَاة بن تميم ، وهي بحذاء الْعَرَمة وراء الدهناء ، يُستقى منها بالسَّانية ، عند حبل من حبال الدهناء ، يقال له حَبل الحاضر . انتهى .

وأورد ياقوت في «معجم البلدان» قول أبي عُبَيْد السَّكُونيِّ : حَفَرُ أبي موسى مياهٌ عذْبَةٌ ، على طريق البَصْرَة من النِّباج ، بَعْدَ الرقمتين ، وبعده الشَّجيُّ لمن يَقْصُدُ البصرة . وبين الحَفَرَ والشَّجِيِّ عَشَرَة فراسخ[1] .

ونقل الأزهريُّ[2] عن الأصمعيِّ : الهوبجةُ بطن من الأرض ولما أراد أبو موسى حَفْر ركايا الحَفَر ، قال : دُلُّوني على موضع بئر تُقْطَعُ بها هذه الفلاة . قالوا : هَوبَجَةٌ تنبت الأَرْطَى . بين فَلْج وفُليج ، فحفر الْحَفَر وهو حَفَرُ أبي موسى ، بينه وبين البصرة خمس ليال . انتهى .

وكلمة (الهوبجة) لا تزال مستعملة في نجد ، ويقصد بها الأرض المنخفضة ذات الشجر[3] .

وفي «التكملة»[4] : والْهَوبَجَةُ بطن من الأرض ، وقيل : المُطمئِنُّ منها وقيل : منتهى الوادي حيث تدفع دوافعه . قال :

إذا شَرِبَتْ ماءَ الرِّجَام وبَرَّكَتْ ... بِهَوبَجة الرَّيَّان قَرَّتْ عُيُونَها

وفي حديث أبي موسى أنه لما أراد حَفْرَ ركايا الْحَفَرَ قال : دُلُّوني على موضع بئر تُقْطَعُ به هذه الفلاة فقالوا : هَوْبَجَةٌ تُنْبِتُ الأَرْطَى بين فَلْج وفُلَيْج . فَحَفَرَ الْحَفَرَ ولَمْ يَكُنْ بالْمَنْجَشانيَّة ومَاوِيَّة قَطرةٌ ، إلا ثمَادٌ أيامَ الْمَطر ، ثم استعمل سَمُرَةَ[٢] العَنْبَريَّ

---

(١) الفرسخ ثلاثة أميال ، فالمسافة إذن ٣٠ ميلاً — أي نحو ٦٠ كيلاً وانظر رسم (الشجي) .

(٢) : «التهذيب» : ٦ — ٦٥ .

(٣) وكذا الهيج الأرض المنخفضة أيضاً .

(٤) ١/٥٠٥ .

(٥) في مطبوعة «التكملة» (سهرة) والتصحيح من «الفائق» للزمخشري مادة (هيج) .

على الطريق ، فَأذن لِمَنْ شاء أن يَحْفِر ، فابْتَدَأوا في يَوْمٍ سَبْعين فَماً من أفواه البِئار . انتهى .

ومثل هذا في «معجم ما استعجم» للبكري و«الفائق» للزمخشري .

وفي كتاب «المناسك»[1] ما مُلَخَّصُه : أن أبا موسى الأشعريَّ لما أقبل يريد البصرة ، أخذ عَلَى فَلْج ، حتَّى حَلَّ بالْحَفير ، فَعَطِشَ الناس في طريقهم ، فأمر ببئر فاحتفرت فأُنبِطَتْ عَذْبة ، فَقِيْل : حَفَرُ أبي مُوْسَى انتهى .

ولكن الْحَفِيْر يقع شرق الحَفَرُ نحو البصرة بمسافة قدرها صاحب كتاب «المناسك» بنحو ١١٧ ميلاً ، وبين الْحَفير وبين البصرة واحد وثلاثون ميلاً ، فكيف يحل العَطَشُ بأولئك وهم بِالْحَفير ويَحْفر أبو موسى في موضع يبعد عنه تلك المسافة ؟

قد يكون أبو موسى أمر بحفر بئرين في الموضعين إلاَّ أن نصوص المتقدمين تكاد تجمع على أنَّ حَفَرَ أبي مُوسَى هو الحفر المعروف الآن ، وهو غير الحفير .

وفي كتاب «المناسك»[2] : ومن الخرجاء إلى الحفر سبعة وعشرون ميلاً .

وبالحفر آبار ومسجدٌ ، وفيها مِنْبَرٌ وماء عَذْبٌ .

وفيه أيضاً[3] : أن الحفر من عمل اليمامة ، وأن ساكنه بنو العَنْبَر ، وأنَّ فيه منْبَراً .

ومؤلف كتاب «المناسك» من أهل القرن الثالث الهجري .

والقول بأنه مِنْبَر أو فيه مِنْبَرٌ يقصد به أنه بلدة تصلى فيها الجمعة ، وفيها عاملٌ أو أمير أو كما نعبر في عصرنا : مركز حكومي تلحق به أماكن أُخرى .

وورد وَصْفٌ للحفر في القرن الثاني الهجري في أُرجوزة وهب بن جرير الجهضمي المتوفي سنة ٢٠٦ قال[4] :

---

(١)
(٢) ص ٥٧٩ .
(٣) ٦١٢ .
(٤) كتاب «المناسك» ص ٦٢٥ .

حَتَّىٰ إذا مَرَّتْ عَلَى أَهْلِ الْحَفَرْ مَرَّتْ بِمَاءٍ فِي الطَّرِيقِ مُشْتَهِرْ
ذِي حاضرٍ جَمٍّ وَشَاءٍ وعَكَرٌ[1] فَوَضَعَ الْقَوْمُ بِهِ الْوَضَائِعَا
لَدَى امْرِئٍ قَدْ يَحْفَظُ الوَدَائِعَا ابنِ دُكَيْنٍ كَانَ قِدْماً نافِعاً
وأَطْبَخَ الْقَوْمُ بِهَا واخْتَبَزُوا وشَمَّرُوا فِي شَأْنِهِمْ وَأَوْجَزُوا
وأَسْرَجُوا المَطِيَّ ثم اغترزوا

ووصف كتاب «دليل الخليج» الْحَفر قبل ثمانين عاماً بما مُلَخَّصُه[2]

١ ــ أنه محطة مهمة على مسافة ١٦٠ ميلاً من الكويت .

٢ ــ أن عدد آباره ٤٠ منها إحدى عشرة ماؤها صالح ، وهي تقع في سهل واسع يبلغ قطر دائرته ثلاثة أميال ، والمسافة بين تلك الآبار تتراوح بين ربع ميل إلى ١٠٠ ياردة .

وأن عمق تلك الآبار قد يبلغ مئة متر . مطوي منه بالحجر نحو ستة أقدام .

وعمق المياه نحو ٣٠ قدماً ، وهي فاترة وفي الصباح تستطيع أن تشاهد بخار الماء يتصاعد من أفواه الآبار .

وقبيلتا مطير والظفير تردان تلك الآبار ، وقد يردها غيرهما .

٣ ــ والحفر واقع على الطريق الممتد من القصيم ومن جبلي شمَّر إلى الكويت ، والى البصرة .

٤ ــ ويتصل بوادي الحفر منخفضان (واديان) يأتي أحدهما من الشمال يسمى فليج الشمالي ، وهو متصل بخط آبار الطوال ، طوال الظفير وأولها السلمية .

والثاني فليج الجنوبي ، ممتدٌّ جنوباً نحو آبار طوال مُطير ، وأولها اللصافة .

يُفْهَمُ من النصوص المتقدمة :

---

(١) العكر ــ بفتح العين الابل الكثيرة .

(٢) القسم الجغرافي ٩١٧ .

١ ــ أن الحَفَر أُنشيء في القرن الأول الهجري حينما كان أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل أميراً للبصرة، فيما بين سنتي ١٧ و٢٩[١].

ويظهر أنه أصبح قرية من ذلك الوقت، حيث حُفر فيه أكثر من سبعين بِئْراً.

٢ ــ كان وادي فلج (الباطن) الذي يقع فيه الْحَفَر من بلاد بني العنبر، من تميم، ولذلك ولاه أبو موسى سَمُرة العَنبري. وسَمُرة هذا صَحَابيٌّ ترجمه ابن حَجَرٍ في «الإصابة»[٢] وهو سمرة بن عمرو بن قُرْط العنبري.

كان خالدُ بن الوليد وَلاَّهُ اليمامة بعد فَتْحِها، أيام حروب الرِّدَّة.

واستعمله عثمان بن عفان على هَوَامي الإبل. وهي الضَّالَّة.

أما ما ذكر البكريُّ في «معجم ما استعجم»[٣] نقلاً عن عُمَارة ــ وهو ابن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر ــ: الْحَفَرُ والْمَرُّوتُ من منازل التَّيْم من بني تميم فيمكن تخريجه بأنَّ التَّيْم مَعْدُودُون من بني تميم، ومخالطون لهم في المنازل أو أنَّ المقصود حَفَرٌ آخر.

٣ ــ أنَّ الْحَفَر بصفته قريةً ــ استمر في النُّمُوِّ منذ القرن الأوَّل الهجري حتى القرن الثالث حيث كان ذَا منبر ــ أي محل إمارة ــ ثم بدأ به الضعف بعد ذلك لأننا لا نجد ــ فيما بين أيدينا من النصوص مما يتعلق به ــ ما نعرف به شيْئاً عنه بعد ذلك الزمن، وما بين أيدينا من نصوص المؤلفين المتأخرين عن ذلك العهد تتعلق بزمن بعد أزمان أولئك المؤلفين.

ويظهر أن القرية ازدهرت بسبب مرور الحجاج القادمين من جنوب العراق وما وراء ذلك من البلاد الإسلامية، وذلك في خلال القرون الثلاثة المذكورة، فلما استولى القرامطة على البحرين في آخر القرن الثالث الهجري وبدأوا بعد ذلك يتعرضون للحجاج بالنهب والقتل ــ كما فعلوا بهم سنة ٣١٧ بالهبير ــ تعطَّل سير الحُجَّاج، ومن هنا بدأ

(١) أنظر «تاريخ ابن جرير» حوادث سنة ١٧ و٢٩ و«سير أعلام النبلاء» ٣/٢٨٠.

(٢) برقم (٣٤٧٨).

(٣) رسم (الحفر).

الضعف بهذه القرية حتى اضمحلَّت . وبقي منهل الْحَفَر تَرِدُه الباديةُ التي تحل في تلك الجهات .

والأزهريُّ الذي أسرته القرامطة سنة الهبير . ذكر أن الحفَرَ آبارٌ مسْنويَّةٌ — أي يستخرج منها الماء بالسانية لِبُعْد قعرها — ولم يذكر أن الحفَر قَرْيَةٌ .

٤ — وبقي الْحَفَرُ من أشهر مناهل في شرق الجزيرة ، لوقوعه على أهم الطرق الموصلة منها الى العراق ، ثم إلى الكويت بعد إنشائه .

ومن المعروف أنَّ الجزيرة كانت إلى عهد قريب ذاتُ صِلَةٍ قَوِيَّةٍ من الناحية التجارية بتلك البلاد ، بل إنها تعتمد عليها في كثير من جوانب تلك الحياة .

٥ — ولما استَتَبَّ الأمنُ في هذه البلاد قبل خمسين عاماً ، ونشطت حركة التجارة بينها وبين الكويت والعراق أصْبَح الْحَفَرُ ملتقى للقوافل التي تَحْمل التجارة إلى المملكة من تلك البلاد . فاهتمت الدولة به ، وأنشأت فيه مركزاً لتنظيم شؤون التجارة ، ومن هنا بدأت حركة العمران متدرجة حتى أصبح قرية ، ازداد نُمُوُّها بعد العثور على النفط في أماكن قريبة منه ، ثم بعد مدِّ أنابيب النفط .

٦ — والآن بَعْدَ أن أُنْشِئَت بِقُرْبه منشآتٌ حكومية أصبح مدينة يقارب عدد سكانها ١٢١٩٠ في سنة ١٣٩٤ — ولا شك أن السكان زادوا في خلال أربع السنوات الماضية زيادة كبيرة حيث أُنشيء في الحفر مدينة عسكرية ، ومطار . ويتبع الحفر إدارياً ست قرى وثمانية من موارد البادية ، بحيث كان مجموع سكان إمارة الحفر ٢٣٤٢٢ نسمة في عام ١٣٩٤ هـ وقد زاد هذا العدد في خلال السنوات الماضية ، إذ هي من سنى الازدهار العمراني الشامل في جميع أنحاء المملكة .

هذا الْحَفَرُ هو أشهر الأحفار في بلاد العرب ، وأكثرها ذكراً في أخبارهم وأشعارهم وهو المراد عند الاطلاق . كقول الفرزدق[1] :

---

(١) ديوانه : ٢٢١ .

بِحَيث مات هَجِيْر الحَمض واختَلَطَتْ لَصَاف — حول صَدَا حَسَّان — والْحَفَرْ

وقد ذكره مَرَّةً أخرى بصيغة الجمع[١] :

تَـحِنُّ بِـزَوراءِ الـمَـدِينَـة نَـاقَتِي حَـنِـينَ عَـجُـول تَبْتَغي البُوَّ رَائِم
ويَـالَيْـتَ زَوْراءَ الـمَدِينَةِ أَصْبَحَتْ بِأَحْفَار فَلْج أو بِسِيْفِ الْكَوَاظِمِ

وجاء في «ديوان ذي الرُّمَّة»[٢] :

غَـرَّاءُ آنِسَـةٌ تَـبْـدُو بِـمَـعْـقُـلَـةٍ الى سُوَيْقة ، حَتَّى تَحْضُرَ الحَفَرا

وفي شرحه : حين ينفسخ الحرُّ تبدو بمَعْقُلَة الى سُوَيْقة ، أي ما بين هذه إلى هذه . آنسة ليست : بنفور أي تظهر حين تَحْضُر الحفر في الصيف وهو حَفَرُ سَعْدٍ وحفرُ الرِّباب ، بينهما مسيرة ليلة . انتهى ونقله البكريُّ في «معجم ما استعجم»[٣] والذي يظهر لي أنه يقصد حفر فَلْج لذكره معقلة وسُوَيقة ، إذ الحفران اللذان وردَا في الشرح يقعان غَرْبَ الدهناء .

ويلاحظ أن الحفر — في الأصل وَصْفٌ — ثم عُرِفَ به كثير من الآبار ، في جهات كثيرة من بلاد العرب منها : الحفر بقرب كُشُبٍ ، ذكره الهجري وحفر بني الأَدْرَم من بني تَيْمٍ من قريش ، في حمى ضريَّة ذكره الهجري أيضاً والبكري وحفر بني أسد بقرب النائعين في جنوب القصيم ذكره البكري[٤] ، والحفر من مياه البياض وهو حفر الثريا ، ذكره الهمداني[٥] وحفر الرِّباب من المياه القريبة من الدهنا ، وحفر الرمَّانتين من مياه العَرَمة غرب الدهنا ، ذكره الهمداني[٦] ، وحفر بني سعد قرب العرمة ، حدده صاحب «بلاد العرب»[٧] وهو حَفَر العَتْك وحَفْر نَمَلَى ذكره صاحب «بلاد

(١) ٨٥١ .
(٢) ١١٤٦ .
(٣) رسم الحفر .
(٤) : «معجم ما استعجم» : ٨٦٤ .
(٥) : «صفة جزيرة العرب» : ٢٩٨ .
(٦) : ٢٨١ .
(٧) : ٣٠٨ .

العرب »[1] وحَفَر يَنْبَمَ ورد في شعر طُفيل الغنويّ[2] ويبنم في شرقي بيشة بقرب تَثْلِيث .

ويلاحظ أن كلمة الْحَفَر وكلمة الْجفَرْ يُؤَدِّيان مَعْنَى مُتَقارباً ، وكثيراً ما صُحِّفَتْ إحْدَاهما بالأُخْرى ، فقد يكون من بين ما تقدم ما هو مصحف عن (الجَفْر) .

حَفَرُ أبي مُوْسَى :

هو الْحَفَرُ المتقدم ذكره . وأبو موسى هو الصحابي الجليل ، وشهرته تغني عن ترجمته .

الْحَفَرُ الأعْلَى :

قال الْفَرَزْدَق[3] :

أتَصْرِفُ أجْمَالَ النَّوَى شاجِنِيَّةٌ أم الحَفَرُ الأعْلَى بِفَلْج مَصِيْرُها ؟

مفهوم هذا البيت أن المقصود الحفر الواقع في وادي (فَلْج) وهو حَفَر أبي مُوْسَى ، الواقع في ذلك الوادي ، المعروف الآن باسم (الباطن) .

ولكن جاء في كتاب « بلاد العرب »[4] ما نصه : والأحْفَارُ ثلاثة : حَفَر العَنْبر ، وحفر الرِّبَاب ، وحَفَرُ سَعْد . قال :

بِالْحَفَرِ الأَعْلَى مِنَ الأَحْفَارِ .
والأَعْلَى هُوَ حَفَرُ سَعْد . انتهى .

ولعلَّ كلمة (الأَعْلَى) صفة نِسْبِيَّةٌ ، تختلف باختلاف القائل ، فالفرزدق وَصَفَ حَفَرَ فَلْج بها لوقوعها في أعلى بلاده ، والراجز كذلك .

---

(1) : ١٣٦ .
(2) « صفة جزيرة العرب » ٣٢٥ .
(3) ٤٥٤ .
(4) : ٢٩٤ .

حَفَرُ سَعْدٍ :

نقل ياقوت في «المشترك» عن ابن أبي حفصة : حَفَرُ سَعْدٍ ببطن السِّيدان ، بقرب الدهناء . انتهى ولم أره ذكر هذا في «معجم البلدان» وأخشى أن يكون في عبارة كتاب «المشترك» نَقْصًا ، إذ النصوص التي بين أيدينا قد حَدَّدت حَفَر بني سعد ، وأنه يقع غرب الدهنا ، بعيداً عن السِّيدان وبنو سعد هم الفرع المشهور من بني تميم وكانت بلادهم تمتد من يبرين جنوباً حتى السيدان شمالاً .

حَفَرُ السُّوبَان :

أورد ياقوت في «معجم البلدان» شاهداً له ، ولَمْ يُسَم القائل :

أفي حَفَرِ السُّوبان أصْبَحَ قَوْمُنا   عَلَيْنَا عِضَاباً كُلُّهُمْ يَتَحَرَّقُ

كذا أورده والسُّوبانُ موضع لا يزال معروفاً سيأتي تحديده — وليس بعيداً عن حَفَر فَلْج ، ولا عَنِ الشَّوَاجِن التي يقع فيها حَفَر ضَبَّة — على ما سيأتي — فهو أحَدُ الحَفْرَين ، وأُضيف إلى السوبان لقربه منه .

حَفَرُ السِّيْدان :

أورد ياقوت «معجم البلدان» شَاهِداً له لِلسَّمْهَرِيِّ الْعُكْلِي اللِّصِّ :

بَكَيْتُ وَمَا يُبْكِيكَ مِنْ رَسْمِ مَنْزِلٍ   عَلَى حَفر السِّيْدَانِ أصْبَحَ خاليًا

وجاء في كتاب نَصْرٍ[1] : الْحَفَرُ — بفتح الحاء والفاء — هو الحفر المنسوب إلى أبي موسى الأشعري قرب البصرة . وحَفَر الرِّبَاب . وحَفَرُ سعد ، موضعان من ديار تميم . وحَفَرُ السِّيدَانِ عند كاظمة انتهى .

والسِّيْدَانُ يقع شرق الجزيرة ، داخل في حدود الكويت ، سيأتي تحديده في

---

(١) الورقة : ٤٣ .

موضعه . وسيأتي شاهد لحفر السِّيْدانِ من شعر جرير في رسم الرحَا .

حَفَرُ ضَبَّة :

ذكره ياقوت في «معجم البلدان» منسوباً إلى ضَبَّة بن أُدٍّ بن طابخة ابن إلياس بن مضر ، وقال : وهو ركَايا بنواحي الشَّواجن ، بعيدة القَعْر ، عَذْبَة الماء . وقال عن الشواجن : اسم وادٍ في ديار ضَبَّة في بطنه أطواء كثيرة منها لصَافٍ واللِّهَابَةُ وَثَبْرَةُ ، ومياهُهَا عَذْبَةٌ . وقريب من هذا قول صاحب كتاب «بلاد العرب»[٢] والقرعاءُ واللِّهَابَةُ ولَصَافِ وطُويلع وما حَوْلَهُنَّ يُسَمَّيْنَ الشَّاجِنَة ، وهي دون الصَّمَّان في أسافله . انتهى . ولا تزال تلك المناهل معروفة — سيأتي تحديدها . ولكنها لا تعرف باسم الحفر .

حَفَرُ بني الْعَنْبَر :

هو حَفَرُ أبي مُوْسَى ، وبَنُوْ العَنْبَر كانوا يسكنون وادي فَلْج ، قَبْل حَفْر آبار الْحَفَر في عهد أبي موسى في القرن الأول الهجري ، وقد كان فَلْجُ من بلاد فروع من ربيعة من بكر بن وائل وغيرهم فأزالتهم بنو تميم عند ظهور الإسلام ، وحلت فروع منهم كبني العنبر وغيرهم هذا الوادي .

الْحَفْرَان :

— مُثَنَّى حَفْر — تقدم قول الفرزدق :

وَحِيْدَ له الْحَفْرَانِ ، من ذي جَمَاجِمِ[٢] ،

والقول بأنه يظهر أن المراد بهما حفرُ ضَبَّة بالشواجن أسفل الصَّمان وحفر أبي موسى أو حفر السِّيدان شرقي حفر الباطن . وتقدم الكلام على (الأحفار) في هذا الرسم .

---

(١) ٣٥٥ .

(٢) حرف الجيم رسم (جماجم) ص ٤١٣ .

التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر
للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ

يعتبر تاريخ الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر عمدة لتاريخ نجد ، ودولة آل سعود في دوريها الأول والثاني من حيث شمول مادّته ، وتحقيقه وأمانة نقله ومعاصرته لِجُلّ أحداث تلك الفترة وعدم مزاحم له في هذا المجال ..

ورغم ما ذكرنا فإن جوانبَ مطويَّةً وعباراتٍ مُقتضبة ، وقضايا تستحق التحقيق والتعليق ، مما يجعل قارئه في كثير من المواقف يطلب مزيداً من إيضاح ، وبسطاً من بيان ..

وكانت طبعاته الأولى تنقصها الدقّة ، ويعوزها التّحقيق .. مما جعل (وزارة المعارف) ممثلة في وزيرها آنذاك الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ تدرك هذا النقص فتندب نفسها للعمل على تحقيق هذا الكتاب والتعليق عليه ومن ثم طبعه .. فأسندت هذا العمل للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ .. فبذل في ذلك جهداً وأنفقَ وقتاً وأتى بجديد .. فلقد فصل سوابق هذا الكتاب (وكانت مبثوثة في تضاعيفه) وجعلها ذيلاً له ، وألحق به تاريخ «عُقد الدُّرر» للشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى فحققه أيضاً وعلق عليه لأنه يعتبر مكملاً لتاريخ ابن بشر ، وقامت (وزارة المعارف) بطبعه وتوزيعه ، ومنذ ، صدرت طبعته المحققة عام (١٣٩١هـ) وأنا أُمَنِّي نَفْسي بقراءته ، ولكن لم تُوَاتني الظروف حتى عَزَمْتُ على زيارة بعض دول جنوب آسيا في شهر جمادي الأولى من عام (١٤٠٠هـ) فوجدتُها فرصة أصطحب فيها هذا الكتاب معي لِأَقْرَأَهُ في أوقات فراغي ، فكان ذلك ، فعثرتُ فيه على بعض الملاحظات التي وجدت من أمانة التاريخ أن أُنَبِّهَ عليها ..

إنَّ الشيخ عبد الرحمن ــ كما قلت آنفاً ــ قد بذل فيه جُهْداً ووقتاً يشكر عليهما غير أن ذلك لا يمنعني من أن أُسَجل بعض هذه الملاحظات التي لا يخلو منها أثر ، ولا يطمع في السلامة من وقوعها من يتصدَّى العمل مثل هذا .. ولا يمكن أن يستنكف منها من

هو عرضةٌ للنقص .. وهو أمرٌ يصدق على سائر البشر إلا من ثَبَتَتْ لهم العصمة ..

١ — من حيث الشكل وجدت الشيخ كرر التعليقات على الموضوع الواحد أحياناً أربع مراتٍ ، وربما أكثر ، وربَّما أقل ، وقلَّ أنْ يأتي بجديد فيما كرر من تعليقات ، وحتى لو كان هناك جديد فمن المتعيّن أن يكون التعليق واحداً مستوفى .. وهذا الذي فعله الشيخ جعل حجم التعليق يكثر بشكل ملحوظ على غير طائل ..

٢ — عتب الشيخ على ابن بشر أنه يستعمل لغة (البراغيث) وعتب عليه مرة أخرى أنه لا يعبأ بقواعد اللغة العربية .. بينما نحن نرى الشيخ نفسه وقع له في هذه التعليقات عدة لحنات ، وأبيات شعرٍ مكسورة ، ولغة عامية .. فسبحان من لا يَتَأَتَّى عليه الخطأ ولا يدركه النقصان ..

على أن لغة : (أكلوني البراغيث) وإن كانت لغة مرجوحة إلا أنّها قد جاء بها القرآن الكريم قال تعالى : (.. وأسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِيْنَ ظَلَمُوا) . وأتَتْ بها السنة المطهرة ، قال ﷺ : «يَتَعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار» ووردت على ألسنة العرب .. وقد حاول بعض المخرجين أن يُؤَوِّلَ ذلك بتأويلاتٍ لا تخلو من تكلف .

٣ — جاء في صفحة (٥٨) ذكرٌ لعرقة القرية المعروفة الواقعة بين الرياض والدرعية ، وأورد الشيخ ما قاله ياقوت عنها بأنها (العوقة) بالواو ومحلاة بالألف واللام ..

والحقيقة يا شيخنا أنَّ لياقوت في (عرقة) قولين مرة قال : إنها العرقة كما أورد الشيخ ، ومرة قال : (عوقة) بالواو بدل الراء ، وأوردها الهمداني بالواو أيضاً ، والوصف في كلا القولين متَّفِقٌ على أنها هي هذه القرية المعروفة الآن (عرقة) غير أن المرجح أنها تسمى قديماً (عوقة) بالواو ، أنظر «معجم اليمامة» صفحة (١٩٠) الجزء الثاني وصفحة (١٤٤) نفس الجزء . قلت : وهناك قرية صغيرة بوادي (تَثْلِيْث) تحت قرية (الْمَظَّة) تسمى (عرقة) .

٤ — قال الشيخ صفحة (٦٣) عن نسب آل سعود : وقف المؤلف (يقصد ابن بشر) على ما فوق مانع ، فنقول (القول للشيخ) : هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد من رؤساء قبيلة عَنَزَة بن أسد .. إلخ .

فما أدري ما الذي أوقف الشيخ هنا عند (مريد) ولم يستمرَّ في سردِ سلسلة النسب وأقحم (عَنَزَة) هنا إقحاماً؟! أَلَمْ يأْخُذْ نسب آل الشيخ بادِئاً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى انتهى بهم إلى عدنان، مع أنه يدرك أنَّ المريدي الذي ذكره من مردة بني حَنيفة، وأن الدروع الذين يسكنون (الجزعة) و(حَجْراً) من وادي حنيفة هم بنو عم الدروع الذين يسكنون الدرعية الأولى من المنطقة الشرقية، وبهم سميت دِرْعِيَّة العارض، والكل من بني حنيفة.. فلماذا وقفت يا شيخنا هذه الوقفة ثم قفزْت إلى عنزة؟! المقام لا يسمح للمحقق أن يعمل هكذا..

٥ ـــ وفي صفحة (٧٣) قال الشيخ: إن من قرى (المحمل) (القرينة) و(مَلْهَم) و(صلبوخ) ثم مضى يقول: وكان (تُميْر) يُعَدُّ قديماً في قرى الوشم.. إلخ.

والصحيح يا شيخنا أن (القرينة) و(مَلْهم) و(صلبوخ) من (الشَّعيْب) لا من المحمل، وقد تَبِعْتَ يا شيخنا في هذا من أَلْفَوْا عن بلادنا وهم لا يعرفونها، والمفروض أننا نصحح أخطاءهم لا أننا نُقَلِّدهم..

أما من يَعُدُّ (تُمَيْراً) من الوشم ـــ ولو كان من المتقدمين ـــ فهو خطأٌ منه وقَوْلٌ على غير هُدىً، فتُمَيْر من قرى (سُدَيْر) شرقيه، والوشم منطقة تقع غربيَّ سُدَيْر بينها وبينه سلسلة (جبل طُوَيْق) وشتَّان بين مُشَرِّقٍ وَمُغَرِّبٍ، وانظر «معجم اليمامة» الجزء الأول صفحة (٢٠١) تجد هذا الموضوع محققاً هنالك..

٦ ـــ قال الشيخ صفحة (٨٣) وأما إقليم اليمامة المذكور في كتب المعاجم والسير والتاريخ فقد امحى اسمه وحلَّ محله العارض انتهى.

والواقع أنَّ العارض جزء من اليمامة حسب مسماه المصطلح عليه أخيراً، لا أنَّه اليمامة كلها فتحديد اليمامة أوسع من ذلك بكثير جداً.

٧ ـــ في نفس الصفحة قال الشيخ: وأهل نجد يقولون بلغتهم الإصطلاحية الدارجة: نكس فلانٌ إلى محله أو بلده، أو نكس على أهله أي رجع انتهى.

والواقع يا شيخنا أنها ليست لغة دارجة اصطلاحية وإنما هي لغة فصيحة دخلها التَّناوُبُ بين حرفي السين والصاد، فأصلها (نكص) لغة عربية معروفة جاء بها القرآن.

٨ ـــ وجاء في صفحة (١٧٠) قول الشيخ: (المُقْوِيْ) عند أهل نجد بلغتهم العامية الاصطلاحية الذي مضى عليه يوم أو ليلة أو أكثر لم يَجِدْ طعاماً يأكله. انتهى.

والواقع يا شيخ أنّها ليستْ لغة عامية اصطلاحية وإنما هي لغة عربية فصيحة جاء بها القرآن ، قال تعالى : (نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً لِلْمُقْوِيْن) وانظر أقوال المفسرين على تفسير هذه الآية .. فقومك ينزعون دائماً إلى الفصيح ..

٩ ــ وفي صفحة (٢٢٦) قال الشيخ : قوله يحوشونهم أي : يمنعونهم بلغة أهل نجد الاصطلاحية الدارجة ..

ولماذا يا شيخ لغة اصطلاحية دارجة ؟! ألم تعلم أنّها لغة فصيحة صريحة .. راجع معاجم اللغة ..

١٠ ــ وجاء في صفحة (١٣١) عن تاريخ بَدْءِ ولاية آل حميد في الخط البيتان :

رَأَيْتُ الْبَدْوَ آلَ حُمَيدْ لَمَّا ... تَوَلَّوْا أَحْدَثُوا فِي الْخَطِّ ظُلْمَا
أَتَى تَارِيخُهُمْ لما تَوَلَّوا ... كَفَانَا اللهُ شَرَّهُمُ (طَغَى الْمَا)

نَسبها الشيخ لمحمد بن لعبون النجدي ، والواقع أنهما ليسا لابن لعبون وإنما أوردهما في تاريخه مُسْتَشْهِداً وإلا فَهُمَا لأحد أدباء القطيف كما نص على ذلك ابن لعبون نفسه في تاريخه .

١١ ــ وفي صفحة (٢٤١) قال الشيخ عن نسب آل صباح وآل خليفة والأُسَر التي تشاركهم النسب قال : ولا أدري ما معنى تَسْمِيَتِهم بالْعُتُوبِ ، ولا ما هو سببها وقد أعيا الباحثين من النسابين والمؤرخين الوقوف على سبب تسميتهم بالعتوب ، وعندي أنها ولا شك تعني معنى اللقب لا معنى الأصل والنسب .. انتهى .

قلت : ذكر النَّبْهاني في «تاريخ البحرين» أن فخذ جُمَيْلة من عَنَزة يتفرغ منها فصيلة تدعى بني عُتَيْبَة وهي التي منها آل خليفة وآل صَبَاح وآل ابن علي وغيرهم . نقل لي هذا الكلام الشيخ يوسف الصديقي القاضي بمحكمة البحرين عن تاريخ النبهاني حينما لقيته في (بمبي) في رحلتي هذه .

أما صاحب كتاب «كنز الأنساب» فيقول : آل صباح وآل خليفة بني عُتْبَة فصيلة من جميلة فخذ من عنزة ، ويطلق لفظ العُتُوب على آل خليفة وآل صباح وآل ابن علي ..١هـ .

ومؤلف «كنز الأنساب» ــ كما تعرف ــ عَنَزِيٌّ والناس أُمَنَاءُ على أنسابهم . ومن حَفِظَ حُجَّةٌ على من لم يحفظ ..

١٢ ـــ وفي صفحة (٢٥٥) قال الشيخ : قول المؤلف عند أبانات لعله تصحيف من الناسخ وإلا فهما أبانانِ . إلخ .

والواقع يا شيخ أن أهل نجد يسمونها أبانات ربما يقصدون الجبلين وما حولها وربما من باب تسمية المثنى بالجمع وهو كثير على ألسنتهم ..

كما أن هناك من العرب من يفردهما وقد أكثر الشعراء من إفرادهما قال امرؤ القيس :

كَـأَنَّ أبـانـا في أَفَانِيْنِ وَبْلِهِ ... كـبير أُنـاسٍ في بِـجَادٍ مُزَمَّلِ

ومثله زهير ومثله عبدالله بن قيس الرقيَّات ، ومثله الحطيئة ومثله لَبِيد وأوس بن حجر والطرمَّاح .. إلخ .

ومن الشواهد على جمع أهل نجد لأبانين قول عُبَيْد الحمود :

الْعَوْدْ عند النَّاسْ مالهْ جَلَالِ ... والْعَفْنْ صارتْ كُبَّر أبانَاتْ عِلْيَاهْ

وقول ابن سُبَيِّل :

يوم الركايب عقّبَنْ خشْمَ أَبَانَاتْ ... ذكرتْ مَلْهُوفَ الْحَشَا مِنْ عَنَايَهْ

ويقول محسن الهزّاني :

مرباعها ما بين أبانات والخال ... نَاحِيْن عنه الدوسري والحسيني

١٣ ـــ وفي صفحة (٢٦٧ ـــ ٢٦٨) علق الشيخ على ذكر ابن بشر لخنادق أهل الدرعية ومتاريسهم الحربية إبَّان حربهم مع جنود محمد علي حينما قال : ويليه في تلك الجهة عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود عند (ناظرة) علق الشيخ هنا وأكثر التعليق وجاء بأقوال علماءِ المنازل والديار عند (ناظرة) ثم قال : ويغلب على الظن أنَّ جريراً عني بأبياته الثلاثة ناظرة المؤلف هنا .. إلخ وما (ناظرة) الدرعية يا شيخنا سوى ظَهْرٍ صغير يقع بين سور الدرعية شمالاً وشرقاً وغَصِيبَة جنوباً والسلماني غرباً ظَهْرٌ لا يُؤْبَهُ له ، ولا يعرفه جرير وما به ما يوجب المعرفة والشعر والبحث الطويل العريض ، ولا من الحبة ما يجعل قبة .. فناظرة جرير يا شيخنا غير هذه ، وما آفَةُ الأخبار إلا رُوَاتُهَا ..

١٤ ـــ وجاء في صفحة (٢٨٣) نسبة هذا البيت :

أقول قولاً بَـيِّـنـاً ظـاهِـرْ ... كَـمْ تَـرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِـرْ

نسبة هذا البيت للفاخري .. والصحيح أنه شعر له حكم المثل ركبه الشعراء كثيراً

يمثلون به فلأني تمام من قصيدة يمدح بها رجلاً اسمه أبو سعيد مطلعها :

قـل للأمير الأرْيحِيٍّ الـذي كـفَّـاهُ لـلـبـادِي ولـلـحـاضر

ومنها :

لَا زالت من شكري في حُلَّةٍ لَابِسُـهـا ذُوْ سَـلَـبٍ فـاخـر
يـقـولُ من تَـقْـرَعُ أسْمَـاعَـهُ كَـمْ تَـرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِـر

١٥ ــ ذكر الشيخ سكان الدرعية في صفحة (٢٩٠) وذكر سبع أُسَرٍ فقط من سكَّانها وقال عن الباقين : إنّهم لفيف غيرهم ، ويدخل في هذا اللفيف عند الشيخ الأُسَر التي كانت تسكن الدرعية منذ عهدها الأول كآل دخيل وآل داوود وآل خميس وآل عثيم ، والغصاصمة وأُسر أُخْرى قديمة وطارئة ، أدخلهم الشيخ في حكم اللفيف ..

وأمانة المؤرخ أن يقول الحق ولا تأخذه العاطفة أو تذهب به الْعُنْصُرِيَّةُ الحمقاءُ ..

١٦ ــ وجاء في صفحة (٣٧) من الجزء الثاني من «عنوان المجد» وتكررت أكثر من مرة أنَّ حوطة بني تميم تبعد عن الرياض مايتين وأربعين كيلاً .

والصحيح يا شيخنا أنها تبعد مئة وأربعين لا مئتين وأربعين .

١٧ ــ وجاء في صفحة (٤٧ جـ ٢) عن وقعة (السبية) أنها سميت بهذا الاسم لكثرة ما وقع بها من السَّبْي .. وقد اتفق مع ابن بشر في ذلك مع أن التعليل غير صحيح فقد سميت السَّبِيَّة باسم نقا الرمل المسَّى بهذا الاسم شرق الدهناء وهي مشهورة وردت في شعر ذي الرمَّة وتسمية الوقعات باسم الأمكنة التي وقعت فيها شيءٌ معروف كوقعة بدر وأحد ووقعة السبلة وجراب والصَّرِيف وجُوْدة .. إلخ .

١٨ ــ وجاء في صفحة (٨٩ جـ ٢) قول الشيخ : وقد حصل في الصَّريف المذكور وقعة سنة (١٣١٨ هـ) بين الإمام عبد الرحمن بن فيصل ومعه مبارك الصباح وبين محمد العبدالله الرشيد .. إلخ .

والصحيح يا شيخنا أن وقعة الصريف كان القائد الرشيدي فيها الأمير عبد العزيز بن متعب لا محمد آل عبدالله إذ أن محمد آل عبدالله قد توفي عام (١٣١٥ هـ) ووقعة الصريف عام (١٣١٨ هـ) .

ثم لو قال الشيخ : إن الوقعة كانت على مبارك الصباح ومعه عبد الرحمن آل فيصل وكان أصح إذ إن قيادة ذلك الجيش في هذه الوقعة بيد ابن صباح .

١٩ ـــ وقال الشيخ في صفحة (٩١ جـ٢) : جبل شَمَّر هو المعروف في التاريخ ومعاجم البلدان بجبل طي عند أجأ وسَلْمَى .. إلخ .

وجبل شمر يا شيخنا هو أجأ وأحياناً يُثَنَّى ويُراد به أجأ وسَلْمَى ، فلا داعي للعندية هنا بحيث يكون جبل شمر شيئاً وأجأ وسلمى شيئاً آخر ..

ثم إن الشيخ سرد بلدان جبلي طيء وجعل منها ضَرْغَطاً وضريغطا[١] والنبوان والحائط والحويط .. الخ .

وهذه لا تُعَدَّ من جبلي طيّء وإن كانت تابعة لإمارته ، ففرقٌ بين التَّبْعِيَّة الإدارية والتبعية الجغرافية .

٢٠ ـــ وفي صفحة (١٠٦ جـ٢) قال الشيخ عن قرية الحائر : إنها تقع في شعب فيه نخيل وزروع وآبار .. إلخ .

وفات الشيخ أنها تقع في وادي حنيفة ضمن البلدان والقرى التي يَمُرُّ بها حتى يصب في (الخرج) فقول الشيخ إنه شعب يوهم أن ذلك الشِّعْب مُستَقِلٌّ بذاته .

٢١ ـــ وقع في عبارة الهمداني التي ساقها الشيخ في الحديث عن بلدة (سدوس) وقع فيها إرتباك في العبارة وتقديم وتأخير فاقتضى التنبيه .

٢٢ ـــ وعلق الشيخ على قول ابن بشر : وفيها كانت وقعة الكيثال ، وهو موضع معروف بنجد علق على ذلك الشيخ بقوله : كذا في الأصل وصوابه الأكثال . ولا أدري من أين جاء الشيخ بهذا الصواب مع أن ما ذكره ابن بشر هو الصحيح فالأكيثال جبلان معروفان غرب (رمل السرة) بينهما وبين جبلي (ذقانين) أعرفها ، يَمُرُّ طريق (بيشة) بينهما فتصحيح الشيخ هنا اقتضى التصحيح .

٢٣ ـــ وفي صفحة (١٣) من كتاب «عقد الدرر» لابن عيسى علق الشيخ على هذا البيت :

وأشرف على وادي اليمامة قائلاً ودمعك سفَّاح على الخدّ والثَّدِي

---

(١) الصواب ضرغد وضريغد ، بالدال لا بالطاء (العرب) .

قال الشيخ : لو قال رحمه الله : (على النَّحْر والخد) لكان أولى .

وما علم الشيخ أنه لو قال هذا لَاخْتَلَّ رويُّ البيت ، عن سائر القصيدة ففرق بين الثدي والخدِّ في نظام الوزن .

٢٤ — وفي صفحة (٢١) من «عقد الدرر» علق الشيخ على (ساق الجواء) فقال : وهو مُنْفرد من جبال الجواء ومن جبال الوشم ومن صارات .. الخ .

ولعل الشيخ أراد ومن جبال (الموشَّم) وإلا فأَيْنَ الوشم من ساق الجواء ؟!

٢٥ — وفي صفحة (٥١) من «عقد الدرر» علق الشيخ علي قول صاحب هذا الكتاب : وفي هذه السنة شرع الإمام عبدالله الفيصل في بناء قصره الجديد المعروف في بلد الرياض ..

علق الشيخ على ذلك قائلاً : هو قصر المُصْمَك ، وهو القصر الذي هجم فيه جلالة الملك عبد العزيز على حامية ابن رشيد وعلى رأسهم عجلان بن محمد ، وأخرج الحامية واستولى على الرياض ..

والصحيح يا شيخنا أن قصر عبدالله بن فيصل الذي يعنيه المؤلف غير قصر المصمك فالمصمك الذي بناه ابن رشيد . أما قصر عبدالله فهو الواقع على شارع الثُّمَيْري بعد مدخل باب الثُّمَيْري بقليل ، وقد اختفى أَثره في العمران الجديد .

وكنت قبل أذهب إلى ما ذهبت إليه وسجلته في كتابي «معجم اليمامة» حتى نبهني علي ذلك ثقات من شيوخ أهل الرياض ومنهم الأميرسعود بن هذلول ومحمد بن دهمش وغيرهم .

هذا ما اقتضى التنبيه على تحقيق الشيخ وتعليقه ، وهنالك أَخْطاءٌ وقعتْ في أسماء الأعلام سواء كانت جغرافية أو غيرها وهناك أخطاء لغوية وتَصَوُّرَاتٌ وهمية يطول بنا الدرب لو ذَهَبْنَا نسردها ..

فعسى أن يتنبَّه لها الشيخ عند إعادة طبع الكتاب ..

وما أردت من هذه التنبيهات إلا محاولة المشاركة في تَصْفِيَةِ تاريخنا من بعض الأخطاء العالقة به والله ولي التوفيق ،

عبدالله بن محمد بن خميس   **١٤٠٠/٧/٢٢هـ**

قرى بني مالك

جاءنا من الأخ أحمد بن عبد الرحيم المالكي ما ملخصه :

لقد قرأت بمجلتكم الغراء «العرب» تحت عنوان (قرى الطائف — وسكانها) للكاتب محمد الهلالي ص (٤١٩) العدد ج ٥ و٦ س ١٣ ذو القعدة والحجة سنة ١٣٩٨ هـ عن قرى (بني مالك القريع) التي تبعد عن الطائف ٢٢٠ كيلاً تقريباً .

وحيث أنني من قراء هذه المجلة الذين يعتزون باقتنائها ومتابعة ما يرد بها من أخبار تراث هذا الوطن الغالي . فقد وجدت بعض الاختلاف والأخطاء في بعض أسماء تلك القرى الوارد ذكرها في العدد المشار إليه .. لذا ، أحببت إيضاح ذلك بالبيان المرفق ولا يفوتني أن أشير الى سبب تأخير هذه الملاحظة حتى هذا التاريخ وهو رغبة مني في جمع المعلومات الوافية الصحيحة وقد أضفت القرى التي لم يرد ذكرها في العدد المذكور .

قبائل بني مالك : تتفرع الى أربع قبائل :

١ — بني حرب . ٢ — بني علي . ٣ — أبالنُّعَيْم ، ٤ — بني عَمْرٌ (بإسكان الميم)[١] ويتفرع من كل قبيلة من هذه القبائل أفخاذ صغيرة .

وتنقسم منطقة بني مالك السراة إلى منطقتين هما :

أ — حَدَاد بني مالك : وتقطن هذه المنطقة قبيلتا أبالنُّعَيْم ، وبني عَمْرٌ (عمرو) وبعض أفراد قبيلة بني عمر يقطنون تهامة .

ب — القُرَيْع بني مالك : وتقطن هذه المنطقة قبيلتا بني حرب وبني علي . وبعض قبائل بني حرب وبني علي يقطنون تهامة .

---

(١) تكتب (عمرو) للتفريق بينها وبين (عمر) بفتح الميم .

وأنا هنا بصدد تصحيح بعض أسماء القرى التي وردت خطأ مع إضافة القرى التي لم يَرِدْ ذكرها التابعة لمنطقة القرْيع . وباسمائها الصحيحة . وأسماء الشيوخ [1] والقرى التابعة لهم :

العدد اسم القرية اسم القبيلة

١ — القُرَيع (مقر الإمارة) — بني علي .
٢ — الحمدة — بني علي .
٣ — القصرة — بني علي
٤ — القاضي — بني علي .
٥ — أيل هيف — بني علي
٦ — الجومان — بني علي .
٧ — أيل هادي — بني علي
٨ — الدعاملة — بني علي
٩ — الدارين — بني علي
١٠ — الحنانة — بني علي
١١ — الخباتية — بني علي.
١٢ — الزبرة — بني علي
١٣ — رماح — بني علي
١٤ — العتلة فيها مدرسة ابتدائية — بني علي
١٥ — لاجابر — بني علي
١٦ — الرفاعة — بني علي
١٧ — العشة — بني علي
١٨ — الْجَمَالْ — بني علي
١٩ — ايل أبو زيد — بني علي

(١) «العرب» حذفنا أسماء الشيوخ لأنهم يتغيرون .

٢٠ — المحاميد — بني علي
٢١ — الصفاء — بني علي
٢٢ — الحلوي — بني علي
٢٣ — الفراع — بني علي
٢٤ — كيد الأموال — بني علي
٢٥ — الشبان — بني علي
٢٦ — ايل بلال — بني علي
٢٧ — الملد — بني علي
٢٨ — قريش — بني علي
٢٩ — الجملان — بني علي
٣٠ — إيل هزاع — بني علي
٣١ — العبله — بني علي
٣٢ — الحده — بني علي
٣٣ — عتام — بني علي
٣٤ — الجريعاء — بني علي
٣٥ — الشلاء — بني علي
٣٦ — المقلع — بني علي
٣٧ — عفراء — بني علي
٣٨ — عُويَّا — بني علي
٣٩ — العسن — بني علي
٤٠ — قريظة — بني علي
٤١ — الخدب — بني علي
٤٢ — المروة — بني علي
٤٣ — الوهسة — بني علي
٤٤ — قملان — بني علي

٤٥ ــ آل مليحه ــ بني علي
٤٦ ــ حِرفْ ــ بني علي
٤٧ ــ المسالمة ــ بني علي
٤٨ ــ آل بلد ــ بني علي
٤٩ ــ الشمول ــ بني علي
٥٠ ــ المرازيق ــ بني علي
٥١ ــ آل سعد ــ بني علي
٥٢ ــ آل بشير ــ بني علي
٥٣ ــ جرداء بني عاصم (وفيها عدد من القرى في تهامة) وكل القرى التي تقدم ذكرها سكانها بنو علي.

أما قرى بني حرب فهي:

٥٤ ــ الخضارين
٥٥ ــ الحدب
٥٦ ــ الجنادله
٥٧ ــ النجمة
٥٨ ــ الرهوة
٥٩ ــ إبل عياش
٦٠ ــ النهاريين
٦١ ــ الأشرق فيها مدرسة متوسطة
٦٢ ــ الصفح
٦٣ ــ بني دحيم
٦٤ ــ الحنو
٦٥ ــ القرن
٦٦ ــ الربعة
٦٧ ــ الصخيرة

٦٨ — الزهرة
٦٩ — الجبابير
٧٠ — العازب
٧١ — المفاتيح
٧٢ — إبل خضر
٧٣ — الفرادسة
٧٤ — العبد الهادي
٧٥ — القطفان
٧٦ — الحورية
٧٨ — العاصد
٧٩ — القطره
٨٠ — الأصافرة
٨١ — القضاة وفيها مدرسة للبنين ومدرسة للبنات .
٨٢ — الدار
٨٣ — المعلاة
٨٤ — الكظامة
٨٥ — شعب صالح
٨٦ — الحديب
٩٧ — العين
٨٨ — الطوال
٨٩ — البشران .

وكتب إلى مجلة العرب الصديق الكريم الأستاذ يحي بن علي عكور من بيشة ما يلي :

ومن قرى بني مالك الْقَهَبْ .. وهو غير القهب الذي سبق ذكره في الجزء ين ٥ و٦ س ١٣ أما هذا القهب الذي نتكلم عنه فيطلق عليه قهب عبد الرحيم بن قواش ويقع على قمة جبل صغير ممتد من الجنوب إلى الشمال ، بطول كيلين ، في سفح هذا الجبل من

الجنوب قرية عطية أبو طلايب ، ويقع هذا الجبل شمال شرق قرية الحفرة .

القرية الثانية شعب بني دُحَيْم وهو شعب تحيط به سلسلة من الجبال من الجهة الشرقية والغربية الجنوبية ، ويطلق عليه شعب بني دحيم ، وهو أيضاً قريب من قرية الحفرة ، وبنو دُحَيْم هؤلاء من بني حرب ، وهم غير دُحَيْم الذين سبق ذكرهم في الجزء ين ٥ و٦ س ١٣ ، فدحيم الأولى من قبيلة أبا النُعيم بجيله ، وبنو دحيم هم الذين يضاف الشعب إلى اسمهم فيقال له شعب بني دحيم وهي حربية النسب وقبيلة بني حرب هم بنو ظُوَيْلمْ بالتصغير وآل ثواب وبنو دحيم وينقسمون إلى قسمين قسم منهم في الحجاز وقسم منهم في تهامة ويطلق عليهم بنو مالك التهمِ ولبني مالك سوق مشترك بينهم وبين زهران وهو سوق الحَجرة ويقام يوم الأحد دورياً ، ويجلب إليه كثير من الفواكه التي ترد اليه من الحجاز من القبيلتين زهران وبني مالك فمن هذه الواردات العنب بأنواعه والرمان والتين الذي يسمونه الحَماط والتين الشوكي ويطلق عليه البرشومي أو البرشوم والخوخ واللوز ومن الحبوب التي تجلب لهذا السوق الذره الصفرا وهي من أجود الحبوب وأنفعها أكلاً وألذها طعماً والحبشي الذي يطلقون عليه اسم حب العبيد والسَّيّال والعدس والبُسَيْسَه بالتصغير والبر بأنواعه والشعير.. قُلت : البُرُّ بأنواعه اذ منه نوع يسمى العَسيرية وهو من أحسن الحبوب وأجودها ، وهذا النوع من الحنطة يجود في بلاد عسير أحسن من غيرها من البلاد الأخرى ولا أدري ما السر في ذلك وأظن أن العسيريين أعرف بوقت زرعه لأن وقت زرعه يتقدم عن وقت زرع الشعير ولا يصلح في العَثْرِيِّ بخلاف الشعير فإنه يصلح في المسقوي والعَثريّ .

قبيلـة الـرَّيْث

قبيلة عربية أصيلة صريحة النسب من أشهر قبائل عسير ومع شهرتها أهملت فلم يذكرها أحد من المهتمين بالبحث في أنساب القبائل العربية حتى صاحب كتاب (قبائل عسير) لم يذكرها ولم يولها شيئاً من اهتمامه .

نسبها : هم بنو ريث بن عبدالله بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن

كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان فهم من قبائل الأزْد من العرب القحطانية والنسبة إلى قبيلة الريث (ريثي) ذكر ذلك بن هشام في السيرة النبوية.

فروعها: ينقسم قبيلة الريث إلى خمسة أقسام رئيسية هي:

١ — آل نجاد: والنسبة إليهم (نجادي)
٢ — آل مسعود: والنسبة إليهم (مسعودي).
٣ — آل مشيني.
٤ — آل حنش.
٥ — آل سلم: والنسبة إليهم (سِلمي) بكسر السين.
وفيهم اليوم إمارة قبيلة الريث.

بلادهم: تقع بلادهم في بلاد عسير في جنوب المملكة العربية السعودية في ضواحي مدينة جيزان وحاضرة هذه القبيلة بلدة رجنة شمال شرق جيزان ويحدهم من الشمال بلاد (قحطان) ومن الجنوب (قبيلة الصهاليل) ومن الشرق قبائل (العزين) ومن الغرب قبائل (الحقْو).

عبد الرحمن بن زبن العُتَيْبِي
دوار سلام — الرياض

المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

أسبغ الابن الكريم عبدالله بن عبد الرحمن بن دهيش من مدرسة مراة المتوسطة أسبغ الثناء على مجلة العرب وعلى ما قرأ لصاحبها من أبحاث نشر بعضها في الجرائد اليومية وتمنى إعادة نشرها في المجلة وخص بالذكر (المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب). وحول (مدينة جدة).

وقد فعلت العرب ذلك. (البقية ص ٣١٤)

إمارة العُصفوريّين
ودورها السياسيّ في تاريخ شرق الجزيرة
— ٢ —

ملاحظتان تتعلقان بهذا البحث الممتع ، أولاهما أن لرئيس تحرير هذه المجلة رأي لا يتفق مع رأي كاتب ذلك البحث الأستاذ عبد اللطيف الناصر الحمدان في إرجاع بني عامر الذين ينتمي إليهم العصفوريون إلى عامر بن صعصعة القبيلة الهوازنية المضرية المعروفة . بل إلى بني عامر من عبد القيس من ربيعة ، الذين عرفوا باسم (العمور) ثم (العماير) أخيراً ، وانتسبوا إلى بني خالد ، الذين قال فيهم أحمد بن مُشرَّف الشاعر الأحسائي :

ولا تَنْسَ جَمْعَ الخالِدِيِّ فإنَّهُمْ   قبائل شَتَّى من عُقَيْلِ بن عامِرِ

آل عُبَيْد .. أمـراء التويـم

وكتب الأخ عبد المحسن بن سليمان بن عُبَيْد من بلدة التُّويم في سُدَيْر إلى « العرب » كتاباً حول ما جاء في جزء محرم ١٤٠٠ هـ منها عن بلدة التُّويم ، تعليقاً على ما جاء في كتاب « معجم اليمامة » وأن ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالله بن خميس عن أسرة (آل عُبَيْدٍ) ما هو إلا الحقيقة ، ويُشير إلى ما تتصف به هذه الأسرة الكريمة من محبة الخير والسعي له ، وغير ذلك من الصفات الحميدة . فلا غرابة في أن يتولوا في بلدتهم الإمارة فينالوا من تقدير آل سعود ما هم جديرون به وأشار الى كون تلك الأسرة عَنَزيَّة النسب .

و « العرب » تكتفي بِنَشْر خلاصة ما كتب به الأخ عبد المحسن مُقَدِّرَةً له اهتمامه بما ينشر فيها . آملة أن تكون عند حسن ظنّه وظنّ جميع قرائها .

واستوضح الابن الكريم عن (الماوية) التي حدثت فيها الوقعة المعروفة أثناء غزو ابراهيم باشا البلاد في عشر الثلاثين من القرن الثالث عشر ويجد الجواب مفصلاً في الجزء التَّالي إن شاء الله مع ما هو جدير به من شكر على حسن ظنه .

وكذا القول بأن بني عُقَيل في النصوص التي أوردها الباحث الكريم هُم بنو عُقَيل العامريُّون الذين كانوا يسكنون جنوب الجزيرة .

لقد نشأ عن اشتغال بني عقيْل الذين كانوا يحلون المنطقة الشرقية من المملكة وهي ما يعرف باسم البحرين قديماً ـــ عن اشتغالهم بتجارة جلب الإبل والخيل من الجزيرة إلى الشام ومصر ، نشأ عن ذلك توسع في إطلاق الاسم حتى صار من القرن السابع فما بعده لا يراد به تلك القبيلة ، بل يُعْنَى به غالِباً أولئك التُّجَّار بصفة عامة .

وكل ما تقدم يستلزم كتابة بحث مفصَّل عن أنساب القبائل التي كانت تسكن شرق الجزيرة خلال الفترة التي تناولها الباحث الكريم بالحديث .

الملاحظة الثانية : سقط من البحث رسم يوضح تسلسل نسب الأمراء العصفوريين وتجد صورته في ص ٣١٦ .

« العـرب » والتطبيـع

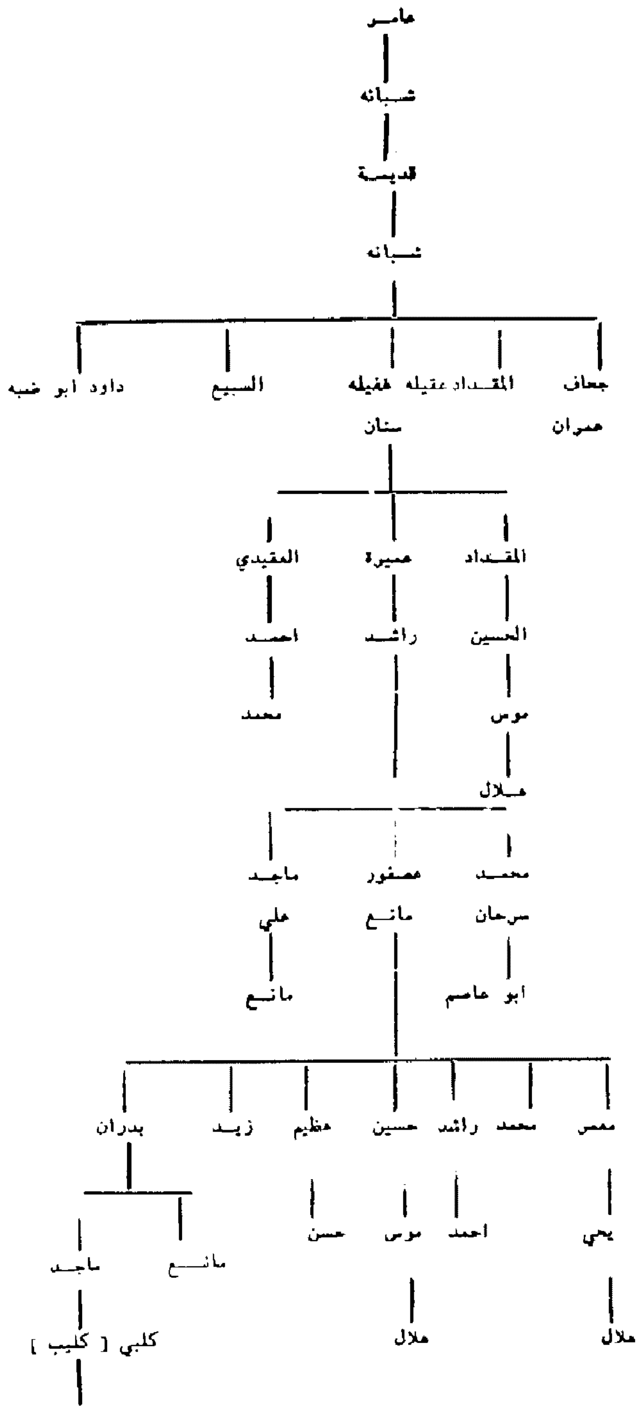
لم يشرف صاحب المجلة على تصحيح تجارب الطبع ، بسبب سفره لحضوره (مؤتمر تاريخ بلاد الشام) ولهذا وقع في الجزء الماضي (تطبيع) يخل بالمعنى منه ما لا يستعصي على فهم القاريء ، ومن ذلك :

ص	س	خطأ	صواب
١	٧	لم نُحِسُّ	لَمْ نُحِسَّ
١	١٢	السواح	السُّيَّاح
٧	١٨	أخ حبيبنا	أخو حبيبنا
١٣٧	٩	تحرف القاف إلى جيما	تحرف القاف جيما

سقطت حواشي (ص ١٥٦) وهي :

(١) كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» ص ٣٧٠ .

شكل تخطيطي يبين نسب أمراء العصفوريين من بني عامر
رتبت هذا الشكل التقريبي استنادا الى ما التقطنا من معلومات متناثرة
في بعض المصادر التي استندنا اليها في هذا البحث



رسم تسلسل الأمراء العصفوريين

□ **أنساب الأشراف :**

وطالعت القسم الثالث من كتاب «أنساب الأشراف» الذي حققه العالم الجليل الدكتور عبد العزيز الدوريُّ ، الذي أفضل بإتحافي بنسخة منه ، أثناء انعقاد (المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام) في عمان في جمادى الآخرة من هذا العام[1] . وقامت بنشره (جمعسة المستشرقين الألمانية) فجاء الحلقة (٢٨/٣) من سلسلة (النشرات الإسلامية) .

وتحقيق الكتاب وجودة طباعته أمران لا محل للحديث عنهما ، ومقام الدكتور الدوري في العلم أرفع من أن يجهل .

[**بقية «العرب» والتطبيع**] .

(٢) ص ١٢٧٧ والكتاب من منشورات (دار السهامة للبحث والترجمة والنشر) .

سقطت حواشي (ص ١٥٧) وهي على التوالي :

(١) القسم الرابع — الجزء الأول ص ٦٢٢ .

(٢) قُدَيْدُ هو الوادي المعروف بقرب عُسْفان ، ووقعته حدثت في صفر سنة ١٣٠ (مئة وثلاثين) .

(٣) هو ابن عبد الملك بن مروان ، ممدوح القطامي في قصيدته :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أيُّهَا الطَّلَلُ ... وإنْ بليت وإنْ طالت بك الطِّوَلُ

(٤) روايَتُهُ في الورقة ٧٧٧

وَمِنْ دُونِ مَا مَنَّى أُمَيَّة نَفْسَهُ ... غِمَارُ حُتُوفٍ لَيْسَ يُرْجَى زَوَالُهَا

---

(١) أنظر «العرب» س١ ص ١١٢ وس ١٥ ص ١٥٨ .

والجزء يحوي أخبار العباس بن عبد المطلب وولده . وقد جاء — بفهارسه المفصلة — في ٣٨٨ صفحة ، وصدر في عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) بطباعة (المطبعة الكاثولوكية) في بيروت .

☐ الزاهر في معاني كلام الناس :

محمد بن القاسم الأنْبَارِيُّ (٢٧١ — ٣٢٨هـ) من أئمة اللغة والأدب ، حنبليُّ المذهب ، له مؤلفات في علوم القرآن والحديث واللغة والأدب ، منها كتاب « الزاهر في معاني كلام الناس » — أي الكلام الذي يستعمله الناس في صلواتهم ودُعَائِهِم ، وهم غير عالِمِيْنَ بمعنى ما يتكلمون به من ذلك ، وما تستعمله العوامُّ في أمثالها ومحاوراتها من كلام العرب ، وهي غير عالمةٍ بتَأوِيْلِهِ .

وقد حقق هذا الكتاب الأستاذ الجليل الدكتور حاتِم صالح الضَّامن ، فقدم له بدراسة عن المؤلِّف والمؤلَّف ، وعن حركة التأليف في الأمثال ، وعن الطريقة التي سار عليها في التحقيق ، جاءت تلك الدراسة في ٧٨ صفحة وست ورقات مصورة .

ووقع أصل الكتاب في جزء ين ، صفحاتها (٦٦٢ + ٦٦٠) = ١٣٢٢ . سوى المقدمة .

وقد استغرقت الفهارس المفصلة (من ص ٤١٥ إلى ٦٦٠) : ٢٤٥ صفحة من الجزء الثاني .

وجُهْدَ المحقق الفاضل يَبْدُو لا في كل صفحة تزدان بتعليقاته وإضافاته ، بل في كل جملة من جمل الكتاب ، حتى برز بخير ما ينبغي أن يبّرز به من الصُّور ، إتقاناً وضَبْطاً ، وحُسْنَ إخراج .

وقامت (وزارة الثقافة والإعلام) العراقية بنشر الكتاب ، فجاء الحلقة الـ(٢٦) من سلسلة (كتب التراث) .

وطبع في بيروت سنة ١٣٩٩هـ (١٩٧٩م) بمطابع المؤسسة الوطنية للصحافة والطباعة والنشر .

□ عالم الكتب :

استهل مؤسسا مجلة «عالم الكتب» التي صدر جزؤها الأول في رجب ١٤٠٠ هـ (مايو ١٩٨٠ م) استهل المؤسسان الكريمان الأستاذان عبد العزيز الرفاعي وعبد الرحمن المعمر فاتحتها بالقول : (فقد أردنا بإصدار هذه المجلة أن نوفّر لعشاق الكتب — بعد ازدهار حركة التأليف في كتابنا خاصَّة ، وفي البلاد العربية عامة — أن نُوَفِّر لهم مجلةً متخصصة ، تُعْنَى بالكتب ، تلاحق أخبارها وتقدّم قِيَمَهَا ، وتعرف بها وبمؤلِّفِيْهَا وتنقد ، وتقوِّم ، وتَرْصُد ، وتُسَجِّل ، وتُفَهْرِسُ ، لا تحصر نشاطَهَا في المجال الْمَحَلِّي ، وإن كانت تني[1] به في المحلّ الأول بل تَمدُّ نشاطها إلى المجال العربي ، ثم العالمي ، كلما وسعها إلى ذلك سبيل)

ومن يمن طالع هذه المجلة أن يتولى رئاسة تحريرها الأستاذ يحيي محمود ساعاتي خَيْرُ من أعرفه مِمَّنْ تَمَرَّس بِالْورَاقَة وخبرها منذ نعومة أظفاره .

وقد حوى — الجزء الأول فيما حوى — بعد مقدمتي المُؤَسِّسَيْن ورئيس التحرير من الموضوعات :

المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية — أسعد سليمان عبده .

رسائل جامعية عن المملكة :

إرشاد الساري إلى اختصار صحيح البخاري (مخطوط) — عبد العزيز المسفر .

الزمن الرابع في المملكة — أحمد عبد القادر المهندس كتب حديثة .

(ببليوجغرافيا) التاريخ الطبيعي للمملكة — جعفر إبراهيم التاي .

فهرس المطبوعات الحكومية — ناصر بن محمد السويدان .

معجم المسرحيات العربية والمعربة — يحيي محمود ساعاتي .

اليد السفلى — مجموعة قصصية — مراجعة عبد العزيز الرفاعي .

---

(١) لعل الصواب (تعنى به) .

أخبار موجزة من عالم الكتاب .
كشاف الدوريات (مجلة الاشعاع) . مع الكتاب بالراحلين — عن محمد حسن عواد ومحمد طاهر كردي — رحمهما الله — .

ثم الكشاف وهو فهرس مفصل لما ورد في الجزء من الأسماء أو عناوين الموضوعات ، بطريقة شاملة تدل على الدقّة في العمل مع إتقانه .

والطباعة حسنة من حيث الورق والحروف بمطابع الفرزدق في الرياض . والناشر (دار ثقيف للنشر والتأليف) . وصفحات الجزء (١٤٢) من القطع الكبير .

□ الشباب ، دراسات ولقاءات :

وجاءت الحلقة الـ (٣١) من سلسلة الكتب التي يشرف على إصدارها معالي الأستاذ الجليل عبد العزيز الرفاعي بعنوان (المكتبة الصغيرة) كتاب «الشباب : دراسات ولقاءات» تأليف فضيلة الأستاذ أحمد محمد جمال عضو مجلس الشورى والمدرِّس في جامعة الملك عبد العزيز ، وقد أجمل مؤلفه محتواه في المقدمة بأنه يحوي فصلين الأول : لخص فيه آراء بعض العلماء المسلمين حول الشباب لتقويمه وإصلاح سلوكه . والفصل الثاني : تحدث فيه عن لقائه بالشباب في ندوات أُقيمت من أجله ، وطرحت بعض المشكلات المتعلقة بالشباب فكان للمؤلف حولها آراء وأحاديث .
وجاء هذا الكتاب في ١٣٢ صفحة على نمط سابقه من الحلقات . مطبوعاً بمطابع الروضة في جدة ، ولم يحدد زمن الطبع .

□ الجامعة العربية :

إذا تحدث الأستاذ أحمد الشقيري السياسي المعروف (توفي هذا العام) عن (الجامعة العربية فإنه يتحدث عن علم تامٌ ، ولهذا فكتابه «الجامعة العربية كيف تكون جامعة وكيف تُصْبحُ عربية»؟
يُعَدُّ من أوثق الدراسات وأوفاها في موضوعه . وقد جاء في (٤٠٨) من الصفحات ، بطباعة حسنة ، وصدر عن (دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع) في تونس ، عام ١٣٩٩ (١٩٧٩م) .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالا للأفراد و١٠٠ للهيئات
والمؤسسات، يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

المسؤول
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٥ و٦ س ١٥ — ذوا القعدة والحجة ١٤٠٠ هـ ايلول، تشرين ١ (سبتمبر–أكتوبر) ١٩٨٠ م

أيام في بعض بلاد الشام

— ٢ —

عندما قابلت الأستاذ إبراهيم العمار صباح يوم الخميس (١٤٠٠/٦/٢ — ١٩٨٠/٤/١٧ م) بادرني قائلاً: عرفنا الفندق الذي أنت نازل فيه، انه (فندق تايكي) وقد أخبرني الأخ عبد الحميد به فأظهرتُ التصديق فلقد ذكرني بقصة جحا التي تروى انه كان يضع في رقبته خيطاً أبيض، ويضع في رقبة أخيه خيطاً أسود، لأنهما يناما في مكان واحد، ويخشى جُحا أن لا يفرّق بين نفسه وبين أخيه، فعمدتْ أمها في إحدى الليالي إلى نزع ما في رقبة كل واحد منهما وتعليقها في رقبة الثاني، فلما أصبح جُحا ورأى الخيط الأسود في رقبته، التفت إلى أخيه قائلاً: يا أخي أنت أنا، وأنا أنت !!. وان لم يبلغ بِيَ الأمر إلى هذا الحد من الشك بحيث أتصور أنني النازل في (فندق تايكي) ولحسن الحظ أنه لا يوجد في ذلك الفندق صباح ذلك اليوم من يدعى (حمد الجاسر) على ما أفاد موظف الاستقبال فيه، عندما اتصل به الأستاذ ابراهيم.

ولكن في المساء اتصل الأستاذ ركس بن زائد العُزَيْزي بالفندق الذي أسكنه، وقد أخبرته به، وعرف رقم الغرفة، فعرّف عامل الهاتف باسمي وذكر له البلد ورقم الغرفة، ولكنه وَصله بإنسان آخر حادثه محادثة طويلة، وأخبره بأنه في انتظاره، وذكر له رقم غرفته، فظن أنني انتقلت من غرفتي التي عرفها، وتوهم تغير صوتي من أثر الزكام،

ولكنه فوجيء عندما طرق باب الغرفة بشابٍ يفتح له ثم يرحب به ويقدم له نفسه الدكتور حميدان عبدالله الحميدان موفداً من جامعة الرياض للاشتراك في (ندوة اقتصادية) تقام هذه الأيام في عمّان! وقابلني الأستاذ العُزيزي بعد ذلك ضاحكاً: لقد غيَّرْت كُلَّ شيء. الغرفة والاسم واللقب وأُصبحت في ريعان الشباب: فأجبته: ومَنْ ذا الذي يا عزُّ لا يتغير؟!

وكلمة موجزة عن الأستاذ العُزيزي — بضم العين — فهو عربي من قبيلة العُزيزات، التي تنتمي إلى شيبان، ولا أريد التوسع في الحديث عن شيبان هاؤلاء وعن صلة القبيلة بسدانة العُزَّى، فقد بلغت في دراسة أصول الانساب العربية القديمة إلى نهاية ارتضيتها لنفسي ولا يرضى بها كل من يعنى بدراسة هذا الجانب من التاريخ العربي القديم.

عرفت الأستاذ ركس بن زائد العزيزي أول ما عرفته بطريق محققات الأستاذ أنستاس ماري الكرملي، فقد نشر شيئاً مما كتب في ملحقات كتاب «النميَّات» أو «علم النقود» وكتاب «الاكليل» الجزء الثامن للهمداني، فاستهواني ما قرأته من كتاباته لصلته القوية بالتراث العربي الذي لم يُسَجَّل بعْدُ من تاريخ العرب، وخاصة ما يتعلق بالشعر العامي والعادات والتقاليد في العصور الأخيرة.

ثم اجتمعت به أثناء انعقاد (المؤتمر العربي الحادي عشر لأدباء العرب) في الجزائر، وأفضل باتحافي بكتاب ألفه بعنوان «قاموس العادات الأردنية» في ثلاثة أجزاء، ومع استمتاعي واستفادتي من هذا الكتاب ومحاولتي إرجاع كثير من تلك العادات إلى جذورها التاريخية في قلب جزيرة العرب، إلا أن الكتاب استعير مني ثم لم يُرْجع وما علقته كان في هوامش ذلك الكتاب.

ثم لما قدمت عَمّان هذه الأيام، ورأيت اسم الأستاذ العُزيزي بين أسماء أعضاء (مجمع اللغة العربية الأردني) المؤازرين، أبهجني هذا، فاتصلت به، فأفضل بزيارتي، وأمضيناها سويعاتٍ غبنا فيها عن عالمنا في جوٍّ أبعد ما يكون عنه، وقد

أدركت أنه من الأفذاذ في سعة الاطلاع على عادات أبناء البادية ومختلف أحوالهم، وكتابه «فريسة أبي ماضي — أول دراسة علمية للشعر في البادية» على ايجازه ينمُّ عن عمق فهم للموضوع الذي طرقه، وخاصة في هذه البلاد — وقد طبع سنة ١٩٥٦ م — وموضوعه — مع طرافته — كان ذا عناية لدى المعنيين بدراسة الشعر الحديث، فقد أثبت فيه أن الشاعر المعروف ايليا أبا ماضي أغار على قصيدة لشاعر بدوي يدعى علي الرميثي من الفدعان من عنزة فصاغ معانيها بقصيدته المعروفة :

يا أخي لا تشح بوجهك عني   ما أنا فحمة، ولا أنت فَرْقَدْ

وكان والد الشاعر ايليا من رواة قصيدة الرميثي.

وللأستاذ العُزَيزي مؤلفات وأبحاث كثيرة منها «المنهل في تاريخ الأدب العربي» في أربعة أجزاء و«أسرار نكبة البرامكة» و«وسوم القبائل» و«جوف الصحراء» و«أزاهير الزهراء» وغيرها.

وهو — بالإضافة الى صلته بمجمع اللغة، ورابطة الكتاب الأردنيين، ممثل الرابطة الدولية لحقوق الإنسان، وفي هذه الأيام عين — بأمر ملكي — عضواً في (المجلس الاستشاري) الذي حلّ محل (المجلس النيابي) في الأردن عند تعذر اجراء انتخابات في الضفة الغربية بعد حرب سنة ١٩٦٨م.

والعُزيزي ذو اعتزاز بعروبته مظهرا وخلقاً وفكراً.

وعودة للحديث عن التغيُّر والتغيير.

لقد حاولت ذلك قبل عشر سنوات، حين قيل لي إنّ في (رومانيا) طبيبة تدعى (آنّا أصلان) تعيد الشباب بدواء اخترعته (H.3.) فكنت أتردد عليها أسبوعين تجرب علي مختلف الأدوية حتى وثقت من ملاءمة ذلك الدواء لجسمي، فتزودت منه بما استعملته نصف عام، غرزاً في اللحم، وبَلْعاً في الفم، فلعل تأثير ذلك الدواء تأخر إلى وقته المناسب. إنها قالت لي أول ما رأتني : لقد أدركتك الشيخوخة قبل أوانها، فعسى أن يكون سِرُّ دوائها لا يؤثر في المرء حتى يُدرك الشيخوخة في وقتها!

أخبرني ملحقنا الثقافي بأنَّ رئيس (مجمع اللغة العربية الأردني) اتَّصل به سائلاً عني ، فكان الذهاب إلى المجمع ومقابلة رئيسه الأستاذ الجليل الدكتور عبدالكريم خليفة ، وكان حديثاً طويلاً حول المجمع ، وما يبذله القائمون بشؤونه في سبيل اللغة ، من معالجة أسباب ضعفها ، وتعريب المصطلحات الأعجمية المستعملة في الدوائر والمؤسسات الرسمية ، وتعريب التعليم العلمي في الجامعات .

ومع حداثة إنشاء هذا المجمع (بدأ عمله في أكتوبر سنة ١٩٧٦ م) إلاَّ أنَّ لدى الإخوة العاملين فيه — ولا سيا رئيسه الجليل — من الرغبة القوية والنشاط ، والغيرة على اللغة والحفاظ على كرامتها ما يُفْعِم القلب سروراً ، ويملأ النفس أملاً طيباً .

لقد كان الاخوة — منذ أن بدأ المجمع بِنَشْرِ مطبوعاته — يكرمونني ببعثها اليّ ، في خلال السنوات الماضية ، ولكنها ترسل الى جدة ، وكذا كان يفعل الإخوة في (المجمع العلمي الهندي) في (عليكره) في الهند الذين أفضلوا عليَّ بوضع اسمي بين أسماء أعضائه المراسلين منذ إنشائه . ولكنني لم أعلم بهذا حتى قدم لي أحد أولئك الإخوة الجزء الأول من مجلة المجمع ، وكتاباً من الأستاذ الدكتور مختار الدين أحمد ، أمين ذلك المجمع ، فيه عتب محمود لعدم إجابتي على ما كتبوا به إليَّ ، وأحبْبت بعتاب الإخوة إلى النفس :

إذا ذَهَبَ العتابُ فليس وُدٌّ ويَبْقَى الودُّ ما بقِي العتابُ

لقد كان عنواني — على ما هو منشور في الجزء الأول من مجلة (المجمع العلمي الهندي) في السعودية جُدَّة ! ولهذا فليس غريباً أن يبتلع بحرها ما يُبْعثُ اليها ، باسمي من مطبوعات وكتب .

لم أر في المجمع الأستاذ عيسى الناعوري ، وهو أمينه العام ومن أعضائه ، ولكن الرئيس الدكتور عبد الكريم خليفة أخبرني بأنه أُصيب بنوبة قلبية (جلطة) وهو في المستشفى وقد لا يُسمح بزيارته الآن .

لقد عرفت الأستاذ الناعوري أول ما أصدرت «اليمامة» مجلةً في عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣ م) وكان يُتحف قراءها بسلسلة من المقالات الأدبية عن شعراء معاصرين ، وكنت كل مرة أزور عَمَّان أحرص على مقابلته فأجد من لطف خلاله وكرمها ما جعلني

أرى أن من عدم الوفاء أن أغادر هذه البلاد قبل رؤيته .

وفي داخل (مدينة الحسين الطبيّة) اتصلت به بالهاتف عن طريق مكتب المدير وبواسطة فتاة[1] تعمل في ذلك المكتب وتعرف الأستاذ الناعوري — ومن الذي يجهله في هذه البلاد ؟ — كنت علمت من الدكتور عبد الكريم خليفة بأنه سيخرج من المستشفى يوم الأحد ، ولكنني صُدِمْتُ حين قيل لي : إن الطبيب لا يسمح لأحد بزيارته ، وبعد وساطة من تلك الفتاة اتّصَلْتُ به فعبَّرت له عن سروري حين علمت بأنه سيخرج قريباً من المستشفى ، فقال : كان ذلك مقرراً ، وحدث ما لم يكن في الحسبان ، فقد قرر الأطباء إجراء (عملية) في شرايين القلب .. حاولت ما استطعت أن أطمئنهُ وأن أحول بينه وبين الاسترسال في الكلام ، فكان آخر ما قال لي : أريد أن أراك ! وكررها ، وقد كررت له الوعد بذلك ، وعدت من المستشفى منقبض النفس ، ولكنني أعللها بأن أرى من اشراقة وجه الأستاذ الناعوري وتهلله وسماحة نفسه ما رأيته منه حين أكرمني بدعوته إلى منزله . وعرفني بأسرته فرداً فرداً قبل خمسة عشر عاماً ، وأفضل علي فيما أفضل بمجموعة من مؤلفاته .

لقد عرفت أن سكنى وفود (المؤتمر التاريخي) في (فندق تايكي) وهذا لا يبعد عن الفندق الذي أقيم فيه أكثر من ميلين — على ما ذكر لي سائق السيارة الذي أشار إلى جهته — وفي صباح الجمعة (١٤٠٠/٦/٣ هـ) خرجت الساعة الخامسة والنصف ، وسرت وجهة ذلك الفندق ، وفضلت سلوك الطرق المتعرجة التي تبعد بي عن الأمكنة المأهولة ، وتمكنني من السير كما أريد ، غير مُتَعَرِّض لفضول بعض المارة . ويظهر أن ما أحْسَسْتُ به من جمال منظر التّلال المكسوّة بمختلف النبات ، استهواني حتى لم أشعر بمُضِيّ الوقت ، ولم أُحِسَّ بالتّعب من كثرة المشي ، وهذه المنطقة التي أُسِيْرُ فيها تدعى (الشُّمَيساني) وهي من أحدث أحياء عمّان ، وأنزهها ، وأجملها منظرا وخاصة في هذا الفصل ، فصل الربيع ، وبعد هطول الأمطار الغزيرة .

---

(١) من بيت الأفغاني ، ووالدها محمود كان مشهوراً في هذه البلاد ، وقد حج في إحدى السنوات فأكرمه الملك الفيصل بدعوته لحضور غسل الكعبة ، وأهداه قطعة من كسوتها ، دعتني تلك الآنسة لأراها معلقة في البيت فاعتذرت !!

لتكن العودة الى الفندق ، فقد قاربت الساعة الثامنة . ولكن أين يقع ؟! لأُشْرِفَ من هذا التّل لعلي أُبْصِرُهُ أو أرى الشارع المارّ به . ما هذا ؟ بناء حديث قد أُلصقت به لافتة كبيرة تحمل كلمات ترحيب بوفود المؤتمر ، إنه (فندق تايكي)[1] ولم يَتوان موظف الاستقبال عن تحقيق رغبتيَ في إطلاعي على أسماء الوفود ، حين علمت منه أن جميع المدعوين قد هيئت لهم غُرَفٌ هنا . ومن بين من عرفت الدكتور عبدالله العثيمين من جامعة الرياض والدكتور عبدالله الشبل من جامعة الإمام محمد بن سعود والدكتور صالح العلي رئيس المجمع العلمي العراقي ، والدكتور عبد الفتاح أبو عليّة من جامعة الإمام محمد بن سعود .

وكان الاجتماع بأولئك الإخوة وبغيرهم في الساعة العاشرة ، حيث ألحّ الأخ الكريم الدكتور محمد عدنان البُخَيِّتُ ، رئيس اللجنة المشرفة على تنظيم أعمال المؤتمر ، بل أفضل باختيار غرفة لي في هذا الفندق ، وحسنا فعل !

فلقد سَعِدت بالالتقاء بكثير من العلماء الذين دُعُوا لحضور هذا المؤتمر ، من بين المدعوين الذين بلغوا مئة وأربعين منهم واحد وأربعون من الأردن وفلسطين ، وخمسة من تونس ، واثنان من الجزائر ، وستة من المملكة العربية السعودية من بينهم الدكتور اسماعيل ياغي من جامعة الإمام محمد بن سعود ، والمحامي سمير شما من جدة ، واثنان من السودان ، وتسعة من سورية ، وأربعة من العراق ، ومن جامعة قطر واحد ، وستة من الكويت ممن يعملون فيه ومن بيروت نحو تسعة عشر من الجامعة الأمريكية ومن المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ، ومن مستشرقي كندا خمسة ، ومثلهم من بلاد الانجليز ، وثلاثة من فرنسا ومثلهم من هولندا ، وعالم واحد من ماليزيا . ومن البلاد التركية خمسة ومن الولايات المتحدة الأمريكية سبعة ، وخمسة من ألمانيا الغربية .

ومن بين أولئك عدد غير قليل من السيدات العالمات منهن الدكتورة سهيلة الريماوي

---

(١) يقول الأخوة المشرفون على هذا الفندق أن (تايكي) اسم ربّة الحَظّ عند اليونان في عصرها الوثني حينما كانت تعبد أربابا متفرقين ، وأنها ابنة اعظمهم زفس (زيوس) ويعتقدون من خرافاتهم أنها كانت تحرس مدينة عمان ، وقد عثر على رأس تمثالها في جبل قلعة عمان عند تنسيق حديقة المتحف المقام هناك سنة ١٩٥٧ م وهو مما يُعْرض فيه من الآثار .

والدكتورة زاهية قدورة والدكتورة لَيلى[1] صباغ ، والدكتورة خيرية قاسمية ، والدكتورة وداد القاضي .

وقدم للمؤتمر قبل انعقاده من البحوث مئة وسبعة ، بلغات مختلفة ، لخصت وطبعت في كتاب تجاوز مئتي صفحة ، وهو تلخيص وصفه أمين سر اللجنة التحضيرية للمؤتمر الدكتور محمد عدنان البخيت بأنه لا يسد مسدَّ الأوراق الأصلية ، ولكنه مقدمة ومفتاح لها . وهناك بحوث تأخر وصولها فلم تلخَّصْ .

وهذه هي المرة الثالثة التي عقد فيها المؤتمر المتعلق بتاريخ بلاد الشام ، فقد عقد أول مرة في الأردن في شهري ربيع سنة ١٣٩٤ (نيسان ١٩٧٤ م) وتناول المؤتمرون تاريخ بلاد الشام من القرن السادس الميلادي إلى القرن السابع عشر ، في أبحاث ضمها كتاب نشرته (الجامعة الأردنية) قبل ست سنوات أي سنة انعقاده .

وقامت جامعة دمشق بالدعوة لعقد المؤتمر فيها في عام ١٩٧٨ م فتم ذلك ، ولم تنشر الأبحاث بعد .

وقد خصصت هذه الدورة من دورات (المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) لبلاد فلسطين بصفة عامة ، تاريخاً وجغرافية ، وآثاراً واجتماعا ، ورأسها ولي العهد الأردني الأمير الحسن بن طلال ، وتولى القيام بتنظيم أمورها جامعة الأردن وجامعة اليرموك وجامعة دمشق ، وافتتحت يوم السبت رابع جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ هـ (١٩ نيسان ١٩٨٠) واستمرت إلى يوم الخميس — أسبوعاً اعقبته زيارة بعض الأماكن الأثرية ، لمن رغب ذلك .

وكان بهو فندق (تايكي) صباح كل يوم من أيام المؤتمر أشبه ما يكون بمنتدى أدبي علمي ، يشاهد المرء فيه العلماء الوافدين حِلَقاً حلقاً ، قد انهمكوا في مختلف الأحاديث البعيدة كل البعد عما يحيط بهم من أحداث العالم ، وشغلوا بما أتوا لأجله مما يرتبط

---

(١) القاعدة المشهورة (ليلى) ولكن القواعد وسيلة لا غاية ، وسيلة لتقويم النطق وكتابة الاسم بالألف أقرب لضبط النطق به صحيحاً سيراً على قاعدة (كتابة الكلمة كما تنطق) .

بالحياة الفكرية ، ويقوي أواصر التعارف والتآخي بين مفكري الأمة العربية وعلمائها وأدبائها .

افتتاح المؤتمر : وفي صباح يوم السبت (٤/٦/١٤٠٠هـ ١٩/٤/١٩٨٠م) كان اجتماع المدعوين للمؤتمر في بهو الفندق الذي يقيمون فيه للتأهب للذهاب إلى (الجامعة الأردنية) حيث تعقد الاجتماعات . وكان البرنامج المفصل لأعمال المؤتمر قد أُعدَّ وقُدِّم لكل واحد منهم ، وفي ثلاث حافلات اتجهوا الى الجامعة ، وفي إحدى قاعاتها كان الانتظار نحو ساعة حتى بلغت الساعة الحادية عشرة ، موعد افتتاح المؤتمر من قبل مليك البلاد جلالة الحسين بن طلال الذي قدمه رئيس الجامعة الدكتور ناصر الدين الأسد بعد أن ألقى كلمة ضافية عن دورتي المؤتمر الماضيتين وتمنّى التوفيق للدورة الحاضرة ورحب بالحاضرين ، بعد شكر المليك وولي عهده .

يؤخذ المرء حين يستمع للملك حسين خطيباً ، بحسن أدائه وفصاحة نطقه ، ولقد حاولت أن أسمع لحناً منه في كلمة واحدة ، أو وقوفاً قبل إكمال جملة فلم أستطع ، مع طول الخطاب وشموله موضوعات مختلفة .

وبعد انتهاء ذلك الخطاب كانت العودة الى القاعة الأولى ، حيث استقبل المليك الوفود فرداً فرداً ، بتقديم الدكتور الأسد . ثم الانتقال الى مكان آخر لتناول طعام الغداء .

وفي الساعة الخامسة كان الالتقاء بالأمير الحسن ولي العهد ورئيس المؤتمر ، ثم بَدْءُ عَمَل لجان المؤتمر الأربع ، حيث قسمت البحوث أربعة أقسام بحسب موضوعاتها ، ووزعت على أيام المؤتمر من حيث تحديد زمن القاء ما قُرِّرَ القاؤه منها . واستمر العمل في ذلك صباحا من الساعة التاسعة الى الواحدة ، ومساء من الخامسة الى الثامنة .

وكان يعهد برئاسة كل اجتماع من اجتماعات اللجان الى أحد الوفود ، ومن الطريف أن بعضهم يتخيل نفسه في فصل الدراسة بين طلابه ، فيحلو له ما يحلو للمدرس من تعليق على البحث بزيادة إيضاح أو استدراك أو ثناء[1] ، وقد يطيب له أن يسمح

---

(١) وهذا لم ألاحظه وحدي بل أدركه آخرون غيري كالدكتور عبدالله العثيمين وغيره .

لبعض المعلقين دون بعض . فقد ألقى الصديق الدكتور محمود الغول في ضحوة يوم الاثنين بحثا عن (غزة في نقوش جنوب جزيرة العرب) فحاولت الاستيضاح عن جملتين وردتا فيه هما قوله : — عن طريقَي التجارة عند المعينيّين : (يفترقان عند نجران ، فيسير أحدهما الى الشمال حتى يَمُرّ بمستوطنتهم أو جاليتهم التجارية في ديدان — خريبة العلا على سكة حديد الحجاز شمالي المدينة اليوم ، وينتهي بغزّة في فلسطين ويمضي الطريق الثاني من نجران إلى شرق الجزيرة العربية ، حتى ينتهي إلى جرها ، وهي مدينة كانت فرضة عظمى على سيف شرق الجزيرة ، اختفت آثارها اليوم ، ولعلها كانت على ساحل الأحساء قرب قطر) أردت الاستيضاح عن مصدر المحاضر الكريم في كون (جرها) بقرب قطر ، وعن التوفيق بين القول بين اطلاق اسم ديدان على خريبة العلا ، وبين تحديد ابن شجاع الحنفي الدمشقي لوادي الديدان بأنه المرحلة الثانية بعد العلا للمتوجه إلى المدينة ، وكان رئيس الاجتماع الدكتور سعيد عاشور . من إخواننا الذين وفدوا من جامعة الكويت ، فرفعت يدي إشارة الى رغبتي الكلام كغيري من المعلقين على المحاضرة ، وكررت الرفع مراراً ، ولكنه أذن لكل من أراد التحدث سواي . وأعلن انتهاء الجلسة . ولم يكتف بذلك بل حين أبصرني أتحدث مع الدكتور الغول في الموضوع على انفراد أتى حتى وقف بجانبه قائلاً له : هذا أحد الأخوان يسألك عن الصلة بين (معون) و(معين) وصرفه عن الحديث معي[1] .

ليلة سعودية : سرت في حضور اجتماعات المؤتمر سير التلميذ الكسول ، فكثيراً ما كنت أنصرف قبل انتهاء الوقت ، وقد لا أحضر بعض المرات ، وبينما أنا في مساء يوم الأحد أطالع بعض ما أتحفني به أحد الأخوة من منشورات (الجامعة الأردنية) إذا بالأخ محمد بن ناصر بن عبدالله ، الأمين الأول (سكرتير) في السفارة يحادثني بالهاتف سائلاً عن الوقت الذي سيجدني فيه في الفندق ، فقد حاول هو وبعض الإخوة الاتصال بي مراراً فلم يتيسر ذلك ، ومع أنني لم أكن أعرف الأخ إلا أنني رحَّبْتُ به ، وأخبرته بأنني في انتظاره ، فأسعدني بزيارته ولم نمكث طويلاً في الفندق ، فسرعان ما وافقت حين

(١) لزيادة الايضاح عن (جرها) الجرعاء والديدان أنظر المعجم «المعجم الجغرافي» — قسم المنطقة الشرقية — ص ٣٧٩ وما بعدها ومجلة «العرب» س ١٣ ص ٧ .

عرض علي الخروج إلى أحد الأماكن خارج المدينة ، ومعنا أخ أردني قال لي إنه كتب الي قبل سنوات وكان يُعِدُّ رسالة عن قبيلة عبد القيس ، فأجبته بإرشاده إلى بعض المؤلفات التي استفاد منها ، ثم قدم رسالة لنيل إجازة (الدكتوراه) عن «شعراء بني تميم في العهد الجاهلي» فنال الإجازة من جامعة القاهرة ، وكنت لا أزال أشكو من صداع وزكام ، فَمَرَّ أبو مازن محمد بن ناصر بصيدلية أحضر منها ما قد أحتاج اليه وفي (الواحة) وهو من أنزه الأمكنة في هذه المدينة قضينا وقتاً قصره كرم الداعي ولطفه ، وأضاف الى ذلك المرور بمنزله ، وأتبع هذا الفضل بأن خيرني بين أمرين لا بُدَّ من أحدهما : إما العشاء في البيت ، وإما الذهاب الى بيت عبد الرحمن الحمد الشبيلي ، اذ من عادة موظفي السفارة الاجتماع في بعض ليالي الأسبوع في بيت أحدهم . ومن ذا الذي يعرف أبا سليمان الشيخ محمد الحمد الشبيلي ، ثم لا يرى من الوفاء له زيارة من يَمُتُّ إليه بصلة فكيف بأخيه .

وفي بيت الأخ الشبيلي كان الالتقاء بعدد من الاخوة من موظفي السفارة ، ومن بينهم الأخ سعد أبو معطى ، الذي حاول حين رأيته أول مرة حيث يعمل في (مكتب الملحق الثقافي) حاول إكرامي — بل أكرمني فعلاً — فدعاني لزيارة منزله فاعتذرت .

أمضيتها سويعات بين أولئك الاخوة ، في جوٍّ أبْعَدَ ما يكون عن بواعث التكلف والتصنع ، وسررت حقاً بما شهدت بينهم من التآلف والتصافي . ورأيت في البيت عدداً من الأطفال مما يدل على أن السيدات قد اجتمعن عند صاحبته . وقد أشرت إلى ما لهذه الاجتماعات من آثار حميدة في مناسبات مماثلة[1] .

ثم كان العود الى الفندق ، ولم يكتف أبو مازن — أكرمه الله وحيَّاه — بما أغدقه عَلَيَّ من لطفه هذه الليلة ، بل زارني في الليلة التي بعدها وقد اشتد علي الزكام من أثر التغير المفاجيء في الجو ، فاعتذرت عن حضور مأدبة العشاء التي أقامها سمو ولي العهد ورئيس المؤتمر لوفوده وعن الخروج مع الأستاذ ابراهيم بن عمَّار الذي أفضل عليَّ بالزيارة ، غير أن الأخ محمداً الناصر بذل من وسائل الاغراء ما أضعف عزمي على البقاء

---

(١) في زيارتي للجزائر «العرب» س ٧ ص ٤٩٧ وفي حديثي عن رحلتي الى أمريكا سنة ١٣٩٩ «العرب» س ١٤ ص ١٨٤ .

في الفندق ، فكان الذهاب إلى مكان يدعى حديقة الأردن (غوردن قاردن) فيه مطعم فخم ، وموقعه خارج المدينة ، ذكرني بمظهره وموقعه وأنواع أطعمته وسخاء أبي مازن بطلب مختلف أنواع المقبلات ، وبِنُدُلِهِ — جمع نَدْلٍ . ذكرني كل ذلك بلبنان ، وأيام لبنان ، ومن الذكرى ما يهيج الأسى ! وهاج الأسى أشد وأقوى حين عدت الى الفندق فاجتمعت بالأستاذ الدكتور عبدالله العثيمين فأخبرني عرضاً بوفاة الأستاذ محمد حسن عواد (يوم الجمعة ٣٠ جمادى الآخرة سنة ١٤٠٠ — ١٩٨٠/٤/١٨م) ما أقسى ألم كلمة (الموت) في النفس ، وما أشد فجيعة المرء بمن ربطت بينهما أواصر التعارف والتآخي واتحدا مَشْرباً واتجاهاً وغاية في هذه الحياة !



(الأستاذ محمد حسن عواد
الأول من اليمين)

محمد حسن عواد : لقد كان قمة من قمم الأدب في بلادنا ، في خلال مدة تتجاوز نصف قرن من الزمان ، كان أول ما عرفته سنة ١٣٤٩ هـ وكنت طالباً في (المعهد السعودي) بمكة وكان موظفاً في (قسم التحقيق في الامن العام) وكان يسكن في (قاعة) في أعلى الحَلَقة في منحدر الفَلَق ، وأذكر أنني أثناء الحديث معه في أول اجتماع به كنت أخاطبه بكلمة (الشيخ) مبالغة مني في احترامه ، فامتعض من هذه الكلمة وقال : يا رَجُل : لستُ شيخاً — بتأثُّر — وقد استعرت منه تلك الأيام «إلياذة هُومِيْرُوس» تعريب سليمان البستاني ، نظماً وشرحاً ، فأعجبتُ بأسلوب هذا الكتاب ، ولكنه لم يتركه عندي سوى أسبوع ، فقد استعرته يوم الجمعة ، ولم أشعر مساء ذلك اليوم من الأسبوع الثاني ، إلا بصوت الأستاذ حسين نظيف — بالظاء المعجمة — وكان يعمل صيرفياً ، في دكان صغير بقرب باب الزيادة ، ومن عادتي أن آتي الى الحرم قبل المغرب

وأبقى فيه إلى بعد العشاء ، فالتفتُ فإذا بالأستاذ عواد واقفاً بقرب حسين . فأخبرني بأنه يريد الكتاب هذه الليلة ، فدعوتهما للذهاب معي الى منزلي ، وكان في أدنى المسفلة ، وكنت تلك الأيام ذا نَهَم شديد لاقتناء الكتب ، وكثيراً ما كانت تباع بالحراج ، بالجُملة . وكان مما اشتريت تلك الأيام «دلائل الإعجاز» و«أساس البلاغة» في طبعة قديمة . وفيهما حواش بتوقيع (محمد حسن قاسم عواد) بتاريخ ١٣٣٧ هـ فلما اطلعت الأستاذ عواداً عليهما قام بمسح اسمه من طُرَّتَيهما وتَتَبَّع كل الحواشي حتى أزال منها الاسم . وقال لي : بأنهما استعيرا منه ، ولكنني حين أبديت له رغبتي بتقديمهما له ، وأخبرته باسم الرجل الذي اشتريتهما منه ، أظهر عدم حاجته إليهما .

كان من أوائل خريجي مدرسة الفلاح في جدة في العقد الرابع من هذا القرن ، وتولَّى التدريس فيها وألف في تلك الفترة كتابا دعاه «الاكليل الذهبي في الانشاء العربي» طبع سنة ١٣٤١ هـ ولكنه كان ـــ فيما بعد ـــ يكره أن ينسب إليه ، وكان كثير الاعتزاز بكتابه «خواطر مصرحة» والواقع أن هذا الكتاب من أَجلِّ آثاره ، ففيه ومضات فكرية سبق بها عصر أقرانه من أدباء هذه البلاد .

وكان قويَّ الاعتداد بنفسه ، بدرجة باعدت بينه وبين كثير من أصدقائه من الأدباء ، لا أذكر أن أديباً أو شاعراً أوكاتباً من ذوي المكانة المرموقة في دنيا الأدب في هذه البلاد ، سلم من نقد الأستاذ العواد ، فما كان يعرف المجاملة ، وما كان هادئاً في نقده إلا إذا اضطر إلى ذلك .

حاولت التحكك به تلك الأيام ـــ ولك أن تتصور ما بين منزلتنا في الأدب والمعرفة ، طالب لم يتجاوز بعد مرحلة الدراسة الأولى وكاتب عملاق عندما يذكر اسمه بين أدباء هذه البلاد وشعرائها يُبْدأُ به ، ولكن هكذا كان ، فقد بدأ بنشر مقالات عن (سليمان بن عبد الملك أول محرر للرقيق) رأيت فيها منافذ للتعرض له ، ووسَّع تلك المنافذ ما بينه وبين بعض الأدباء من جفوة ، دفعتْ بعضهم إلى الثناء على ما أبديه من آراء حول تلك المقالات . ومن هاؤلاء الأستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب «المنهل» الذي افسح لي المجال في مجلته للنشر والأستاذ عبدالله عريف رئيس تحرير جريدة

«البلاد» الذي سمح بنشر ثلاث مقالات بعنوان (إلى الشيخ حسن عواد) ثم توقف بعد ذلك بإيعاز من الشيخ محمد سرور الصبان — على ما قيل لي — وفي «المنهل» نشرت ما لا أذكره إلا أن أبا نَبِيهٍ الأنصاري ذكره الله بكل خير — حين أعاد الأستاذ العواد طبع كتابه عن (سليمان بن عبد الملك) منذ عهد قريب ، مُذَيلاً بالرد على أحد الناقدين ، ذكر في مجلة «المنهل» أنني أنا المعني بالرّد وأشار إلى كلمة لي نشرتها هذه المجلة قبل أربعين عاماً .

لقد ردّ علي في أول الأمر ثم تجاهلني الأستاذ حسن عواد ، بعد ذلك فأحسن اليَّ بتجاهله ، ولعله فعل ما فعل حينما لم يجد أمامه مجالاً يتلاءم مع ماله من مكانة في عالم الأدب ، فترفَّع وحسناً فعل !

ولقد تجنَّت عليه احدى الصحف ، فوصفته بالإلحاد . وهاجمه الشيخ محمد رشيد رضا — رحمه الله — ونسب إليه أنه قال : (خرج محمد — ﷺ — من الجزيرة ولم يَجْرِ فيها نهراً) وما أكثر ما يحاول الأعداء إلصاق مختلف التهم بمن ينالون حظّاً من الشهرة . أو يبرزون في أحد جوانب الحياة ، ولقد كان عواد — رحمه الله — قوي الإيمان . بعيداً عما رُمي به من ضعف الدين . عرفت ذلك عنه معرفة صلة ومخالطة وقصيدته (صلاة نفس) تعبر أصدق تعبير عن قوة الإيمان وطهارة النفس وسمو الخلق .
وأشدُّ ما يطعن به عليه صراحته التي بلغت به حَدَّ القول المشهور : (لم يترك لي قول الحَقّ صديقاً) وحسبك برجل كانت تربطه بالشيخ محمد بن سرور الصبان في أول حياتهما أقوى الصلات ، ولما دار الزمان فحلق الصبان في سماء الحظ والرفعة ، وأصبح مقصد الباحثين عن المناصب والجاه . وكان عواد على حالة من ضعف الحال تخنع وتخضع ، إلا أنَّ عزة نفسه ، وترفعه أبى عليه ما تهافت لنيله لداته من الأدباء والشعراء ، الذين احتضنهم الشيخ الصبان ، وكان لهم موئلاً — بل لم يتورع محمد حسن عواد — وقد بلغ الشيخ الصبان ما بلغ — من أن يَضُمَّهُ إلى الزمرة التي أطلق عليها وصف (الأصنام) ورآها جديرة بأن تحطم ، وكانت تمثّل رُوّاد الأدب في منتصف هذا القرن .

وما كان — رحمه الله — ممن يضيق بالنَّقد ضِيْقاً يورث الضغينة والكراهية ، فقد زرت إدارة جريدة «البلاد» بعد نشر تلك الكلمات ، فكان استقباله لي كريماً ، ولما

عتبت عليه في أمر لا صلة له في الموضوع اعتذر لي وقال (أنا موظف ولا بد لي مما فعلت[1]) .

ولما أصدرت «اليمامة» أول صحيفة في الرياض كتب الي كتاباً رقيقاً مهنئاً وواعداً بإمدادي بما أرغب فيه من كتاباته ، وكنت بعثت له العدد الأول منها مع كتاب مني رجوته أن يبعث إلي بما يرى نشره فيها .

وأذكر أنني نشرت له شيئاً من ذلك ، ومنه مقال يرد فيه على كاتب مصري يدعى (محمد حلاوة) ومن ألطف ما فيه المقارنة بين (الملكية) و(الجمهورية) وتفضيل الأولى .

ومن سنتين مررت بمدينة جُدَّة ، فزرته في (النادي الأدبي) فكان استقبالاً حاراً ، وأحاديث طويلة حول الأدب ، ومنها ما يتعلق بتطوير النادي ، وتوسيع مجالاته ، وتنمية مكتبته ، ورغب اليّ أن أتحدث فيه في إحدى الليالي التي أحدد زمنها في أي موضوع اختاره ، فوعدته بذلك .

وحين أتيت إلى جدة يوم السبت ١٩ جمادى الأولى من هذا العام اتصلت بالنادي ليلة الخميس فقيل لي : إن الأستاذ مُتَأثِّرٌ ، وهو لا يحضر هذه الأيام ، ولم أعلم بمرضه ، ولكنني فوجئت بخبر وفاته بعد أسبوع .

---

(١) صدر في تلك الأيام أمرٌ بإخلاء الحرم من النائمين ليلاً ، ومن عادة طلاب العلم البقاء فيه بعد العشاء للمذاكرة ، وكنت وبعض زملائي نحضر كتبنا فنُمْضي في المسجد بعد صلاة العشاء وقتاً لمطالعة دروسنا ، فلم نشعر في إحدى الليالي إلا بمدير شرطة الحرم ، وكان ضابطاً تركيَّ الأصل يدعى (نظمي) يجري ومعه جندياں بأقصى سرعة وكلما مروا بأناس جالسين انهالوا عليهم بالضرب بعصي من الخيزران التي يحملونها ، وكنت ممن ضربوا ، فوقفت في وجه الضابط صارخاً بالاحتجاج ، وان عمله يتنافى مع حرمة هذا المكان ، فادّعى أنني كنت نائماً ، مع أن الكتاب الذي كنت أطالعه بيدي وأرغمني ومن معي على الخروج ، فأبرقت للملك عبد العزيز رحمه الله — وكان في مكة تلك الأيام — فأمار بإحالة الأمر الى المحكمة ، وكانت (المستعجلة) وكان قاضيها الشيخ حسين عبد الغني ، وعند البدء في المحاكمة وقف الضابط يقرأ في أوراق بين يديه ، ولكنه لم يكن يحسن النطق ببعض الكلمات ، فاستوضح منه القاضي وسأله من كتب له هذا الكلام ، وأجاب وهو مرتبك (محمد حسن عواد) وانتهى الموضوع بقرار من القاضي بتوبيخ الضابط ، وأخذ تَعَهُّد منه بأن يعامل من يراه في الحرم بالحسنى ، ولو كان نائماً ، وأن لا تستعمل العِصِيّ في ذلك المكان الشريف .

لقد أحسست بالأسى يعصر قلبي ، وبوحشة غريبة تطغى علي بانتقال محمد حسن عواد عن عالمنا . ولكن ماذا يملك المرء أمام هذه القوة القاهرة المتمثلة في هذه الكلمة (مات ! مات)

وفي ليلة الأربعاء (١٤٠٠/٦/٧ — ١٩٨٠/٤/٢٢م) لم أغادر الفندق ، منذ أن عدت إليه ظهراً حين أحْسَسْتُ بالتعب واشتداد الزكام ، وقد أوشكت الوحشة أن تستولي على نفسي ، من جرّاء الوحدة ، ولبعض ما قرأت أثر في ذلك ، فقد علمت بوفاة المستشرق المسلم الحاج عبد الكريم جرمانوس في ١٣٩٩/١٢/١٧هـ — ١٩٧٩/١١/٧ م — منذ خمسة شهور ، وقد عرفت الحاج عبد الكريم من كتاباته أولاً ، ثم لما زرت (بودابست) عام ١٣٨٧ هـ اجتمعت به مراراً ، وكرم فدعاني إلى بيته ، وأطلعني على مكتبته ، وأفضل هو وقرينته السيدة زبيدة بدعوتي للعشاء في (مطعم القديسين السبعة) وأرشدني إلى طبيب مشهور للعيون في تلك المدينة ، وكان الحاج عبد الكريم ذا مقام بين قومه ، فهو نائب في مجلس الأمة ، وكثيراً ما تسند إليه بعض الأمور التي لها صلة بالعرب على ما قال لي . وقد نشر دراسات عن الأدب في بعض الأقطار العربية باللغة العربية وغيرها ، ولُغَتُهُ العربية مستقيمة ، وطلب مني أن أبعث إليه بعض الكتب المتعلقة بالأدب الحديث في نجد ، فبعثت إليه من بيروت بكتابي «شعراء نجد» و«الأدب الشعبي في جزيرة العرب» وغيرهما ، ولكنني فوجئت بإعادة ما بعثت ، وقد كتب فوقه بلغة تلك البلاد ما تعريبه : (ترجع إلى مرسلها) ولم أدرك تعليلاً لذلك . ولكنني حينما اجتمعت به قبل بضع سنوات . وأخبرته : نفى أن يكون أمر بإرجاعها ، وكان في ذلك الوقت مع تجاوزه الثمانين عاماً نشيطاً صحيح الجسم إلا أن نظره ضعيف ، وكانت زوجته زُبيدة بَرَّةً به ، شديدة الاهتمام بمراعاة صحته ، وهي تصغره بنصف العمر — فيما يظهر — وتتحدث العربية ، وتساعده في كتابة أبحاثه على الآلة الكاتبة .

أكرمني — بالزيارة هذه الليلة — الاخوة عبد الرحمن الحمد الشبيلي وابراهيم العمار ، والدكتور محمد الْمَعيني من عمان[1] ، فمضى هزيع من الليل بمحادثة الأخوين

---

(١) سبقت الإشارة إليه حين زارني مع الأخ محمد الناصر.

الشبيلي وابن عمار ، مما خفف عني ما ألمَّ بي من وحشة . ولكنني استيقظت مبكراً ، فطالعت صفحات من كتاب «أنساب الاشراف» للبلاذري تحقيق الدكتور عبد العزيز الدوري — وكان أفضل علي بنسخة منه — فغلبني النعاس وهو بين يدي فلم أُفِق إلا الساعة الخامسة صباحاً . ولما حاولت الخروج من الفندق لفحني الهواء البارد فعدت إلى الغرفة .

وفي صباح يوم الأربعاء (١٤٠٠/٦/٨هـ — ١٩٨٠/٤/٢٣م) كان الالتقاء بالدكتور محمد عدنان البُخَيْت ، وكنت قد أبديت له رغبتي أنا والدكتور عبدالله العثيمين الاطلاع على ما في مكتبة الجامعة من كتب مخطوطة أو مصورة . فدعا الأخ السيد نوفان رجا الحمود ، وأمره بالذهاب معنا إلى (مركز الوثائق والمخطوطات) وكان منفصلاً عن مكتبة الجامعة ، ثم قدم لنا الأخ نوفان (فهرس المخطوطات المصورة)[1] مكتوباً بالآلة ثم مصوراً ، ويقع في ستة أجزاء ، منها ثلاثة قد رتبت فيها الكتب على الفنون ، وألحق بها فهرس يحوي أسماء المؤلفين ، وكثير من تلك الكتب مصور من مكتبات جامعات غربية ، ولفت نظري كثرة الرسائل المتعلقة بالنِّحْلة الدرزيَّة . ومع أنني لا أزال مُتَأثِّراً مما أصابني من البرد أوّل يوم قدمت فيه هذه البلاد . إلا أني شعرت بارتياح دفعني إلى الانهماك في المطالعة والكتابة ، وكأنني لأول مرة أرى فهرس كتب وكما قيل :

وَذُو الشَّوْقِ الْقَدِيمِ وَإِنْ تَسَلَّى ... مَشُوقٌ حِينَ يَلْقَى الْعَاشِقِيْنَا

ويظهر أن رداءة التصوير أو الكتابة كانت من أسباب عدم الدقة عند ذكر أسماء الكتب أو ذكر التاريخ المتعلق بها . ومن أمثلة ذلك (ص ٤٤٥) : الطبري — الرباط النضر ، في مناقب العشرة ، ووصف خطه بأنه مغربي واضح . ومعروف أن اسم الكتاب «الرياض النضرة ، في مناقب العشرة» للطبري محب الدين العالم المعروف .

وعند ذكر كتاب «خلاصة الوفاء» جاء في وصفه : — ولعل هذا في الفهرس قبل أن يرتب على العلوم — : خلاصة الوفاء بأخبار دار المصطفى — للمسهودي نور الدين

---

(١) من اعداد الدكتور محمد عدنان البخيت ، والسيد نوفان رجا الحمود .

علي .. ألّف سنة ٦٩٣ ـــ مخطوطة سنة ٧٥٧ ـــ الشريط رقم ٣٠ مصور من جامعة شيكاغو رقم ٣٧٢٧ ـــ وكنت أعرف أن السمهودي من أهل القرن العاشر، واستبعدت أن يقع خطآن في تاريخ التأليف وفي تاريخ النسخ . وتوهمته غير كتاب السمهودي . ولكنني حين اطلعت على الشريط وجدته هو هو، والخطأ في قراءة (تسعمائة) في الموضعين، فليست (ستمائة) و(سبعمائة) .

ورأيت اسم السمهودي مرة أخرى مكتوباً بصورتين ـــ بالدال وبالراء ـــ وهو غير مؤرخ المدينة، هو ابراهيم الحسني الشافعي له كتاب «الإشراف على فضل الاشراف» ـــ ويقصد اشراف النسب، وهو مصور من جامعة كولمبيا رقم ٢٤٧ ـــ مجموعة سميث ـــ ورقم شريطه ٤١٣ ويقع في ٧٦ ـــ وللسمهودي المؤرخ كتاب في الموضوع[١] .

ومن مؤلفات السيد مرتضى الزبيدي[٢] شارح القاموس : «جذوة الاقتباس، في نسب بني العباس» في ١٧ ورقة رقم الشريط ٦، من جامعة ييل رقم ٨٧ مجموعة لاندبيرج، و«نفحة العنبر في نسب الشيخ علي اسكندر» في إحدى عشرة ورقة، في الشريط رقم ٢٦٦ من مجموعة جاريت في جامعة برينستن، برقم ٢٩٣٦ .

ورسالته في الدخان، وهي معروفة، وقد نشرتها في مجلة «العرب»[٣] .

ومرَّ بي اسم «الانباء في تاريخ الخلفاء» لمحمد بن محمد العمراني، مخطوط سنة ٦٢١ في ١٣٢ ورقة في الشريط رقم ٦٨٠ عن خزانة الرباط، والكتاب على ما أعرف حققه الدكتور قاسم السامرائي من العراق وتحدثت عنه في «العرب» وقد استعار المحقق الفاضل مني نسخة مصورة، ولا أعرف ما تمتاز به هذه النسخة، فأنا انقل معلومات من الفهرس، ولم أطلع على النسخة .

وكنت تحدثت عن «التذكرة الحمدونية» حين اطلعت على أجزاء منها في بعض

(١) جواهر العقدين، في فضل الشرفين ـــ شرف العلم وشرف النسب .
(٢) لم أجد اسمه في فهرس المؤلفين .
(٣) س ١١ ص ١١٤ الى ١٣٠ .

المكتبات التركية ، فرأيت ذكر أحد أجزائها مصوراً عن مكتبة أحمد الثالث في أصطنبول ، على الشريط رقم ٦٠٩ ومما جاء في وصفه : الجزء الثاني عشر الباب التاسع والأربعون والباب الخمسون ، في التاريخ ، من آدم ومن بعده من الأنبياء . ثم العرب قبل الإسلام فالسيرة النبوية ، فالخلفاء إلى سنة ٥٥٣ — مع الإشارة الى ارتباك في التسلسل ، وأن المؤلف أو الناسخ أشار إلى ذلك بجملة (يحتاج إصلاح) . ويقع في ٢١٩ ورقة من القطع الكبير .

وكتاب «تخريج الدلالات السمعية» على ما كان في عهد الرسول ﷺ من الحرف والصناعات والعمالات الشرعية» للخزاعي التلمساني ، يقع في ٧١٨ ورقة على الشريط ٣٧٠ عن خزانة الرباط ورقمه فيها ١٨٢٨ د[1] .

ومما لفت نظري عند مطالعة عناوين بعض الرسائل الدرزية ذكر رسالة من القرمطي للحاكم صاحب مصر ، ورد الحاكم عليها ، مما صور من جامعة ييل (٤٥ مجموعة الزبوري) وتقع في الشريط الذي يحمل الرقم (١) وقد وردت الإشارة الى الرسالتين في كتب التاريخ حين استهان القرامطة بحرمة الكعبة المعظمة ، واستباحوا قتل حجاج بيت الله الحرام في مكة .

ولرسائل ابن ماجد الربّان النجدي المشهور صورة على الشريط ٤٧٣ عن مخطوطة في مكتبة الكنجرس (٩٧ مجموعة الشرق الأدنى) لا أدري مبلغها من الصحة والقدم .

ولعناية بعض الأحباب في بلادنا بدراسة الأمثال أُشير إلى مؤلف في هذا الموضوع ، باللغة العامية الشامية عنوانه «تحفة الأكياس» في الأمثال السائرة بين الناس» يقع في ٣٦ ورقة على الشريط ٦٢٠ من مكتبة توبنجن برقم (١٤٥) .

وذكرت وأنا أطالع أسماء مؤلفات السيوطي للبحث عن مقامته التي كتبها عن (ينبع)

---

(١) هذا الكتاب أغار عليه الشيخ الكتاني فضمنه كتابه المطبوع «التراتيب الإدارية» وعلى أثر ذلك تصدى أحد علماء تونس لنشره عن نسخة فيها نقص ، وقد عرف له الآن نسخ احداها في اصطنبول واثنتان في خزانة الرباط والثالثة في الخزانة الملكية في الرباط أيضاً . ويقوم الأستاذ الدكتور إحسان عباس بتحقيقه واعداده للنشر .

فرَّ بي اسم «إتحاف النبلاء بأخبار الثقلاء» مصوراً من جامعة ييل (٢٥٨) في أربع ورقات، على الشريط (١٠) ذكرت كتاب حبيبنا أبي ناصر الأستاذ الشيخ محمد العبودي، ولا أشك بأنه اطلع على هذه الرسالة.

ونسخة «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار — أي القطعة الموجودة من هذا الكتاب في مكتبة بودليان — أكسفورد مصورة على الشريط ١٥٦.

وأخذ مني التعبُ مَأخَذَهُ فلم أستطع الاستمرار في المطالعة، ولا رؤية صورة كتاب «بستان الآداب، والكناش المستطاب» للحميدي — كذا ورد في الفهرس — يقع في جزء ين الأول ورقاته ٥٦٦ والثاني ٣٢٠ من القطع الكبير، وقد صور من خزانة الرباط (٢/٢٨٠) على الشريط ٦٧٥ وجاء في آخر الجزء الثاني منه: (انتهى بحمد الله تعالى يتلوه فيما بعد: ومن كتاب جمهرة أنساب العرب، ومن قصيدة لعامر بن الطفيل العامري).

وكنت قبل ذلك قد اتعبت بصري بالاطلاع على الشريط الذي يحمل الرقم (٦٣١) حين رأيت عنوانه: (مصطفى العيص — التبصرة والتذكرة، ينقل مشاهداته في رحلته إلى الديار المقدسة ويتحدث عن الدراويش) صور من مكتبة توبنجن (٢٩ ٧١) فرأيت كثيراً من الصفحات مما لا يقرأ، ورأيت اسم المؤلف (اللطيفي) في أحد هوامش الكتاب، وهو اسم عالق بذهني قبل الاطلاع على هذه النسخة، وقد زار اليمن والحجاز والشام، ويهتم كثيراً بالتصوف، ويوجز فيما لا صلة له، ويكتب بلهجة عاميّة أحياناً.

وكان الأستاذ الدكتور عبدالله العثيمين قد شغل بنقل قصيدة لأحد العراقيين[1]

---

(١) يدعى السيد ياسين بن السيد ابراهيم البصري الحسيني نظمها في غرة رجب سنة ١١٦٨هـ مطلعها:

بدأت ببسم الله والشكر والحمد ... على نعم جلت عن الحصر والعد
وثنيت صلى الله ربي مسلما ... على المصطفى الداعي الى الخير والرشد
وبعد ففي صنعاء قد بان خارج ... مُوَاتٍ بتضليل مُسيلمة النجدي.

واستمر أخزاه الله في هذيانه، ووصمه الدعوة السلفية وإمامها وأنصارها بالزور والبُهتان، تقع في نحو مئة واحدى عشر بيتاً، افتتحها بمقدمة ثم صار يورد من قصيدة الصنعاني البيت أو الأبيات بعنوان (قوله) ويعقب

يعارض فيها قصيدة الصنعاني :

سَلاَمي على نَجْدٍ ومن حلَّ في نَجْد ... وَإِنْ كَانَ تَسْلِيمي على البُعْد لا يُجْدي

فاظهرت له رغبتي في الراحة واستأذنته وانصرفت إلى الفندق ، ولزمت الفراش ، وفي المساء سعدت بزيارة بعض الاخوة ومنهم الأستاذ الحبيب اللمسي ، الذي عرفته أول ما عرفته حين أكرمني بالزيارة عندما كنت مقيماً في القاهرة قبل خمسة وعشرين عاماً ، ثم لما زرت تونس . وعلم بذلك سارع الى المجيء هو والأستاذ محمد المطوي العروسي ، في المكتبة العامة ، وأشرت الى هذا في كلامي عن زيارة تلك البلاد الحبيبة الى النفس ، وفي بيروت كان اللقاء مراراً وكان يعمل في (الدار التونسية للنشر) إلا أنه منذ أربعة أعوام فتح له مكتباً في مدينة بيروت ، لنشر الكتب .

وكنا التقينا في الصباح مع الأستاذ الدكتور إحسان عباس ، والدكتورة وداد القاضي ، وجرى حديث حول نشر كتاب «أنساب الاشراف» للبلاذري ، فعلمت أن الدكتورة وِدَادًا تشارك في تحقيق الكتاب ، وأنَّ الدكتورين الدوري وإحسانا أوشكا أن يكملا جزءين منه . أما الدكتور محمود الغول . فحين جرى الحديث معه في الموضوع ، وأوردت المثل : (تَعسَّتِ العجلة) ! ! أوضح أن عمله في (جامعة اليرموك) حال بينه وبين إنجاز تحقيق ما أُسند إليه تحقيقه منه وهو جزءان ، وأضاف بأن من أسباب تأخره في ذلك عدم الاتفاق على طريقة التحقيق ، ولكنها اتضحت له بعد صدور الجزءين اللذين

ذلك بكلمة : (قولى) وقد أورد من قصيدة الصنعاني نحو ثلاثين بيتاً .

وللشيخ سليمان بن سحمان رسالة حول قصيدة الصنعاني وقصيدة أخرى نسبت إليه مطلعها :

رجعت عن النظم الذي قلت في النجدي ... فقد صحَّ لي عنه خلاف الذي عندي

ورسالة الشيخ سليمان مطبوعة مراراً بعنوان «تبرئة الشيخين» وحبذا لو تصدى أحد العلماء للرد على قصيدة هذا العراقي فهي جديرة بذلك ، كما فعل الامام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله ، في رده على مصطفى البولاقي الازهري في قصيدة مماثلة لهذه القصيدة بحرا وقافية ومزاعم باطلة . وقد اطلعت على رد الشيخ عبد اللطيف وعلى قصيدة البولاقي في (دار الكتب المصرية) بقلم نجدي يدعى (ابن جلاجل) فأخبرت الشيخ محمد بن عبد اللطيف — رحمه الله — بالرد وبالقصيدة ، وكان في القاهرة للعلاج وذلك عام ١٣٥٨ فطلب مني نسخها له ففعلت .

حققها الدكتوران إحسان والدوري ، وقال : إنه سيقدم أول الجزءين للطبع في شهر نيسان من عام ١٩٨١ م .

والتقيت أيضاً بالدكتور شاكر مصطفى — المصري لا العراقي — رئيس قسم التأريخ في كلية الآداب في جامعة الكويت ، وكان حضر هذا اليوم ولهذا لم يطبع بحثه ولم يوزع على حاضري المؤتمر ، والدكتور شاكر يُعنَى بوضع معجم يحوي تراجم المؤرخين وحدهم من العلماء وقال إنه أكمل نحو ثمانية أجزاء منه .

وقد سألته عن ترجمة عالم له رسالة مخطوطة في وصف مكة والمدينة وبيت المقدس وهو من أهل القرن الرابع الهجري ، واسمه محمد بن أبي بكر التلمساني) على ما في طرة الرسالة التي نشرتها في مجلة « العرب »[1] فرغب الاطلاع على الرسالة ، وعلى ما كتبته عن مؤلفها .

وكان ممن قابلته الدكتور كمال جبر عبد الفتاح ، له مؤلف عن بلاد عسير ، وقال لي : إنه مكث في هذه البلاد حقبة من الزمن ، ودرسها دراسة واسعة . وكتب عنها باللغة الألمانية من الناحية الزراعية ، ووضع في كتابه مجموعة من المصورات الجغرافية ، وقال : إنه سيقدم لي بعضها ومنها ما يتعلق بتوزيع القبائل ، وبتحديد بعض المواضع كالطرق والأودية وأمكنة الأسواق الأسبوعية .

ولما تمنيت أن الكتاب وضع باللغة العربية ، وأبديت له وجود من سَيُسْهِم في نشره أجاب بأنه سيصدر قريباً باللغتين الألمانية والفرنسية . وسيفكر في نقله إلى العربية ، وأثنى على سمو الأمير خالد بن فيصل بن عبد العزيز أمير بلاد عسير . وما قدم له من مساعدات ، وأنه وعده بطبعه باللغة العربية على نفقة سموه ، إذا رغب ذلك وان يقدم له خمسة آلاف نسخة دون مقابل .

وكان مما قال لي الدكتور كمال : إن كثيراً ممن يُعْهد إليهم القيام بدراسة بعض مناطق المملكة ليسوا كلهم على درجة من الكفاءة تهيئهم وتمكّنهم من أداء عملهم على الوجه

(١) السنة الثامنة ، من ص ٣٢٤ الى ص ٣٥٧ .

المطلوب ومثل لذلك برجل أمريكي كلف بكتابة تقرير عن منطقة القرعا ـــ أو السودة الشكّ مني ـــ ودفع في سبيل إعداد ذلك التقرير من المال ما لا يسوغ صرف جزء منه مقابل ما قدمه ذلك الرجل من دراسة تنبىء عن جهله . وأثنى على دراسة قام بها أحد المختصين بالزراعة من العرب عن (المراعي في المملكة) وقد نشرتها (وزارة الزراعة) منذ أمد .

انتهاء المؤتمر: وكان الاجتماع الأخير للمؤتمر في صباح يوم الأربعاء (١٤٠٠/٦/٩هـ ، ١٩٨٠/٤/٢٤م) في الساعة الحادية عشرة . وقد أقيم معرض للمصورات الجغرافية (الخرائط والرسوم) منذ افتتح المؤتمر ، ازدانت بتلك المصورات جدران أبهاء غرف (كلية الزراعة) حيث تعقد الاجتماعات . فكنت ذلك الصباح واقفاً مع أحد الأخوة ، وكان يعني بوضع رسالة عن (صلة الأردن بالمملكة) في عهد تأسيس إمارة شرق الأردن ، فأظهرت له عدم اهتمامي بهذه الناحية من تاريخنا ، وأحببت أن ألفت نظره إلى التثبت عند مراجعة بعض المصادر والحرص بأن تكون شاملة . فلا يجوز الاعتماد على ما قد يراه أو يدونه مؤلف أردني بدون الرجوع الى ما قد يكون مدوناً في مؤلف آخر . لتتم المقارنة التي بها يمكن اتضاح الأمر . وضربت له مثلاً بهذه المصورات التي تملأ هذه الأبهاء . فهي مما لا يصح الاعتماد عليه لا من ناحية رسم الحدود بل حتى في المعلومات التاريخية وفي كتابة الأسماء وخُذْ مثلاً هذا المصور الذي عُنْوِن بـ(الفتوحات الإسلامية) في القرن الهجري الأول أن أكثر هذه المدن والقرى الموضوعة فوقه ، لم تكن موجودة في ذلك القرن ، بل منها ما حدث بعد القرن العاشر ، وعددت بعضها وفي الأسماء : عرار وطبال والميرة والجيشومة وقرة وذات الحج وأسماء أخرى كثيرة شوهت جمال هذا المصور (الخريطة) الذي وضع لبيان مواقع الحروب الإسلامية ـــ الصليبية ، وصوابها : عَرْعر وتُبل والْمِرَار والقيصومة[(١)] وقارة وذات الحاج[(٢)] .

---

(١) هذه القيصومة منهل في وادي تبل حين يتوغل داخل الحدود العراقية ، وهناك قيصومتان مشهورتان غيرها احداهما جنوب وادي الباطن غير بعيدة عنه والأخرى في الشمال الغربي منه وهي بعيدة وتدعى قيصومة فيحان .

(٢) الحاج نوع من النبات ـــ بتخفيف الجيم .

وكان الاجتماع برئاسة سمو الأمير حسن بن طلال ، افتتحه بكلمة مرتجلة ، شكر فيها المؤتمرين ، ومع إيجازها فقد نالت الاستحسان . ثم قرأ الدكتور ناصر الدين الأسد — رئيس الجامعة الأردنية — المقررات والتوصيات في اثنتي عشرة مادة منها :

١ — استكمال الوثائق والمخطوطات المتعلقة بتاريخ بلاد الشام ، واعداد مكتبة تضم كل ما يتعلق بفلسطين والقدس خاصة .

٢ — تنظيم فهارس (قوائم ببليوغرافية) للأطروحات والكتب والبحوث المتعلقة بفلسطين والعمل لنشر ما هو صالح للنشر فيها .

٣ — تكوين لجنة لدراسة التوصيات ، والعمل على تنفيذ ما تستطيع تنفيذه منها ، وتحرير البحوث المقدمة إلى المؤتمر لنشر ما ترى نشره منها .

ثم جرى نقاش طويل أعقبه تناول الشاهي — كالعادة — واقترح الدكتور ناصر أخذ صورة كاملة للوفود مع سمو رئيس المؤتمر الأمير حسن فوق درج باب (كلية الزراعة) مكان الاجتماع .

وهكذا انتهى المؤتمر .

انزويت في إحدى الغرف أثناء تناول الإخوة الشاهي ، حيث تعبت من الوقوف ، مع إحساسي باشتداد الزكام ، فدخل علي الأخوان الدكتوران عبدالله الشبل وعبد الفتاح أبو علية يتبعها أحد موظفي (وزارة الاعلام) وكان يتتبّع الوفود ليسجل ما يرى تسجيله من انطباعاتهم عن المؤتمر وتوصياته ، ويظهر أنّ الأخوين هربا منه فأشارا له إليّ . فقلت له : لن أبخل عليك بالكلام ، بشرط أن تقبله وإن لم يوافق رغبتك . فكأنني أثرت في نفسه حوافز التطلع إلى ما سأقول ، فجلس جواري مبدياً بأنه يود أن يسمع مني أيّ كلام أقوله ، فكررت له ما سبق أن قلته عن المؤتمرات[1] ، وأن فائدتها قد تنحصر في التّعارف ، وبالتعارف تتآلف القلوب ، وتتّحِد الغايات ، وتقوى أواصر التعاون لبلوغها .

(١) أنظر «العرب» س ٨ ص ٤٦٠ .

ويظهر أنني لم أداعب عاطفته بما كان يتوقع ، وخاصة حين قلت له : إن المؤتمرين من العلماء ، والعلماء قد يستطيعون رسم الطرق ، وإيضاح الوسائل ، ولكن ليس لديهم ما هو أكثر من ذلك ، كما فعلوا في الدورتين الأوليين لهذا المؤتمر ، بل كما حدث — وسيحدث — في المؤتمرات التي لا عد لها ولا حصر ، في كل قطر عربي ، وفي كل عام بل في كل شهر .

وكلمة حَقٍّ يجب أن تقال : لقد بذل الإخوة المشرفون على شؤون هذا المؤتمر ما وسعهم بذله لتوفيْر الرّاحة الممكنة لكل مَدْعُوٍ إليه . اما عن تنظيم جميع أموره من الناحية الإدارية ، فما لا يستطيع أحد هَضْمهم حقهم ، ولا نُكران فضلهم ، ولا سيَّمَا الأستاذ الكريم الدكتور محمد عدنان البُخَيْت[1] ، رئيس اللجنة المشرفة على الاعداد للمؤتمر ، والقيام بتنظيم جميع أموره .

كنت قررت السفر صباح هذا اليوم إلى القاهرة ، وكان موعد الحضور إلى المطار صباحاً الساعة الحادية عشرة غير أنني علمت قبل الخروج من الفندق بأن الطائرة المتوجهة إلى القاهرة تأخر موعد إقلاعها إلى الساعة الثامنة مساء . وكنت حين زرت (مركز الوثائق والمخطوطات) لم أكمل مطالعة ما أردت مطالعته من الفهارس ، فانسللت بعد انتهاء مناقشة (التوصيات) أثناء التقاط صور وفود المؤتمر مع رئيسه الامير الحسن بن طلال ، فرآني الدكتور الأسد ، وكان واقفاً يتحدث مع الأمير فلحق بي وقال : سيأخذ الإخوة الآن صوراً مع الأمير ، فأظهرت الموافقة ، وقلت : إنني عند الباب فوق الدرج ، وهو المكان المُعَدُّ لالتقاط الصور . ولكنني أسرعت حين خرجت ، متجهاً الى (مركز الوثائق) هرباً من التصوير .

فقد ألحَّ الأخ الأستاذ العُزيزيُّ عليَّ قبل الخروج من الفندق هذا الصباح لأخذ صورة (تذكارية) حين رأى المصور يتنقل بآلته بين وفود المؤتمر ، فوافقت ، ولكنني حين رأيت تلك الصورة تضاءلت خَجَلاً من نفسي ، اذْ ظهرت بين الأخوين العزيزي

---

(١) ينطق الاسم مكبرا ومصغرا ، وقد سمعته من الدكتور الأسد مصغرا ولما سألت البخيت نفسه عن صحة النطق أجاب : الدكتور الأسد دائماً يحب التصغير !! وكذا كان اسمي ، ولكنه الآن ينطق مكبراً .

والحبيب اللمسي في مظهر أشبه بمظهر إنسان أُمسك به أثناء ارتكابه أمراً محظوراً فحاول الاختفاء ، وبدا خائفاً منكسر النفس .



من اليمين :
١ ــ الأستاذ ركس بن زائد العُزَيْزي
٢ ــ حمد الجاسر
٣ ــ الأستاذ الحبيب اللمسي)

لم أجد باب مكتبة (الوثائق والمخطوطات) مفتوحاً ، فرجعت إلى موقف السيارات المخصصة لتنقل الضيوف ، فلما أقبلت عليها إذا بسيارة تقف بجانبي ، وإذا بالدكتور الأسد ينزل منها ، ثم يمسك بي قائلاً : هذا سمو الأمير يريد أن يسلم عليك ، لقد كان لطيفاً كريم النفس ، استقبلني هاشاً باشاً ، معانقاً عناقاً حاراً . ولم تُجر البداهة على لساني ــ بعد التعبير عن كرم الضيافة وحسن الاستقبال سوى القول : إنك بإكرام العلم والعلماء تكرم نفسك وتعلي مقامك ، فشكر وَودَّع معانقاً مرة أخرى .

لقد كان الدكتور ناصر الدين الأسد بِي حَفِيّاً ، فما رآني إلا أسرع الي معبراً عن استعداده لبذل ما قد أحتاج إليه ، وتلك سجيته مع جميع ضيوف المؤتمر. وأثناء الاجتماع الأول ــ بعد انتهاء الملك الحسين من افتتاح المؤتمر بخطابه ــ وتقديم الوفود للسلام عليه ــ لم يكتف حين رآني بالأخذ بيدي وتقديمي على كثير من الذين تقدموا عليَّ ــ وكنت أتأخر شيئاً فشيئاً للخروج من مكان الاجتماع ــ فقدمني للملك وأسبغ علي وصفاً دفعني الى أن قلت أثناء مصافحتي للملك : لا أتهم أستاذنا الدكتور الأسد بالجهل بِي حين وصفني بخلاف ما اتَّصف به ، ولكن الرجل الفاضل يرى في غيره ما يتحلى به نفسه هو من نبل الخلال ، فكأن الكلمة وقعت من نفس الملك موقعاً دفعه الى أن يمدَّ الي يده مرة أخرى مبتسماً ، إن لم يرد أن أدع المكان لغيري ، وكان الملك يوزع كلمات الترحيب وما يبديه من بشاشة وابتسام على من لا يعرفه ممن تقدموا بين يديه توزيعاً عادلاً .

(عَنْبَر جُودَة) : أسرعت بعد الظهر في الذهاب إلى المطار ، وتلك عادتي فأنا أسير على الحكمة القائلة : (من تَقَدّم لم يتندم) وفي الساعة الخامسة والنصف كنت أخذت مقعدي بين الجالسين في (صالة السفر) بعد أن شاهدت ما بقربه من أمكنة ، كالسوق الحرة ، والمقهى ، والمكان المخصص لتناول (المرطبات) مجانا من قبل شركة الخطوط الأردنية (عالية) واستبدلت نقوداً مما بقي معي من الدنانير الأردنية ، وعلى ذكرها فإني أنصح بعدم الصرف إلا في المصارف (البنوك) لا في الفنادق .

ها هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمد عوض الله صالح — مفتي السودان — جالس غير بعيد عني ، وكان ممن حضر المؤتمر ، وقد اجتمعت به مراراً في (مؤتمر السيرة النبوية) في الدوحة في قطر في أول هذا العام ، ومنذ نحو شهر في (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) في الرياض ، وقبل خمس سنوات عرفته — أول ما عرفته — حين زرت الخرطوم ، فاجتمعت به عند سفير بلادنا الأستاذ الكريم الشيخ عرب سعيد هاشم (يوم الخميس ١٣٩٦/١٢/٢٥ هـ) وتحدثت عنه بما انطبع في ذهني في أول اجتماع)[١] .

جلستُ بقرب الشيخ ، وكان مُحَدِّثاً لبقاً فكِهاً ، بحيث تمنيت أن يطول أمد الجلوس ، فكان ذالك ، ولكن بدرجة لا تكاد تحتمل ، فقد تأخر السفر إلى الساعة التاسعة ، ثم الحادية عشرة ، ثم لم يكن الإقلاع من المطار إلا بعد الساعة الثانية عشرة .

وببركة الشيخ أفضل علينا أحد موظفي المطار بالخروج من المكان الذي اجتمع به المسافرون حتى ملأوه ، فهم بين واقف ، وجالس فوق آخر ، مع ضيق ذلك المكان وكثرة المسافرين ، ولم يسمح لغيرنا بالخروج ، لأنهم قد فتشوا تمهيداً لركوب الطائرة . وحين يريد احداً أن يخرج لأمر عارض يعترضه أحد الشرطة ، حتى طال الوقت وضَجَّ الناس ، فسمح لذوي الحاجة منهم .

كان الشيخ عوض الله حين يرى ما فيه أولئك من ضيق وحَصْرٍ وضوضاء ، يكرر كلمة (عَنْبر جُودَة) حتى استوضحت منه عن معناها فقال : جودة قرية تقع في شمال

(١) أنظر «العرب» س ١١ ص ٤٨٥ .

الخرطوم ، وتبعد عنه نحو ثلاث مئة وخمسين كيلاً . وجرى أن حُبس في سجن تلك القرية أربعون إنساناً ، وكان السجن مسقفاً ولا منفذ فيه للهواء ؛ وكان الوقت حاراً فبدأ المحبوسون يتساقطون موتاً واحداً بعد الآخر ، ولم يبق منهم سوى واحدٍ ، فذكر ني هذا المنظر بذالك المثل الذي يُضْرب في الحالة التي يستسلم فيها الْمَرْءُ للواقع ، ولا يتصرف تصرفاً يخرجه مما وقع فيه من ورطة . فيقال لحثّه على عدم الاستسلام : وهل وقعت في (عنبر جودة) ؟!

مضى لي في انتظار السفر وقت تجاوز ست ساعات ، لم أطعم فيه سوى كوب من شراب بارد حلو ؛ يقال إنه عصير برتقال ، ولم أرَ عند المَشْرَب الذي داخل المطار من الأكل ما يغري بتناوله ، وفي الطائرة قُدّم طعام بارد ، ولكنه كان لذيذاً ، وكما قال حميدان الشويعر :

الجوع خـــدَيْـــديم اجوادْ ... ودَكْ يـاطى كـل زُنـقَـه
والـنـعـمـة خَـمْـر جهاشَهْ ... مـا يحفـظـهـا كـود وُثـقـه

وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم الجمعة (١١/٦/١٤٠٠هـ و٢٦/٤/١٩٨٠م) كنت أرمي بالحقيبة داخل منزلي في شارع مراحق بن عامر في الجيزة ، وأتمدد فوق أقرب مكان صالح للنوم ، اذ قد أخذ مني التعب مأخذه ، فطيران ساعتين ، وقبله انتظار ست ساعات ، ثم المزاحمة للبحث عن الحقيبة — ركاب الطائرة نحو ٤٠٠ إذا صدق أحد المضيفين — ثم .. ثم .. ثم وسيبقى السفر كما كان (قطعة من العذاب) !

حمد الجاسر

الشعر في الجزيرة العربية

نجد و الأحساء و القطيف

خلال قرنين (١١٥٠ - ١٣٥٠)

— ١ —

الصنعة البديعية :

إذا دخلنا في نهج القصائد وطرقها ، وجدنا عبث البديع بشتى أنواعه وظاهرة التعلق بأذيال القدامى ، بمجاراة أو بمعارضة ، أو تضمين ظاهرة عامة ، والتقليد سواء في علم النفس أو علم الاجتماع أم الأدب يدل على ضعف الشخصية ، وهذا ما حدث فشعراء هذه العصور مثل اجدادهم في عصر الانحطاط يشكون من أنفسهم ، وفي مجتمعهم وفي حياتهم السياسية والاجتماعية ضعفاً وخللاً ، وحسب نظرية الضعيف يقلد القوي فقد انطلق ضعفهم على شكل نفثات مصدورين على صفحات الشعر والأدب ، فهاموا بالقدماء تقليداً ، وباختصار آثارهم ، أو شرحها ، أو نثر ما نظم منها ، ونظم ما انتثر حتى الشعر جاءته الشروح وهل التخميس والتشطير الذي نجده عند غالب الشعراء إلا شرح للقصيدة الأصل؟ انها مثل شروحات المتون ، لكنهم يشرحون النثر بنثر ، ويشرحون الشعر بالتشطير والتخميس ، ومثلما أن بعض الشروح النثرية ، حجب سميكة من الغبار دون الرؤية النقية فإن التشطير والتخميس ، عملية عجيبة ، وتصور صانعاً يريد أن يمدد سيارة صغيرة ليحولها الى سيارة شحن واضعاً الوصلات من الحديد وغيره ، ومهما كان عقله ضعيفاً ، وجهده مخفقاً ، فإنه أخو الذي يشطر ، لا فرق بينهما ، وكلاهما من «عيال الصناعة» .

قال أحمد عزة العمري بيتين جميلين : (١)

---

(١) تاريخ الاحساء : ١٨٤/٢ .

ان المذاهب كالمناهل للهدى والمرء مثل الوارد الظمآن
والنفس ان رويت بأول منهل غنيت بلا كره لشرب الثاني

لكنه يأبى إلا افسادهما ، فطلب من عبدالله بن علي آل عبد القادر تخميسها فقال[1] :

يا سالكاً وجد السبيل تعددا خذ ما تشاء فسوف تأتي المقصدا
واحذر وقوفك حيرة وترددا ان المذاهب كالمناهل للهدى
والمرء مثل الوارد الظمآن

فإذا نزلت من الحمى في منزل لا الفينك عن سواه بمعزل
فالحر لا يبقى رهينة أول والنفس ان رضيت بأول منهل
غنيت بلا كره لشرب الثاني

ومن التشطير قول عبد الحق العثماني[2] :

في صدرها كوكبا در كأنهما حقان من فضة بالمسك مختتم
والخال ينبيك ان الوجنتين هما ركنان لم يدنسا من لمس مستلم
صانتهما بستور من غدائرها عن كف ملتمس أو ثغر ملتثم
حتى استحلا دم العشاق واعتصما فالناس في الحل والركنان في الحرم

ويزداد ولعهم بالتشطير والتخميس حتى يصبح عاهة ومحنة لا ينفك منها الشاعر ، فنجد معظمهم ينظم القصائد ثم يعود عليها بالتشطير والتخميس قال عبدالله بن عمير ناظماً ومخمساً[3] :

---

(١) تاريخ الاحساء : ٢/١٨٤ .

(٢) عبد الحق العثماني «مقالة» عبد القدوس الانصاري . المنهل جمادي الأولى ١٣٧٧ هـ وكنا إذا قرأنا الشعر المعاصر الذي يستعيد الألفاظ الدينية لمعان أُخَر لمناه وخطأناه ، فما بالك حين يستعمل الألفاظ والمعاني المقدسة في الغزل الصريح .

(٣) شعراء هجر : ٥٦٥ ، ولا يستقيم الوزن في البيت الأول إلا بحذف علامة الندبة من كلمة «رب» الأولى . ومثله البيت الخامس الذي دخله النشاز ولعل أصله مع البيت الرابع هكذا :

والقصيدة من الرمل . ان عرتني في زماني كربة أيقنت نفسي من الله الفرج

ربـاه يـا ربـاه عـمـري مـدة تـنـقضي بالموت اذ لا رجعة
حسب نفسي من ذنوبي توبة مـا عـرتني في زمـاني كـربـة
إلا وايقنت من الله الفرج

مـالك الملك مـدر لـلـغـنى مذهب الاسقام من بعد الضنى
واحـد فـرد فلا يخشى الـفـنا كـاشف الضر مـزيـل لـلـعـنا
عالم الأسرار في بطن المهج

ولعل عبدالله بن عمير من أكثر من طرق هذا الباب عودا وبدءا .

(٢)

والتضمين نوع من العبث ، ألح عليه الشعراء وأعجبوا به ، وهو مثل التشطير والتخميس في مغزاه الذي يقوم على شروح قصائد الأولين ، لكن له نكتة أخرى فالشعراء لا يكادون يطمئنون الى قوتهم إلا بالتضمين، لأن التضمين مثل الدليل من الآيات والآحاد والشعر يستعين به علماء الشريعة واللغة لتأصيل قاعدة أو الاستشهاد لقضية ، وهؤلاء الشعراء يقوون به قصائدهم ، ويوشونها ، كما قال عبد الحق العثماني [١] :

يا عاذلاً لامني في حب طيبة لا تـكثر فـحسبي تباريح أقاسيها
وانـظـر لما قـالـه العـشـاق من قدم في حالة البعد ممن بات يرجوها
لا يدرك الشوق إلا من يكابده ولا الصـبـابـة إلا من يـعـانيها
وكيف يدرك خلو حال مضطرب والـنـار لم تور إلا رجل واطيها

أخشى أن يكون الشاعر لم يتحدث عن الشوق الى طيبة إلا لتضمين هذا البيت ، ودليل ذلك أن التضمين لا يتأتى عفواً ، بين قوسين بل تسبقه عملية تشبه شرح مناسبة البيت ، والتوطئة له ، وهي مقصودة طبعاً ، وهذا شر ما يقع فيه المقلدون ، حين لا

(١) عبد الحق العثماني . مقالة عبد القدوس الانصاري ، المنهل جمادي الأولى ١٣٧٧ هـ .

تكون أبياتهم تعبيراً عن حالة نفسية ، أرادوا تركيبها ببيت من الشعر ، بل هي مجرد حواش حول المتن كما قال أيضاً عبدالله بن علي آل عبد القادر[1] :

لله در المعـري في مـقـالـتـه ... وقد تجافَى عن الخلان وانقبضا
جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجارب في ود امرىء غرضا
ان المحبـــة داء لا دواء لـــه ... إلا السلـو ومالي بالسلـو رضا
وقد جنحت اليه لو ظفرت به ... لأن لي في بعادي عنهم عوضا

(٣)

ومن الصناعة اللفظية الحاح الشاعر على تكرار حرف من حروف الهجاء في البيت يجمع الكلمات التي يقع فيها هذا الحرف كقول أحمد الحفظي الأول[2] :

وقم مقاما قويماً قد أقام به ... قوم يقال لهم أهل المقامات
ودن وادن الى دين يدين به ... اهل الديانة لا أهل الدنيات

وقال ابن سحمان[3] :

اكتب ككتبي كما قد كنت أكتبه ... كتبا ككتبي لهذا الكتب في الكتب

ومن نضج البيئة العلمية والثقافة الدينية جاءت ظاهرة « الاستفتاء » وهو ليس عن حكم عمل حراماً أو حلالا من أحكام الشريعة بل يتصل بقضايا الحب والغزل والهوى ، وعادة يكون السائل غير المجيب ، لكن التقليد يطغى أيضاً على التقليد فيكون السائل والمجيب واحداً ، كما قال عبد الحق العثماني يستفتي أهل العلم هل يجوز هجر

---

(١) شعراء هجر : ٢٥٩ وقد تصرفت في ترتيب الأبيات .
(٢) نفحات من عسير ٢٥٩ .
(٣) ديوانه : ٢٣٥ رحم الله دولة الشعر فلو أن ناقِداً مرهف الذوق سمع هذه الدندنة والقمقمة والكتتكة ولم يصب بصدمة في نفسه أو جسم لعددته رجلاً جليداً .

المحبوب إذا رفض القبلة[1] :

إذا ظهر الصدود من المفدى   وشح على المحب بريق فيه
أيتركه ويسلو عن هواه   والا يستقيم ويرتضيه ؟

وتأتي فتواه مقرونة بحث المحبوب على ارضاء احبابه ، لأن القبلة من اللمم الذي لا يفضي الى مكروه !

عجبت لمن يلوم شجيّ قلب   على طلب الوصال ويجتويه
ويزعم أن لثم الثغر يفضي   الى فعل القبيح ويزدريه

ومثل الاستفتاءات ما شاع عند القوم من الأحاجي والألغاز ، سواء في أمور الدين والعلم ، والنحو ، وشتى وكل ما خطر على بالهم ، المهم أن يكون في الأبيات شيء يستدعي دقة النظر ، لحل هذا اللغز ، قال البيتوشي يسأل عن فاعل نال في هذه الأبيات[2] :

مــــذ أخبرتني انها   تهجــر من غير ملــل
مــا نـالني من هـجـرها   لا والـذي عـز وجـل

(٤)

واعتاد الشعراء ختام قصائدهم بالتاريخ الشعري أو عملية حساب الحروف الأبجدية ليستخرج منها القراء تاريخاً لحادثة هامة ، ولأية وال ، أو خراب مدينة ، أو بناء قصر ، أو وفاة حاكم ، أو شيوع وباء ، أو سيل جارف ، أو جدب وفقر .

---

(١) عبد الحق العثماني ، مقالة عبد القدوس الانصاري . المنهل جمادى الأولى ١٣٧٧ هـ وقد استأنس الشاعر برأي بعض الفقهاء بأن القبلة من اللمم والأخطاء الصغيرة التي يعفو الله عنها إذا اجتنبت الكبائر ، وهو رأي لا يستند الى روح الشريعة المطهرة لأن الله إذا حرم شيئاً حرم أسبابه ووسائله ، وهل القبلة لغير محرم الا رقية الزنى ؟

(٢) شعراء هجر : ٤٥ ، وفاعل نال : وجل .

قال أحد أدباء القطيف يؤرخ بداية حكم آل عريعر على ساحل الخليج[1] :

رأيت البدو آل حميد لما تولوا احدثوا في الخط ظلما
أتى تاريخهم لما تولوا كفانا الله شرهم : طغى الما
١٠١٠ + ٧٢ = ١٠٨٢ هـ

وفي زوالهم أرخ شاعر آخر وآثر أن يأتي بكلمة مطابقة لـ«طغى» ليكون محسنا بديعيا : [2]

وتاريخ الزوال أتى طباقاً «وغار» اذ انتهى الاجل المسمى
١٢٠٦ هـ

وأرخ أديب آخر كارثة الدرعية على يدي ابراهيم باشا : [3]

عام به الناس جالوا حسبما جالوا ونال منا الاعادي فيه ما نالوا
قال الاخلاء ارخه فقلت لهم أرخت قالوا بماذا قلت «غربال»
١٢٣٣ هـ

ومن تاريخ الوفيات قول صالح البسام ، يؤرخ وفاة الشيخ محمد بن مانع : [4]

فجئت بنظم للوفاة مؤرخ مقيم بدار الحمد في منتهى القصد
٢٤٠ + ٢٠٧ + ٨٣ + ٩٠ + ٤٩٦ + ٢٢٥ = ١٢٩١ هـ

وهو أيضاً نوع ورثه الشعراء عن شعراء عصر الانحطاط واعجبوا به ، وغير خفي أن دخوله امتداد لدخول الأسلوب العلمي الذي ظل يزحف على الشعر ، حتى كاد أن يمسخه مخلوقاً أسطورياً .

---

(١) عنوان المجد : ٧٤/١ وفي الأصل ١٠٨٩ وهو خلاف مجموع الحساب والمعروف في التاريخ أن بداية حكم آل عريعر ١٠٧٧ هـ وربما اختار الشاعر عام ١٠٨٢ قاصداً شمول حكمهم الاحساء والقطيف .
(٢) عنوان المجد : ١١٠/١ من الأصل ١٢٠٨ وهو خلاف حساب الحروف وخلاف ما عرف في التاريخ .
(٣) عنوان المجد : ٢١٤/١ .
(٤) عقد الدرر وقد عد الشاعر التنوين في مقام حرف لاكمال الحساب والحساب بدون تنوين ١٢٤١ هـ .

ولا ننسى أن للتاريخ الشعرى بهذا الشكل الذي نجده في هذا الشعر مزية اعلامية حين يريد الشاعر أن يمدح أو يذم حدثاً أو حاكماً ويشهر به بأساوب غير مكشوف ولا معروف بأسلوب ينتشر بين الناس كانتشار النكتة أو أسرع ، وانظر كيف هجا الشاعر القطيفي آل عريعر بـ « طغى الماء » إنه يعبر بأسلوبه عن طغيانهم ، ونفس الشيء في كلمة « غار » التي تعني الشماتة ونفس الشيء في حادثة الدرعية فقد كان صاحب البيت من أنصار الدعوة الاصلاحية فعبر بأسلوب يدل على الإيمان عندما قال « غربال » أي اختبار من الله وامتحان لكن هذه المعاني ليست من أصل مقصد التاريخ الشعري ، ولذلك فإنها وإن جملت لا تعني حسن التاريخ الشعري .

(٥)

واذا تجاوزنا لباب الشعر ، وما دخله من وهن ، الى القشرة أو اللفظ ، وجدنا النقوش والزخرفة التي تحول القصيدة الى قطعة من المومياء ، مظهر براق وباطن أجوف .

فالطباق والجناس والتورية والمقابلة الوان لون بها الشعراء قصائدهم وكلهم يركضون خلفها ، ويستجيدونها .

قال عبدالله بن علي آل عبد القادر في الجناس : [١]

خـلـيلي قـد أضر بي الـتـنـائي ... فـهـل لي رجـعـة أرجو شفاها ؟
شـفـاء لا يـغـادر لي سـقـاما ... إذا نـاجـيـت احـبـابي شـفـاها

وقال محمد الخطيب الزللي في الجناس والمزاوجة : [٢]

وفـود الأمـاني نحو بـابك تـرقـل ... وخـود التهاني في رحـابك ترفل

وقال عبد الرحمن المكي في الجناس أيضاً : [٣]

---

(١) مختارات آل عبد القادر : ٣
(٢) من شعرائنا في العصر العثماني . بحوث المؤتمر الأول للأدباء ٤٨٣/٢ .
(٣) ديوان عبد الرحمن المكي (مخطوط) .

أهـدى سلامـا فاق أنفـاس الصبـا

يحكي لُيَيْلاتٍ تـقضت بـالصـبـا
وعرفه قـد فـاح من ذات الخبا
يهيج وقـد الشوق مهما قد خبا

ومثل ذلك التورية ، كما في قول عبد الواحد الأشرم(١) :

رنـا فسـألته عن سهم لحظ أيصلح للقتال فقال صالح
وقال به أميت الصب عمدا فقلت وكيف ذاك وأنت صالح

وأغرم بهذا النمط عبد العزيز بن عبد اللطيف رغم فحولته أو لعل فحولته وسرعة بديهته هي ما أوقعه في هذا المزلق ، وقد عرفت عنه النكات البديعية في ارتجاله ، ورويته ، حتى ليصدق عليه لقب شاعر البديع ، هذا إذا استثنينا شعره الآخر الذي كان فيه من ارهاصات النهضة الشعرية ومن عبثه في الارتجال(٢) :

يـا رب لا كـان الشـقـيق فانه قد صَدَّ أرباب العلا عن نيله
فـتـفـرقت فـيـه تلامـذتي فـذا في صرمـه لاه وذا في وصلـه

ويقصد بالصرم هنا جذاذ النخل ، وكان قد سأل عن تلميذين غابا عن حلقته التي يُدَرِّسُ فيها فقيل له إن أحدهما يجذ نخلاً ، والآخر يبتني أهلاً ، وهو مشغول بهذا العرس .

ومن عبثه ما كتبه لأحد اصدقائه(٣) :

وميض البرق من غرب العيوني أفاض الدمع من غرب العيون
مـلـكتم سـادتي رقى فماذا عـليكـم بعـد لـو كـاتبـتـموني

---

(١) من شعرائنا في العصر العثماني ، بحث ، بحوث المؤتمر الأول للأدباء ١/٤٩٠ .
(٢) شعراء هجر : ٤٨ .
(٣) تاريخ الاحساء : ١٣٦/٢ — ١٣٧ .

أكـاتـبـكـم وأنتم في فؤادي وأطـلـبـكـم وأنتم في الـعـيـون

وقد وجد الشعراء في المصطلحات العلمية ، ميداناً واسعاً للتورية ، ومما يتصل بها عن ترصيع ونقوش ، وحلى ، وقد وجدوا في النحو والحديث مجالاً لهم واسعاً فسيحاً ، وسبب ذلك أن هذه المصطلحات معروفة عند الخاصة ومتمايزة في تعريفاتها عن تعاريف العلوم الأخرى التي لا تجد فيها تميزاً واضحاً ، ينقل المصطلح الجديد نقلة بعيدة ، فالأخبار ، والأحوال ، والغريب ، والمرسل ذات دلالة بعيدة عن معناها الأصلي ، بخلاف مصطلحات التفسير والفقه والتوحيد التي تتلاقى مع المعاني الأصلية للكلمات دون فواصل فالناسخ والمنسوخ ، والمجمل ، والحلال والحرام ، والشرك الأصغر ، والنفاق ، كلها كلمات لا تبعد عن معانيها اللغوية كثيراً ، والنحو كان أكثر العلوم مصطلحات ورى بها الشعراء ووضعوا بها قال عبدالله الغاشمي :[1]

ولا تخف الإعلال ما كل مصدر يـعـل ومـا الأفـعـال إلا لـواليها

وقال ابن معتوق[2] :

فـيـا ذلـة الـديـن الحنيفي بعدما تـبـدل منه الرفع والنصب بالجر

وقال[3] :

ومذ دخلت تلك المنازل أظهرت لها مُضْـمَـراً من حزنها المتداخل

وقال ابن مشرف :[4]

مددت للصب طرفا قاصرا فلذا قد هام ما بين ممدود ومقصور

وقال عبدالله بن علي العبد القادر يمدح أحمد عزت العمري[1] :

---

(١) نفحات من عسير : ٨٤ .
(٢) ديوان ابن معتوق : ٨٨ .
(٣) ديوان ابن معتوق : ٩٠ .
(٤) ديوان ابن مشرف .
(٥) انشدنيه الشيخ محمد بن عبدالله المبارك .

مدينة عُنَيْزة

— ٣ —

لمحات تاريخية :

نذكر هنا بعض اللمحات التاريخية التي ذكرت فيها (عُنَيْزة) منذ أول وجودها قَرْية إلى نهاية القرن الثالث عشر الهجري . وهذه اللمحات ليست دراسة تاريخية مفصلة كاملة تهتم بتعليل الحوادث التاريخية وتحليلها بمعرفة أسبابها ونتائجها . ذلك بأن هذا الكتاب ليس كتاباً تاريخياً للحوادث ولو كان كذلك إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لكان طويلاً مُمِلاً إذا استطاع كاتبه أن يجعله كذلك .

وإنما المقصود من إثبات هذه اللمحات هو تقريبها أمام القاريء العادي أو تيسيرها

أخو همة أوجبت رفعه على الفاعلية والابتدا

وقال عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك[1] :

عديم النحو علمني معاني التنازع في الهوى والاشتغال

وقد تفاوت الشعراء في استعمال الصنعة البديعية ، مقل ومستكثر ، لا ختلاف البيئات . وأكثر ما وجدت الصنعة البديعية في الحجاز ، بكافة فنونها من تشجير وتدوير وتطريز ، وتخميس وتشجير وتضمين ، ومقابلة وجناس .. وتناول الشعراء في الاحساء هذه الفنون بصورة أقل من شعراء الحجاز ، لكن الشعر في ظلال الدعوة لا صلاحية أقل البيئات عناية بها ، لانشغال شعرائه بالجد والدفاع عن الحركة ، ويمكن أن نقول مطمئنين : إن البديع في شعر الدعوة نادر ، وأن أكثر هذا النادر وليد الطبع والعفوية[2] .

د. عبدالله الحامد

---

(١) شعراء هجر ١٥١ .
(٢) أنظر كتاب «الشعر في ظلال حركة الامام محمد بن عبد الوهاب» لكاتب السطور .

للباحث الذي يمكنْ أن يتخذ منها مدخلا إلى دراسة تاريخية موسعة .

سبق أن ذكرنا في أول الرسم واقعة ذُكِرَتْ فيها (عُنيزة) وَوُصِفَتْ فيها بأنها قرية وذلك في الثُّلْثِ الأول من القرن التاسع الهجري ، وهو تاريخ مبكر لأكثر البلدان المعمورة في القصيم في تاريخها بعد الفترة المظلمة أو خلالها . وقد كُتِبَتْ بأيدي مؤرخين من غير أهل القصيم وذلك ما ذكره ابن الجزري وتقي الدين الفاسي وتقدم في أول هذا الرسم : (رسم عنيزة) .

سنة ١٠٩٦ هـ .

قال ابن بشر :

فيها أو التي بعدها ظهر احمد بن زيد — الشريف — على نجد ، ونزل (عنيزة) وفعل بأهلها ما فعل[١] .

وقد ذكرها ابن عيسى في التي بعدها فقال :

وفي سنة ١٠٩٧ ظهر الشريف احمد بن زيد بن محسن إلى نجد ، ونزل بلد (عنيزة) وفضى العقيلية[٢] وهدمها ، وفعل بها من القبح والفساد ما لا يعلمه إلا الله[٣] .

أقول : الصحيح ما ذكره ابن عيسى من أنَّ ذلك كان في سنة ١٠٩٧ هـ فهكذا ذكره العصامي في تاريخه ذكر ذلك عند خروج الشريف المذكور إلى نجد ، وعند رجوعه منها غير أنه ذكر (بلاد عنزة) في كلا الموضعين بدل (عنيزة)[٤] وأرى أن ذلك تحريف وان الصحيح (عنيزة) كما ذكره مؤرخو أهل نجد .

قال ابن بشر : في تمام المائة بعد الألف أتى الحواجّ الثلاثة ونزلوا بعنيزة في ناحية القصيم ، وغلا الطعام[٥] .

---

(١) عنوان المجد ج ٢ ص ٢١٧ (طبعة وزارة المعارف) .
(٢) راجع رسم : «العقيلية»
(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ٧٠ .
(٤) سمط النجوم العوالي ج ٤ ص ٥٦٣ — ٥٦٤ .
(٥) عنوان المجد ج ١ ص ١٠٨ .

أقول : فصل هذه الواقعة بعض التفصيل الشيخ مقبل الذكير اذ قال :

سنة ١١٠٠ :

في هذه السنة نزل الحواج الثلاثة بلد (عنيزة) في القصيم : حاج العراق ، وحاج الأحساء ونواحيه . وحصل في البلد موسم عظيم ، واستفادت البلد من ذلك فائدة كبيرة وغلى فيها الطعام ، ولما رحل الحاج العراقي ، ونزل قرب التنومة آخر قرى القصيم من جهة الشرق اغار الظفير والفضول على الحاج وأخذوه .

أقول : لم يذكر رحمه الله الاّ حَاجَّيْن اثنين هما حاجُّ الأحساء وحاجُّ العراق فمن هو الحاجُّ الثالث الذي ورد ذكره في عبارته وعبارة ابن بشر؟ الجواب فيما أظن أنه حاج العجم وجنوب العراق الذي يجيءُ مع طريق البصرة وذلك أمر طبيعي بالنسبة إلى هذا الحاج أن يأتي من هذا الطريق اما الحاج العراقي الآخر الذي جاء الى القصيم مع طريق غير مألوف حتى استحق التنويه بمجيئه فهو حاج بغداد الذي كان طريقه المعتاد هو طريق حاج الكوفة القديم المسمى بالطريق السلطاني . وهو الذي يمر بالأجفر وفيد وسميراء في جنوب منطقة حائل .

١١١٠ هـ .

قال الذُّكير :

في هذه السنة سطى آل أبو غنام وآل بكر على فوزان بن حميدان بن حسن في المليحة ، المحلة المعروفة في (عنيزة) واستنقذوا منه منزلتهم (العقيلية) التي كان قد تغلب عليها .

وقد ذكر ابن بشر هذه الوقعة في حوادث ١١٠٧ وقال : إنهم أخرجوا فوزان من عُنَيْزة بعد وقعة بريدة وغدره فيهم ولم نقف على تفاصيل وقعة بريدة التي أشار اليها ابن بشر والرواية الأولى أصح من حيث التاريخ لأننا نقلناها عن بعض مؤرخي القصيم . هذا كلام الذكير .

أقول : وقعة بريدة أشار اليها بعض المؤرخين ولكنهم لم يفصلوا القول فيها ولم

يذكروا كيفية غدره فيهم ، ونص كلام ابن عيسى :

في عام ١١٠٩ فضى فوزان بن حميدان أمير (عنيزة) بلدة بريدة[1] . أقول : هذا ما ذكره الشيخ ابراهيم بن عيسى عن فوزان بن حميدان وقد وجدت في بعض الأوراق التاريخية في (عنيزة) شيئاً يتعلق بهذا الموضوع رأيت في نقله هنا فائدة ونصه : المثل السائر يقول : «لعين حميدان يحيا محمد» لأن حميدان أنجب من أخيه محمد (ويحشم) محمد لأجل خاطر أخيه حميدان ، وهما أخوان من بني ثور من سبيع أهل (عنيزة) فأما حميدان فهو والد فوزان بن حميدان بن حسن الملقب ابن معمر امير (عنيزة) وقصره هو المسمى «قصر الكعيد» : بيت مبارك المساعد وصالح آل عبدالله وما حوله . وأما محمد فهو والد رشيد بن محمد بن حسن ولرشيد أربعة أولاد : عبدالله ودخيِّل وفايز وجارالله . فأما دخيِّل وكان عالماً ومات بمكة ودخيِّل وعبدالله وفايز ثلاثتهم عقماء[2] ليس لهم أولاد ، وأما جار الله فكان له ولدان فاتوا وانقطع آل رشيد كلهم .

هذا ما وجدته .

وقال ابن عيسى :

في سنة ١١١٥ قُتل أمير عنيزة فوزان بن حميدان بن حسن الملقب ابن معمر من آل فضل آل جرّاح أهل (عنيزة) وذلك في آخر يوم من جمادي الآخر[3] من السنة المذكورة واستولوا آل جناح على عنيزة كلها[4] هكذا ساق الخبر مختصراً .

وقال مقبل الذكير في تاريخه في حوادث ١١١٥ : قتل فوزان بن حميدان أمير عنيزة آخر يوم من جمادي الثانية من هذه السنة . وقد سبق الكلام عن النزاع الواقع بين أهل عنيزة وانقسامهم ، وكثرة الحروب بينهم خصوصاً بين فوزان بن حميدان بن حسن آل

---

(١) تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ص ٧٩ . وقد ذكرت لفظَيْن أخرين مختصرين أيضاً لهذه الواقعة في رسم بريدة ج ٢ ص ٥٠١ .

(٢) عقماء : جمع عقيم .

(٣) الوجه : الآخرة .

(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ٨٤ .

معمر وبين جبور بني خالد أمراء الجناح القرية المعروفة في عنيزة فلماكان هذه السنة حصل خلاف بين فوزان وبين الجبور ادى إلى قتال قتل فيه الأمير فوزان بن حميدان ، واستولوا الجبور على عنيزة كلها بأقسامها ، وتوحدت إمارتها فهدموا قصر آل معمر ، وهو المسمى قصر الكعيد وهو القسم الشمالي الشرقي من القصر الذي ملاصق لمسجد الجامع من الشرق المعروف بقصر سعود[٣] ذلك لأن سعوداً وسعه حينما احتل عنيزة .

١١١٦هـ .

قال الذكير :

وقد اطلعت على بعض ترسيات لأهل القصيم أردت وضع العبارة للتذكرة وان لم أفهم معناها قال : وفي صفر من هذه السنة نزل (جبدار) (عنيزة) برجوعه من الحج ونثر فيها من الدرهم (شيء عظيم) .

ولم يتضح لنا هذا الاسم هل اسم شخص أو أمير وانما الذي الفت نظرنا قوله : وملأها من الفلوس مما يدل على الفائدة التي حصلت من مروره وأثرها في البلاد مما جعل هذا المؤرخ برسمها مع الحوادث التاريخية انتهى كلام الذكير .

سنة ١١١٦هـ

فيها هُدِم قصر عنيزة هدمه أهل الجناح

هكذا في بعض الأوراق التاريخية .

وقال ابن بسام :

وفيها — أي ١١١٦ هـ — في ذي القعدة غرقت بلد عنيزة وتسمى غرقة السلّيمي وهو رجل أعمى دخل السيل في بيته وأغرقه فمات .

وقد رأيت بعض المؤرخين ذكرها ١٠٨٠ وأرخها بقوله (طغى الماء) ولعلها غرقة ثانية .

أقول : لقد صدق ظن ابن بسام رحمه الله فقد رأيت في بعض الأوراق التاريخية

---

(١) هدم هذا القصر في عام ١٣٩٣هـ لتوسعة المسجد الجامع والشارع .

تسجيلاً لغرقتين ـــ كما قالوا ـــ في عنيزة ونص ذلك : تاريخ غرقة عنيزة الأولى (طغى الماء) سنة ١٠٨٠ ، وغرقة عنيزة الثانية لفظة : (سيل غاصب) سنة ١١٩٢ .

وبعد عبارة ابن بسام والتعليق عليها نورد عبارة ابن عيسى ومنها يظهر أنهما قد اطلعا على المصدر نفسه . لأن كل واحد منهما يقول : وقد رأيت ، إلا أن عبارة ابن عيسى أدق : اذ ذكر ان الذي رأى فيه تاريخ الوقعة هو ورقات في التاريخ لعلها مشابهة لما وصل اليَّ من أوراق من مدينة عنيزة .

أما ابن بسام فإنه يقول : انه رأى بعض المؤرخين ولعله يقصد بعض الذين لهم تقييدات في التاريخ وليس ما يستفاد من ظاهر بأنه قد اطلع على كتاب في التاريخ ذكر هذا الموضوع .

قال ابن عيسى : في سنة ١١١٦ في ذي القعدة غرقت بلد عنيزة من السيل ، وتسمى غرقة السليمي ، وهو رجل أعمى ، دخل السيل في بيته ، وأغرقه فمات ، وقد رأيت في ورقات في التاريخ ان غرقة السليمي سنة ١٠٨٠ وأرخها بعضهم بقوله (طغى الما) والله أعلم[1] .

سنة ١١١٨ هـ

قال مقبل الذكير رحمه الله :

في هذه السنة قام دويس من آل بكر أهل عنيزة ، وهدم (المليحة) المحلة المعروفة في (عنيزة) وهي محلة آل فضل الجرَّاح .

سنة ١١٢٨ هـ

قال ابن عيسى :

فيها سطا ادريس بن شابع بن صعب شيخ آل جناح من بني خالد في المليحة المحلة المعروفة في (عنيزة) وملكها .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٨٥ .

وفي رمضان من السنة المذكورة ، سطوا آل فضل من آل جرّاح من سبيع على ادريس المذكور في المليحة ، وأخرجوه منها واستولوا عليها[1] .

أقول : الصحيح : دويس بدال بعدها واو مفتوحة فسين ، وليس (إدريس) على اسم النبي إدريس كما هو مكتوب فيه .

وهذا أمر سمعته من أفواه عدد من المعنيين بالتاريخ من مشايخ (عنيزة) وورد تأييده في تاريخ الذكير .

سنة ١١٣٧ هـ .

قال ابن عيسى :

وفي هذه السنة أكل السِّعْر[1] في عنيزة اثنين واربعين نفسا بين ذكر وأنثى[2] .

وعبارة ابن بسام : فيها أكل السِّعر في بلد (عنيزة) اثنين واربعين نفساً من بين ذكر وأنثى وكبير وصغير .

سنة ١١٥٥ :

قال ابن بسام :

في هذه السنة قتل حسن بن مِشْعاب أمير بلد عنيزة قتلوه آل جناح من بني خالد أهل بلد الجناح هم والشختة من المشاعيب من آل جرّاح من سبيع وجلوا آل جرّاح من (عنيزة) واستولوا آل جناح من بني خالد والشختة من المشاعيب من آل جرّاح على عنيزة كلها والشختة منزلتهم الجادّة المعروفة في (عنيزة) وفيها : غُرس نخل الجادة في (عنيزة) .

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٩٢ .
(٢) السِّعْر : هو الذئب الذي يتعود اختطاف الناس وأكلهم وبعضهم يقول : ان الكلب ربما استسعر أي : فعل مثل ذلك .
(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ٩٧ — ٩٨ .

أقول : ذكر ابن عيسى هذه الواقعة بما لا يكاد يخرج عن ذلك[٣] .

١١٦٠هـ

وفيها سكنت الفتن في بلد (عنيزة) وغرس فيها أملاك (الخننة)[٢] والزامل وآل أبا الخيل والهيفا والطعيمي والمسهرية وذلك في مدة عشر سنين . وفيها توفي الشيخ عبدالله بن احمد بن عضيب الناصري التميمي ودفن في الضبط في بلد (عنيزة) رحمه الله وقيل : إن وفاته سنة ١١٦١ ومات الشيخ على بن زامل بعده بشهرين في بلد (عنيزة) رحمه الله تعالى .

أقول : هذه السنة وما بعدها تسمى في التاريخ المتعلق بالقصيم «ركدة عنيزة» رأيت في أوراق في مدينة عنيزة ما يلي : سنة ١١٦٠هـ ركدة عنيزة : غرس فيها أملاك الخننة ، وأملاك آل زامل وآل أبا الخيل والطعيمي في المسهرية والهيفا وذلك في مدة عشر سنين .

والركدة في العامية هي السكون المستمر بعد الاضطراب .

وعبارة ابن عيسى : وفي سنة ١١٦٠ ركدة (عنيزة) وغرس فيها أملاك الخننة والزامل وآل أبا الخيل والطعيمي في المسهرية والهيفا[٣] .

١١٧٤هـ .

قال ابن بسام :

فيها قتل رشيد أمير بلد (عنيزة) من سبيع هو وفراج أمير بلد الجناح من آل جناح من بني خالد قتلوهما عيال الأعرج من آل أبو غنام هم وآل زامل من سبيع ومعهم غيرهم قتلوهما في مجلس[١] (عنيزة) وذلك أن أهل عنيزة وأهل الجناح كانت بينهم حروب وفتن يطول ذكرها فلما استولى رشيد على (عنيزة) واستولى فراج على بلد الجناح ،

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ٦ .
(٢) الخننة جمع الخنيني وهم أسرة ذكرتها في «معجم أسر أهل القصيم» .
(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٠٨ .

اصطلحوا على وضع الحرب بينهم ، وأقاموا على ذلك نحو ثلاثين سنة حتى امتد[1] كل منهم في الفلاحة واكثروا من غرس النخيل ، وكثرت اموالهم .

ثم ان الوشاة حرّشوا بين أهل عنيزة وأهل الجناح فاتفق رجال من عشيرة رشيد ورجال من عشيرة فرّاج على قتلها فقتلوهما . فثارت الفتن بعد قتلها بين الفريقين .

أقول : قد أورد الشيخ مقبل الذكير في تاريخه (مطالع السعود) هذه الحادثة مربوطة بما قبلها وما بعدها وفصلها تفصيلاً جديراً بالايراد قال في حوادث سنة ١١٤٣هـ ومن خطه نقلته فيا ظهر لي :

قام حسن بن مشعاب أمير عنيزة على بني عمه الشختة ، وهدم منزلتهم الجادة ، وأجلاهم إلى العوشزية ، وأقاموا فيها مدة ينتظرون الفرصة لاسترجاع محلتهم ، ولهم في ذلك قصيدة مشهورة يتناخون فيها منها قولهم :

مِشَاعيب سَمُّوا واجعلوا الشَّوْر واحد
مشاعيب راس الشيخ تهنى مقامه[2]

وأخذ ينحي فيها على هذا المنحى ، ثم انهم كاتبوا بني خالد أهل الجناح ، وطلبوا مساعدتهم فأجابوهم وواعدوهم (يوم معلوم) فجاؤا فيه ، وسطوا على حسن بن مشعاب وقتلوه ، واستولوا على (عنيزة) جميعها سنة ١١٥٥ ، وأجلوا الجرّاح عنها . وغرسوا الجادة نخلا ، ولكن رشيد بن محمد بن حسن بن معمر الجرّاح لم يمهلهم ، وسطا عليهم سنة ١١٥٦ هـ واسترجع محلتهم ــــ أي محلة المليحة ــــ وملكها وتولى الإمارة

---

(١) هذا البيت من قصيدة أشار الذكير إلى أنها لنبهان مولى للمشاعيب وقدمنا نقل كلامه في رسم الجادة والقصيدة طويلة وهي لنبهان السنيدي أولها :

يقول نبهان السنيدي بدا لنا   من القيل عدلات القوافي يجيبه

وهي لديّ في ٣٤ بيتاً وقد نشرت محرفة في « التحفة الرشيدية » ج١ ص ٧٥ وسمى الناظم السندي بدون ياء بعد النون . والبيت الذي أورده الذكير ملفق وصحة الشطر الثاني :

مشاعيب سَمُّوا وادعوا الشور واحد   تهب ريح العون ويذرا عَسيبَهْ

في (عنيزة)، وعقد صلحاً مع بني خالد أهل الجناح وهدأت الأمور وسكنت الأحوال الى أن قال:

ولكن خصوم الأمير أثاروا عليه العامة، فاتفق رجال من بني خالد من جماعة فراج ورجال من آل أبو غنام وآل زامل على قتل الأميرين فقبضوا عليهما، وقتلوهما في السوق في مجلس (عنيزة) كما يقتل (المجرمين) فثارت الفتنة بين الفريقين، ورجعوا إلى ما كانوا عليه في سابق عهدهم وكان قتلهما سنة ١١٧٤ هـ.

سنة ١١٨٢ هـ.

قال ابن بسام:

في هذه السنة غزا سعود بن عبد العزيز بن محمد ومعه راشد الدريبي أمير بلد بريدة. ومع سعود جنود كثيرة من البادية والحاضرة وتوجهوا الى القصيم ونزلوا بالقرب من باب شارخ المعروف في عنيزة وحصل بينهم وبينه قتال شديد قُتِل فيه من أهل عنيزة ثمانية رجال منهم عبدالله بن حمد بن زامل.

وعبارة ابن عيسى:

فيها غزا سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ومعه راشد الدريبي رئيس بلدة بريدة، وقصدوا بلد (عنيزة) ونزلوا بالقرب من باب شارخ، وحصل بينهم وبين أهل (عنيزة) قتال، قتل فيه من أهل (عنيزة) ثمانية رجال منهم عبدالله بن حمد بن زامل[1].

١١٨٨ هـ.

وجدت في بعض الأوراق التاريخية التي حصلت عليها من مدينة عُنَيْزة ما يلي: في سنة ١١٨٨ حزب عريعر على القصيم، وأخذ بريدة فضاها واطلع آل زامل من عنيزة وشيَّخ فيها ولد رشيد، ومات عريعر في صفر على الخابية.

١١٩٢ هـ

قال ابن عيسى في ثاني وعشرين من شهر ذي القعدة منها: حصل في بلد عنيزة

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٣.

سيل عظيم أغرق البلد ومحا بعض منازلها ، فخرج أهل البلد الى الصحراء وسكنوا الخيام ، وبيوت الشَّعَر حتى عمروا منازلهم[(١)] .

ونص كلام الذكير في حوادث سنة ١١٩٢ كما يلي :

في هذه السنة أنزل الله على عنيزة سيلا عظيماً طغى الماء من مجاريه ، فدخل البلد متدفقاً بشدة عظيمة كأعظم ما يكون من الوديان وأغرق البلد ، وهدم كثيراً من بيوتها فخرج أهلها منها ، وابتنوا لهم بيوتاً من الشعر خارج البلد وسكنوها ، حتى عمروا منازلهم : وقد كانت الخسائر كبيرة إلا أن الأنفس سالمة لم يصب أحد منهم بسوء .

سنة ١١٩٤ هـ :

قال ابن بشر :

وفيها أصاب بلد (عنيزة) سيل عظيم غرق البلد ومحا منزلتهم ، وأذهب فيها أموالاً وأزواداً وأمتعة[(٢)] .

سنة ١١٩٥ هـ

سطوا آل أبو غنام وآل جناح في العقيلية المعروفة في عنيزة واستولوا عليها[(٣)] .

وقد وجدته في ابن عيسى باللفظ التالي :

وفي سنة ١١٩٥ فجر يوم الخميس خامس وعشرين من شوال سطوا آل أبو غنام ، وآل جناح في العقيلية المعروفة في بلد عنيزة واستولوا عليها[(٤)] .

سنة ١١٩٦ هـ .

قال ابن عيسى : فيها أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والحرب ، سوى أهل بريدة والرّسّ والتنومة ، وأجمعوا على قتل مَنْ كان عندهم من المعلمين ، وأرسلوا الى

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧ .

(٢) عنوان المجد ج١ ص ٨٨ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) هذا الخبر من أوراق تاريخية في مكتبتي حصلت عليها من عنيزة .

(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٨ .

سعدون بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الحسا والقطيف يستحثونه بالقدوم اليهم ، فأقبل اليهم بجنوده ، فلما قرب من القصيم قام أهل كل بلد ، وقتلوا من عندهم من المعلمين فقتل أهل الخبراء إمامهم منصور أبا الخيل ، وثنيان أبا الخيل ، وقتل أهل الجناح رجلا عندهم يقال له البكري ، وعلقوه بعصبة رجله في خشبة وقتل أهل الشماس أميرهم علي بن حوشان ونزل سعدون بلد بريدة ، فلما نزلها أرسل اليه أهل (عنيزة) عبدالله آل قاضي ، وناصر الشبيلي فقتلهما سعدون صبرا[1] .

سنة ١٢٠١هـ

فيها هدم الجناح المعروف في عنيزة هدمه عبدالله بن رشيد أمير بلد (عنيزة) تجملاً مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثُوَيْني[2] .

١١٩٦هـ

وقال ابن بشر : في حوادث سنة ١١٩٦ :

فيها أجمع أهل القصيم على نقض البيعة والحرب سوى أهل بريدة والرَّسٍّ والتنومة وقتلوا كل من ينتسب الى الدين عندهم خصوصاً المعلمين الذين يعلمونهم أحكام الشريعة ، فحضر كافة رؤساء القصيم يوم الجمعة وأبرموا أمرهم وتعاهدوا ، وان كل أهل بلد يقتلون من عندهم في يوم معروف ، فلما مضوا إلى بلدانهم أرسلوا الى سعدون بن عريعر يخبرونه بذلك واستحثوه بالقدوم عليهم ، فبادر في الحال وأمر بالرحيل . واستنفر العربان فأقبل بجنوده ، فحين قرب من القصيم قام أهل كل بلد ، وقتلوا من عندهم من العلماء المعلمة ، فقتل أهل بلد الخبراء إمامهم في الصلاة منصوراً أبا الخيل يوم الجمعة وهو قاصد المسجد ، وقتل ثنيان أبا الخيل . وقتل آل جناح رجلا عندهم من أهل الدين والصلاح ضرير البصر ، وصلبوه بعصبة رجله ، وفيه رمق حياة وقتل آل شماس[3] اميرهم علي بن حوشان ، الى ان قال :

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١١٩ .

(٢) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٣ .

(٣) في طبعة وزارة المعارف آل شمس تحريف .

وحين نزل بريدة أرسل إليه أهل (عنيزة) على سبيل الإكرام والامتثال مَنْ كان عندهم من معلمة أهل الدين . وهما عبدالله القاضي ، وناصر الشبيلي ، وقالوا : هذان كرامة لك ، وهدية منا اليك فقتلهم سعدون صبرا ، ونالوا[1] شهادة وأجراً ، وحمل من ذلك وزرا[2] .

قال ابن غنام

سنة ١١٩٨ هـ فيها غزا سعود حرسه الله بالمسلمين وقصد (عنيزة) من بلدان القصيم . فلما صلى الصبح اغارت على طارقة البلد فرسانه ، وطافت بفنائها شجعانه ، فخرج إليها من أهلها كل ذي بأس شديد ، واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد ، وبذلوا من الشجاعة ما ليس فوقه مزيد ، وقتل بينهم في ذلك المجال ، بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد وغيره ، وجرى بينهم مع سعود كلام في الصلح ، فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم ، وارتحل منهم[3] .

سنة ١٢٠١ هـ :

فيها هدم (الجناح) المعروف في (عنيزة) هدمه عبدالله بن رشيد أمير بلد عنيزة ، تحملا مع ابن سعود بسبب مكاتبة أهل الجناح لثويني[3] .

وقال ابن بسام : فيها غزا سعود بن عبد العزيز وتوجه إلى القصيم فأغار على أهل (عنيزة) وحصل بينه وبينهم قتال شديد قتل فيه عدة رجال من الفريقين من مشاهير اتباع سعود ثنيان بن زيد الشجاع المشهور ثم رجع سعود إلى وطنه .

ورواية ابن بشر مختصرة قال :

فيها — أي سنة ١١٩٨ هـ سار سعود بالجنود المنصورة ، وقصد بلدة (عنيزة) في ناحية القصيم ، فحصل بينهم وبين المسلمين قتال قتل منهم عدة رجال . وقتل من المسلمين ثنيان بن زويد الشجاع المشهور[4] .

---

(١) الوجه : نالا .

(٢) عنوان المجد ج ١ ص ٩٢ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) تاريخ ابن غنام ج ٢ ص ١٣٥ .

(٤) عنوان المجد ج ١ ص ٩٦ . (طبعة وزارة المعارف) .

سنة ١٢٠٢ هـ .

قال ابن بسّام :

فيها غزا سعود بن عبد العزيز ، وقصد بلد عنيزة .

ورواية ابن بشر :

فيها — أي ١٢٠٢ هـ سار سعود بالعساكر المنصورة ، وقصد ناحية القصيم ، ونزل بلد (عنيزة) لأنه ذكر له (أن) اناسا من أهلها يريدون نقض العهد من آل رشيد[1] واتباعهم ، فأمر عليهم يخرجون من البلد ، وأجلاهم عنها ، واستعمل فيها أميراً عبدالله بن يحيي[2] .

هكذا في النسخة التي طبعتها وزارة المعارف وفي النسخة التي نشرتها المكتبة الأهلية بالرياض وَرَد الخبر بصيغة تختلف عن ذلك قليلاً ونصها :

وفيها سار سعود بالجيوش المنصورة ، وقصد ناحية القصيم ، ونزل على بلد عنيزة وأجلى منها رؤساءها آل رشيد واستعمل فيها أميراً عبدالله بن يحيي[3] .

وقال ابن غنام :

وفيها غزا سعود بالمسلمين ، أدام الله تعالى له النصر والتمكين ، فحث سيره ومسراه وكان وصوله (عنيزة) هو الذي اقتضاه ورآه وذلك أنه نمي إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل (عنيزة) بحث عن أسباب الارتداد وحفر ، وتحقق ذلك عنده واشتهر فعند ذلك أجمع على المسير اليهم ، وظهر فنزل عليهم ، بعد أيام وليال ، ومكث عندهم يستبريء الحال ، ويتحقق ذلك على يقين ، لئلا يقدم على ما يريده بتخمين ، فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبيَّنوا انْ تصيبوا قوما بجهالة

---

(١) آل رشيد ، هؤلاء هم امراء عنيزة في ذلك الزمن من قبيلة سبيع وليس لهم علاقة نسب بآل رشيد أمراء حائل .
(٢) عنوان المجد ج١ ص ١٠٠ (طبعة وزارة المعارف) .
(٣) ج١ ص ٩٣ .

فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فلما لاحت له شمس اليقين والإيقان من عدول أهل الإسلام والإيمان من سكان ذلك المكان ، وتحقق ذلك الأمر واستبان ، وكان آل رشيد من ذلك الأمر والملا ، أمر عليهم بالجلاء وكل مَنْ لهم تابع وفي أسباب الشر طامع ، وأزال منها كل من يحذره ويخشاه ، وأمر عليهم علي بن يحيي لاختياره ورضاه . ثم انصرف راجعاً[1] .

وهذه الوقعة وما تلاها مما اتصل بها من أحداث هي التي يقول فيه العرف أبياته المشهورة وهو مولى لآل رشيد امراء عنيزة فيما ذكروا :

يا ديرتي خَذْها خْجَيلان وسعود	بالبوق والاَّ بالنِّقا ماقواها[2]
جَوْنا هجاد ، وجملة الناس برْقُود	وأهل القهاوي مشعْلين ضْوَاها[3]
لا ثار بَهْ رَميه ولا زجَّ بَهْ عُوْدْ	ولا ثار مثْلُوثَ الدَّخَنْ مِنْ وراها[4]
مِزنهْ تِصيح ومِقْدمَ الراس مشْدُود	يا لَيْتهُمْ ما برَّقوا في صْبَاهَا[5]
يا ليت أبو رِدِنْ حضَرْ يا فتى الجُوْدْ	ما كانْ صَرَّتْ بالمحامِل نْسَاها[6]

وفي آخرها يقول :

القول قول (الْعِرْفْ) ما هوب مَجْحُودْ	والنَّارْ تـاكـلْ والـد اللي كِمَاها[7]

وهي قصيدة مؤثرة قليلة النظير في الشعر العامي في بكاء أهل الدار التي أخذت منهم ولكن تأثيرها لا ينبغي أن ينسي سامعها أن قائلها أحد أهل البيت المهزوم فهو يعبر عن وجهة نظرهم ، ولا يعتبر شهادة ضد خصومهم من الطرف الآخر يقول العرف : إن

---

(١) تاريخ ابن غنام ج٢ ص ١٥٢ — ١٥٣ .
(٢) خذها : أخذها وقواها : قدر عليها .
(٣) جونا : جاؤنا . هجاد : فجرا ، وضواها : نيرانها .
(٤) به : بها ، وزج : دفع ، والعود : الرمح . والدّخن : الدخان .
(٥) برّقوا في صباها : أمعنوا النظر في جمالها الغض .
(٦) أبو ردن كنية عبدالله بن رشيد أمير عنيزة ومولى الشاعر — والمحامل : جمع محمل وهو من مركب النساء على الإبل . ونساها : نساءها .
(٧) اللي : الذي . كماها . جحدها وأخفاها .

بلدته التي ذهب بها حجيلان بن حمد وسعود ابن عبد العزيز قد فعلا بها ذلك بدون حرب معلنة قد تركت فيها فرصة لاصحابها كي يقاتلوا .

وهذا معنى قوله (بالبوق) التي تعني الخديعة في الحرب و(الحرب خدعة) كما في القول المشهور ، وهي كلمة فصيحة باقية في العامية وتعني الإغارة على قوم دون معرفتهم[1] وهذا يفسره قوله : والا بالنَّقا ، أي : بإعلان الحرب ما قواها ، ويشير بذلك إلى الوقائع السابقة .

وقد أوضح معنى ما في البيت الأول بالبيت الثاني :

جونا هجاد وجملة الناس برقود الخ

أي : إنهم جاؤا هجاداً وهو الإغارة في أول الفجر وكل الناس رقود ، لم ينهضوا من نومهم بعد ، ما عدا أهل القهاوي (أي المقاهي في البيوت) وهم قلة من الناس في ذلك الوقت فإنهم كانوا قد اشعلوا أضواء مقاهيهم بالنيران ، ولم يفرغوا من صنع قهوتهم وشربها . أو أنهم قد اشعلوا الأنوار في مقاهيهم لأن الوقت لا يزال ظلاماً .

وقد فَسَّر ما قلناه في البيت الثالث وهو :

ما ثار بَهْ رمية ولا زجّ بَهْ عُود الخ

أي : لم تطلق رمية في هذه الوقعة ولا دُفع فيها رُمْحٌ موجه إلى صدور المهاجمين . ولم يُحَرّق دخان مثلوث وهو البارود الذي يتألف في أصله من ثلاثة عناصر هي الملح الأبيض ، والكبريت الأصفر . والفحم ، فلم يَثُرْ من ذلك البارود دخانٌ من وراء البندق أي : لم تطلق فيها طلقة من بندقية .

ثم وصف حالة (مُزْنة) وهي ابنة الأمير عبدالله بن رشيد وهي فتاة حديثة السِّن كانت تلبس حلية من الذهب على رأسها تُسَمَّى « الهامة » في لغتهم لأنها توضع على أعلى

---

(١) نقل صاحب اللسان عن ابن الأعرابي قوله : باق : إذا هجم على قوم بغير إذنهم : اللسان (بوق) ج١٠ ص ٣٠ . ومعنى بغير إذنهم ، أي : بغير علمهم .

رأس المرأة ، وكان رأسها قد شُدَّ لِتَوِّه بجدائل محكمة الشَّدِّ وتنبت فيه الحلية الذهبية شأنَ مَنْ لم يكونوا يشغلهم عن تزين البنت الشابَّة شاغل ، وقال الاخباريون : إنَّ أحد الذين هاجموا القصر من الجنود أمسك بتلك الحلية الذهبية المثبتة في جدائلها المشدودة فجعلت تصيح وهو حاسرة الرأس وآخر ينازعه على ذلك ولم يبالوا بصياحها واستغاثتها وكان من نتيجة ذلك أن رأى هؤلاء القوم وجهها سافراً فرأوا من صِبَاها وشبابها ما كان ينبغي الا يروه ولذلك قال :

يا ليتهم ما بَرَّقوا في صِباها .

والتبريق بالشيء في لغتهم العامية هو النظر اليه بحدّة وتَمعُّن . ثم انتقل إلى بيت آخر مُؤثر وهو قوله :

يــا لَيْتُ أبو رِدِنْ حَضَرْ الخ

وأبو رِدْن : كنية الأمير عبدالله بن رشيد وكان غائباً لم يحضر الوقعة يقول الشاعر (العرف) : إنه لوكان حاضراً لما كان لأصوات نِساءِ القصر صَرَّةٌ أي : صِيَاحٌ في المحامل التي حُمِلْنَ عليها وأُخْرِجْنَ من القصر : وربما من البلد .

وآخرها بيت يُعْلن فيه إعلاناً بأنه هو قائل الشعر ، وأنه لا يتستر بذلك بل إنه يُحَرِّج من تستر عليه ويدعو عليه بأن تأكل النار والده . وذلك من شدة تأثر الشاعر وإخلاصه فيما يقول .

والظاهر أنَّ تأثير هذه القصيدة كان قوياً حتى بلغ الشعر الفصيح والتاريخ المكتوب ، فحمل ناظم قصيدة العنيزية الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي على أن يبدي رَأيا يُخالف ما سَجَّلَتْهُ كتب التاريخ المعروفة أو أكثرها ، وأن يحمل على حجيلان بن حمد حملةً من الذَّمِّ لا يستحقها ، مُنَوِّهاً بالعُرْف هذا تنويهاً يستحق أن يُذكر له منه تأثره من هذه الحادثة وتأثيره في شعره ولكنه لا يُبيحُ الوقيعة في الآخرين بسببه قال صاحب العنيزية[1] :

---

(١) العنيزية ص ١٣ .

فَــآلت أخيراً لـلرشيـد ورأسهـم	هـو البـطـل الحامي لخير خباء
يُسمَّى بـعـبدالله وهـو وقـومـه	الرَّشيـدُ من الجراح أهل حِباء
وفي الألـف بعـد المائتين وواحـد	أبـى من جناح أهله ببقاء[1]
فصارت لـعبدالله وهـو أميرها	وصارت أخيراً تـزدهي برخاء
ودعوة شيـخ المسـلمين محمـد	قد امتدَّ منها الأمر بعد خفاء[2]
وأقبل من آل السعود إمامهم	لـيـجـمـع نجداً تحته بلواء
فسار شمالاً لـلـقصيم فـقاومت	(عنيزة) حتى أنصبت لعداء
تَولَّى سعود والإمارة قبلـه	لعبد العزيز أعدل الأمراء
وهذا سعود ابن له وهو كفؤهُ	يطول على الأكفاء والقُرناء
تولَّى على أرض القصيم واقبلت	(عنيزة) تعطيه أعزَّ ولاء[3]
وكان حجيلان أمير بريدة	يكن لعبدالله شَرَّ عداء
فأضمر خبثاً واستثار ضغينة	وكاد أموراً أبرمت بدهاء

أما كون حجيلان يُكِنُّ خُبْثاً ويستثير الظَّغَائن بالنسبة إلى عبدالله بن رشيد أو غيره فذلك ما لم أر أحداً من المؤرخين الموثوق بهم ذكره . وإنما أشار الشيخ مقبل الذكير في تاريخه إلى أن بينهما خلافاً مصدره أن ابن أخ لعبدالله بن رشيد ذهب الى الشماسية لكي يتزوج هناك فقتله مجهولون وتركوا مَنْ كان معه من المرافقين ، فاتَّهم عبدالله حجيلان بذلك وشكاه إلى الإمام عبد العزيز بن سعود فأنكره حجيلان وتبرأ منه .

وقد عَلّق صاحب العنيزية على ذلك بأنَّ مصدر عداء حجيلان لعبدالله بن رشيد هو طمعه في الاستيلاء على إمارة عنيزة وتمنع أهلها[4] .

---

(١) يشير إلى الجناح ، في شمال عنيزة وتقدم ذكره في حرف الجيم .
(٢) هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .
(٣) يمكن النظر في العلاقات التي سادت هذه الفترة من الامحات التاريخية التي سقناها فيا سبق .
(٤) العنيزية ص ١٤ .

ولكن إذا كان ذلك فلماذا لم يَسْتَوْل عليها عندما تَمَّ له ما أراد من إبعاد عبدالله بن رشيد كما ذكر الناظم .

وحجيلان في ذلك الوقت هو أمير القصيم تُجْبَى إليه زكاة أكثر بلدانه وقراه . ويغزو بهم وحدهم إلى نقرة الشام ومشارف المدينة كما سبق لنا إيضاح ذلك في مقدمة المعجم عند الكلام على (غزو القصيم) .

وفي عهده ازدهر القصيم ازدهاراً عظيماً وكان حليماً عكس ما ذكره عنه الأستاذ عبد العزيز القاضي في العنيزية ، وصفه بذلك مؤرخون منهم مَنْ كان مقيماً في (عنيزة) وهو الشيخ ابراهيم بن صالح بن عيسى رحمه الله فلم يَفُتْكَ بأهل القصيم الذين ناصبوه العداء وساعدوا خَصْمَهُ الذي جاء مُحارباً له وهو سعدون بن عريعر في عام ١١٩٦ هـ ولم يُغْرِبهم الإمام عبد العزيز وابنه سعوداً كما قال ابن عيسى رحمه الله : ثم ان أهل القصيم طلبوا من حجيلان بن حمد الأمان على دمائهم وأولادهم وأموالهم ، فأعطاهم الأمان . ووفدوا عليه ، وكان حجيلان من أشد الناس حَمِيَّةً لأهل القصيم[1] .

هذا هو نص كلام ابن عيسى وهو يريد بأهل القصيم أولئك الذين سبق ان ذكر هو ومَنْ قبله من المؤرخين مثل ابن غنام وابن بشر أنهم شايعوا سعدون بن عريعر وقتلوا مَنْ كان عندهم من معلمي الدِّين ومنهم بطبيعة الحال عبدالله بن رشيد الذي كان هو أمير عنيزة في ذلك الوقت وقد ذكر المؤرخين أنهم أرسلوا مِمَّنْ كان عندهم من معلمي الدين ناصر الشبيلي ورجلاً من أسرة الناظم وهو (عبدالله آل قاضي) الى سعدون بن عريعر وهو محاصر بريدة فقتلهما صبراً .

وليس ذلك فحسب ، وإنما سَجَّل التاريخ أنَّ عبدالله بن رشيد كان قد شايع سعدون الى درجة أنه قد اتخذ اداة للحرب في مكان يقع إلى الجنوب من بريدة نحو النهير[2] قال ابن غنام في حوادث عام ١١٩٦ هـ :

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٢٠ .
(٢) سيأتي ذكر النهير في حرف النون .

وفي أثنائها أيضاً عدا أهل بريدة على بيت من الشّعر جعله عبدالله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق (النهير) مشهوراً وفيه آلات للحرب وزهبة فأضحى لديهم مجروراً ، وقتلوا فيه أربعة رجال ، ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال[1] .

ومن هذا يتبين أنَّ ما كان بين حجيلان بن حمد وعبدالله سببه واضح أو هذا سبب له واضح وهو ثبات حجيلان بن حمد ومعه أهل الرس والتنومة فقط من أهل القصيم على ما كانوا عليه من مبايعة آل سعود والتعاقد معهم على تحكيم الشرع وقيام عبدالله بن رشيد مع سعدون بن عريعر حسبما يحدثنا به التاريخ ، وليس السبب الرئيسي هو ما جزم به الأستاذ عبد العزيز القاضي من أن حجيلان قد قَتَلَ حفيد رشيد الذي هو ابن أخ عبدالله بن رشيد وهو أمر لا يجوز الجزم به إلاّ استناداً إلى نصٍّ مكتوب مع بيان قائل ذلك النَّصِّ لا سيا وأن (حجيلان) نفاه بشدة عندما سأله الإمام سعود حتى اقتنع بذلك وذلك في قوله في حجيلان :

فآل به الكيد الدفين لقتله حفيد رشيد قتْلَةَ الجُبَنَاء
فأقبل عبدالله نحو إمامهم (سعود) وأبدى ما جرى بجلاء
فأغضبه حتى تهدد قائلا حجيلان هذا أخبث الخبثاء
ولكن أعوانا له بلغوا به اليه رضيا بعد طول جفاء

فهل من المعقول أن يقول الإمام سعود في حجيلان : إنه أخبثُ الخبثاء مع أنه صاحب الإمارة على ناحية القصيم لآل سعود سنوات كثيرة امتدت بعد هذه الحادثة إلى أكثر من ثلاثين سنة ؟ واذا كان أُخْبَث الخبثاء حقيقةً فهل يجوز السكوت عليه لإمام المسلمين الذين عرف بورعه ونصحه لعامة المسلمين ؟

لا شك في أن الجواب من العارف بمجريات الأحداث في تلك الحقبة سيكون بالنفي .

---

(١) تاريخ ابن هشام ج٢ ص ١٢٩ (المطبعة الهندية) .

واذا تركنا الدليل العقليّ جانباً فمن الذي نَقَل لنا أنَّ الإمام سعود بن عبد العزيز قال تلك الكلمة في حجيلان ؟

إنَّ المسئلة مسئلة تاريخ يُسَجَّلُ والجزم بشيء ليس عليه نصٌ لا يُقْدِم عليه مَنْ يَتَحرَّى الدِّقَّة في البحث فأين النَّصُّ المكتوب في هذا الأمر؟

ولو نسب الناظم هذا القول للإخباريين أو قال : زعموا لكان ذلك أخَفَّ .

ولكن القضية في ظني كان للتأثر بقصيدة (العُرْف) نصيب فيها كبير ، والتأثر أحياناً يقُود إلى الحكم بأشياء لم يثبتها التاريخ المعروف للناس مثل قول الأستاذ القاضي بعد ذلك :

وأقبل جيش ابن السُّعُود يقوده حـجـيلان يَحكي مشية الخيلاء

والذي ذكره المؤرخون في حوادث سنة ١٢٠٢ هـ أنَّ الذي غزا عنيزة وأبعد عنها آل رشيد هو الإمام سعود بن عبد العزيز وليس حجيلان بن حمد وقد نقلنا كلام المؤرخين في ذلك وهم ابن غنام وابن بشر وابن عيسى وكذلك الشيخ عبدالله بن محمد بن بسّام من مؤرخي عنيزة .

ويدل على تأثر صاحب العنيزية بشعر العرف الذي بكى مواليه قوله بعد ذلك[١] .

أيا (عُرْفُ) جاد الغيث قبرك إنما رأيت عظيماً نكبة العظماء
وفيت وهاجتك الشجون فأذرفت جفونك دَمْعاً فيه بعض عزاء
وناديت لو أن القروم شواهد ولو أنَّ ليث الغاب ليس بنائي
لما انتُهِكَتْ يوماً لبنتك حرمة ولا أهرقت فيه أعز دماء
ثوى (العُرْف) والمعروف ليس بذاهب ولا الثأر مدفون لطول ثواء

وللأستاذ الناظم الحق في أن يعجب بشعر العرف ووفائه لذويه أو مواليه كما يُعبِّر

(١) العنيزية ص ١٥ — ١٦ .

بعضهم فالعرف يستحق ذلك ولكن لا ينبغي أنْ يحملنا ذلك على أن نُسجِّل شيئاً لم نتحقق من وقوعه ويوقعنا في استعمال أفعل التفضيل في حكاية هذه الحوادث مثل كون حجيلان (أخبث الخبثاء) وكون عبدالله بن رشيد هو الحامي (لخير خباء) ومثل[1] :

تَولَّتْ حماةُ السُّوْءِ أفظع مصرعٍ   لأكرم بيتٍ شيد فوق بناء

ثم قال الناظم بعد إبعاد عبدالله بن رشيد[2] :

أما (عنيزة) فالإمارة أُسْنِدَتْ   فيها لإبراهيم بعد عناء

والذي ذكره المؤرخون أن الإمارة أُسندت الى عبدالله بن يحيى كما سبق نقل كلامهم في حوادث سنة ١٢٠٢ هـ .

وسبق أن نقلنا ذلك في أول الرسم عن الشيخ محمد بن مانع رحمه الله والذي ذكر أنه تولى بعد عبدالله بن يحيى الذي هو من بني ثور من سبيع ثم هو محمد بن عفيصان .

وبعد ، فهذا حديث عن هذه الواقعة التي حدثت عام ١٢٠٢ هـ وما اتصل بها من وقائع قريبة لم تنفصل حوادثها عنها ، وقد حملنا على السياحة في هذه القصيدة الفريدة (العنيزية) كونها قد طبعت وأصبحت في أيدي الناس فخرجت بذلك الآراء التي تضمنتها عن كونها خاصة بالناظم إلى كونها تاريخية والتاريخ ملك للناس جميعاً فرأيت أن أُنبِّهَ على ما ظننته من ذلك يحتاج إلى تنبيه . والله من وراء القصد .

سنة ١٢٣٠ هـ

قال ابن عيسى :

فيها قدم أحمد طوسون بن محمد علي بالعساكر العظيمة ونزل الرس والخبرا ، وكان

---

(١) العنيزية ص ١٦ .

(٢) المصدر نفسه .

عبدالله بن سعود اذْ ذاك في المذنب ، فلما علم بذلك رحل من المذنب ونزل بلد عنيزة ، وأميرها اذْ ذاك من جهة عبدالله بن سعود[1] .

أقول : نص عبارة ابن بشر التي هي أصل ابن عيسى : ثم رجع عبدالله من البعجاء ونزل المذنب ، وكان طوسون قد استوطن الخبراء وأرسل عسكراً ونزل الشُّبيبيَّة المعروفة بين (عنيزة) والخبراء .. وقد أراد طوسون أن يرحل بعدهم من الرس وينزل (عنيزة) فلما بلغ ذلك عبدالله رحل من المذنب ونزل (عنيزة) وأميرها يومئذ من جهة عبدالله عبدالله حسن بن مشاري بن سعود فأقام عبدالله على (عنيزة) أياماً[2] .

سنة ١٢٣٣ هـ .

تردد اسم (عنيزة) في الحروب التي سبقت حرب الدرعية ولحقتها مثل غيرها من بلاد القصيم ، وذلك لوقوعها بين الدرعية وبين الموانيء التي كان ينزل منها جنود المصريين على البحر الأحمر من ذلك قول ابن عيسى الذي اخترنا إيراد عبارته لأنها أخصر من غيرها : بعد كلامه على وقعة ماوية وهزيمة اهل نجد فيها : وصارت الهزيمة على عبدالله بن سعود ، ومن معه ، وقُتِلَ من أصحابه نحو مائتي رجل ، وذلك يوم الجمعة منتصف جمادي الآخرة وقصد عبدالله (عنيزة) ونزلها . ثم ان ابراهيم باشا سار بعساكره ، ونزل الرسَّ لخمس مقين من شعبان من السنة المذكورة ، وحاصر أهل الرس الى ثاني عشر من ذي الحجة ، ثم انه وقع الصلح بينه وبينهم فرحل عنهم .

فلما كان بعد عيد النحر من السنة المذكورة ارتحل عبدالله بن سعود من (عنيزة) إلى بريدة ، وجعل في قصر الصفا المعروف في (عنيزة) عدة رجال مرابطة واستعمل عليهم أميراً محمد بن مشاري بن سعود[3] .

سنة ١٢٣٤ هـ :

فيها قتل ابراهيم باشا بعد احتلال الدرعية عدة رجال من أعيان أهل نجد منهم

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤١ .
(٢) عنوان المجد ج١ ص ٢٤٩ (طبعة وزارة المعارف) .
(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٣ — ١٤٤ .

عبدالله بن رشيد أمير بلدة (عنيزة)[1] .

سنة ١٢٣٥ :

قال ابن بشر بعد كلام طويل سابق : ثم ان الترك والدويش ساروا من سدوس وقصدوا الرياض وثبت لهم تركي بن عبدالله آل سعود وحاربهم فرجعوا وأقاموا في بلد ثادق نحو نصف شهر ، ثم رحلوا إلى بلد ثرمدا ، ونازلها الترك واقاموا فيها ، وكان (أبوش) ومعه عسكر من الترك في (عنيزة) وأرسلوا مشارى بن سعود الى (عنيزة) وحبسه الترك عندهم فيها ومات رحمه الله[2] .

سنة ١٢٣٦ هـ .

فيها ظهر حسين بيك أبو ظاهر الى نجد ، ونزل (عنيزة) وفي هذه السنة استولى تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على بلد الرياض فلما علم بذلك حسين بيك سار من (عنيزة) بعساكر وقصد الدرعية ، وأمر على أهلها الذين نزلوها بعد ارتحال ابراهيم باشا عنها أن يرتحلوا عنها ويسيروا إلى خليل أغا في ثرمدا ، فساروا إلى ثرمدا بنسائهم وأولادهم . الى ان قال :

ولما كان في رجب من هذه السنة قدم عبدالله بن صالح الجمعي من مصر على حسين وهو في الرياض . وكان الجمعي هذا قد جعله ابراهيم باشا أميراً في (عنيزة) فلما رحل الباشا من نجد أخرجه أهل (عنيزة) منها وتأمر فيها محمد بن حسن بن محمد الجمل .

ثم ان حسين ارتحل من الرياض ، وقصد ثرمدا ، فلما قرب منها وكان معه محمد بن حسن الجمل أمير (عنيزة) أمر بقتله فقتل .. وجعل في (عنيزة) أميراً عبدالله بن حمد الجمعي ، ومعه عدة من العسكر[1] .

وقال ابن بشر فيما يتعلق بالجمعي ، فلما كان في آخر رجب .. قدم عبدالله الجمعي

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٨ .
(٢) عنوان المجد ج١ ص ٢٩٨ (طبعة وزارة المعارف) .
(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٤٩ — ١٥٠ .

أمير (عنيزة) من جهة الترك أتى من مصر وقدم على حسين وهو من الرياض ، وكان الجمعي هذا من أهل (عنيزة) وصار من دعاة الترك . وجعلوه أميراً عليها ، فلما رحل الترك من نجد أخرجوه أهل البلد منها ، وتأمر فيها محمد بن حسن بن حمد المعروف بالجمل[١] .

سنة ١٢٣٧ هـ .

قال ابن عيسى : فيها قدم حسن بيك أبو ظاهر من المدينة ، ومعه نحو ثمانمائة فارس من الترك . فنزل بلد (عنيزة) ورئيسها يومئذ عبدالله بن حمد الجمعي ، فقام معه ، وقدم عليه أكثر رؤساء بلدان نجد في (عنيزة) وبعث من يقبض الزكاة من بلدان نجد ، وبعث سرية مع ابراهيم بن كاشف للرياض ، وسرية مع موسى كاشف ومعهم عبدالله بن حمد الجمعي أمير (عنيزة) الى المجمعة فنزلوا قصر المجمعة ، وكثرت منهم المظالم .

الى ان قال :

ثم خرجوا من المجمعة واغاروا على فريق من السهول في مجزَّل ، فصارت الهزيمة على العسكر ، وقتل موسى كاشف وعدة رجال غيره . ولم ينج منهم إلا القليل ، وقصد شريدتهم[٢] بلد المجمعة ومعهم الجمعي ، ثم ساروا منها إلى عنيزة[٣] .

١٢٣٨ هـ .

قال ابن بشر :

وفي هذه السنة لما رجع حسين بيك أبو ظاهر من الجبل — اي ناحية حائل — .. نزل بلد (عنيزة) وأنزل عساكره في بيوت في البلد ، فلما استقر فيها طلب عدداً من الأموال وحبس أمير البلد عبدالله الجمعي ورجاله من أكابرها ، فسلموا له بعض المطلوب ، ثم ان أهل (عنيزة) لما عرفوا غدره وان ظلمه في زيادة عزموا على حربه

---

(١) عنوان المجد ج٢ ص ٣٠١ (طبعة وزارة المعارف) .

(٢) شريدتهم : من سلم منهم .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥١ — ١٥٢ .

وإخراجه وعساكره من بلدهم . وأجمعوا على ذلك ، وثاروا عليه بعزيمة قوية ، وحملوا عليه في البيوت ، وطلب الأمان فأعطوهم ، وأخرجوهم منها صاغرين . ونزل هو وعسكره خارج البلد وأقبل العسكر الذي في بلد ثرمدا فنزلوا عليهم في (عنيزة) ورحلوا منها إلى المدينة وأبقى أبو ظاهر محمد أغا ، ومعه نحو ستمائة من الترك في قصر الصفا في (عنيزة) وبعدما رحل أبو ظاهر وعساكره من القصيم بمدة أيام قام أهل (عنيزة) على العسكر الذين في قصر الصفا[1] وحاولوهم على الخروج منه بلا حرب ، وانهم يلحقون بأصحابهم فأبوا الا الحرب ، فثار عليهم أهل البلد وحربوهم ووقع بينهم قتال ومطالعات ، ورموا أهل البلد بالتبس والطوب ، وقتل من الترك نحو من سبعين رجلاً ، ثم وقع الصلح ، وأخرجوهم من القصر بالأمان ، وتركوا لهم ما بأيديهم من سلاح ومتاع ، ثم ان أهل (عنيزة) هدموا قصر الصفا»[2] .

سنة ١٢٣٨ هـ .

قال ابن عيسى : فيها حبس حسين بيك أبو ظاهر عبدالله الجمعي أمير (عنيزة) وعدة رجال من رؤسائها ، وطلب عليهم أموالاً . فقام عليه أهل (عنيزة) وأخرجوه هو ومن معه من البلد ، فارتحل الى المدينة ، وترك في قصر الصفا المعروف في (عنيزة) نحو خمسمائة من العسكر . رئيسهم محمد أغا ، فقام عليهم أهل (عنيزة) وأخرجوهم منه ، وهدموا قصر الصفا ، فلحقوا بأصحابهم الى ان قال :

وفي شعبان من هذه السنة قُتِل عبدالله بن حمد الجمعي أمير (عنيزة) قتله يحيي السليم في مجلس (عنيزة) وشاخ يحيي المذكور في بلدة (عنيزة)[3] .

وقد نظم صاحب العنيزية الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي أحداث هذه الفترة فقال[4] :

---

(١) كتبت فيه الصفاه : بالمد والمعروف أنه الصفا بالقصر أي : الحجارة الصلدة .

(٢) عنوان المجد ج٢ ص ١٧ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥٣ .

(٤) العنيزية ص ١٨ .

قـد ثـار يحيي فـاسمعوا تـاريخه	(يختار يحيى) خُـطَّة الرؤسـاء[1]
قتل الجميـعي[2] البغيض لقومه	لمكـائـدٍ مـنـه على الـقُـرنـاء
قد كان يحيي أول الأمراء من	أبـنـاء زامـل صـفـوة الأبـنـاء
ولي الإمـارة في (عـنيزة) حقبة	وثـوى بـبـقـعـا مصرع الشـهـداء

سنة ١٢٤٠ هـ .

قال ابن عيسى :

في هذه السنة حصل منافسة بين يحيي السليم ، واتباعه ، وبين أهل الخريزه والعقيلية في (عنيزة) وحصل بينهم قتال قتل فيه أربعة رجال من الفريقين وجرح عشرة رجال . فركبوا أهل الرس وأهل بريدة ، وقدموا بلد (عنيزة) وأصلحوا بينهم[3] .

وفي هذه السنة قدم يحيي بن سليمان بن زامل ، رئيس (عنيزة) على الإمام تركي وبايعه على السمع والطاعة[4] .

١٢٥٠ هـ .

وجدت في بعض الاوراق التاريخية :

في سنة ١٢٥٠ شاخ يحيي السليم الثانية في عنيزة .

أقول : ذلك بعد أن كان الإمام تركي بن عبدالله عزله وأمر مكانه محمد بن ناهض من أهل السر وقد أشار الى ذلك ابن بشر عندما ذكر وفاة الإمام تركي في عام ١٢٤٩ فعدد أمراءه على البلدان فقال :

وكان أميره على بلد (عنيزة) يحيي بن سليمان بن زامل ، ثم عزله ، وجعل مكانه

---

(١) علق الناظم على هذا البيت بقوله : في سنة ١٢٣٩ هـ وتاريخها بالأبجد (يختار يحي) ثار به سليمان بن زامل السليم وقتل عبدالله الجمعي الأمير في عنيزة الذي نصبه الترك .

(٢) الجميعي : هو الجمعي صغره من أجل استقامة الوزن ولصغر مكانته في النفوس .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٥٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٥ .

محمد بن ناهض رئيس قصر بسام[1] .

سنة ١٢٥١هـ

قال ابن بشر :

وفيها طلب رؤساء القصيم من الإمام فيصل ان يبعث اليهم الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطن قاضياً في بلدانهم كمدرس[2] لطلبة العلم في أوطانهم ، فأمر عليه الامام وهو في بلد شقراء قاضياً لأهل الوشم ، فقدم (عنيزة) وأقام فيها ثم طلبوا نزوله عندهم . وانتقاله اليهم بأهله ، فانتقل بعياله عندهم ، واستوطن (عنيزة) فأكرموه غاية الإكرام ، وعظموه بما يستحقه من الإعظام . فاجتمع عنده طلبة علم كثير[3] .

سنة ١٢٥٢ :

قال ابن بشر بعد ان ذكر أن عسكراً من المصريين ظهر مع اسماعيل آغا أمير لوى[4] وخالد بن سعود[5] وان الامام فيصل سار إلى القصيم ليقيم فيه قبل أن يصل اليه عسكر الترك :

وركب ـــ الإمام فيصل ـــ من الرياض في آخر شوال ، ونزل الخفيسة الماء المعروف عند الدهناء ، وأقام فيها أياماً واجتمع باقي غزوانه ، ثم رحل منها ونزل الصريف الماء المعروف قرب بلد التنومة من أرض القصيم ، فأقام عليه أكثر من شهر حتى بلغه أن

---

(١) نسبه لبسَّام جدّ سكانه وهو قصر البرود المعروف في السِّرّ ، ويسمى أيضاً قصر الشبلي ، إذ سكانه من الشبول .

(٢) هكذا ، في طبعة وزارة المعارف وفي طبعة أبا بطين : ومدرساً وهو المألوف في عبارات المتقدمين .

(٣) عنوان المجد ج٢ ص ٨٧ (طبعة وزارة المعارف) ٢٣١ .

(٤) كذا فيه إذا كان المراد لواء الجيش فهو بالمد .

(٥) من الطريف أن الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف الشيخ الذي علق على هذه الطبعة من ابن بشر ذكر بأن خالداً هو خالد بن سعود بن عبد العزيز وقال : مما يؤسف له أن الأستاذ الكبير خير الدين الزركلي ترجم له ونسبه سهواً بأنه خالد بن سعود ابن عبدالله . وفي الصفحة التي بعدها وقع الشيخ عبد الرحمن في سهو مماثل إذ ذكر في تعليقه على الضريف أنه حصلت فيه وقعة عام ١٣١٨ بين الإمام عبد الرحمن بن فيصل وبين محمد بن عبدالله الرشيد مع أن محمد بن عبدالله الرشيد كان قد مات عام ١٣١٥ هـ وإنما ابن رشيد ذاك هو عبد العزيز بن متعب ، والسهو والخطأ من طبيعة البشر .

خالداً واسماعيل وعساكر الترك نزلوا بلد الرس ، فرحل فيصل بجنوده ، وقصد بلد (عنيزة) ونزلها واستنفر أهلها . فركب معه أميرها يحيي بن سليمان ، ثم رحل الإمام من (عنيزة) واستنفر رئيس بريدة فركب معه عبد العزيز[1] بغزوه وسار بتلك الجنود ، ونزل في رياض بلد الخبرا المعروفة بين الرس والخبرا ، وذلك في أيام التشريق ، فأقام في مكانه ذلك أكثر من عشرين يوماً ، وهو ملازم عساكر الترك في الرس ، ومحارب لهم ، ولكن لم يحصل بينه وبينهم قتال ، ولا طلع عليه أحد منهم ، وكان فيصل كاتب أهل بلد الشنانة المعروفة عند الرس ، فطلبوا منه يرسل إليهم سرية تكون عندهم ، فأرسل اليهم مائة مطية مع زويد العبد خادم الإمام فرحلوا اليها بعد صلاة العشاء ، فلما وصلوها وجدوا أميرهم في الرس ، وقال لهم أهلها : لا نقدر ندخلكم إلاَّ بحضور الأمير ، فوقع فشل في تلك السرية ، وانصرفوا الى فيصل فلما قدموا إليه استلحق رؤساء قومه واستشارهم في الرحيل أو المقام ، فأشاروا عليه أن يأمر على حلته[2] وزهابه[3] وعليق خيله ، وجميع ثقله يرحلون ويقصدون بلد (عنيزة) ثم يشن الغارة بمن معه من جنود المسلمين على بعض فرقان البدوان الذين تابعوا العسكر ، ثم رجع قافلاً إلى (عنيزة) أو بريدة ، فأمر الإمام على أهل الراحلة بالرحيل ، فلما شُدَّتْ رحايلهم ، وشيل عليها ظن أناس من أطراف الغزو أن القوم راحلون . ومنهزمون فشالوا على رواحلهم ، ووقع في المسلمين فشل ، فأمر فيصل رجاله وخدامه بتسكينهم ، وضَرْب مَن رحل وانهزم منهم . فقام الرجال عليهم وأدبوا فيهم ، فسكنوا عند ذلك ، وباتوا مكانهم ، فلما كان بعد صلاة الصبح وطلعت الشمس ركب فيصل بجنوده من ذلك الموضع ، ووقع بالمسلمين فشل وخفة ، فثقل فيصل وفرسان قومه في ساقة جنودهم وقصد (عنيزة) ونزلها وذلك يوم الجمعة لخمس بقين من شهر ذي الحجة فلما نزل (عنيزة) شاور رؤساء قومه[4] في المقام فيها أو الرحيل ، فاقتضى رأيه ان يرحل بعزيزته[5] ويقصد بلده ، ويقضي الله

---

(١) أي عبد العزيز بن محمد آل (أبو عليان) أمير بريدة وما يتبعها في القصيم .

(٢) الرحلة : هي التي تحمل أمتعة الفرسان من سلاح وخيام ونحوها .

(٣) الزهاب : هي الميرة أي : المؤن اللازمة للغزاة والمسافرين .

(٤) المراد بقومه هنا : رؤساء الغزو الذين معه ، وليس ذوي قرباه .

(٥) عزيزته : يعني وهو عزيز لم تلحقه هزيمة .

بتقديره ما أراد من تدبيره ، فرحل الإمام من بلد (عنيزة) وأذن لأهل النواحي يقصدون بلدانهم[1] .

سنة ١٢٥٣ هـ .

قال ابن بشر :

دخلت — السنة المذكورة — وخالد وعساكر الترك في بلد (عنيزة) فأمر اسماعيل وخالد على يحيي بن سليمان ورجال معه يركبون إلى بلد جبل شمر مع عيسى بن علي رئيس الجبل القديم ، وركب معه من الترك ابراهيم المعاون بأربعمائة فارس والغزوان الذين مع يحيي مائة مطية ، يريدون أن يبغتوا عبدالله بن رشيد في بلده و(يمسكونه) فسبقهم النذير اليه ، وهرب من بلد حايل قبل قدومهم ، فدخل ابن علي الجبل ، ونزل قصر أهله ومعه الغزو والعسكر ، وهرب أناس من أهل الجبل ، واخذ منهم المعاون دراهم .

ولما استقر عيسى بن علي في الجبل أقبل المعاون ويحيي بن سليمان ومَنْ كان معهم ، وأبقوا عند عيسى مائة رجل من عسكر الترك ، ثمَ قدم على اسماعيل وخالد رؤساء أهل الرياض في (عنيزة) وأطاعت لهم نجد كلها سوى أهل الخرج والفرع وما والاهم من أهل الجنوب[2] .

سنة ١٢٥٤ هـ

قال ابن بشر :

في آخر صفر أقبل خرشد باشا من الحناكيه بعساكره ومعه جلوي بن تركي[3] ونزل بلد (عنيزة) فتابعوه ، وفد عليه أمراء بلدان القصيم ، وكثير من رؤساء العربان ، فلما

---

(١) عنوان المجد ج٢ ص ٨٩ — ٩٠ طبعة وزارة المعارف .

(٢) عنوان المجد ج ٢ ص ٩١ — ٩٢ (طبعة وزارة المعارف) .

(٣) ذكر ابن بشر قبل ذلك أنه في أول ذي الحجة أن الإمام فيصلاً أرسل أخاه جلوي إلى خرشد باشا وهو في المدينة ومعه هدية فوفد عليه في المدينة وأقبل معه إلى القصيم .

كان في أول ربيع الأول ثار الحرب بين أهل (عنيزة) وعسكر خورشيد ، وسبب ذلك أن سرق لخرشد (عمانيتين)[1] من الركايب ، فقيل له : إن أناسا من الحرامية عند العسكر في النهار يسألون وفي الليل يسرقون .

ثم ذكر أن قوم خرشد قتلوا رجلاً وابنه من الفلاحين وقال : وظهر يحيي — أمير (عنيزة) — وقصد خرشد في خيمته ، فلما أراد الدخول عليه أخذ سيفه قواويس الباشا على العادة انه لا يدخل عليه أحد بسلاحه ، فهرب خادم يحيي الذي معه الى البلد ، وقال : أميركم قُتِلْ ، وكان جملة العسكر في وسط البلد يبيعون ويشترون ، فنهض عليهم أهل البلد ، وقتلوا كل من وجدوا منهم إلا (رجل) دخل بيتاً أو دكانا ، فأخفاه صاحبه ، فسمع الباشا الصيحة في البلد ، فقال ليحيي : ان بلدكم حصل فيها (شمطة) وغمض رجل ليحيي ، فرمى (عباته) وهرب إلى البلد ، فعارضه في طريقه رجال من العسكر هاربين منها وهو في شدة الركض فرموه بالبنادق ، فسلمه الله ، ودخل بلده فإذا قد قتل فيها تسعون رجلاً ثم نهضت العساكر على الحشاحيش والحطاطيب[2] في من كان خارج البلد فقتلوهم وحصروا أهل قصر الضبط المعروف خارج عنيزة ، وقتلوا أهله كلهم وهم نحن (خمسون) رجلا ، ونهبوا ما في قصرهم ، ثم ثار الحرب بين اهل البلد والعسكر نحو ثلاثة أيام . ثم وقع الصلح بينهم فلبث خرشد في (عنيزة) خمسة أشهر .

الى ان قال :

ثم ان خرشد سعى في بناء قصر الصفا المعروف في (عنيزة) فبناه وجعل فيه عسكراً وذخيرة . فلما كان في آخر رجب رحل من (عنيزة) بعدده وعدته ، ومعه كثير من العساكر المصرية والشامية[3] .

---

(١) العمانيات : نياق مشهورة بالقوة وجودة السير ، وهي منسوبة إلى عمان .

(٢) الحشاحيش : جمع حشاش أو هو الذي يقطع الحشيش أي : الكلأ لعلف البهائم والحطاطيب : جمع حطاب .

(٣) عنوان المجد ج٢ ص ١٠١ — ١٠٣ (طبعة وزارة المعارف) .

سنة ١٢٥٤ :

قال ابن عيسى : في سنة ١٢٥٤ خرج خرشد باشا من مصر الى نجد ، ومعه العساكر العظيمة ، ونزل بلد (عنيزة) لعشر بقين من صفر من السنة المذكورة . ثم انه لما كان بعد نزوله بأيام حصل بينه وبين أهل عنيزة قتال من غير قصد ، وقتل من العسكر نحو تسعين ومن اهل (عنيزة) عدة رجال ، ثم تصالحوا ، فلما كان في رجب من هذه السنة ارتحل بعساكره من (عنيزة) وقصد بلد الرياض[١] .

سنة ١٢٥٧ هـ

في الثاني من جمادى الأولى من هذه السنة وقعة بقعا بين أهل القصيم وبين ابن رشيد ، صارت الهزيمة فيها على أهل القصيم ، وممن قُتِل فيها يحيى السليم امير بلد (عنيزة)[٢] .

سنة ١٢٥٩ هـ

قال ابن عيسى : فيها قدم فيصل بن تركي الى بلد الجبل[٣] هارباً من مصر فقام معه رئيس الجبل[٣] ، عبدالله بن علي بن رشيد ، وسارا الى (عنيزة) وقام معه أهل (عنيزة) ثم سار الى الرياض ، وحصر عبدالله بن ثنيان في قصر الرياض حتى ظفر به[٤] .

سنة ١٢٦١ هـ

فيها أغار عبيد بن رشيد على غنم أهل عنيزة ففزعوا عليه فحصل بينه وبينهم قتال قتل فيه الأمير عبدالله بن سليمان بن زامل وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ومحمد الخنيني وصار بعد الأمير عبدالله المذكور في عنيزة أخاه ابراهيم بن سليمان[٥]

---

(١) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٣ ـــ ١٦٤ .
(٢) تقدم الكلام مفصلاً بعض التفصيل على وقعة بقعا في رسم (بريدة) .
(٣) الجبل هنا : هو حائل وما يتبعه .
(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٧ .
(٥) أوراق تاريخية .

ووجدتها في أوراق أخرى باللفظ التالي :

في سنة ١٢٦١ أغار عبيد بن رشيد على بلد عنيزة في خامس رمضان ففزعوا عليه فقتل منهم عبدالله السليم أمير عنيزة ، وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ، وابراهيم بن عمر وثلاثة عشر رجلاً غيرهم ، وربط منهم عشرة رجال ثم أطلقهم بعد ذلك لما وصل الجبل .

أقول : وجدت في مكان آخر من الأوراق المذكورة تاريخ هذه الحادثة ، كما يلي :

وقعة الغريِّس[١] بين أهل (عنيزة) وبين ابن رشيد لفظة (غارس)

سنة ١٢٦١ .

أما ابن عيسى فذكر أنها كانت في عام ١٢٦٠ وذلك في قوله :

في خامس رمضان من هذه السنة أغار عبيد بن علي بن رشيد على بلد (عنيزة) وأخذ أغنامهم ، ففزعوا عليه ، وحصل بينهم وبينه وقعة في مقطاع الوادي[٢] وصارت الهزيمة على أهل (عنيزة) وقتل منهم عدة رجال منهم عبدالله السليم وأخوه عبد الرحمن ومحمد الشعيبي ومحور الخنيني[٣] .

ولا شك في أن الذي في الأوراق أصح لأنه ضبط تاريخ الواقعة بحروف الجُمَّل .

كذلك فإن اسم محمد الخنيني فيها قد أصبح في ابن عيسى (محور) وأظن ذلك خطأ وان الصحيح هو محمد .

سنة ١٢٦١ هـ

وقد فصل ابن بشر تفصيلاً أكثر فقال :

---

(١) الغريِّس : بتشديد الياء وكسرها على لفظ تصغير الغريس الذي هو النخل الصغار أي المغروس حديثاً : موضع كانت فيه هذه الوقعة .

(٢) أي : وادي الرمة .

(٣) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٨ .

وفي هذه السنة لثلاث مضين من رمضان كانت وقعة ابن رشيد رئيس الجبل على أهل (عنيزة) وذلك أن عبدالله بن سليمان بن زامل أمير (عنيزة) أخذ إبلاً لابن رشيد فطلب منه الأداء[1] فأبى عليه وحذره وأنذره فجهز اليهم أخاه (عبيد) في مايتين وخمسين مطية وخمسين من الخيل، فأغار على غنم (عنيزة) قريب من البلدة، ففزع أهل (عنيزة) وكان ابن رشيد قد جعل لهم كمينا، فلما نشب القتال خرج عليهم الكمين فولوا منهزمين، واستولى عبيد وقومه على أكثر الفزع فقتلوا في المعركة منهم رجالاً، فعرف عبيد عبدالله بن سليمان الأمير، واخوانه وبني عمه، فقتلهم صبراً، وأمسك منهم رجالا وربطهم، وانفذهم إلى اخيه في الجبل، فركب اليه عبد العزيز بن الشيخ العالم عبدالله ابابطين فألفى[2] عليه في الجبل فأطلق له الرجال وكساهم[3] .

ونظمها الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي في العنيزية فقال بعد ان ذكرت إمارة يحيي السليم[4]

وأخوه عبدالله أُمِّر بعده ... و«جُوَيٌّ» مصرعه مع الكرماء[5]
قد أرَّخوا يوماً طواه بكلمة ... (غَرْسُ) الغُرَيِّس حُقَّ بالأنواء

سنة ١٢٦٣ هـ .

قال ابن عيسى : في هذه السنة ظهر الشريف محمد بن عون الى نجد، فلما وصل بلد (عنيزة) أرسل إليه الإمام فيصل هدية مع أخيه جلوي بن تركي ورجع إلى مكة المشرفة[6] .

---

(١) في الأصل : الأذى — بالذال المعجمة : تحريف .
(٢) الفى عليه بالفاء الموحدة أي : وفد عليه .
(٣) عنوان المجد ج٢ ص ١٤٦ (طبعة وزارة المعارف) .
(٤) العنيزية ص ١٨ .
(٥) الجوى : سبق الكلام عليه في حرف الجيم .
(٦) تاريخ بعض الحوات الواقعة في نجد ص ١٦٩ .

سنة ١٢٦٥ هـ

قال ابن بشر :

فيها جرت الحادثة العظيمة من رؤساء أهل القصيم بالخروج عن طاعة الإمام ، الى أن قال : فقام رجال من رؤساء أهل القصيم يحاولون شريف مكة وهو يومئذ محمد بن عون يجمع العساكر والخروج على نجد ، واستيلائه عليها ، فتجهز الشريف بعدده وعدته ، وجميع أعوانه ، فظهر إلى نجد ، ونزل القصيم كما سبق بيانه ، فلما رأى الشريف أن نجدا لم تحصل الا بحرب شديد ، وضَرْب وقتل يبيد رحل من القصيم الى ان قال :

وذلك انه لما رحل الشريف من (عنيزة) وقع في نفس فيصل على رئيسها ابراهيم بن سليمان بن زامل ، لأن الشريف لم ينزلها إلاّ بإذنه ، فوفد على فيصل ناصر بن عبد الرحمن السحيمي من أهل العقيلية[1] المعروفة في عنيزة فقال له : انا وعشيرتي لكم ود قديم ، وأنا على محبتكم مستقيم ، فاجعلني في (عنيزة) أميراً حتى أكون لكم عويناً وظهيراً فاستعمله الإمام فيها ، وعزل ابراهيم وكتب معه إلى أهل (عنيزة) اني استعملته عليكم أميراً فاسمعوا له واطيعوا ، الى ان قال : فقدم السحيمي (عنيزة) وأخرج آل زامل من القصر وأنزله أخاه (مطلق) الضرير ، وضبطه برجال معه ، واستقام له الأمر وبايعه أهلها ، وذلك في سنة أربع وستين ، ثم ان عبدالله وأعوانه أرادوا الفتك بالسحيمي وقتله ، فرصدوا له في طريقه الى بيته ، فرموه ثلاث رميات أخطأه اثنتان ، ووقعت الثالثة فيه . ولم تكن على مقتل ، فوصل بيته سالماً وأغلق بابه ، وانهزم ابن يحيى ومن معه يريدون القصر فوجدوهم قد انتذروا واغلقوا بابه فلم يحصلوا على طائل ، فلما عرفوا انهم (لم)[1] يدركوا القصر ضاقت بهم البلد . وهربوا الى رئيس بريدة عبد العزيز[2] ودخلوا عليه البلد فأرسل إلى الإمام فيصل متع الله به[3] بأن هؤلاء الأولاد

---

(١) ساقطة من الأصل .

(٢) أي : عبد العزيز بن محمد آل أبو عليان .

(٣) كان ابن بشر رحمه الله يكتب هذا في حياة الامام فيصل رحمه الله .

وقع منهم ما وقع ، وانهم صاروا عندي ، وأنهم ما فعلوا ذلك إلا لأجل أشياء حدثت من السحيمي ، وأرسل السحيمي الى فيصل يخبره الخبر ، وذكر انهم اعتدوا عليه بلا سبب ولا جرم ، فأرسل فيصل خادمه فرحان ، ومعه عشرون رجلاً الى رئيس بريدة ، وأمره أن يدفع له يحيى واعوانه مع خادمه ، فقام يردد رسله الى فيصل يعتذر عنهم وخادمه وربعته[1] عندهم فالزم الإمام متع الله به بإقبالهم اليه ، والجلوس بين يديه فقدموا الرياض ، ومعهم هدية له ، فأنزلهم في بيت وأكرمهم ، وعفا عنهم ، لما توجَّه عليه عبد العزيز[2] وأخبره بحقيقة عذرهم ، وأما رسول السحيمي فرجع اليه من عند الإمام بخبر جميل ، وذكر له أن ابن يحيى عندنا وأنت في بلدك لا بأس عليك ، ونحن ننظر في أمركم فيما بعد ان شاء الله . ثم ان الضرير (أخو) السحيمي أرسل الى رجل من أعوان زامل فضربه حتى مات .

ثم بعد ذلك لما برىء السحيمي من جرحه أمسك ابراهيم بن سليمان الأمير ، وقتله وجرح أخاه (علي) وهرب الى بلد المذنب . فكتب الإمام فيصل الى السحيمي يتهدده على حدثه ويتوعده إن لم يقدم عليه ويجلس مع خصمه عند حاكم الشرع في هذا القتل والجراحات . فركب السحيمي ، وقدم الرياض . فأجلسه فيصل هو وولد يحيى عند حاكم الشرع ، وحكم بديات الرجال وحكم عليه بدية جرحه .

ثم ان الإمام جهز عبدالله المداوي و(رجال) معه الى بلد (عنيزة) وأمرهم بدخول القصر والجلوس فيه ، وذلك لما رأى اختلاف رئيس (عنيزة) وأهل بريدة ، وما حدث منهم مع الشريف وغيره ، فركب المداوي وقدم (عنيزة) فامتنع الضرير من الخروج من القصر ، وساعده على ذلك رجال من أهل البلد ، فركب المداوي الى بريدة ، وأقام فيها ، ثم انهم ندموا على خروجه من عندهم ، فأرسلوا اليه وقدم اليهم ، فأنزلوه في بيت في البلد ، فكتب المداوي الى الإمام بذلك ثم انهم ظهرت منهم العداوة ، ورفعوا راية

---

(١) ربعه : رفقته والذين معه .
(٢) توجه عليه عبد العزيز أي : شفع فيهم .

الحرب ، وأغلق أهل (عنيزة) بيبانها[1] بالليل ، وأوقدوا عندها النيران ، واجتمعوا عندها بأسلحتهم حلقا على قهاويهم[2] وانديتهم . فلما علم فيصل بذلك حاذر من تظاهر البلدان كلها ، واجتماعهم على الحرب ، فبادره السحيمي وذكر له أنه إذا أطلقه وأرسله اليهم فهو المُثَبِّطُ لهذه .. ووعده بذلك وعداً مبرما ، وعاهده عليه بالله وميثاقه عقدا (محكم) انه له باطناً وظاهر ومساعدا ومظاهراً ، ثم قال له : تجهز بالمسلمين وانزل لي أدنى بلدانك لتكون ردءاً على اصلاح شأني وشأنك ، ولا بد أن آتيك بالخيل والأموال ، وأسوق اليك رؤساءها من الرجال ، وأجهز لك غزوهم من بدوهم وحضرهم ، فصدقه الإمام ولم يدر عن ما هو مضمر من الغدر ، وعدم الوفاء بالذمام .

فركب من عند فيصل في شهر جمادى الأولى من هذه السنة بعدما تجهز فيصل بالمسلمين غازياً وخرج من الرياض فلما قدم — أي السحيمي — (عنيزة) فوجدهم (مجمعون) على الحرب و(متظاهرون) عليه فدخل فيما دخلوا فيه .. ثم تراودوا فيما بينهم أن ليس لهم في الحرب طاقة حتى ينكث عبد العزيز[3] ميثاقه ، ويكونون كلهم في الحرب سواء .

وكان عبد العزيز[3] قد غزا باهل القصيم ، ونزل جراب الماء المعروف فأقام عليه قريب شهر يخوِّف المسلمين بذلك ويخوِّف عربانهم ، فأرسلوا اليه فرحل من جراب الماء وقدم (عنيزة) بغزوه ، ودخل عليهم البلد فقتلهم ففتلوه[4] واعطوه ووعدوه . وقالوا انت الأمير على الجميع ، وهذا فخر لك بشيع ، فنقض عهده ، وأخلف وعده ، وقال لهم الحرب عليَّ وعندي ، والصلح اليَّ ومني ، الى ان قال :

---

(١) بيبانها : جمع باب .

(٢) قهاويهم : جمع قهوة . والمراد : مقهاة أي : مكان شراب القهوة من البيت وهي بمثابة غرفة استقبال الضيوف من الرجال أيضاً .

(٣) يريد عبد العزيز بن محمد (آل أبو عليان) أمير بريدة .

(٤) فتلوه . بالفاء — أي اتفقوا معه . وأحكموا الاتفاق .

نساء في القمة

— ١ —

[عرف قراء «العرب» قبل سنوات بين من عرفوا من كتابها الأستاذ الجليل الشيخ محمد علي العبد، كما عرفه قراء «اليمامة» قبل ذلك في سنواتها الأولى، فعرفوا فيما قرأوه مما كتب صدق اللهجة ووضوح الأسلوب، ونُبْل الغاية، وها هو يُمِدُّ «العرب» بما يتمنَّى له أن يُمِدَّها به].

أرأيت كيف اختارت العنايةُ الربانية للرسول الكريم محمد بن عبدالله عليه السلام

وخرج الإمام فيصل من الرياض غازياً يوم الخميس لثلاث بقين من ربيع الثاني الى ان قال :

ونزل في ساجر[1] الماء المعروف قرب بلد المذنب، وأقام عليها أياماً، وأمر على أولاد يحيي بن سليمان يرحلون برجال معهم وينزلون العوشزيات[2] عند أرحام لهم فيها لعل أن يحصل لهم فرصة في البلد، ثم رحل ونزل المذنب. الى ان قال : ثم ان الإمام أعزه الله تعالى أرسل الى رؤساء أهل القصيم يدعوهم وذكر لهم انه لا يستقيم دين إلا بجماعة، ولا يكون الا بالسمع والطاعة الى ان قال الإمام فيصل : فلا تكونوا سببا في إهراق دمائكم، وادخلوا فيما دخلتم فيه أنتم وآباؤكم، فأرسلوا اليه رجلاً من رؤساء أهل بريدة يقال له مهنا بن صالح[3] فلما جاء الى فيصل ذكر له إنما جاء لطلب الصلح، فلم يزل يتودد اليه، ويذكر الأمر الذي عَمَّدُوهُ عليه فكتب لهم انهم يدفعون الزكاة ويركبون معه غزاة، ويدخلون في الجماعة والسمع والطاعة[4].

(للبحث صلة) **محمد العبودي**

---

(١) ساجر : في السر راجع عنه معجم العالية للشيخ سعد بن جنديل.

(٢) ستأتي العوشزية قريباً.

(٣) مهنا بن صالح أبا الخيل أمير بريدة تقدم ذكر إمارته في رسم بريدة وقد ذكرت أخباراً له في معجم أسر أهل القصيم.

(٤) عنوان المجد ج ٢ ص ١٥٧ — ١٦٢ (طبعة وزارة المعارف)

خديجة بنت خُوَيْلد رضي الله عنها ، لتكون زَوْجاً له ، تحيي في نفسه الأمل ، وتُقَوِّي في صدره العزيمة ، فتصغر العظائم في عينيه ، وتهون الشدائد بين يديه ، فيصمد صمود القلاع أمام الأعداء . ويثبت ثبات الجبال ضد المشركين .

وما خديجة في حدة ذكائها وشدة إخلاصها ، وعظيم حنانها وقوة جلدها إلا صورة صادقة للمرأة العربية ، التي جعلت الرمال الجدباء بساتين خضراء ، تصدح الشعراء في أنحائها . ويتبارى الفرسان في الذود عن أبوابها ، فظلت الجزيرة العربية بعيدة عن أيدي الفاتحين ، وبقيت الفتاة العربية في طهارة عرضها ونقاء عنصرها وسمو خلقها واخلاصها لزوجها كما صورها الشاعر الجاهليُّ بقوله :

أميـمة لا يُخـزي نَثاها حَليْلَها إذا ذكِرَ النسوانُ عَفَّتْ وجَلَّت
تحلُّ بمَنجاةٍ من اللوم بيتها إذا مـا بيـوت بالمذَمَّة حُلَّت
كأنَّ لها في الأرض نسيا تَقُصه على أمها وإن تكلِّمْكَ تَبْلَت

وما الخنساء التي نَبذت لذات الحياة ، ووقفت عمرها على مدح البطولة في أخيها صخر بقصائدها التي قلدتها جيد الزمان ، لتتغنى بها الأجيالُ بعد الأجيال إلا واحدة من أولئك اللواتي درجْنَ فوق تلك الصحراء التي لم تَرْضَ بالعيش فوقها للساقط الضعيف ، ولم تُعط حق الحياة إلا لكل جلد أنوف .

وقبل العرب بأجيال وأجيال ، ومن مغارة الزمن السحيقة التي لم يستطع التاريخ أن يدخل في زواياها ، ولا أن يثبت شيئا من أخبارها ، خرجت قصيدتا ذلك الشاعر اليوناني (هومرُس) اللتان ظل كثير من البشر ينقلها زمانا بعد زمان . لما فيهما من الخيال الجامح العجيب الذي عز عن النظير والشبيه في شعر الانسانية جمعاء حتى يومنا هذا ، وهما قصيدتان موضوع أولاهما المرأة الفاسدة التي هجرت بيتها ، وفرت مع عشيقها ، فاضطربت لذلك بلاد اليونان ، فعبأت الجيوش ، وحشدت الأساطيلَ التي سارت إلى مدينة (طروادة) بلد الفتى (باريس) الذي صحب (هيلانة) اليها ، فقامت حول أسوارها حرب استمرت سنين طويلة ، هلك فيها كثير من أبطال الطرفين ، وظلت

(طروادة) منيعة بأسوارها حتى اهتدى (أوليس) اليوناني الى حيلة عجيبة ، اذ صنع حصانا خشبياً ضخماً اختبأ فيه عدد من شجعان اليونان الذين ركبوا سفنهم ، وأقلعوا بها عن الساحل ، فخرج الطرواديون من مدينتهم ليشاهدوا هذا الحصان الخشبي الذي أعجبهم منظره ، فقرروا إدخاله في مدينتهم التي ضاق بابها عنه ، فهدموا الباب ، وأدخلوا الحصان مدينتهم لسوء حظهم ، وعندئذ عادت سفن اليونان بالجيش الذي أصبح الباب مفتوحاً أمامه ، وخرج أبطال اليونان من حصانهم العجيب ، وبذلك تمت الغلبة لليونان ودُمِّرت (طروادة) .

وقد سميت القصيدة التي روت هذه الأحداث العجيبة في آلاف الأبيات الشعرية بـ(الألياذة) .

أما موضوع القصيدة الثانية فهو المرأة الصالحة (نيلوب) التي خرج زوجها (أوليس) مع الخارجين الى تلك الحرب الضروس ، ولم ينفعه ادعاؤه الجنون ، فقد اكتشف اليونان حيلته ، وحملوه على أن يصحبهم تاركا زوجته وطفله وراءه ، وكان صاحب الحيلة التي أنهت تلك الحرب الطاحنة ، وعاد من بقي حيا من أمراء اليونان إلى بلادهم ما عداه ، فقد أغرقت الأمواجُ العالية رجاله ، وبقي هو في اليمِّ المتلاطم الأمواج ، متنقلاً بين جزر البحر وشطآنه . حتى يئس أهل جزيرته من عودته ، فالتف حول قصره عشاق زوجته يطالبونها أن تختار واحداً منهم ليكون زوجاً لها . ويمنعها وفاؤها وطهارتها من ذلك ، مدعية أنها تنسج ثوباً لوالدها على عادة اليونان ، ولن تتزوج قبل أن تتم الثوب ، ولكنها تنقض في الليل ما تعمل في النهار ، ويخرج ولدها يبحث عن أبيه في البحار المضطربة والجزر النائية ، ويرسل عشاقها خلفه من يحاول اغتياله ، فتشتد لوعتُهَا ويزداد حُزْنها . وفجأة يصل زوجها ويعود ولدها فينتقمان من أولئك الأشرار ، ويبقى لبيتها طهارتُهُ ولولدها شرفه ولزوجها عِزَّهُ وفخاره ، وقد سميت هذه القصيدة الطويلة بـ(الأوديسة) .

ولما كتب المعلم الأول (أرسطو) كتاب «السياسة» لم ينس دور المرأة في حياة الأمم والشعوب ، فقرر بحقٍ أن المرأة الفاسدة أشد على بلدها من الغزاة وأعظم ضرراً ، وضرب لذلك أمثلة كثيرة .

(٤٨)

المطابع والصحافة والمكتبات
في معجم المطبوعات العربية السعودية

في معجم المطبوعات لسركيس .

١ ــ ص ٥٠٥ «محمد سعيد بن الشيخ محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية» . رسالة في اذكار الحج المأثور وآداب السفر والزيارة ، طبع حجر مكة ١٣١٠ و١٣٢٣؛ ص ٦٢» .

٢ ــ ص ٩٩٠-٢ «زيني دحلان ١٢٣٢ ــ ١٣٠٤ مفتي السادة الشافعية بمكة المشرفة .. **خلاصة الكلام** في بيان أمراء البلد الحرام من زمن النبي عليه الصلاة والسلام

وفي تاريخنا نساء كثيرات أتين من الأعمال الجليلة ما دل على شجاعتهن ، وذكائهن ، واخلاصهن لدينهن وبلادهن ، وحفاظهن على شرفهن ، وسأقص عليك في الحلقات القادمة قصة المرأة التركية التي أنقذت زوجها بذكائها ، والفلاحة الحلبية التي فرحت بمقتل ولدها الفاسق ، وجزت شعرها وسوّدت شعرها لما درت بنجاته ، والمرأة التي قتلت زوجها لِتَعَاوُنه مع الصليبيين أعداء قومها .

وذلك لترى أنَّ مجدنا الباذخ وتاريخنا المشرق ودولتنا التي قامت زمنا طويلاً تحكم الدنيا كانت للمرأة فيها أدوار مهمة بجانب الرجل في تحقيق ذلك .

الكويت **محمد علي العبد**

فإلى وقتنا بالتمام. بهامشه الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين النهروالي — الميرية ١٣٠٥ ص ٣٣٢ ، مكة ١٣١١ » .

شرح الآجرومية ... مكة ١٣١٤ .

الفتوحات الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية — بهامشها خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام جزء ٢ مكة ١٣١١ .

رسالة.. في الرد على الشيخ سليمان أفندي (فقه شافعي) — مط الأميرية مكة المكرمة ١٣٠١ ص ١٣ .

٣ — ص ١٠٣٢ «السقّاف — السيد علوي بن أحمد بن عبد الرحمن السقاف (من علماء القرن الثالث عشر) .. **علاج الأمراض** الردية بشرح الوصية الحدادية (مواعظ) — شرح به المنظومة التائية للشيخ عبدالله بن علوي الحداد — فرغ من هذا الشرح سنة ١٣٠٢ .. مكة ١٣١٧ .

٤ ـ ص ١٠٥٢ «أبو الحسن علي بن عبدالله بن أحمد . . السمهودي الشافعي نزيل طيبة (٨٠٤ — ٩١١) .. **خلاصة الوفا** في أخبار المصطفى (وهو مختصر كتابه وفاء الوفا) .. فرغ من تأليفه سنة ٨٩٣ .. وبهامشه **حسن التوسل** في آداب زيارة أفضل الرسل للفاكهي — المط الميرية بمكة ١٣١٦ ص ٢٨٦ ..

٥ — الشيخ عبد الحميد قدس ١٣٣٥ .. كان مدرساً بالمسجد المكي .. **دفع الشدة** في تشطير البردة ، مكة ١٣١٣ ص ٣١ .

ملاحظة ص ٨١ «أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد .. الهيثمي ... الشافعي ص ٨٤ **مناسك الحج** .. بلغني أنه طبع بمكة» .

ص ١٦٨٢ «الشيخ محمد علي المالكي بن حسين مفتي المالكية ومدرس بالحرم المكي — **أنوار الشروق** في أحكام الصندوق — أي الحاكي بالأصوات (الصندوق الفونوغراف) فقد مالك جدة ١٣٢٩ .

٢ — **المطبعة الماجدية** : ويقول الضبيب في مقالته المذكورة ... في سنة ١٣٢٧ هـ أنشأ محمد ماجد الكردي مطبعة الترقي الماجدية . وقد أسهمت هذه المطبعة في تغذية

الحاجة الأهلية لطباعة الكتب وكانت معظم كتبها رسائل صغيرة وفتاوي خاصة لعلماء الحرمين وبعض الأجوبة والردود . وفي سنة ١٣٣٢ هـ أصدرت الماجدية بياناً بأسماء «بعض الكتب العربية المطبوعة بالأحرف بمطبعة الترقي الماجدية العثمانية بمكة المحمية والموجودة بها ومن أراد شيئاً منها فليخابر صاحبها محمد ماجد الكردي المكي» . اشتمل هذا البيان على أكثر من تسعين مؤلفاً لعله يشكل معظم ما طبعته هذه المطبعة خلال الخمس سنوات الأولى من عمرها . وعندما نفتشّ بين هذا العدد من الكتب عن نصيب كتب التراث نجد عدداً قليلاً منها إذ أن معظم ما نشرته هو فتاوي تختص ببعض الأمور الفقهية وعلى رأسها مسائل الحج والعمرة ومعظم هذه المؤلفات كتبها علماء معاصرون أو بعض المفتين السابقين لبلاد الحرمين الشريفين . ولعل من أهم ما نشرته هذه المطبعة من كتب التراث ما يأتي :

— متن التهذيب في المنطق للسعد التفتازاني .

— الأشباه والنظائر في أصول الفقه لجلال الدين السيوطي .

— أخصر المختصرات على مذهب الإمام أحمد بن حنبل للبلباني .

— إثارة الْحَجُون لزيارة الحجون للفيروز أبادي .

— المسلك المتقسط في المنسك المتوسط . وهو شرح ملا على القاري على لباب المناسك للشيخ رحمة الله السندي . وبهامشه كتاب أدعية الحج والعمرة وما يتعلق بهما جمع العلامة قطب الدين الحنفي» .

وقد اكتفى الدكتور الضبيب من مطبوعات مطبعة الترقي الماجدية التي نيفت على التسعين بهذه الكتب الخمسة لأنه يبحث في موضوع خاص هو «كتب التراث» ، ولا شك في أن «البيان» ذكر كذلك الكتب التي سبق أن ذكرناها من مطبوعات الترقي الماجدية ... ولكن يبقى — مع ذلك — عدد لا بأس به جدير بالذكر وقد يمدنا به من يملك تفصيلات البيان بالكتب التي نيفت على التسعين وقد يكون الدكتور الضبيب في مقدمة المتطوعين بالفضل . وقد يتجرد الأستاذ يحيي الساعاتي لعمل فهرس خاص بالكتب التي طبعت في الحجاز وغيره قبل دخول السلطان (الملك) عبد العزيز آل

سعود . فهناك كتب أخرى ذكرنا عدداً منها خلال المعجم لدى ورود أسماء أصحابها ، ويمكن تكوين فكرة عنها بمراجعة كتاب عمر عبد الجبار «دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام» .

ويقول الشامخ :

«أما مطبعة الإصلاح الأهلية بجدة فلم تقفل بعد احتجاب الجريدة فقد عثرت على كتابين صغيرين طبعاً في هذه المطبعة في عامي ١٣٢٠ هـ و١٣٢٩ هـ . أما الأول فهو (كفاية المحتاج في معرفة الاختلاج وضع ذي القرنين عليه السلام) للإمام عبد الرحمن السيوطي ، وأما الثاني فهو (أنوار الشروق في أحكام الصندوق) للشيخ محمد علي المالكي مفتي المالكية .

وإلى جانب جريدة «الإصلاح الحجازي» صدرت في الحجاز جريدة صفا الحجاز ، من الباحثين من قال أنها صدرت في مكة المكرمة ومنهم من قال أنها صدرت في جدة ويبدو أن «جدة» هي الصحيحة ، وقد يرد الحديث عنها باسم جريدة «الصفا» — وهي على كل حال ليست بذات شأن فقد قيل إنها لم تصدر غير عددين ، وإنها كانت خطية تطبع على الجلاتين .

وأسهمت المدينة المنورة في العهد العثماني بإصدار جريدة الرقيب ، يبدو أن عددها الأول صدر في يناير ١٩٠٩ وكانت خطية تطبع على الجلاتين لعدم وجود مطابع في المدينة آنذاك .

وجريدة «المدينة المنورة» يبدو أن عددها الأول صدر في ١٦/ ١١/ ١٩٠٩ وهي تصدر «على مطبعة البالوزة» .

وليس للجريدتين شأن يذكر لا في تاريخ الصحافة ولا في تاريخ الطباعة» .
وأهم ما يجدر الكلام عليه من تاريخ المدينة في صلة بالطباعة والصحافة في العهد العثماني أو الحكم العثماني : المطبعة العلمية وجريدة الحجاز .

وعن المطبعة العلمية يقول الدكتور الشامخ : «لقد تأخر ظهور الطباعة في المدينة

المنورة حيث لم تؤسس فيها المطبعة الآ عام ١٣٢٩ هـ (١٩١٠ م) وذلك حينما أنشأ ـــ كما قال عثمان حافظ ـــ الشيخ كامل الحجا رئيس تجار المدينة المنورة (مطبعة صغيرة تدار بالرجل)، وأضاف بأن الشيخ عبد القادر توفيق الشلبي أحد علماء المدينة المنورة كان يشرف على إدارتها (وربما كان له بعض الأسهم فيها).

ولم يذكر عثمان حافظ اسم هذه المطبعة كما لم يشر إلى شيء مما طبعته. ولكن من الأرجح أنه هي (المطبعة العلمية) التي كانت موجودة بالمدينة المنورة عام ١٣٢٩ هـ والتي قامت هذا العام بطبع كتاب (الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة) للسيد محمد بن جعفر الكتاني، وكتاب (أحكام تجويد القرآن) للشيخ حسن الشاعر وقد ذكر في الكتاب الأول أن هناك كتابين آخرين تحت الطبع في نفس المطبعة هما: (ذروة الوفاء فيما يجب لحضرة المصطفى ﷺ) للسمهودي، وكتاب (السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح) لأبي عبدالله المناوي.

وفي عام ١٣٣٠ هـ قامت المطبعة العلمية كذلك بطبع كتاب (نخبة فتح المنغم الوهاب لشرح عمدة الطلاب في علم أصول الفقه) تأليف عباس بن محمد بن أحمد بن السيد رضوان المدني الشافعي ...»

هذا عن المطبعة العلمية أما جريدة الحجاز فصحيح أنها صدرت في ظل السلطان العثماني إلّا إنها صدرت أيام كان أكثر الحجاز في حوزة الملك حسين، وكانت المدينة بيد الأتراك وهم الذين أصدروا فيها الجريدة، لذا يحسن تأجيل الكلام على جريدة الحجاز إلى الكلام على الطباعة (والصحافة) في العهد الهاشمي ـــ الشامخ.

ويختم الدكتور الشامخ بحثه عن نشأة الصحافة في الحجاز (آخر العهد العثماني) بقوله: «لقد كانت سنة ١٩٠٨ بداية حقبة جديدة في تاريخ الحياة الفكرية في الحجاز إذ صدرت ست صحف محلية في الفترة ما بين ١٩٠٨ ـــ ١٩٠٩».

«لم تشبه المطبعة الماجدية المطبعة الميرية من حيث غلبة العصور المتوسطة على ما طبع فيها. وقد بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب عن كتب التراث العربي التي طبعت في هاتين المطبعتين خلال هذه الحقبة فوجد أنه لم يكن بينها شيء من الكتب الأصول

القديمة ، ثم وصف مطبوعات هاتين المطبعتين قائلاً : «والناظر في مجموع ما نشرته المطبعتان من كتب التراث ، يجد أن كتب الفقه ويدخل فيها كتب المناسك والأدعية هي أكثر الكتب رواجاً عند المكيين ، تليها كتب النحو والصرف والتجويد والتصوف ثم متفرقات التاريخ والبلاغة .. وبناء على ما اطلعنا عليه من مطبوعات الأميرية والماجدية فاننا نلاحظ أن الكتب الأصول القديمة في الفقه والحديث واللغة لم يطبع منها شيء في هذه الفترة ، وأن جل ما طبع هو من مؤلفات القرون المتأخرة ، وقد طبعت بعض هذه الكتب ضمن الحواشي أو على هوامش الشروح التي ألفها علماء الحرمين . ومن الملاحظ أن كتب المتون ثم شروح هذه الكتب وحواشيها التي وضعت عليها هي أكثر الكتب رواجاً بين القراء ، وتلك هي بقايا ثقافة عصور الانحدار وخاصة العصر العثماني حيث يشيع التقليد وتنشط الخرافة وينعدم الابتكار والتجديد .

ترجع هذه الأخبار الحجازية عن الطباعة والمطبوعات إلى آخر العهد العثماني ١٣٢٦ — ١٣٣٤ /١٩٠٨ — ١٩١٦ وكان الحجاز ولاية تابعة لتلك الدولة ومن هنا صح تسمية الفترة بالعهد العثماني (أو آخر العهد العثماني) .

يضاف إلى تلك المطبوعات الداخلية ماكان يطبعه حجازيون خارجاً في مصر والهند — وما كان يردهم من مصر على وجه الخصوص .

واذا رجعنا إلى نجد فيا حوالي هذا التاريخ لم نجد للعثمانيين أثراً يذكر فما هي من العهد العثماني أو آخره في شيء . لقد كانت في حكم الدولة السعودية (الثالثة) التي بدأ تأسيسها عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود سنة ١٣١٩ بأخذه الرياض من آل الرشيد .

ولم يكن في نجد طباعة أو صحافة ، ولكن كان فيها عدد من المؤلفات المطبوعة في أمور الدين خاصة والمذهب الحنبلي على وجه أخص منها آثار الشيخ محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية وابن القيم وما الى ذلك ...

وقد بدأ نجديون «موسرون» يطبعون هذه الكتب خارج البلاد كالهند ومصر منذ العشر الأولى من القرن .

بل أن «المطبوع» النجدي في مصر والهند أكثر من المطبوع الحجازي فيها (كما سنرى).

ونرجع إلى بحث الدكتور أحمد محمد الضبيب في الدارة فنقرأ — فيما نقرأ:

«لم تدخل المطبعة الجزيرة العربية قبل سنة ١٨٧٧ م حين أنشأ الأتراك العثمانيون مطبعة في اليمن ... وعندما أنشئت مطبعة الولاية في مكة سنة ١٣٠٠ هـ (١٨٨٢ م) لم تكن تفي بالغرض ... و... اتجهت الأنظار ... إلى ... الهند ومصر...

ولقد تهيأ للمطابع الهندية أن تخرج في العقدين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الهجري بعض كتب التراث التي نشرت بواسطة أبناء الجزيرة العربية. وكانت كتب الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكذلك بعض الكتب السلفية الأخرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ولتلميذه ابن القيم أهم هذه الكتب.

وعلاقة الهند بالدعوة الإصلاحية السلفية ... تتمثل في عدة وجوه منها تبادل الزيارات بين علماء نجد وعلماء الهند وتأثر بعضهم ببعض. فمن المعروف أن العلامة الشيخ سعد بن عتيق سافر إلى الهند في نهاية القرن الثالث عشر (١٢٨٨ هـ) وهناك استقر به المقام في بهو بال واجتمع بالعلامة السلفي واللغوي الكبير صديق حسن خان وقرأ على عدد من علماء الحديث، وقد مكث هذا العالم الجليل في الهند تسع سنين.

ومن ذلك ما يذكر من أن الشيخ إسحاق بن العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ قد سافر إلى الهند سنة ١٣٠٩، وفي أخبار الشيخ إبراهيم بن عيسى المؤرخ المشهور (ت ١٣٤٣ هـ) إنه قام برحلات إلى الهند، وكذلك الشيخ عبدالله بن بليهد (ت ١٣٥٩ هـ) ... ومن علماء الهنود الذين ينهجون نهج السلف الصالح ... شاه ولي الله الدهلوي ... ومن علماء السلف المشهورين العلامة النواب صديق حسن خان نواب بهو بال ... وله تآليف كثيرة ... ونضيف إلى هؤلاء الشيخ محمد بشير السهسواني ... ومن شيوخه الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى (ت ١٣٢٧ هـ) النجدي نزيل مكة. ومن أشهر تآليف هذا العالم الهندي مؤلفه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» رد به على السيد أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة..

ولسنا نعلم على وجه الدقة في أي عام بدأ نشر الكتب السلفية في الهند ولكننا لم نطلع على كتب طبعت قبل عام ١٣٠٨ هـ وهي السنة التي طبع فيها كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب وفي عام ١٣١٠ هـ طبع كتاب «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس» للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (مطبعة ديرسات بومباي) ولا نستبعد وجود كتب أخرى طبعت قبل هذين الكتابين .

وفي العقد الثاني من هذا القرن طبع كتاب «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ـــ المطبع الأنصاري في بلدة دهلي) سنة ١٣١١ هـ .

ويذكر أحمد علي أن هنالك شرحاً آخر لكتاب التوحيد بقلم حمد بن حسن النجدي طبع في مدينة دهلي هذا العام بعنوان «الدر النضيد» ولم أطلع على هذا الكتاب ، ولعله كتاب «فتح المجيد» بعينه إذ أن العنوان الكامل لهذا الكتاب كما بدا في طرة الكتاب هو «الحمدلله الذي وفقنا لطبع الدر النضيد والعقد الفريد ذكرى كل شقي وسعيد المسمى بفتح المجيد بشرح كتاب التوحيد» .

وقد طبعت مجموعة التوحيد النجدية في المطبع الأنصاري بدهلي ولم يذكر تاريخ الطبع والمرجح أنه مقارب لتاريخ نشر فتح المجيد فقد اطلعنا في نهاية كتاب «أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام» لابن دقيق العيد المطبوع في نفس المطبعة ، سنة ١٣١٣ على إعلان يذكر «مجموعة التوحيد» ضمن كتب سلفية أخرى منها مجموعة الحديث وكتاب الرد على المنطقيين «لابن تيمية» وإعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم .

ومن شروح كتاب التوحيد التي نشرت في الهند كتاب «فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد» للعلامة حامد بن محمد بن حسن بن محسن وقد طبع في مطبع القران والسنة في بلدة أمرتسر ولم يذكر تاريخ طبعه ولكن أحمد علي يذكر (في كتابه : آل سعود) أنه طبع سنة ١٣١٥ .

ومما طبع في هذه المطبعة كتاب «البيان المبدي لشناعة القول المجدي» للشيخ سليمان بن سحمان ومعه كتاب «التحفة العراقية في الأعمال القلبية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ولم

يذكر تاريخ طبعه .

وبعد العقد الثاني وحتى العشرة الرابعة من القرن الرابع عشر تنشط دار أخرى في طباعة كتب علماء الدعوة وخاصة ردود الشيخ سليمان بن سحمان وهي المطبعة المصطفوية في بمبي ونعد من هذه المؤلفات عشرة ردود وديوان الشيخ سليمان طبعت جميعها في هذه المطبعة وفي مطبعة أخرى اسمها المطبع المجتبائي في دهلي .

بعض المؤلفات التي طبعت في المصطفوية غير مؤرخة مثل :

ـــ مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الايمان والإسلام للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

ـــ كشف غياهب الظلام عن أوهام وجلاء الأوهام وبراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن مفتريات هذا الملحد الكذاب للشيخ سليمان بن سحمان .

ـــ الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد .

ومن الكتب المؤرخة وكلها للشيخ سليمان بن سحمان :

ـــ تأييد مذاهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف ودعي باليماني شرف سنة ١٣٢٣ هـ .

ـــ كشف الشبهات التي أوردها عبد الكريم البغدادي في حل ذبائح الصلب وكفار البوادي سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ الرد على من أنكر الجهر بالذكر بعد الفرائض سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية سنة ١٣٣٥ هـ .

ـــ عقود الجواهر المنضدة الحسان ـــ ديوان الشيخ سليمان بن سحمان سنة ١٣٣٧ هـ

ـــ إقامة الحجة والدليل وايضاح المحجة والسبيل على ما موه به أهل الكذب والمين

من زنادقة البحرين ـــ المطبع المجتبائي في دهلي سنة ١٣٣٢ هـ .

ونخلص من هذا إلى أن نشر كتب العقيدة السلفية في الهند قد تركز غالباً في ثلاثة مواضع :

١ ـــ مدينة دهلي وقد أسهمت فيها داران : المطبع الأنصاري والمطبع المجتبائي .

٢ ـــ مدينة أمر تسر وفيها مطبع القرآن والسنة .

٣ ـــ مدينة بمبي وفيها المطبعة المصطفوية ومطبعة دير سات .

لقد نقلنا هنا الكثير مما ورد في بحث الدكتور الضبيب لشدة صلته بالموضوع عموماً ولصعوبة الحصول عليه في مكان آخر ، ولأن كثيراً من أعلام المؤلفين والمؤلفات في البحث وردوا ـــ ويردون ـــ بمواد مستقلة من هذا المعجم ، وتأتي المعلومات التي قدمها الدكتور الضبيب مؤيدة أو متممة (وربما مفندة) .

ثم يتحدث الدكتور الضبيب عن «طباعة التراث في مصر» فيقول : «يذكر سنوك هرجرونيه في كتابه عن مكة [وقد أقام بها] زهاء ستة أشهر من عامي ١٨٨٤ ـــ ١٨٨٥ م بأن معظم الكتب التي كان يترؤها المكيون في ذلك الوقت كانت ترد إليهم من مصر ... ولعل من أقدم ما طبع من مؤلفات علماء الحرمين هو كتاب «العقد الثمين في فضل البلد الأمين» للشيخ أحمد الحضراوي (مط . شاهين ١٢٧٨ هـ) وكتاب «الوشاح وتثقيف الرماح في رد توهيم المجد الصحاح» لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد العزيز المغربي نزيل مكة ومدرسها ، وقد طبع في بولاق سنة ١٢٨١ هـ وصححه الشيخ نصر الهوريني ويبدو أن الكتاب قد طبع في حياة مؤلفه[(١)] . وكتاب «جواهر الإكليل في مفاخر دولة الخديوي اسماعيل للسيد أحمد بن اسماعيل البرزنجي وقد طبع في الاسكندرية ، سنة ١٢٩١ هـ» .

ومما نشره علماء الحرمين بمصر ـــ وهو قليل ـــ «حاشية أحمد زيني دحلان (ت

---

(١) في الهامش : «طبع الكتاب طبعة أخرى على هامش صحاح الجوهري في مصر سنة ١٢٩٢» .

١٣٠٤) على ألفية ابن مالك (طبعت في مصر، المطبعة السنية سنة ١٣١٩) ... ومن هذه الكتب والحواشي «حاشية النفحات على شرح الورقات» لمؤلفها السيد أحمد بن عبد اللطيف الخطيب المدرس بالمسجد الحرام (ت ١٣٣٤) وهي حاشية على شرح الورقات للشيخ جلال الدين المحلي.

ومنها كتاب: «إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين» للشيخ أبي بكر عثمان بن محمد شطا البكري وبهامشه «فتح المعين على قرة العين» لزين الدين المليباري في الفقه الشافعي (بولاق ١٣٠٠). ولنفس المؤلف شرح بعنوان: «كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء» شرح به المنظومة المسماة: هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء (في التصوف) لزين الدين المليباري. طبعت سنة ١٣٠٢.

تلك أمثلة على بعض كتب التراث التي نشرت في مصر وكانت لعلماء الحرمين فيها يد تذكر.

ونضيف إلى ذلك ما كان يطبعه بعض التجار من محبي عقيدة السلف ويوزعونه في الحرمين أو غيرهما من بلاد العالم الإسلامي، ونخص بالذكر الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني أحد تجار جدة ومن ذوي الأملاك في القطر المصري فقد كان، بعد اتصاله بالشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قاضي المجمعة (ت ١٣٢٨) ونزيل مكة واعجابه بسلوكه وتعرفه على الدعوة السلفية، كان من أكثر الناس حباً لنشر هذه الكتب وقد قص الشيخ محمد نصيف رحمه الله قصة اتصال التلمساني بالشيخ أحمد بن عيسى ومناظراته له في مقدمته لكتاب الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى «الرد علي شبهات المستعينين بغير الله»[1] الذي تولى نشره وكان التلمساني أشعرياً ... وبعد مناظرة له مع الشيخ ... يتحول إلى داعية من دعاة العقيدة. ويطبع على نفقته كثيراً من كتب السلف يوزعها بالمجان. يحصي الشيخ نصيف منها الكتب الآتية:

(١) في الهامش «ويذكر الشيخ محمد نصيف في المقدمة أن سبب اتصاله بالدعوة السلفية هو اتصاله بهذا الشيخ ويذكر أن الشيخ أبا بكر خوقير الكتبي ممن تأثروا به أيضاً.

١ ــ الصارم المنكي في الرد على السبكي لابن عبد الهادي .

٢ ــ القصيدة النونية المسماة الشافية لابن القيم ــ طبعت بالمطبعة الخيرية بمصر سنة ١٣١٩ .

٣ ــ الاستعاذة من الشيطان الرجيم لابن مفلح ــ طبع في مطبعة محمد أفندي مصطفى بمصر سنة ١٣١١ هـ .

٤ ــ المؤمل في الرجوع إلى الأمر الأول لابن أبي شامة المؤرخ .

٥ ــ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية .

٦ ــ الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي مع رسائل أخرى ضمن الرد الوافر .

٧ ــ غاية الأماني في الرد على شواهد النبهاني للسيد محمود شكري الألوسي ــ هو رد على كتاب يوسف بن إسماعيل النبهاني بعنوان «شواهد الحق» .

... وقد شارك الشيخ محمد نصيف قبل توحيد الجزيرة الشيخ عبد القادر التلمساني في بعض الكتب كما استقل بنشر بعضها ومنها كتاب «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨) وقد نشر في مصر عن نسخة حجرية طبعت في الهند وصححه السيد محمد رشيد رضا منشيء مجلة المنار وذلك سنة ١٣٣٢ هـ وكان السيد نصيف آنذاك وكيلاً لإمارة جدة .

وبما أن المطابع المصرية كانت تلبي احتياجات سكان الحرمين من الكتب التي تتفق ومذاهبهم الفقهية وآراءهم الدينية ... فقد كان هؤلاء في وضع لا يحتاجون فيه إلى القيام بطبع كتب التراث على نفقتهم الخاصة ... وعلى العكس من ذلك كانت الحاجة ملحة بالنسبة لسكان وسط الجزيرة وشرقيها لطبع الكتب السلفية ونشرها كما يبدو أن الفقه الحنبلي قد أصيب في العهد العثماني بركود شديد ... أن علماء الحنابلة في الحرم المكي قليلون ...

ولذلك كان نشر التراث السلفي والفقهي لسكان وسط الجزيرة وشرقها ضرورة ... وقد رأينا كيف أن الهند قد تولت طبع النشرات الأولى ... ولا نعلم على وجه الدقة متى

بدأت مصر تطبع كتباً على نفقة تجار شرق الجزيرة لكن من أقدم المطبوعات التي اطلعنا عليها كتاب «نيل المآرب بشرح دليل الطالب» للشيخ الإمام عبد القادر بن عمر الشيباني على مذهب الإمام أحمد، وهو شرح «لدليل الطالب» في الفقه الحنبلي للشيخ مرعي بن يوسف المقدسي وقد صدر هذا الشرح في مجلدين طبعا على سنة ١٢٨٨ هـ وكانت هذه الطبعة على ذمة الشيخ علي بن محمد بن إبراهيم من أهالي الكويت.

وفي مطلع القرن الرابع عشر يبزغ نجم تاجر من أضخم تجار الجزيرة العربية وأكثرهم تأثيراً في هذا المجال ذلك هو الشيخ مقبل بن عبد الرحمن الذكير... فنشر كتاب «كشاف القناع عن متن الاقناع» للشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي وطبع في المطبعة الشرقية سنة ١٣١٩ هـ ووزعه مجاناً. وقد صدر في أربعة أجزاء ضخام مجموع صفحاتها ١٧٩٢ صفحة وحشي بكتاب من أهم الكتب في الفقه الحنبلي هو كتاب «شرح منتهى الإرادات» لنفس المؤلف.

لقد نشر مقبل الذكير عدداً غير قليل من كتب التراث نذكر منها مجموعة فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني (ت ٧٢٨) وقد بدىء بطبعها بمطبعة كردستان العلمية في القاهرة ١٣٢٦ هـ في خمسة أجزاء انتهت عام ١٣٢٩ هـ ويضم الجزء الخامس منها (وقد سمي ملحق الجزء الرابع) كتابين لشيخ الإسلام هما «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية» و«شرح العقيدة الأصفهانية».

ومن مطبوعات مقبل الذكير الكبرى من كتب التراث كتاب «إعلام الموقعين عن رب العالمين» لابن القيم وكتاب «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» للمؤلف نفسه... ونشر الذكير كتاب «الحيدة» للكناني ضمن مجموعة فريدة من الكتب السلفية.

ومما طبع في مصر من الكتب عام ١٣١٩ هـ على نفقة بعض التجار كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولى الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» وقد نسب الكتاب إلى الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب وانفق على طباعته «صالح بن دخيل الجار الله» الذي قدم له بمقدمة تحدث فيها عن معنى دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب ونسبه الدعوة إليه وشيء من سيرته

ومؤلفاته . وقد رجح الشيخ سليان الصنيع في ورقة الصقها بنسخته الخاصة من الكتاب أن يكون قد اشترك في تأليف هذا الكتاب كل من الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن ناصر بن معمر والشيخ أحمد بن محمد بن غريب ، وأن نسبته إلى الشيخ سليان بن عبدالله بن عبد الوهاب غلط من الطابع ووهم منه » ...

وتبرز في أواخر هذه الفترة التي سبقت توحيد الجزيرة العربية دار في مصر كان لها أكبر الأثر في نشر كتب العقيدة والفقه الحنبلي تلك هي مطبعة دار مجلة المنار التي كان يصدرها السيد محمد رشيد رضا .. وأكثر هذه الكتب .. وأهمها هي ما أمر بطباعته المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود قبل بلوغه مكة ، فقد بدىء في عام ١٣٤١ هـ بطبع كتاب « المغني » و« الشرح الكبير » . وكتاب « المغني » من تأليف موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ هـ شرح به مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين الخرقي في الفقه الحنبلي .. أما « الشرح الكبير » فهو لشمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامه المقدسي المتوفي سنة ٦٨٢ هـ شرخ به متن « المقنع » لموفق الدين عبد الله بن قدامه صاحب المغني ــ هذا المتن » .

ولم يكن لنا بد من هذا النقل عن بحث الدكتور الضبيب للأسباب التي سبق ذكرها ، فالبحث قيم جداً ، ويهمنا أن يتضمن « المعجم » أكثر ما يمكن من المعلومات المتصلة بالطبع والنشر والتأليف ليهيىء لمراجعه أكبر فائدة ممكنة .

وفي حلقة ثانية (الدارة ــ العدد الرابع السنة الثالثة ــ صفر ١٣٩٨ هـ/ يناير ١٩٧٨) يضيف الدكتور الضبيب الى « المغني » و« الشرح الكبير » مما طبع على نفقة الملك عبد العزيز قبل بلوغه الى مكة « كتابي » « تفسير ابن كثير » و« البغوي » .

ومعلوم أن هذه الكتب متعددة الأجزاء ، ولا يعني الخبر أكثر من طبع الأجزاء الأولى .. وعاد الدكتور الضبيب في حلقة ثالثة (العدد الثالث ، السنة الرابعة شوال ١٣٩٨ هـ/ سبتمبر ١٩٧٨ م) ليقول (ص ٩) : « ..تفسير ابن كثير القرشي ... من أضخم التفاسير بالمأثور .. وكذلك تفسير البغوي (معالم التنزيل » ..

ويذكر الدكتور الضبيب (ص ١٠) مرة الحلقة الثانية : « قد كانت المطبعة السلفية

المصرية تطبع بعض كتب التراث للملك عبد العزيز رحمه الله ومن مطبوعاتها كتاب روضة الناظر وجنة المناظر» في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد وقد طبع سنة ١٣٤٢ هـ» .

وقد اطلعت على هذه الطبعة ونقلت عنها هذه المعلومات ، وهي انها : لشيخ الإسلام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الدمشقي (المتوفي سنة ٦٢٠) ومعها شرحها «نزهة الخاطر العاطر للأستاذ الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بدران الدومي ثم الدمشقي . أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محيي آثار السلف السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . وقف على طبعه محب الدين الخطيب . مصر — المطبعة السلفية ١٣٤٢) (٤) أجزاء .

ونضيف الى ما ذكره الدكتور الضبيب ما طبع في هذا التاريخ : مجموعة الحديث النجدية .

تشتمل على تسع كتب ورسائل :

١ — الأربعين النووية وشرحها .
٢ — عمدة الأحكام من كلام خير الأنام .
٣ — أصول الإيمان تأليف أبي عبدالله محمد بن عبد الوهاب .
٤ — فضل الإسلام تأليف إمام المجددين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٤٢ .
٥ — كتاب الكبائر تأليف المتيقن المدقق المتورع الزاهد فريد دهره ووحيد عصره أبي حسن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . ص ص ٢٥٨ — ٣١٠ .
٦ — نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين تأليف الإمام المحمود الشيخ أبي عبدالله محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأرضاه ص ص ٣١٢ — ٤٤٤ .
٧ — الرسالة السنية في الصلاة لأحمد بن محمد بن حنبل .
٨ — الصلاة للمحقق ابن القيِّم .
٩ — الوابل الصيب في الكلم الطيب للمحقق ابن القيِّم .

أمر بطبعها مع طائفة أخرى من كتب التوحيد والتفسير والفقه ناصر السنة ومحيي آثار

الأئمة السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود امام نجد وملحقاتها إحياء للعلم وخدمة للدين الخ.. السيد محمد رشيد رضا ، ط ٢ ، مطبعة المنار ١٣٤٢ ، (كان الطبعة الأولى هي الطبعة الهندية التي اتخذت أساساً للطبع ، وهي «طبعة كثيرة الغلط والتحريف فصححناها قدر الإمكان» .

وليلاحظ أن مركز اهتمام الدكتور الضبيب هو طبع كتب التراث ، وربما أكثر ما همه — بعد ذلك — الكتب المتعلقة بالدعوة خاصة في صلتها بمؤلفين نجديين .

ولو أردنا أن نوسع الدائرة ونتحدث عن الطباعة عموماً وفي مختلف ما طبعت من كتب لحجازيين خاصة .. لو فعلنا ذلك لرأينا المطابع إزاءنا أكثر مما وقفنا عنده ولجاءت «الاستانة» متقدمة من الناحية الزمنية فلقد طبعت مثلاً سنة ١٢٨٧ ، ١٢٨٩ ، ولرأينا مطابع مصرية كثيرة ربما جاءت في مقدمتها الميمنيّة ، واحتلت «بولاق» مكاناً واضحاً ثم هناك : الاعلام (الاعلامية) الجملية ، التقدم ، الآداب ، الحسينية ، السعادة ، الخيرية ، محمد مصطفى ، محمد شاهين ، عبد الرزاق .

وتذكر من المطابع «قازان» (آسيا) ورام فور (الهند) .. وترد الشرقية (ولعلها مصرية) .. فضلاً عن «الهند» و«بمبي» .

من الممكن الوقوف على أسماء هذه المطابع بمراجعة «المعجم» سركيس (تنظر الصفحات ٤٣٩ ، ٩٢٩ ، ١٢٣٢ ، ٥٩٩ ، ١٢٧٥ ، ١٢٩٠ ، ١٣٨٤ ، ١٥٨٧ ، ١٦٧٢ ، ١٧٣٢ ، ١٧٣٣ ، ١٨٣٨)

هذا في معجم واحد ، ولو عنى «عمر عبد الجبار» بذكر المطبوع والمطبعة لرأينا ما هو أكثر وأكثر) .

و«شهد الحجاز ورود جرائد عربية أخرى مما كان يصدر خارج ولاية الحجاز ... إن جمهور القراء في الحجاز قد تعرضوا حينئذ لتأثير فكري مفاجيء أحدثه إطلاعهم على عدة صحف محلية وخارجية كانت تمثل مصالح متنوعة وتعبر بجرأة عن وجهات نظر مختلفة ... ومن الممكن أن يقال بأنه قد كان لجريدة «حجاز» أهمية أدبية واضحة ... أما أهمية صحف هذه الفترة من الوجهتين السياسية والاجتماعية ، فإنه من الواضح أن

«حجاز» و«شمس الحقيقة» و«الإصلاح الحجازي» كانت مشغولة أصلاً بالشؤون السياسية والاجتماعية وأنها كانت تدعو بحماس إلى التطور الاجتماعي والتعليمي . ولقد ثار بين «شمس الحقيقة» و«الإصلاح الحجازي» جدل سياسي عبرت فيه كل صحيفة عن آراء فئات معينة متنافسة ... و... الشيخ نصيف وبكر شرف قد أكدا إقبال الجمهور على بعضها ، واهتمامه الشديد بما كان يناقش فيها من موضوعات ...

إن أثر هذه المنشآت الصحفية لم ينقطع بانقطاع صدور صحفها ذلك أن مطابعها التي كانت تنتقل حينئذ من يد إلى يد لم تتعطل عن العمل ، بل ظلت تؤدي وظيفتها المهمة في الحياة الثقافية في الحجاز» .

وبعد فقد قسم الدكتور الشامخ كتابه إلى ثلاثة فصول ، احتوى الأول «آخر العهد العثماني ١٣٢٠ — ١٣٣٤ / ١٩٠٨ — ١٩١٦ ، وإذ تنتهي هذه المرحلة نكون قد رأينا من المطابع في الحجاز :

١ — مطبعة الولاية (الأميرية أو الميرية) في مكة .
٢ — مطبعة شمس الحقيقة (في مكة) .
٣ — المطبعة الماجدية (في مكة) .
٤ — المطبعة العلمية (بالمدينة) .
٥ — مطبعة الحجاز (بالمدينة) .

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية» ... ص ٦٥١ ، أن كتاب مختصر مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود لأمين الحلواني . «المطبعة الحسينية بمكة ١٣٠٤ هـ» ولا بد من أن يعزى ذلك إلى الخطأ أو السهو لأن الذي في أوراقي (ينظر أمين الحلواني) أن المطبعة الحسينية في الهند .

هذا وألممنا بما صدر عن هذه المطابع من صحف ، وكتب ولا سيما الميرية والماجدية ، وبما صدر مطبوعاً في الهند أو مصر وما زال البحث بكراً أو يكاد ، ينتظر من يسد ثغراته .

ينتهي العهد العثماني ١٣٤٤/١٩١٦ .

* * *

وإذ يقوم العهد الهاشمي (١٣٣٤ — ١٣٤٤/ ١٩١٦ — ١٩٢٥) ويقضي الشريف حسين على الحكم العثماني بمكة ، تصدر بمكة — بعد خمسة أسابيع من تاريخ ١٠ يوليو ١٩١٦ وهو التاريخ المرجح لاختفاء جريدة حجاز — جريدة «القبلة» أولى صحف العهد الهاشمي . ثم صدرت جرائد : الحجاز ، والفلاح ، وبريد الحجاز ، ومجلة واحدة هي «مجلة مدرسة جدول الزراعية» .

صدرت القبلة بمكة في ١٥/ ١٠/ ١٣٣٤ — ١٥/ ٨/ ١٩١٦ وكان محبّ الدين الخطيب [وهو مصري] أول «مدير مسؤول» لها ثم خلفه «حسين الصبّان» . وقد ترك الخطيب العمل في الجريدة عام ١٣٣٧/ ١٩١٩ وتولى التحرير في «القبلة» وشارك في الكتابة فيها كذلك أحمد شاكر الكرمي ، فؤاد الخطيب (وهو لبناني) وعبد الملك الخطيب ومصطفى فهمي والطيب الساسي .

يقول خير الدين الزركلي — وهو أحد المشاركين في تحرير القبلة — «إن الحسين نفسه قد كتب مقالات كثيرة يعرفها قرّاؤه بأسلوب كتابته الذي لا يتغير ولا يتبدل» ويقول الشيخ محمد نصيف كذلك أن الحسين كان يحرر بعض افتتاحيات «القبلة» ولا سيما تلك التي تتعلق بالقضايا السياسية العامة ، وأن القارىء يستطيع معرفة أسلوبه بما يتسم به من إكثار في استخدام مثل هذه الكلمات : «حساسيات» و«كماليات» و«معنويات» .

ويقول الأستاذ عثمان حافظ في كتابه «تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» ص ٧٢ «وكان معروفاً لدى المعاصرين أن الملك حسين نفسه كان يهتم اهتماماً كبيراً بما ينشر في القبلة — ويشرف على تحريرها اشرافاً كاملاً ، فلا تصدر الجريدة إلا بعد أن عرضها عليه قبل طبعها . وكان يحرر أو يملي كثيراً من الأخبار والتعليقات السياسية ، وكان — كما علمنا من المعاصرين — كثيراً ما يحذف بعض المواد ويعيد تحريرها بنفسه» .

ويذكر الدكتور بكري شيخ أمين في كتابه «الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية» المطبوع ١٣٩٢/ ١٩٧٢ ، ص ١٠٨ «القبلة ... حتى الشريف حسين كان

يشترك في تدبيج مقالات سياسية وأدبية ، ويوقعها باسم مستعار ، وغالباً ما يكون «ابن جلا»...»

كانت الجريدة — وهي تنفي كونها جريدة رسمية وأنها لسان حال للحكومة الهاشمية — تتبع أي سياسة يتبناها الشريف حسين ، فهي لسان حاله وهو وحده الذي يرسم سياستها» . وقد كانت الجريدة «مشغولة في سنتيها الأوليين بالإشادة بمن قاموا ضد الأتراك ، وبمدح الحلفاء ومهاجمة جمعية الاتحاد والترقي وحلفائها الألمان .

ولدى فتح دمشق عام ١٩١٨ بقيادة فيصل «أخذت القبلة في تمجيد العرب والتبشير بمستقبلهم الزاهر» وعندما أعلن بعض السوريين أنهم لا يريدون الارتباط بحكومة الحجاز شرعت الجريدة «تهاجم المنشقين من السوريين وتدعو إلى جمع الكلمة» .

ثم لما خان الحلفاء صاحبهم شرعت في حسابهم ومهاجمتهم ويبدو أنها تخلت بعد ذلك (١٩٢١) — ولو موقتاً — عن السياسة واتجهت للإرشاد والوعظ حتى قال محررها «رأينا أن تشتغل «القبلة» في هذه الآونة بنشر السيرة النبوية ...» وأخذت تنشر سلسلة من المقالات الدينية المطولة تحت عنوان «**للعظة والذكرى**» . واستمرت في ذلك حتى عام ١٩٢٣ ... وبدأت في مناقشة موضوع الخلافة ... وحين بويع الحسين بالخلافة في ١١ مارس ١٩٢٤ شغلت ... بهذا الحدث» ... وأوقفت نشر سلسلة ... «للعظة والذكرى» التي بلغت حينئذ ١٢٥ حلقة ... و... ما لبثت القبلة أن احتجبت عن الصدور في ٢٥/ ٢/ ١٣٤٣ — ٢٥/ ٩/ ١٩٢٤ وإذ ما لبث الحسين أن تنازل عن السلطة لابنه علي في ٥ أكتوبر ١٩٢٤» .

« ... في سنتها الأولى كان فؤاد الخطيب ومحبّ الدين الخطيب غالباً ما يحرران مقالاتها الافتتاحية ... وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب — الذي كان مسؤولاً عن الشؤون الخارجية في الحكومة الهاشمية ... — تتميز بأسلوبها الخطابي الأدبي . أما مقالات محبّ الدين الخطيب فيبدو أنها كانت أقرب إلى طريقة التحرير الصحفي الحديث ، إذ أن أسلوبها كان أقل تأنقاً ...»

«كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بالجزالة وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية».

أسهم في الكتابة بها كتاب في مختلف البلاد العربية وكانت تقرأ خارج نطاق الحجاز من العالم العربي.

كانت «القبلة» تحرر جيداً، ولكن... كانوا يميلون إلى الإطناب وإلى جزالة الأسلوب العربي القديم، ولذلك فقد كانت المقالات التي نشرت فيها تتسم بهذه الجزالة وتتميز باستخدام طرق التعبير الأدبية...

إن جريدة القبلة التي ظلت تصدر مدة تزيد على ثماني سنوات هي أهم صحف العهد الهاشمي وأشدها تأثيراً في الحياة الثقافية والاجتماعية في الحقبة، أنها سجل للحياة الفكرية والسياسية التي عاشها الحجاز في تلك الحقبة».

يقول الأستاذ عثمان حافظ ص ٧٢ — ٧٣ «كان أسلوبها في التحرير يتصف بالأسلوب الصحفي الأدبي الرزين خلافاً لما كانت عليه صحف العهد العثماني لأن محرريها كانوا من الشخصيات الصحفية والعلمية والأدبية».

وقد كانت القبلة محافظة على التقاليد والآداب في نقاشها الأدبي والسياسي وإن كانت عنيفة في بعض حملاتها على الاستعمار والمستعمرين».

ويرى الدكتور بكري شيخ أمين ص ١٠٨ أن «القبلة» كانت مدرسة للآداب والبلاغة وفن الكتابة... وكانت افتتاحيات فؤاد الخطيب مثالاً يحتذي أدباً وفكراً، وحسن عرض وتحليل.

لقد كانت جريدة «القبلة» المنبر الحر الذي أذاع منه الأدباء العرب في الحجاز وفي العالم العربي والمهجر أروع إنتاجهم القومي... دون أن يخشوا رقيباً... ولهذا فإنه يبدو لنا أن جريدة «القبلة» عامل مباشر يشترك وعوامل أخرى في نهضة الفكر والأدب في شبه جزيرة العرب.

بقي أن نعلم أن «القبلة» كانت تطبع في المطبعة الحكومية — مطبعة الحكومة

(الهاشمية) وهي «المطبعة الأميرية» ، «الميرية» الواقعة بحارة «جياد» من مكة (ينظر محمد ناصر بن عباس : موجز تاريخ الصحافة ... ص ٣١٠) . وكان أمر المطبعة بيد الحسين كما كان أمر الجريدة ... وربما كان المدير المسؤول عن المطبعة هو نفسه المدير المسؤول عن الجريدة .

وفي هذا مثل يبين شدة الارتباط بين الطباعة والصحافة .

وصدرت في العهد الهاشمي جريدة «الحجاز» في المدينة المنورة تطبع هناك بمطبعتها الخاصة (مطبعة جريدة الحجاز) ، صدر عددها الأول في ٩/ ١٢/ ١٣٣٤ — ٧/ ١٠/ ١٩١٦ كجريدة «سياسية أدبية اقتصادية اجتماعية» «كان حمزة غوث هو المدير المسؤول ... لكن يبدو أن شؤون التحرير كانت منوطة بالصحفي السوري بدر الدين النعساني ... ولولا ذلك الأسلوب المشرق البليغ الذي كان يكتب به محررها بدر الدين النعساني لكانت موادها أقلّ إمتاعاً» .

وقد احتجبت قبل أول يناير ١٩١٩ والمهم تاريخياً بشأنها أنها كانت تمثل سياسة العثمانيين ضد الملك حسين وقد قامت بالمدينة لأن الملك حسين استولى على معظم أجزاء الحجاز وبقيت المدينة بيد العثمانيين حتى نهاية الحرب العالمية الأولى .

«كانت جريدة الحجاز تطبع منذ صدورها في مطبعة خاصة بها سميت (مطبعة الحجاز) ... عثمان حافظ قال بأن السلطات العثمانية عندما فكرت في إصدار جريدة الحجاز جلبت لها مطبعة الحجاز (من دمشق على الخط الحجازي ... وصلت إلى المدينة مع بدر الدين النعساني ... وقد أعيدت إلى دمشق في عام ١٣٣٥ ... مع بدر الدين النعساني بعد توقف الجريدة عن الصدور) . ولعل مطبعة الحجاز هذه هي التي عناها خليل صابات عندما قال بأنه خلال الحرب العالمية الأولى (صادرت الحكومة التركية مطبعة زحلة الفتاة ونقلتها إلى الحجاز لتدعم بها مطبعتها الرسمية) .

ويبدو أن أهم ما قامت مطبعة الحجاز بإنجازه هو طبع جريدة الحجاز التي جندها الأتراك للدعاية السياسية والحربية . وربما تكون قد طبعت بعض المنشورات الحكومية الأخرى ولكن من غير المتوقع أن تكون قد أسهمت حينئذ في طبع شيء من الكتب

الثقافية ذلك لأن قوات الشريف حسين كانت تحاصر المدينة المنورة طوال فترة الحرب العالمية الأولى .

وبينما يؤكد عثمان حافظ بأن مطبعة الحجاز قد أعيدت إلى بلاد الشام ... يذكر رشدي ملحس بأنه كان موجوداً في المدينة المنورة بقايا مطبعة حكومية تركية عام ١٣٤٧ هـ ولم يسم الكاتب هذه المطبعة ، ولكن حديثه عنها ينطبق على جريدة الحجاز إلى حد ما حيث يقول : (وفي عام ١٣٣٥ هـ أسس فخري باشا قائد حامية المدينة ابان الحرب العامة مطبعة صغيرة ، ولا تزال بقاياها موجودة حتى اليوم)...»

وأصدر في مكة المكرمة عمر شاكر السوري الهارب من حكم الفرنسيين بدمشق ، جريدة «الفلاح» استمراراً لإصداره إياها بدمشق في ٣١ أكتوبر ١٩١٩ وكان يطبعها بالمنطقة المخصوصة «ولم تقصر نفسها على المقالات السياسية بل كانت تنشر مقالات اجتماعية وعلمية وفكاهية» وكانت مقالاتها تكتب «بأسلوب أدبي مؤثر ، فأسلوب تحريرها يشبه أسلوب «القبلة» من حيث الإشراق والوضوح ، ومن حيث تأثره القوي بطرق التعبير الأدبية الجزلة ... لقد كانت جريدة «الفلاح» شبيهة بسائر صحف العهد الهاشمي من حيث تأثرها بظروف الحرب ... ومن حيث غلبة روح الحماسة والاستثارة العاطفية على ما كان ينشر في صفحاتها ...» .

يقول الاستاذ عثمان حافظ ص ٨٥ «الفلاح ...» جريدة عربية جامعة تخدم العرب والعروبة» كما أشار إلى ذلك صاحبها في رأس الجريدة» .

ويقول ص ٨٩ : «وعلى ما علمت فانها كانت تصدر بمطبعة الحكومة التي كانت تصدر جريدة القبلة» .

ويقول ص ٩١ : «... أما المقال الأدبي والتوجيهي فقليل جداً إذ لم يكن في البلاد في ذلك العصر كتاب هواة أو محترفون ... ومعظم ما كان ينشر في الفلاح هو من تحرير صاحبها ...

ولعل الاستعارات الأدبية والمحسنات البديعية والسجعات المتتابعة كانت هي طابع الأدب والصحافة في ذلك العصر.

وافتتاحية ... تصور لنا هذا اللون من أسلوب الجريدة ...

«ما كادت ذكاء تجر ذيولها الذهبية وتحتجب عن أبصار من بهرتهم طول النهار بعينها الحارة حتى برز القمر من كوة الأفق كأنما يتبعها في سيرها ... وكأنها تداعبه أيضاً — وهي إذ هرعت تهيىء له وفود المستقبلين ، وأجواق المنشدين ، من نبات وطير وإنسان» .

وصدرت في جدة جريدة «بريد الحجاز» في ٢٩/ ٤/ ١٣٤٣ — ٢٦/ ١١/ ١٩٢٤ لتكون لسان حال «الحزب الوطني الحجازي» . وقد أنكرت صلتها بالحكومة الهاشمية ... ووعدت بأنها ستنتقدها وستظهر لها مواطن الخلل»... — ولم يكن لها اهتمام بغير السياسة — كانت تطبع بالمطبعة الشرقية بجدة .

«كان محمد صالح نصيف صاحب امتياز «بريد الحجاز» ... وذكرت اسم رئيس تحريرها في «٩ ديسمبر ١٩٢٥ حين أصبح الطيب الساسي — الذي كان محررا سابقاً لتحريرها» .

ولكن الجريدة «احتجبت ... حين تنازل الملك علي عن العرش وغادر جدة في ٦ — ٦ — ١٣٤٤ هـ (١٢/ ١٢/ ١٩٢٥ م) (وكان والده قد تنازل له في ١ ربيع الأول ١٣٤٣) .

ويقول الأستاذ عثمان حافظ ص ٩٧ ، ١٠٣ عن «بريد الحجاز» صدرت في عهد الملك علي بن الحسين الذي تنازل له والده عن العرش في ١ ربيع الأول ١٣٤٣» : «والدارس لصحيفة (بريد الحجاز) يجد أن أسلوبها تحرر من قيود السجع أكثر من زميلاتها التي سبقتها إلى الصدور في العهد الهاشمي وهما (القبلة والفلاح) كما أن موضوعاتها كانت أرفع مستوى ولعل سبب ذلك يعود إلى وجود ناشئة في البلاد اهتمت بالأدب الحديث وقد قامت بالإسهام في تحرير الجريدة إلى جانب رئيس تحريرها» .

بقي أن نعلم شيئاً عن المطبعة الشرقية . ويمكن أن نتذكر بهذه المناسبة مطبعة الإصلاح التي كانت بجدة تطبع جريدة الإصلاح الحجازي في العهد العثماني وقد «ذكر

الشيخ محمد نصيف بأن هذه المطبعة قد بيعت بعد موت مؤسسها راغب مصطفى توكل ، وأن المساهمين تنازلوا عن حقوقهم لورثة توكل عندما تبين لهم أن الشركة مثقلة بالديون . وقد أكد رشدي ملحس بأن ملكية مطبعة الإصلاح قد انتقلت بعد توكل إلى الشيخ محمد علي زينل الذي عهد بإدارتها إلى مدرسة الفلاح بجدة ، وأضاف بأن رمزي أفندي كان في عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) تولي أمرها مقابل أجرة شهرية يدفعها إلى المدرسة . ويذكر عثمان حافظ بأن محمد رمزي أفندي قد اشترى مطبعة الاصلاح فيما بعد وسماها المطبعة الشرقية ...»

وبعد أن يتحدث الدكتور الشامخ عن أول مجلة صدرت في الحجاز وهي «مجلة مدرسة جدول الزراعية» مكة في مطلع رجب ١٣٣٨ (٢١ مارس ١٩٢٠) يقول في خاتمة بحثه عن الصحافة في العهد الهاشمي : «... كان إسهام الكتاب الحجازيين المحليين في الصحف الهاشمية قليلاً إذا ما قورن بما أسهم به زملاؤهم العرب المهاجرون ... أن إنتاج هؤلاء الكتاب والصحفيين المهاجرين قد كان من أهم العوامل التي أثرت في كتاب الحجاز الناشئين . وكانت تلك المقالات البليغة الجزلة التي كتبها فؤاد الخطيب وزملاؤه مصدراً من المصادر التي أوحت لهؤلاء الشباب بالتعلق بالصحافة والأدب ...»

ونعود إلى المطبعة بعد الذي رأينا من أمر المطبعة الشرقية وعلمنا من أمر مطبعة الحكومة (الميرية) لنستمع إلى الدكتور الشامخ يقول وهو يتحدث عن الطباعة في المدينة المنورة : «يظهر أن آثار المطبعة العلمية ومطبعة الحجاز سرعان ما درست ، إذ لم يكن بالمدينة المنورة عام ١٣٤٠ هـ سوى مطبعة (صغيرة تدار باليد) تلك هي مطبعة طيبة الفيحاء التي أسسها في هذه السنة أحمد الفيض آبادي وعبد الحق النقشبندي ...»

وما زالت مطبعة الترقي الماجدية بعهدة صاحبها الشيخ محمد ماجد الكردي (بمكة المكرمة) — يا حبذا لو وقفت على ثبت الكتب التي طبعتها في العهد الهاشمي .

مهما يكن من أمر الصحافة وما يمكن أن يقال في بدايتها أو ضعفها أو اضطرابها ، فالذي لا شك أنها — حتى ما كان منها في العهد العثماني — أيقظت الفكر عموماً والفكر الأدبي خصوصاً ، فإذا أضفت إليها ما كان يرد من صحافة البلاد العربية وما أسهم به

السوريون والمصريون في قيام صحافة الحجاز ... رأيت هذا الذي رأيته في الصحف نفسها من قدرة على الكتابة وانعتاق تدريجي عن «الأسلوب» الجامد اللفظي القائم على التزويق الشكلي والتوجيه إلى متانة التركيب ورصانة البناء العام مع دلالة خاصة على موهبة لدى هذا أو ذاك تشير إلى التجويد في كتابة المقالة الأدبية في أقل تقدير ثم الشعر والرأي النقدي والتفكير بالدراسة ثم الشعور بالشخصية والعمل المخلص الجاد على أن تكون الشبيبة شيئاً وأن تحقق مكانة تذكر في الأدب العربي ... ولا بأس في أن تتأثر بهؤلاء وهؤلاء من مصريين ومهجرين سعياً إلى الوقوف على الأقدام ضمن جو من الفكر والحرية والوطنية ـــ وقد اقترن ذلك كله بالتعليم الأهلي زيادة على التعليم الديني في مكة والمدينة ، ونشوء مكتبة البيع زيادة على ما كان من مكتبات عامة للمخطوطات ومكتبات يملكها الخاصة فيها المخطوطات والمطبوعات .

إننا يمكن أن نؤلف كتاباً مهماً من مختار المقالة في صحافة العهد العثماني ، ونؤلف أكثر من كتاب من مختارات العهد الهاشمي يظهر فيها التقدم الذي أحرزه مفهوم المقالة ، والتقدم الذي أحرزه أسلوب النثر (والشعر) .

إن الرعيل الأول لأدباء الحجاز تكون في العهد الهاشمي ناثراً أو شاعراً أو «ناقداً» ، لقد كان ناشئة واعية لذاتها تغار على حاضرها ومستقبلها الأدبي (والوطني) مستمدة عوامل النهضة من الماضي وما يصل إليها من أخبار الحاضر وأفكاره .

وكان من ذلك ما ضمنته الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـــ **أدب الحجاز** أو صفحة فكرية من أدب الناشئة الحجازية شعراً ونثراً جمعه ورتبه محمد سرور الصبان (ينظر) وقد أعده خلال العهد الهاشمي وكان آنذاك صاحب «المكتبة الحجازية» صدر بالقاهرة ، المطبعة الأدبية ١٣٤٤ .

٢ ـــ **وحي الصحراء** صفحة من الأدب العصري في الحجاز جمعه محمد سعيد عبد المقصود وعبدالله عمر بلخير (ينظران) ، صدر في القاهرة ١٩٥٥ .

٣ ـــ **نفثات من أقلام الشباب الحجازي** (مختارات شعرية ونثرية) عملها هاشم يوسف الزواوي وعلي حسن فدعق وعبد السلام طاهر الساسي (ينظرون) .

القاهرة ، المكتبة العزيزية ومطبعتها . تاريخ المقدمة ٤/ ٢/ ١٣٥٥ .

وواضح إن هذه الكتب طبعت في مصر بعد العهد الهاشمي .

وقد يكون الذي طبع من الكتب في العهد الهاشمي قليل العدد إلّا أننا نبقى — على أي حال — نحتاج إلى قائمة مدروسة تشبه — في الأقل — ما رأينا فيا طبع أواخر العهد العثماني فلا بد من أن تكون المطبعة الميرية (الهاشمية) قد طبعت كتباً نذكر منها هنا : كتاب خليفة النبهان (ينظر) لمعرفة الأوقات الشرعية ، في علم الميقات بالدرج وبالحساب ، يليها جدول الجيب والظل المنكوس الستيني والظل المبسوط الاثني عشر والسهم ، ونبذة في معرفة رسم البسائط ، ورسالة صغرى في معرفة الميقات من النسبة الستينية ، وجدول أول النسبة بالتمام ومختصر الوسائط في رسم البسائط .

مكة المكرمة ، المطبعة الأميرية ١٣٣٨ هـ على نفقة الحكومة الهاشمية .

ولا بد من أن تكون المطبعة الماجدية قد واصلت ضروباً من نشاطها . ويمكن أن يعزى إلى هذا العهد رسالة في المناسك لعبدالله بن حميد (مفتي الحنابلة بمكة . ولد سنة ١٢٩٠ في عنيزة) ، وقدم مع والده إلى مكة ... توفي سنة ١٣٤٦ — ينظر عمر عبد الجبار) طبعت بالماجدية .

واستمر الطبع — كذلك — في مصر والهند ...

* * *

ـ هذا في الحجاز .

أما نجد فقد بقيت بعيدة عن الطباعة والصحافة ، ومنطقيٌ أن يواصل النجديون الموسرون طبع الآثار الدينية على نفقتهم في مصر او الهند .

واننا إذ نقول العهد الهاشمي فإننا نقصد — بالطبع— العهد الهاشمي في الحجاز ، والا فقد رأينا نجدا في حكم الدولة السعودية (الثالثة) التي أسسها عبد العزيز ، ومضى يوطد الحكم ويتوسع فيحتل الأحساء ويتجه الى الحجاز وقدخل مكة في ٧ جمادى الأولى ١٣٤٣ هـ ويستولي على المدينة وجدة في جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ .

جبل قطن

«قِطَـنْ»

تنطق به العامة بكسر القاف وفتح الطاء ثم نون ، أما في القديم فإن قافه مفتوحة .

جبل أحمر شديد الحمرة حتى أن بعض الأعراب يسمونه الجبل الجديد لأنه يبدو للناظر أحمر كأنما خرج من معمل أو تشبيهاً بالثوب الجديد الأحمر .

يقع (قطن) في غرب القصيم على بعد حوالي ١٧٠ كيلاً من مدينة بريدة يراه المسافر من القصيم الى المدينة المنورة على يمينه قبل أن يصل الى «عقلة الصقور» وكان مشهوراً في القديم حتى قال فيه الجاحظ : إنه جبل معروف[١] .

وكذلك قال ابن دُرَيْد مِنْ بعده[٢] .

انتهى العهد الهاشمي بتنازل علي بن الحسين عن العرش في ٦ جمادي الثانية ١٣٤٤ هـ/ ٢٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٥ وصار عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود سلطان نجد والحجاز وملحقاتها ... ثم ملك المملكة العربية السعودية .

وقد طبعت على نفقة الملك كتب مهمة كثيرة ولا سيما في مطبعة المنار بمصر.

كما أن الصحافة تقدمت وتنوعت وتعددت إلا أنها بقيت لمدة غير قصيرة محصورة في الحجاز ؛ تقرب هذه المدة من ثلاثين عاماً .

كلية الآداب ـــ جامعة بغداد

علي جواد الطاهر

---

(١) الحيوان ج٦ ص ٢٨٣ .

(٢) الاشتقاق ص ٢٩٣ .

وقال أبو حنيفة : قَطَنٌ : جبل في نجد في بلاد بني أسد ، على يمينك إذا فارقت الحجاز ، وأنت صادر من النَّقْره[1] .

اقول : يريد أنه يكون على يمين القاصد الى العراق من الحجاز .

وقال لغدة الأصبهاني : هو جبل لبني عبس ، وأنشد[2] :

أين انتهى يا ابن الصُّمَيْعَاء السَّنَنْ ليس لِعَبْسٍ جبلٌ غير قَطَنْ[3]

وقال ابن اسحاق : قطن : ماء من مياه بني أسد بنجد ، بعث اليه رسول الله ﷺ أبا سلمة بن عبد الأسد في سريَّة ، فقتل فيه مسعود بن عروة[4] .

أقول : هذا صحيح لأن في جبل قطن ماءً بل مياها كثيرة ، ويطلق الاسم على الجبل والماء كما سيأتي .

وبقطن كان يومٌ من أيام العرب[5] .

وهو أحد أيام العرب في الجاهلية من الأيام التي نتجت عن حرب داحس والغَبْراء وقد بسط الميداني رحمه الله القول فيه[6] .

وقبل الميداني لخص ابن عبد ربه حديث يوم قطن بقوله : (يوم قطن) وقفت بنوعبس (بقطن) وأقبل حصين بن ضمضم فلقي تَيحان أحد بني مخزوم ابن مالك فقتله بأبيه ضمضم ، وكان عنترة بن شدَّاد قتله بذي المريقب[7] فأشارت بنوعبس وحلفاؤهم بنوعبدالله بن غطفان ، فقالوا : لا نُصَالحكم ما بَلَّ البحر صوفة ، وقد غدرتم بنا غير

---

(١) البكري : رسم (قطن) .
(٢) بلاد العرب ص ٤٣ .
(٣) الصميعاء : تصغير صمعاء وهي — في الأصل — العنز الصغيرة الأذن . والسنن : الطريق .
(٤) البكري : رسم «قطن» .
(٥) راجع لهذا اليوم الفاخر ص ٢٣٠ .
(٦) مجمع الأمثال ج٢ ص ٦٦ .
(٧) ذو المريقب ذكر أنه في الشّربة وسيأتي كما نحديدها في رسم (وادي الجرير) وأنها ما كان بين خط الجريب وخط الرمة حتى يلتقيا .

مرة ، وتناهض القوم عبس وذبيان ، فالتقوا (بقطن) فقتل يومئذ عمرو بن الأسلع عيينةَ ، ثم سفرت السفراء بينهم ، وأتى خارجة بن سنان أبا تَيْحان بآبنه فدفعه اليه ، فقال : في هذا وفاء من ابنك ! فأخذه فكان عنده أياما ، ثم حمل خارجة لأبي تيحان مائة بعير قادها اليه ، واصطلحوا وتعاقدوا ، قال أبوعبيدة : فاصطلح الحيان الا بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان فإنهم أبوا ذلك وقالوا : لا نرضى حتى يودوا[1] قتلانا ، أو يهدر دم من قتلها ، فخرجوا من (قطن)[2] .

وقال أبو اسحاق الحربي وهو يتكلم على طريق الحاج البصري الى المدينة المنورة : ثم يسيرون الى الفَوَّارة ، فيصبحون بها ، وبها عيون ونخل كثير ، كانت لعيسى بن جعفر ، ثم يخرجون ، فإذا جاوزوها ستة أميال عرض لهم (قطن) عن أيمانهم ، فإذا جاوزوه اتسعت لهم الأرض ، وتنحَّت الجبال ، ففي ذلك الموضع مضلَّة ، فمن لم يضل قصد الى بطن الرمة فنزلوه ، وفيه غدير الدهر لا يكاد يعدمه ماء ، وليس به أنيس[3] .

أقول : حدثني بعض أهل الفَوَّارة أن أعلام طريق الحاج لا تزال موجودة في الجهة الجنوبية من قطن في السهل بعد الجبل مباشرة .

وذكره الموسوي في رحلته مع الحجاج من المدينة الى العراق قال : فأتينا بعد ثلاثة أيام على وادي الرمة ، وبتنا ليلة ورحلنا ، فأتينا بعد يومين على أرض (قطن) وهي أرض بها الأنس قطن ، فأقمنا بها يوماً وليلة ، ونحن في عيشة مرضية[4] .

وقال الهجري : وهو يتكلم على أسماء الجبال التي تسامى «شُعَبَى»[5] : قطن العُشيرة : جبل أحمر عن يمينه الظهران ، جبل أحمر[6]

ونقل ياقوت عن أبي عبيدالله السكوني قوله : قَطن : جبل مستدير ، ململم ، يجري

---

(١) يودوا : يعطوا الدية .

(٢) العقد الفريد ج٦ ص ٢١ .

(٣) المناسك ص ٦٠٧ .

(٤) نزهة الجليس ج١ ص ٩١ .

(٥) راجع رسم «شعبى» .

(٦) أبو علي الهجري ص ٣٣٠ .

من رأسه عيون لبني عبس من[1] الحاجر والمعدن ، وبه ماء يقال له السليع[2] .

وقال نصر : قطن آخره نون : جبل في ديار عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة بين أثال وبطن الرمة[3] .

أقول : لعل أصل العبارة عن يمين طريق النباج الى المدينة .

كما ذكر في أحداث حروب الردة في خلافة أبي بكر رضي الله عنه : ذكر الهمداني في خبر طليحة الأسدي أنه اجتمعت معه بنو أسد فبعث اليه أبو بكر فحاربته طيءٌ مع مكنِف بن زيد الخيل ، وبنو عبس ، وكان معه الحطيئة فكتب مكنف الى أبي بكر فوجّه اليه خالد بن الوليد في عُصْبَة من الأنصار فاكتنفوا طليحة ، فقتلوا أكثر من معه وهرب نحو الشام ، وكان لهم لقاء بالغَمْر وهو ماء لبني أسد وماء يقال له «قطن»[4] .

أقول : يشير الى الماء بل المياه الموجودة في قطن لأن الماء والجبل كان كل منهما يسمى قَطَناً كما أن العامة في الوقت الحاضر اذا سُئلوا في قرية «عقلة الصقور» القريبة من (قطن) من أين يشربون ؟ أجابوا : إننا نشرب من (قطن) وقد تقدم إيضاح ذلك .

وورد ذكر (قطن) في كُتُب المغازي والسِّيَر بل قال ياقوت : إنَّ ذكره في المغازي

نقل ياقوت عن الواقدي قوله : غزوة «قطن» قُتل بها مسعود بن عروة ، وأمير جيش رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الأسد .

وقال ابن حَبيب : وفي سنة ثلاث بعث صلى الله عليه أبا سلمة بن عبد الأسد المخزوميَّ الى (قطن) فاستشْهِد فيها عروةُ بن مسعود الفزاري[5] .

أما المَسْعُوديُّ فقد قال في حوادث سنة أربع من الهجرة :

---

(١) كذا فيه ، ولعل الصحة من وراء الحاجر — وذلك لمن يأتي من الحجاز إلى العراق .
(٢) المشترك وضعا ص ٣٥٣ .
(٣) الأمكنة ق ١٢٤ .
(٤) شرح الدامغة ق ١١٤/أ .
(٥) التنبيه والإشراف ص ٢٤٥ .

ثم سَرِيَّة أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي في المحرم الى (قطن) وهو جبل بناحية فيد من آخر بلاد نجد[1] .

أقول : القول بأن (قطنا) في ناحية فيد ، ليس بصوابٍ لأنه بعيد جداً عن فيد[2] ولعل الصواب بناحية نجد .

ولعل رواية الإمام محمد بن سعد في خبر سرية ابي سلمة بن عبد الأسد أتم وأوضح وهذا نصها :

ثم سرية أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي الى (قطن) وهو جبل بناحية فيد[3] به ماء لبني أسد بن خزيمة في هلال المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من مهاجر رسول الله ﷺ ، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن طليحة وسلمة ابني خويلد قد سارا في قومهما ومَنْ اطاعهما يدعوانهم الى حرب رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ أبا سلمة وعقد له لواء وبعث معه مائة وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار ، وقال : سر حتى تنزل أرض بني أسد فأغِرْ عليهم قبل أن تلاقي عليك جموعهم ، فخرج فأغَذَّ السير ، وَنَكَّب عن سَنَن الطريق ، وسبق الأخبار وانتهى الى أدنى (قطن) فأغار على سرح لهم فضموه ، وأخذوا رِعَاء لهم مماليك ثلاثة ، وأفلت سائرهم ، فجاؤوا جَمْعَهُمْ فحذَّروهم ، فتفرقوا في كل ناحية ففرَّق أبو سلمة أصحابه ثلاث فرق في طلبِ النَّعَم والشَّاء فآبوا اليه سالمين قد اصابوا إبلاً وشاءً ولم يلقوا أحداً ، فانحدر[4] أبوسلمة بذلك كله الى المدينة[5] .

كما ذُكر قَطَن في الحديث عن طريق حاج الكوفة وان لم يكن على القصد للطريق

---

(١) المحبر ص ١١٧ .

(٢) انظر الكلام على «فيد» في معجم شمال المملكة ص ١٠٤٧ — ١٠٥٢ .

(٣) ربما كان الراوي لا يعرف مكاناً معروفاً للذين يحدثهم أقرب إليه من فيه معرفة بهذا التعريف .

(٤) الوجه : أن يقال : عاد ، وإذا كان لا بد من ذكر الانحدار أو الصعود فان الصعود إلى المدينة من تلك الجهة هو ، الذي كان مستعملاً في الحديث عن طريق الحاج . ولعل المتحدث قال ذلك ومن هو ذهنه كون المدينة هابطة عن نَد .

(٥) الطبقات الكبرى ج٢ ص ٥٠ .

السلطانية قال أحد الرُّجاز يصف ذلك الطريق بعد أن ذكر أنهم ارتحلوا من «فيد» ثم غمر مرزوق :

وسار لم يلبَثْ هناك لُبْثَا نحثها الرحلة عنها حَثّاً
حتى إذا سار الى (العُنَابَةْ) كالسامع المسرع في الإجابة
قالوا : ببطن الرُّمَة النزول فَمَنْ اتاها قَطَنُ قليل[1]

والجدير بالذكر أنه يريد ببطن الرمة ما كان فوق عقلة الصقور اليوم إذْ أن ذلك الطريق أي طريق الحاج الكوفي السلطاني بمعنى الرئيسي يدع (قطناً) جنوباً ، وإنما الطريق الذي يمر بالقصيم هو طريق حاج البصرة . وطريق حاج البصرة الى مكة لا يمر بوادي الرُّمةِ بعد القصيم بل يتياسر من القريتين قرب عنيزة الى الرمادة فرامة فإمَّرة فطخفة ، فضرية الخ .

وقال زهير بن أبي سُلْمَىٰ يصف ظعائن كانت قادمة من الشرق الى (قطن) وقد جعلن جَوَّ سلمى عن أيمانهن وماء شرج الذي هو ماء لبني عبس عن شمائلهن[2] .

قد نَكَّبَتْ ماء شرج عن شمائلها وجوَّ سلمى على أركانها اليُمُن
يَقْطَعْنَ أجواز أميال الفلاة كما يَغْشَىٰ النّواتي غمار اللُّجِّ بالسُّفُن[3]
يَخْفَضها الآل طورا ، ثم يرفعها كالدَّوم يَعْمِدْنَ للأشراف أو (قَطَن)[4]

وقال أعرابيّ[5] :

---

(١) المناسك ص ٥٦٤ ولست على يقين من كلمة (قطن) هذه أنها تعني جبل قطن إذْ ربما كانت فطن بالفاء .

(٢) شرح ديوان زهير ص ١١٧ — ١١٩ . وماء شرّج هو الذي أصبح اسمه (شري) بالياء وتقدم ذكره في حرف الشين وأنه في شمال القصيم .

(٣) أجواز الفلاة . أوساطها . والندامى الملّاحون : أي : ملاحو السفن .

(٤) الآل : السراب . والدَّوْمُ : شجر المقل . وقد شبَّه الهوادج بالدَّوم ويعمدن يقصدن . والإشراف : أرض .

(٥) ياقوت : وهي في المنازل والديار مثل ج٢ ص ٣ عدا البيتين الأخيرين . والأبيات كلها في الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ج٢ ص ٢٥٦ محرقة .

سَلِّمْ على (قَطَنٍ) ان كُنْتَ تَألَفُه[1] سَلاَمَ مَنْ كان يَهْوَى مَرَّةً (قَطَنَا)
أحبَّهُ والذي أرسى قواعده حُبّاً إذا ظهرت آياته بطنا
ياليتنا لا نريم الدهر ساحته وليته حيث سرنا غُرْبة مَعَنا
ما من غريب وان أبدى تَجَلُّده الا سيذكر بعد الغربة الوطنا

انظر وانت بصير هل ترى (قطنا)
من رأس حوران، مَن آت لنا (قطنا)؟
يا ويحها نظرة ليست براجعة خيراً، ولكنها من «غيره قِمنا

وقال امرؤ القيس في معلقته المشهورة وهو يصف غيثاً :

علا (قطنا) بالشَّيم ايمنُ صوبه وأيسره على الستار فيذبل

وقد قدمنا في رسم «ضاري» توجيه أبيات امرىء القيس التي منها هذا البيت وأوضحت فيما لا يدع مجالاً للشك ان المراد به هو «قطن» هذا ليس غيره والله أعلم .

وقال عباد بن عوف المالكي ثم الأسدي :[2]

لِمَنْ ديار عَفَتْ بالجزع من رِمَم الى قصائرة، فالجَفْر فالهِدَم[3]
الى المجيمر والوادي[4] الى قَطَنٍ كما يخطُّ بياض الرَّقِّ بالقَلَمِ

وقال كثير عزة من أبيات[5] :

مُوَلِّيَةً أيسارها قَطَن الحمى تَواعِدْنَ شِرْباً من حمامة مُعْظَما

وسماه قطن الحمى لأنه في الحدود الشرقية الشمالية لحمى ضرية أما حمامة التي ذكرها

---

(١) في الزهرة (لاقيه) بدل «تألفه» وهو أوجه .
(٢) ياقوت رسم (المجيمر) .
(٣) راجع رسم «الهدايم» في «شمال المملكة» ص ١٣٨٤ .
(٤) يقصد وادي الرمة العظيم . راجع رسم «وادي الرمة والمجيمر راجع له رسم «المصيقر» .
(٥) ديوانه كثير .

معه فهي ماء ذكر الأقدمون انه من مياه بني أسد.

وقال الشمَّاخ بن ضرارٍ يذكر عُقَابا تنتمي الى وكْر منيع في (قطن) قال[1] :

تُطارد سيدَ صاراتٍ، وَيوماً على خـزَّان قـارات الجموع[2]
تَلُوذُ ثَعالِبُ الشَّرفَيْن منها كما لاذَ الغَرِيمُ من التَّبيع[3]
نَماها العِزُّ في (قَطَنٍ) نماها الى فَرْخَيْن في وَكْرٍ رفيع
ترى قِطَعاً من الأحناش فيها جماجِمُهُنَّ كَالْخَشَل النَّزِّيع

وقد فسَّر الجاحظ بعض هذه الأبيات فقال : (قَطَنٌ) : جبل معروف ، والأحناش الحيات ، وأحناش الأرض : الضَّبُّ ، والقُنْفُذ ، واليربوع ، وهي أيضاً حشرات الأرض .. وأراد رؤس الحيَّات بأعيانها لأنَّ أروس الحيَّات سخيفة ، قليلة اللحم والعظام . فلذلك شبهها بالخشل النزيع ، والخَشَلُ : المُقْل[4] السخيف اليابس الخفيف[5] .

وقال ياقوت : قَطَنٌ بالتحريك ، وآخره نون : قال ابن السِّكيت : القَطَنُ : ما بين الوَرِكين » ثم قال :

وقطن : جبل لبني أسد في قول امريء القيس :

أصَاح ترى بَرْقاً أُريك وَميضه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مُكَلَّل

ثم يقول بعد أبيات :

على قطنٍ بالشيم أيمنُ صوبه وايسره على السِّتَار فيذبل

---

(١) الحيوان ج٥ ص ٢٨٢ وديوان الشماخ ص ٢٢٨ — ٢٣٠ . وقد شرحنا هذه البيت في رسم صارة .
(٢) تقدم ذكر «صارة» . ورسم «القور» فلعلها هي «قارات الجموع» .
(٣) الشَّرَفانِ : هما الشَّرَف والشُّرَيفُ وقد بسط القول فيها الشيخ سعد بن جنيدل في معجم العالية (حرف الشين) والغَرِيم : الذي عليه الدَّيْنُ ، والتبيع : صاحب الدَّيْن .
(٤) المقل : ثمر الدَّوْم .
(٥) الحيوان ج٥ ص ٢٨٣ — ٢٨٤ .

وقال الأصمعي : وفيما بين الفَوَّارة وهي قرية ذكرت في موضعها — والمغرب جبل يقال له «قطن» به مياه اسماؤها السليع والعاقرة ، والثَّيِّلة ، والمِمْها وهي لبني عبس كلها . وقال الزمخشري : هو لبني عبس وأنشد :

أين انتهى يــا ابن صــمــيــعــاء السَّــنَنْ
لــيس لــعــبس جــبــل غير قــطــن

ثم قال : وقال ابن السِّكِّيت : قَطَنٌ : جبل لبني عبس ، كثير النخل والمياه ، بين الرُّمَة ، وبين أرض بني أسد .

أقول : هذا الوصف لموقع (قطن) صحيحٌ الصِّحَّة كلَّها فهو يقع بين وادي الرمَةِ الى الجنوب الغربي وبين الأرض التي كانت لبني أسد ومن أشهرها جبل القنان الذي أصبح يسمى الآن «الموشم» كما سيأتي في حرف الميم إن شاء الله ، وهو الى الشمال الشرقي من قطن .

ثم قال ياقوت : وذُكر عنه أي : ابن السِّكِّيت — أنه قال : قطنٌ : جبل في ديار عبس بن بغيض عن يمين النباج والمدينة ، بين أُثال ، وبطن الرمة .

أقول : قوله عن يمين النباج والمدينة ليس صحيحاً كما هو واضح وأعتقد أنه محرف صوابه : في طريق النباج الى المدينة ، أو عن يمين من يسير من النِّباج الى المدينة لأنَّ هذا هو نَصُّ كلام الإمام الحربي رحمه الله : إذ قال : وهو يتكلم على طريق حاج البصرة من النباج (الأسياح حالياً) الى المدينة : ثم عرض لهم «قَطَنٌ» عن أيمانهم .
وقول ابن السِّكِّيت : بين أثال وبطن الرمة ، صحيح فَقَطَنٌ يقع بين بطن الرُّمَةِ أي وادي الرُّمة بالنسبة لمن يكون في الحجاز أو متَّجِهاً مع طريق حاج البصرة الى المدينة إذْ وادي الرمة في المنطقة التي فيها «عقلة الصقور» في الوقت الحاضر وبين «أثال» الواقع في شمال القصيم كما تقدم ذكره في حرف الألف .

ثم قال ياقوت : وقال الواقدي : قطن : ماء ويقال : جبل من أرض بني أسد ، بناحية فيد .

أقول : قطن يقع في أرض بني عبس ، ولكنه مجاور لأرض بني أسد ، وليس هو في ناحية فيد وقوله : ماء أو جبل ، الصحيح فيه أنه جبل فيه ماء بل مياه ولا يزال أهالي بعض القرى المجاورة له يشربون من ماء قطن تحمله اليهم وزارة الزراعة في سيارات نقل المياه وهو ماء عَذْبٌ نمير.

وقد أنشئت عام ١٣٤٧ هـ في (قطن) هجرة سميت بآسمه (قطن) أول من أحدث فيها عمارة رجل يقال له شديد الدِّيري من مزينة من بني سالم من قبيلة حرب ، وهي في الهضاب الطِّوال من (قطن) أي في الهِضَاب الرئيسية فيه الى الشمال الغربي من بكرة قطن وأميرها في الوقت الحاضر نايف بن عبيد الديري .

وكان قطن قبل ذلك مأوى للذئاب غير مسكون من الأناسي إلاَّ من يردون الماء فيه ، وكانت فيه الوعول الكثيرة فكان أناس من أهل الفَوَّارة معروفين بتَطَلُّبها وصيدها ومنهم رجل يقال له رشَيْد الأشقر من ذوي سَعد من مزينة من حرب وهو شاعر عامي[١] يقال إنه كان يذهب الى (قطن) للصَّيْد وانه قد بلغ عدد الذئاب التي قتلها في قطن أكثر من مائة ذئب وذلك احتساباً للأجر حتى يريح الناس من شرِّها .

ولشهرة (قطن) وكونه أصبح معروفاً كان البلدانيُّون يُعَرِّفون بعض المواضع الواقعة في منطقة (قطن) بقربها أو بعدها منه أو نسبتها اليه .

قال ياقوت : الثِّيلَة : بالفتح ثم التشديد : اسم ماء بقطن[٢] وقال أيضاً : السُّلَيْع : تصغير سلْع : ماء بقطن .

وقال ياقوت : صُحَيْر : بشمالي جبل قطن[٣] .

وقال الأصمعي : خَوّ : وادٍ قرب (قطن) يَصُبُّ في ذي العشيرة[٤] : وادٍ به نخل

---

(١) سنورد أبياتاً له في رسم «المضبح» في حرف الميم بذكر البارود الذي جلبه لبندقيته .

(٢) رسم «الثِّيلَة» .

(٣) ياقوت : رسم «صحير» .

(٤) راجع رسم «المباري» من هذا المعجم (حرف الميم) .

ومياه لبني عبدالله بن غطفَان ، وهو يصب في الرُمّة ، مستقبل الجنوب ، وفوق ذي العشيرة مُبْهل[1]

ونظراً الى أن (قطنا) جبل أحمر ، جميل المنظر جعله الأعراب المحدثون معشوقاً لهضبة طَمِيَّة الحمراء التي تُجاوره من جهة الغرب يفصل بينهما حوالي ستين كيلاً ، وهي تقع فوقه مناوحة له يراهما معاً مَنْ يكون في (عقلة الصقور) وهما ظاهران له متناوحان .

يقول الأعراب : إن طمية كانت قد تزوجت (عكاش) الجبل الأسود الذي يقيم بجانبها غير أن لونه الأسود لم يعجبها فكانت ترى (قَطَناً) أحمر اللون ، مشرق الطلعة ، لا سيما إذا رأته ينعكس البرق على صفحة وجهه فهجرت زوجها (عكاشا) المسكين ، ونادَتْ بقلبها (قَطَنَاً) فآستجاب لندائها العاطفي ، وتناول (الرُّحَيْل) وهو جبيل صغير بقربه[2] ووضعه على البكرة وهي إحدى هضابه أي : هضاب (قطن) سميت بهذا الاسم بعد هذه الحادثة — كما يزعمون — وسار اليها فقضى كل منهما من صاحبه وطرا ، إلاّ أن الخرافة لم تذكر أن هذا الحب أثمر أولاداً . وانما كانت ذكرت ان زواج طمية بعكاش كان قد أثمر ولدين صغيرين هما اللذان يسميان (ديمات) بالجمع بمعنى ديمين بالتثنية أو ديم بالإفراد[3] .

أما عكاش زوج طمية فإنه وهو ينظر الى حليلته تتبادل العبارات التي يستحيا منها مع غريم له أكثر شباباً ، وانظر جلدا فإنه كاد يتقطع من الغيظ ، وقد ازداد وجهه الأسود لهذا السبب سواداً على سواد .

هذه هي الخرافة أو هذه إشارة اليها . ولها أصل قديم فيما يتعلق بطمية وعشقها عند الاعراب المتقدمين فقد ذكروا أن عكاشاً تزوجها ، وكما قال شاعرهم :

تـزوَّج عَـكَّـاشٌ طـمـيـة بـعـدمـا ... تـأَيَّـم عَـكَّـاشٌ وكـاد يـشـيـب

(١) ياقوت : رسم «العشيرة» و«مبهل» سيأتي ذكره في رسم «المحلاني» وذو العشيرة : هو «المباري» وكلاهما في حرف الميم .

(٢) سبق رسم (الرحيل) في حرف الراء .

(٣) سبق رسم (ديم) في حرف الدال .

وسبق بيان ذلك في رسم عكاش .

واما عشقها لقطن فإنني لم أر من ذكره عن المتقدمين من الأعراب ولعله من الأشياء التي لم يسجلها العلماء . ولكن المحدثين من الأعراب سجلوها في أشعارهم واسمارهم حتى اتخذ بعضهم من ذلك لغزاً في شعر له عامي قال وهو يحاور شاعراً آخر وهما جميعاً من قبيلة عتيبة :

أنْشِــدْك عن بِــنْت مْــهــاويها حْــدُورْ
وْهَــيــهْ سْــنُود وجــات مــنــحــيــة تــبــاه
لــبــست الــبــخــنق ولا لــبــست خصور
وراعي الهوى مــا يــنــعــدل لــه عن هــواه

فهو يقول لصاحبه : أنشدك ، أي : أسألك وهي بمعنى حاجيتك عن بنت يريد بها طمية مهاويها حدور أي : قد تبادلت الهوى مع آخر منحدر عنها في الموقع ، والانحدار في تلك المنطقة الى جهة الشرق ويريد به جبل (قطن) .

وهيه سنود ، أي : وهي في السند أي المكان المرتفع بالنسبة اليه وجات منحية : أي : جاءت منتحية عامدة (تباه) أي : تبيه بمعنى تبغيه وتريده .

هذا وقد أخذت زينتها للقاء من تبادلت الهوى معه فلبست البخنق وهو غطاء الرأس ولكنها لم تلبس خصوراً ، وهي أساور من الخرز كانت النساء تلبسنها في القديم .

والسبب في كل ما فعلته أن راعي الهوى أي : صاحب الهوى والغرام لا يعدله عن هواه شيء .

فأجابه زميله الآخر الذي وَجَّهَ هذا اللغز اليه بقوله :

هــذي طِــمــيّــة عن مــكــانَــهْ مــا تــغــور
في ســـدّ ضــلــعــان تمرّ بـــه من وراه
مــغــيــبــنــه في حــفــيــظــات الصــدور
واللي يــردّ الــقــاف نــلــعــب لــه علاه

فذكر أنه قد عرف اللغز وان المراد بالبنت التي شعف الهوى قلبها هو (طمية) وان حل هذا اللغز من قصة عشق طمية لقطن كان قد حفظه في صدره عن ظهر قلب .

ثم ذكر أنه مستعد لمن يرد عليه القاف أي القافية من الشعر ولو بلغز ان يلعب له علاه ، أي : عليه ، وذلك بأن يرد عليه الشعر بشعر مثله ، وان ينشد ذلك إنشاداً بصوت منغم شأن من يلعب عند انشاء القصائد .

على أن هناك خرافة للأعراب تقول : ان الدافع لقطن الى ان يذهب الى طمية ليس هو تلبية النداء العاطفي الغرامي لطمية وانما هو بدافع النخوة والحمية ، وبناء على نداء استغاثة تلقاه من (طمية) وذلك عندما ركب (عكاش) بسحته التي لا تحبها طمية جبلاً أسود في المنطقة نفسها اسمه (الحبلى) اتخذه مطيته لهذا الغرض .

قالوا : فصاحت طمية وقالت : «قطن يا رَجَّالي ، عَكَّاش عقر جمالي» .

قالوا : وكانت استجابة قطن لهذه الاستغاثة سريعة اذْ ركب هضبة البكرة وأفتكها من عكاش .

شعر عامي :

قال الشاعر ابن غازي الشمري :

أمْسَ الضَّحَىْ عدّيت راس المنيف ... وأصبحت من رقى الرِّجوم تْعَبان[1]
أخيل مظهور الحبيِّب يهيف ... بأيسر (قطن) بين الموشم وأبان[2]

وقال الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله :

قَطن : جبل معلوم قريب الفَوَّارة ، وهو جبل أحمر ، وعنده أكمة بيضاء يقال لها

(١) عديت : صعدت . والمنيف : الجبل ، أو المرتفع من الأرض . والرجوم : الآرام . جمع رجم عندهم وهو العلم من الحجارة ينصب فوق الاكام ونحوها ، وتعبان : تعب .
(٢) أخيل : أنظر من خال السحاب ، إذا نظر الى من يقع مطره ، والمظهور : الظعائن أي : النساء في الهوادج والحبيب : بتشديد الياء على لفظ تصغير «الحبيب» ويهيف : يختفي . والموشم هو الجبل الذي كان يدعى قديماً بالقنان وسنذكره في حرف الميم إن شاء الله تعالى وبعضهم يرويها لطلال بن فريج .

الربع الخالي : ماذا كان يسمى قديمًا ؟

رجعت إلى ما استطعت الرجوع إليه من الكتب الجغرافية واللغوية المؤلفة قديماً فلم أرَ لاسم (الربع الخالي) ذكراً . فهل من الممكن إيضاح الاسم القديم لهذه الصحراء الواسعة الواقعة في الجنوب الشرقي من بلادنا . ومتى أطلق عليها ذلك الاسم ؟؟

وادي الدواسر — فهد بن عشبان

«**العرب**» : يظهر من استقراء المؤلفات القديمة أن اطلاق اسم الربع الخالي على تلك الصحراء كان في العصور المتأخرة ، إذ تلك المؤلفات ، ومنها ما أُلف في القرن السابع الهجري تطلق على تلك الجهة اسم صَيْهد ، واسم (وبار) وتورد عن الاسم الأخير أخباراً خرافية ، نقل ياقوت في «معجم البلدان» طرفاً منها وتَبَرَّأ من عُهْدَتها .

وكلمة (الربع الخالي) من مصطلحات ربابنة سُفن الخليج العربي وخليج عُمَان ، يقصدون بها الجهة الفرعية الواقعة بين جهتين أصليتين كجهة الجنوب والغَرب ، فإذا

«خيمة قطن» لبياضها ، وهو في بلاد غطفان ، يقع شماليّ وادي الرمة وغربي أبان الأسود وهو لبني عبس في الجاهلية قال الشاعر :

أين انتهى يا ابن الصميعاء السَّنَنْ
ليس لعبس جَبَلٌ غير قطن[1]

أقول : قطن كان في صدر الإسلام لعبس كما قال فهو إذاً ليس في بلاد غطفان إلاَّ إذا أراد بذلك كون عبس من غطفان هو لهم فذلك له وجه صحيح .

الرياض — محمد العبودي

---

(١) صحيح الأخبار ج١ ص ٢٢ ..

أراد الرُّبّان من الملاّح الذي يتولّى توجيه السفينة ، وكانت متوجهة للجنوب مثلاً وأراد أن يُحرِفها قليلاً نحو الغرب قال : (الرُّبع الخالي) أي احرفها إلى الجنوب الغربي — والراء في الربع مضمومة ، لا مفتوحة كما يرى بعض المتحذلقين .

ولعل من المفيد أن نورد ما جاء في كتاب : (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) عن صحراء صَيْهد . ومنه يتضح أن تلك الصحراء تشمل أعظم أجزاء (الربع الخالي) .

صَيْهَد : قال البكري في «معجم ما استعجم» : بفتح أوله وإسكان ثانيه ، بعده هاءٌ مفتوحة ودالٌ مهملة : أرض باليمن ، وهي ناحية منحرفة ما بين بَيْحان ، فمأرب ، فالجوف ، فنَجْران ، فالعقيق[1] ، فالدهناء ، فراجعاً إلى عبْر حَضَرموت .

وجاء في كتاب «المعجم الجغرافي» قسم (المنطقة الشرقية — البحرين قديماً) ما هذا نصه : نورده كاملاً وإن كان فيه تكرار لبعض ما تقدم :

الرُّبع الخالي :

بضم الراء وإسكان الباء الموحدة بعدها عين مهملة ، والخالي بالخاء المعجمة من الخلو — وهذا اسم حديث للجانب الجنوبي من الدهناء ، وما كان يعرف قديماً برمال وبَار ، وقسم من صَحْراء صيْهد ورمل الحَوْش والاسم حديث يرى بعضهم أنه مأخوذ من تعبير يستعمله أصحاب البحر فيما بين عُمان وشواطىء الأحساء ، فهم يعبرون بكلمة (الربع الخالي) ويقصدون بها الجهة الفرعية الواقعة بين الجهات الأربع الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فالشمال الغربي والشمال الشرقي والجنوب الغربي والجنوب الشرقي يُعبّر عن كل جهة من هذه الجهات بكلمة (الربع الخالي) وذلك حينما يكونون سائرين في البحر ، عندما يريدون ترجيه السفينة إلى ناحية من تلك النواحي .

ونظراً لأن أكثر المرافىء في الخليج تقع في الجنوب الغربي منه بالنسبة لمن في شواطىء الإمارات الغربية ، فقد كثر إطلاق كلمة (الربع الخالي) على تلك الجهة .

---

(١) العقيق هنا هو (عقيق عُقيل) و(عقيق جَرْم) و(عقيق تمره) وهو (وادي الدواسر) الآن .

• هذا ما رأيت أحد الباحثين من المتأخرين ذكره في تعليل هذا الاسم .

وهذا الموضع صحراء عظيمة واقعة بين اليمن وحضرموت وعمان وسواحل الإمارات العربية وبين يبرين وبلاد نجران ، وهي داخلة في حدود المملكة .

والعمران في هذه الصحراء لا أثر له ، وقد عُثِر على آبار للنفط في الربع الخالي . ولا يزال كثير منها تحت التجربة . وليس من المستبعد أن تصبح هذه الصحراء العظيمة القاحلة في يوم من الأيام مزدهرة العمران ، متى ثبت وجود النفط فيها بمقدار مُرْبح .

ولقد كانت هذه الصحراء قديماً وإلى عهد غير بعيد من الأماكن التي يألفها أبناء البادية لجودة مراعيها ، وكانت مَرْبًّا لبقر الوحش وللنعام وللظباء ، أمَّا الآن فقد انقرضت منها .

والمناهل في الربع الخالي قليلة ، والرمال التي تسفوها الرياح بقوة من أعظم عوائق اجتياز هذه الصحراء ، التي يفخر غربيان باجتيازها[1] دون غيرهما باستثناء البدو الذين يعيشون في أماكن تتصل بها ، ويتوغلون فيها بعض الأوقات .

وقبيلة آل مُرَّة[2] تتجول في الربع الخالي فيما بين خطي الطول ٤٨° و٥٣° للرعي وورود المناهل في الدكاكة ، حيث حفروا بعض الآبار ، وبعثوا بعضها ومن آبارهم :

١ — بئر سالم	٢ — معمورة
٣ — بئر الأذاني	٤ — بئر هادي
٥ — الحارَّة	٦ — الخشبي .
٧ — بئر صبغة	٨ — بئر طريوة .
٩ — بئر شنة .	١٠ — بئر زويرة
١١ — القعدة .	١٢ — أبو وريقة
١٣ — بئر مبارك .	١٤ — خور ابن رشدان .

(١) هما برترام توماس وفلبي .

(٢) أنظر مجلة «العرب» س ٤ ص ٦١٧ وما بعدها .

١٥ ــ أبا الحيايا .

ومن آبار الربع الخالي .

١ ــ القفاميّات   ٢ ــ الحوايا
٣ ــ الشويكلة   ٤ ــ الأوراك .
٥ ــ كرش البعير .

ومنذ عَهْدٍ قريب استُنْبِطَت في الربع الخالي آبار ارتوازية ، وعُبِّدت بعض الطرق في جوانبه ، عندما ظهر النفط في بعض جهاته .

والواقع أن صحراء الربع الخالي الواسعة تحتاج الى دراسة وافية .

وفي كتاب «دليل الخليج»[1] الربع الخالي : تقع هذه الصحراء الكبرى جنوبي شبه الجزيرة العربية وتتاخم عُمان على طول حدودها الغربية ، ومعظم قبائل البدو في عمان يرعون إبلهم في أطرافها وعددهم قليل لأنه لا يوجد بها سوى الماء الذي يبقى في المنخفضات بعد هطول الأمطار ، وبعض الينابيع الملحية التي تظهر هنا وهناك . ويقال : إن التربة من الجهة المجاورة لعمان ملحية ويوجد في معظم أجزاء هذه الصحراء المها والحمار الوحشي وأنواع من الغزلان .

والرسُّ المذكور في التنزيل بناحية صَيْهَد ، قال الهمدانيُّ : ذهب في صَيْهَدَ بعهدنَا قِطَارٌ فيه سبعون مَحْمَلاً من حاج الحضارم[2] ، صادرين من نجران ، كانت في أعقاب الناس ، ولم يكن فيهم دليل ، فساروا الليلة وأصبحوا قد تياسروا على الطريق ، وتمادى بهم الْجَور ، حتّى انقطعوا في الدهناء فهلكوا . انتهى . وهذا في كتاب «الاكليل» .

وقال الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[3] : فلاة اليَمَن وتسمى الغائط : أما فلاة

---

(١) ص ٢٩١٧ .
(٢) في «معجم ما استعجم» : الخصام خطأ والتصحيح من «الاكليل» ج١ ــ ١٣١
(٣) : ١٦٦

اليمن وغائطه فإنه صَيْهد ، وهي فلاة تتفرق من الدَّهناء من ناحية اليمامة والفَلَج ، وتشرع عليها جُزُرُ اليمن من مَصَامَةِ بني عامر بناحية ترج فَتَثْلِيث فيا بين تَثْلِيث ودُثينة[1] وتفرق هذه الفلاة بين جزر اليَمن من أسافل هذه الأودية وبين حَضْرموت من أربع مراحل وخمس فيا بين نجران وبَيْحان ، وأمَّا ما خلفَ نَجران إلى الشمال فأكثر ، لأنَّ صَيْهَدَ يقبل عن فرقين من الدَّهناء أحدهما من شرقي اليمامة ويبرين ، والثاني : من غربيّ اليمامة وما بينهما وبين جبل الحَضَن . انتهى .

وأورد قصيدة لابن الأشْعَث الجَنْبيّ يصف مفازه صَيْهَد وكان سلكها من وادي نجران[2] :

هَلاّ أرِقْتَ لِبَارق مُتَهجِّد ... بَرْقٌ تَوَلَّع في حَبيٍّ مُنْجِد
بَرْقٌ يُذكِّرُكَ الخَرِيدَة إنَّها ... علِقت علائِقُها طِوَال المُسْنَدِ
عَلِقَتْ عَلائِقُهَا فمَا إنْ بُعْدُهَا ... عِنْدِي بِنَاقِصِها إذَا لَمْ أزْدَد
فَلَقَدْ ذكَرْتُكِ ثُمَّ راجَعْتُ الهَوَى ... يَوْمَ السُّرَى ودَعَوْتُ ألاَّ تُبْعدي
وعَشِيَّةٌ قَبْلَ الطَّرِيْق يَمَانياً ... حَلَّ الْعَرائِسَ صادِراً مِنْ مِذْوَدِ
جَزأتْ حَوازِيَ في حَيَاتِي أنْ أرى ... ما كُنْتُ أُوْعَدُ من مَفَازَة صَيْهدِ
فإذَا مَفَازَةُ صَيْهَدٍ بِتَنُوفَةٍ ... تِيهٍ تَظَلُّ رِيَاحُهَا لا تَهْتَدِي
وتَظَلُّ كُدْرٌ مِنْ قَطَاهَا وُلَّهاً ... وَتَرُوْح مِنْ دُوْن الْمِيَاهِ وتَغْتَدِي
بَلَدٌ تَخَالُ بِهَا الغُرَابَ إذا بَدَا ... مَلِكاً يُسَرْبِلُ في الرِّياطِ ويَرْتَدِي
فَسَأَلْتُ حِينَ تَغيَّبَتْ أعْلامُنَا ... مِنْ حَضرَمَوْت أيَّ نَجْم نَقْتَدي
قَالُوا الْمَجَرَّةَ أو سُهَيْلاً بَادِياً ... ثم اهْتَدُوا بقُفُولِهِمْ بِالْفَرْقَد
نَتَجَشَّمُ الأهْوال نَبْغي عامِراً ... مَتَحَزِّنِيْنَ عَلَيْهِ إنْ لَمْ يُوجَدِ

---

(١) كذا ولعله (رنية) . وجزر اليمن .
(٢) : ٣٨٣ .

وذكر الهجري[1] أن العبَر من دار صُدَاء وهو منهل ، وبه يُقَوِّز حاج حضرموت منه الى صَيْهَد ، وهي طرف الأُدَمى إلاَّ أنها في هذا الموضع أبعد ، وهي من بين يَبْرِيْنَ الى الفَلَج ، غائِطٌ أَمَقٌ ، بِهِ حَصَا أَحْمَرُ ، يأكُلُ سمراء الخُفِّ . انتهى .

وقال الأستاذ محمد بن علي الأكوع[2] : وصَيْـهَدُ : والعامة تقدم الهاء على الياء وعليه وَهِمْتُ في تعليقنا للجزء الأول من «الاكليل» ١٢١ .

والعامة تتبخت بِنَوءِ صَيْهد وبروقها — قال بعض الأعراب في ذلك : (بارق برق صَيْهد ، قم خيّله يا حيدي ، على تُرهْ والرَّيدي ، كَسَّر رِقَابَ الصَّيْد) ، فيقال إنه لما قال هذا الكلام ذهبوا عند منبلج الصباح يتبعون مساقط الغيث الذي هطل في تلك الأماكن ، فوجدوا المطر غزيراً بشدة ، والوحوش وحيوانات الصيد صرعى متناثرة هنا وهناك لغزارة الأمطار ودخول السيول الى أوجارها وأماكنها ، ومعنى يا حيدي : الحيد : الجبل الشاهق ، يكنى به عن الملجإ والملاذ الذي هو كالحيد ، والجبل . والرَّيْد وتُرَه : قرى من عنس ، ومن أمثال العرب في فلاة صيهد للإنسان المتوحِّش الذي لا يأنس بأحد : (أنت مثل غراب صيهد) أي ليس بجانبك حيوانات ولا طيور لتوحشك . انتهى .

وأورد ياقوت الاسم في (صَهيد) ولكنه صححه بقوله : والذي عليه النحويون أنه صَيْهَد على وَزْن فَيْعَل ، وقال في تعريف الموضع : مفازة بَيْنَ مأرب وحضرموت — عن سَيْف في كتاب «الفتوح» .

وذكر الهمداني المعنى اللُّغَوِيَّ للكلمة فقال في شرح قول الرداعي :

تَعْتَسِفُ الْفَدْفَدَ بَعْدَ الْفَدْفَدِ
والصَّيْهَدَ الأَجْرَدَ بَعْدَ الصَّيْهَدِ

الصَّيْهَدُ : القاع المطمئنُّ ، يصهد فيه الْحَرُّ ، ويَصْخَدُ . انتهى . وذكر الهجري[1]

---

(١) ٣٣٢ .

(٢) حاشية «صفة الجزيرة» ص ١٥٠ .

الأمثال العامية في نجد

— ١ —

[عُني الأستاذ الجليل المحقق الشيخ محمد العبودي ، بجمع الأمثال المتداولة بين سكان وسط الجزيرة ، جمع دراسة وتقصٍّ ، فجمع نحو ثلاثة آلاف مثل ، ورتّبها على الحروف ، وشرحها ، وقارنها بأمثالها من أمثال سكان الأقطار العربية الأخرى ، وأرجع كثيراً منها إلى أصولها القديمة ، وصنّفها في كتاب « الأمثال العامية في نجد » صدر منه ثلاثة أجزاء تحوي ٢١٣٥ مثلاً .

وترى « العرب » في عرض نماذج من هذا المؤلف الطريق امتاعاً للقارىء الكريم ، وإشادة بجهد عالم جليل في سبيل خدمة ثقافتنا العامة] .

صحد الحرُّ من حرّ صخد ، وصخدته وصهدته ، وصَيْهَدُ — الفلاة التي بين نجران وحضرموت من هذا ، لأنها في طرف الدهنا ، وفيها رَمْلٌ ، حارَّة في القيظ . انتهى .

على أن كلمة الصَّيْهَد لا تزال مستعملة ، تجمع على صَيَاهِدَ ، ويقصدون بها الأرض الرَّمْلِيَّةُ التي تنخفض عن حِبَال الرِّمال ، والدِّعَاص وترتفع عن مَقَّار السُّيُول ، ومجاريها ، وهي ما ارتفع من الْجَرَدِ .

أمَّا صَيْهَدُ الموضع الذي تقدم تحديده في كلام العلماء فهو الجانب الغربيُّ مما يعرف الآن باسم الرُّبْع الخالي .

وهو — كما وصف الهمداني — امتدادٌ للدهناء إلا أنَّ قوله عن فَرْقِي اليمامة : والثاني من غربيِّ اليمامة وما بينها وبين جبل الحضن ، غير واضح ، فاليمامة يفصل بينها وبين الدهناء جبل العارض الذي هو امتدادٌ لها والدَّهناء لا تتجاوزه غرباً إلى جهة حضن والرمال الواقعة غرب جبل العارض ، أي بين اليمامة وبين حضن لا تتصل بالدهناء .

وكذلك قوله : أن فلاة صيهد تفرق بين جزر اليمن ، وأسافل أودية تَرْج وتَثْلِيْثَ ورَنْيَة . وكأنه يقصد الرمل الواقع غرب وادي الدواسر ، الذي حجز بين هذا الوادي ووادي تَثْلِيْثَ .

الرياض حمد الجاسر

---

(١) ٣٣٢ .

١٤٠٩ — «غَابَتْ ، لا غابت لنا بُحَبِيب ، وَلاَ بِرَاعِيَات حَلِيب»

الضمير فيه للشَّمْس ، وراعيات الحليب : أي : ذوات الحليب ، والمراد : النُّوقُ ذَواتُ الحليب ، من قولهم : هُوَ راعي كذا ، أي : ذو كذا أو المختص كذا .

وهذا المثل من أمثال البادية ، يقال عند غروب الشمس ، على سبيل الدعاء والرجاء بأن الشمس ، عندما تغيب ، لا يغيب مع غيابها لهم حَبِيبٌ ، أو نياقٌ لهم ذَوَاتُ حَليبٍ .

١٤١٠ — «غَارٍ أظْلَمْ»

يقولون : فلان غار أظلم ، إذا كان كَتُوماً لأسرار نفسه ، وشؤون ماله . أو كان شخصاً ذا أهميَّة لا يطلع أحداً على خططه للتعامل مع الآخرين . وهذا عكس المثل السابق : «صاع كرعته فرعته» وتقدم في حرف الصاد .

١٤١١ — «غَالِي طَلَبْ رِخِيص»

أي : هو شخص غالي القَدْرِ عَزِيزٌ ، طلب شيئاً رخيصاً والمُراد : فكيف لا يُجاب طلبه ؟

يضرب في سرعة إجابة الطلب . وهو موجود في الأمثال العامية المصرية بلفظ : «غالي والطلب رخيص»[١] .

١٤١٢ — «الغَالِي ما به رِبْحَيْن»

المعنى : أنَّ المَتَاع الغالي المُعَدّ للتجارة ، ليس فيه رِبْحَان ، أَحَدُهما لِمَن يَبِيعُهُ ، والآخر لِمَنْ يشتريه منه ليبيعه أيضاً . ويوضحه المثل التالي .

---

(١) أمثال المتكلمين ص ١١٣ .

١٤١٣ ـــ «الْغَالِي مَاخُوذ زَايْدُه»

أي : أن المتاع الغالي قد أخذ بائعهُ ما يمكن أن يزيد في قيمته من ربح أو فائدة عن طريق ارتفاع سعره فلا ترجى الزيادة فيه . وهو في المعنى كقول التونسيين : «الغالي ما يتباعش مرتين»(١) وهذا والذي قبله من امثال التجار يضربان في النهي عن المتاجرة في السلعة المرتفعة الثمن .

١٤١٤ ـــ «الغالي نَغَلْ»

النَّغْلُ : الفاسد ، وقد يقولون للرجل القاسي القلب الذي يَنْطوي على الحقد والغِلّ : «نَغَل» وعلى هذا يكون من باب الكناية . وكلمة «نغل» فصيحة بمعنى فسد ، كما أن استعمال كلمة «نغل» قديم في الفصحى من المجاز : غلام نغل ، وجارية نغلة لزنية ، ونغل عليه ضغن ، وفلان دغل نَغِل»(٢) .

١٤١٥ ـــ «الْغَايِبْ حِجَّته معه»

الغايب سهلوا همزتها كعادتهم ، وهذا مثل قديم ذكره الميداني والأبشيهي والعاملي في أمثال المولدين بهذا اللفظ(٣) .

وورد في كلام شيخ الإسلام بن تيمية بلفظ : «الغايب عذره معه»(٤) .

ولا يزال مستعملاً عند العامة في مصر(١) والشام(٢) وتونس(٣) .

١٤١٦ ـــ «غَايِبْ شَيْطَان»

يقولون : فلان غايب شيطان أي : شيطانه الذي يأمره بالشر غائب دائماً .

---

(١) منتخبات الحميري ص ١٩٧ .
(٢) الأساس (نغل) .
(٣) مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤ والمستطرف ج ١ ص ٢٩ والكشكول ص ١٥٩ .
(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ج ٢٨ ص ٤٩ (طبع الرياض) .
(٥) أمثال المتكلمين ص ٤٦ وأمثال تيمور ص ٣٦٧ .
(٦) أمثال العوام ص ٣٣ .
(٧) منتخبات الخميري ص ١٩٧ .

كناية عن كونه محباً للخير، مبغضاً للشر.

قالوا ذلك كما قال المصريون عن حضور الشيطان مع الإنسان، «كل إنسان شيطانه في عبه»[1].

ويقول السودانيون في ضد المثل النجدي: «ابليسه حاض» أي: حاضر[2].

وورد المثل في هذا الشعر العامي النجدي القديم لراشد الخلاوي من قصيدة[3]:

ونـفس إذا حـدَّثتها أريحيّـة شـيطانها عنـد المروّات غايب
أبو كلمة وان قالها ما تَغَيَّرَتْ كِنّك على ما قال بالخمس قاضب[4]

١٤١٧ — «الغَبْشَة بْصَاع والصُّحبة في محلّها»

الغَبْشه: الفَتْرَةُ من الوقت بين صلاة الفجر إلى الضُّحَى وهي فصيحة اذ في الفصحى أغباش الليل بقاياه[1]. يقولون في أصله إنَّ فلاحاً كان يشغل عنده عامل صديق له وقت الغَبَش لِقاء صاع من الشَّعير فطلب منه الفلاح أن يخفض من الأجرة إن لم يُلْغِها من أجل صحبته له فأجابه العامل بهذه التي ذهبت مثلاً: «الغبشه بصاع والصحبة في محلها» يريد أنه لن يشتغل عنده إلاَّ بالأجرة المذكورة يضرب في عدم التغاضي عن شيء من المال وهو كالمثل القديم: «تعاشروا كالأخوان، وتعاملوا كالأجانب»[2] ويشبهه قول الشاميين: «أحب احبابه وكل شيء بحسابه»[3].

١٤١٨ — «الغبنْ في طاعة الله»

معناه: أنَّ المرء يَغْبِن غيره إذا كان أكثر طاعة لله منه، وبالعكس، وهذا كما قالوا:

---

(١) أمثال العوام ص ١٠١.
(٢) الأمثال السودانية ص ٧.
(٣) الشوارد ج ٢ ص ٢٩.
(٤) أبوكلة، ذو كلمة. قاضب: ممسك.
(٥) الأساس (غبش).
(٦) التمثيل والمحاضرة ص ١٩٩.
(٧) الأمثال الاجتماعية والفكاهية ص ٧٩.

«البخيت من طاع الله» وتقدم .

١٤١٩ — «الْغَدَا الْجَيِّد يْعَشِّي»

الغدا : الغداء — بالمد — وهو الطعام الذي يؤكل في الغدة . والمعنى : أنه إذا كان طعام الغداء جيداً في نوعه ومقداره فإنه يكفي آكله عن طعام العشاء فيما لو اضطر الى عدم تناوله .

يضرب للاكثار من الطعام الجيد .

وهو شبيه بمثل عامي أندلسي قديم لفظه «العُشَىّ الطَّيِّب من بَكْرِي تظهر»[1]

ولعل للمثلين أصلاً مشتركاً .

ويقول السودانيون : «حديث مروي عن أبي جدي ، العشوه العديله تغدى»[2] .

١٤٢٠ — «غَدَا بَالْحُصَين»

أي : كغداء أبي الحُصَيْن . وأبو الحصين : كنية الثعلب وهي كنية قديمة معروفة للعرب .

قالوا : أصله أن الثعلب والغراب اتفقا على أن يُغَدِّي أحدهما صاحبه ، فجعل الثعلب غداءه عصيدة رقيقة كالمرق وصَبَّه على أرض صخرية ، ثم جعل يلحسه بلسانه أما الغراب فإنه لا يستطيع أن ينال منه شيئاً .

قالوا : ولكن الغراب قابل ذلك بأن جعل غداءه قطعاً صغيرة من التَّمْر ودَسَّها في داخل شجرة شائكة : وأخذ يدخل منقاره بين الأشواك ويلتقطها ، أما الثعلب فإنه لا يستطيع الوصول إليها بسبب الأشواك .

يضرب المثل للطعام الرقيق .

وهو موجود عند العامة في شمال العراق بلفظ : «عزيمة اللقلق والحصيني» ذكره

---

(١) أمثال العوام في الأندلس ص ٧٠ .

(٢) الأمثال السودانية ص ١٩٧ .

الدفاغ وذكر قصته شبيهة بما أوردنا[1] .

ويشبهه في المعنى قول أحدهم في قلة الحظّ (دور)[2] :

لم أجـد لي من رفـيق أبـداً في حـال ضـيق
كـم أنـادي بحريق لي نصـيبٌ كـدقـيق
بين شوك بـدّوه
ثم نـادوا بِـصـحـفـاةٍ يوم ريح يجمـعوه
عَـظُـمَ الأمـر عـليهـم فـأعـادوا تـركوه
من شـقـاه الله يومـاً كـيف أنتم تُسـعـدوه

١٤٢١ — «غَذِّ جُرَيَّكَ يأكِلْك»

غذ : أمر من التغذية : والجري : تصغير جرو وهو الصغير من الكلاب . أصله المثل العربي الفصيح «سَمِّن كَلْبَك يأكُلْك»[3] وقصّته : أن رجلاً من طَسم من العرب البائدة كان له كلب ، فكان يَسقيه اللبن ، ويطعمه اللحم ، ويُسَمِّنُه ، يرجو أن يصيد به ، أو يحرس غنمه ، فأتاه الكلب ذات يوم وهو جائع فوثب عليه ، فأكله[4] قال طرفة بن العبد[5] :

ككلب طَسْم ، وقد تَرَبَّبَهُ يُعِلُّه بالحليب في الغَلَس[6]

(١) أمثال الموصل ص ٢٧٠ .
(٢) نديم الأحباب ورقة ٧٣ .
(٣) أمثال العرب للمفضل بن محمد الضبي ص ٧٤ والحيوان ج ١ ص ١٩١ وص ٢٩٠ والبخلاء ص ١٤٧ وعيون الأخبار ج ٢ ص ٨١ وجمهرة الأمثال ص ١١٩ والعقد الفريد ج ٣ ص ١١٧ وخاص الخاص ص ١٨ وثمار القلوب ص ٣١٤ والمستقصى ج ٢ ص ١٢١ ، ومجمع الأمثال ج ١ ص ٣٤٦ ومحاضرات الراغب ج ٢ ص ٢٩٥ وفصل المقال ص ٣٣٢ وص ٣٨٥ والمحاسن والأضداد ص ٢٦ وأساس الاقتباس ص ١٤٧ والمحاسن والمساوىء ص ١٢٦ .
(٤) هذا هو المشهور في أصله ولكن الميداني ذكر قصة طويلة نعتقد أن المثل ورد فيها للاستشهاد به فقط .
(٥) الروض الأنف ج ٢ ص ٦٣ والحيوان ج ١ ص ١٩١ وهما في أمثال العرب ومجمع الأمثال والمستقصى عند ذكر المثل وديوان طرفة ص ١٦٥ (دار الكتاب) .
(٦) تربية ، رباه : من التربية ، ويعله : يعيد سقيه اللبن .

ظـلَّ عـلـيـه يومـاً يُـفَـرْفِـرُهُ إلاَّ يَلَغْ في الدِّماء يَنْتَهِس[1]

وقال حاجب بن دينار[2] :

وكم مِنْ عدُوٍ قد اعْتّم عليكُمُ بمالٍ وسلطانٍ إذا أُسلِم الحَبْلُ
كذي الكلب لما اسمن الكلب نابَهُ بإحدى الدواهي حين فارقه الهزل

وقال عوف بن الأحوص[3] :

وإنِّي وقيساً كالمُسَمِّن كلبَه فخدَّشَهُ أنيابُهُ وأظافِرُهُ

وأنشد ابن الأعرابي لبعضهم[4] :

وهُمْ سَمَّنُوا كلباً ليأكل بعضهم ولو ظفروا بالحزم ما سمَّن الكلبُ

كما أنشد أبو زيد[5] :

مَنْ ذا يُسَمِّنُ كلباً سوف يأكله يَعْدُو عليه كعدو الباسل الضاري

يضرب المثل في العامية والفصحى للوضيع الذي تحسن إليه فيسيء اليك .

١٤٢٢ — «الْغَرْب غَرْب حْمَيِّر، والْبَطِنْ بَطِن بْعَيِّر»

الغَرْبُ : الدَّلْو الكبيرة التي يُستَقَى بها الماء من البئر على الدَّابَّة : فصيحة .
وحميِّر (بتشديد الياء) : تصغير حمار . وبعيِّر : كذلك تصغير بعير .
أي : أنَّ الغَرْبَ غَرْبَ حمار ، والبَطْنَ بَطْنُ بعيرٍ . يضرب لِمَنْ يأكل كثيراً ، ويعمل قليلاً .

---

(١) أي : إذا ترك الولوغ في دمه نهش لحمه ، والمراد : أنه يلغ في دمه مرة وينهش لحمه مرة أخرى : يفرفره (يفاقين) أي يحرك رأسه عند أكله وفي مجمع الأمثال يقرقره (بقاقين) : تحريف .
(٢) المستقصي عند ذكر المثل .
(٣) معجم الشعراء ص ٢٧٨ والتمثيل والمحاضرة ص ٣٥٦ وذكره الضبي والزمخشري والميداني عند ذكر المثل .
(٤) أخبار القضاة ج ٣ ص ١٥٨ والمفوات النادرة ص ١٩ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ٢٨٣ وجمهرة الأمثال ص ١١٩ .
(٥) المستقصي ج ٢ ص ١٢١ .

وأصله أنَّ غَرَّب البعير يكون كبيراً ، وغرب الحمار صغيراً .

يريدون أنَّ من كان كذلك فإنه يكون كمن يحمل غَرّب حمار ، ويأكل ببطنه كما يأكل البعير.

ويشبهه من الأقوال القديمة في وصف غلام : «يأكل فارها ، ويَعْمل كارها»[1] .

١٤٢٣ — «الْغُربة كُرْبه»

هو مثل قديم أورده الجاحظ والحريري والثعالبي وابن شمس الخلافة بهذا اللفظ[2] وذكره الراغب الأصبهاني بلفظ : «الغُرْبَةُ ذِلٌ وكُرْبَةٌ»[3] ويروى : «الغربة كربة ، والقلة ذلَّة»[4]

وأصله القديم عند العرب من كلام أكثم بن صيفي : «كاد ذو الغربة ، يكون في كربة»[5] .

قال الشاعر[6] :

ما أهنأ الإنسان في عيشه ... ما بين أهليه وفي منزله
الذّلّ في الغربة ياكربها ... وكرب مَنْ قوّض عن معقله

وللإمام الشافعي[7] :

إنَّ الغريب له مخافة سارق ... وخُضوع مَدْيُونٍ، وذلَّةُ وامق
واذا تذكر أهله وبلاده ... ففؤاده كجناح طير خافق

---

(١) مختصر ربيع الأبرار ص ١٨٧ .
(٢) الحنين إلى الأوطان ص ١١ وشرح المقامات ج ٤ ص ٢٥١ واللطائف والظرائف ص ٩٥ والآداب ص ٦٩ .
(٣) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٧٣ .
(٤) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٣٩٠ (نشر عبد السلام هارون) .
(٥) المعمرين لأبي حاتم ص ١٥ .
(٦) نفح الطيب ج ٨ ص ١٠٧ .
(٧) الجوهر اللماع ص ٨١ .

وقال آخر[1] :

لا ترغبوا – إخوتي – في غُرْبة أبداً   إنَّ الغريب ذليل حيثما كانا

١٤٢٤ — «غَرَضْ رَوْق»

رَوْق : اسم رجل ، وغَرَضُه : مطلوبه الذي يتمناه . يقولون : أصله أنَّ رجلاً يسمى رَوْقا كان — في عهود الإمارات — وكان يحب امرأة مُحَجَّبَةً ، ويُحِبُّ أن يَرَى منها ما تستره عنه ، ولكنه لا يستطيع أن يبوح بذلك . وذات مرة كانت راكبة على حمار ، في رفقة بينهم روق ذلك الرجل ، فعثر بها الحمار في جحر فسقطت على الأرض ، وانكشف منها بعض ما كانت تستره ، فأخذ مُرافقها يواسيها يُهَوِّنُ عليها ما حدث لها من ضرر السقطة ، فقالت : ذلك لا يهمني إنما الذي يهمني أنَّ رَوْقا قد تأذَّى برؤية ما يكرهه مني ، فقال روق في صوت خفيض : «غرض روق» فذهب قوله مثلاً يضرب للفعل الذي يصادف هوى في نفس المرء .

١٤٢٥ — «غَزَالْ ، والشَّر زالْ»

يُقال لمن خَفَّ من مرضه ، أو من هو في دَوْر النَّقاهة منه ، على سبيل التفاؤل والتشجيع . والمراد : أنت كالغزال في العافية ، لأن الغزال كما يقولون : هو أصح الحيوانات ولذلك قالوا في أمثالهم : «أعفى من الظبي» وقد ذكرنا أصله القديم عند العرب في حرف الألف .

١٤٢٦ — «غَزْو الْحكاك»

الحكاك : الحكاكة : وهي عندهم ، ما يلزق بأسفل القِدْرِ من الطعام . وتسمى في الفصحى الكدادة .

يضرب للقوم الذين يذهبون ولا يرجعون .

أصله فيما يقولون أنَّ جماعة من العبيد وكثيراً ما يجعلونهم مضرب المثل في التخفيل ،

---

(١) رسائل الجاحظ ج ٢ ص ٣٩٠ (نشر عبد السلام هارون) .

ذهبوا للغزو كغيرهم ، وأخذوا زادهم شيئاً من الطحين .

فلما جاءوا وجدوا أنهم لم يأخذوا قِدْراً فَرأوا بئراً ضيقة فيها قليل من الماء في نظرهم . فنثروا الطحين فيها ليكون عصيدة ثم أنزلوا أحدهم ليحضره لهم فغاص في أسفل الماء وغرق فلما استبطأوه قالوا : لقد غاص ليأكل الحكاكة ، ثم نزلوا معه ، وغرقوا جميعاً في البئر[1] .

١٤٢٧ ـــ «غزو هلَيِّلْ لا يبيتْ وَلاَ يَقيِّلْ»

المراد بالغزو هنا : الغُزّى : جمع غاز لا مصدر غزا ، وهو جمع عامي غير فصيح . وهليل بصيغة تصغير هلال .. اسم رجل ويبيت ، ويقيل : أي : يستريح أو ينام في الليل أو في وقت القائلة .

والمعنى : كجماعة الغازين ، لا يستريحون ليلاً ولا نهاراً . وهليل هذا ـــ كما يقولون ـــ شيخ قبيلة من العرب ، كان إذا غزا بجماعته أدلج بهم ، ولم يسترح في أوقات الراحة المعتادة .

يضرب المثل للعمل المتواصل .

وهو كالمثل العربي القديم : «غَزْوٌ كَوَلَغ الذئب» قال الميداني : الولغ : شرب السباع بألسنتها ، أي : غزو متدارك متتابع[2] وقال العباس بن الأحنف في المعنى[3] .

سألونا عن حالنا : كيف أنتم؟ فَقَرنَّا وَدَاعهم بالسؤال
ما حللنا حتى ارتحلنا فما يفرِّق بين النزول والارتحال

١٤٢٨ ـــ «غطْوُ جمّيعه»

الْغَطْوُ : الكلام المُغَطّى ، والمراد : به المُعَمّىٰ ، أي : الابهام في الكلام وعدم

---

(١) ذكرت قصة غزو الحكاك في كتابي «مأثورات شعبية» الذي لا يزال مخطوطاً .
(٢) مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣ .
(٣) الغيث المسجم ج ١ ص ١٥٩ .

الإفصاح بالحقيقة . وجميعه : اسم امرأة وهو بصيغة تصغير «جُمْعَة»

أي : كتَعْمية جُمَيْعَة . وهي — فيما قالوا — أمة من البادية غَابَتْ عن أهلها . فلما سألوها من أين جاءت ؟ أجابتْ : جئت من هذا الوادي حيث كنت فيه أزني ، تريد إبعاد التهمة عن نفسها لأنَّ من تفعل مثل ذلك في العادة لا يعقل أن تُقرَّ بمثل هذه السهولة والسرعة فذهبوا إلى الوادي ، فوجدوا أثرها مع الرجل ، ثم لحقوه وتحققوا من ذلك .

يضرب المثل للتعمية المكشوفة .

١٤٢٩ — «غطُّوا شَحَمْكُم نِمرّ»

وبعضهم يقول : «غطوا لحمكم نمر» .

يقولون : أصله أنَّ الهِرَّ رأى شحماً أو لحماً مكشوفاً ، فقال لأربابه — مظهراً البراءة . وعدم الرغبة في أكله : غطوا لحمكم فسوف أَمُرُّ قريباً منه ، وأخاف أن تلحقني تهمة تناول شيء منه .

يضرب لمن يُظهر الزَّهادة في أمر هو أشد الناس رغبة فيه .

١٤٣٠ — «الْغَلْبْ عِنْد صِديق»

يضرب في عدم الاستقصاء في اقتسام المال ونحوه مع صديق أو قريب .

يريد قائله : إذا غُبنت في القسمة فإن الذي غلبني على السهم الجيد هو صديق لا آسف على ما وصله من خير .

١٤٣١ — «الْغَلَطْ مَرْدُودْ»

أصله مثل مولد لفظه : «الغَلَطُ يُرْجَعُ»(١) وذكر الثعالبي من أمثال التجار في زمنه : «الغلط يُرجع النَّسيئة»(٢) ولا يزال المثل مستعملاً في مصر(٣) والشام

---

(١) مجمع الأمثال ج ٢ ص ١٤ .

(٢) خاص الخاص ص ٦٤ .

(٣) أمثال تيمور ص ٣٧١ .

والسودان[1] باللفظ النجدي .

١٤٣٢ — «الغَلَطْ يُرجعْ لَوْ مِنْ مَصر»

وقد جاؤا بكلمة مصر دليلاً على البعد اذ كانوا يضرون المثل ببعدها كما سبق قولهم : أبعد من مصر ، ولم يكونوا يصلون إلى ما بعدها إلى جهة الغرب من أقطار في غالب أمرهم .

وقد نظم الأحدب المثل المُولَّد السابق ذكره بقوله[2] :

غَلِطتُ أنّي قد سلوتُ والغلط يُرْجَعُ يا غزال ، فاغفر ما فَرَطْ

١٤٣ — «الْغَلبهْ شَيْنَهْ ولَوْ بْلِعْبَ الْكْعابْ»

الغلبه : أن يُغلب المرء على أمره في لعبة معينة أو يهزم في مباراة .

وشينه : من الشين : ضد الجمال أي : قبيحة والمراد به سيئة والكعاب : جمع كَعْب والمراد به : كَعْبُ الضَّأن أو المعزى وهو العظم .

ومن عادة صبيانهم أنْ يَلْعَبوا بها . وهي لعبة للعرب قديمة فقد ذكر الزمخشري لعب الصبيان بالكعاب[3] .

يضرب في عدم الصبر على الغبن في البيع والشراء وهو موجود عند العامة في العراق بلفظ الغلب غلب لو لعب كعاب»[4] .

١٤٣٤ — «الْغَنَم أُمْ لَيلَه»

أي : الغنم ذات الليلة الواحدة .

يضرب في عدم صبر الغنم على الجوع المتواصل .

وأصله أنهم يقولون إنَّ الغنم إذا جَاعت ليلةً واحدة بان ذلك فيها بخلاف الإبل التي

---

(١) أمثال العوام ص ٣٣ .

(٢) فرائد اللآل ج ٢ ص ٥٢ .

(٣) الأساس ج ٢ ص ٢٠٦ (كعب) وانظر تنزيه الشريعة ج ٢ ص ٢٢٣ .

(٤) أمثال وأقوال بغدادية ص ١٠ .

ما اتّفق لفظُه وافترق مُسمّاه
من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

(٦)

حـرف التـاء

١٣٧ ــ بَابُ تَارَمَ وَيَارِمِ [١]

أَمَّا الأَوَّلُ بالتّاء وَقَبْلَ الْمِيمِ رَاءٌ ـــ : صُقْعٌ عَجَمِيٌّ مِن ناحِيَةِ زِنْجَان ، تُجْلَبُ مِنْهُ

(١) هذا الباب لم يرد في كتاب نصر.

لا يبين فيها إلا الجوع المتواصل .

١٤٣٥ ـــ «الْغَنَم تَرَخِّصُها شحومها»

أي : إذا سمنت الغنم بعد أن تَرْعَى الربيع رَخصَتْ قيمتها ، وذلك لأن عددها يكثر فترخص .

١٤٣٦ ـــ «غَيْمةٍ بَادَّه»

بادَّة : شاملة ، كأن معناها في الأصل مُتبدِّدة أي : متفرقة في أنحاء البلاد غير قاصرة على جهة منها وقد سبق استعمالهم الكلمة في قولهم «جربوع بَدّ على غزو» وذكرنا تخريجها هناك .

والمعنى : هي غيمة منتشرة في البلاد ، شاملة لها ، قد بلغ مطرها الجميع . يضرب للخير يعم كثيراً من الناس .

الريـاض ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ **محمد بن ناصر العبودي**

(١) أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤٧٥ .

فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى التَّارِمِيُّ الْمُقْرِي ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْفَضْلِ الْبَاطِرْقَانِيُّ فِي «طَبَقَاتِ الْقُرَّاءِ»(١) .

وَأَمَّا الثَّانِي : ــ أَوَّلُهُ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ ــ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى إِصْبَهَانَ ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهَا أَيْضاً قَالَهُ لِي أَبُو مُوسَى الْحَافِظُ(٢) .

١٣٨ ــ بَابُ تَبْرِيزَ وَنَيْرِيزَ(٣)

أَمَّا الأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ زَايٌ ــ : مِنْ أَشْهَرِ بِلَادِ أَذَرْبِيجَانَ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالرِّوَايَةِ . قَالَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ نَاصِرٍ : سَمِعْتُ أَبَا زَكَرِيَّاءَ التَّبْرِيزِيَّ يَقُولُ : تِبْرِيزُ بِكَسْرِ التَّاءِ(٤) .

وأَمَّا الثَّانِي ــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَةٌ مُعْجَمَةٌ بِاثْنَتَيْنِ مِنْ تَحْتِهَا والْبَاقِي

---

(١) عَدَّ ياقوت في «معجم البلدان» تارم ــ بفتح الراء ــ كورة واسعة في الجبال بين قَزوين وجيّلان ، ذات قرى ونسب إليها المقريء ــ كما ذكر الحازمي ــ وذكر أيضاً : تارم بُلَيْدة في آخر حدود فارس من جهة كرمان ، بينها وبين شيراز اثنان وثمانون فرسخاً ــ وذكر أن أهل شيراز يسكنون الراء (تَارْم) .

(٢) نص كلام ياقوت : يارِمُ ــ بكسر الراء ــ من قرى أصبهان ، ينسب إليها أبو موسى الحافظ . وبَارِم في شعر أبي تمّام موضع . انتهى ويظهر أن في كلام ياقوت خطأً أو نَقْصاً ، إذ أبو موسى هو شيخ الحازمي ، والحازمي لم ينسبه الى القرية ، وهو أعرف به ، وإنما ذكر أنها يُنسب اليها ، ولم يذكر المنسوبين .

وأبو موسى الحافظ هو محمد بن عمر بن أحمد الأصبهاني المدينيُّ (٥٠١ ــ ٥٨١ هـ) من كبار حفاظ الحديث ومشاهير العلماء ، منسوب الى مدينة إصبهان التي فيها ولد وتوفي .

(٣) هذا الباب في كتاب نَصْرٍ : (باب تَبْرِيز ، ونَيْرِيز ، وتَيْزِين ، ويَبْرين) .

(٤) من كلمة : (ينسب اليها) إلى آخر الكلام على تبريز ليس في كتاب نصر ، وياقوت ضبط الاسم ــ نقلاً عن السمعاني ــ بكسر التاء ، وأحسن وصفها ومما قال : ولَمْ أرَ ــ فيما رأيتُ ــ أطْيَب من مشمشها المُسَمَّى بالموصول ، وشريته بها في سنة ٦١٠ كل ثمانية أمنان بالبغدادي بنصف حبّة ذَهَب وأطال الوصف وقال : وقد خرج منها جماعة وافرة من أهل العلم ، منهم إمام الأدب أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، قرأ على أبي العلاء المَعَرّي بالشام ــ وأبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وتوفي في بغداد سنة ٥٤٠ .

وأبو الفضل بن ناصر هو محمد بن ناصر بن محمد السلامي ــ نسبة إلى مدينة السلام ، بغداد (٤٦٧/ ٥٥٠ هـ) مُحَدِّث مشهور .

والتبريزي يحيى بن علي (٤٢١ ــ ٥٠٢ هـ) من كبار أئمة الأدب واللغة ، له مؤلفات مشهورة .

نَحْوَ الْأَوَّل ـــ : مِنْ أَعْمَالِ شِيرَازَ ، يُنْسَبُ إِلَيْها أَبُو نَصْرٍ الْحَسَيْنُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ جَعْفَرٍ النَّيرِيزِيُّ ، حَدَّثَ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ الْحَسَنِ بْنِ العَبَاس بْنِ مُحَمَّدٍ الخَطِيْب ، وأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدٍ بن جَعْفَرٍ ، قال الْأَمِيرُ أَبُو نَصْر : حَدَّثَنَا عنهُ خُدَادَاذ النَّشوِيُّ وَبيَّنَهُ لي[1] .

١٣٩ ـــ بَابُ تَبَالَةَ وَنِبَالَةَ

أَمَّا الْأَوَّلُ ـــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيْقِ الْيَمَنِ لِلْخَارِجِ مِنْ مَكَّة ، كَثِيْرُ الْخِصْبِ ، لَهُ ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِي الْأَخْبَارِ وَالْأَمْثَالِ وَالْأَشْعَارِ ، وَمِنْ أَمْثَالِهِ : ما نَزَلْتَ تَبَالَةَ لِتَحْرِمَ الْأَضْيَافَ وَقَال لَبِيْدٌ :

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْغَرِيْبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تَبَالَةَ مُخْصِبٌ أَهْضَامُهَا[2]

وَأَمَّا الثَّاني ـــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَكْسُورَةٌ وَالبَاقِي مِثْلُ الْأَوَّلِ ـــ : قِيْلَ مَوْضِعٌ تَهَامٍ ولاَ

---

(١) في كتاب نَصْرٍ : (وما أوله نون مكسورة ثم ياء تحتها نقطتان وآخره زايٌ أيضاً : من بلد فارس) .
وما أورده الحازمي نقله عن الأمير أبي نصر علي بن هبة الله بن ماكولا (٤٧٥ هـ) صاحب كتاب «الإكمال» من كتابه هذا (ج ١ ص ٥٤٤) .
ويظهر أن ياقوتا نقل عن الحازمي وزاد : (بلد من نواحي شيراز له رستاق واسع ، ووقع في اسم (خداداذ) تصحيف فجاء (خدّاد) والاسم فارسي .

(٢) تبالة : وادٍ فيه قرية تدعى تَبَالَة . وقرية الهَضبة ، وهي قرية تبالة القديمة ، والوادي من روافد وادي بيشة ، يجتمع به فيا قريتي الروشن والدَّحو وطريق اليمن المتجه الى نجران وصعدة بجزع الوادي .
وشرح المثل على ما ذكر علماء اللغة إن خصب تبالة نعمة من الله منحها أهل هذا الوادي ليجودوا بها على الناس ، لا ليمنعوهم . وأرى للمثل معنى آخر وهو أن تبالة تقع على مجتمع طرق كثيرة ، ولهذا فعلى من نزلها أن يتحمل ما يجب للضيف من إكرام .
وبيت لبيد بن ربيعة من معلقته المعروفة :

عَفَتِ الدِّيَار مَحَلُّها فمُقامُها بمنىً تأبَّد غَولها فَرِجامُها

والأهضام : جمع هَضَم المُطمئنُّ من الأرض ، فأهضام تَبالة ما انخفض من أرضها بين جبالها حيث القرى .
وأطال ياقوت القول في تبالة ، وفرّق بين تبالة الحجاج ، وتبالة التي في اليمن ، ولا وجه للتفريق (وانظر مجلة «العرب» س ٥ ص ٢١٠ وما بعدها) .

أعْرِفُ لَهُ صِحَّةً(٢)

١٤٠ ــ بَابُ تَبّتَ وَتِنّب وَتَيْبَ

أمَّا الْأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ التّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوحَّدةٌ مَضْمُومَةٌ مُشَدَّدَةٌ ، هٰكَذَا يَقُولُهُ عَوَامُّ النَّاسِ وقال بَعْضُهُمْ : هُوَ بِضَمِّ التَّاءِ وفَتْحِ البَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ــ : مَوْضِعٌ من وَرَاءِ النَّهْرِ فِيْ بِلاَدِ التُّرْكِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْمِسْكُ الْفَائِقُ والدَّرَقُ الجِيَادُ(١) .

وَأمَّا الثَّانِيْ ــ بِكَسْرِ التَّاءِ بَعْدَهَا نُوْنٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْعَوَاصِمِ ، قُرْبَ قِنَّسْرِيْنَ(٢) .

وأَمَّا الثَّالِثُ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نَقْطَتَانِ تُشَدَّدُ وَتُخَفَّفُ : جَبَلٌ قَرِيْبٌ مِنَ الْمَدِيْنَةِ(٣) .

---

(١) لا أرى اسم (نبالة) بالنون الا تصحيف (تبالة) بالتاء المثناة الفوقية وياقوت قلد الحازمي في هذا فقال : نبالة بالكسر واللام ــ قال الحازمي : موضع يمانٍ أو تهام : وقيل بالنون والكاف . انتهى فهل اطلع على نسخة أخرى من كتاب الحازمي ؟؟

وهناك من عد نبالة من تهامة كالأزهري في «تهذيب اللغة» والواقع أنها ليست من مُسمّى تهامة ، فهي شرق جبال السراة وتهامة غربها محاذية للبحر .

(٢) أورد ياقوت اسم (تُبّت) بالضم ثم قال : وكان الزمخشري يقوله بكسر ثانيه ، وبعض يقوله بفتح ثانيه ، ورواه أبو بكر محمد بن موسى ــ يعني الحازميُّ ــ بفتح أوله وضم ثانيه مشدد في الروايات كلها ــ ثم أطال الكلام ومما قال : وفي أهله رقة طبع ، وبشاشة وأريحية تبعث على كثرة استعمال الملاهي وأنواع الرقص ، حتى أن الميِّت ، إذا مات لا يُداخل أهله كثير الحُزْن كما يلحق غيرهم ــ ثم حاول تعليل الاسم بإرجاعه إلى أصْل عربي ، وما أراه مصيبا ، وعلّل جودة المِسْك التُّبّتي والدَّرق ــ جمع درقة ــ وهي قطعة من حديد يتّقي بها الفارس ضربة السيف يحملها بيده .

(٣) تِنّبُ ــ في مخطوطتي كتاب الحازمي ــ تنت ، وأراه تصحيفاً ، وتِنّبُ ــ بالكسر وآخره باء موحدة ــ قال ياقوت : قرية كبيرة من قرى حَلَب ، وذكر بعض من نُسِبَ إليها (وانظر «الأنساب» للسمعاني ، ج ٣ ص ٨٤ تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي .

(٤) تيبُ ــ الجبل الذي يقرب المدينة يعرف الآن باسم (تيم) بإبدال الباء ميماً ، ككثير من الأسماء المماثلة له لتقارب مخرجي الباء والميم كالرقم المعروف الآن باسم (الرقب) ويسمى أيضاً تَيْأب (وانظر كتاب «في شمال غرب الجزيرة» ص ٥٥٠) وهو واقع في شرق المدينة يشاهد من سد العاقول رأي العين .

١٤١ ــ بَاب تَبُوكَ ، وَنُبُوكَ

أَمَّا الأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مضمومةٌ مُخَفَّفَةٌ وَآخِرُهُ كَافٌ ــ : قَرْيَةٌ نَاحِيَةَ الشَّامِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ وَادِي الْقُرَى مَرَاحِلُ ، وَإِلَيْهَا انْتَهَى رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَمَّا أَرَادَ غَزْوَ الرُّومِ ، وَبِئْرُ تَبُوكَ لها قِصَّةٌ تُذْكَرُ في أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ ، وكانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ أَمَرَ ابْنَ عَرِيْضٍ اليَهُودِيَّ أَنْ يَطْوِيَ بِئْرَ تَبُوكَ ، لِأَنَّها كَانَتْ تَنْطَمُّ كُلَّ وَقْتٍ[١] .

وَأَمَّا الثَّاني ــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَضْمُومَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ــ : اسْمُ مَوْضِعٍ بِهَجَرَ[٢] .

١٤٢ ــ بَابُ تَرْقُفَ وتُرْقَبَ

أَمَّا الأَوَّلُ ــ بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَ الرَّاءِ السَّاكِنَةِ قَافٌ مَضْمُومَةٌ وآخِرُهُ فَاءٌ ــ : اسْمُ بَلَدٍ ، قَالَهُ الأَزْهَرِيُّ ، يُنْسَبُ إِلَيْهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي عِيْسَى التَّرْقُفِيُّ ، أَحَدُ أَئِمَّةِ الْحَدِيْثِ ، وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْعُبَّادِ ، وهُوَ كَثِيْرُ الْحَدِيثِ وَاسِعُ الرِّوَايَةِ .

وقِيْلَ : تَرْقُفُ اسْمُ امْرَأَةٍ[٣] .

---

(١) تَبوك أصبحت الآن من كُبريات مدن المملكة ، وقد فصلت الحديث عنها في (قسم شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وقصة بئر تبوك اوردها المؤرخون كابن كثير في «البداية والنهاية» وغيره ممن تقدمه .

(٢) النُّبوك التي بناحية هجر ، قد تكون جمع نَبْكٍ ، وهو وصف وليس عَلَماً ، على أن ياقوتا قال : النبوك ــ بالضم والواو ساكنة ــ جمع النبك ، وهو جمع نَبَكَةٍ ، وهي الروابي من الرِّمال اللَّينة ، وهي أرض جَرعاء بأحساء هَجَر . انتهى . على أن النُّباك ــ الموضع الذي ذكر البكري في «معجم ما استعجم» أنه في البَحْرين ــ لا يزال معروفاً ، وقد أصبح هِجرةً من هُجَر قبيلة آل مُرَّة ، يقع جنوب الاحساء بنحو مئتي كيل ولكنه ليس المقصود بكلام الحازميّ ، الذي يفهم من كلام ياقوت قربه من الاحساء (وانظر الاسم في (قسم المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(٣) نقل ياقوت ما هنا ومما زاد عن تَرْقُفَ : (وأظنه من نواحي البندنيجين ، من بلاد العراق) وأرَّخ وفاة العباس بن عبدالله التَّرْقُفِيّ بسنة ٢٦٨ أو ٢٦٧ وبَنْدنيجين تعرف الآن باسم (مَنْدَلي) شرق بَعْقُوبابنحو ٩٣ كيلاً ، بقرب الحدود العراقية الايرانية (أنظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» هامش ص ٨٨) .

وَأَمَّا الثَّاني — أَوَّله ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَضْمُومَةٌ وَبَعْدَ القَافِ بـآءٌ مُوَحَّدَةٌ — : اسْمُ مَوْضِعٍ وَيُقَال فيه : فُرْقُبُ أَوَّلُهُ فَاءٌ فَأَبْدِلَ الثَّاءُ قَال الْفَرَّاءُ : زُهَيْرٌ الْفُـرْقُبِيُّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ مَنْسُوبٌ الى مَوضعٍ قال اللِّحْيَانِيُّ : ثَوْبٌ فُرْقُبِيٌّ وثُرْقُبِيٌّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ(١) .

١٤٣ — بَابُ تِرْيَمَ وَبِرْثُم

أَمَّا الأَوَّلُ — بِكَسْرِ التَّـآءِ وَسُكُوْنِ الرَّآءِ بَعْدَهَا يَـآءٌ مَفْتُوحَةٌ تَحْتَها نُقْطَتَان — : وَادٍ بِالْحِجَازِ قَرِيْبٌ مِنْ يَنْبُعَ ، قَال كُثَيِّرٌ :

إِلَـيْـكَ تَـرَامَـى بَـعْـدَمَا قُلْتُ قَدْ بَدَتْ
جِبَالُ الشَّبَا أَوْ نَـكَّبَتْ هَضْبَ تِرْيَمِ(٢)

---

(١) لم يذكر ياقوت في «معجم البلدان» اسم (ثرقب) في موضعه من حرف الثاء ، ولكن في حرف الفاء ، وأورد ما هُنا سوى كلام اللّحياني فقد أبدله . بما نصه : (وقال الأزهريُّ : الفُرقبيّة ثياب بيضٌ من كتّانٍ ، والقُرْقُبِيَّة كذلك) .

(٢) تِرْيَمُ — الوادي الذي في الحجاز — لا يزال معروفاً ، وهو بَعيد عن يَنْبُع ، فهو في أقصى الشّمال ، حيث تنحدر فروعه من جبال حِسمى نحو الغرب حتى يصب في البحر ، شمال مِيناء المُويلح ، على مقربة من مدخل خليج العقبة ، جنوب حَقْل ، بقرب خط الطول ١٥/ ٣٥° وخط العرض ٥٨/ ٢٧° .
وكرّر كُثيِّر ذِكر تِرْيم ، ويُضرب المَثَلُ بكثرة دَومه وفي كتاب نَصر عن تِرْيَمَ : وادٍ قريب من يَنْبُع ، وقِيْل : دون مَدْيَن ، وأيضاً : موضع أظُنُّه في بادية البصرة . انتهى .
وكون كُثيِّر ذكره مع الشَّبا يفهم منه أنّه يقصد موضعاً آخر غير الوادي المعروف ، والذي قِيْل : إنّهُ دون ينبع .
وفي «معجم البلدان» : تِرْيَمْ وادٍ بين المضائق وبين ينبع ، قال ابن السِّكِّيتْ : تِرْيَمُ قريب من مَدْيَن ، وأورد ياقوت شِعراً لكثيّر وللفضل بن العباس اللّهبي اضافا اليه الدَّوم .
أما البكري فأورد في رسمه شواهد من الشعر منها لكثير ، وأحال في تحديده إلى ما ذكر في رسم المُضَيِّح ، وذكر فيه : ثم تنزل تِرْيَمَ وهي لبني جشم ، ثم تنزل السِّيَّ ، فقد صَحَّفَ الاسم هنا وصوابُه بُرَيم ولا يزال معروفاً من مياه حَضَنٍ ، وكان لبني جُشَم ، وهو بقرب السِّيِّ — رُكبة .
أما الشَّبا فهو — على ما يفهم من نصوص المتقدمين — : من فروع وادي الصَّفراء بقرب الأُثَيْل الذي تقدم ذكره ويجمل القول : تِرْيَمُ وادٍ شمال الحجاز في الأرض المعروفة قديماً باسم مَدْيَن ، وقد يطلق الاسم على مواضعَ أخرى منها : ما هو بين ينبع والصفراء على ما يفهم من كلام ياقوت انه بين المضائق وينبع ، ولعله يقصد المضيق المعروف الآن بنقب عليٍّ ، وهو الثنية التي منها يتنزل القادم من ينبع الى وادي الحمراء — من فروع الصَّفراء — المعروف قديماً باسم مَبْرك ، وياقوت لم يذكر المضايق في موضعه مما يوقع الشَّكُّ في هذا الاسم والثنية المذكورة تدعى مضيق الصفراء (أنظر «المغانم المطابة» — ٤٤٤) .

وَأمَّا الثَّاني — أوّلُه بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ ، وَرَأيْتُ في بَعْضِ النُّسَخِ يَآءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَفْتُوحَةٌ وَبَعْدَ الرَّآءِ الساكنة ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَضمُومَةٌ . قَالَ الكِنْدِيُّ[1] : وَبَيْنَ أُبْلَى مِنْ قِبَلِ القِبْلَةِ جَبَلٌ يُقَال لَهُ بَرْثُمُ وَجَبَلٌ يُقَالُ لَهُ تَعَارِ ، وهُمَا جبلاَنِ عَالِيَان لا يُنْبِتَانِ شيئاً ، فِيهِمَا النَّمْرَانُ كَثِيرَةَ ، وفِيْ أَصْلِ بَرْثُمَ مَآءٌ يُقَالُ لَهُ ذَنَبَان العيْصِ وقال في مَوْضِعٍ آخر : يَرْثُمُ — أوّله يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان : جَبَلٌ شَامِخٌ كَبِيرٌ ، كَثِيرُ النُّمُورِ والأَرْوى ، قَلِيْلُ النَّبَاتِ ، إلاَّ ما كَانَ من ثُمَامٍ وغَضْوَرَ ، وما أشْبَهَهُ .

١٤٤ — بَابُ تُرَبَة وَبَرَثَة وَبُرَيْه

أمَّا الأَوَّلُ — بِضَمِّ التَّآءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ بَعْدَهَا بآءٌ مَفْتُوحَةٌ أيْضاً — : وَادٍ يَقْرُبُ مِنْ

---

(١) الكلام الذي نسبه الحازمي للكندي من رسالة عرّام «أسماء جبال تهامة» والكِنْديُّ هو راوي الرسالة عنه . والاختلاف في اسم الجبل القريب من أُبْلى هل هو بالباء الموحدة أو بالمثناة التحتية اختلاف قديم يظهر أنه ناشيء عن كون عرّام أملى رسالته ، ثم تداولها الرّواة بطريق الكتابة لا من طريق السماع ، وانظر ما نقل ياقوت في «معجم البلدان» رسم (برثم) و(يرثم) فهو ينطبق على جبل واحد من جبال بني سُلَيم . ومع أن أُبْلَى وتَعَار لا يزالان معروفين — بقرب المَهْد — معدن بني سُلَيم قديماً إلاّ أن اسم يرثم ليس معروفاً الآن — فيا أعلم .
أمّا ذنبان العيص فكذا ورد في رسالة عرام ، وسمّاه البكري ذنابة العيص فقال — فيا نقل في رسالة عرّام التي وصلت اليه وان لم يُصَرِّح بذلك — في رسم شُواحط — وبأسفل بيضان موضع يقال له العِيْص ، فيه ماء يُقال له ذِنَابَةُ العِيْص . ومما ذكر نَصْرٌ في كتابه في هذا الباب .
١ — بُرَيْم : قال : بضم الباء الموحدة وفتح الراء — : واد بالحجاز قرب مكّة ، ويروي بفتح الباء وكسر الراء في شِعْر ، ولا أدري ما هو ، وقيل : بُرَيْم لعامر بن ربيعة ، وهم شركاء بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن انتهى .
وأُضيف : بُريم — بضم الباء — منهل لا يزال معروفاً في وادٍ من أودية حضن الشمالية يطلق عليه الاسم ، وكان من مياه بني جشم ، وهم شركاء عامر بن ربيعة بن عُقَيْل بن عامر — على ما في كتاب «بلاد العرب» ص ٧ — وحَضَن خارج عن مُسَمَّى الحجاز إذ (مَنْ رأى حَضَناً فقد أنْجَدَ) .
وذكر نَصْرٌ أيضاً :
٢ — تَرِيْمُ — بفتح التاء وكسر الراء — قال : بالشام ، وقيل : بلد من حَضْرَمَوْت ، ويروى بالهمزة بدل التاء . انتهى .
والبلد الذي بحضرموت لا يزال معروفاً ، تحدث عنه الهمداني في «صفة جزيرة العرب» وغيره وهو من مدن حضرموت الشهيرة .

مَكَّةَ عَلَى مَسَافَةِ يَوْمَيْنِ مِنْهَا يَصُبُّ إِلَى بُسْتَانِ ابْنِ عامِرٍ ، يَسْكُنُهُ بَنُو هِلَالٍ قَالَهُ الْكِنْدِيُّ .

لَهُ ذِكْرٌ فِي أَثَرِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[1] .

وأَمَّا الثَّانِي ـــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مفتوحةٌ ثُمَّ رَاءٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مفتوحَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْكُوفَةِ ، لَهُ ذِكْرٌ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ[2] .

وَأَمَّا الثَّالِثُ ـــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ ـــ : نَهْرُ بُرَيْهٍ مِن أَنْهَارِ الْبَصْرَةِ فِي شَرْقِي دِجْلَةَ[3] .

١٤٥ ـــ بَابُ تُرْعَة وَبَرَعَة

أَمَّا الْأَوَّلُ ـــ بِضَمِّ التَّاءِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ـــ : قَرْيَةٌ بِالشَّام ، قِيل : يُنْسَبُ إِلَيْهَا

---

(١) وَادي تُرَبة لا يزال معروفاً ، وفيه بلدة بهذا الاسم ، وأعلى هذا الوادي ينحَدِرُ من سراة الحجاز من بلاد زهران وغامد ، ويدعى أعلاه أَبِيْدَة (بِيْدَة) أنظر عنه كتاب «في سراة غامِدٍ وزهران» ، وأسفله يفيض الى الخرمة ، ثم ينحدر مشرقاً ، فتحجزه رمال عِرْق سُبَيْعٍ المعروف قديماً باسم رملة بني عبدالله بن كلاب .
وهو بعيد من مكة ، ولا صلة له ببستان بن عامر ، وقول الكِنْدي الذي نقله الحازمي ورد في رسالة عَرَّام ، والكِنْدي هو راويها . وأرى الخطأ فيها ناشيء عن سقط في الكلام من أحد النساخ ، وهذا يحدث كثيراً في تحديد الأمكنة والوادي الذي ينحدر إلى البستان هو النّخلتان ، وهما واديان ـــ كما هو معروف ـــ وهو بستان ابن مَعْمَرٍ ـــ أنظر كتاب «بلاد العرب» ص ٣٧٤ .
وعُمَر بن الخطاب رضي الله عنه أغزاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسار إلى بني عامر في تُربة فبلغها .
واسم تُربة يُطْلَقُ على غير هذا الموضع ـــ أنظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ـــ قسم شمال المملكة ـــ ففي منطقة حائل في الدهناء منهل مشهور بهذا الاسم ، ويظهر أنه هو الذي ذكر ياقوت عن أحد ساكني الجبلين أنه غربي سَلْمَى وأن كلمة (غربي) سبق قلم ، فهو شرق سَلْمَى بمسافة طويلة .

(٢) لم يزد ياقوت في «معجم البلدان» على ما في كتاب الحازمي عن بَرَثة ، ولم يُصَرِّحْ بالنقل عنه ، ولم أجد ما أضيفه .

(٣) وما في «معجم البلدان» عن نهر بُرَيهٍ هو ما في كتاب الحازمي ، بدون زيادة ، ويظهر أنه الأصل ، وصاحب «مراصد الاطلاع» وصاحب «تاج العروس» لم يُضِيفَا شيئاً .

بَعْضُ الرُّواةِ[1] .

وَأَمَّا الثَّانِيْ ـــ أَوَّلُهُ يـاَءٌ تَحتَها نُقْطَتَانِ مفتُوحَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً ـــ : مَوْضِعٌ بَيْنَ بُوَانَة والحُرَاضَةِ[2] ، في دِيَارِ فَزَارَةَ ، وَهُوَ مِنْ أَعْمَالِ والي الْمَدِيْنَةِ .

١٤٦ ـــ بَابُ تَرْنَكَ وَتَرِيْك وَبُرَيْكٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَفتُوحَةِ رَاءٌ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ نُوْنٌ مَفْتُوحَةٌ ـــ : وَادٍ نَاحِيَةَ بُسْتَ لَهُ ذِكْرٌ فِيْ الْفُتُوحِ[3] .

وَأَمَّا الثَّانِيْ ـــ بَعْدَ التَّاءِ رَاءٌ ، مَكْسُورَةٌ ثُمَّ يَاءٌ تَحتَها نُقْطَتَانِ ـــ : مَوْضِعٌ بِالْيَمَنِ مُجْتَمَعُ مِيَاهٍ[4] .

وأَمَّا الثَّالِثُ أَوَّلُه بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ ثُمَّ رَاءٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا يَاءٌ سَاكِنَة تحتها نُقْطَتَانِ ـــ : بَلَدٌ

---

(١) لم يَرِد ياقوت في «معجم البلدان» في تعريف تُرعة على ما هنا ونسب الكلام إلى نصر ولكنْ لم يرد في مخطوطة كتابه (يُنسب اليها بعض الرواة) فلعل ياقوتا اطلع على مخطوطة أخرى أو نقل عن الحازمي ، ولم أر في كتاب «الأنساب» في حرف التاء ـــ للسمعاني اسما منسوباً اليها ، مع حرص السمعاني على الاستقصاء .

(٢) يَرَعَةُ التي بَيْنَ الحُراضة وبُوانَة عَرَّفَهَا نَصْركا في كتاب الحازميّ الذي نقل نَصَّ كلام نَصْرٍ في هذا الباب ولم يزد عليه سوى جملة ، (ينسب إليها) التي تقدم ذكرها والحراضة وبُوانة موضعان بقعان شمال بلاد يَنْبع ، ولا يزالان معروفين ، ولكنهما ليسا من بلاد فزارة في ذلك العهد ، بل من بلاد جُهَيْنة غرب بلاد فزارة ـــ وانظر عن بوانة «المعجم الجغرافي للبلاد العربية» قسم شمال المملكة . وعن الحراضة مجلة «العرب» السنة الثانية ص ٨٣٣ .

(٣) قال نصر بعد أن ضبط اسم تَرْنك ـــ بفتح التاء وسكون الراء وفتح النون ـــ : وادٍ بين سِجِسْتان وبُسْتَ وهو إليها أقرب . ونقل ياقوت كلام نصر منسوباً إليه وقبله قال : بلد بناحية بُسْتَ له ذكر في الفتوح ـــ أي نقل كلام الحازمي غير منسوب وأبدل (واد) بكلمة بلد .

(٤) وقال نصر عن تَرِيْك ـــ بعد ضبطه : مجتمع مياه ومغايض في أسفل اليمن ـــ وفي «معجم البلدان» : موضع باليمن من أسافله ، وهو مياه ومغايض ، وفيه روضة ذكرتْ في الرياض ، ولم أر لهذا الموضع ذكرا في كتاب «صفة جزيرة العرب» مع تَقصّي مؤلفه في ذكر المواضع اليمنية .

باليَمَامَةِ يُذكر مَعَ بِرْكٍ ، بَلَدٍ آخَرَ ، وَهُمَا مِنْ أعمَال الْخِضْرِمَةِ وَلَهُمَا ذِكْرٌ فِي أَيَّامِ العَرَبِ وَالأَشْعَارِ[1] .

ومَوْضِعٌ أَيْضاً فِي طَرِيقِ عَدَنَ[2] .

---

(1) تعريف بِرْك عند نَصْر : بلد من اليمامة ثم من أعمال الخضرمة ، يُذْكَرُ مع بِرْكٍ بَلَدٌ هناك . انتهى كذا وصواب برك الأخيرة (بُرَيك) وهو واد لا يزال معروفاً . وأورد ياقوت في تعريف بِرْك الذي في اليمامة أقوالا منها : أنه لِقُشير ولِهِزَّان ولِجَرْم وأنه يصب في الجازة ، وانه يُثنى مع نَعَام ــ وادٍ آخر ــ فيقال فيهما البِرْكان . وكل هذا صحيح ، فقشير وجَرْم كانوا من أهل فروع الوادي المتصل بجبل العارض ، وهزّان في وسطه . وبرك ونعام واديان لا يزالان معروفين ، وكذا وادي بُرَيك ــ الذي يذكر مع بِرْكٍ ، هو وادي الحوطة ــ حوطة بني تميم .
والخضرمة كانت قاعدة بلاد اليمامة ، وهذه خضرمة الخرج ، ويقال جَوّ الخضارم ، وهناك قديماً كان مَقَرُّ بني الأُخيضر ، ولاة اليمامة منذ منتصف القرن الثالث الهجري إلى سنة ٣١٧ ــ تقريباً ــ حين استولت القرامطة على البلاد .

(2) وقال نصر عن برك الذي في اليمن : بين المنزل التاسع عشر والعشرين لحاج عَدَنٍ . وأضيف : بِرك هذا لا يزال معروفاً وهو وادٍ من أشهر أودية تهامة . يفيض في البحر ، وقرب مصبه بلدة على شاطىء البحر ، فيها مَرسى للسفن الشراعية ، وللمراكب البحرية الصغيرة ، شمال ميناء القَحْمَة ، وجنوب وادي حَلْي ، ومصبه في البحر بقرب خط الطول ٣١/ ٤١َ وخط العرض ١٥/١٥َ .
وفَرّق الهمداني في «صفة جزيرة العرب» بين البِرْك هذا وبيّن بِرْك الغماد ، حيث حدّد الأخير في بلاد الخَنْفريِّين في سفلى المعافر في أقصى اليمن (ص ٣٦٦ط دار اليمامة) على أن المفهوم من قول كثير :

بِوَجْهِ أخي بَني أَسَدٍ قَنَوْنا إلى يَبَةٍ إلَى بِرْكِ الْغِمَادِ

ــ المفهوم من هذا البيت أن بِرْك الغماد هو البِرك الواقع في تهامة ، لا أقصى اليمن كما ذكر الهمداني ــ فَيَبَةُ وقَنَونَا واديان لا يزالان معروفين بِقُرْبِ بِرْكِ تِهامة .
وأغرب البكري في «معجم ما استعجم» ــ ٢٤٣ ــ فقال عن بِرْكٍ : هو في أقاصي هَجَر ، الا أنه مُنْضَافٌ إليها ، هو بِرْكُ الْغِمَاد الذي ورد في الحديث . انتهى وكنت ظننت أن يكون تَصحفٌ عليه قول الهمداني : وفي الحديث أنّ أبا الدَّرداء قال : لَوْ أَعيَتني آيَةٌ من كتاب الله عزّ وجل ، فلمْ أجد أحداً يفتحها عليّ إلا رجلٌ بِبِرك الغِمَاد لَرَحَلْتُ إليه ، وهو أقصَى حَجَر باليمن ، ذكَرَ بِرْك الْغِمَاد ثم ذكر موضعه من قصور اليمن . انتهى فأقصى حَجَر ، يسهل تصحيفها إلى أقصى هجر أو أقاصي هجر . ولكنّي رأيت ياقوتاً نقل عن عياض : بِرْكُ الغماد موضع في أقاصي هجر ، وأورد رجزاً فيه :

جَــارِيــةٌ مِنْ أشــعَــروعَكّ بَــيْــنَ غادي يَــبَــةٍ وبِــرْكِ
مُــنْــهَــافَــةُ الأعْــلَى رَدَاحُ الوِرْكِ فِي قَــطَــنٍ مــثــلِ مَــدَاكِ الــرِّهْكِ

وهذا الرَّجزُ يَدُلُّ على أن المقصود بركُ تهامة حيثُ قَرَنَهُ بـ(يَبَةٍ) بصرف النظر عن تصحيف الاسم إلى (نَبّة) . وهو الذي حدّد ياقوت المسافة بينه وبين مكة بخمس ليال ، وذكر أنَّ عبدالله بن جُدْعان التَّيمي القُرشيَّ دُفِنَ

١٤٧ — بَابُ تِرْمِذَ وَتَرْمُذَ وتُرْمَدَ

أَمَّا الأَوَّلُ — بِكَسْرِ التَّاءِ بَعْدَهَا رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ مِيمٌ مَكْسُورَةٌ وَآخِرُهُ ذَالٌ مُعْجَمَةٌ — : الْبَلْدَةُ الْمَعْرُوفَةُ ، وَرَاءَ النَّهرِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الأَئِمَّةِ وَالْحُفَّاظِ وَأَهْلِ الْعِلْمِ وفِيهِمْ كَثْرَةٌ(١) .

وَأَمَّا الثَّاني — بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْمِيمِ — : مَوْضِعٌ في دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ أَقْطَعَهُ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم حُصَيْنَ بْنَ نَضْلَةَ .

أَخبرني أَبُو جَعْفر أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ في كِتَابِهِ أَخْبَرَنَا أَبو عَلِيٍّ الشَّافِعِيُّ أنبأنا أَحْمَدُ بْنُ إبراهيم حدثنا مُحَمَّدُ بْنُ إبراهيم ، حدثنا أَبو يُونُسَ الْمدِيْني حدثنا عَتِيْقُ بْنُ يَعْقُوبَ الزُّبَيْرِيُّ حَدَّثَنِي عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ أَبي بَكْرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْن عَمْرو بن حَزْمٍ عَنْ أَبِيْهِ عَنْ جَدِّهِ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ قَالَ : كَتَبَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « هذا كِتَابٌ مِنْ مُحمَّدٍ رَسُولِ الله لِحُصَيْنِ بْنِ نَضْلَةَ الأَسَدِيِّ أَنَّ لَهُ تَرْمُذَ وكُتَيْفَةَ لا يُحَاقُّهُ فِيْهَا أَحَدٌ» وكَتَبَ الْمُغِيْرَةُ ، كذا رَأَيْتُهُ مَضْبُوطاً في غَيْرِ مَوْضِعٍ وَكَذَالِكَ قَيَّدَهُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ نَاصِرٍ ، وكَانَ صَحِيْحَ الضَّبْطِ ، وَقَدْ رَأَيْتُهُ أَيضاً في غَيْرِ مَوْضِعٍ تُرْمَدَا ، أَوَّلُهُ تَاءٌ مُثَلَّثَةٌ ، وَالمِيْمُ أَيْضاً مَفْتُوحةٌ وبَعْدَ الدَّالِ المُهْمَلَةِ أَلِفٌ ، وهُوَ الصَّحِيْحُ عِنْدِي ، غَيرَ أَنِّيْ نَقَلْتُ الْكُلَّ كَمَا وَجَدْتُهُ ، وسَمِعْتُهُ والتَّحْقِيْقُ فِيْهِ في زَمانِنَا مُتعَذِّرٌ(٢) .

= عنده ، وهو في بلاد اليمن ، عند المتقدمين . وأورد ياقوت قول الهمداني أن برك الغماد في أقصى اليمن ، فلعل هذا الاسم يطلق على موضعين أو على مواضع .

(١) ترمذ : نقل ياقوت عن السَّمْعانيِّ الاختلاف في ضبط الاسم ، هل هو بفتح التاء أو كسرها أو ضمّها وكذا في ضبط الميم وذكر أن ترمذ من أمهات المدن ، راكبة على نهر جَيْحُونَ من جانبه الشرقي ، متّصلة العمل بالصغانيان . وعدّ من أشهر من ينسب إلى ترمذ الامام الترمذي المحدّث المشهور محمد بن عيسى وتجد وصْفاً وتحديداً لمدينة ترمذ في كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ٤٨٤ .

(٢) حقاً إنَّ تَحْقِيق تَرمذَ نُطقاً ومَوضعاً لا يزال مُتَعَذِّراً مُنْذُ عَهْد المؤلِّف وكل ما يستطيع الباحثُ عَمَلَهُ الآن مُحاولة تقريب تَحْديد الموقع .

١ — فهو في بلاد بني أَسَدٍ لأنَّ المُقطَعَ منهم ، وما كان الإقطاع لأحدٍ في عهد الرسول — صلى الله عليه وسلم

وَأَمَّا الثَّالِثُ ــ أَوَّلُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَفْتُوحَةٌ والمِيمُ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً ــ : شِعْبٌ بِأَجَإٍ ، لِبَنِي ثَعْلَبَةَ مِنْ بَنِي سَلاَمَانَ ، مِنْ طَيِّءٍ وقيل : مَآءٌ[3] .

= ــ على ما يظهر من الأحاديث الواردة فيه ــ يخرج عن بلاد القوم الذين منهم المُقْطِع . وبلاد بني أسد تقع شمال وادي الرُّمة إلى بلاد الجبلين أجإ وسَلْمى وغرباً أسافل الأودية المنحدرة من حَرَّةِ خيبر وحَرَّة فدك (الحائط) وشرقاً تَمْتَدُّ على طريق الحجِّ الكوفي الى الدهنا وشرقها .

٢ ــ ورد اسم الموضع مقروناً بموضع آخر حَدَّده صاحب كتاب «بلاد العرب» ــ ٧٤ ــ تحديداً دقيقاً واضحاً ، وهو كُتَيْفَةُ فقال : (وبأعْلَى مُبْهِل هذا جَبَلٌ يقال لهُ الْمُجَيْمِرُ ، وجبل آخر يقال له كُتَيْفَة ، وجِبَالٌ يُقَالُ لها الوَتِدات ، لبني عبدالله انتهى .

ومُبْهِلٌ هذا الوادي يُعْرَفُ الآن باسم (الْمَحَلاني) والعامة يسكنون الميم ، فيتوالى ساكنان ، وكُتَيْفَةُ جبل يعرف الآن باسم كُتَيْفان ، يقع في الشمال الغربي من وادي المَحْلاني ، فيا بينه وبين وادي الشُّعبَةَ ، المعروف قديماً باسم (الثَّلَبُوت) على ما حقق الأستاذ الشيخ محمد العبودي في مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٠ إلى ٢٧ ٩ وأُضيف : إن كُتيفان جبل أسود يشاهد رأي العين من مجتمع وادي الشُّعْبَة بوادي الرُّمة ، على ضَفَّةِ وادي الشعبة ، وفي سفحه منهل يُدْعَى كُتَيْفة ، لِولدِ سُلَيْمٍ من قبيلة حَرْب ، وتُعَدُّ كتيفة الآن من قُراهم ، وهي تبعد عن مدينة حائل نحو ١٩٩ (تسعة وتسعين ومئة كيل) في الجنوب منها

وَإذَنْ فَإِنَّ ثَرْمَدَ المذكور في خبر الاقطاع ــ ينبغي أن يكون بِقُرْب كُتَيْفَة هذه ، أي على ضفة وادي الشعبة شمال قرية الحاجر الواقعة في ملتقى وادي الشعبة بوادي الرُّمة (بقرب خط الطول ٤٥/ ٤١ وخط العرض ٢٨/ ٢٦) .

ويفهم من كلام صاحب «بلاد العرب» أن المُجَيْمِرَ وكُتيفة والوتِدَاتِ جبالٌ كلها لبني عبدالله بن غطفان .

والواقع أنَّ بلاد بني عبدالله هاؤلاء متصلة ببلاد بني أسدٍ ، بحيث لا يمكن التمييز بينها ، وكذا بلاد بني عَبْسٍ ، فالقبيلتان بنو عبدالله وبنو عَبْسٍ انفصلتا عن قومها غَطَفَان فجاورتا بني أسدٍ ــ أو بمعنى أوضح ــ انزاحتا عن بلاد قبيلتها شرقاً حتى اختلطتا ببني أسد .

ويلاحظ أن كُتَيْفَة يطلق على مواضع أخرى ، أشرت إلى بعضها في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وقول المؤلف أنه رأى اسم (ثرمد) بالألف فهذا اسم موضع آخر ، ذو شُهْرةٍ وذكر كثير في الأشعار ، وهو اسم قرية في الوشم واسم موضع ثانٍ على ما ذكر الأزهري في وادي السِتارَيْن (وادي المياه) شمال الاحساء .

(٣) ثَرْمَدُ ــ الذي في جبل أجإ لا يزال معروفاً ، وهو وادٍ ينحدر من أجا صَوْبَ الشمال الشرقي ، حتّى يَصُبُّ في مَشَار ، وفيه نخل قليل ، وأعلى ثَرْمَدَ يُدعى ثَرَامِدَ والعليّا ورُمَيض ــ كلها شِعَابٌ لثرمد وفيها نَخْلٌ ، ولا سكان في ثَرْمَد ، ولا ماء ، ونخله يشرب من المطر ، ويبعد عن مدينة حائل نحو عشرين كيلا ــ وانظر قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» وتعريف ثرمد ــ الذي أورده الحازمي ــ ورد في كتاب نصر ، في حرف الثاء (باب ثَرْمَد وثَرْمَدَ) وقَدْ سَمَّى الهجري ثَرْمَدَ هذا ثَرْمَدَاء ــ بالألف الممدودة ، وقال : مثل الذي في اليمامة ــ يقصد البلدة التي في الوشم ، وما أراه مُصيباً .

١٤٨ — بَابُ تَصِيلٍ وَنَصِيلٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِفَتْحِ التَّاءِ بَعْدَهَا صَادٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ — : في شِعْرِ الْمُذَالِ بْنِ الْمُعْتَرِضِ :

نَحنُ مَنَعْنَا مِنْ تَصِيلٍ وَأَهْلَهَا   مَشَارِبَهَا مِنْ بَعْدِ ضَمْءٍ طَوِيلِ

قَالَ السُّكَّرِيُّ : تَصِيلٌ بِئْرٌ في دِيَارِ هُذَيْلٍ .

وأَمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ نُونٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقي نَحْوَ الْأَوَّلِ — : رِوَايَةٌ ثَانِيَةٌ في الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ وقال السُّكَّرِيُّ : وأَمَّا بالنُّونِ فهُوَ شعْبَةٌ من شُعَبِ الْوَادي[١] .

١٤٩ — بَابُ تَغَنٍ وَبُعْقٍ

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً وَآخِرُهُ نُونٌ — : ذُو تَغَنٍ مَوْضِعٌ في شِعْرِ الْأَغْلَبِ[٢] .

وأَمَّا الثَّاني — أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَضمُومَةٌ بَعْدَهَا عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَةٌ وَآخِرهُ قَافٌ — : وَادِي الْأَبْوَاءِ يُقَالَ لَهُ الْبُعْقُ ، قاله أَبُو الْأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ وَقَالَ الشَّاعِرُ :

كَأَنَّكَ مَرْدُوعٌ بِشَسٍّ مُطَرَّدٌ   يُقَارِفُهُ مِنْ عَقْدَةِ الْبُعقِ هِيمُهَا[٣]

---

(١) قول السُّكَّرِيِّ ورد في كتاب «شرح أشعار الهذليين» له — ص ٨٦٠ — ونقله ياقوت في «معجم البلدان» في بابي التَّاء والنون .

وتَصِيل — بالتاء المثناة المفتوحة والصاد المهملة المكسورة بعدها مثناة تحتية ساكنة فلام — شِعْبٌ لا يزال معروفاً ، من روافد وادي السَّعْدِيَّة (يَلَمْلَم قديماً) محل إحرام حجاج اليمن ، وفي تَصِيلَ بِئْرٌ ، وسكانه فَهْمٌ ، أما نَصِيل — بالنون — فلم أعْرِفهُ ، ولا أستبعد أن يكون تَصْحِيفاً .

(٢) تَغَنٌ : لَمْ يَزِدْ ياقوت على تعريف الحازميّ ، ولمْ يَنْسِبْهُ إليه ، وأورده صاحب «التاج» منسوباً إلى نَصْرٍ ، وهو مذكور في كتابه في (باب بَغْر وبَعْر وتَغْنٍ) حرف الباء . والأغلب إذا كان العِجليُّ الرَّاجز فأكثر المواضع التي يذكرها في شرق الجزيرة ، بقرب بلاد قومه ، نواحي الكُوفة وما حَوْلَهَا .

(٣) القول بأنَّ البُعْق بقرب وادي الأبْوَاء لِعَرَّامٍ في رسالته ، وأبو الأشْعَث الْكِندِيُّ هو راوي الرسالة .
والبيت : كأنَّك مَرْدُوع — لِكُثَيِّر بن عبد الرحمن ، على أنَّ البكريَّ أورده في رسم (الحشا) قائلاً :

١٥٠ ــ بَابُ تَقْتَدَ وتُقَيِّدَ(١)

أَمَّا الأوَّل ــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ قَافٌ سَاكِنَةٌ ثم تاءٌ أُخْرَى مَضْمُومَةٌ وآخِرُهُ دَالٌ :

= (وبكنف الحشا وادٍ يقال له البُعْقُ ، وبكنفه الأيسر وادٍ يقال له شَسّ ، وهو بلدٌ مَهْيَمَةٌ ، لا تكون به الإبل ، يأخذها الهيام ، عن نقوع به ساكنة لا تجري ، والهُيامُ حُمَّى الإبل ، والحشا لِخُزاعة وضَمْرة ، أنشد السكوني :

كـأنَّك مَـرْدُوعٌ بِشَسٍّ مُـطَـرَّدٌ ... يُقارِبُهُ من عُقْرَةِ البُعقِ هِيمُها

ويلاحظ تصحيف (شسّ) و(عقدة) والسكوني هو راوي رسالة عرّام عن أبي الأشعث الكندي ، وما اورده البكريّ في تلك الرسالة . وأورد البكريُّ البيت أيضاً ــ فيا نقل عن ابن حبيب (البُقع) في رسم (شَسٌّ) من «معجم ما استعجم» وقال : البُقَع موضع هناك . وأورد ياقوت البيت كما أورده الحازميُّ في رسم (بَعَق) مع بقية الكلام غير منسوب إلى الحازمي ، وأورده في رسم (شَسٌّ) أيضاً ولكن ورد (النقع) لا البعق قائلاً : شَسٌّ وادٍ بعينه من أودية مُزَيْنَةَ ذكره كُثَيِّر ، وقال أبو بكر بن مُوسَى : شَسٌّ وادٍ عن يَسَارِ آرة ، وقال أبو الأشعث : هو بلدٌ مَهْيَمَةٌ مَوْبَأةٌ ، لا تكون به الإبل يأخذها الهُيَام ، عن نقوع بها ساكنة لا تجري ، والنقوع المياه الواقفة التي لا تجري ، وهي من الأبواء على نِصْف مِيْل ــ ثم أورد ثلاثة أبيات من شعر كُثَيِّر منها الشاهِدُ ، ولكن بلفظ (النقع) لا البُعْق ، وشرحه بقوله : مَرْدُوعٌ : مَنْكُوسٌ . يقارِفُهُ : يُدَانيه . العُقْدَةُ : الموضع الشجير . انتهى .

والخلاصة : أن اسم الموضع مُخْتَلِفٌ فيه ، ولكنها موقعه بقرب الأبواء الوادي الذي لا يزال معروفاً . ولا أستبعد أن يكون غير بعيد عن قرية (الخُرَيْبَة) حيث اتّساع الوادي واجتماع سُيُول روافده ، التي يتكون منها اجتماع المياه وركودها في ذلك المتّسع ، ويُلاحظ أنَّ مياه الوادي قَلَّت في زماننا ، وتغيَّرت طبيعة أرضِهِ ، كغيره من كثير من بقاع الجزيرة .

(١) في كتاب نَصْر : (باب تُقَيِّده ، ونُقَيْدَه ، ونَقْتَدَ)

وتعريف تَقْتَد زاد فيه نَصْرٌ : وقيل : قرية بينها وبين قَلَهَا (قلنها في المخطوطة) جَبَلٌ يقال له أُدَيمة ، والجميع من ديار سُلَيْم . ولَمْ يُورِدْ نَصْرٌ الرَّجَز . وقد أوردَهُ ياقوتٌ ، ونَسَبَه لأبي وَجْزَةَ الفَقْعَسيِّ وفي «التاج» قال الصاغاني : الرجز لأبي وجْزَة الفَقْعَسيّ ، وقيل لِجَبْر بن عبد الرحمن . وأشار إلى أن من شواهد النحويين فيه :

تذكرت تَقْتَد بَرْدَ مَائِها

في نصب (بَرْد) لأنه جعله بدلاً من تَقْتَدَ .

وأرى أنَّ أبا وَجْزة صاحب الرَّجز هو يزيد بن عُبَيْدٍ السَّعْديُّ الشاعر المعروف وهو من بني سُلَيْم . ولكنَّ أباه عُبَيْداً وقع عليه سِبَاءٌ في صِغره ، فاشتراه أحد بني سعد فانتسب فيهم ، وأُعْتِق في عَهْد عُمَر بن الخطّاب ، فتزوج من مُزَيْنَة عُرْفُطَة المُزَنِيَّة ، فولدت له يَزِيْدَ أبا وَجْزَةَ ــ أنظر «معجم ما استعجم» رسم (طلميَّة) . وما للرَّاجز الفَقْعَسيّ وبِلاد بني سَعْدٍ ؟؟ وأرى أيضاً أنَّ تَقْتَدَ ليست في بلاد بني سَعْدٍ ، ولكن في أطراف بلاد مُزَيْنَةَ الجنوبية المتّصلة ببلاد بني سُلَيْم ــ على ما يفهم من كلام عَرّامٍ ــ فإنه بعد أن ذكر الرُّحضية ــ القرية المعروفة الآن جنوب المدينة للمتجه نحو معدن بني سُلَيم (المَهْد) ذكر وادي ذِي رَوْلان لبني سُلَيْم ،

رَكِيَّةٌ في نَاحِيَةِ الحِجَازِ مِن مِيَاهِ بَني سَعْدِ بنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ قَالَ الشَّاعِرُ :

وَذَكَرَتْ تَقْتَدَ بَرْدَ مَآئِهَا ... وَعَتَكَ الْبَوْلِ عَلَى أَنْسَائِهَا[1]

وَأَمَّا الثَّاني بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ قَافٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ يَاءٌ مشدَّدَةٌ تَحْتَهَا نُقطَتَان مَكْسُورَةٌ — : مَاءٌ لِبَني ذُهْلِ بْنِ ثَعْلَبَةَ .

وقيل : مَآءٌ بأَعْلَى الحَزْنِ جَامِعٌ لِتَيمْ اللهِ وبَني عِجْلٍ ، وقَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، وقَدْ جَاءَ أَيْضاً في الشِّعْرِ ويُقَالُ فيه أيْضاً : تُقَيِّدَةٌ بزِيَادَةِ هَاءٍ في آخرِهِ[2] .

١٥١ — بَابُ تَنْعَةَ وَنَبْعَةَ[3]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ نُونٌ سَاكِنَةٌ ثُمَّ غَيْنٌ مُعْجَمَةٌ — : قَرْيَةٌ بأَرْضِ حَضْرَمُوتَ ، عِنْدَهَا وَادي بَرَهُوْتَ ، الَّذِي يُسْمَعُ مِنْهُ أَصْوَاتُ أَهْلِ النَّارِ وَقَدْ جَاءَ ذِكْرُ ذَلِكَ فِيْ الآثَارِ[4]

= وذكر فيه قُرَى ذاتَ نَخلٍ منها قَلَها وتَقْتَدَ ، بينها وبَيْنَ قَلَهاَ جَبَلٌ يُقَالُ له أُديمة — ثم ذكر بعد ذلك وادي عُرَيفطان ، وجَبَل أَبْلَى — وانظر «معجم ما استعجم» رسم (ظلم) .

وبيت الرجز الذي أورده الحازميُّ مُلَفَّقٌ ، وصوابه — كما أورد ياقوت —

حَتَّى إذا ما تَمَّ مِنْ أظمائِهَا ... وَعَتَكَ الْبَوْلُ عَلَى أَنْسائِها
تَذَكَّرَتْ تَقْتَدَ بَرْدَ مَائِها ... فَبَدَّت الحاجِزَ من رِعائِهَا

(١) في كتاب نصر : (تُقَيْدَةُ ، وقيل تُقَيِّدُ — بغير هاء) وأورد نَصَّ ما أورده الحازميُّ . وقال الهجريُّ : تُقَيِّد — بالياء والتي في دار مُزَيْنَة تَقْتُدُ — : ماءٌ قُرْبَ الوَقْبا ، في محجَّة البصرة إلى مكة ، عن ثلاث من البصرة — «العرب» س ٥ ص ١٠٨٤ — وأُضِيْفُ : لا يزال الموضع معروفاً ، ولكن القاف تنطق كافاً (نكيد) وهو ماء يقع شمال الوقبا (بقرب خط الطول ٣٤َ/ ٤٥ْ وخط العرض ٤٢َ/ ٢٩ْ) وانظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (شمال المملكة) ص ٢٥٥ .

(٢) في كتاب نَصْرٍ : (باب تَلْعَة ، وتَنْعَةَ ، ونَبْعَةَ ، وبَتْعة)

(٣) تعريف تَنْعَة هو ما ورد عن نصر ، سوى (الذي يسمع منه) إلى آخر التعريف ولكِنَّ البكريَّ في «معجم ما استعجم» ضبط الاسم بكسر التَّاء وبالعين المُهْمَلة ، ونسب اليها العيزار بن جَرْول ، يروي عن سُوَيْد بْن غَفَلة وقال : النِّسبَةُ إليها تَنْعيٌّ — بفتح الأول والثاني .

وأمّا الثّاني ـــ أوّلُه نونٌ مفتوحةٌ ثمّ بآءٌ مُوحَّدةٌ ساكِنَةٌ بعْدَها عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ ـــ : جَبَلٌ بعَرفَاتٍ ، عِنْدَ النَّبِيْعَةِ[1] .

وأيضاً : بَلَدٌ بعُمَانَ[2] .

وقال ياقوت في «معجم البلدان» : تِنْعَةُ ـــ بالكسر ثم السكون والعين مُهْمَلةٌ ، وفي كتاب نصر بالغين المعجمة ، ووجدته بخط أبي منصور الجواليقيّ فيا نقله من خط ابن الفُرات بالثاء المثلثة في أوله ، والصواب عندنا تِنْعَة ،

ثم نقل عن الدارقُطنيّ أن تِنْعَةَ اسمُ رَجلٍ من حضرموت ، ينسب إليه أناس بالكوفة ، وبه سُمِّيتْ قرية بحضرموت ـــ وساق ما ذكره الحازميّ كاملاً ـــ وأضاف أسماء أناس نُسِبُوا إلى قبيلة تِنْعَةَ ، أو إلى الموضع وبَرَهُوتُ وادٍ في حضرموت لا يزال معروفاً ، وفيه بِئْرٌ بهذا الاسم ذكرها الهمدانيُّ في «صفة جزيرة العرب» ـــ ٢٧٠ ـــ فقال في ذكر المناهل القديمة : وبَرَهُوتُ بِئْرٌ بِسُفْلَى حَضْرَمَوتَ قديمة . وأورد طرفاً من الأخبار المتعلقة بها ياقوت في «معجم البلدان» والله أعلم بصحتها .

وزار نَصْرٌ بعد ذكر تنعة التي في حضرموت : وأيضاً في ديار طيّء حيث قبر حاتم ، وقيل : بِضَمِّ الثّاء وصُحِّف فقيلْ بالفاء ، وبِخَطِّ أبي الفضل : تنعة مَنْهَلٌ في بطن وادي حائل ، لبني عَدِيّ بن أخْزَمَ ، وكان حاتمُ نَزَلَهُ . انتهى . ومع الاختلاف في ضبط هذا الاسم فإنَّ موقعه لا يزال مَجْهُولاً ، وانْ عُرِفَتْ جهتُهُ ، وأنه في وادي حائل وحائل هي المدينة المعروفة بمنطقة الجبلين أجا وسَلْمَى وانظر عن تنفة قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

(١) نبعة ورد في كتاب «أخبار مكة» للأزرقي ـــ ج ٢ ص ١٩٤ الطبعة الثالثة ـــ مُعَرَّفاً ، فنقل عن ابن عباس رضي الله عنه : (وموقف النبي صلى الله عليه وسلم عَشِيَّةَ عَرَفة بين الأجْبُل النَّبْعَةِ والنُّبَيْعَةِ والنَّابتِ ، وموقفه منها على النَّابتِ ، وهي الظِّرابُ التي تكتنفُ موضع الإمام ، والنابتُ عند النشرة التي خلف موقف الإمام ، وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضِرْسٍ من الجبل النابت ، مُضَرَّسٍ بيْنَ أحْجَار هُنَاك ، نَاتِئٍ في الجبل الذي يقال له إلال بعرفة ، عن يسار طريق الطائف ، وعن يمين الامام . انتهى .

أمّا تعريف نَصْرٍ لِنَبْعَة فهو : بَلَدٌ بِعُمَانَ ، وأيضاً : من جبال عرفات ، قال ابن ابي نَجِيْح : عرفاتُ النبعة والنُّبَيعةُ وذاتُ النَّابت . انتهى . ونقله ياقوت .

(٢) ومثل هذا في كتاب نَصْرٍ وفي «معجم البلدان» بدون زيادة .

وما زاده نصر :

تَلْعَةُ : ناحية قريبةٌ من اليمامة . وفي «معجم البلدان» : تَلْعَةُ ماءٌ لبني سَلِيْط بْنِ يَرْبُوع ، قُرْب اليمامة ، قال جرير :

وقَدْ كانَ في بَقْعاء رِيٌّ لشَائكُمْ وتَلْعَةُ والجَوْفاءُ يَجْري غَدِيْرُهَا

وورد اسم تَلْعَة في شعر جَرِير مَقْروناً بالنَّظيم بقوله «معجم ما استعجم» :

وَقَفْتُ عَلَى الدِّيارِ ومَا ذَكَرْنا كَدَارٍ بَيْنَ تَلْعَةَ والنَّظِيْمِ

١٥٢ — باب تُوْنٍ وَتُوثٍ ، وبُوْنٍ ونُوقٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ — بِضَمِّ التَّاء وَآخِرُهُ نُونٌ — : مِن بلاَد قُهِسْتَان نَاحِيَة خُرَاسانَ ، يُنْسَبُ إليهـا أَحْمَدُ بْنُ الْعَبَّاس التُّونيُّ ، حَدَّثَ عن إسحاق بْنِ أَبي إِسْحَاق وغَيْرِه ، وإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِاللهِ التُّونيُّ خَادِمُ مَسْجِد عَقِيْل بنَيْسَابُورَ ، سَمِعَ الْحَدِيْثَ الْكَثِيْرَ وَغَيْرُهُمَا[٢] .

وَأَمَّا الثَّاني — آخِرُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ وَالْباقي نَحْوِ الأَوَّلِ — : قَرْيَةٌ مِنْ قُرى مَرْوَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا بَحرُ بْنُ عَبْدِاللهِ بْنِ بَحرٍ التُّوثِيُّ يُكْنَى أَبَا الْفَيْض ، مِنْ أَصْحَاب أَبي دَاوُدَ سُلَيْمَانَ

وقد ذكر صاحب «بلاد العرب» — ٣٣٠ — ماء لبني فُقَيْمٍ — في شرق العَرمة ، بِقُرْب مُبَايِض ، ليس بعيداً عن الدَّهْنَا . وأراه هو الوارد في كتاب نصْرٍ وفي شعر جرير . وفُقَيْم من بني دارم من حنظلة وسَلِيط من بني يَرْبُوع من حنظلة ، وكلهم من تميم .

وقال نَصْرٌ عَنْ بَتْعَة أوله باء مفتوحة تليها تاءٌ ساكنة عليها نقطتان — : جبل لبني نَصْر بن معاوية ، فيه قُبُور لقوم عاد . ويظهر أن أصل هذا الكلام ما جاء في كتاب «بلاد العرب» ص ١٣ : ولبني نَصْرٍ جبل يقال له بَتْعة ، زَعَمُوا أَنَّ ثمَّ قُبُور قَوْمٍ من عاد . — وفي ص ٣٠ — : وبجلدان هَضْبَةٌ سَوْداءُ يقال لها بَتْعَة ، وبها نُقُبٌ ، كل نَقِيْبٍ قَدْرَ سَاعَةٍ ، كانَتْ تُلْتَقَطُ فيه السُّيُوفُ العَادِيَّةُ ، والخرز ، يزعمون أنَّ فيه قُبُوراً لعاد ، وكانوا يُعظِمُونَ ذلك الجَبَل انتهى .

وجِلْدَانُ أرض واسعة لا تزال معروفة ، وكانت من بلاد بني نَصْرٍ قَدِيماً على ما ذكر صاحب كتاب «بلاد العرب» — ٣٠ — : وبين لِيَّة وبِسْل بَلَدٌ يقال لَهُ جِلْدَان تَسْكُنُه بَنو نَصْر . وأبرز جبل فيه يُدْعَى الْحَلاَة ، حَلاة جَلْدَان ، ويظهر أنها هي المذكورة في النُّصوص ، وقد أتيت هذا الجبل ، ودُرْتُ بجوانبه فلم أرَ أيَّ قَدِيْمٍ حوْله ، ولم أُشاهد فيه نُقْباً ، ولكنني لم أصْعَدْهُ .

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : (بَابُ تُوْن وبُون) .

(٢) لم يَزِدْ نَصْرٌ في تَعْرِيْف تُون على القول : بالتَّاء — بَلَدٌ يُذْكَرُ مَعَ قاينَ ، من بلاد خُرَاسَان ، أمَّا ياقوت فأورَد ما ذكر الحازميُّ وزادَ (قُرْبَ قاين) ولم يذكر خراسان ، وزاد في ذكر المنسوبين إليها ، وأرَّخ وفاة أحمد بن العباس التُّوني برجب سنة ٤٥٩ ، في هراة ، ونسبه إلى قاين ، وقال عنه : حدث عن إبراهيم بن اسحاق بن محمد التوني القائني ، ولكنَّ ما في كتاب الحازمي يتفِقُ مع ما في كتاب «الأنساب» للسمعاني — ١٢/٣ وما بعدها — ففيه : تُونُ بليدةٌ عند قاين ، يقال لها تون قهستان ، خرج منها جماعة من الأئمة والعلماء ، منهم أبو اسحاق إبراهيم بن محمد التوني القايني ، وكان فقيها مدرسا مناظِراً ، تفقَّه بأصفهان ، وورد خراسان ، وسكن هراة وتوفي بهراة في رجب سنة تسع وخمسين وأربع مئة ، وأحمد بن العباس التُّوني ، حدث عن إسحاق بن أبي إسحاق التوني وغيره ، فهنا خلاف بين كلام ياقوت وكلام السمعاني في المتوَفَّي سنة ٤٥٩ وأرى الصواب ما في كتاب السمعاني ، إذ هو من أصول ياقوت .

وعن تُون وقاين أنظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» — ٣٩٢ — .

بْنِ مَعبدٍ السِّنْجيُّ ، وَكان كَثِيرَ الأَدَبِ وجَمَاعَةٌ سِوَاهُ[١] .

وَأمَّا الثَّالِثُ ـــ أوَّلُهُ بَاءٌ مُوحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ وَآخِرُهُ نُونٌ أَيْضاً مضمومة ـــ : بَلَدٌ يَمَانٍ[٢] .

وأمَّا الرَّابِع ـــ أوَّلُهُ نُونٌ أَيْضاً مَضْمُومَةٌ وآخِرُهُ قَافٌ وَإِذَا لَمْ يُحقَّقِ التَّلَبس بالنُّونِ والْوَاوِ فِي الكُلِّ ـــ ساكِنَةٌ ـــ : قَرْيَةٌ مِنْ قُرى بَلْخَ ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو حَامِدٍ أحْمَدُ بْنُ قُدَامَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلْخيُّ النُّوقيُّ حَدَّثَ عَنْ يَحيى بْن بَدْرٍ السَمْرقَنْديِّ ، رَوَى عَنهُ أَبُو إِسْحَاق الْمُسْتَملِيْ ، مَاتَ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِيْنَ وَثَلاثَ مِئَةٍ[٣] .

١٥٣ ـــ بَابُ تَوَّزَ ، وتُوزٍ ، وَتَوْرٍ ونُوْرٍ وَنُوْد[٤]

أَمَّا الأَوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ وَاوٌ مُشَدَّدةٌ مَفْتُوحَةٌ أيْضاً وآخِرهُ زايٌ ـــ : مِنْ بِلاَدِ فَارِسَ ، ويُقَالُ لها أَيْضاً تَوَّجَ بالجيمِ ، يُنْسَبُ إِلَيْها جَماعَةٌ مِن أَهْلِ الْعِلْمِ ، مُحَمَّد بْنُ يَزْدَادَ التَّوزيُّ ، حَدَّثَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سُلَيْمَان لُوَيْن ، رَوَى عَنْهُ الطَّبرانيُّ ، وأَبُو يَعْلَى مُحَمَّدُ بْنُ الصَّلْتِ التَّوزيُّ وَجَماعَةٌ سِواهُمَا[٥] .

---

(١) قال ياقوت : تُوتُ في عِدَّة مواضع ، من قُرَى بُوشَنْجَ ، وتُوثُ من قُرَى اسفَرَايِيْنَ ، على مَنْزِلٍ إذا تَوجَّهْتَ إلى جُرْجَانَ ، ثم ذكر بَحْرَ بْنَ عبدالله فيمن يُنْسَبُ إليها ، وأطال في ذكر المنسوبين إليها ، ورجع في ذلك إلى كتاب السمعاني ، فقد ذكر في «الأنساب» : ١٠٣/٣ ـــ : توث قرية من قرى مَرْوَ ، على خمسة فراسخ منها ، خرجت إليها مِراراً ، وبِتُّ بها لَيَاليَ .

(٢) قال نَصْرٌ عن بُون : وبُونٌ مذكور في بُوَين ، بَلَدٌ يَمَانٍ ، وفي (باب التُّوَيْر والبُوَيْن) قال : وأمَّا بِيَاء مُوحَّدَةٍ وآخِرَهُ نونٌ : موضعٌ حِجَازِيٌّ ، وأظُنُّ الذي جاء في الشعر يُرَادُ بِهِ البُون ، وهو بَلَدٌ يَمَان ، وأيضاً : ماءٌ لبني قُشَيْر : انتهى .

وفي «معجم البلدان» : هُمَا بُونانِ البَوْنُ الأعْلَى والبَوْنُ الأَسْفَلُ ، كُورَتَانِ ذَوَاتَا قُرَى ، ولا يقوله أهل اليمن إلّا بالفَتْح . وانظر عن البونَيْن «صفة جزيرة العرب» ـــ ٢٤٣ ـــ ولا يزالان معروفين ، شمال صنعاء بما يقرب من مَرْحَلَة .

(٣) نُوقُ : قال ياقوت : بلفظ جَمْع نَاقَةٍ : ولم يَزِدْ على ما ذكر الحازميُّ ، ولم ينسب الكلامَ إليه .

(٤) عند نَصْرٍ في حرف التاء : (باب تُوزٍ ، وتُوزٍ ، وتَوَّزَ) .

(٥) عَرَّفَ نَصْرٌ تَوَّزَ بقوله : بفتح التاء والواو وسكونها ـــ من بلاد الأعاجم وأطال ياقوت في «معجم البلدان»

وَأَمَّا الثَّاني بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَاوٌ سَاكِنَةٌ ـــ : مَنْزِلٌ وَرَاءَ فَيْدَ فِي الْجَانِبِ الْحِجَازِيِّ عَلَى جَادَّةِ حَاجِّ الْعِرَاقِ ، بِقُرْبِ سَمِيرًا وغَضْوَرَ ، جَبَلٌ هُنَاكَ قَالَ أَبو الْمِسْوَرِ :

فَصَبَّحْتُ فِي السَّيْرِ أَهْلَ تُوْزِ ... مَنْزِلَةً فِي الْقَدْرِ مِثْلَ الْكُوزِ
قَلِيلَةَ الْمَأْدُومِ والْمَخْبُوزِ ... شَرًّا لَعَمْرِي مِنْ بِلَادِ الْخُوزِ[1]

وَأَمَّا الثَّالِث ـــ أَوَّلُهُ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ وَاوٌ ساكِنَةٌ ، أَيضاً وآخِرُهُ رَاءٌ ـــ : جَبَلٌ مَشْهُورٌ قُرْبَ مكَّة ، وَفِيه الْغَارُ الذي تَوَارَى فِيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْكُفَّارِ ، وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ، رضي الله عنه ، لمَّا هَاجَرَ إلى الْمَدِيْنَة[2] .

وَأَمَّا الرَّابِعُ ـــ أَوَّلُهُ نُونٌ مَضْمُومَةٌ والْبَاقِي نَحْوَ ما قَبْلَهُ ـــ : قَرْيَةٌ مِنْ أَعْمَال بُخَارَا يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبو مُوْسَى عِمْرَانُ بْنُ عَبْدِاللهِ النُّورِيُّ الْحَافِظُ الْبُخَارِيُّ ، رَوَى عَنْ أَحْمَدَ بْن حَفْصٍ ، ومُحَمَّدِ بن سَلَّامٍ الْبِيكَنْدِيِّ وَحَيَّانَ بْنِ مُوْسَى ومُحَمَّدِ بْنِ حَفْص الْبَلْخِيِّ ، رَوَى عَنْهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ رُفَيْدٍ ، وعَبْدُاللهِ بْنُ مَنِيحٍ[3] .

= الكلام في تُوْز ، وذكر ممن يُنْسَبُ إليها عبدالله بن محمد بن هارون التَّوْزِيُّ اللُّغَوِيُّ ، أخذ عن أبي عُبَيْدة والأصمعيُّ وتوفي سنة ٢٣٨ (ثمان وثلاثين ومئتين) ومحمد بن يزداد ، ورد اسم أبيه في «معجم البلدان» : داود ـــ مُصَحَّفاً ـــ إذ ورد في «الأنساب للسمعاني» كما في كتاب الحازمي ، و«الأنساب» من مصادر ياقوت .
وعن تَوَّز (تَوَّج) انظر كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ـــ ٢٩٥ ـــ وكانت على مقربة من ساحل الخليج العربي الشرقي .

(١) تُوْزُ : هُوَ أَعْلَى وادي سَمِيْراء البلدة المعروفة ، يقع شرقها ، وانظر تحديد موقعه في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» والتعريف الذي أورده الحازمي هو المذكور في كتاب نصر سوى كلمة (في الجانب الحجازي) ولا مَحَلَّ لها إذْ تُوز ليس في الحجاز بل في نَجْدٍ ، وغَضْوَرُ يقع شمال غَرْبِ تُوْزِ ولا صلة له به ، فهو في جبل رَمَّان ، وهو مَنْهَلٌ وأصبح الآن قَرْيَةً .

(٢) جبل ثَوْرٍ من أشهر جبال مكة ، في أسْفَلِها ، وبلغه عُمْرَانُها الآن .

(٣) نُوْر : ـــ قال ياقوت : ضِدُّ الظُّلْمَةِ ، من قرى بُخَارَا ، ثم ذكر من ذكرهم الحازمي وقال : (روى عن أحمد بن حفص بن محمد بن سلام ، إلخ وأراه خطأً ، فما في كتاب الحازمي يتفق مع ما في «تاج العروس» ـــ نور ـــ ومخطوطة كتاب الحازمي قديمة الخط فيها إتقان وعناية .

وَأَمَّا الْخَامِسُ — آخِرُهُ دَالٌ مُهْمَلَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ ما قَبْلَهُ — : مَوْضِعٌ بِسَرَنْدِيبَ[١] ، يُقَالُ : هُنَاكَ كَانَ مَهْبِطُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

١٥٤ — بَابُ التَّهَايِمِ وَالْبَهَايِمِ[٢]

أَمَّا الْأَوَّلُ — بِالتَّاءِ — : يُقَالُ لِأَرْضِ تِهَامَةَ تَهَايِمُ[٣] .

وَأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ والْبَاقِي نَحْوُ الْأَوَّلِ — : جُبَيْلَاتٌ بِحِمَى ضَرِيَّةَ كُلُّها عَلَى لَوْنٍ وَاحِدٍ[٤] .

١٥٥ — بَابُ تَيْمَاءَ وَتَيِمَا وبِيْنَها[٥]

أَمَّا الْأَوَّلُ — بَعْدَ التَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ يَاءٌ سَاكِنَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ مَمْدُودٌ — : بَلْدَةٌ قَدِيمَةٌ عِنْدَ وَادِي الْقُرَى ، مِنْ مَنَازِلِ الْيَهُودِ ، لَهَا ذِكْرٌ كَثِيرٌ فِي الْأَخْبَارِ والْأَشْعَارِ[٦] .

---

(١) ضبط ياقوت نَوْذَ — بفتح النون ثم السكون وذال معجمة — وقال : جبل بِسَرَنْدِيبَ ، عنده مَهْبِط آدم ، عليه السلام — وهو أخصب جبل في الأرض ، ويُقَال : أمرع من نَوْذَ ، وأَجْدَبُ مِنْ بَرَهُوتَ ، وبَرَهُوتُ وادٍ بِحَضْرَمَوْت . انتهى . وسرنديب هي جزيرة سيّلان وتعرف الآن باسم (سِرِلَنْكا) .

(٢) هذا الباب من كتاب نَصْر .

(٣) قال نصر : وأما بِالتَّاء فهو ما نُسِبَ إلى أَرْضِ تِهَامة . ولعلماء اللغة كلام كثير في تعريف تهامة وتحديد موقعها خلاصته أنّها الأرض الممتدة غرب سلسلة جبال الحجاز ، على ساحل البحر ، وهي الْغَوْرُ أيضاً .

(٤) وَعرَّفَ نَصْرُ الْبَهَائِمَ بقوله : أَجْبُلٌ بِحِمَى ضَرِيَّةَ ، لَوْنُها واحِدٌ ، وفي كتاب «بلاد العرب» — ٩٥ — بعد ذكر جبل غَوْلٍ : والْبَهَائِمُ جِبَالٌ ، وماؤها المُنْبَجِسُ ، بِئَارٌ في شُعْبٍ . وأورده ياقوت وأورد للراعي :

بَكَى خَشْرَمٌ لَمَّا رَأَى ذَا مَعَارِكٍ ... أَتَى دُونَهُ والهضْبَ هَضْبَ الْبَهَائِمِ

وقبله قال : بَهَائِمُ — على وزن جَمْع بَهِيمَةٍ من الدَّوابِّ — جَبَلانِ بِحِمَى ضَرِيَّة ، كلاهُمَا على لَوْنٍ واحِدٍ ، كذا قال ثَعْلَبٌ .

وحمى ضَرِيَّة لا يزال موقعه معروفا ، وكذا أكثر مواضعه ، وأرى البهائم بقرب شُعَبَا — غَرْبَ قرية ضَرِيَّة — لأن صاحب كتاب «بلاد العرب» — ص ١٨٥ — ذكر الْمُنْبَجِسَ في شِعْبٍ مِنْ شُعَبَا ، وأرى هَضْبَ الْبَهَائِمِ من هَضْبِ شُعَبَا .

(٥) الْبَابُ في كتاب نَصْر هكذا : (بابُ تَيْمَاء ، وَتَيْمَا وَبِيمَا) .

(٦) عرَّفَ نَصْرٌ تَيْمَاءَ بِمَا أَوْرَدَ الْحَازِمِيُّ ، سوى جملة (لها ذكر) إلى آخرها . ووادي القرى يقع غرب تَيْمَاء ، بَعِيداً

وأمَّا الثَّاني ـــ أوَّلُهُ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ مكْسُورَةٌ ثُمَّ يَآءٌ مَفْتُوحَةٌ تحتَـهَا نُقْطَتَان ، مَقْصُورٌ ـــ : صُقْعٌ مِنْ بِلاَدِ الْكُفْرِ متاخِمٌ لِصَعِيْدِ مِصْرَ ، فُتِحَ في الدَّوْلةِ العبَّاسِيَّةِ[1] .

وأمَّا الثَّالثُ ـــ : أَوَّلُهُ بَآءٌ مُوَحَّدَةٌ أَيْضاً مكْسُورَةٌ بَعْدَهَا نُوْنٌ سَاكِنَةٌ ثم هَآءٌ والْـهآءُ إِذَا لَمْ تُحقِّقِ الْتَبَسَتْ بِالْمِيمْ قالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحمَّدٍ الدُّورِيُّ سَمِعْتُ يَحْيَى بْنَ مَعِيْنٍ يقولُ : يَرْوِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قال : بَارَكَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلَّم فِيْ عَسَلِ بَنْهَا . قال الْعَبَّاسُ : قُلْتُ لِيَحْيَى : حَدَّثَكَ بِهِ عَبْدُاللهِ بنُ صَالِحٍ قَالَ : نَعَمْ قال يَحيَى : بنْهَا[2] قَرْيَةٌ مِنْ قُرَى مِصْرَ ، والنَّاس يَقُولُوْنَهَا الْيَومَ بِفَتْحِ البَآءِ .

١٥٦ ـــ بَابُ تِيَاسٍ وَبِيَاسٍ

أمَّا الأَوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّآءِ الْمَكْسُورَةِ يَاءٌ مَفْتُوحَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان وآخِرُهُ سِيْنٌ مُهْمَلَةٌ ـــ : مَآءٌ لِلعَرَبِ بَيْنَ الْحِجَازِ وَالْبَصْرَةِ : قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : مَوْضِعٌ وَلَهُ ذِكْرٌ في أَيَّامِ الْعَرَبِ وأَشْعَارِهِمْ قال أَوْسُ بْنُ حَجَرٍ .

وَمِثْلُ ابْنِ عَثْمٍ إِنْ ذُحُولٌ تُذُكِّرَتْ وقَتْلَى تِيَاسٍ عَنْ صَلاَحٍ تُعَرِّبُ

= عنها ، وهو لَيس وادياً بَلْ منطقة واسعة ذات أودية كثيرة ، قاعدتها الآن بلدة الْعُلَا ، وتَيْمَاءُ الآنَ بَلْدَةٌ ازدهر عُمْرَانُها ـــ كغيرها من بلدان المملكة ـــ وانظر عنها كتاب «في شمال غَرْب الجزيرة» و«المعجم الجغرافي» قسم (شمال المملكة) .

(١) وعرَّف نَصْرٌ بِيَمَا كما جاء في كتاب الحازمي سوى جملة (فتح في الدولة العباسية) فقال : (فُتِحَ في أَيَّام المُعْتَضِدِ أَوْ قَبْلَها) وياقوت جَمَعَ القولَيْن ، ونسبهما إلى نَصْرٍ : (فتح في دولة بنى العباس ، في أيَّام المعتضِدِ أو قُبَيْلَهَا) كذا .

(٢) بَنْهَا ـــ لا تَزَالُ معروفةٌ ، وأهل مِصْرَ يفتحون الْبَاء ، كما ذكر ياقوت وقَدْ أَوْرَدَ كلام ابنَ مَعِيْنٍ ، ونقل عن أبي الحسن المهلّبي : من الفُسْطاط إلى بَنْها ١٨ ميلاً ، وهي على شعبة من النِّيل ، وأكثر عَسَلِ مِصْرَ الموصوف بالجودة مجلوب منها ومن كُوَرَتِهَا .

(٣) تُنْمَا الواردة في كتاب نَصْرٍ ، عَرَّفَهَا بقوله : بضم التَّاء يَلِيْهَا نُونٌ ساكِنَةٌ ، مَقْصُورٌ ـــ : مِنْ نَوَاحِي الطائف . وأورده ياقوت عنه ، ولم يَزِدْ . واستدركه صاحب «تاج العروس» عن نَصْرٍ . ولمْ أَرَ لهذا الموضع ذكراً سوى ما تَقَدَّمَ ، وما إخالُ الإسْمَ صَحيحاً فيخفى على علماء اللغة الذين هم أعلم من نَصْرٍ ، وأقدم عَصْراً .

قوله تُعَرَّبُ أي تُفَسَّرُ[1] .

وأمَّا الثَّاني ـــ أوَّلُهُ نُونٌ مكسورةٌ والباقي نَحْوُ الأوَّلِ : [.......][2]

١٥٧ ـــ بَابُ تُونِسَ وتُرْمُسَ

أمَّا الأوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ وَاوٌ ساكِنَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ مَكْسورةٌ وآخِرهُ سِينٌ مُهْمَلَةٌ ـــ : بَلْدَةٌ مَشْهُورةٌ فِيْ الْغَرْبِ ، يُنْسَبُ إلَيْها خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنْ أهْلِ الْعِلْمِ والرِّوَايَةِ ، مِنْهُمْ أبو طَاهِرٍ حَاتِمُ بْنُ عُثْمَانَ الْمعَافِرِيُّ التُّونسيُّ حَدَّثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن زِياد ابْنِ أنْعَمَ ، ومَالِك بْنِ أنَس وَغَيْرِهِمَا قالهُ أبو سَعِيد بْن يُونُس ، وجَمَاعَةٍ سِوَاهُ[3] .

وَأمَّا الثَّاني ـــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ : رَاءٌ سَاكِنَةٌ ، ثُمَّ مِيمٌ مَضْمُومَةٌ ـــ : مَوْضِعٌ فِيْ دِيار بَنِيْ أسَدٍ[4] .

---

(١) نِياسُ : من الأسماء التي تُطلَقُ على مواضع ، حَدَّدتُ بَعْضَهَا في قسم (المنطقة الشرقية) من «المعجم الجغرافي» ومنها هذا الماء الواقع بقرب طريق البصرة ، حيث تبيَّنَ لي أنه بقرب الوفراء في حدود الكويت ، وأنه الموضع الذي مات فيه العلاءُ بن الحضرمي .

(٢) لَمْ يَرِدْ في مخطوطة كتاب الْحَازِمِيِّ تَحْدِيْدُ نِياسٍ ـــ بالنون ـــ ولَمْ أرَ اسْمَ مَوْضِعٍ بهذا الاسم .

(٣) مَدِينَةُ تُونِسَ أشهر من أن تُعَرَّف ، وتَوَسَّعَ في الاسم فشمل بلاداً واسعةً قاعدتها تلك الْمَدِينَة . ونونُ تونس ـــ تتعاقبها الحركات الثلاث . وأطال ياقوتُ الكلام عليها وأورد بعض أسماء مَنْ يُنْسَبُ إليها ، ولم يذكر أبا طاهر حاتِمَ بن عثمان ، ولكنَّ السَّمْعَانيَّ في كتاب «الأنساب» ذكره بنحو ما ورد في كتاب الحازمي وذكر آخرين غيره .

(٤) تُرْمُسُ ـــ الوادي الذي كان معدوداً في بلاد بني أسَدٍ ، لا يزال مَعْرُوفاً ، وقد حَدَّدْتُ مَوْقِعَهُ في قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي» وهو ينطق مُعَرَّفاً ، وكذا ورد في الشعر القديم قال الْمَرَّارُ بنُ مُنْقِذٍ :

وَكَأنْ أرْحُلَنَا بِجوِّ مُخْصِبٍ ... بِلِوَى عُنَيْزَةَ من مَفِيضِ التُّرْمُسِ

وفروع وادي التُّرْمُسِ تَنْحَدِرُ مِنْ جَبَل حَبْشِي ، الواقع شرق بلدَةِ سَمِيْراء باتِّجاه الشرق ، حتى تلتقي تلك الفروع بشِعيْبِ العُظَيْم ، ثُمَّ بِوَادِي الْغِمَارِ ، وهو أعلى وادي التُّرْمُسِ ، ثم يَدَعُ قَرْيَةَ الكهفةِ شمالَهُ ، مُنْعَطِفاً شمالاً ، ماراً بِمنْهَل شَرْج ، ثم يفيض بِمَرْبَخِ النفود غَرْبَ نَوَاظِرَ جمع ناظرة (يقع وادي التُّرْمُس بين خطي العرض ٣٠/ ٢٦ و٣٠/ ٢٧ وخطي الطول : ١٥/ ٤٢ و٤٠/ ٤٣ تقريباً) .

١٥٨ — بَابُ تَيْمَن وتَيْمَرَ[١]

أمَّا الأوَّلُ — بالنُّونِ — : موضعٌ بين تبالة وجُرش ، مِن مَخالِيفِ اليَمَنِ .

وأيضاً : هَضَبةٌ حَمْرَاءُ في دِيَارِ مُحَارِبٍ قُرْبَ الرَّبَذَة .[٢] .

وأمَّا الثَّاني آخِرُهُ رَآءٌ — : قَرْيَةٌ نَاحِيَةَ الشَّام[٣] .

(للموضوع بقية)

---

(١) من أبواب كتاب نصر.

(٢) في كتاب نَصْرٍ : — عن تيمن — : هَضْبَةٌ حَمْرَاءُ لَيْسَتْ بالكبيرة ، قرب الرَّبَذَة . في ديار مُحَارِبٍ . وتَيْمَنُ ذِي طَلَالٍ وَادٍ إلى جَنْبِ فَدَكٍ .

وقول نَصْرٍ هذا تَعَقَّبَهُ ياقُوتٌ فقال — بعد إيراده — : والصحيحُ أنه بِعَالِيَةِ نَجْدٍ . وأُضِيفُ : تَيْمَنُ التي في ديار محارب هي التي تُضَاف إلى طَلَالٍ المنهل الذي لا يزال معروفاً وهو بَعِيدٌ عن فدك (الحايط الآن) هو في أسفل وادي ذي حُسًا (حسي علياء — الحِسِيّ) غرب وادي الْجَرِير ، وتَيْمَنُ هَضْبَةٌ مُطِلَّةٌ على طلال ، وتُدْعَى الآنَ (تَيْمَا) كما تدعى الهضبة التي تُسَمَّى بِتَيْمَنَ أيضاً الواقعة بقرب ثهلان (تَيْمَا) أيضاً . وتَيْمن ذي طلال تقع شرق قرية تُرَبٍ بِمَيْلٍ نحو الشمال ، وتشاهد شمال قرْن التَّوْبَادِ على بُعْدٍ .

(٣) تَيْمَرُ في كتاب نَصْرٍ : من قرى الشام ، وقِيلَ : مِنْ شِقِّ الْحِجَاز ، وكذا أَوْرَدَ ياقوتٌ ، وزَادَ : قال امْرُؤُ الْقَيْس :

بِعَيْنَيَّ ظُعْنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا ... لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ بَطْنِ تَيْمَرَا

وذكر البكريُّ أنَّ تَيْمَرَ هذا موضع بِالْعَالِيَة .

وما أرى تلك الأقوال إلا من قبيل الاستنتاج من خبر رحلة امرىء القيس إلى الشام حين ذَهَبَ للاستعانة بقَيْصر ، وأكثر المواضع التي ذكرها في قصيدته التي وصف فيها رحيله ، واقعة في شمال الجزيرة ، ومطلعها .

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَ ما كان أَقْصَرَا ... وحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ ظَبْيٍ فَعَرْعَرَا

ومنها :

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ ... وأَيْقَنَ أَنَّا لَاحِقَانِ بِقَيْصَرَا

وقد ذكر مواضع في مقام الوصف مثل (بيشة) و(الصفا) و(المشقّر) ولكنه أوردها مورد التشبيه بها .

على أن كلمة (تيمر) وردت في بعض روايات البيت بالقاف (قَيْمَرَ) مما يَدُلُّ على عدم التثبُّت من صحة الاسم .

وطن الأحباب

أحِنُّ إلى مَغْنَاكَ طَابَتْ مَرابِعُهْ … وغنَّت بأكناف الرَّبيع سَواجِعُهْ
وأهفو إلى يَوْمٍ منَ الدَّجْن مُونِق … نسائِمُهُ فتَّانةٌ وزوابِعُهْ
بأفيائك الخَضْراء يا مَغْرِبَ العُلَى … عرَفتُ نعيماً طابِعُ الحُسْن طَابِعُهْ
وسرَّحْتُ طرفي في جَمَالِكَ فانْتَشى … به خافِقٌ طَالَتْ دُهوراً مَواجِعُهْ
وفي وجْهِكَ المزدان بالطُّهر والشَّذَى … رأيْتُ الهَوَى تُصْغي إليَّ مَسامِعُهْ
أعَدْتَ الى قَلْبي الشَّبابَ الذي مَضَى … وألهمتني في الشِّعْر ما قَلَّ صَانِعُهْ
وَفيكَ بِظِلِّ الدَّوْح أشْبَعْتُ نَاظِري … وعادَ لِقَلْبي في الرِّضَا مِنكَ ضَائِعُهْ
وعُدْتُ الى مغناكَ يا مَوْطِنَ الهوَى … يُصَارِعُني فِيْكَ الجوَى ، وأُصَارِعُهْ
وإنَّك في صَدْري حَنِينٌ مُخَلَّدٌ … وفي العيْن حُسن ليسَ تَفْنَى روائِعُهْ
وَفيْكَ لِقَلْبي في الْغرَام وَدِيعةٌ … وإنَّكَ مَنْ لا تُسْتَبَاحُ وَدَائِعُهْ

° ° °

أيا وَطَنَ الأحباب أفْديكَ مَوْطناً … مَغَارِبُهُ مَحْمُودَةٌ ، ومطَالِعُه
فمِن (أطْلَس) عِرْنِينُهُ شامِخُ الذُّرَى … تُلاَمِسُ جَوْزَاءَ السَّمَاءِ أصَابِعُهْ
تَعَمَّمَ بالثَّلج الطَّهورِ ، كأنَّهُ … مَليكُ الذُّرَى عالي الْجَبين ونَاصِعُهُ
إلى السَّهْل ميَّاس الأفَانيْن مُونِق … فلِلَّهِ جَانِيْه ، ولله زارِعُهْ !!
بِسَاطٌ على طُوْل الْمَدَىٰ لا تَجُوسُهُ … عَواصِفُ ، أو تشكُو الأُوَامَ يوانِعُهُ
شَجَتْني رُبالكَ الْخُضْرُ حتَّى وَجَدْتني … أخَا صَبْوةٍ تَهْفو إلَيْكَ نَوَازِعُهْ
ومَاضِيْكَ في الماضِيْن مَجْدٌ مُؤثَّلٌ … وحَاضِرُكَ المِعطَاءُ جَلَّتْ صَنَائِعُهْ
وَعِشْت سِيَاجاً لِلعُرُوبةِ حَامِياً … وغِيْلَ أسُودٍ لا تُدَاسُ مَرَابِعُهْ

١٥/١٠/١٣٩٩ هـ

عثمان بن سيار

□ بلاد القصيم :

وصدر الجزء الثالث من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف الأستاذ الجليل الشيخ محمد العبودي ، ويحوي من الأسماء ما هو مبدوء بحرف الخاء وما بعده إلى حرف الشين — نحو ٢٩٠ اسماً — في ٤٧٤ صفحة .

وهو — كأجزائه الأخرى — من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وطبع هذا العام (١٤٠٠ هـ) بمطبعة نهضة مصر.

□ رحلة القلصادي :

من المعروف أن علماء المغرب — الأندلس والأدنى — بزُّوا علماء المشرق بكثرة كتب الرّحلات المدونة ، واشتهروا في ذلك ، وقد نشر في هذه المجلة جانبٌ وافٍ من خلاصات بعض تلك الرحلات .

ومن أولئك العلماء الذين رحلوا من بلادهم الأندلس للحج أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي المتوفي سنة ٨٩١ هـ فقد بدأ رحلته سنة ٨٥١ هـ مارّاً بالبلاد التونسية فمِصْر ، ومنها سافر بحراً الى جدة فبلغها في ٢٨ شعبان من السنة المذكورة . وذكر أنه أدّى فريضة الحج ووصف ما شاهده من الآثار والمعالم بإيجاز في المدينتين الكريمتين وعاد بحراً من رابغ الى العقبة ، فمصر في المحرم سنة ٨٥٢ .

وقد قام بدراسة رحلة القلصادي وتحقيقها صديقنا الأستاذ محمد أبو الأجفان ، الأستاذ بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين في الجامعة التونسية فجاءت دراسته في

نحو ثمانين صفحة ، وأصل الرحلة نحو ذلك ومثله الفهارس (٨٠ + ٨٨ + الفهارس = ٢٥٦ صفحة تتخللها صُور وخرائط وتشغل الحواشي كثيراً من صفحات الأصل . ولهذا فعمل الأستاذ أبي الأجفان يعتبر دراسة وافية لتلك الرحلة من جميع نواحيها .

وقد طبع الكتاب في مطبعة (مصنع الكتاب — الشركة التونسية للتوزيع) في تونس عام ١٣٩٩ هـ (١٩٧٨) طباعة حسنة .

وهو من الكتب التي أوصت (وزارة الشؤون الثقافية) في تونس بنشرها فجاء الحلقة الأولى من سلسلة (فهارس من تراثنا) .

□ مكتبة الطفل :

ويواصل الصديق الأستاذ عبد الكريم الجُهيّمان إمداد مكتبة الأطفال بفيض من القصص الملائمة لمداركهم ، فمنذ أمد صدرت له مجموعة قصصية باسم (مكتبة أشبال العرب)[(١)] .

ثم أصدر مجموعة أخرى بعنوان (مكتبة الطفل في الجزيرة العربية) من عشر قصص عناوينها :

١ — الرفيق الخائن — ٢ — القطاة الساحرة ، ٣ — الغول ذو السبعة الرؤوس ، ٤ — الحطّاب والكنز ، ٥ — عائشة وأم عائشة ، ٦ — بُلَيل الصيّاح ، ٧ — شاهان وعُمانات ومكيّة ، ٨ — اللقاط بن اللقاط ، ٩ — بنت الغول ، ١٠ — النبيُّ سليمان مع الغراب .

تقع القصة في أربعين صفحة ، مزيّنة بالرسوم ، مطبوعة طباعة جيّدة بحروف واضحة بالشكل الكامل ، تصدر عن (دار أشبال العرب) في الرياض وقد طبعت في بيروت وتتولى توزيعها دار الثقافة التي تولت طبعها .

---

(١) أنظر «العرب» س ١٤ ص ٤٧٥ .

□ على دَرْب الجهاد :

هذا هو عنوان الديوان الثاني من شعر الدكتور زاهر بن عواض الألمعي ، عميد شؤون المكتبات في (جامعة الإمام بن سعود الإسلامية) في الرياض ، يحوي عشرين قصيدة (حروفها نَبْضُ قلبٍ يعتصره الأَلَمُ لما عليه حال أمتنا الإسلامية) تتضح مضامينها من عناوينها ، ومنها : عودي إلى دَرْب الجهاد ، في رحاب البيت ، وحدة العرب ، رحاب القدس ، تحيَّة المغرب العَربي — في مشاعر الحجّ ، شريعة الله ، تحيَّة الفهد ، سدّ أبْها .

ويقع الديوان في ٢١٨ صفحة في طباعة جيدة ، ورقاً ، وحروفاً مكتوبة باليد بالخط الرقعيّ .

صدر هذا العام (١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م) عن مطابع الفرزدق في الرياض .

□ العوَّاد : قِمَّة وموقف

وقام الأستاذان عبد الحميد مشخص ومحمد سعيد باعشن بجمع ما نشر في رثاء الأستاذ محمد حسن عوّاد ، الذي توفي في هذا العام ، في كتاب بعنوان «العوَّاد قمَّةٌ وموقف» حوى ٤٠٨ من الصفحات ، تضمُّ مع المراثي دراسات عن آثار ذلك الأستاذ الكبير لبعض مشاهير الكتاب في بلادنا وخارجها .

وفي الكتاب ثماني لوحات تحوي صوراً للراحل العزيز في مراحل عمره المختلفة .

□ المنطقة الشرقية

وصدر الجزء الثاني من القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية (البحرين قديماً) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف حمد الجاسر ويحوي من أسماء المواضع ما هو مبْدُوءٌ بحرف الحاء المهملة فما بعده الى حرف الشين — نحو ٥٩٧ أسما — وجاء في ٤٩٠ صفحة وفيه عشر مصورات جغرافية (خرائط) مطبوعا هذا العام (١٤٠٠ هـ) بمطبعة (نهضة مصر) وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ لغيرهم
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ومنشئها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٢٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧ و٨ س ١٥ محرم وصفر ١٤٠١هـ تشرين ، كانون (نوفمبر — ديسمبر) ١٩٨٠

تذكرة الألباب

في أصول الأنساب

مقدمة :

في سنة أربع وخمسين وثلاث مئة وألف ، كُنْتُ مُدرّساً في مدرسة يَنبع الابتدائية ، فأمضيتُ جزءاً من صيف تلك السنة في المدينة المنورة ، وكنت في ذلك العهد شغوفاً بالمطالعة ، فكنت أتردَّدُ على مكتباتها ، وكان من أحفلها بالمخطوطات (مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة) .

وكأن مما نسخت من مخطوطات تلك المكتبة كتاب «النبات» للأصمعيّ ولخَّصت كتاب «الروض المعطار» لِلحمْيري ، ولخصت جزءاً من «معجم ما استعجم» للبكري .

ونقلت رسالة في الأنساب هي «تذكرة الألباب في أصول الأنساب» لِلبتّي الأندلسي . وما عُنِيْتُ بمطالعة تلك الرسالة بعد نسخها لأنني رأيتها مختصرة ، ثم زادني انصرافاً عنها نَشْر الأستاذ المحقق الشيخ عبد العزيز المَيْمني — رحمه الله — كتاب «نَسَب عَدنان وقحطان للمبرِّد ، عن مخطوطة مكتبة (دَير الاسكوريال) النَّفيسة التي كتبها العالم اللغويُّ موهوب بن أحمد الجواليقيُّ بخطه المتقن المُجَوَّد .

وفي هذه الأيّام وقع نظري على تلك الرسالة عن غير قَصْدٍ ، بين أوراق كنت أتصفَّحها ، فأعدت النظر فيها ، فرأيتها جديرة بالنشر لأمور :

١ — احتوائها على مجمل أصول أنساب القبائل العربية وفروعها .

٢ ــ اعتبارها من المصادر القديمة في موضوعها .
٣ ــ اعتماد مؤلفها على كتاب «النسب» للإمام أبي عُبيد القاسم بن سلاَّم .
٤ ــ إتقان كتابة كثير من الأسماء المصحفة أو المحرفة فيما طُبع من كتاب الأنساب .

وكتاب أبي عُبيدٍ من أجَلِّ المؤلفات في هذا العلم ، مع اختصاره وقد كنت اقترحت على (وزارة الاعلام الكويتية) نشره بين ما تنشره من كتب التُّراث ، وبعثت لها مصورة من مخطوطته الوحيدة ــ فيما أعلم ــ وهي مخطوطة (مكتبة مانيزيا) في (الأناضول) في تركيا ، وهي النسخة التي وصفها الأستاذ أحمد آتش ــ رحمه الله ــ في أحد أجزاء مجلة «معهد المخطوطات» وظنّها من أجزاء كتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي لأن أبا عُبيدٍ أخذ العلم عن ابن الكلبي ، وصرَّح بالنقل من كتابه .

وقد نسخت ذلك الكتاب وساعدني في مقابلته على الأصل المصور الأخ الأستاذ إبراهيم شبُّوح .

وقد وجدت خَللاً في ترتيب صفحات أصل المخطوطة بتداخل بعض تلك الصفحات إذ الناسخ نقل عن نسخة ورقها مختلٌّ التّرتيب فلم يدرك هذا ، فوصل بين صفحاتٍ غير متصلة ولكنني أصلحت هذا الخلل ، برجوعي إلى كتب النسب ، وأفردت حواشي لعلماء متأخرين عن عهد أبي عبيد ، كالزُّبير بن بكَّارٍ وغيره . وكان ناسخ الأصل قد أدخلها فيه ، وجمعت نصوصاً تتعلق بالكتاب ومؤلفه ، تهيئة لنشره غير أنني انصرفت عن ذلك باشتغالي بتأليف «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ،

وفي هذا العام زارني الأستاذ مطاع البدوي ــ وهو من المهتمين بكتب التراث ، ويُعنى بجمع شعر شعراء بني عامر ــ فقدمت له ذلك الكتاب وما عملته مما يتعلق به ، لكي يتولَّى إعداده للنشر .

وعلم النسب من العلوم العربية البحتة ، فغير العرب من الأمم لا تُعنى به ، ولا فائدة منه في نظرها ، إذ قيمة المرء بعمله لا بنسبه ، وفَضْله بِعَقْله وطَيب أخلاقه لا بحَسَبِهِ ، وبهذا جاء الدّين الإسلامي : «إنا خلقناكُم مِنْ ذكر وأنثى وجَعَلناكُم شعوباً وقبَائل

لِتعارَفُوا ، إنَّ أكرمَكُم عند الله أتْقَاكم » .

على أنَّ من أفاضل العُلماء من لَمَح من مَعنى هذه الآية العناية بهذا العلم كالإمام علي بن أحمد بن حَزم ، فقد قال في مقدمة كتابه « جمهرة أنساب العرب » : فقد جعل تعارف النَّاس بأنسابهم غَرَضاً له — تعالى — في خلقه إيَّانا شُعوباً وقبائل ، فَوجَبَ بذلك أنَّ علم النَّسَبَ علمٌ جَليل رَفيعٌ اذ به يكون التَّعارف . وشَدَّدَ النَّكير على من قال : إنَّ عِلم النسب عِلمٌ لا ينفع ، وجهالة لا تَضُرُّ ، وسار على هذا المنوال جُلُّ من أَلَّفَ في الأنساب .

ولقد عُنِيْتُ بالأنساب عِناية حملتني على مطالعة كثير من مؤلفاتها مطالعة بحث ودراسة وجمعت كثيراً من تلك الكتب ، ونسخت ما لم استطع اقتناءه منها . وحاولت أن أولف في هذا الموضوع الذي أدركت اهتمام الناس في بلادنا به وللحياة الاجتماعية أثرٌ كبير في ذلك فلا يزال جُلُّ سُكَّان قَلْب الجزيرة تقوم حياتهم الاجتماعية على مراعاة التكافؤ في النَّسَب ، ويُشدِّدون في هذا الأمر تشديداً كثيراً ما سبَّبَ مشكلات وأموراً صَعبة ، ألمَحْتُ الى طرف منها في مجلة « العرب » ج رمضان ١٤٠٠ هـ — وقد أشرت في مقدمة كتابي « معجم قبائل المملكة العربية السعودية » إلى أنّي انتهيت في دراستي لأصول القبائل العربية إلى نتيجةٍ لا يَرْضَى بها كُلُّ أحدٍ ، وألخصُها الآن بأن كثيراً من الصّلات بَيْن فروع القبائل وأصولها لا يقوم على أساس البُنُوة التي قد يحصل بها الحفاظ على نقاء النَّسَب ، بل قد تقوم على اعتبارات أخرى كالحِلْف ، والولاء والتَّبنِّي ، بل حتّى على الجوار في المَنْزل ، وعلى الاتّفاق بين الأسماء . ومثل هذا لا يقتصر على صلة الفروع بالأصول ، بل يَمتَدُّ الى البطون ، والأفخاذ ، وحتّى الأبناء فقد يَحْصَل التَّبنِّي في عهدنا الحاضر ، ولكن بغير الطريقة المعروفة عند المتقدمين ، حيث يَنشأ المرء من صغره في بيت بعض أقاربه ، فيُنْسَبُ إلى أولئك الأقارب دون أبيه .

وأخلصُ مما تَقَدّم — على أنني أنظر الآن الى علم الأنساب باعتباره من تُراثنا القديم ، فهو جُزءٌ من تاريخ الأمَّة العربية يُنظر إليه كما يُنظر إلى ذلك التأريخ ، لا أن تُبنَى عليه مُقَوِّمات الحياة الاجتماعية ، في هذا العصر ، أو يُعتبر من الأمور التي يُميَّز بها

بَيْنَ النَّاس تمييز تَفَاضل ، بِصَرف النَّظر عن أسباب التفاضل الصحيحة ، وهي الأعمال .

أصــول كتــاب الأنســاب :

مع عناية العلماء منذ بَدْءِ التأليف في تدوين الأنساب إلا أن هذا العلم لم يصل إلينا متكاملاً إلاَّ في مؤلفات هشام بن محمد الكلبي المتوفي في أول القرن الثالث الهجري (٢٠٤ أو ٢٠٦ هـ) وما وصل إلينا مما أُلِّف فهو تلخِيْصٌ أو اختصارٌ منها ، أو تفريع عليها ، باعتبارها الأصل .

حتى الهمداني ــ الحسن ابن أحمد ــ صاحب كتابي « الإكليل »[١] و« صفة جزيرة العرب » الذي وصفه الحافظ عبد الغني بن سعيد قائلاً[٢] : (عليه المعوَّل في أنساب الحِمْيَرِيِّين) مع توسُّعه فيما أورد منها في كتابيه المذكورين ، ومع اعتبارهما أوفى مرجع عن أنساب القبائل اليمنية ، لا نجده ذكر فيما اطلعنا عليه من مؤلفاته ــ شيئاً عن فروع تلك القبائل التي نزحت عن اليمن قبل الإسلام ، كقبائل الأزد ، وطيء وفروع قضاعة كجُهَيْنَة وبَلِيّ ، وعُذْرة وكَلْبٍ وغيرها ، مع طَعنِهِ في مؤلفات الكلبيِّين ، هشام وأبيه[٣] ومع ذلك فإنَّ مؤلفات الهمداني تعتبر من أصول كتب الأنساب المتعلقة بسكان جنوب الجزيرة ، ولا تغني عنها غيرها من المؤلفات .

ومما هو معروف الآن من مؤلفات ابن الكلبي في الأنساب قطعتان من كتابي « جمهرة النسب » و« نسب مَعَدٍّ واليمن » الكبير . وهُما يكونان كتاباً كاملاً في أنساب العرب ، قطعة « الجمهرة » تحتوي على أنساب بني عَدنان كاملة ، وقسم يسير من أنساب الأزد من القحطانيين ، وهي من مخطوطات (المتحف البريطاني) .

وقطعة من كتاب « نسب مَعَدٍّ واليمن » تتضمَّن جميع أنساب القحطانيين ، وطرفاً من نسب العدنانيين ، في مكتبة (دير الاسكوريال) في أسبانيا .

وقد ظنَّ كثير من الباحثين أن القطعتين من كتاب واحد ، هو « الجمهرة » ويتَّضح خطأ هذا القول من مخالفة مباحث مختصرات « الجمهرة » في الترتيب لمباحث ما هو

موجود من كتاب «نسب معدٌّ واليمن» .

ومع أهمّية هاتين القطعتين واحتوائهما على كل ما يتعلق بأصول القبائل العربية وفروعها القديمة لم يتّجه أحدٌ من الباحثين لنشرهما باستثناء ما قام به المستشرق الألماني وِرنَرْ كاسكل[٤] (١٣١٤ / ١٣٩٠ هـ) الذي توفي منذ عشر سنوات ، فقد قام بدراستهما دراسة كان من أثرها إصدار مجلدين ضخمين باللغة الألمانية بعنوان
Gamharat an Nasab Das General Ogischewerk
طبعا سنة ١٩٦٦ في مجلدين يحوي الأول مقدمة من ١٣٣ ص وجداول الأنساب القبائل في ٣٣٤ ص ويقع الثاني — وهو فهارس — في ٦١٦ ص وقد استعان في عمله بكثير من كتب النسب وغيرها .

ولمؤلفي ابن الكلبيّ المذكورين مختصرات وصل إلينا بعضها ، بل يصحُّ القول بأن كتب الأنساب العامة التي عُرِفَتْ حتى الآن من القرن الثالث الهجري مستقاة في أصولها من مؤلفات ابن الكلبي ومنها «أنساب الأشراف» للبلاذري و«جمهرة النسب» لابن حزم وغيرهما .

ولكتاب «جمهرة النسب» لابن الكلبي مختصرات ، من أوفاها نسخة في (مكتبة راغب باشا) في اصطنبول ، وصفتها في مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق) ص ٤٠/٥٠ من المجلد السابع والعشرين وفي ص ٦٣١ من المجلد التاسع والعشرين ، والمؤلف لذلك المختصر مجهول ، إلا أنه ترجح عندي أخيراً أنه المبارك بن يحيي الغسَّاني — من أهل القرن السابع الهجري .

ومن مختصرات «جمهرة النسب» أيضاً «المقتضب من جمهرة النسب» لياقوت الحموي ، وهو بخطه في دار الكتب .

وقد حاول المستشرق ليفي دِلاَّفيْدا (١٨٨٦ / ١٩٦٨ م) نَشر كتاب «الجمهرة» لابن الكلبي ، ثم ترك العمل لتلميذه كاسكل[٥] .

ومن مختصرات «الجمهرة» ايضاً كتاب «النسب» لأبي عبيد القاسم بن سلام ، المتقدم ذكره

ومن أصول كتب الأنساب — وخاصّة ما يتعلقُ منها بسكان اليمن — كتاب «الاكليل» للهمداني فقد خصص ثلاثة أجزاء منه لذلك هي الأول والثاني والعاشر، ولحسن الحظ فإن هذه الأجزاء لم تُفْقَد — كما فقدت أجزاء أخرى من «الاكليل» فالأول والثاني وصلا إلينا من طريق محمد بن نشوان الحِمْيَريّ، الذي يظهر أنه لم يَتَصرَّف فيهما تَصرُّفاً يُقَلِّلُ من فائدتهما، وقد حققهما الصديق الأستاذ القاضي محمد بن علي الأكوع، والجزء العاشر من «الاكليل» نشر كاملاً — كما وضعه الهمداني، وخصصه لنسب، فبيلنه (همدان) نشره الأستاذ محب الدين الخطيب — رحمه الله — وتحدثت عن هذا الجزء في أحد أجزاء مجلة (المجمع العلمي العربي بدمشق).

ويقوم (المعهد الألماني للأبحاث الشرقية) في بيروت، بنشر كتاب «أنساب الأشراف» للبلاذري[٦] وهو من أصول كتب النسب، على نقصه، ويتَوَلّى تحقيقه عدد من الأساتذة المهتمّين بدراسة كتب التراث، وسبق أن قام المستشرق الألماني (فردناند وستنفلد) بنشر كتاب «الاشتقاق» لابن دُرَيْد، ثم أعاد نشره الأستاذ عبد السلام هارون، والكتاب يدخل في الموضوع من حيث قدم مؤلفه، ولاحتوائه على تفريع أنساب أكثر القبائل.

ولا يَحسن إغفال كتابي «الاكمال» لابن ماكُولا، و«الأنساب» للسَّمعاني، فهما وإنْ أُلِّفا في موضوعين مُختلفين عما نتحدَّث بصدده إلا أنَّ فيهما من النُّصوص الكثيرة من كتب الأنساب القديمة ما يعين على تحقيق نصوص تلك الكتب. ككتاب محمد بن حبيب عن «مختلف القبائل ومؤتلفها» وكتاب «الإيناس» للوزير المغربي[٧].

وقد وجد علم النسب — في الآونة الأخيرة — عناية واهتماماً من الباحثين، فنُشِرَت بعض المؤلفات القديمة فيه وأُلِّفَتْ كُتُبٌ حديثة عنه، وتناولت الدراسات بَعْضَ جوانبه، مما لا نُطيل الحديث عنه[٨].

هـذه الرسالـة ومؤلفهـا:

اهتمام علماء الأندلس بالعلوم الإسلامية لم يقتصر على نوع منها بل كان شاملاً.

ووجد علم الأنساب عِنَايَةً يبْرُز أثرها في نَقْل أُمَّهات كُتُبه في وقت قريب من عَهد مؤلفيها ، كمؤلفات الهمداني والهجري ، وهما ممن لم يَعْرف المشارقة عنه إلا ما أتاهم عن طريق علماء الأندلس ، أو بعد أن عرفه هاؤلاء بزمن (٩) .

ومن آثار اهتمام علماء الأندلس بالأنساب مؤلفات كبار علمائهم في هذا العلم كابن حَزْمٍ ودِحية بن خليفة الكلبيّ والرُّشاطي وغيرهم ، ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم ، ومنها هذه الرسالة التي تشير مُقدمتها إلى جانب من ذلك الاهتمام ، وهي تحوي قَدْراً من علم النسب (إذا اشتملت عليه القوة الحافظة عُلم به كُلُّ منسوبٍ إلى شَعْبٍ أو قبيلةٍ أو عمارة أو بَطْنٍ مشهور ، أو فَخْذٍ مشهور) كما قال مؤلفها ، فكأنها أُلِّفَتْ لمعرفة أنساب المشاهير مِمَّن (نَبُه بحكمةٍ أو شرَف أو شِعْرٍ ، أو غير ذلك مما يَنْبُهُ به الرجال) .

ولو وصل إلينا كتاب المؤلف الذي دعاه «قسط الألباب من ثمار الأنساب» لاستطعنا الاهتداء إلى حَظِّ المؤلف من هذا العلم وان كانت هذه الرسالة على إيجازها — تدلُّ على سعة اطلاع وعُمق معرفة ، يُدْرِك هذين الأمْرين من اطلع على المؤلفات القديمة التي سبقت الإشارة إلى بعضها .

ويظهر أنَّ المؤلف عَوَّل — أكثر ما عَوَّل — على كتاب أبي عُبَيْد الذي صرح باسمه في مواضع ، وإن لم يذكره في كل موضع نقل عنه فيه ولهذا تُعْتَبَرُ هذه الرسالة مُخْتَصراً لكتاب أبي عُبَيْدٍ في «النَّسَب» وهذا لا يُقَلِّلُ من قيمتها ، فكتاب أبي عُبَيْد لم يُنْشَر ، ولم يعرف من مخطوطاته سوى نسخة واحدة من مخطوطات القرن الحادي عشر الهجري ، وهي تشابه — أو تقارب — في الخط مخطوطة هذه الرسالة .

المؤلف :

جاء في طُرَّةِ المخطوطة ما نَصُّه : (كتاب «تذكرة الألباب ، بأصول الأنساب» تأليف الشيخ أبي جعفر أحمد بن عبد العزيز بن عبد الوليّ البَتّي ، رحمه الله رواية عبد الملك بن زكريا بن حسَّان المُقري عنه .

قال أبو محمد الرُّشاطيُّ في (١٠) كتابه «الأنساب» وبتَّةُ قرية من قرى بَلَنسِية ، ينسب

إليها أبو جعفر أحمد بن عبد الولي بن أحمد بن عبد الولي البَتّي كاتب شاعر، بليغٌ مطبوعٌ، كثير التصرُّف، مليح التطرُّف، فما أُنشِدتُ له:

غَضَبْتَ الثُّريَّا في البِعَاد مكانها
وأودَعْتِ في عَيْنَيَّ صادق نوئها
وفي كُلِّ حالٍ لم تزالي[11] بَخيلةٍ
فكيف أعَرْتِ الشَّمْسَ حُلَّة ضَوئِها

أحْرَقَهُ القَنبيطور[12] على بَلنسيَة — حرسها الله — وذلك في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة) انتهى.

ويلاحظ الاختلاف في اسم أبي المؤلف، ولا شك أن (عبد العزيز) خطأ من ناسخ الرسالة سار عليه من جاء بعده، لاتفاق من ترجموا البَتّي من المتقدمين على أن اسم أبيه (عبد المولى) كما ورد في النقل عن الرشاطي في كتاب «جامع الأنساب» لإسماعيل بن ابراهيم البُلَبيسي (٧٢٨ / ٨٠٢هـ) الذي جمع فيه مختصر كتاب الرُّشاطي، مع «اللُّباب» مختصر الأنساب، فقد أورد جميع كلام الرشاطي.

ويظهر أن الذين ترجموا البَتّي اعتمدوا على ما جاء في كتاب الرشاطي، ومنهم ابن ناصر الدين الدمشقي، والمقري في «نفح الطيب» ٢١/٤٠٠ والزبيدي في «تاج العروس» رسم (ب ت) والبغدادي في «إيضاح المكنون» مع اختلاف يسير في وفاة المترجم. فقد جاء في كتاب «نفح الطيب»: وقيل إن احراقه كان سنة تسعين وأربع مئة. وفي «التوضيح» — لا يزال مخطوطاً — أرَّخ ذلك في سنة ٤٨٧ — على ما نقل الشيخ عبد الرحمن المعلّمي — رحمه الله — في حواشي «الإكمال» لابن ماكولا ج ٤٧٨/١.

وينبغي التفريق بين البَتّي هذا — بالتاء — وبين البِنّي — بالنون — وهو شاعر أندلسي يتفق معه بالكنية، ويشتبهان بالنِّسْبَة، مما سبَّبَ الخلط بينهما، فقد أورد الفتح بن محمد بن خاقان الأندلسي (٤٨٠ / ٥٢٨) في كتابه «قلائد العِقيان»[12] ترجمة لأبي جعفر بن البَنيّ، ونسب له فيما أورد من شعره البيتين اللذين نسبهما الرشاطي للبِتّي، وكذا فعل في كتابه «المطمح الأنفس»[13].

وجاء في كتاب «نفح الطيب»[١٤] — بعد إيراد البيتين : قال ابن الأبّار : أنشد مؤلف «قلائد العقيان» هذين البيتين لأبي جعفر البنّي اليعمري ، وأحدهما غالِطٌ ، من قبل اشتباه نسبهما ، والتفرقة بينهما مستوفاة في تأليفي المسمَّى بـ«هداية المُعْتسف ، في المؤتلف والمختلف» .

أما صديقنا الأستاذ الدكتور احسان عباس فقد قال في تعليقه على كتاب «نفح الطّيب»[١٥] على قول المؤلف : في الكلام على (بَلَنْسِية) : وممَّن أحرق فيها أبو جعفر أحمد بن البني الشاعر المشهور . قال الدكتور إحسان : (دوزي : أبو جعفر البتّي ، وكذا كُتِبَ في «التكملة» المطبوعة . ولكنَّ سَجْعَ ابن سعيد يدل على أن بَنَّة بالنون ، ككتاب «المِنَّة ، في حُلَى قرية بنّة» وهي من قرى بَلَنْسِيَةَ ، وقد سبق أن أشرت إلى أن البَتّي الذي حرَّقه القنبيطور هو غير البَني الذي ترجم له صاحب «القلائد» انتهى .

إذَنْ : فهما اثنان اشتبها في النسبة (البتّي) و(البنّي) أو ابن البني — كما ذكر صاحب «قلائد العقيان» .

وصاحبنا مؤلف الرسالة متقدم على الذي ترجمه صاحب «القلائد» فقد ذكر أنه اجتمع به في ميورقة ، وولادة مؤلف «القلائد» سنة ثمانين وأربع مئة — أي قبل قَتْل مؤلف الرسالة بنحو ثماني سنوات ، ثم ذكر من الحوادث التي وقعت له ما يُوَضِّحُ تأخُّره عن زمن مؤلف الرسالة .

يبقى التَّفْرِيق بينهما في النِّسبة ، فالبَتّي — صاحب الرسالة — منسوب إلى بتّة — بالتاء المثناة الفوقية — كما يدل على هذا ما جاء في طرة الرسالة ، نقلاً عن الرُّشاطي ، ويؤيد هذا ويؤكِّده أن البُلَبيسي نقل نصَّ كلام الرشاطي في باب الباء مع التَّاء في كتابه «مجمع الأنساب»[١٦] ثم ذكر في باب الباء مع النون[١٧] ما نَصُّه : (قلت : فاته البِنِّيُّ بكسر الباء والنون المشدَّدة ، وهو أبو جعفر ابن البنيّ ، شاعر مشهور ، أندلسي) ثم أورد بيتين له في وصف قِنْديل .

كما فَرَّقَ بينهما ياقوت في «معجم البلدان» قبل البُلْبَيْسي ، وصاحب «تاج العروس» بعدهما .

وقال ياقوت : بِنَّهُ ــ بكسر أوله ــ وبنَّةُ حِصْنٌ بالأندلس ، عمره محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام ، من أعمال الفرج ، ينسب إليه أبو جعفر البِنّي ، القائل في صفة قِنْدِيل :

وَقِــنْــدِيــلٍ كــأنَّ الضَّــوْءَ فــيــهِ
مَــحَــاسِنُ مَنْ أُحبُّ وقَــدْ تَــجَــلَّى
أشــار إلى الــدُّجــا بــلســان أفــعَى
فشَــمَّــرَ ذَيْــلَــهُ خَــوْفــاً ووَلَّى

وحَدَّد الفَرْج بما يُفْهم منه أنه ليس في جهة بلنسية ، وأنه بقرب قرطبة وفاته ذِكْرُ بنَّة التي هي من أعمال بلنسية ولا يزال في النفس من ضَبطها عدم اطمئنان ، مع ما تقدم .

وكل ما يعنينا معرفة جوانب من حياة مؤلف الرسالة التي بين أيدينا ، وما أوردته هو خلاصة ما اطلعت عليه .

ونسبة الرسالة إليه لم تنفرد بها المخطوطتان اللتان اتخذتهما أصْلاً لنشرها ، بل نسبها إليه صاحب كتاب « إيضاح المكنون »[١٨] ولا أستبعد أنه اعتمد في ذلك على ما جاء في طرة الرسالة ، ويقوي هذا أنه سَمَّى أبي المؤلف (عبد العزيز) وفق ما جاء في طرة الرسالة .

أصــل الرسالـة :

لهذه الرسالة مخطوطتان في مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، في المدينة المنورة ، تقع إحداهما في المجموع (٢٠٧) كتب في طرة هذا المجموع (مجموعة الرسائل بخط أبو بكر؟) أفندي المرحوم) وهذا المجموع يحوي :

١ ــ موقد الأذهان ــ لابن هشام .
٢ ــ رسالة في الهندسة والحساب .
٣ ــ مناظرات رشيد الدين الوطواط مع الزمخشري .

٤ — رسالة في معرفة الحُلى والكُنى للسيوطي — يظهر أنها منقولة عن نسخة بخط عبد بن أحمد بن عبد القادر الغنيمي الأنصاري سنة ٩٨٤ هـ فناسخها هو ناسخ الرسائل الأخرى ، وسيأتي ذكر هذه الرسالة .

٥ — رسالة في تصحيح لفظة (تلميذ) لعبد القادر البغدادي

٦ — جزء من شرح «هداية الحكمة» لِلْمَيْبديّ

٧ — بعض كراريس من ديوان أبي فراس .

٨ — نقول في علم الكلام في صفحتين .

٩ — تذكرة الألباب .

١٠ — كتاب «من نسب إلى أمه من الشعراء» لابن حبيب .

١١ — كتاب «النبات» للأصمعي .

١٢ — الارجوزية البيقونية في علم الحديث .

١٣ — كراس من شرحها لأحمد بن محمد الحنفي الشهير بالحموي وقد وصفه ناسخ الرسالة بقوله : (شيْخنا السيد)

وأكثر ما في هذا المجموع بخط أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني ، ولا تاريخ لكتابة أية رسالة من رسائله سوى رسالة السيوطي في الحلى والكُنى ، ويظهر أنه نقل ما في الأصل الذي نسخ عنه تلك الرسالة ، وفاته ذكر ذلك .

والناسخ تركيٌّ — فيما يظهر وعلى ما يفهم من جملة (بخط أبو بكر أفندي المرحوم) ولا شك أنه متأخر الزمن ، من القرن الحادي عشر فما بعده .

ورسالة «تذكرة الألباب» تقع في ثماني عشرة صفحة ، في الصفحة احدى وعشرون سطراً ، مكتوبة بالخط الفارسي المتقن ، بحروف كاملة الشكل ، وبعض العناوين بالخط النسخي الجميل ، وفي الصفحة الأولى تحت اسم الرسالة ترجمة المؤلف المنقولة عن الرشاطي ، ونهاية النسخة : (كتبه أبو بكر محمد بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني) بدون تاريخ .

وفي هامشها حاشيتان — بخط كاتب الأصل — : إحداهما منقولة من كتاب

« مراصد الاطلاع » عن رشاطة ، والأخرى من كتاب « المُزْهر » للسيوطيِّ ، عن عبد شمس .

والكاتب يصل كتابة الكلمات ولا يترك بياضاً حتى أبيات الشعر ، لا يفردها في سطور ، وهو شديد العناية بتشكيل الكلمات تشكيلاً صحيحاً ، وقد يضع على الحرف علامتين للتشكيل ، ويكتب فوقه (مَعاً) مثل (شبام) و(خَمرٍ) فقد وضع فوق الشين فتحة ووضع تحتها كسرة ووضع فوق الراء فتحة ، وتحتها كسرتين ، وكتب فوق الاسمين (معاً) .

واذا شابه الاسم غيره كتبه صحيحاً ووضع فوقه كلمة (صح) مثل (سمحة) و(نابل) ، وهو يحذ الألف من (الحارث) و(معاوية) ومع شدة عناية الناسخ بالدقة في الضبط فقد يقع في الخطإ مثل : (كان على بكر بن وائل يرى أوارات تميم إياه) والصواب : (يوم أوارات على بني تميم) .

غَيْرَ أنَّه — بدون شك — اعتمد في النَّقْل على أصْل صحيح ، مُتْقَن الضَّبْط ، وليس من المستبعد أن يكون هذا الأصل موجوداً في احدى المكتبات التُّركية ، أو غيرها ، لقرب عَهْد الناسخ .

والمخطوطة الثانية : تقع (٢٢) صفحة في الصفحة ثلاثة وعشرون سطراً غالباً ، سوى الأخيرة فأربعة أسطر ، والخطُّ فارسيٌّ مشكَّلٌ من حروفه ما قد يحتاج إلى شكل . ويَدُلُّ على أنَّ هذه النسخة منقولة عن الأولى اتفاقها في طريقة الكتابة ، حتى أن الكلمات التي يضعها ناسخ الأولى في الهامش لزيادة إيضاحها ، يضعها كاتب النسخة الثانية ، وحتى الأخطاء اليسيرة تتفق النسختان عليها . ومع ذلك فهي كثيرة الأخطاء في الشكل ، بخلاف الأولى ، وهي تنتهي بجملة : (وفروعها المشهورة التي يجمل بالأديب حفظها ، ويليق بالمتخصص ذكرها ، وحسبنا أن هنا ، والحمدلله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ، تم ،) .

وليس في آخرها اسم كاتبها ، ولا تاريخ الكتابة ، ولا شكَّ أنها أحدث خطًّا من

الأولى . ويظهر أنها مخطوطة سنة١١٨٧ ، وان ناسخها يدعى أحمد بن عثمان الشهير بالشهري ، لأنها تقع في مجموع يحوي نحو ٣٩ رسالة كثيرة منها نسخَهَا أحمد المذكور ، وهو تركي — فيما يظهر — ورقم المجموع في مكتبة شيخ الإسلام (١١٦) والرسالة فيه من ص ٣٢٩ الى ٩ ٣٤٠ — ومما في ذلك المجموع :

١ — تفسير سورة البقرة من أولها إلى الآية (من كان عَدُوا لله) بخط أحمد بن عثمان الشهري في ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ .

٢ — شرح الحسينية .

٣ — شرح الاستعارة السمرقندية .

٤ — متن السمرقندية .

٥ — نقول في موضوعات مختلفة بعنوان (فوائد من التفسير وغيره)

٦ — مثلثات العرب .

٧ — شرح منظومة حساب اليد ، لعبد القادر بن شعبان العوفي .

٨ — مقولة الافتراح .

٩ — نقول من شرح البخاري لابن حجر .

١٠ — جزء من كتاب «روض الأزهار ، ورقيق الاشعار» ، لعبد الرحمن بن أقباي الرمضاني .

١١ — نقول من شرح الفصيح للمرزوقي .

١٢ — كلمة (ياهناه) .

١٣ — ترجمة غلام أبي عثمان الخالدي ، نقلاً عن الثعالبي .

١٤ — جملة من كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدينوري (٤٢ صفحة)

١٥ — رسالة في (أرض السمسمة) التي ذكرها الشيخ الأكبر في فتوحاته .

١٦ — رسالة أدبية لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي — جاء في أولها بعد الخطبة : (هذا مختصر جمعتُ فيه ما تفرق من الأبيات المفردة ، وأنصاف الأبيات التي ما زال الفضلاء يتمثلون بها في مكاتباتهم ومخاطباتهم) .

١٧ — موقد الأذهان لابن هشام النحوي .

١٧ — رسالة لرشيد الدين الوطواط، كتبها الى أصحابه.

١٨ — رسالة في معرفة الحُلى والكُنى للسيوطي، بخط عبد بن أحمد بن عبد القادر الأنصاري الشافعي سنة ٩٨٤ — ونوع خطها مغاير لأنواع خطوط الرسائل التي في المجموع.

١٩ — رسالة في لفظ تلميذ، لعبد القادر البغدادي

٢٠ — تذكرة الألباب.

٢١ — كتاب «من نُسِب إلى أمّهِ من الشعراء» صنعة محمد بن حبيب، رواية أبي عثمان بن جني — مخطوط سنة ١١٨٧ هـ.

٢٢ — كتاب «النبات» للأصمعي.

٢٣ — بعض كراريس من «ديوان أبي فراس».

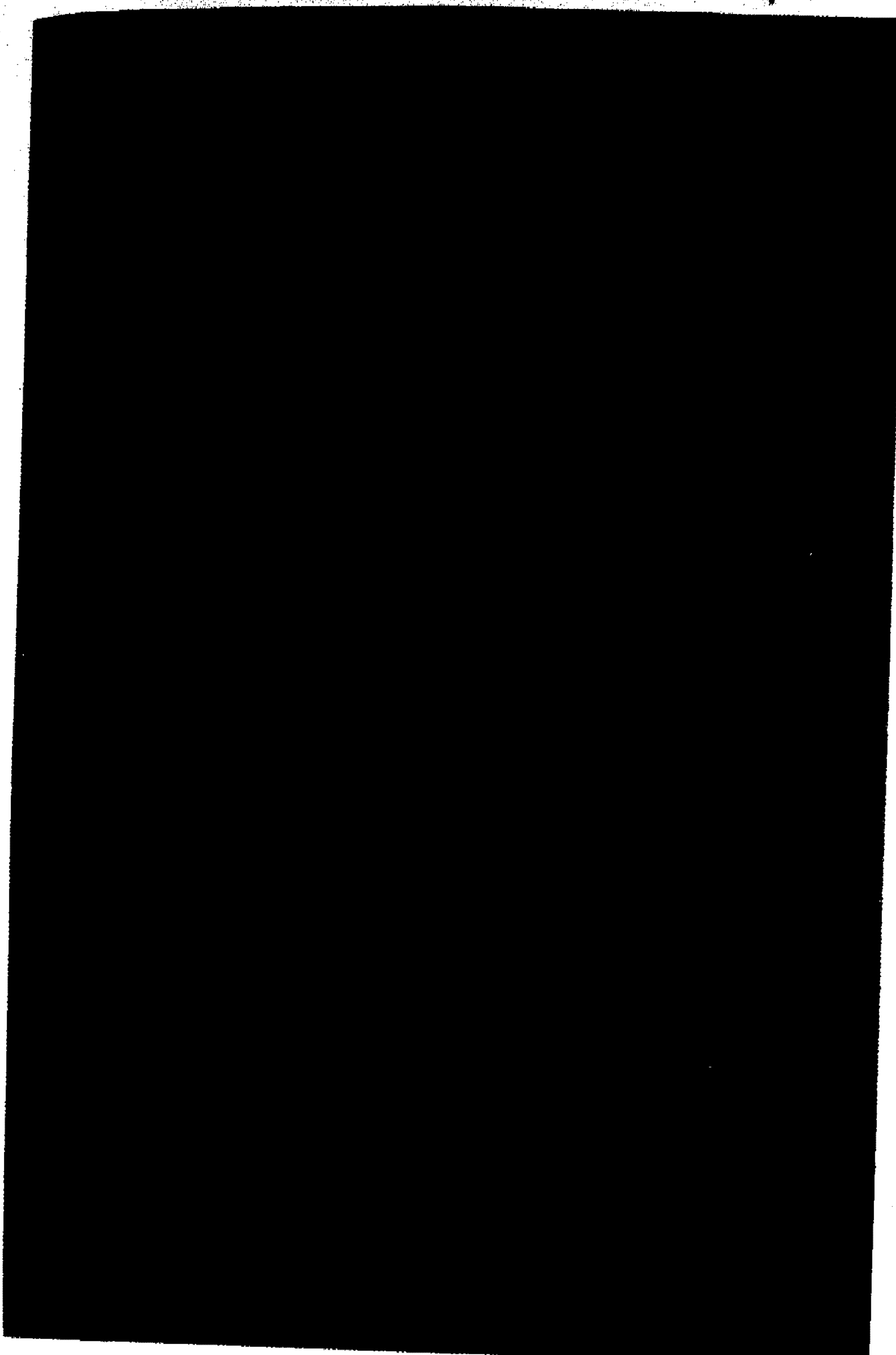
هذا بعض ما في ذلك المجموع وبعض الرسائل قد نشر، ككتاب «النبات» ورسالة «التلميذ» وكتاب «من نُسِب إلى أمه من الشعراء» وقطعه كتاب «النبات» لأبي حنيفة الدّينوري.

لقد اتخذت النسخة الاولى أصلاً، لقدمها ولجودة كتابتها، وإتقان ضبطها. وعنها نقلت النسخة التي نَسَختها، وما كنت أعرف شيئاً عن النسخة الثانية إلاّ بعد أن أردت نشر الرسالة، فاتصلت بقسم المخطوطات في مكتبة (جامعة الرياض) فعلمت من الأستاذ الكريم صالح الحجّي، أن المجموع الذي تقع فيه الرسالة قد صوره قسم المخطوطات، ثم أفْضَل — فأطلعني عليه، وزاد إفضالاً باطلاعي على المجموع الثاني الذي يحوي النسخة الثانية، وسارع — رعاه الله — فهيّأ لي الاستفادة من المخطوطتين فله وللأستاذ عبد الرحمن بن حمد العكرش، ولكل الأخوة العاملين في ذلك القسم أطيب تحية.

أما عملي في النشر فينحصر في تقديم نسخة تكون أقْرَبَ صِحّةً وأكثر مطابقة لأصل الكتاب كما وضعه مؤلفه، بدون إضافة حواشٍ أو تعليقات تخرجه عما أراده المؤلف من إيجاز.

وما أرى عمل المحقق يتجاوز ذلك.

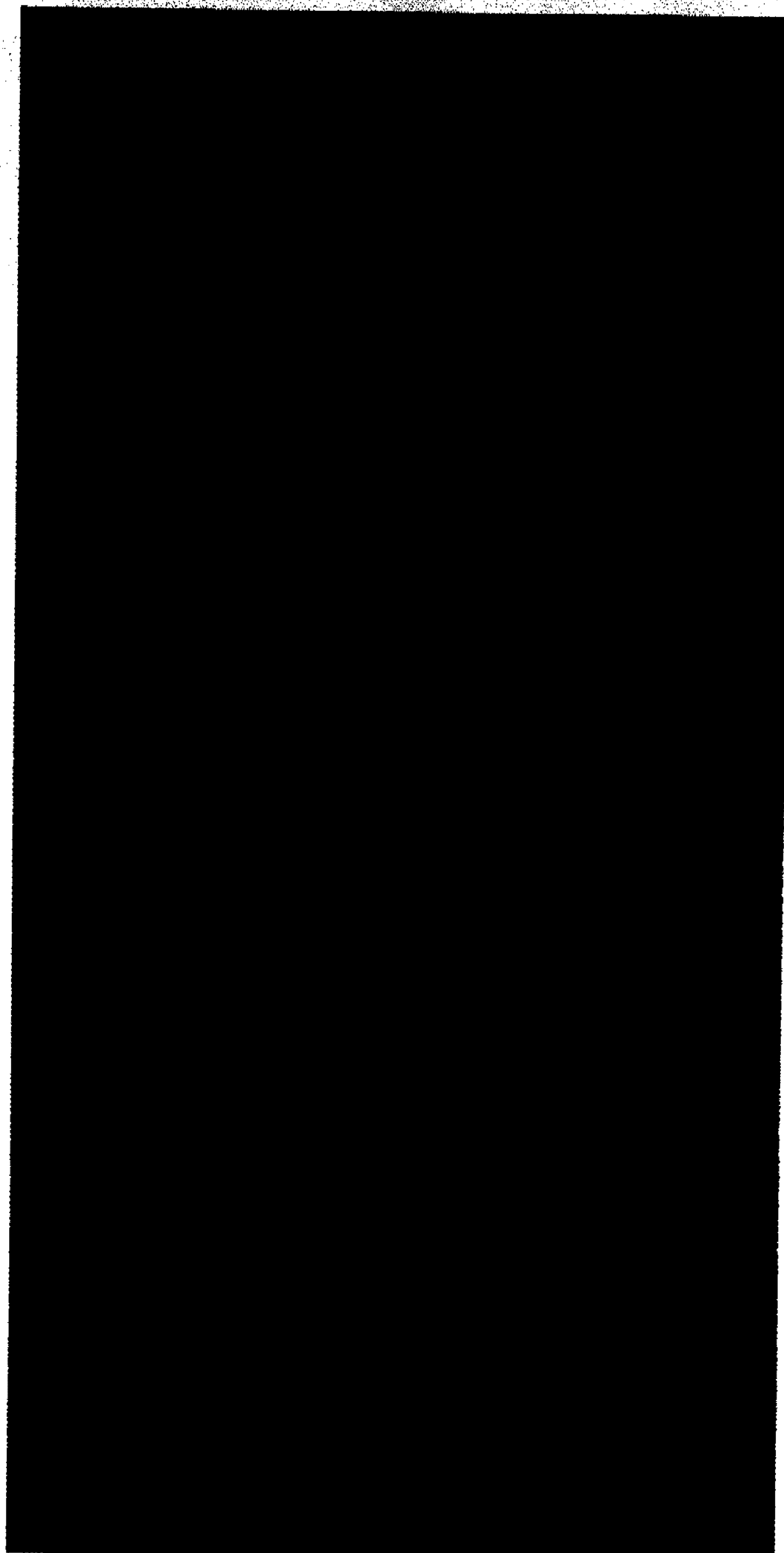
حمد الجاسر



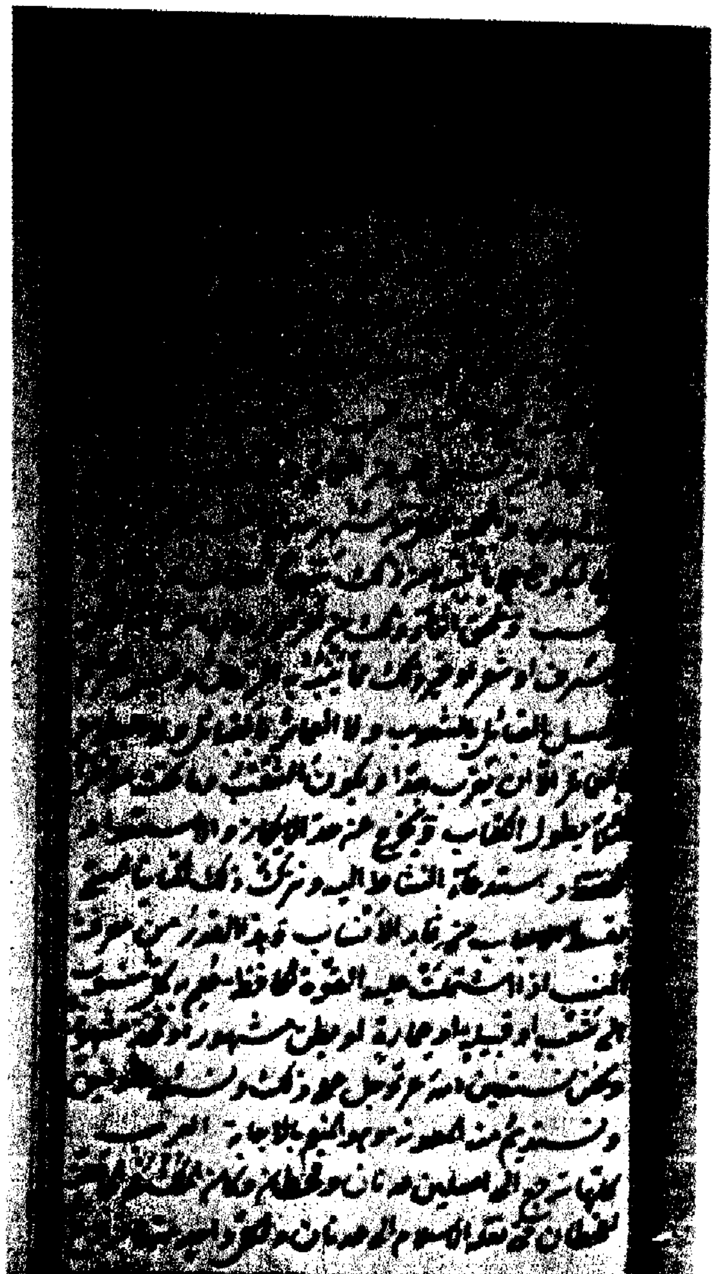
طرة المخطوطة الأولى



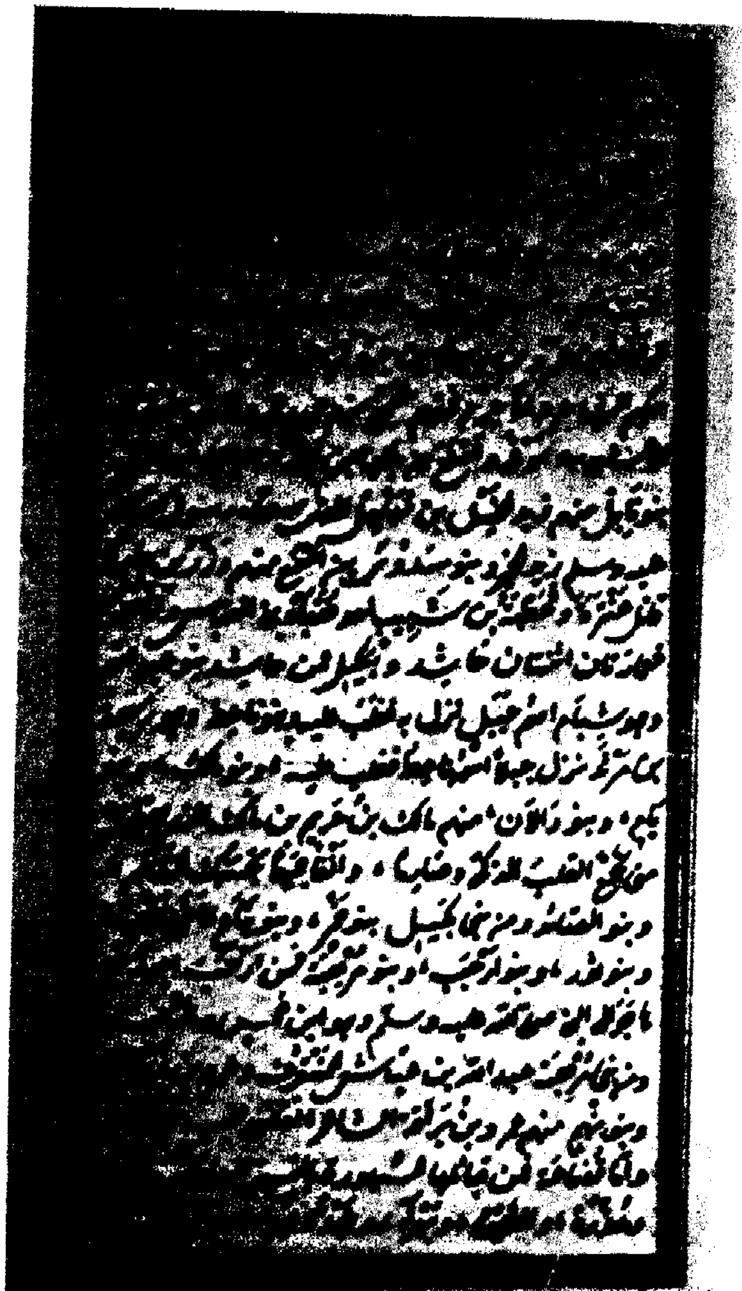
الصفحة الأولى من المخطوطة الأولى



الصفحة الأخيرة من المخطوطة الأولى



الصفحة الأولى من المخطوطة الثانية



الصفحة الأخيرة من المخطوطة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو جَعْفرٍ أحمدُ بْنُ عَبْدِ الوَلِيِّ بن أحْمَدَ بنِ عَبْدِ الوَلِيِّ الْبَتِّيُّ — رحمه الله — :

غَرَضُنَا — بعد حمد الله تَعالى ، والصَّلاة على محمد نبيِّه المصطفى ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ أَنْ نُجِيبَ أَحَدَ جلَّة أَوْلِيَائِنَا إلى ما رَغِبَ فِيْهِ مِنْ إثْبَاتِ لُمَعٍ مِنَ أَنْسَابِ العَرَبِ ، تَتَضَمَّنُ أُصُولَ شُعُوبِهَا وقَبَائِلِهَا ، ومَنْ تشْتَمِلُ عَلَيْهِ من الْعَمَائِرِ والبُطُونِ ، والأَفْخَاذِ المشهورة .

وبالْجُمْلَةِ فكُلُّ منْ شُهِرَ منهم بالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، بِمَا هُوَ أبٌ عالٍ ، ليكون على ما نُثْبِتُهُ مِنْ ذلك تنْبِيهاً للطالِبِ ، وتَذْكِرةً للنَّاسِبِ . ونُلْحِقُ أثناء ذَلِكَ منْ أفرادِ رِجَالِهَا مَنْ نَبُهَ بحِكْمَةٍ ، أَوْ شرَفٍ ، أوْ شِعْرٍ ، أوْ غَيْر ذَلِكَ مِمَّا يَنْبُهُ بِهِ الرِّجَالُ .

وَلَيْسَ نَلْتَزِمُ تَوْصِيْلَ الْقَبَائِل بالشُّعُوبِ ، ولا الْعَمَائِرِ بالقبائِلِ ، ولا الْبُطُونِ بالْعَمَائِرِ ، إلاَّ أَنْ يَقْرُبَ جِدًّا ، ويَكُونَ الشَّعْبُ وَمَا تَحْتَهُ مُؤخَّراً ، لِئَلاَّ يَطُول الكتاب ، ويَخْرجَ عن حدِّ الإِيْجاز ، والاسْتِعْدَادِ لِلحِفْظِ ، واسْتِدْعَاءِ النشاط إليه .

ونَتْرُكُ ذَلِكَ لكتابنا المُسَمَّى بـ«قِسْط الألباب ، من ثمَارِ الأَنْسَابِ» .

وهَذَا القَدْرُ من مَعْرِفَةِ النَّسَبِ إذا اشْتَمَلَتْ عليه القُوَّةُ الحافِظَةُ ، عُلِمَ به كُلُّ مَنْسُوبٍ إلى شَعْبٍ أوْ قَبِيلَةٍ ، أوْ عِمارَةٍ ، أوْ بَطْنٍ مَشْهُورٍ ، أوْ فَخْذٍ مَشْهُورٍ .

ونَحْنُ نَسْتَعِينُ اللهَ عزَّ وجلَّ على ذلك ، ونَسْأَلُهُ التوفيقَ ، ونَسْتَدِيمُ مِنْهُ المَعُونَةَ ، وهو المُنْعِمُ بالإجَابَةِ .

الْعَرَبُ كُلُّهَا تَرْجِعُ إلى أَصْلَيْنِ : عَدْنَان وقَحْطَانَ ، وكانَ المُلْكُ في الْجَاهِلِيَّةِ لِقَحْطَان ، حتَّى نَقَلَهُ الإسْلاَمِ إلى عَدْنَانَ .

ولِكُلِّ وَاحِدٍ منهما فُرُوعٌ ، اتَّفَقَتْ العَرَبُ — فِيْمَا نُقِلَ إلَيْنَا — على أنْ جَعَلَتْها سِتَّ طَبَقَاتٍ فأعْلاَهَا الشَّعْبُ ، ثُمَّ القَبِيْلَةُ ، ثُمّ الْعِمَارَةُ ، ثم البَطْنُ ثم الْفَخذُ ، ثم الْفَصِيْلَةُ .

وإنَّما يَعْلُو بَعْضُها على بَعْضٍ بِشَرْطَيْنِ : قِدَمُ المَوْلِد وكَثْرةُ الوَلَدِ .

وليس دُوْنَ الفَصِيْلَةِ إلاَّ الرَّجُلُ وَوَلَدُهُ ، فشعوبُ عَدْنَان ثلاثةٌ : اثنان مشهوران ، وهما مُضَر ورَبِيْعَةَ .. وواحد دونهما في الشُّهْرَةِ ، وهو إيَادٌ وقيل : إنَّ إيَّاداً حُشْوَةٌ في مُضَر ، وربيعَةُ وإيادٌ بَنُو نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بنِ عدنَانَ ، ولِنِزَارٍ ابْنٌ رَابعٌ ، وهو أَنْمَارُ بْنُ نِزارٍ يأتي ذكره في آخر نَسَب عَدْنَان .

وَمَنْ جَعَلَ قُضَاعَةَ من عَدْنَان فالشعوبُ عنده أرْبَعَةٌ ، ويقول : هُوَ قُضَاعَةُ بنُ مَعَدِّ بن عدنان .

فأمَّا مُضَرُ وَلَدَ الْيَاسَ ، والنَّاس ، فَوَلَد الْيَاس — فيما رواهُ أبو عُبَيْدٍ[٢٠] عن ابْنِ الكلبيِّ —[٢١] ثَمَاني قَبَائِل : كِنَانَةُ والْهَوْنُ وأَسَدٌ بَنُو خُزَيْمَة ابن مُدْرِكَةَ بنِ الْيَاس ، وهُذَيْل بْنُ مُدْرِكة ، وتَمِيْمُ بْنُ مُرِّ بنِ طَابِخَةَ بْنِ إلياس ، وعَبْدُ مناةِ بن أُدِّ بْنِ طابخَة ، وعَمْرو بْنِ أدٍّ ، وضَبَّةُ بْنُ أُدٍّ .

فأَمَّا كِنَانَةُ فالْعَالي المشهورُ مِنْهَا بِالنِّسبَة إلَيْهِ ثلاثةٌ : قُرَيْشٌ وهو أشهَرُها ، وبكرٌ

ولَيْثٌ ، ثم الدِّيلُ وغِفَارٌ ، وهما دُوْنَ الثلاثة في الشُّهْرة ، ولهذه بطون كثيرة ، ليست بمشهورة الأنساب ،

فقريش هوَ النَّضر بن كِنَانَةَ على اختلافٍ في ذلك .

قريش[٢٢] بطونها عشرةٌ ، بنُو عَبْدِ مَنَافٍ ، ويَشْتَمل على بَنِي هاشم ، فخِذِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والعباس وعلي عليهما السلام .

وعلى بَني أُمَيَّةَ فَخِذِ عثمانَ ومُعَاوِيَةَ رضي الله عنهما .

الثاني بنو أَسدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى منهم الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّام ، وخَدِيْجَةُ زَوجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآلِهِ وَوَرقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ .

الثَّالِثُ : بَنُو زُهْرة مِنهُمْ عبد الرَّحْمَن بن عَوفٍ وسَعْدِ بن أَبِي وَقَّاصٍ ،

وَالرَّابعُ : بَنُو تَيْمٍ مِنْهُمْ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيق ، واسمُهُ على اختِلافٍ فِيْهِ عَتِيْقُ بنُ أَبي قُحَافَةَ ، وطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله .

والخامسُ بنو عَدِيٍّ منهم عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ، وخَارِجَةُ بنُ حُذَافَةَ ، قَاضِي عَمْرو بنِ العَاص بِمِصر قتله الخارجيٌّ لَيْلاً وهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ عَمْرٌو ، ثم قال عِنْدَمَا عَلِمَ به : أَرَدْتُ عَمْراً وأَرَادَ الله خَارِجَةَ .

والسادس : بَنُو عَبْدِ الدَّارِ مِنهُم النَّضْرُ بنُ الحارِثِ قُتِلَ يومَ بَدْرٍ صَبْراً ..

والسَّابع : بَنُو مَخْزُومٍ منهم خالِدُ بْنُ الوليد ، وسَعِيدُ بنُ الْمُسَيَّب ، وأَبو جَهْلِ بْنِ هشام .

والثامن : بَنُو جُمَحٍ منهم أَبو عَزَّة الشاعرُ قُتِلَ بأَمْرِ النبي صلّى الله عليه وسلم يوم أحدٍ ، صَبْراً .

والتاسع : بنو سَهْم منهم عَمروُ بن الْعَاص ، وقَيْس بنُ عَدِيّ الذي سَارَ فِيهِ المثل . كأَنَّه في الْعِزِّ قَيْسُ بْنُ عَدِيْ .

والعاشر بنو الحارث بن فِهْرٍ منهم أبو عُبَيْدة بنُ الجرَّاح أمينُ هَذِهِ الأمَّة .

وزاد أبو عُبَيْد على العشرة : بني عامر بن لُؤيٍّ منهم سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو السَّافِرُ عن كُفَّارِ قُرَيش في الْـهُدْنَةِ بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم وآله عام الْـحُدَيْبية . **وبني خُزَيْمَةَ** بْن لُؤيّ .

فهذه جِماعُ قريش .

وأمَّا بَكْر ، فهو بَكْرُ بْنُ عبدِ مناة بن كِنَانَةَ ، وهُمُ الّذين سَار فيهم المَثَلُ : أخُوكَ البكريُّ لا تأْمَنْهُ .

وأمَّا لَيْثُ فهو لَيْثُ بْنُ بكر بن عَبْد مناة بن كِنانة ، وهم الذين ينتمي إليهم نَصْرُ بْنُ سيَّارٍ اللَّيْثيُّ ، عَامِل مروان الجَعْدِيّ على خُراسان وَعلَيْه خرج أبو مسلمٍ صاحبُ الدَّعْوة ، وكلُّ لَيْثيٍّ فيما عَلِمنا إليه يُنْسَب .

وأمَّا الدّيْلُ فَهُوَ الدّيْلُ بنُ لَيْثٍ بن بَكْرٍ .

ومن بني غِفَارٍ أبو ذَرٍّ الغِفَاريُّ .

ومن أبطال كِنانَةَ جِذْلُ الطِّعَانِ واسْمُه علقمة بن فِرَاسٍ .

ومِن ولدِهِ رَبيعة بن مُكدَّمٍ الَّذِيْ جرى فيه المثل : أحْمَى مِن مُجيْرِ الظُّعْنِ .

وأمَّا الهُونُ بنُ خُزَيْمَةَ فمِن ولدِهِ حُلْمَة والدِّيْشُ ابْنا مُحلِّمٍ ، فيقال لبني حُلْمَةَ الأبْناء ، ويقال لِبَني الدِّيْش القَارَةُ .

وأمَّا أسَدَ بْن خُزَيْمَةَ فالمشْهُورُ مِنْ وَلَدِهِ مِمَّنْ يُنْسَبُ إلَيه بَنُو دُوْدَان ، وبَنُو كاهِلٍ ، وبنو قُعَيْنٍ ، وبنو عَمْروٍ ، وَنَصْرٍ ابني قُعَيْنٍ وبنو فَقْعَسٍ ، وبنو وَالِبَةَ وبنو الصَّيْدَاء الذين يقول فيهم الشاعر :

يا بني الصَّيْدَاء رُدُّوا فَرَسِي*(٢٣) .

وبنو جَذِيْمَةَ الّذِينَ يقول فيهم النَّابِغَةُ :

وبنو جَذِيْمَةَ حَيُّ صِدْقٍ سَادَةٌ .

وبنو الهَالِكِ والهَالِكُ أوّلُ مَنْ عَمِلَ فيهم الحَدِيْدَ ، فَعُيِّرَتْ بَنُو أَسَدٍ وجُعِلُوا قُيوناً .

ومن سادات أَسَدٍ في الجاهلية عَمْرو بنُ مَسْعُودٍ ، وفي الإِسْلام أُسَيْلِمُ بن الأَحْنَفِ شَرَّفَ بالشَّام .

ومن أبطالها ذُؤَابُ بنُ رَبِيْعَةَ قاتِلُ عُتَيْبَةَ بنِ الحارث بن شِهَابٍ .

وفي ذُؤابٍ يقول أبوهُ حين قُتِل :

إنْ يَقْتُلُوكَ فقد هَتَكْتَ بُيُوتَهُم ... بِعُتَيْبَةَ بن الحارث بن شِهَابِ

ومن شُعرائها عَبِيْدُ بْنُ الأَبْرَص ، وبِشْر بن أبي خَازِمٍ ، والكُمَيْتُ بنُ زَيد .

وَأَمَّا هُذَيْلُ بْنُ مُدْرِكَة فَبَطُونُهُ : لَحيّانُ وخُنَاعَةُ وجُرَيبُ وصاهِلَة وكَعْبُ .

فَمِنْ بني صَاهِلَةَ عبدالله بن مسعودٍ ، صاحب النبي صلى الله عليه وآله ، ولم يشتهر أحدٌ من هذه البطون بالنسبة إليها فيما بلغنا ، بل وقَفَتْ نسبتهم على هُذَيْلٍ ، ومن شعرائهم أبو ذُؤَيب القائل :

وَإِذَا المَنِيَّةُ أنْشَبَتْ أظْفَارَها ... أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيْمَةٍ لا تَنْفَعُ

والمُتَنَخِّلُ وهو القائلُ :

كَأنَّ مزاحف الحَيَّاتِ فِيْهِ ... قُبَيْلَ الصُّبْحِ آثارُ السِّيَاطِ

وأبو خِرَاشٍ وهو القائل :

فَلاَ وأَبِيْكِ الْخَيْرِ لا تَجِدِيْنَهُ ... جَمِيلَ الغِنَى إلاَّ صَبُوراً على الْعُدْم

أَرُدُّ شُجَاعَ البَطن قَدْ تَعْلَمِينَهُ ... وأوثِرُ غَيْرِي مِنْ عِيَالِك بالطُّعْمِ

وأَمَّا تَمِيْمُ بنُ مُرِّ بْنِ أُدٍّ وعَمَائِرُها المشهورة : بَنُو حَنظَلَةَ بْنُ مَالِكٍ ابن زَيْدِ مناةَ بنِ تَمِيْمٍ .

وبَنُو العَنْبَر بنُ عَمْرو بن تميم .

وبنو أُسَيِّدٍ[٢٤] ابن عَمْرِو بن تَمِيْمٍ ، مِنْهم أَكْثَم بنُ صَيْفِيٍّ .

وبنو سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَنَاة بن تمِيْم .

ومازن بنُ مالك بن عمرو بن تميم .

منهم قَطرِيُّ بنُ الفُجَاءَةِ ومَالِكُ بنُ الرَّيْب الشَّاعِرُ .

وامْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ زَيْد مناة بن تميم وهي في الشهرة دون أولئك ، منهم عَدِيُّ بْنُ زَيد الْعِبَادِيُّ صاحب النعمان بن المنذر الأصغر .

وبطونُ حَنْظَلَة المشهورة بنو يربوع ، وبنو دارم فِيهِم الْبَيْتُ والشَّرف .

وأفخَاذُ يَرْبُوعٍ المشهورة : رِيَاحٌ منهم سُحَيْمُ بْنُ وَثِيْلٍ الرِّيَاحيُّ ، القائل .

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايا مَتَى أَضَعُ العِمَامَةَ تَعْرِفُوني

وكُلَيْبٌ منهم جَرِيْر بْنُ الخطَفَى .

وغُدَانَةُ ومنهم وكِيعُ بْنُ أبي سُوْدٍ قاتِلُ عبدِاللهِ بن خازمِ السُّلميِّ عامِلِ عبدالله بن الزبير على خُراسان ، ودونها في الشهرة : **ثَعْلَبَةُ** منهم عُتَيْبَة بن الحارث بن شِهابٍ .

والعَنْبَر منهم سَجَاحٌ بنتُ أَوْسٍ التي تَنَبَّأَتْ .

والحارث وهو والدُ سَلِيْط بن الحارث ، منهم الزُّبير بْنُ الماحوز السَّلِيْطي الخَارجيُّ .

وَرِيَاحٌ وكُلَيْبٌ ، وغُدَانَة ، وثَعْلَبَة والْعَنْبر والحارث كلهم بنو يربوع بن حنظلة .

وأَفْخَاذُ دارِمٍ المشهورة : مُجَاشِعٌ منهم الْفَرَزْدَقُ بن غالب .

ونَهْشَلُ وفُقَيْمٌ ، وهو دونهما في الشهرة .

ومن بني حَنْظَلَة بن مالك : الْبَرَاجِمُ — وهو عَمْرٌو — والظُّلَيْم واسمه مرة — وغالب ، وكُلْفَةٌ ، وقَيْس ، بنو حَنْظَلَة ، فإذا قيل بُرْجُميٌّ كان واحداً من هؤلاء .

ومنهم **الأَحْمَالُ** وهم ثعلبةُ وعَمْرٌو ، وصُبَيْرٌ ، والحارث ، بنو يربوع بن حنظلة ،

ومنهم العُقَدُ إخوةُ الأَحْمَالِ ، وهم كُلَيْبٌ وغُدانَةُ والْعَنْبَرُ بنو يربوع .

ومنهم بَنُو العَدَوِيَّة وهم زَيْدٌ ، والصُّدَيُّ ، ويَرْبُوع ، بنو مالك بن حنظلة ، وأُمُّهم الْعَدَوِيَّة من جُلّ بن عَدِيٍّ بها يعرفون .

ومنهم بنو طُهَيَّةَ وهم أبو سُودٍ وعوف ابنا مالك بن حنظلة ، وأُمُّهم طُهَيَّةُ بِنْتُ عبدِ شمس بن سعدٍ بها يعرفون .

ومن بني تميم الْحِبَالُ ، وهم بنو معاوية بن عمرو بن الهُجَيْم بنُ عَمْرو بْن تميم .

ومنهم الْحَبَطُ — وهو الحارث — بن عمرو بن تميم يقال لبنيه الْحَبِطَاتُ مِنْهُم عبَّادُ بْنُ الْحُصَيْنِ .

ومن بني العنْبر بْن تميم بَنُو دُغَة التي جرى المثل فيها : أَحْمَقُ مِنْ دُغَةَ ، هي أمهم غلبت عليهم .

ومن بطون سعد بن زيد مناة عَوفٌ وكعبٌ ، وعَبدُ شمسٍ[٢٥] وعَبْشَمْسٍ : بنو سعدٍ ومُقَاعِسُ .

ومن ولده عبدالله بن صَفَّارٍ ، صاحبُ الصُّفْرِيَّة ، وعبدالله بن إباضٍ صاحب الإباضيَّةِ .

وعُبَيْدٌ وعُمَيْرٌ ابنا مُقَاعِسٍ ، فمن بنى عُمَيْرٍ السُّلَيكُ بن السُّلَكَةِ .

وبنو مِنْقَرْ بْنِ عُبَيْد منهم قيسُ بنُ عاصمٍ الذي يقول فيه الشاعر :

فما كان قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ واحدٍ ولكنَّه بنيانُ قوم تهدَّما

وعَمْرو بن الأهتم[٢٦] وميَّةُ صاحبةُ ذي الرُّمَّة .

وبنو مُرَّة ابن عُبَيْدٍ منهم الأَحْنَفُ بن قيسٍ واسمه صَخْرٌ ويكنى أبا بَحْرٍ .

وبنو بَهْدَلَة بن عوف بن كعبٍ بن سَعْدٍ منهم الزِّبْرِقَانُ بن بَدْرٍ.
وبنو قُرَيْع بن عوفٍ، منهم الأضبَط بن قُرَيْعٍ وأَنْفُ النَّاقَةِ أَخُوهُ الذي يقول الحُطَيْئَةُ في بنيه:

قومٌ هم الأنْفُ والأذنابُ غيرُهُمُ ... ومن يُسَاوي[٢٧] بأنف النَّاقَةِ الذَّنَبَ

وبنو عُطَارِد بن عوفٍ بن كعب بن سَعدٍ، منهم عُوَيْرُ بنُ شَجْنَةَ الذي يقول فيه امرؤ القيس:

لكنْ عُوَيرٌ وفى بِذِمَّتِهِ ... لاَ عَوَرٌ، شَانَهُ ولا قِصَرُ

ومن رِجَالِ خَارِجَةِ تميمٍ[٢٨]: أبو بِلاَلٍ مِرْدَاسُ بنُ حُدَيْرٍ، وأُمُّهُ أُدَيَّةُ بها يعرف، وذكر بَعْضُ الأخباريِّينَ أنه هَزَمَ بأربعين رَجُلاً أَلْفَيْن وهو من بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة، ولم يُذْكر قومه بِعِمارةٍ أو بَطْنٍ، لأنهُم دخلوا في بني يربوع بن حنظلة.

ومن شعرائهم علقمة بن عَبَدَة من بني ربيعة بن مالك بن حَنظلة، وهم من بني نَهْشَل.

فهذِهِ عمائرُ تميمٍ وبطونُهَا.
وأمَّا عبد مناة بنُ أُدٍّ فَوَلَدُهُ المشهورون بالنِّسْبة إليه تَيمٌ، وثورٌ وعُكْلٌ، وعَدِيٌّ.

فتَيْمٌ، الذي يقول فيهم جرير:

ويُقضَى الأَمْر حين تَغِيبُ تَيْمٌ ... ولا يُسْتَأْذَنُونَ وهُمْ شُهُودُ
وَإِنَّكَ لَوْ نَظَرْتَ عَبِيْدِ تَيْمٍ ... وتَيْمًا قُلْتَ أيُّهُمَا العبيدُ؟؟

وَثَوْرٌ، يُعرَفُ بثور أَطْحَل.
منهم سُفْيَان الثَّوريُّ الفقيه.

وأمَّا عُكْلٌ فهم الحارِثُ ، وجُشَمٌ ، وسَعْدُ ، وعَليٌّ بَنو عوفٍ بن وَائِل بن قيس بن عوف بن عبدِ مناة حَضَنَتْهُمْ أمةٌ[29] يقَالُ لها عُكْلٌ ، فَنُسِبُوا إليها وغلبت عليهم .

وأما عَدِيٌّ بنُ عبدِ مَنَاةِ فوَلَدَ جُلاًّ[30] ومِلْكَانَ فمن مِلْكَانَ ذُو الرُّمَّةِ ، واسمه غَيْلانُ ابن عقبة .

وأما عَمْرو بن أُدٍّ فوَلَدَ عثمانَ وأوْسا وأُمُّهَا مُزَيْنَةُ بنتُ كَلْب بن وَبْرَةَ ، غلبَتْ عليهم ، فهم مُزَيْنَةُ فَكُلُّ مُزَنيٌّ في المشهور مَنْسُوبٌ إليها .

منهم مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وإليه يُنْسَبُ نَهْرُ مَعْقِلَ بالبَصْرَةِ .

وزهير بن أبي سُلْمَى ومَعْنُ بن أَوْسٍ الشاعران .

وأمَّا ضَبَّةُ بن أُدٍّ فَثَبَتَتْ نِسبَةُ وَلدِهِ إليه فلا يُقَالُ في عِلْمِنَا إلا ضَبِّيٌّ .

قال أبو عُبَيْدٍ القاسم بن سَلامٍ : ولدَ ضَبَّةُ سَعْداً وسُعَيْداً — وهو الذي قتله الحارث بنُ كعبٍ — وبَاسِل بنَ ضَبَّة خَرَجَ مُغَاضِباً لأبيه فوقع بأرضِ الدَّيْلَمِ فتزوج امرأة من العجم فوَلَدَتْ له دَيْلماً فهو أبو الدَّيْلَم .

ومنْ رجالها في الجاهلية زَيدُ الفوارِس بن حُصَينٍ ، وفي الإسلام ابنُ شُبْرمَةَ القاضي .

انقَضَتْ قَبَائِل الياس ابن مُضَر .

وأما النَّاسُ بنُ مُضَرٍ فهو عَيْلاَنُ فقَبيلَتُهُ العُظْمَى قَيْسٌ ، وهو وَلدُهُ الأَدْنَى وعَمائِرُها العِظَامُ المشهورة عَشْرٌ : غَطَفَانُ ، وذُبْيَانُ ، وعَبْسٌ ، وفزَارَةُ ، وسُلَيْمٌ ، ومُحَارِبٌ وعَدْوانُ ، وَفَهْمٌ ، وهَوَازِنٌ ، وثَقِيفُ .

ومن بطونها المشهورة : مُرَّةُ بن عَوْف بْن سَعْد بن ذُبْيانَ ، وفي وَلَدِ غَيْظ بن مُرَّةَ

العَدَدُ والشَّرَفُ فكُلُّ مُرِّيٍّ إليه ينتسبُ في علمنا .

وبَاهِلَةُ وهم بنو مالك بن مُنَبِّهٍ وهو أعْصُرُ وبنو ابْنِهِ مَعْنٍ حَضَنَتهم بَاهِلَةُ مع بنيها فَغَلَبَتْ عليهم ، ولها تَفْصِيلٌ .

وَأَشْجَعُ بنُ رَيْثٍ بن غَطَفَان كُلُّ أَشْجَعِيٍّ إليه يَنْتَسِب .

وَغَنِيٌّ بن مُنَبِّهٍ وهو أعْصُرُ ابن سعدٍ بن قيس بن عَيْلَان وكُلُّ غَنَوِيٍّ إليه ينتسب .

والخُضْرُ وهُم بنو مالك بن طَرِيْفِ بنِ مُحَارِبٍ ، قِيلَ لِبَنِيْهِ الخُضْرُ لِأَنَّهُ كان آدَمَ ، فكُلُّ خُضْرِيٍّ إليه يُنْسَبُ .

وعَامِرُ بنُ صَعْصَعَةَ ، ورَبِيْعَة وهِلاَلٌ ، ونُمَيْر بَنُو عَامِرٍ كُلُّ واحدٍ منهم لَحِقَ بِالْعَمَائِرِ العِظَامِ ، وسُوَاءَةُ بْنُ عامرٍ ، دُوْنَ إخْوَتِهِ في الشُّهْرَةِ والكَثْرَةِ .

فَمِنْ بَني رَبِيْعَة ابن عامرٍ المَشْهُورِينَ بالنِّسبة إليهم : كِلاَبُ بنُ ربيعةٍ ، وبنو جعفر بن كلاب وعُقَيْلُ بْنُ كَعْبِ بْنِ رَبِيعةٍ وَقُشَيْرُ بن كَعْبٍ ، وجَعْدَةُ بن كَعْبٍ ، وَالْحَرِيْشُ بنُ كَعبٍ ، والْعَجْلاَنُ بن عبدالله بن كعبٍ .

وَمِن بَني هِلالٍ المشهورينَ في الجَاهِلِيَّةِ عبدالله بن هِلال ، وفيهم الشَرَفُ من بني هِلالٍ فيما ذَكَرَ أبو عُبَيدٍ عَن ابْنِ الكَلْبِيِّ وعَبْد مَنَافِ بن هِلاَلٍ .

وأمَّا في زماننا هَذَا فقد لَحِقَتْ بَنُو هِلاَلٍ بالشُّعُوبِ العِظَامِ .

فَمِن بني مُرَّة : (٣١) سِنانٌ بْنُ أبي حَارِثَةَ وابْنَهُ هَرِمٌ ، مَمْدوحُ زُهَيرٍ ، والحَارِثُ بنُ ظَالِمٍ .

ومِنْ عَبْسٍ : قَيْسُ بنُ زُهَيْرٍ فَارِسُ دَاحِسٍ والْغَبْراءِ وخَالِدُ بْنُ سِنانٍ الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وآله : «ذَلِكَ نَبِيٌّ أَضَاعَهُ قومُهُ» والرَّبِيْعُ بن زِيَاد يُقَالُ لَهُ الكَامِلُ واخوَتُهُ عُمَارَةُ الوَهَّابُ وأنسُ الخَيْرِ ، وَقَيْسُ الحِفَاظ بَنُو زِيَادٍ ، ومنهم الحُطَيْئَةُ

الشَاعِرُ واسْمُهُ جَرْولُ بن مَالِكٍ ، وعُرْوَةُ بن الْوَرْدِ الشاعر .

ومِن فَزَارةَ عَمْرو بنُ جَابِرٍ وهُو العُشَرَاءُ ، سُمِّيَ بذلك لِعَظِيمِ بَطْنِهِ ، مِن وَلَدِهِ هَرِمُ بنُ قُطْبَةَ أحَدُ حُكماءِ العربِ ، وهو الذي تَنافَرَ إليه عامرُ بنُ الطُفَيْل وعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاثَةَ الجَعْفَرِيَّان ، وحُذَيفَة بنُ بَدْرٍ ، كان يقال له رَبُّ مَعَدٍّ ، وهو صاحب الخَطَّارِ والحَنْفَاء اللَّذيْن راهَنَ بهما قَيْسَ بنَ زُهَيرٍ صاحِبَ داحِسٍ والغَبْراءِ .ومن سُلَيْم صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو ، أخو[٣٢] الخَنْسَاءِ الشاعِرَة ، والعبَّاس بن مرداسٍ القائل للنبي صلى الله عليه .

أتَجْعَلُ نَهْبي ونَهْبَ العُبَيْد بَيْنَ عُيَيْنَةَ والاقْرَعِ ؟!
وما كان بَدرٌ، ولا حَابِسٌ يفوقان مِرْدَاسَ في مَجْمَعِ

من عَقِبِه في زَمانِنَا هذا العباسُ بن يعقوب ، المعروف عِندَ الجمهور بابن كَعْبٍ ، وهو اليوم أميرِ سُلَيْمٍ المشهور ، وَلَقَّبَتْهُ الدولةُ المِصْرِيَّةُ بفخر الأُمراء تَنزيْهاً لِسيادِتِهِ .

وخُفَافُ بنُ نُدبَة الشاعر ، وهو القائل :

وَانَّ ثَنِيَّةً رأسِ الْهِجَاءِ بيني وبَيْنك لا تُطْلَعُ
وأَبْغِضْ إلَيَّ بإتْيانِهَا ، إذا أنا لَمْ آتِها أُدْفَعُ

ومنهم عبدالله بن خازمٍ عامل عبدالله بنِ الزُّبَيْرِ على خُرَاسان وهو أحدُ غِربان الْعَرَب .
ومن باهِلة : قُتَيْبَةُ بنُ مُسْلِمٍ عامِلُ خُرَاسان لِلْحَجاج ،وسَلْمَانُ بن رَبِيْعَة الذي قال له عمر بن الخطاب : أنتَ سَلْمَان الخَيْل ، وعَلِيُّ بنُ أَصْمَع الذي عَنَاهُ الفرزدق بقوله :

وإلاَّ رُسُومَ الدَّار قَفْراً كأنَّها كِتَابٌ مَحَاهُ البَاهِلِيُّ بنُ أصْمَعَا

ومن ولَدِ عَليٍّ هذا الأَصْمَعي عبد الملك بن قُرَيْب .
ومن فَهْم : تَأَبَّطَ شراً ، واسمه ثابتُ بن جابر بن سُفيان .

ومن بني جَعْفَر بن كِلاب بن رَبيعة : الطُّفَيْلُ ابْن مالكٍ مُلاعِبُ الأَسِنَّة ، وابْنُهُ عامِرُ بنُ الطُّفَيْل .

وَمِن بَنِي كِلاَبٍ : رَبيعَةُ الخَيْر بنُ قُرطٍ (٣٣) الذي يقول فيه قَيس بنُ زُهَيْر العَبْسيُّ :

أُحَاوِلُ ما أُحَاوِلُ ثُمَّ آوِي   إلى جَارٍ كَجَارِ أبي دُوادِ

ومن بني عُقَيْل ابن كَعْبٍ تَوبَةُ بنُ الحُمَيِّر . والأخْيَل بن مُعاوِية رَهْطُ لَيْلى الأخْيَليَّة

ومن بني جَعْدَةَ بن كَعبٍ النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ الذي يقول :

ولا خَيْرَ في حِلْمٍ إذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ   بَوادِرُ تَحْمي صَفْوَهُ أنْ يُكَدَّرا
ولا خَيْرَ في جَهْلٍ إذا لم يكُن لَهُ   حَلِيْمٌ إذا ما أوردَ القَوْمُ أصْدَرَا

ومن بني قُشَيْر بن كَعْبٍ : جَيَّاشُ بن قَيْسٍ تَزْعُمُ قَيْسٌ أنه قتل يَوْمَ اليَرمُوكِ أَلْفَ رَجُلٍ وقُطِعَتْ رِجْلُهُ فَلَم يَشْعُر بهَا .

ومن بني هِلالِ بن عامِرٍ : ذُو البُرْدَيْن واسْمُهُ رَبِيْعَةُ بنُ رِيَاحٍ ، وقَطَنُ بْنُ قَبِيْصَةِ ابنِ المُخَارِقِ الذي يقول فيه زِيَادٌ الأَعْجَمُ .

أمِنْ قَطَنٍ جَالَتْ فقُلْتُ لَهَا قِرِي   ألَم تَعلَمِي مَاذَا تُجِنُّ الصَّفَائِحُ ؟
تُجِنُّ أبا بِشْرٍ جَواداً بِمَالِهِ   إذا ضَنَّ بِالْمَالِ النُّفُوس الشَّحائحُ

وأمَّا هِلالٌ ، وَقْتَنا هَذَا ففِيهَا رِجَالٌ أجلَّةٌ ، ليسُوا بدُونِ سَلِفهمْ في عُلُوِّ الهِمَمِ ، وكَرَمِ الشِّيَم كميمون بن زِيَادٍ ، ومالِكِ بن عَلْوي وبني أبي كَعْب مِنْ نَجَبَةَ ، ورافع بن مَقَّرٍ وموسى بن أبي ذِيْب ، وسَلَمَةَ بنُ مُسْلِمٍ وسلاَمة بنُ الرُّدَيْني ، وعلقَمَةُ بنُ دَرَّاجٍ وغيْرُهُم مِمَّن لَم نحفظ اسماءهم وسنأتي على تَعْديدهم في كتابٍ أبْسَطَ مِن هَذَا .

وأخْبَرني مَن أَثِقُ به أحَدُهُمْ ابنُ ثَابتٍ العَدويُّ وهُوَ من ثِقَاتِ هِلاَلٍ أنَّ مَيمُون بن زِيَادٍ

شابٌّ السِّنِّ ، كَهْلُ الخُلُقِ قد أخذَ نَفْسَهُ بِمَعَالي الأُمُورِ ، وصَانَهَا مِن ذِلَّةِ الطَّمَعِ ، وبالجُملة فَالحَدِيْثُ عن نَخْوَتِهِ عَجِيْبٌ المُحَدِّث والمُسْتَمِع لِصِغَرِ سِنِّهِ .

ومن بَنِي نُمَيْرٍ بن عَامرٍ شَرِيكُ بن حُبَاشَةَ(٣٤) رَوَى ابنُ الكَلْبيِّ أنَّه دَخَل الجنَّةَ في حَيَاتِهِ في زَمن عمر بن الخطاب .

والرَّاعي الشاعر واسْمُهُ عُبَيْدُ بْنُ حُصَيْنٍ

وَمِنْ بُطُونِ هَوازِنَ : غَاضِرَةُ ، وهُو عَامِرُ بنُ صَعْصَعَة ، وأُمُّهُ غاضِرَةُ بهَا يُعرَفُونَ .

وَغَزِيَّةُ بنُ جُشَمِ بن مُعَاوِيَةَ بنِ بكرِ بن هَوازِن الذي يقول فيها دُرَيْدُ بت الصِّمَّة :

وما أنَا إلاَّ مِن غَزِيَّة إن غَوَتْ غَوَيْتُ وان تُرْشَدْ غَزِيةُ أرْشَدِ

ومن ثَقِيْفٍ — واسْمُهُ قَسِيُّ بْنُ مُنَبِّه بن بكر بْنُ هَوازِنَ — : بَنُو مُعَتِّبٍ ، منهم عُرْوَة بنُ مَسْعودٍ ، والمُغِيرَةُ بنُ شُعْبَةَ ، والحجَّاجُ بنُ يُوسُفَ ومنهم المُختارُ بنُ أبي عُبَيْدٍ الكَذَّاب والحَارِثُ بنُ كَلْدَةَ طَبِيبُ العرب .

انقضى نَسَبُ وَلَدِ قَيْسٍ وَبِهِ انقضَتْ أنْسَابُ العَرَبِ .(٣٥)

وأمَّا رَبِيعَةُ بنُ نِزَارٍ فقَبَائِلُهُ المَشْهُورَةُ خَمْسٌ : ضُبَيْعَةُ بنُ رَبِيعَةَ ، ويُعْرَفُ بِضُبَيْعَةِ أضْجَمَ لِأنَّهُ كانَ مائِلَ الْفَمِ ، وعَبْد القَيْسِ بنُ أفْصَى والنَّمِرُ ، وبَكْرٌ ، وتَغْلِبُ ، ابْنَا وَائِلِ بن قَاسِطٍ بن هِنْبِ بنِ أفْصَى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيْلَة بنِ أسَد بنِ رَبِيْعَةِ .

وَمِنْ قَبَائِلِهَا الغَامِضَة الَّتِي يُحتَاجُ إلى التَّنْبيهِ عليها لِتَصَرُّفِ ذِكْرِها في كتب الآداب والأنْسَابِ ، عَنَزَةُ بنُ أسَدٍ بن رَبِيعَة دَخَلَتْ في عَبد القَيْس .

فَمِنْ عَمَائِرِ بَكْرٍ المَشْهُورَة شَيْبَانُ ، وذُهْلٌ وقَيْسٌ وتَيْم اللهِ ، بَنُو ثعلبَةَ بن عُكَابَةَ بنِ صَعْبٍ بن عَلِيٍّ بن بَكْرٍ ، وحَنِيْفَةُ وعِجْلٌ ابْنَا لُجَيم بن صَعْبٍ ، ويَشْكُرُ بنُ بَكْرٍ .

ومن بُطُونِهَا المَشْهُورَة مُرَّةُ بنُ ذُهْل بن شَيْبَان ، وَسَدُوسُ بْنُ ذُهْل بْنِ ثَعلبَةَ الْحقَهُ في

شِعْرِهِ بالقَبَائِل[٣٦] ، وضُبَيْعَةُ بنُ قَيْسِ بنِ ثَعْلَبَة ، وضُبَيْعَةُ بنُ عِجْلٍ فضُبَيْعَاتُ العَرَبِ ثلاثةٌ كُلُّها في رَبِيعَة ، وَعَدِيٌّ بنُ حَنِيْفَةَ ، والدُّوَلُ ابنُ حَنِيْفَةَ .

فَمِن بَني شَيْبَان بِسْطَامُ بنُ قَيْسٍ ، وعَوْفُ بْنُ أبي عمرو بن عَوفٍ وحَارِثَةُ ابن عَمرٍو ، ذو التَّاجِ ، كان على بكرِ بن وائِلٍ يَوْمَ أوارات على بني تَمِيْم[٣٦]

ومِنْهُم أبو رَبِيْعَةَ الذي يُضَافُ الأَعْشَى إلى بَنِيْهِ فَيُقَالُ أعْشَى بَني أبي رَبِيْعَةَ واسمُ الأعْشَى عبدُالله بن خارجة ، والمُزدَلِفُ هو عَمْرو بنُ رَبِيعَة هذا .

وَمِنْ بَنِي ذُهْلٍ : دَغْفَلُ بْنُ حَنْظَلَةَ النَّسَّابَةُ .

ومن بني يَشْكُرَ : الحارث بنُ عَمْرٍو ، وَلِي رِيَاسَةَ رَبِيعَةَ زماناً ، ومِنْه انْتَقَلَتْ إلى كُلَيْب بنِ رَبِيْعَةَ .

ومن بَني مُرَّةَ : جَسَّاسُ بنُ مُرَّةَ قاتِلُ كُلَيْبٍ ، وَالْغَضْبَانُ بن الْقَبَعْثَرى .

ومن بَنِي سَدُوس : سَدُوسُ بنُ سُوَيْدٍ بن مَنْجُوفٍ رَئِيسُهَا في الإسلام .

وفي سَدُوس هَذِهِ يقول الأخْطَلُ :

فَإنْ تَبْخَلْ سَدُوْس بِدرهَمَيْهَا فَإنَّ الرِّيْحَ طَيِّبَةٌ قَبُول

ومن بني ضُبَيْعَةَ بن قَيْسٍ الحَارِثُ بنُ عُبَادٍ ، صاحب النَّعامة الذي يقول :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامَة مِنِّي لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيَال
لم أكُن من جُناتِها عَلِمَ اللهُ وإنّي لِحَرِّهَا اليَوم صَال

وطَرَفَةُ بنُ العَبْدِ ، والأَعْشَى مَيْمُونُ بنُ قَيسٍ الّذي مَدَحَ النَّبي صلى الله عليه وآله والْمُرَقِّشَان الأكبرُ والأصْغَرُ ، والأكْبَرُ عَمُّ الأصْغَرِ ، والأصْغَرِ عَمُّ طرَفَةَ .

وَمِن حَنِيْفَةِ محكَّمُ الْيَمَامَةِ بْنُ الطُّفَيْل ، كانَ أشْرفَ مِنْ مُسَيْلِمة

ومن بَني عَدِيٍّ بْن حنيفَةِ : مُسَيلِمَةُ الكذَّابُ بنُ ثُمَامة .

ومن بني ضُبَيْعَةَ بْن عِجْل : الوَصَّافُ ، وهُوَ الْحَارِثُ بنُ مَالِكٍ .

وعَمَائِرُ تَغلِبَ ثَلاَثٌ : غَنْمٌ ، وهو أشهرُها والأَوْسُ وَعِمرَانُ بَنُو تَغلِبَ .

وبُطونُهَا المَشْهورةُ سِتَّةٌ : جُشَمٌ ، ومَالِكٌ وَعَمْرو ، وثَعْلَبَةُ ومُعَاوِيَةُ ، والحَارِثُ بَنُو بَكْرِ بنِ حُبَيْبِ بن عَمْرو بنِ غَنْم بنِ تَغْلِب ، وهؤلاء السِّتَّةُ هُم الأراقِمُ .

فمن بَني جُشَمٍ كُلَيْبُ ومُهَلْهِلٌ ابْنَا رَبِيعَة واسْمُ مَهَلْهِل امْرُؤُ القَيس ، والقُطامِيُّ الشاعرُ واسْمُهُ عُمَيْر بن شُيَيْم .

ومن بَني مَالِكٍ الأَخْطَلُ واسْمُهُ غِياثُ بنُ غَوثٍ .

ومِن بَني عَمرو الوَليدُ بن طَرِيْفٍ الخارجيُّ الَّذي تَقُولُ فيه أُخْتُه لَيْلَى :

أيا شَجر الخَابُورُ مَالَك مُورقاً كأَنَّكَ لم تَجْزَعْ على ابْنِ طَرِيْفِ؟!

ومن بَني مُعَاوِية بنِ بَكْرٍ أعْشَى تَغْلِبَ ، واسْمُهُ النُّعمانُ ابنُ نَجْوان .

وعَمَائِرُ النمر بْنِ قَاسِطٍ المَشْهُورَة : تَيْمُ الله وأوسُ مَنَاة ، وعبدُ مَنَاة بَنو النَّمِر .

فَمِنْ بَني تَيْم اللهِ : الضَّحْيَانُ ، واسْمه عَامِرُ بن سَعْدٍ كَانَ يَقْضِي بَيْنَهم وقت الضُّحَى (٣٧) فسمِّيَ الضَّحْيَان ، ورَبَع رَبِيْعَة أربعين سنةً ، وأخُوهُ عَوفُ بنُ سعدٍ من وَلَدِهِ ابْنُ الْقِرِّيَّة البَلِيْغُ ، واسمه أَيُّوبُ بنُ يَزِيْدَ وأُمُّهُ القِرِيَّةُ اسمها خُمَاعَةُ .

ومن بني أوْسِ مَنَاة صُهَيْب بنُ سِنَانٍ صاحب النبي صلى الله عليه وآله .

وأمَّا إيَادُ بنُ نِزَارٍ فَوَلَدِ زُهْراً ودُعْمِيّاً ونُمَارَة وثَعْلَبَة ، فَوَلَد نُمَارَةُ الطَّمَّاحَ ، ووَلَدَ زُهْرٌ حُذَاقَة رَهْطَ أَبي دُوَاد الشَّاعر واسمه جَارِيَةُ بنُ الحَجَّاج ، ولم يَشْتَهِرْ أحدٌ من ولده بالنِّسْبَة إليه ، ولِذَلِكَ جَعَلَهُمْ أكثرُ النَّسَّابِيْنَ حَشْوَةً في مُضَرَ ومَعَ ذَلِكَ فَنَسَبُهُ أَنَّ شُهرَتَهُمْ كانَتْ قَدِيْماً ، ثُمَّ خَمِلَتْ عِنْدَ نَبَاهَةِ مُضَر .

وأمّا أنمار بْنُ نِزَارٍ فقِيْلَ : إنّهُ لا عَقِبَ لَهُ إلاّ ما يُقَالُ في بَجِيْلَةَ وخَثْعَم أنّهُمَا ابْنَاهُ وبَجِيْلَةَ وخَثْعَمُ تُنْكِرُ ذَلِكَ .

انقضَى نَسَبُ عَدْنَانَ .

أصُـولُ أنْسَاب قَحْطَان

قَحْطَانُ شَعَبان اثنَان : حِمْيَرُ بن سَبَا ، وكَهْلاَنُ بن سَبَا بن يَشْجُبَ بنُ يَعْرُبَ بن قَحْطان .

فقَبَائِلُ حِمْيَر المشهورةُ فيما بَلَغَنا : عُرَيْبُ ، وأَيْمَنُ وبأَيمَن هَذَا سُمِّيَتْ عَدَنُ أَبْيَن ، وحُبْرانُ وغَيْدَانُ وحَضُورُ ومَيْتَم[٣٧] وأُحَاظَةُ وسَيْبانُ وصَيْفي .

فَمِن بَني عُرَيْب شَرْعَبُ بنُ قَيْسٍ ، إليه تُنْسَبُ الثِّيابُ الشَّرْعَبِيَّة .

ومن بَني حُبْرانَ الشَّعْبِيُّ الفقيْهُ واسمه عامر بن شَرَاحِيْل .

ومن بني غَيدَان عَبْدُ كَلاَلِ بن مُثَوَّبٍ .

ومِن بَني حَضُورٍ شُعَيْبُ بنُ ذي مِهْدَمٍ قَتلهُ قومُه فَغَزاهُمْ بُخْتُ نَصَّر ، فقَتَلَهُمْ . وذكر أبو عُبَيْد أنهم دَخَلُوا في هَمْدان .

ومن بني مِيْتَم[٣٨] كعب الأحْبَارِ ابن ماتعٍ .

ومن بني وحُاظَةَ ذُو الكُلاَعِ[٣٩] كَتَبَ إليه النبي صلى الله عليه وسلم مع جَرِيرِ ابن عبدالله البَجَليِّ .

ومن بني سَيْبَان ذُو أُصْبَحَ ، وهُو أوّلُ مَن عُمِلَتْ لَهُ السِّياطُ الأصْبَحِيَّةُ ، من ولدِهِ أبْرَهَةُ بنُ الصَّبَّاح كان مَلكَ تِهامَة ، ومَالِك بنُ أنسٍ صاحب الْمَذْهَبِ .

ومنهم بَنو يَحْصُبَ منهم سَلاَمَةُ بنُ يَزِيدَ ذِي فَائِشٍ مَدَحَهُ الأعشى .
ومنهم ذُو يَزَنَ الَّذي يُنْسَبُ إليه اليَزَنِيَّةُ ، وهي الأسِنَّةُ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَمِلَ سِنانَ حَدِيْدٍ ، وَإِنَّمَا كانَتْ أسِنَّةُ الْعَرَبِ إِذْ ذَاكَ من صَيَاصِي البَقَر .

وَجُرَشُ ، وهُوَ وذُويَزنٍ ابْنَا أَسْلَمَ ، ومن جُرَشٍ هذا ذُوْ جَدَنٍ .

ومِن ولد صَيفِي المُلوك التَّبابِعَةُ ومِنهُم بِلْقِيْسُ صاحِبَةُ سُليمان بن داود النبي عليه السلام . وإفْرِيقسُ الذي افْتَتَح إفْرِيْقِيَّةَ فَسُمِّيَتْ به ، وقَتَلَ مَلِكَهَا جَرْجِيْراً ، قال أَبو عُبَيْد ويَومَئِذٍ سُمِّيَتْ البَرَابِرَة وذلِكَ أَنَّه قَال : ما أَكْثَر بَرْبَرَتَكُم .

ومَن جَعَل قُضَاعَةَ مِنَ الْيَمَن ، كانت مِن قَبَائِل حِمْيَر العِظَام ، ذَلِكَ أَنَّه يَقُول فيها : قُضَاعة بنُ مالِكِ بن حِمْيَرَ ، وأنشد صَاعِدُ اللُّغَوِيُّ لِأَحَدِهِمْ :

نَحْنُ بَنو الشَّيْخِ الْهِجَان الأزْهَرِ قُضَاعَةَ بن مالِك بنِ حِمْيَر

وأمَّا كَهْلاَنُ بن سَبَا فقَبَائِلُه المَشْهُورَةُ إحْدَى عَشْرَة قَبِيْلَةٍ : الأزْدُ ، وَبَجِيْلَةُ وخَثْعم وكِنْدَةُ ولَخْم وجُذَامُ وعَامِلَةُ وخولاَنُ والأشْعَرُ ومَذْحِجُ وهَمْدَان .

فَأَمَّا الأَزْدُ فعَمائِرُهَا عَظِيمةٌ لاحِقَةٌ بالقبائِل ، وهي مُتفَاضِلَةٌ في الكَثْرَة والشُّهْرَةِ فمنها جَفْنَةُ التي منها ملوك الشام ، والأَوْس والخَزْرَجُ وهما الأنصارُ ، وخُزَاعَةُ وأَسْلَمُ وَبَارِقُ والعَتِيْكُ وهذِهِ كُلُّها تَجْتَمِع في عَمرو مُزَيْقيا بن عامِرٍ ماءِ السَّمَاءِ بن حارِثَة الغِطْرِيف بن امرئ القَيْس ابن ثَعلبَةَ بنِ مَازِنٍ بنِ الأزْدِ .

ولَيسَ لسَائِرِ وَلَد الأزْدِ الادْنَى عَمَائِرُ مَشْهُورةٌ ، شُهْرَةَ مَازن بْن الأزدِ ، لكن نذكر المَشهورينَ منهم بالنِّسْبَةِ إليه بَعْدَ أنْ نذكرَ بُطُونَ العَمَائِرِ التي قَدَّمْنَا ذِكْرَهَا .

أمَّا الأَوْسُ فَمِنْ بُطُونها المشهورة بَنُو عَوْفٍ بنِ مالِك بن الأوْسِ وَهُمْ أهْلُ قُبا .

وبنُو عَمْرو بن مالكٍ ، وهم النَّبِيْتُ .
ومُرَّةُ بن مالكٍ وهم الجَعَادِرَةُ .
وخَطْمَة فأكثَرُ هؤلآء لحقوا في الكثرة بالقبائل .

فمن بني عوف بنو عمرو : بنو السَّمِيْعَةِ وبنو ضُبَيْعَةَ منهم عَاصِمُ بن ثابتٍ بن أبي الأقْلَحِ الذي حمَتْ لَحْمَهُ الدَّبْرُ ، مِنْ ولَدِهِ الأحْوَصُ الشاعِرُ ، ومنهم بنُو جَحْجَبَا منهم أُحَيْحَة بن الجُلاح .

ومِنَ النَّبِيْتِ رافع بن خَدِيْجٍ صاحب النبي صلى الله عليه وآله وبَنو عبد الأَشْهَل منهم سَعْد بن مُعَاذٍ الذي اهتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحمَن .

وبَنُو ظَفَر منهم قيس بن الخَطيم .

ومن الجَعَادِرَة أبو قَيْس بْنُ الأسْلَتِ الذي يقول :

أسْعَى على جُلِّ بَني مالِكٍ   كُلُّ امْرِءٍ في شَأْنِهِ ساع

ومن بني خَطْمَةَ : خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابتٍ ذو الشهادَتَيْنِ .

وأمَّا الخَزْرَجُ فمن بُطُونِهَا بنو النَّجَّارِ أخْوال النبي صلى الله عليه وآله ، واسْمُ النَّجَّارِ تَيْمُ الله . وبنو الحَارِث ، وبنو خُدْرَة وبنو سَاعِدَة وبَنُو الحُبْلَى وبنو زُرَيْقٍ وبَنُو بَيَاضَة ، وبَنُو سَلِمَة وبَنُو أُدَيٍّ .

فَمِنْ بني النَّجَّارِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وحَسَّانُ بْنُ ثابتٍ بن حَرامٍ بن عَمْرو بن زَيدِ مناة بن عَدِيٍّ بنِ النَّجَار ، وأبو طَلْحَةَ زَيْد بن سَهْلٍ بن الأَسْوَدِ ابْنِ حَرَامٍ ، وأبو أيُّوب خالِدُ بْنُ زَيْدٍ .

ومن بَني الحَارِث زيدُ بن خَارِجَة الذي رُوِيَ أنَّه تكَلَّمَ بَعْد مَوْتِهِ ، وعبدالله بن رَوَاحَة ، وأبو الدَرْدَاءِ عُوَيْمر بْنُ زَيْد .

ومِنْ بَني خُدْرَةَ أبو سَعِيْد سَعد بن مالك الخُدْرِيُّ .

ومن بني الحُبْلَى عبدالله بن أُبيٍّ رَأسُ المنافقينَ ، واسْمُ أُمِّهِ سَلُولُ خُزَاعِيَّةٌ .
ومن بَيَاضَة : النُّعمان بنُ عَمْرٍو ، صاحِبُ رايَة المُسْلِمينَ يَوم أُحُدٍ .
ومن بني سَلِمة جَابِرُ بْنُ عبدالله صاحِب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكَعْبُ بنُ مالِكٍ الشاعرُ .
ومن بَني أُدَيٍّ مُعَاذُ ابنُ جَبَلٍ .
وأمَّا خُزَاعَة فذكر أبو عُبَيْدٍ أنَّ أباها الَّذي تفرقَت منه عمرو بن ربيعة بن حارثة ابن عمرو مُزَيقيا بن عامرٍ ماء السماء .
مِنْ بُطُونِها بَنُو مُلَيحٍ وبنو حُلَيلٍ وبنُو قُميرٍ وبَنُو ضَاطِرٍ وبنو كُلَيب وبنو حَرامٍ وبنو المصطلق .
فَمِن بَنى مُلَيحٍ طلحةُ بن عبدالله الذي يُقَالُ لَه طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ وكُثَيِّر عَزَّة بنُ عبد الرحمن .
ومن بَني حُلَيلٍ المُحَتَرشُ بنْ حُلَيلٍ — ويُقَالُ المُخَتَرشُ بخاءٍ مُعْجَمَةٍ — وهو أَبو غُبْشَان الذي بَاعَ مِفْتَاحَ الكَعْبَةِ من قُصَيٍّ بن كَلابٍ .
ومنْ بَني حَرَامٍ أُمُّ مَعْبَدٍ التي نزل بها النَّبي صلى الله عليه وآله مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
وَمِن بني المُصْطَلِق جُوَيْرِيَةُ بنت الحارِثِ زوجُ النبي صلى الله عليه وآله .
وَأمَّا أسْلَم وهي لاحِقَةٌ بِخُزَاعَةَ بِالإنْخِزاع الآخرِ ، لَكِنَّ الَّذِينَ قدَّمْنا ذِكْرَهُمْ انْخَزَعُوا من قَومِهِمْ قَبل أسْلَم ثم انْخَزَع أسْلَمُ ومَالِكٌ ومَلْكَانُ أخُوه فَلَحِقُوا بِخُزاعَةَ فنها سَلَمَةُ بْنُ الأكْوَع ، وأُهْبَانُ بن عِيَاذ مُكَلِّمُ الذِّئْب .
ومن بَني مَلكَان أسْلَم : ذُو الشِّمَالَيْن ، واسمه — فيما رَوى أبو عُبَيْدٍ — عُمَيْر بْنُ عَبدِ عَمْرٍو .
وأمَّا العَتِيْكُ فهو ابن الأزدِ بن عِمْران بن عَمرو مُزَيقياء ، منهم المُهَلَّبُ بنُ أبي

صُفرة فهؤلاء بَنُو ثَعْلَبَة بن مَازِن بن الأزْدِ .

ومِنْ بَني عَمرو بنِ مَازِن بنِ الأزْدِ جِذْعُ بْنُ عَمْرٍو الذي جَرَى المثلُ فيه (خُذْ من جِذْعٍ ما أعْطَاكَ)[٤٠] .

وبَنُو الذِئْبِ منهم سَطِيْحٌ الكاهِنُ ، واسمه رَبِيْعُ بنُ رَبِيْعة .

وَمِنْ بَني نَصْرِ بن الأزْد أبو حَمْزَةَ الخارجيُّ صَاحِبُ قُدَيْدٍ ، وحمار بن مالكٍ الذي يقال فيه : أكْفَرُ مِنْ حِمارٍ ، لِعُتُوِهِ ، ومنهم بَنُو لِهْبٍ أعْيَفُ العَرَبِ .

وَشَنُوءَةُ بَطْنٌ وهُوَ المعْرُوفُ بأزدِشَنُوءَةَ .

وبَنُو عَامِرٍ ودَوْس ، بَطْنٌ لَحِقَ في الشرف والكَثْرة بالقبائل ، منهم جَذِيمَةُ بنُ مالِكٍ أوَّلُ مُلوكِ الحِيْرَةِ ، ومنهم أبو هُرَيْرة صاحب النبي صلى الله عليه وآله واسمه عُمَير بن عَامِرٍ والطُفيل بنُ عَمرٍو ، وعَمْرو بنُ حُمَمَةَ ، وهو الذي تَزعمُ دَوسٌ أنَّه أوَّلُ من قُرِعَتْ لَهُ العَصَا ..

وبَنُو راسِبٍ منهم عبدالله بن وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ رِئيس الخَوارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ وهو ذُو الثَّفِنات .

ومن عبدالله بن الأزدِ عَكُّ بنُ عَدْنان رَهْطُ العَكِّيِّيْن ، وقِيل : إنَّ عَكًّا أخُو مَعَدِ بن عدنان .

انقضى نَسَبُ الأزْدِ .

وأمَّا بَجِيْلَةُ فَهُمْ عَبْقَرٌ والْغَوثُ وصُهَيْبَةُ بنو أنمار بن إرَاشِ بن عمرو بن الغَوثِ وأُمُّهُم بَجِيْلَةُ غَلَبَتْ عَلَيْهِم .

فَمِن بُطُونِهَا قَسْرٌ وعُرَيْنَةُ وبَنُو سُمْحَةَ .

فَمِن بَني قَسْرٍ شِقُّ بنُ صَعْبٍ الكَاهِنُ من وِلِدِهِ خالِدٌ بن عبدالله .

ومن بَني عُرَيْنَةَ الرَّهْطُ الذي أغَارَ على رسول اللهِ صلى الله عليه وآله[٤١] وَمِن بَني سُمْحَةَ أبو يوسف القاضي

وأمَّا خَثْعَم وهُوَ أفْتَلُ بنُ أنْمَارٍ فَمِن بُطُونِها بَنُو شَهْرانَ منهم ذُو الأنْفِ الذي قَادَ خَيْلَ خَثْعَمَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .

وبَنُو أَكْلُبَ منهم أنس بن مُدْرِكٍ وابنُ الدُّمَيْنَةِ الشَّاعِرُ واسمه عُبيد الله بن عبدالله والدُّمَيْنَةُ أُمُّه .

وَأمَّا كِنْدَةُ ــ واسْمُهُ ثَورُ بْنُ عُفَيْر بن عَدِيّ بن الحَارِث بن مُرَّة بن أُدَدٍ ــ فتَنْقَسِم إلى عَمَارتَين بَنُو مُعَاوِيةَ وبَنُو أشْرُسَ ابْنَي كِنْدَةَ .

فَمِنْ بُطُونِ معاوية بن الرَّائِشِ[٤٢] منهم شُرَيْحُ القاضي ، وبنو مُعَاوِيةَ الاكْرَمين منهم الأشْعَثُ بن قَيْسٍ ، وبَنُو عَمْرٍو منهم بَنُو تَمْلِك وامْرُؤُ القَيْس بنِ حُجْر ، وبَنُو الشَّيْطَانِ منهم الجَفْشِيشُ الذي يقول :

أَطَعْنَا رسُولَ الله إذْ كَانَ بَيْنَنَا فَيَا عَجَباً ما بَالُ مِلْكِ أبي بَكْرٍ؟!

وبَنُو شَجَرَةَ لَهُم مَسْجِدٌ بالكوفة ويقال لهم الشَّجَراتُ .

ومن بُطُون أشْرَس اللاَّحِقَةِ بالعَمَائر الكبارِ : السَّكُونُ والسَّكاسِك .

فمِن السُّكُونِ تجِيبُ وشُكَامَةُ ، فتُجِيبُ هُم عَدِيٌّ وسَعْدُ ، ابنا أشْرَس بنِ السَّكُون ، وأُمُّهُم تُجِيبُ ابْنَةُ ثَوبَان بن سُلَيْم ، غَلَبَتْ عَلَيْهم ، منه بِشْرُ بن كِنَانَة الذي ضَرَبَ عُثْمانَ يومَ الدارِ ومعاوية بنُ خُدَيج قَاتِلُ محمد بن أبي بَكْرٍ .

ومِن شُكَامَةَ حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ ، وَأُكَيْدِرُ صاحِبُ دَوْمَةِ الجَنْدل[٤٣] .

وأمَّا لَخْمٌ واسمه مالِكُ بنُ عَدِيّ بن الحَرِثِ ابن مُرَّةَ بنِ أُدَدٍ فتَنْقَسِمُ إلَى عَمَارتين : جَزِيْلَة ونُمَارَة ، فَمِنْ بُطُونِ نُمَارَة بَنُو الدَّارِ ، ومنهم تَمِيْمُ بن أوْسٍ الدَّاريّ .

وَبَنُو عَوْذَا وبَنُو عَمَمٍ واسمه عَدِيٌّ وسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أوّل من اعتَمّ وهو عَدِيُّ بنُ نُمَارة بن لَخْمٍ ، فن بني عَمَمٍ مُلُوكُ الْعِرَاق رَهْطُ النُّعْمَان بن المُنْذِرِ .

وَمِن بَني نُمَارةَ قَصِيرُ بنُ سَعْدٍ صَاحِبُ المَلِك جَذِيمة .

ومن بُطُونِ جَزِيْلَة بنو غَنْمٍ وبنو حَدَسٍ .

فمن بَني غَنْمٍ الجَمَراتُ منهم عِبَادٌ ، وهم بالحِيْرة .

وأمَّا جُذَامٌ وهو أخو لَخْمٍ فَمِن بُطُونِها بَنُو حَرَامٍ منهم بَنُو غَطَفَان ، وأفْصَى ابْني سَعد بن رِبْيَّل بن إياس بن حَرَامٍ .

وَمِن أفْصَى رَوْحُ بنُ زَنْباع .

وانْتَسَبَ بَنُو غَطَفَان إلى قَيْس عَيْلاَن .

وأمَّا عَامِلَةُ فمنهم عَدِيّ بن الرِّقاع الشَّاعِرُ ، وَبُطُونُهَا ثَلاَثَةٌ : بَنُو شَعْلٍ وبَنُو سَلاَمَةَ وبَنُو عِجْلٍ .

وأمَّا خَوْلانُ فَنِسبَتُهُ وَلَدِه راجِعَةٌ إلَيْهِ ، ومنهم أبو مسلم الفَقيه الخولانيٌّ .

وأمَّا الأشْعُرُ فهو الأشْعُرُ بنُ أُدَدٍ ، منهم بَنُو نَاجِيَة بن الجماهِرِ ، ومِن بَني نَاجِيةَ أبو موسى الأشْعَرِيُّ عبدالله بن قَيْسٍ .

وأمَّا مَذْحِجُ فهم مالِكٌ وَطَيءٌ ابْنا أُدَدٍ أما مَالِكٌ فَعِمَارَةٌ عَظِيْمَةٌ لاحِقَةٌ بالشُّعُوبِ ولاَحِقَةٌ بالقَبَائِل ، وهي جَلْدٌ(٤٤) وسَعْدُ العَشِيْرَةِ ومُرَادٌ وعَنْسٌ .

فَمِنْ جَلْدٍ بنو الحارث بن كَعْبٍ والنَّخَعُ وجَنْبٌ وصُدَاءُ وَرُهَاءُ .

فَمِن بَني الحارث بن كعبٍ : بنو الدَيان ، وبنو عبد المَدانِ بنِ الدَّيان ، وبنو النَّارِ وبنو قَنَانٍ ، منهم ذُو الغَصَّة أبو فَوارِس الأَرْبَاع ، وبَنُو الضِّبَابِ .

ومِنَ النَّخْعِ بَنُو صُهْبَانَ وبنُو وَهْبِيْل منهم شَرِيك بنُ عبدالله القَاضي ، وبنُو جَذِيْمَةَ مِنهُم الأشْتَرُ مَالِكٌ ابنُ الحارث وبَنُو إلْيَهَة منهم الحَسَن بنُ عُبَيدالله الفقيه .

وأمَّا جَنْبٌ وصُدَاءُ فهم سَبعةُ إخوةٍ : مُنَبِّهٌ والحارث والغِلِيُّ وسَنْحانُ(٤٥) وشِمْرَانُ وَهِفَّانُ بنُو يَزِيد بنِ حَرْبِ بن عُلَةَ بن جَلْدٍ ، فهؤلاء السِّتَّة جَنْبٌ ، وَيَزِيد ابن يَزِيدُ السَّابعُ هو صُدَاءُ سُمِّيَ أولَئِكَ جَنْباً لأَنَّهُمْ جَانَبُوا أخَاهُم صُدَاءَ وحَالَفُوا سَعْدَ العَشِيرةِ ، وحَالَفَ صُدَاءُ الحارِث بنَ كَعْبٍ .

وأمَّا رُهاءُ فهم رُهَاء بنُ حَرب بنِ عُلَة بْن جَلْدٍ ، بنُو عَمٍّ جَنْبٍ ، بَطْنُ يَزِيد بن شجرة صاحب النبي صلى الله عليه وآله .

وأمَّا سَعْدُ العَشِيرَة فَبُطُونَهَا المشهورَةُ : الحَكَمُ وصَعْبُ وجُعْفيٌّ وعائِذُ[٤٦] فَمِنَ الحَكَم بَنُو بُنْدُقَة ، والجَرَّاحُ بنُ عبدِاللهِ[٤٧] صاحِبُ خُرَاسان .

ومِنْ بَني جُعْفيٍّ بَنُو مُرَّان وبَنُو حَرِيم ، فَمِن بني مُرَّان عَلْقَمَةُ الحَرَّاب ، والجَرَّاحُ بن الْحُصَين الذي قال له ابنُ الزُّبير : أَكَلْتَ تَمْرِي وعَصَيْتَ أمْرِي .

وبَنُو سَلِمَةَ منهم : أبو سَبْرَة وفَدَ على النبي صلى الله عليه وآله .

ومن بَني حَرِيمٍ بَنُو المُجَمَّع[٤٨] منهم عبيدالله بن الحُرِّ الفَاتِكُ .

وَمِن صَعْبٍ بَنُو أَوْدٍ وبَنُو زُبَيْدٍ .

فمِن أَوْدٍ الزَّعَافِرُ وبَنو عَوفٍ منهم الأَفْوَهُ الأوديُّ الشاعرُ واسمُه صَلاَءَةُ بن عَمرو .

وَمِن بَني زُبَيْدٍ عَمرو بن مَعْدِي كَرِب .

وأمَّا مُرَادٌ وهو يُحَابِر[٤٩] فمشهورُ وَلَدِهِ يَرجِعُونَ إلى نَاجِيَة وزَاهِرٍ ابني مُرادٍ .

فَمِن بَني نَاجِيَة بَنُو غُطَيْفٍ منهم فَروَةُ بنُ مُسَيْكٍ وفد على النبي صلى الله عليه وآله ، وعُرْوَةُ بنُ هَانِيءٍ المقتولُ بسبب مُسْلِم بن عَقِيْل .

وبَنُو قَرَن بْن رَدْمَانَ بن نَاجِيَة منهم أُوَيْسُ القَرَنيُّ قال فيه النبي صلى الله عليه وآلِه : «يَدْخُل الجَنَّة بشفاعَتِهِ مِثْلُ رَبيعَة ومُضَر» .

ومن زَاهِرٍ بَنُو عَوْثَبَان منهم قَيْسُ بن المَكْشُوح رئيسٌ .

وأمَّا عَنْسٌ فمنهم بَنُو مَالِكٍ منهم الأسْوَد الكَذَّابُ العَنْسيُّ تَنَبَّأَ باليَمَن .

وبَنُو يَامٍ منهم عَمَّارُ بن يَاسِرٍ

وأمَّا طَيٌّ فتجمعها عِمَارتان عَظِيمتَانِ لاَحِقتَان بالقَبائل ، وهُما جَدِيْلَةُ والغَوْثُ .

فجَدِيْلَةُ طَيِّءٍ هُو جُنْدَبُ بنُ خارجَة بن سَعْدِ بن قُطْرَةَ بن طَيِّءٍ وأُمُّهُ جَدِيْلَةَ حِمْيَرِيَّة غَلَبَتْ عليه .

فَمِنْ جَدِيْلَة بنو ثَعْلَبَةَ بنُ رُومَانَ بن جُنْدُبٍ ، وبنو ثَعْلَبَةَ بنِ ذُهْلِ بن رُوْمَانَ ، وبَنُو ثَعْلَبَةَ بنُ جِدْعَاءَ بنُ ذُهْلِ بن رُوَمَانَ فيقال لهؤلاء الثلاثة الثَّعَالِبُ .

فَمَن وَلَدِ ثَعلَبَة بنِ جَدْعَاء : بَنُو المُعَلَّى بنِ تَيْمٍ الَّذِيْنَ يقال لهم (مَصَابيحُ الظَّلام) وهُم الَّذين مَدَحَهُمْ بذَلِكَ امْرُؤ القَيْس .

وَمِن بَنِي مَالِكِ بن جَدعَاءَ بنو طَرِيْفٍ وبنو ثُمامَة ابْنا مَالِكِ بن جَدْعَاء .

فَمِنْ بَنِي طَرِيْفٍ البُرْجُ بنُ مُسْهِرٍ .

ومن بني ثُمَامَةَ أوسُ بنُ حارِثَة بن لأمٍ ، وباعِث الذي أغَارَ على إبل امرء القَيْس .

وَمِن بَنِي ثَعَلَبَة بنِ رُومان طَرِيفُ بنُ مَالِكٍ الذي نَزَلَ بِهِ امرُؤُ القيس ومَدَحَه .

وأمَّا الغَوثُ بْن طيّ فَمِنْه بنو ثُعَل بنِ عَمْرِو بن الغَوثِ ، وفيه البَيْتُ والعَدَدُ ومنهم الأجائِيُّونَ .

وبَنُو جَرْمٍ بن عَمرو بن الغَوثِ واسْمُهُ ثَعْلَبَةُ .

وبنو نَبْهَان وبَنُو بَوْلان وبنو هنيٍّ كُلُّهُم ابنُ عمرو بن الغَوثِ .

ومِنْ بني ثُعَلٍ بَنُو مَعْنٍ وبَنُو بُحتُرٍ وبنو سِنْبِسٍ وبنو عَديٍّ بْنِ أخْزَمَ فَمِن بَنِي مَعْنٍ بَنو عَصَرٍ منهم عَمرُو بْن المَسِيْح كانَ أرْمَى العَرَب وهو الذي يعني امرؤ القَيْس بقوله :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ .

ومن بني بُحتُر(٥٠) قيسُ بن شِمر والبُحتُريُّ الشاعر .

ومن بَني عَدِيٍّ حَاتِمُ طيءِ بن عبدالله ، وسَلاَمَةُ بن يزيد ، وفد على النبي صلى الله عليه وآله ، وَهُو أقْرَعُ فَمسَحَ رأسَهَ فَنَبَتَ شَعْرُه فَسُمِّيَ الهُلْبَ(٥١) .

وأمَّا الأجَئِيُونَ فَيَنْتَهِي نَسَبُهُم إلى أمان بْن عَمْرو بن رَبِيعة بن جَرْوَلٍ بن ثُعلٍ منهم الطِّرِمَّاحُ ابن حكيم الشاعر .

وأمَّا جَرْمٌ فنهم شَمجى منهم عبد عمرو ، الذي يقول فيه الأعشى :

أوْفَى وأمْنَعَ مِنْ جارِ ابن عَمَّار

ومن بَنِي نَبْهَان : بنو نابلٍ منهم زَيْدُ الخَيْلِ بنْ مُهَلْهِلِ الذي سَمَّاهُ رسول الله صلى الله عليه وآله زَيْدُ الخَيرِ.

وبَنُو سَدُوسٍ بن أصمع منهم وزرُ بنُ جابرٍ قَاتِلُ عَنْتَرة وقَحْطَبَة بنُ شَبِيبٍ أَحَدُ نُقَبَاءِ بَنِي العَباس .

وأمَّا هَمْدان فعِمَارتَان اثْنَتَان حَاشِدٌ وبَكِيْل .

فَمِنْ حَاشِدٍ بَنُو عبدالله وهو شِبَامٌ اسمُ جَبَلٍ نَزَل بِهِ فغَلَبَ عَلَيْه وبَنُو نَاعِطٍ وهو ربيعة بن مَرْثِدٍ نَزَل جَبَلاً اسْمُهُ نَاعِطٌ فَغَلَب عليه وَبَنُو مَالِكٍ وبَنُو يامٍ وبنو دَالاَن ، منهم مالكٌ بن حَرِيم بنِ مالِكِ الذي يقول :

متى تَجْمَع القلب الذَّكيَّ وصَارِماً وأنْفاً حَمِيَّاً تَجتَنِبْكَ المظالم

وبَنُو الصَّائد :

ومِنْ بني بَكِيْلٍ بَنُو خَمْرٍ(٥٢) وبَنُو يَنَاعَ أخي ثورٍ ، وبَنو ثَورٍ وبَنُو أَرْحَبَ وبنو مُرْهِبَة .

فَمِن أرْحَبَ أَبورُهْمٍ هَاجَرَ إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وَهُو ابنُ خَمْسٍ ومِئة سَنَةٍ .

وَمِن بَني مُرْهِبَة عبدالله بنُ عَيَّاشٍ المَنْتُوفُ ، وعَمرو بنُ ذَرٍّ الفقيه .

وبَنُو نُهْمٍ منهم عَمرو بنُ بَرَّاقة الشاعرُ.

انقضى نَسَبُ قَحْطَان .

وأمَّا قُضَاعَةُ فَمِن قَبَائِلِهَا المَشْهُورة بِالنِّسْبَةِ إليها : كَلْبٌ وجُهَيْنَةُ وعُذْرَةُ والقَيْنُ وبَهْرَاءُ ونَهْدٌ .

فهذه أصولُ أنْسَابِ العَرَبِ وفُرُوعُها المَشْهُورَةِ الَّتي يَجْمُلُ بالأَدِيب حِفْظُهَا ، ويليق بالمُتَخَصِّصِ ذِكْرُها .

وحَسْبُنَا أنْ هَهُنَا(٥٣) والحمدُ لله رَبِ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعلى آله وسلم(٥٤) .

الحــواشي :

(١) له ترجمة وافية في مقدمة كتاب «صفة جزيرة العرب» منشورات دار اليمامة سنة ١٣٩٤/ ١٩٧٤ .

(٢) تاج العروس : (قرأ) .

(٣) أنظر «الإكليل» ج٢/ ٣٥٩ وج ١٠١/٨ .

(٤) أنظر عن (Werner Caskel) مجلة «العرب» ٩٦١/٥ .

(٥) أنظر عن فِلْفيدا «العرب» س٢ ص ٣٨٦ و«رحلات حمد الجاسر» ج١ ص٢٧٢ .

(٦) أنظر عنه مجلة «العرب» س١ ص ١١٢ وس ١٥ ص ٣١٨/١٥٨ .

(٧) نشرتها (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

(٨) أنظر عن هذا : (أنساب القبائل ، دراستها ونشر أصولها) : «العرب» س١ ص ١٢٠/١١١ .

(٩) أنظر عن هذا : «أبو علي الهجري» ص ٦٦ ومقدمة «صفة جزيرة العرب» ص١ ح والكتابات من منشورات (دار اليمامة) .

(١٠) في الهامش : (رشاطة قال : أظنها بلدة بالعَذَرَةِ ، يعني أرض مصر ، من «مراصد الإطلاع») وهذا الكلام في كتاب «مراصد الإطلاع» في النسخ المطبوعة (بالعدوية من أرض مصر) إلى أن في إحدى النسخ (بالعذرة) وفي «معجم البلدان» : (بالعدوة) وقال محقق الكتاب : (وقد رجحنا رواية م لأن العدوية هي التي بأرض مصر ، كما في ياقوت . وارجع إلى الزبيدي وياقوت — رشط) إنتهى . وأُضيف : الرُّشاطي صاحب القول ليس من رشاطة مصر ، بل من أهل الأندلس ، من أوريونة ، وسكن المريَّة وفيها قتل شهيداً وهو عبدالله بن عليّ الرشاطي (٥٤٢/٤٦٦ هـ) وقوله هذا في كتابه «اقتباس الأنوار» الذي لا يزال مخطوطاً) .

(١١) كتب تحتها : (من زال يزال) .

(١٢) كذا والصواب : (حين تغلبه) كما في كتاب البلبيسي . وانظر عن القنبيطور «نفح الطيب» ٤٥٥/٤١ — تحقيق الدكتور إحسان عباس . وفي (الفهرس) وفيه : (هو السيد الكنبيطور = لذريق الطاغية — رذريق) وقد ورد الاسم مصحفا في كثير من الكتب .

(١٣) ص ٣٠٠/٢٩٨ .

(١٤) ص ٩١ .

(١٥) ٢١/٤ .

(١٦) ج ٤٥٦/٤ .

(١٧) ص ٢٣٣ من المخطوطة المحفوظة في مكتبة رئيس الكتاب في اصطنبول ، وهي مسودة المؤلف ، ولا يزال الكتاب مخطوطاً . وقد سماه الشيخ عبد الرحمن المعلمي في مقدمة كتاب «الإكمال» سماه «القبس» ولكن صاحب «تاج العروس» سماه في مقدمته «مجمع الأنساب» .

(١٨) ص ٣٦٣ .

(١٩) ج١ ص ٢٧٢ .

(٢٠) أبو عُبَيْدٍ هو القاسم بن سَلّام (٢٢٤/٥٧ هـ) العالم اللغوي المعروف له مؤلفات كثيرة ، منها كتاب «النسب» لا يزال مخطوطاً ، وقد سبقت الإشارة إليه في المقدمة .

(٢١) ابن الكلبي هو هشام بن محمد بن السائب (المتوفي سنة ٢٠٤) من أشهر علماء الأدب، وهو إمام علماء النَّسَب، ومن مؤلفاته فيه «جمهرة النسب» وكتاب «نسب معد واليمن» تقدم ذكرهما في المقدمة. وأبو عبيد من تلامذة ابن الكلبي، وكتابه «النسب» مختصر من مؤلفات ابن الكلبي.

(٢٢) من الكتب المؤلفة في نسب قريش: «جمهرة نسب قريش» للزبير بن بكار القرشي (١٧٢/ ٢٥٦ هـ) و«نسب قريش» لمصعب بن عبدالله الزبيري القرشي (١٥٦/ ٢٣٦ هـ) عَمّ الزُّبَيْرِ، والأخير مطبوع والأول طبع قسم منه. و«حَذْفٌ من نسب قُرَيشٍ» لِمُؤَرِّج بن عمرو السَّدوسي، المتوفي في آخر القرن الثاني الهجري، وهو مطبوع، ومع اختصاره مُفِيْدٌ.

(٢٣) لزيد الخيل الطائي.

(٢٤) فوق السين فتحة وتحتها كسرة وفوقها (معاً) أي يجوز الأمران.

(٢٥) قال السيوطي: ناقلاً عن محمد بن حبيب في كتاب متشابه القبائل قال السيوطي في «المزهر» وكل شيء في العرب عبد شمس غير عَبْشَمس بن سعد في تميم وعبشمسٍ بن أخزم في طَيٍّ هكذا قال بسكون الباء وذكر غيره أن الذي في تميم فيها عَبَشَمسُ بفتح الباء والذي في طي عَبِشَمسٍ بكسر الباء إنتهى كلامه من الهامش.

(٢٦) في المخطوطتين (الهيثم) ولكن (الأهتم) وضعت في الحاشية.

(٢٧) في (الهامش): (يساوي).

(٢٨) خارجة هنا ليس علماً بل المقصود أنه من (الخوارج) ذوي النحلة المعروفة.

(٢٩) في المخطوطتين (أمهم) وفي الهامش: (أمة).

(٣٠) على جيم (جلا) فتحة وضمة (معا).

(٣١) عاد إلى تفريع بني مرة بن عوف من غطفان، فن بعدهم.

(٣٢) في المخطوطتين (وأخو) خطأ.

(٣٣) في المخطوطتين: (قُرَط).

(٣٤) في المخطوطتين (حباسه).

(٣٥) كذا في المخطوطتين، والصواب (أنساب مضر بن نزار).

(٣٦) كذا ويظهر أن في الكلام نقصا.

(٣٦) كان في النسختين: (يرى أوارات تميم أباه) ويوم أوارة من أيام العرب المعروفة، وأُوَارَةُ جبل في شرق الجزيرة، بقرب الكويت، يعرف الآن باسم (وارة) وانظر عنه كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — قسم المنطقة الشرقية — حرف الأول.

(٣٧) في الهامش (الضَّحَاء) والفرق بينهما أن الضُّحَى أول ما تُضحي الشمس، في أول النهار، والضُّحَاءُ بعد أن ترتفع قرب الظهيرة.

(٣٨) على ميم (ميثم) فتحة وتحتها كسرة وفوقها (معا).

(٣٩) على كاف (الكلاع ضمة وفتحة، وفوقها (معا).

(٤٠) في الأصل (خذ من عمرو).

(٤١) كذا والإغارة على إبل رسول الله (ص) وهي ترعى بقرب المدينة.

(٤٢) كذا (ابن الرائش) والصواب (بنو الرائش).

(٤٣) في الأصل (حومة الجندل) ودُومة الجندل، هي إحدى مدن الجوف المعروفة الآن، وانظر عنها «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة).

(بقية الحواشي ص ٥٣٢)

مدينة عنيزة

— ٤ —

سنة ١٢٦٥ هـ

فيها وقعة اليتيمة التي انتهت بهزيمة أهل القصيم وقد تقدمت الإشارة اليها في رسم بريدة وذكر ابن بشر بعدها ان الإمام فيصلاً رحمه الله رجل من المذنب ، وأرسل محمد بن أحمد السديري برجال معه وأمرهم أن يدخلوا القصر — في عنيزة — فدخلوه ، فقدم الإمام فيصل (عنيزة) ودخلها وضبطها ، وبنى خيامه خارج البلد .. وبايعه أهلها كلهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة الخ .

الى ان قال :

فلما أراد — الإمام فيصل — الرحيل من القصيم اقتضى رأيه السديد .. ان يستخلف أخاه (جلوى) أميراً في ناحية القصيم ويكون منزله قصر (عنيزة)(١) .

سنة ١٢٦٣ هـ

قال ابن عيسى : في هذه السنة ظهر الشريف محمد بن عون الى نجد ، فلما وصل بلد

---

(٤٤) فوق كلمة (جَلَد) كلمتا (صح - صح) .

(٤٥) في الأصل (سيحان) وسنحان هاؤلاء لا يزالون معروفين .

(٤٦) في الأصل (عائد الله) .

(٤٧) الجراح من بني بندقة فلعل الصواب (منهم الجراح) .

(٤٨) على ميم (المجمع) الثانية فتحة وتحتها كسرة وفوقها (صح) .

(٤٩) في الأصل (الحائر) .

(٥٠) في الأصل (قيس بن شمر البحتري الشاعر) والبحتري اسمه الوليد بن عبيد .

(٥١) على الهاء من (الهلب) فتحة وضمة ، وعلى اللام سكون وتحتها كسرة ، وفوق الاسم (معا) .

(٥٢) تحت الراء من (خمر) كسرتان وفوقها فتحة و(معا) .

(٥٣) كذا ولعله (أن انتهينا ههنا) .

(٥٤) ثم : (وكتبه أبو بكر محمد بن رستم بن أحمد بن محمود الشرواني ، عفا الله عنهم) .

(عنيزة) أرسل اليه الإمام فيصل هدية مع أخيه جلوي بن تركي ، ورجع الى مكة المشرفة[1]

سنة ١٢٦٥هـ

في هذه السنة استعمل الإمام فيصل بن تركي أخاه جلوي بن تركي أميراً في (عنيزة)[2]

سنة ١٢٧٠هـ

قال ابن عيسى :

في هذه السنة قام أهل (عنيزة) على جلوى بن تركي وأخرجوه منها . وقصد بلد (بريدة) فلما علم بذلك الإمام فيصل بن تركي أرسل ابنه عبدالله لمحاربة أهل (عنيزة) ، فسار عبدالله بن فيصل بغزو أهل نجد من البادية والحاضرة وقصد القصيم ونزل الوادي في ذي الحجة من السنة المذكورة . وقطع جملة من نخل الوادي فخرج اليه أهل (عنيزة) فحصل بينه وبينهم وقعة في الوادي قتل فيها سعد بن محمد أمير ثادق وستة رجال غيره .

ثم دخلت سنة ١٢٧١ وعبدالله آل فيصل بجنوده في القصيم ، وحاصل الأمر انه وقع الصلح بينه وبين أهل (عنيزة) ورحل هو وعمه جلوي بن تركي الى الرياض وركب عبدالله آل يحيي السليم أمير (عنيزة) الى الإمام فيصل ، واستقر الصلح بينهم ، وهدأت الفتنة فلله الحمد والمنة[4] .

وقد فصل ابن عيسى نفسه ذلك تفصيلاً أكثر في عقد الدرر ، فقال في حوادث سنة ١٢٧٠ هـ وفي شعبان من هذه السنة قام أهل (عنيزة) على جلوي بن تركي ، وأخرجوه من القصر المعروف فيها . وكان أخوه الامام فيصل بن تركي قد جعله أميراً فيها سنة خمس وستين ومائتين وألف .

الى ان قال :

ولما صار عليه ما ذكرنا سار هو ومَنْ معه الى بريدة ، وأقام فيها ، وكتب الى أخيه الإمام فيصل يخبره بذلك وكان الشيخ .. العلامة عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين اذْ ذاك هو

القاضي في بلد (عنيزة) .. فلما قاموا على جلوي وأخرجوه غضب لذلك وخرج بحرمه الى بريدة وعياله ، وتأمر في (عنيزة) عبدالله اليحيي بن سليم . الى ان قال :

ولما وصل الخبر الى الإمام فيصل كتب الى جميع البلدان ، وأمرهم بالجهاد ، وأمر على عبد الرحمن بن ابراهيم بالمسير الى أهل بريدة ، وأرسل معه سرية من أهل الرياض وأمر علي غزو أهل ضرما والقويعية بالمسير معه ، وأمره أن يقطع سابلة أهل (عنيزة) فتوجه عبد الرحمن المذكور بمن معه من الجنود ، وأغار على أطراف (عنيزة) وأخذ ما وجده من المواشي .

ثم قال : ولما كان في ثالث ذي الحجة خرج عبدالله بن الامام فيصل من الرياض بغزو أهل الرياض والجنوب ، وكان قد واعد غزو أهل سدير والوشم .. واجتمع عليه خلائق من البادية ، فسار بتلك الجنود الى بلد (عنيزة) ، وفي ٢٥ ذي الحجة صبح أهل الوادي ، وأخذ جميع ما عندهم من متاع وأثاث و(مواشي) وقتل منهم نحو عشرة رجال ، وأمر عبدالله على من معه من الجنود بقطع نخيل الوادي . فخرج عليهم أهل (عنيزة) ومعهم خلائق كثيرة من أهل القصيم ومن البادية . فحصل بين الفريقين وقعة شديدة في الوادي وقتل فيها رجال من الفريقين منهم سعد بن محمد بن سويلم أمير بلدة ثادق ، ثم ان عبدالله بن الإمام فيصل ارتحل بعد هذه الوقعة من الوادي ، ونزل العوشزية ، ثم رحل منها ونزل على روضة الربيعية ، وقدم عليه طلال بن عبدالله بن رشيد بغزو أهل الجبل من حاضرة أهل الجبل وباديتهم . ثم دخلت سنة ١٢٧١ هـ قدم على عبدالله فيها وهو على الربيعية بقية غزو أهل نجد ، واجتمع عليه من الخلائق من البادية والحاضرة ما لا يحصيهم إلا الله تعالى ، فلما اجتمعت تلك الجنود سار بهم عبدالله بن الإمام فيصل قاصداً لقتال أهل (عنيزة) ونزل الحميدية ثم ارتحل منها ونزل الغزيلية واشتد الخطب وعظم الأمر . ثم ان أهل (عنيزة) طلبوا الصلح .. فأجابهم الإمام فيصل الى ذلك حقنا لدماء المسلمين .. على ان الأمير عبدالله اليحيي بن سليم يقدم عليه في الرياض ، فركب عبدالله آل يحيي بن سليم

المذكور من (عنيزة) وقدم على الإمام فيصل في الرياض وطلب منه العفو والاحسان واعترف بالخطأ .. فقبل الإمام معذرته وصالحه على أشياء طلبها الامام منه والتزم بها الأمير عبدالله آل يحيي المذكور ، وتم الصلح على ذلك فأذن له الامام بالرجوع الى بلده ، وكتب الإمام الى ابنه عبدالله وأخبره بما وقع بينه وبين أهل عنيزة من الصلح .. فقفل الى بلد الرياض ، ومعه عمه جلوي بن تركي(٥) .

أقول : في هذه الواقعة شعر كثير تتناقله رواة الأشعار والأخبار العامية الشعبية من ذلك قول عبَّاد الخشتي من أهل حارة العقيلية في عنيزة من قصيدة يذكر فيها وقوع الحرب في شهر محرم وهو (عاشور) بلغة العامة :

مْوَلّفها والعين ما ذاقت الكرى　　في شهر عاشور قليل رْقودَه

الى ان قال :

ثور من الفيحا على هجعة الملا　　والصِّبح وأنت مَنكبٍ ما يكوده(٦)
تلفي بك النادر منى هاشل الخلا　　عبدالله الفيصل حمى كل عوده(٧)
فإنْ سايلك عناقل : طاب فالهم　　صديقهم فرح وغم حسوده(٨)
نزل على الوادي ثلاثين ليلة　　وْكِلٍ لنار الحرب دنّى وقوده(٩)
وسرنا عليهم بالبيارق على النّقا　　وتلاقوا على حد العزا من نِفْودَه(١٠)
تلاقت شيام قومنا هم وقومهم　　وجَتْ خيلهم زَود على ذا شهوره

الى قوله :

وذبحنا شيخ(١١) من مقاديم قومهم(١٢)　　وعبّات العرب ما عاد يحصي عْدُودَه(١٣)
أولاد علي دولة الدين والهدى　　جَلَوا مِرّها اللي طافر في كْبودَه(١٤)

سنة ١٢٧٠ هـ

أقول وجدت في بعض الاوراق تاريخ هذه الوقعة فيما نصه :

«حرب (عنيزة) الأول مع فيصل بن سعود(١٥) لفظه (من بغى قطع) سنة ١٢٧٠ هـ .

سنة ١٢٧٣ هـ .

قال ابن عيسى :

فيها نوَّح ابن مهيلب حاج أهل (عنيزة) على الدَّاث وطلب منهم أشياء فامتنعوا ، فأخذهم[١٦] .

أقول : وجدت في بعض الأوراق التاريخية ان ذلك كان في آخر ذي القعدة . وهذا يعني أنه حصل وهم ذاهبون الى الحج .

وأقول : ابن مهيلب هذا هو..

سنة ١٢٧٥ .

قال ابن عيسى :

فيها قُتِل ناصر بن عبد الرحمن بن عبدالله السحيمي في بلد الهلالية ، قتله عبدالله اليحيي السُلَيم هو وزامل العبدالله السليم واعوانهم وسبب ذلك ان ناصر بن عبد الرحمن السحيمي المذكور حين إمارته في (عنيزة) قد قتل أخوه مطلق بن عبد الرحمن السحيمي ، ابراهيم السليم[١٧] .

وقد نظم الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي أحداث هذه السنة وما اتصل بها مما تعلق بأمراء (عنيزة) فقال[١٨] :

من بعده ولي الإمارة (ناصرٌ)[١٩] إنَّ الامـارة مطمح الامـراءِ
قد كان أوصله الإمام فيصلٌ آل السعود فراغ بعد ولاء
قد ظلَّ بينَ ولائه وعدائه ما بين خشية نقمةٍ ورجاء
فرماه (زامل) وهو يطلب ثاره والثأر للموتور خير عزاء
مَرَّتْ بذلك فترة لعنيزة كانت كفترة ماثل لشفاءِ
واذا بعبدالله[٢٠] صار أميرها لكن لزامل مرجع الآراء

سنة ١٢٧٨ هـ .

قال ابن عيسى :

في شعبان من هذه السنة وقع الحرب بين الإمام فيصل رحمه الله تعالى وبين أهل

(عنيزة) فأمر الإمام على البوادي أن يغيروا على بلد (عنيزة) فأغار عليها آل عاصم في آخر شعبان من السنة المذكورة وأخذوا اغناما، وأرسل الإمام سرية مع صالح بن شلهوب الى بريدة، وكتب الى الأمير عبد الرحمن بن ابراهيم يأمره أن يغير بهم على أطراف (عنيزة) فلما كان في شهر رمضان أغار على أهل (عنيزة) وأخذوا إبلاً واغناماً ففزعوا عليه، وحصل بينهم وبينه قتال، وتكاثرت الأفزاع[21] من أهل (عنيزة) فترك لهم ابن ابراهيم ما أخذ منهم، وانقلب راجعا الى بريدة.

ثم قال ابن عيسى بعد كلام سبق.

وأمر الإمام فيصل على بلدان المسلمين بالجهاد، وأرسل سرية الى بريدة وأمرهم بالمقام فيها عند ابن ابراهيم، ثم أمر غزو الوشم وسدير بالمسير الى بريدة واستعمل عليهم أميرا عبدالله بن عبد العزيز بن دغيثر، فساروا اليها، واجتمع عند ابراهيم خلائق كثيرة، وكثرت الغارات منهم على أهل (عنيزة) ثم انه حصل بين ابراهيم وابن دغيثر وبين أهل (عنيزة) وقعة في (رواق)[22] وصارت الهزيمة على ابن ابراهيم ومن معه، وقُتِلَ من اتباعه نحو من عشرين رجلاً منهم عبدالله بن عبد العزيز بن دغيثر، وقُتِلَ من أهل (عنيزة) عدة رجال[23].

أقول: في وقعة رواق هذه شعر كثير ذكرت شيئاً منه في رسم (بريدة) وقطعة ثانية في رسم (رواق) ونريد هنا ايراد أبيات من قصيدة لسليمان الجمل من شعراء عنيزة في القرن الثالث عشر:

أولاد علي جوه مثل النماره ... يا ما بهم من دايخ الراس مَمْرُورْ[24]
خَلُّوه مثل اللي تكسَّرْ غضاره ... هي بضعته وأمسى يوقف على الدور[25]
(برواق) يوم الله نوىٰ في دماره ... أمسى عشا للضبع والذيب ونسُور

سنة ١٢٧٩ هـ.

قال ابن عيسى.

فيها حصل وقعة بين محمد الفيصل، وبين أهل (عنيزة) في الوادي. وصارت الهزيمة على أهل (عنيزة) وقتل منهم عدد كثير، وتسمى هذه الوقعة «وقعة المطر» وذلك في

خامس عشر من جمادي الآخر من السنة المذكورة[٢٦] .

وفي وقعة المطر هذه قال الشاعر على الخياط من شعراء عنيزة المجيدين من قصيدة :

يـا عيني اللّي حاربَتْ للنوم — مَن يوم حَلَّ القطع بالوديان[٢٧]
ياكيف نرخص غاليات النَّوم — حدب الجرايد مشبع الجوعان[٢٨]
يا ذيب يا اللي في نبا المزموم — أبهرتني بِـعْـواك يـا سرحـان[٢٩]
ان كان تشكي الجوع دوك لْحُوم — تلقى العشا شيخ أو بنتِ حْصَان[٣٠]
تـلـقـى الجنابـز بـالفلاة ركوم — منَّا ومنهم يا أجْرد الذرعان[٣١]
عـاداتـنـا ذبح المجَوِّخ . دوم — والخيل صرعى في قفا الميدان[٣٢]

الى ان قال :

جتني تَـخَـطَّى ما عليها لوم — تَسْحَب ثْياب القزّ والقيّلان[٣٣]
تـبـكي وتمحش دمـعـها بكموم — من فوق خَدٌ كنَّه الرُّمَّان[٣٤]
ذَهْلتِ غطاها يوم جَتْه عْلُومْ — إخوانها مـع جـملة الجيران[٣٥]
يـا ديـرتي مـالك عـلـينا لوم — لا تَعْتبي لومك على من خان[٣٦]
خَذْنا عن السَّلْم القديم سْلُومْ — كلٌّ قِضي دينه من الدَّيان[٣٧]

ورواية ابن عيسى عن وقعة المطر في تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد : مختصرة بل مقتضبة وقد ساق الحديث مفصلاً في (عقد الدرر) عن أحداث هذه السنة بالنسبة الى (عنيزة) قال في حوادث سنة ١٢٧٩ .

وفيها أمر الامام فيصل على ابنه محمد ان يسير بغزو الرياض والجنوب الى بريدة ، ويسير معه بمن فيها من غزو أهل الوشم وسدير لقتال أهل (عنيزة) .. فلما وصلوا اليها أمر على مَنْ فيها من الجنود من أهل سدير والوشم بالسير معه وقدم عليه عبيد بن علي بن رشيد ، وابن أخيه محمد بن عبدالله بن علي بن رشيد بغزو أهل الجبل فسار الجميع الى (عنيزة) فحصل بين الفريقين قتال شديد وصارت الهزيمة على أهل عنيزة ، وقتل منهم نحو عشرين رجلاً ونزل محمد بمن معه من الجنود في مقطاع الوادي ، وشرعوا في قطع نخيل الوادي ، فلما كان في اليوم الخامس عشر من جمادي الآخرة من السنة المذكورة خرج عليهم أهل (عنيزة)

فحصل بين الفريقين قتال شديد وصارت الهزيمة أولاً على محمد بن الإمام فيصل ومن معه ، وتتابعت هزائمهم الى خيامهم ، فأمر الله سبحانه وتعالى السماء بالمطر ، وكان غالب سلاح أهل (عنيزة) البنادق الفتيل[٣٨] فبطل عملها من شدة المطر. فكر عليهم محمد وأصحابه فانهزم أهل (عنيزة) وقتل منهم نحو أربعمائة رجل. وأقام محمد هناك ، وأمر على مَن معه من الجنود بقطع نخيل الوادي ، فقطعوا غالبها ، واحتصر أهل (عنيزة) في بلدهم ، وقدم على محمد بن الإمام فيصل في منزله ذلك طلال بن عبدالله بن علي بن رشيد في بقية غزو أهل الجبل. ولما كان في شعبان من هذه السنة قدم محمد بن أحمد السديري بلد الرياض وغزا[٣٩] أهل الحسا . فأمر الإمام فيصل على ابنه عبدالله ان يسير بهم وبباقي غزو بلدان المسلمين ، فخرج عبدالله بمن معه من جنود المسلمين ، ومعهم المدافع والقبوس. وتوجه الى بلد (عنيزة) فلما وصل الى بلد شقراء أرسل المدافع وأثقاله الى أخيه محمد وهو اذ ذاك في وادي (عنيزة)[٤٠] ...

ثم توجه عبدالله الى (عنيزة) ونزل عليها وحاصرها ، ونصب عليها المدافع ، ورماها رمياً هائلاً ونزل عليه أخوه محمد بمن معه من الجنود ، واجتمع هناك جنود عظيمة لا يحصيها إلا الله تعالى ، وأحاطوا على البلد ، وثار بينهم الحرب ، وعظم الأمر ، واشتد الخطب ، ودام الحرب بينهم أياما ، ثم ان أهل (عنيزة) طلبوا الصلح من عبدالله بن الامام فيصل ، وكان أبوه قد ذكر له أنهم ان طلبوا الصلح فأجبهم اليه وإياك وحربهم ، وقد أكد عليه في ذلك ، وذكر له ان عقد الصلح يكون على يدي ومواجهتي ، وكان رحمه الله تعالى إماما عادلاً ، حسن السيرة ، رؤوفاً بالرعية ، محسنا اليهم ، شفيقاً على المسلمين ، حريصاً على مصالحهم ، فكتبوا بذلك الى الإمام فأجابهم الى ذلك حقنا لدماء المسلمين ورفقا بهم . واعطاهم الأمان ، على ان الأمير عبدالله اليحيي السليم يقدم عليه في بلد الرياض . فخرج عبدالله آل يحيي الى عبدالله بن الامام فيصل ، واعتذر واعترف بالخطأ والإساءة ، وطلب منه العفو والصفح والمسامحة ، فقبل معذرته ، وصلحت حالهم . فحصل بذلك الأمن والأمان للعباد والبلاد ، واطفأ الله الفتنة وأزال المحنة[٤١] .

أقول : استثارت هذه الوقائع شاعرية الشعراء فمن ذلك قول ابن مشرف من قصيدة

أوردها ابن عيسى في مدح الامام فيصل :

رَجَفَتْ (عنيزة) هيبة من جيشه ... لمّا غشي حيطانها وأظَلَّها
واختارت السِّلم الذي حقن الدِّما ... إذْ وافقت من للهداية دَلَّها[٤٢]

وقال الأستاذ عبد العزيز بن محمد القاضي من أهل عنيزة :

ثارت لحرب (عنيزة) اعداؤها ... مِنْ كل نجد غير ما استثناء
قد حاصروها مدة نافت على ... سنة ونصف دون أي غناء
ظلت تصادمهم وتسخر منهم ... حتى أرادوا الصلح بعد عناء
تاريخ هذا الحرب فاسمع شرحه ... عما قرأت بمحكم الأنباء
ألف الى مائتين يتبع بعدها ... تسع وسبعون انتهت بصفاء

وكان زامل بن عبدالله السّلَيْم قد قال قصيدة عامية أرسلت الى الإمام فيصل بن تركي يستعطفه ويعتذر اليه ولم يكن زامل قد تولى الإمارة في ذلك الوقت وهي طويلة منها :

سلام يا من سار لبلادي حريب ... الحكم لله ثم له ما احْد عصاه[٤٣]
شكيت له حالي وْعيّا يستجيب ... ومْن الغَضَبْ ردَّت خطوطي ما قراه[٤٤]
فيصل ملك نجد بتدبير مْصيب ... بالحكم يا ما عفا وادْرك مناه
مير القدر يمضي ويخطيه الطبيب ... والشر ما اخطىٰ والشرايع مبتداه[٤٥]
رفيقك الصاحب يخطونه حريب ... وْمنْ شبّ نار حطه الله في سناه[٤٦]

الى ان قال في مخاطبة عبدالله بن الإمام فيصل :

انشر من الفيحا لملفَى لك قريب ... عبدالله المذكور سهل في نباه[٤٧]
نَوِّخْ على الحاكم وبالك تستريب ... مِنْ حاكم كل القبايل في سناه[٤٨]
حرّ ولَدْ حرٍّ ومن بيت عريب ... ساس النِّدى المِقْرنْ هم أولْ من بناه[٤٩]
حكام نجد اللي مناحاهم تعيب ... صلطان نجد سْعُود باليمنى طواه[٥٠]
وْوالدك فيصل وانت ياسقم الحريب ... يا شيخ نجد الزَّوْد حاذرا لا تطاه[٥١]

كما حصلت مساجلات شعرية بين الفريقين المتحاربين من ذلك قصيدة أرسلها عبدالله بن يحيي السليم الى الإمام فيصل عام ١٣٧٠ هـ منها قوله[٥٢] :

راكب حِـــــرٌ زاهي دلّـــــهْ　　من شواحيف شط حيٍّ ركابه[٥٣]
سِرْ وملفاك فيصل حاكم قِل له　　يقطع الحبل كثرة مَسٍّ جذابه[٥٤]
اعتذرنا ولا قبل العذر كله　　ما تحمد عواقب رد نجّابه[٥٥]

الى قوله :

لأبتِي حَيَّةٍ رَقْطا بْصَدعٍ لَهْ　　مَسَّها لَيِّن والسَّمَّ بأنيابه[٥٦]

فأجابه أحمد السديري عن الامام فيصل :

حي لفظ لِفَيٍ ما قيل فيه زله　　كنّه الحص ما يقواه طلاّبه[٥٧]

الى قوله :

هبه يا راكب من فوق نِضْو له　　له زمانين ما ذِيِّر بِمْعْزابه[٥٨]
راكبه خَبِّر ابن سليم عبدالله　　قِل مِن اليوم نومك لا تَهَنَّا به

الى قوله :

والحيايا التي تذكر بصدعٍ له　　جَتِ من الصَّدْعِ يَمَّ الشيخ منسابه[٥٩]

وقال علي الخياط قصيدته المشهورة التي أولها :

يا دارنا لا ترهبي يومك سعيد　　جِنّا مقابيس اللّقا ورجالها[٦٠]
هذي (عنيزة) ما نبيعهْ بالزهيد　　لِيَ فَرَّعَنَّ البيض نحمى جالها[٦١]
دونك ودون الغين مِخْضَر الجديد　　يِرْوِي من الضِّدِّ الحريب سْلاَلها[٦٢]

وقوله في مخاطبة عبدالله بن الإمام فيصل منها :

يا شيخ يا اللي ما نشا مثلك وليد　　لِ رَفَّعَنَّ الخيل شِقْر اذْياها[٦٣]
لو جبت عَنَّاز وشمَّر والرَّشيد　　ونجدٍ جميعه دِقّها وجْلالها[٦٤]
جِبْتَهْ وخَلّيته كما حلقة حديد　　شرق وجْنُوبٍ غربها وشمالها[٦٥]

الدَّار دونه لابةٍ تحمى الطِّريد صعب على كل - العدى منوالها[٦٦]

ومنها قوله في بندقيته :

لي بندق ترمي اللحم لو هو بعيد ما وَقَّفَتْ بالسوق مع دلاَّلها

وآخرها هذان البيتان :

قَطْع النخل ما هو عيب والوقيد العيب باللي ما يِتِمّ أقوالها[٦٧]
الله يُجازي كلّ جَبَّارٍ عنيد منا ومنكم يوم عَرْض أعمالها

١٢٨٥ هـ

فيها توفي عبدالله بن يحيي السليم أمير عنيزة ووجدت في أوراق تاريخية لديَّ ما يلي نصه :

شاخ[٦٨] عبدالله بن يحيي السَّلَيمْ في عنيزة يوم طلع جلوي سنة ١٢٧٠ الى أن توفي سنة ١٢٨٥ هـ وشاخ[٦٩] بعده زامل ال عبدالله السليم الى ان قتل في المليدا[٧٠] سنة ١٣٠٨ .

وعبارة ابن عيسى :

وفيها توفي عبدالله آل يحيي آل سليم أمير بلد عنيزة رحمه الله تعالى ، وتولى الإمارة بعده زامل آل عبدالله بن سليم[٧١] .

وفي ذلك قال عبد العزيز بن محمد القاضي من أهل عنيزة[٧٢] :

واذا بعبدالله يلقى ربه من بعد خمس سنين ذات هناء
صفت الامارة بعد ذاك لزامل وسعى لمجد (عنيزة) بمضاء
قد كان (زامل) ذا الصرامة والحجى حزب الأمور بحكمة ودهاء
في عصره بلغت (عنيزة) أوجها في المجد بين مضارب الأعداء

١٢٨٩ هـ .

وجدت في بعض الأوراق التاريخية في عنيزة ما يلي تاريخه :

«حرب عنيزة مع فيصل بن سعود[٧٣] لفظه (من طغى يقع) سنة ١٢٨٩».

قالوا في عنيزة :

زار أمين الريحاني مدينة عنيزة إبان رحلته الى نجد عام ١٣٤١ هـ وتكلم عليها وسنذكر بعض كلامه هنا ملخصاً . قال :

عنيزة : قطب الذوق والأدب ، باريس نجد ، وهي أجمل من باريس اذا أشرفت عليها من الصفرا ، لأن ليس في باريس نخيل ، وليس لباريس منطقة من ذهب النفود ، بل هي أجمل من باريس حين اشراقك عليها ، لأنها صغيرة وديعة خلابة بألوانها ، كأنها صورة صَوّرها مانه — مصور فرنسي — لقصة من قصص ألف ليلة وليلة ، وكأنها لؤلؤة في صحن من الذهب مطوق باللاَّزَوَرْد الى ان قال : فهي في مُجَوَّف من الأرض يحيط بها غاب من هذه الأشجار — الأثل — ليرد عنها رمال النفود التي تهددها من جهاتها الثلاث من الشمال والغرب والجنوب ، قلت مرة لأهلها : انتم والنفود قوم[٧٤] فأعجبوا بالكلمة وتناقلوها . إنها الحقيقة ولا مبالغة . فالنفود تحاربهم بالرمال ، تدفعها الرياح من كل جانب فتسفيها على المدينة . وهم يحاربونها بالأثل يزرعونه غياضا فوق الكُثُب خارج السور .

قد تصغر (عنيزة) دون أهلها وهم زهاء ثلاثين ألفا ، لأن النفود تُقَيِّدُها فلا تستطيع التبسط والامتداد ، فهي لذلك مزدحمة بالسكان ، وأكثر أسواقها كالسراديب ، لأنهم يبنون فوقها الجسور ، وفوق الجسور البيوت . ولكن هناك سوقا للتجارة كبيرة منيرة . تدهشك بما فيها من الاشكال والألوان[٧٥]

أقول : يصح نقل كلام الريحاني وأمثاله للتذكر ومعرفة الماضي ، والا فإن عمارة مدينة عنيزة قد تغيرت الآن ، وأصبحت المدينة ممتدة في عدة اتجاهات ، وفتحت في المدينة القديمة شوارع كثيرة بل هدم من بيوتها القديمة وأزقتها التي كانت مظلمة الشيء الكثير.

وقال الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله :

أما موقع (عُنَيْزة) فشرقيها قُور ، وجبال صغار ، متصل بعضها ببعض وغربيها كثيب

أحمر ، وهي بين الكثيب وبين القور ، في أرض منخفضة ، عذبة الماء ، كثيرة النخيل ، وشماليها وادي الرمة به لهم نخيل ومزارع ، ويسميه بعض أهل نجد «وادي عنيزة»[٧٦] .

وقال الشيخ حافظ وهبه :

عنيزة تقع الى يمين وادي الرمة على بعد ميلين منه وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً في مكان خصيب يحفه النفود من الشمال ، ويحيط بالقسم الآهل من السكان من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد الى الشمال نحو ميلين الى أن قال :

وقد اشتهر أهل عنيزة بلين الجانب ، وبشاشة الوجه ، وحسن لقائهم للأجانب وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجاري بفطرتهم . يبلغ عدد سكانها (٣٠) ألفا ، اشتهرت عنيزة ببعض الصناعات المعدنية وتجارتها واسعة ، وبها عدد غير قليل من الأجانب (غير نجدي) .

وقد كانت عنيزة تنافس بريدة في الأولوية والأهمية ، ولكن بريدة سبقت عنيزة الآن[٧٧] .

وقال المستر توتشل :

عنيزة : تبعد ثمانية عشر ميلاً الى الشمال من بريدة[٧٨] على وادٍ يعتبر فرعاً من وادي رماح[٧٩] يتفرع خارج مدينة عنيزة ، وهو أطول من وادي بريدة . وتتيه دلالاً على ما حولها من مدن الصحراء ، فكأنها عروس يُهَلِّلُ لها إيناساً وبشراً ، ذلك لانها الصلة ما بين خطوط المواصلات مع مصر والعراق والهند . وإنَّ ما يبدو من أهالي تلك البلدة الجميلة من رُوح وُدّ وصداقة وكياسة وأدب يظهر بجلاء ـــ الى أن قال : ويقدر عدد سكانها بـ ٢٥,٠٠٠ خمسة وعشرين ألف نسمة . الى ان قال : وبيوتها أحسن تنظيماً ومصنوعة من اللبن : الطين المجفف في الشمس ، وذلك بأن يخلط الطين ويهيأ للبناء ثم يُصَبُّ صَبّاً أوليا ، ويترك يوماً أو يومين لتجففه حرارة الشمس ، ثم يوضع للمرة الثانية ، ويترك حتى يجف وهكذا الى أن يكمل البناء . أما شوارع هذه المدينة فهي على العموم ضيقة ومعوجة حتى إنها لا تتسع لمرور سيارة واحدة فيها على الأقل[٨٠] . وحدائقها مُسوَّرة دون أن يكون لها ساحة مكشوفة على

الجهة المطلة على الشارع ، ولإحاطتها بالسهول الرملية وراء سلسلة الحدائق التي تمتد لمسافة ميلين شمالاً فإنها — أي عنيزة — معرضة لرمال الصحراء الكاسحة التي تجتاز حدودها ، وتهاجم المدينة .. ولا يكون صد هذا الطغيان إلا بإقامة السدود والحواجز من شجر الأثل (الطرفاء) لِصَدِّ الرياح[81] .

وقال الأستاذ عمر رضا كحالة :

عنيزة تقع الى يمين وادي الرمة على بعد ميلين منه[82] وتبعد عن بريدة نحو ١٢ ميلاً[83] وهي في مكان خصيب ، يحفه النفود من الشمال ، ويحيط بالقسم الآهل بالسكان من البلدة حائط داخلي ، وبه بساتين عامرة تمتد الى الشمال نحو ميلين الى ان قال : وقد اشتهر أهل (عنيزة) بلين الجانب ، وبشاشة الوجه ، وحسن لقائهم للأجانب وهم مشهورون بالشجاعة والاستعداد التجاري وببعض الصناعات المعدنية ، ويبلغ عدد سكانها (٢٠,٠٠٠) نسمة فيهم عدد غير قليل من الأجانب[84] .

وواضح انه استقى أكثر كلامه من كلام الشيخ حافظ وهبة الذي تقدم نقله .

الريـاض : **محمد العبودي**

حواشي المقـال :

(١) عنوان المجد ج٢ ص ١٧٠ — ١٧١ . (طبعة وزارة المعارف) .
(٢) تاريخ بعض الحوادث ص ١٦٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٧١ .
(٤) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧١ — ١٧٢ .
(٥) عقد الدرر ص ١٢ .
(٦) يكوده : يكودها ، أي يشق عليها والضمير فيه للناقة المركوبة .
(٧) تلفي : تلافي . والنادر هو الممتاز من الصقور ويطلق على الإنسان ومنى هاشل الخلا هو الذي يأتي من البرية جائعاً وليس ضيفاً معروفاً فيجد الزاد والدفء في الشتاء ، ومنى : أمنية . وعوده : عودها .
(٨) حسوده : حسودها وجاء به وبما بعده على لغته لغة أهل القصيم في حذف الألف بعد هاء المفردة الغائبة .
(٩) الوادي : وادي الرمة شمال عنيزة ، وقوده : وقودها .

(١٠) حد العزا من نفودها أي : في الحد الفاصل بين الأرض الصلبة والرمل المجتمع .
(١١) شيام : بسرعة ، وشهوده : شهودها .
(١٢) يعني سعد بن محمد أمير ثادق .
(١٣) عبات : جمع عبة وأصلها ، أن يعب المرء أو الدابة الماء عبّاً أي : بشربه شرباً كثيراً متواصلاً بدون فاصل . وهي هنا كناية عن الإسراع إلى القتال والاستمرار فيه . وعدوده : عددها .
(١٤) أولاد علي : هي مناداة أهل عنيزة وأهل بريدة في الحرب ، والمراد بهم هنا أهل عنيزة بالذات . والمر : البرّة : أي : ما يشعر به المرء من أثر الغيظ ونحوه ، والطافر : الطافح في كبوده ، في أكبادها .
(١٥) يريد فيصل آل سعود ، والا فهو الإمام فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ، وقائد جيشه في تلك الوقعة هو ابنه عبدالله .
(١٦) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٢ .
(١٧) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٣ . وقد ذكر في عقد الدرر سبب مقتله ونقل ما نقلناه من ذلك عن ابن بشر .
(١٨) العنيزية ص ١٩ .
(١٩) ناصر بن عبد الرحمن السحيمي .
(٢٠) عبدالله بن يحيي السليم .
(٢١) الأفزاع : الامدادات من القوم الذين يخرجون فزعة لإنجاد المقاتلين .
(٢٢) سبق الكلام على (رواق) في حرف الراء .
(٢٣) عقد الدرر ص ٣٢ — ٣٣ .
(٢٤) النماره : النمور : جمع نمر . ودايخ الراس : الذي لا يفكر في شيء سوى الاقتتال غير مبال بالعواقب والمرور . الذي أصابته المرة وهي ما يحس به من غضب غضباً شديداً .
(٢٥) الفضار : الفخار . وبضعته : بضاعته .
(٢٦) تاريخ بعض الحوادث ص ١٧٥ .
(٢٧) أي : وادي العمران ووادي الجناح ووادي أبو علي وسيأتي ذكرها في حرف الواو الى جانب وادي عنيزة الذي هو جزء من وادي الرمة . وحلّ القطع فيها أي : قطع نخيلها .
(٢٨) يريد النخل .
(٢٩) النبا : المرتفع من الأرض وكذلك المزموم : المرتفع من الآكام ونحوها .
(٣٠) دوك : دونك . لحوم : جمع لحم . وهو لحم القتلى الذين ذكر أن فيهم الشيخ وابنت الرجل الكبير وهو الذي سماه (حصانا) .
(٣١) ركوم : مركومة أي : قد اجتمع بعضها الى بعض .
(٣٢) المجوخ : الذي يلبس الجوخه في الحرب وغالباً ما يكون أشجع القوم وأكثرهم إقداما في المعركة دوم : دائماً .
(٣٣) جتني : جاءتني والمراد بها البنت الجميلة وتخطي : تخطو وتسير : القز : الحرير والقيلان : ثياب فاخرة .
(٣٤) تمحش : تمسح ، وكموم : أكمام والمراد : كماها الاثنتان .
(٣٥) غطاها : ما تغطي به وجهها . وجتّهْ : جاءتها . علوم أخبار : أخبار : والمراد : أخبار مقتل إخوانها الخ .
(٣٦) ديرتي : بلدتي . وتعتبي : من العتب ولومك على من خان يريد أننا لم نفعل ذلك وانما بذلنا جهدنا الذي نستطيعه .

(٣٧) السلم القديم : العادة القديمة وسلوم : جمع سَلْم — بفتح السين واسكان اللام أي : زدنا على عادتنا القديمة في الدفاع عنك .
(٣٨) الفتيل : نوع قديم من البنادق كان يتم اشعال النار في البارود الذي في البندق بواسطة فتيلة وهي خرقة قديمة تكون سريعة الاشتعال .
(٣٩) كذا فيه ولعلها (غزو) أي : غزّي بمعنى الجماعة الغازين .
(٤٠) هو ما بين بريدة وعنيزة من وادي الرمة .
(٤١) عقد الدرر ص ٣٣ — ٣٥ .
(٤٢) المصدر نفسه ص ٣٦ .
(٤٣) حريب : محارب .
(٤٤) عيّا : امتنع . خطوطي : رسائلي . وقراه : قرأها .
(٤٥) مير : لكن .
(٤٦) يحطونه : يجعلونه . وحريب محارب وسناه : سناها والمراد : لظاها .
(٤٧) نباه : بناه أي حديثه .
(٤٨) نوخ : أنخ راحلتك . سناه هنا : ضوءه أي : رأيه وتدبيره .
(٤٩) عريب : أصيل الجدود ولذلك قال : ساس الندى المقرن أي : آل مقرن وهم أجداد سعود .
(٥٠) مناحاهم : معاداتهم . تعيب : متعب وصعب . وطواه : طواها .
(٥١) هذا خطاب لعبدالله بن الإمام فيصل . والزود : الزيادة وهي هنا كناية عن فعل ما زاد عن الحاجة من العقوبة وكذلك التعاظم في الحكم . وحذرا : احذر . وتطاه : تطأها .
(٥٢) ذكرت القصيدتين كاملتين في : «معجم أسر أهل القصيم» في ذكر أسرة (السّليّم)
(٥٣) حر : جمل كريم . معزابه : دله : ما على رحله من زينة . من شواحيف شط أي : شرمع كالذي جاء من الشطّ بسرعة .
(٥٤) ملفاك : منتهى وصولك ومقصدك .
(٥٥) النجّاب : حامل الرسالة الذي أرسل لهذا الغرض ليوصلها .
(٥٦) لابتي : جماعتي . لَهْ : لها . بأنيابه : بأنيابها .
(٥٧) لفى : وصل . والحص : الدُّر.
(٥٨) نضو : جمل : زمانين : سنتان : ماذير : ما أدير أي : لم يفزعه أحد . معزابه : مرعاه البعيد عن الحضر.
(٥٩) الحيايا : الحيات : جمع حية . له : لها . جت : جاءت يَمّ الشيخ : قاصدة للشيخ والمراد به الإمام فيصل .
(٦٠) مقابيس : جمع مقباس أي : الذي نسرع الى الحرب يوم اللقاء .
(٦١) نبيعه : نبيعها . لي : الى . ومعناها : اذا : وفرّعن البيض ، أي : حسرن رؤوسهن والمراد : النساء من الفزع .
(٦٢) الفين : النخل . والحريب : المحارب . والسلال : السيوف المسلولة .
(٦٣) لي : الى التي معناها اذا . أي : اذا رفعت الخيل اذيالها الشُقّر في يوم الحرب .
(٦٤) عناز : عنزة : جميعه : جميعها .
(٦٥) جبته : جبتها أي : جئت بها : وخليته : خليتها والمراد جعلتها . ←

نســاء في القمــة

- ٢ -

سيدة تنقـذ زوجهـا .

في تاريخنا كثير من النساء اللواتي رُزقْنَ ذكاءً خارقاً ، مع شجاعة فائقة ، فَقُمْن بأعمالٍ باهرة في ساعات حَرِجَةٍ ، ولَحَظَاتٍ حاسمة ، منهن أمُّ سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها ، التي صحبت رسول الله ﷺ في غزوة الْحُدَيْبِيَّة ، التي وُضِعَتْ فيها معاهدة الصلح بين المسلمين وكفّار مكة ، فلم تُرْضِ بعض شروطها المسلمين ، فاشتدَّ أمْرُها عليهم ، وبخاصة ما قضتْ به من عدم دخول مكّة ذلك العام ، والعودة إلى المدينة ، بعد أن صَحِبُوا الْهَدْيَ معهم ، واستبشرت قلوبهم بدخول الحرم ، فلما أمرهم الرسول ﷺ بِحَلْقِ رؤوسهم ونحر هدبهم لم يَقُمْ أحد منهم لذلك ، فدخل ﷺ على أُم سلمة

---

(٦٦) دونه : دونها . واللابة : الجماعة المحاربة .

(٦٧) ماهوب عيب ، أي : ليس بعائب من يقطع نخله ، والوقيد : إضرام النار في النخل والأشجار اللي : التي والمراد : الجماعة التي لا تتم بالفعل ما تقول إنها ستفعله .

(٦٨) عقد الدرر ص ٥٢ .

(٦٩) العنيزية ص ٢٠ .

(٧٠) هذا كسابقه يراد به جيش الإمام فيصل بن تركي آل سعود رحمه الله .

(٧١) قوم : أي : أعداء .

(٧٢) ملوك العرب ص ١٢٠ .

(٧٣) صحيح الأخبار ج ١ ص ١٥٤ .

(٧٤) جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٦٢ .

(٧٥) الصحيح الى الجنوب من بريدة .

(٧٦) هذا فيه غلط وتحريف اما الغلط فقوله انها تقع على واد يعتبر فرعا الوادي الرمة اذ ليست على هذه الصفة أما التحريف ففي قوله (وادي الرماح) والصحيح (وادي الرمة) .

(٧٧) كان هذا قبل التوسعة الحديثة لشوارع عنيزة وامتداد العمارة فيها .

(٧٨) المملكة العربية السعودية ص ٨٣ .

(٧٩) تبعد عن وادي الرمة ستة أميال .

(٨٠) الصحيح أنها ١٧ ميلا .

(٨١) جغرافية شبه جزيرة العرب ص ١١٦ — ١١٧ .

فأنحرها فقالت له : يا نبيَّ الله : أخرج ولا تُكلِّم أحداً منهم حتى تنحَرَ هَدْيَكَ ، وتحلق شعرك ، فما كاد رسول الله يفعل ذلك حتى قام المسلمون جميعاً فنَحروا حتى كاد بعضهم يُقْتل بعضاً من الزِّحام .

ومنهن أسْماء ذات النِّطاقَيْنِ رضي الله عنها ، التي أشارت على ولدها عبدالله بن الزبير بعدم الاستسلام ، والثبات حتى الموت ، فإنه لما قُتِل صلبه الحجاج ، وصمم على إبقائه مصلوباً حتى تأتيه السيدة أسماءُ . فترْجوه في دفنه ، فَأَبَتْ أن تفعل ذلك ، بل ذهبت حيث رأت ولدها مصلوباً فوق خشبته فأشارت إليه وقالت : أما آن لهذا الفارس أن يَتَرجَّل ؟! ! ثم عادت دون أن ترى الحجاج ، أو تَطلب منه شيئاً ، فلما سمع الحجاجُ بما قالتْ أَسْرع إلى دَفْنِ المصلوب قائلاً : والله لكلمتها أشَدُّ عَلَيَّ من حرب ابْنِها . وذلك لأنها كلمةٌ قَلَبَتِ القُبْحَ جمالاً ، والإهانةَ تعظيماً ، والتشهير القبيح تَمْجيداً .

وحَسْبُكَ أن تعلم أنَّ أحد الشعراء استَعار هذه الصورة الجميلة للمصلوب من السيدة أسماء ، فقال في رثاء وزيرٍ صلبه الملكُ البُوَيْهِيُّ عضُدُ الدولةِ في القرن الرابع الهجريِّ قصيدة مطلعها :

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وفِي الْمَمَاتِ لَحَقٌّ تِلْكَ إحْدَى الْمُعْجِزَاتِ

فكانتْ قصيدَتُهُ من أجمل قصائد الرِّثاء في الأدب العربي .

ومنهن هذه التركية التي احتفظت برباطة جأْشها ، فلم يعزب عنها عقلها ولم يذهب الخوف بذكائها ، حين أَلمَّ الخطبُ بها ، ونزلت المصيبةُ بزوجها ، وقد روى أُسامة بن منقذ قصتها في كتابه «الاعتبار» فقال :

حدثني المؤيَّدُ الشاعر البغداديُّ بالموصل سنة خمس وستين وخمس مئة قال : أُقطع الخليفةُ والدي ضيْعةً ، وهو يتردَّدُ إليها ، وبها جماعة من العيَّارِيْنَ (اللصوص) . يقطعون الطريق ، ووالدي يُصانعهم لخوفه منهم ، ولانْتِفَاعِهِ بشيءٍ مما يأخذونه ، فنحن يوماً جلوسٌ بها . إذ أقبل غلامٌ تركيٌّ على حصانه ، ومعه بَغْلٌ عليه خُرْجٌ ، وجارية راكبةٌ فوق الْخُرْج ، فنزل ، وأنزل الجارية ، وقال : يا فِتْيَان ، أسعدوني على حَطِّ

الخرج ، فجئنا حططناه معه ، وإذا به كلّه دَنَانِير ذَهَبٍ ومَصَاغٌ ، فجلس هو والجارية أكلا شيئاً ، ثم قال: أسعدوني على رفع الخرج ، فرفعناه معه ، فقال : كيف طريق الأنبار؟ فقال له والدي : الطريق ها هُنا — وأشار إلى الطريق — ولكن في الطريق سِتُّونَ عيَّاراً أخاف عليك منهم ، فضرط له وقال : أنا أخافُ من الْعيَّارِينَ ! ! ! فتركه والدي ، ومضى إلى العيَّارِيْن فأخبرهم خبره وما معه ، فخرجوا حتى عارضُوه في الطريق ، فلما رآهم أخرج قوسه ، وترك فيه سهماً ، واستوفاه يريد أن يَرْمِيَهُمْ فانقطع الوتَرُ ، فأصبحت قوسه القويةُ المُدْمَجَةُ بلا وَتَرٍ ، فهجم عليه العيَّارون ، فانهزم ، وأخذوا البغْلَ والجارية والخُرْج ، فقالت لهم الجارية : يا شباب بالله لا تهتكوني وبيعوني نفسي والبغل أيضاً بِعِقْدِ جَوْهَرٍ مع التُّرْكيّ قيمته خمس مئة دينار . وخذوا الْخُرْج وما فيه ، قالوا : فعلنا ، قالت : ابعثوا معي بعضكم حتى أتحدَّثَ مع التركيّ ، وآخذ الْعِقْد . فبعثوا معها من يحفظها حتىْ دنت من التركي ، وقالت له : قد اشتريت نفسي والبغْل بالعقد الذي في ساق خُفِّك اليسار ، فادفعه لي ، قال صاحبها : نعم ، وانفسح عنهم وأخرج الخف . وإذا فيه وَتَرُ قَوْسٍ كان قد نسي أمره ، فركّبه على قوسه ، ورجع إليهم ، وأخذ يرسل سهامه كالنَّحْل الثائر ، يكوي بها مُهَجَ اللصوص فَيَخِرُّونَ كأنهم سُكَارَى . والدم يتدفَّقُ من مواطن الطعنات ، فيسقطون وَاحِداً واحِداً ، حتى قَتَل منْهم ثلاثة وأربعين رجلاً ، ونظر فإذا والدي في الجماعة الباقية من العيَّارينَ ، فقال له : وأنْتَ فيهم ؟ ! ! ! أتشتهي أن أُعْطِيَكَ نصيبك من النُّشَّاب ؟ ! قال : لا ! ! ، قال الفتى : خُذْ هؤلاء السبعة عشر الباقين امْضِ بهم إلى شُحْنَةِ البلد يَشْنُقْهُم ، وأولئك قد جمدوا في مكانهم ، ورموا أسلحتهم ، وساق بغله ومضى ، وقد أرسل الله تعالى منه على العيَّارِيْنَ مصيبةً وسخطةً عظيمة .

فلله كل فتاة ملهمة : تَجْعل ذكاءها وقُوَّة قلبها لخير أهلها وبيتها ووطنها ، لِتَرُدَّ كَيْدَ الأعداء ، وعبثَ العابثين ، وفسادَ المفسدين . وسلام على كل طاهرة نقيَّةٍ ، تنصح لزوجها وتحفظ عرضها وشرفها .

الكويت   محمد علي العبد

معجم المطبوعات العربية في المملكة العربية السعودية

— ٤٩ —

المطابع والصحافة والمكتبات

(٣)

فتح عبد العزيز الرياض سنة ١٣١٩ ، وواصل الفتح في نجد ، ثم في ١٣٣١ مضى بفتح الاحساء ، وفي صفر ١٣٤٣ احتل «الأخوان» الطائف ثم دخلوا مكة فتنازل الملك حسين إلى ولده علي الذي بقي في جدة ، وفي ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ وصل عبد العزيز إلى مكة ثم استولى على جدة والمدينة في جمادى الآخرة ١٣٤٤ ...

... يهمنا هنا ما يتصل من شؤون الطبع بعبد العزيز .

إن الذي طبع على نفقة السلطان (الملك) عبد العزيز (أو بأمره) كثير ومُهِمٌّ . والظاهرة ، ظاهرة أن يطبع السلطان (الملك) على نفقته ، وحدها جديرة بالدرس ، فما رأينا من مِلِكٍ معاصر قام بمثل هذا العمل .

وقد تكون في العوامل الدافعة أساساً : «الدعوة» السلفية وضرورة نشرها وتأييدها بأمات كتبها ، وهو العالم جيداً أن سلطنته (وملكه) جزء لا يتجزأ من المذهب والعكس لديه صحيح ، هذا إلى خلو نجد من أية علامة من علامات الطبع والنشر وإلى أن وجهاء القوم سبقوا إلى مثل هذا العمل مستعينين — كما رأينا — بإمكانات الهند (ومصر) ... حتى إذا واجه الحجاز ازداد يقيناً واهتماماً ... ثم لا يبعد أن تكون لمطبعة المنار وللسيد محمد رشيد رضا ومحب الدين الخطيب يد في التنبيه والتشجيع ومن وراء الطبع خدمة للمذهب لا تخلو من ربح تجاري لدى نهاية الحساب .

تلك ظاهرة جديرة بدراسة خاصة لا سيما لمن يجوس عالم الكتاب السعودي ، وهي

لا تُخفَى على قارىء حلقات «معجم المطبوعات» فقد رآها إزاء عدد لا بأس به من المؤلفين السعوديين أو ممن عُدّوا سعوديين.

وبقي النص هنا على ما يمكن النص عليه مما طبع على «نفقة» عبد العزيز (أو بأمره) من مؤلفات التراث. وقد رأينا أن مصر شرعت تطبع على «نفقة» سلطان نجد وملحقاتها قبل أن يدخل السلطان الحجاز ويصير «ملك ...» وعندما دخل — ... وصار ... واصل الحال وزاد فاستمرت «المنار» توالي طبع الأجزاء الباقية وتطبع — هي غيرها — كتباً أخرى وأخرى ...

وتحولت المطبعة التي كانت في مكة باسم مطبعة الولاية في العهد العثماني، واسم المطبعة الميرية (الأميرية) في عهد الشريف حسين ... إلى مطبعة أم القرى (الحكومة) وشرعت تطبع كتباً مهمة لم يكن لها بمثلها عهد، بينما ما كان على نفقة الملك عبد العزيز.

وتوطدت ظاهرة الطبع على «نفقة» في الأسرة المالكة فتبناها الأمراء: منصور، سعود، فيصل، وتبناها سعود عندما صار ملكاً وفيصل عندما صار ملكاً.

ثم بدأ أن الظاهرة قد استنفدت أسبابها بعد أن توطد الملك وتعددت الوزارات وأخذت الجهات الرسمية تحسب حساب ذلك في خططها وميزانياتها، وللكتب الدينية جهاتها المختصة بها.

قلت إن ظاهرة الطبع على «نفقة» جديرة بالدرس، وقد رأيناها قبل قيام دولة عبد العزيز يحققها الموسرون، الذين خرجوا عن حدود نجد، بدافع ديني — بعد توافر عنصر المال — وظلت الحال كذلك بعد قيام الدولة، أي أن الطبع على «نفقة» لم يكن مظهراً رسمياً فقط وإنما كان أهلياً كذلك ويكاد يكون الدافع واحداً (هو الدين) — أو المذهب لدى التخصيص).

وعليه، فن كمال الدراسة، ومن كمال «معجم المطبوعات» الإشارة إلى من تتيسر الإشارة إليهم ممن طبعوا «على نفقة» ...

إن قائمة بما طبع على هذا النمط نافعة بل ضرورية . وقد تكون أقدم قائمة من هذا النوع ما ورد في الكتيب الذي صدر عن وزارة المعارف باسم « دليل المؤلفات السعودية » وكأن الأستاذ مصطفى حسين عطار (المدير المساعد لمنطقة مكة التعليمية » المشرف على إعداده ، وقد صدر سنة ١٣٨٤ وها نحن ننقل عنه ما ورد في باب « بيان ببعض أسماء المؤلفات والأسفار المطبوعة على نفقة حضرة صاحب الجلالة الإمام المغفور له عبد العزيز آل سعود رحمه الله » ...

١ ــ تفسير ابن كثير والبغوي ــ ٨ مجلدات .
٢ ــ البداية والنهاية ــ ١٤ مجلداً .
٣ ــ المغني والشرح الكبير ــ ٢٠ مجلداً (؟) .
٤ ــ كشاف القناع ــ ٦ مجلدات .
٥ ــ المغني ــ ٩ مجلدات .
٦ ــ منتهى الإرادات ــ ٦ مجلدات .
٧ ــ العدة شرح العمدة .
٨ ــ الإنصاف ــ ٢٠ مجلداً (؟) .
٩ ــ مجموع الفتاوي النجدية ــ ٤ مجلدات .
١٠ ــ فتاوي شيخ الإسلام ــ ٣٠ مجلداً .
١١ ــ زاد المعاد ــ ٤ مجلدات .
١٢ ــ الطرق الحكمية .
١٣ ــ صيانة اللسان .
١٤ ــ مختصر سيرة الرسول ﷺ .
١٥ ــ الجواب الكافي .
١٦ ــ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء .
١٧ ــ التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح .
١٨ ــ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد ــ ٢ مجلد .
١٩ ــ الروض المربع ــ ٢ مجلد .

٢٠ ــ عقيدة الطحاوية (؟) .
٢١ ــ الداء والدواء .
٢٢ ــ الطب النبوي .
٢٣ ــ الدين الخالص .
٢٤ ــ طبقات الحنابلة .
٢٥ ــ كتاب السنة .
٢٦ ــ شرح الطحاوية .
٢٧ ــ مدارج السالكين شرح منازل السائرين .
٢٨ ــ رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية .
٢٩ ــ فتح المجيد .
٣٠ ــ العدة حاشية العمدة .
٣١ ــ شرح عمدة الفقه .
٣٢ ــ حاشية المقنع .
٣٣ ــ الإقناع .
٣٤ ــ جامع العلوم والحكم لابن رجب .
٣٥ ــ جامع الأصول للجزري .
٣٦ ــ تاريخ العصامي .
٣٧ ــ الفتح الرباني شرح مسند الإمام أحمد ــ ٢٠ مجلداً .
٣٨ ــ تأسيس التقديس للشيخ عبد اللطيف .
٣٩ ــ تأسيس التقديس للشيخ أبي بطين .
٤٠ ــ مجموعة التوحيد .
٤١ ــ مجموعة الحديث .
٤٢ ــ رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن البكري .
٤٣ ــ رد شيخ الإسلام ابن تيمية على الأخنائي .
٤٤ ــ منهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٤٥ ــ مصباح الظلام في الرد على من كذب على الإمام .

٤٦ ــ دلائل الرسوخ .
٤٧ ــ شرح دليل الطالب .
٤٨ ــ نقض المنطق .
٤٩ ــ الجواب الصحيح .
٥٠ ــ شرح نونية ابن القيم .
٥١ ــ الروضة الندية .
٥٢ ــ عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر .
٥٣ ــ مثير الوجد في معرفة أنساب ملوك نجد .
٥٤ ــ تفسير الطبري .
٥٥ ــ الأدب المفرد .
٥٦ ــ شرح العقيدة الواسطية للهراس .
٥٧ ــ رد الشيخ محمد عبد الرزاق على أبي ريه .
٥٨ ــ مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم .
٥٩ ــ محاكمة الأحمدين للألوسي .
٦٠ ــ ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب .
٦١ ــ ديوان ابن سحمان .
٦٢ ــ كتاب الزهد للإمام أحمد .
٦٣ ــ التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح .
٦٤ ــ مختصر سنن أبي داود ــ ٤ مجلدات .
٦٥ ــ جامع الأصول ــ ١٠ مجلدات .
٦٦ ــ الآداب الشرعية ــ ٤ مجلدات .
٦٧ ــ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ــ ٢ مجلد .
٦٨ ــ منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب .
٦٩ ــ مختصر الفتاوي المصرية .
٧٠ ــ كتاب الرد على المنطقيين لشيخ الإسلام ابن تيمية .
٧١ ــ الرسائل والمسائل النجدية .

٧٢ — تنبيه ذوي الألباب .

ويمكن للباحث أن يلاحظ على هذه القائمة عدة ملاحظات ، منها :

اختصار الخبر عن الكتاب فلم يذكر اسم المؤلف عادة ولا المعلومات الأخرى وقد يكون مرد هذا الاختصار أنها وردت في دليل صغير أُلف على عجل لمناسبة رسمية آنية .

وقد يرد الكتاب الواحد مرتين (من غير بيان السبب إن وجد) كما في : المغني . التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح .

ورد «تفسير ابن كثير والبغوي» وكأنهما كتاب واحد ، وليس الأمر كذلك — كما مر معنا . وقد قال الدكتور أحمد محمد الضبيب في الحلقة الثالثة من «حركة إحياء التراث» — الدارة العدد الثالث من السنة الرابعة شوال ١٣٩٨/ سبتمبر ١٩٧٨ ص ٩ : «بدأ نشر كتب التفسير على نفقة المملكة العربية السعودية منذ عهد مبكر ، ففي الوقت الذي أمر به الملك عبد العزيز بطبع كتب الفقه في مطبعة المنار كان كتاب (تفسير ابن كثير القرشي) وهو أضخم التفاسير بالمأثور يطبع على حسابه ، وكذلك تفسير البغوي (معالم التنزيل) ، وقد صدر التفسيران في تسعة مجلدات ضخمة انتهت طباعتها سنة ١٣٤٧ هـ ، وأشرف على تصحيحها السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وتبع ذلك نشر كتاب (فضائل القرآن) لابن كثير ملحقاً بتفسيره ، وقد عثر عليه في آخر النسخة الخطية المكية ، ولم يكن ضمن الطبعة الأولى لهذا التفسير طبعة مطبعة بولاق . وامتازت هذه الطبعة بتعليقات وفوائد بقلم المصحح .. وقد أُعيد طبع تفسير ابن كثير مستقلاً عن البغوي سنة ١٣٨٤ هـ فجاء في أربعة أجزاء من القطع الكبير ، ومن الواضح أنه طبع عن مطبوعة المنار ، وعلق حواشيه عبد الوهاب عبد اللطيف الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة ، الأزهر ، وقد وصفت هذه الطبعة بأنها (أدق وأكمل طبعة مزودة بفوائد جمة نافعة) ونشرته إحدى مكتبات مكة التجارية» .

وفي أوراقي :

تفسير الحافظ ابن كثير (اسماعيل المتوفى سنة ٧٧٤) .

ويليه معالم التنزيل تفسير الإمام البغوي المتوفي سنة ٥١٦ وهو (الحسين بن مسعود الفراء).

من مطبوعات ... الإمام عبد العزيز ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ط١ ، المنار ١٩٤٦ .

وورد المغني والشرح الكبير وكأنهما كتاب واحد ، وهما ليسا كذلك ..

وفي أوراقي :

المغني لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة (المتوفي سنة ٦٢٠) على مختصر أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقي .

ويليه :

الشرح الكبير على متن المقنع تأليف ... شمي الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي (المتوفي سنة ٦٨٢) .

الجزء الأول — من مطبوعات صاحب الجلالة السعودية ومحيي السنة المحمدية الإمام عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . ط٢ ، المنار ١٣٤٦ ، ٨١٧ ص (كانت الطبعة الأولى من مطبوعات ... عبد العزيز أيضاً) .

ويقول الضبيب (الحلقة الأولى ص ٥٠) «يقول محمد رشيد رضا في ختام طبعة كتابي «المغني والشرح الكبير» سنة ١٣٤٨ هـ ... لولاه (الملك) لما أقدمنا ولا أقدم غيرنا على طبعه لأن التجار لا يقدمون على طبع إثني عشر مجلداً في الفقه الحنبلي لأحد فقهاء مذهب الإمام أحمد مع قلة الحنابلة في الأمصار وفقرهم ...» — جاء ذلك في «المغني والشرح الكبير» ٧١٦/١٢ .

وردت في القائمة أسماء كتب لم تكن مما صدر وعليه عبارة «طبع على نفقة ... الملك عبد العزيز» ... ومنها ما صدر بمساهمة من المملكة مثل كتاب تفسير الطبري . قال الدكتور الضبيب في الدارة ... ص ١٠ «ويعد تفسير ابن جرير الطبري من أعظم التفاسير التي شاركت المملكة في تشجيع طباعتها وإظهارها إلى عالم الوجود وقد صدر منه

حتى الآن (١٦) مجلداً» ـــ وهذا باب آخر من أبواب الطبع والنشر...

ومن الإضافات الإيضاحية على قائمة «الدليل».

١ ـــ **مجموعة التوحيد** ـــ هي مجموعة التوحيد النجدية، طبعة المنار بالقاهرة أمر بطبعها على نفقته صاحب الجلالة السعودية محيي السنة المحمدية الإمام عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها. أشرف على تصحيحها وطبعها السيد محمد رشيد رضا. ١٣٤٦ ـــ ينظر أعلاه مجموعة ... ومحمد بن عبد الوهاب.

٢ ـــ **الرسائل والمسائل النجدية**:

هي من جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم العاصمي (ينظر)، وطبعت للمرة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز... ملك الحجاز ونجد وملحقاتها، القاهرة، المنار، أربعة أجزاء ـــ تنظر أعلاه مجموعة، ومحمد بن عبد الوهاب وعبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ.

٣ ـــ **مجموعة الحديث**:

هي مجموعة الحديث النجدية. أشرف على طبعها السيد محمد رشيد رضا. القاهرة، المنار ١٣٤٢، وقد مر الكلام عليها في هذا الباب، وينظر محمد بن عبد الوهاب. والمجموعة في ٨٠٦ ص.

٤ ـــ **التوضيح في الجمع بين المقنع والتنقيح**:

قال الدكتور الضبيب في الحلقة الثانية ص ١٦ «ومن كتب المذهب الحنبلي المهمة في القرن العاشر كتاب «التوضيح ...» للعلامة أحمد بن أحمد العلوي الشويكي المقدسي (ت ٩٣٩) وفيه جمع بين «المقنع» للموفق بن قدامة و«التنقيح» للعلامة المرداوي وزاد عليهما أشياء مهمة» ـــ ولم يذكر الضبيب أنه طبع على نفقة عبد العزيز».

٥ ـــ **الإنصاف**:

قال الضبيب ص ١٦ من الحلقة الثانية: «وقد بعث من كتب القرن التاسع

الموسوعية كتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل من تأليف العلامة علاء الدين أبي الحسن علي بن سليمان المرداوي (ت ٨٨٥ هـ)...

ولم يذكر أنه طبع على نفقة الملك عبد العزيز.

٦ ــ العقيدة الواسطية :

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقدّمنا من شروحها ماكان لزيد بن فياض وعبد الرحمن بن سعدي وعبد العزيز بن ناصر الرشيد (ينظرون).

وذكر الدكتور الضبيب في الحلقة الثالثة عبد العزيز بن محمد السلمان.

ولم نقف على شرح الهراس.

٧ ــ عقيدة الطحاوية :

٨ ــ شرح الطحاوية :

الطحاوي هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلام الأزدي المصري الحنفي (المولود سنة ٢٣٧، المتوفى ٣٢١).

و«شرح الطحاوية في العقيدة السلفية» للشيخ عبدالله بن حسن بن حسين ... ابن عبد الوهاب (ينظر) ليس الشرح له، بل لعالم متقدم والشيخ ابن حسن كتب المقدمة ــ العرب).

طبع الشرح بمكة سنة ١٣٤٩ ... الملك عبد العزيز... ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ...

ولا بد أن يكون صحيح «عقيدة الطحاوية» الواردة في القائمة : العقيدة الطحاوية أو عقيدة الطحاوي ...

هناك كتب أخرى طبعت على نفقة الملك ــ قد تكون كثيرة مهمة ــ لم تذكرها القائمة. نذكر منها :

١ ـــ **مجموعة رسائل وفتاوي** في مسائل مهمة تمس إليها حاجة العصر لعلماء نجد الأعلام ، جمعها عبد الرحمن بن قاسم العاصمي (ينظر) وطبعت للمرة الأولى على نفقة الملك عبد العزيز ... ملك الحجاز ونجد وملحقاتها . القاهرة ، المنار ١٣٤٦ ـــ تنظر أعلاه مجموعة .

٢ ـــ تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية . أمر بوضعه وطبعه صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز العبد الرحمن الفيصل آل سعود ط ١ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٦٢ ـــ تنظر مطبعة الحكومة ...

٢ ـــ **عرش الرحمن** وما ورد فيه من الآيات والأحاديث وكونه فوق العالم كله ، ومعنى التوجه في الدعاء إلى جهة العلو وبطلان ما قيل في أن العرش هو الفلك التاسع عند علماء الهيئة اليونانية .

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية . طبع على نفقة صاحب الجلالة السعودية ومحي السنة المحمدية الإمام عبد العزيز ... آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

ويليه مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام وهي ثلاثة أقسام .

القاهرة . مطبعة المنار .

كتاب عرش الرحمن ٢ ـــ ٣٤ ـــ ٣٦ ص .

وقد أشارت « القائمة » إلى طبع « رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية » ولكن الذي هنا ـــ في أوراقي ـــ أن الكتاب هو « مجموعة ... » والذي بعد صفحات « عرش الرحمن » :

كتاب مذهب السلف القديم في تحقيق مسئلة كلام الله الكريم .

الحجج النقلية والعقلية فيما ينافي الإسلام من بدع الجهمية والصوفية ، وحقيقة مذهب الإتحاديين أو وحدة الوجود .

قاعدة في المعجزات والكرامات وأنواع خوارق العادات .

٣ ـــ **فضل السلف على الخلف** :

للإمام أبي الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد الشهير بابن رجب البغدادي

الحنبلي (المتوفى سنة ٧٩٥).

طبع بأمر معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها.

القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، مطبعة النهضة، مصر.

عني بتصحيحه للمرة الثانية ١٣٤٧ ... من علماء الأزهر.

٤ — ٥٥ — ٥٨ — ولم تكن الطبعة الأولى على نفقة ...

وفي إحدى أوراقي: عنوان الكتاب: فضائل ... ولا بد من أن يكون الصحيح: فضل ... فقد ورد في ورقتين منفصلتين متباعدتين.

٤ — تلخيص كتاب الاستغاثة:

المعروف بالرد على البكري تصنيف شيخ الإسلام ... ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨.

كتاب الرد على الأخنائي واستحباب زيارة خير البرية الزيارة الشرعية.

لابن تيمية ...

أمر بطبعه الإمام القائم على حدود الشريعة محي آثار السلف الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود أدام الله توفيقه لصادق القول وصالح العمل.

المطبعة السلفية بمصر ١٣٤٦.

٢ — ٣٩٠ — ٤٠٠ ص.

لم تذكر القائمة هذين الكتابين على هذه الصورة التي صدرا عليها وإنما قالت:

٤٢ — رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ابن البكري.

٤٣ — رد شيخ الإسلام ابن تيمية على الأخنائي.

٥ — الدرر السنية في الأجوبة النجدية:

جمع عبد الرحمن بن ... قاسم العاصمي (ينظر) أمر بطبعه ناصر السنة ... عبد

العزيز ... ملك المملكة العربية السعودية ... مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ، ط ١ ، في عدة مجلدات ..

٦ — كتاب الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة :

طبع في مجموعة التوحيد النجدية ... على نفقة ... ينظر عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب .

٧ — الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية :

المنار ١٣٤٢ (؟) ط ١ ، ط ٢ ، بأمر جلالة ملك الحجاز ونجد ... ينظر سليمان بن سحمان .

٨ — منهاج أهل الحق :

ينظر سليمان بن سحمان .

٩ — تبرئة الشيخين :

ينظر سليمان بن سحمان .

١٠ — كتاب جامع في أحكام المناسك :

مكة ، ام القرى ١٣٤٥ — ينظر عبدالله بن بليهد .

١١ — روضة المحبين ونزهة المشتاقين :

وقد طبع سنة ١٣٤٢ هـ» وذلك يعني أنه طبع قبل أن يدخل السلطان عبد العزيز الحجاز ...

من الكتب التي وردت في «القائمة» على أنها مما طبع على نفقة الملك عبد العزيز ولم تكن كذلك :

صيانة اللسان — وعنوانه الكامل «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ «دحلان»

ألفه العالم الهندي الشيخ محمد بشير السهسواني المتوفي سنة ١٣٢٦ يرد فيه على الشيخ أحمد زيني دحلان (ينظر) دفاعاً عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وذكر «اللسان» في العنوان غير صحيح .

تأسيس التقديس للشيخ عبد اللطيف . وهو في الحقيقة منهاج التأسيس — ينظر أعلاه عبد اللطيف .

تأسيس التقديس للشيخ أبي بطين — ينظر أعلاه : عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين .

مصباح الظلام في الرد على من كذب الإمام . ينظر أعلاه : عبد اللطيف .

دلائل الرسوخ — هو في الحقيقة : تحفة الطالب والجليس ... طبع باسم دلائل الرسوخ — ينظر أعلاه : عبد اللطيف .

عنوان المجد — ينظر أعلاه عثمان بن بشر .

رد الشيخ محمد عبد الرزاق على أبي ريّه — ينظر أعلاه محمد عبد الرزاق حمزة — ظلمات أبي رية .

ديوان ابن سحمان — ينظر أعلاه : سليمان ابن سحمان . واسم الديوان : عقود الجواهر المنضدة الحسان .

كتاب الزهد — ينظر أعلاه : عبد الرحمن ... بن قاسم العاصمي .

نقض المنطق — ينظر محمد عبد الرزاق حمزة .

فتح المجيد — ينظر أعلاه عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، وينظر محمد بن عبد الوهاب .

مختصر سيرة الرسول — ينظر محمد بن عبد الوهاب .

فتاوي شيخ الإسلام — ينظر عبد الرحمن بن ... قاسم العاصي .

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للحافظ أبي حاتم محمد بن حبان البستي ، حققه

محمد محي الدين عبد الحميد ومحمد عبد الرزاق ومحمد حامد الفقي سنة ١٣٦٨ — ينظر محمد عبد الرزاق حمزة .

شفاء الغرام — تنظر مكتبة النهضة الحديثة .

وهناك كتاب ذو نبرة خاصة هو كتاب «صاحب الحظ العظيم ...» لعبد الكريم العطار (ينظر) جاء فيه : «طبع بعهد مولاي أمير المؤمنين ... جلالة الملك عبد العزيز آل سعود» .

صاحب الحظ العظيم من عمل بكتاب الله وسنة نبيه الكريم . طبع .. جامعة الفقير : عبد الكريم العطار ط١ ، القاهرة ، مطبعة عبدالله محمد عبدالله ١٣٦٨/ ١٩٤٩ ، ٣ — ٣٢ ص ص .

واقتدى بالملك عبد العزيز أبناؤه في تعضيد النشر .

وقد مر في المعجم اسم الأمير منصور عند ذكر مؤلفات عبدالله بن عبد العزيز العنقري — **حاشية الروض المربع** ، طبع على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز ... ومما طبع على نفقته .

١ — **الشريعة** للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجرّي (المتوفي سنة ٣٦٠) تح . محمد حامد الفقي ، ط١ ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٩/ ١٩٥٠ على نفقة الأمير منصور بن عبد العزيز ، ٥٠٤ ص — محمد حامد الفقي مصري عاش حيناً في السعودية .

٢ — **نظرية العقد** : كتاب «العقود» لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (المولود في حران ٦٦١ ، المتوفي بقلعة دمشق ٧٢٨) طبعة محمد حامد فقي باسم «نظرية العقد» على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير منصور بن عبد العزيز آل سعود ... [ربما كانت هناك عبارة : أطال الله حياته] .

القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٦٨/ ١٩٤٩ — ح — ٥ — ٣ — ٢٥٠ — ٢٥٥ ص .

ملاحظة : توفي الأمير منصور سنة ١٣٧٠ — في حياة والده .

والذي طبع بنفقة الأمير سعود بن عبد العزيز غير قليل ، لدينا منه :

١ ـــ **القول النفيس** في الرد على المفتري داود بن جرجيس .

تحقيق محمد حامد الفقي ، تفضل بالأمر بطبعه الأمير سعود بن عبد العزيز ... ـــ ينظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب .

٢ ـــ **المحرر في الفقه على مذهب الإمام** أحمد بن حنبل .

تأليف مجد الدين ابن تيمية ومعه .

النكت والفوائد السنية على مشكل المحرر لمجد الدين ابن تيمية .

تأليف شمس الدين ابن مفلح الحنبلي الدمشقي .

١٩٥٠/١٣٦٩

القاهرة ، جزءان .

٣ ـــ **مصباح الظلام** في الرد على من كذب الشيخ الإمام ...

صححه محمد حامد الفقي .

تفضل بالأمر بطبعه وتوزيعه مجاناً على نفقته مُحْيي آثار السلف الصالحين المهتدي بهدي سيد المرسلين أمير العلماء وعالم الأمراء صاحب السمو ولي عهد المملكة السعودية الأمير الأجل سعود بن عبد العزيز .

١٣٦٥ ـــ ينظر عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ... آل الشيخ وللقارىء أن يستشف الغرض التجاري وراء عبارات الشيخ محمد حامد الفقي .

٤ ـــ **معارج الألباب في مناهج الحق والصواب** :

تأليف حسين بن مهدي النعمي (المتوفي سنة ١١٨٧) بتحقيق محمد حامد الفقي ط ١ ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٠/١٣٦٩ تفضيل بالأمر بطبعه وتوزيعه على نفقته محي آثار السلف الصالحين المهتدي بهدي سيد المرسلين أمير العلماء وعالم الأمراء صاحب السمو الملكي ولي عهد المملكة السعودية الأمير الأجل سعود بن عبد العزيز .

٢٤٧ ص .

المؤلف : تهامي ثم صنعاني .

وطبع سعود وهو ملك على نفقته كتباً منها :

١ ــ مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ينظر) .

ومن تمام خبرها أن الملك سعود نُحِّيَ ومات قبل أن تنتهي .

قال الضبيب في الحلقة الثانية ص ١٢ « ... جاءت في ٣٥ مجلداً » بدىء في طبعها سنة ١٣٨٠ هـ ، وانتهى الطبع عام ١٣٨٦ هـ على مطابع الرياض وقدرت تكاليف الطبع والإعداد بأكثر من مليون ريال ثم اتبعت بفهرس للموضوعات » .

٢ ــ مجموعة كتب تحتوي على الصواعق المرسلة الشهابية وتبرئة الشيخين ، وكشف شبهات .. والجهر بالذكر بعد الصلاة ــ ينظر سليمان بن سحمان .

٣ ــ رسالة الإمام عبد العزيز الأول ... ينظر .

وفي كتاب رسمي أصدرته « المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر » بعنوان « أضواء على المملكة العربية السعودية ١٣٧٧ » أسماء كتب أمر جلالة الملك بطبعها على نفقته :

رسالة النور الفائض في علم الفرائض .
نظم الجوهرة الفريدة في تحقيق العقيدة .
كتاب البدرانية شرح المنظومة الفارضية .
نيل السول في تاريخ الأمم وسيرة الرسول .
نظم اللؤلؤ المكنون في مصطلح الحديث .
سلم الوصول في التوحيد .
أعلام السنة في التوحيد .
الميمية في الآداب العلمية .
السبل السوية ــ في الفقه .
القصيدة اللامية ــ في الناسخ والمنسوخ .

كتاب دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح.
نصيحة الإخوان عن تعاطي القات والتبغ والدخان (وهي منظومة).

في الطبعة الرابعة ج٢ ص ١٥٩ من كتاب «الأعلام» للزركلي:

الحكمي — (١٣٤٢ — ١٣٧٧ هـ = ١٩٢٣ — ١٩٥٨ م).

حافظ بن أحمد بن علي الحكمي: (ينظر) فقيه أديب، من علماء «جيزان» بين الحجاز واليمن [هي الآن في المملكة العربية السعودية] ولد في قرية «السلام» التابعة لمدينة المضايا، جنوبي جيزان ونشأ بدوياً يرعى الغنم ثم قرأ القرآن. ولما بلغ السادسة عشرة بدأ بطلب العلم وهو يواصل رعي غنمه. ثم تفرغ للدراسة فظهر فضله **وألف كتباً طبع أكثرها على نفقة الملك سعود بن عبد العزيز**.

وتولى النيابة في إدارة مدارس التعليم بسامطة، ثم عين مديراً للمعهد العلمي فيها (١٣٧٤) واستمر إلى أن توفي بمكة.

من كتبه المطبوعة، وكلها رسائل: «الجوهرة الفريدة في العقيدة»، و«اللؤلؤ المكنون في أحوال السند والمتون» و«النور الفائض في علم الفرائض» و«الأصول في نهج الرسول» و«منظومة» في الحث على طلب العلم. و«سلم الوصول إلى علم الأصول» أرجوزة. و«معارج القبول» (ينظر) شرح لها، و«أعلام السنة المنشورة».

وفي ذيل الصفحة:

«من ترجمتين له، إحداهما بقلم ابنه أحمد بن حافظ في مجلة العرب ٧ : ٢٢٩ والثانية بقلم محمد بن علي السنوسي، في مجلة المنهل: الجزء الأول من المجلد ١٩ وبينهما إختلاف. قلت وفي الكتاب من رجح تسمية «جيزان» بجازان. وفي القاموس: مادة جوز «جيزان ناحية باليمن» وفيه: مادة جزن: جازان وادٍ باليمن» فالتسميتان واردتان»:

ويذكر محمد بن عبد الله بن بليهد (ينظر) في مقدمة كتابه «صحيح الأخبار» أن الأمير فيصل آل سعود هو الذي أمره أن يكتب في الموضوع.

ومما «طبع بأمر جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود أيده الله يوزع مجاناً»:

الدرر السنية في الأجوبة النجدية ـــ ط٢ ينظر عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم ...

وقال الضبيب ص ١٣ من الحلقة الثالثة : «كتاب **شرح السنة** للإمام البغوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط وزهير الشاويش ، وقد طبع بأمر المغفور له جلالة الملك فيصل وصدر منه ثمانية أجزاء» ـــ المحققان سوريان .

ملاحظة : إنتهى طبع مجلدات «مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» سنة ١٣٨٦ في عهد الملك فيصل .

وطبع على نفقة صاحب سمو الملكي الأمير عبدالله بن فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل ، وجعله وقفا :

حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية» .

الأصل تأليف العالم محمد بن أحمد بن سالم السفاريني المتوفي سنة ١١٨٨ والحاشية لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم (ينظر) .

وأسهم موسرون من الأهلين إسهاماً مهماً في الطبع على «نفقة» بدافع ديني عادة من غير قصد إلى تجارة أو ربح مالي .

وقد رأينا الريادة في ذلك لتجار ووجهاء طبعوا في الهند أو مصر قبل «توحيد الجزيرة» بل قبل أن يطبع الملك عبد العزيز ، وكان من أولئك الشيخ عبد القادر بن مصطفى التلمساني أحد وجهاء جدة والشيخ محمد نصيف وعلي بن محمد بن إبراهيم (من الكويت) ، ومقبل عبد الرحمن الذكير.

ونعمل هنا قائمة بمن أمكن العلم بهم مع الإشارة إلى ما أمكن الوقوف عليه مما طبعوه ـــ ولا يدخل في هذه القائمة الذين طبعوا على نفقتهم بقصد بيع الكتاب كما يفعل أصحاب المكتبات والمطابع ممن ذكرناهم في باب المكتبات والمطابع مثل أصحاب المطبعة السلفية ومكتبتها ومكتبة الثقافة ... وحتى عمر عبد الجبار (ينظر) وأسعد طرابزوني (ينظر) والمحققون وأشباه المحققين ـــ لأن هؤلاء يذكرون في أماكنهم .

أحمد هاشم مجاهد (السيد)
وكيل وزارة الحج والأوقاف .

التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم :
ينظر محمد صالح العثيمين [الكتاب من تأليف محمد طاهر كردي المتوفي سنة ١٤٠٠ هـ — العرب] .

حسن آل الشيخ :
١ ـــ **العقيدة الواسطية وثلاثة الأصول** عن «الدليل» ينظر معالي الشيخ حسن ...

حسن شربتلي (أو الشربتلي) حضرة صاحب المعالي .

وقد استعنا في بيان ما طبعه على نفقته بدليل المؤلفات السعودية ص ٨٩ — ٩١ .

١ ـــ **آداب المتعلمين :**

وهو سبع رسائل في التربية الإسلامية لإعلام الفكر الإسلامي : ابن خلدون ونصير الدين الطوسي ، والغزالي ، وابن حَجر ، وابن جماعة .

٢ ـــ **الإسلام دين الإنسانية :**

تأليف محمد عبد المنعم خفاجة .

٣ ـــ **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة :**

لشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢) ... صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٦/١٩٥٧ عن مطبعة السنة المحمدية في القاهرة . وقام بتصحيحه محمد حامد الفقي ونشر على نفقة حسن الشربتلي . وقد صدرت منه ثلاثة أجزاء كاملة ... وصدر الجزء الرابع ... ويظهر أن الباقي من الكتاب يقارب الثلثين — الضبيب الحلقة الرابعة من دارة السنة الخامسة .

ينظر العناني ص ٩٠ «... ٣ أجزاء . المقدمة بقلم الدكتور طه حسين — وزير المعارف آنذاك ...» .

٣ ـــ **دليل المسلم :**

لفضيلة الشيخ عبدالله خياط .

٤ ـــ **ديوان الماحي :**

للشاعر المصري مصطفى الماحي .

٦ ـــ **الشيوعية والإنسانية :**

للأستاذ عباس محمود العقاد .

٦ ـــ **الصحاح :**

للجوهري . ستة أجزاء تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (ينظر) .

٧ ـــ **صفوة البيان لمعاني القرآن :**

ينظر في هذه القائمة : القرآن .

ـــ **العبقريات الإسلامية :**

للأستاذ عباس محمود العقاد وفيها :

(١) مطلع النور . (٢) محمد صلى الله عليه وسلم . (٣) عبقرية الصديق .
(٤) عبقرية عمر . (٥) عبقرية عثمان . (٦) عبقرية علي .

كذا وردت أسماء الكتب في « الدليل » والذي نعرفه أنها صدرت مفردة ـــ من قبل ـــ هكذا ... عبقرية محمد عبقرية الإمام .

قدم لها أحمد عبد الغفور عطار (٣ ـــ ١٦) ، ١٣٧٦/ ١٩٥٧ القاهرة ـــ دار الفتوح للطباعة .

ـــ **عنوان النجابة في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة .**

مصطفى بن محمد بن عبدالله بن العلوي الرافعي ـــ نزيل المدينة المنورة طبع على نفقة حسن عباس الشربتلي ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ، ١٣٧٣ ، ١٦٦ + ٢ ص .

ــ **فقه السيرة** :
تأليف محمد الغزالي .
ــ **فقه السنة** :
ستة أجزاء تأليف السيد سابق .
ــ **من قصص القرآن** .
للشيخ محمد زهران .

ــ **القرآن الكريم** .
ومعه صفوة البيان لمعاني القرآن .
لفضيلة الشيخ حسنين محمد مخلوف ــ مفتيْ الديار المصرية السابق .

طبع بنفقة معالي السيد حسن شربتلي وأولاده .

القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ، ط١ ، ج١ ، ١٣٧٥/ ١٩٥٦ ، ١٠ ــ ٤٨٦ + ٢ ص .

ج٢ ، ١٣٧٧/ ١٩٥٧ ، ٣ ــ ٥٨٤ ص يذكر «الدليل» إنه في ثلاثة أجزاء ولعله جعل «القرآن الكريم» جزءاً ، وسماه «تفسير القرآن الكريم» وهو تصرف منه .

ــ **المعاجم العربية** :
تأليف الدكتور عبد الله درويش .

ــ **المعجم العربي** :
تأليف الدكتور حسين نصار مجلدان .

ــ **المواريث** :
للشيخ حسنين مخلوف .

ملاحظة : المؤلفون الذين طبع لهم الشربتلي مصريون عدا أحمد عبد الغفار عطار .

جماعة من الحجازيين والنجديين :

١ ــ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان :

المؤلف : هندي (سلفي) هو : محمد بشير السَّهسواني (المتوفي سنة ١٣٢٦ هـ) .
ودحلان هو أحمد زيني دحلان مفتي الشافعية بمكة (ينظر) .
القاهرة ، المنار ١٣٥١ في أوراقي ممن وقف على الطبع محمد عبد الرزاق حمزة .
ويذكر الدكتور الضبيب (الحلقة الثانية ص ٢١) :

«طبع هذا الكتاب أولاً طبعة حجرية في الهند وعُزِي في هذه الطبعة إلى العلامة الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم السندي ثم طبع مرة أخرى في مطبعة المنار ... وقدم له محمد رشيد رضا بمقدمة ضافية كما وضع له العناوين وزوده بفهرس للموضوعات ، ثم أعيد طبعه بعد ذلك» .

جماعة من الحجازيين والسوريين :

١ ـــ **القلم الشامخ** في إيثار الحق على الآبار والمشايخ .

ويليه :
الأرواح النوافخ لآثار إيثار الآباء والمشايخ .
تأليف صالح بن مهدي المقبلي المتوفي سنة ١١٠٨ .
ط١ ، القاهرة ١٣٢٨ ، ٧٧٣ ص المؤلف : نزيل مكة .
والتاريخ يدل علي الطبع قبل توحيد الجزيرة .

خالد بن أحمد الغانم
وخليل بن إبراهيم الباني

١ ـــ **الكواكب الدرية** .
بمباي ١٣٣٦ .
ينظر محمد بن عبد العزيز المانع ـــ والطبع قبل التوحيد ...

عبد الرحمن بن حسن القصيبي :

١ ـــ **منحُ الشِفا الشافيات** في شرح المفردات .

تأليف شيخ الإسلام ... منصور بن يونس ... البهوتي الحنبلي (المتوفي سنة ١٠٥١).

وقفه لله تعالى المحسن السلفي الكريم الشيخ عبد الرحمن بن حسن القصيبي.

القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبها محب الدين الخطيب، ١٣٤٣، ١٣٩ ص.

الأصل: النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد، لمحمد بن علي العمري المقدسي (المتوفي سنة ٨٢٠).

عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ:

١ ـــ مختصر سيرة الرسول:

طبع على نفقة الشيخ عبد الرحمن ... ينظر عبد الرحمن ..، عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب.

عبد الوهاب الدهلوي ـــ تنظر الملاحظة أدناه.

عبدالله

وعبيدالله الدهلوي.

قال الضبيب، الحلقة الثالثة ص ١٠: «طبع السيدان عبدالله وعبيدالله الدهلوي التاجران في مكة كتاب (**التفسير القيم للإمام ابن القيم**) وقد جمعه الشيخ محمد أويس الندوي وحققه محمد حامد الفقي وطبع في مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٨ هـ/ ١٣٤٩ م.

عبدالله السلمان:

معالي وزير المالية الشيخ عبدالله بن سلمان الحمدان:

١ ـــ **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار** تأليف محمد بن عبدالله بن بليهد النجدي (ينظر). خمسة مجلدات. الأول ١٣٧٠/ ١٩٥١ قال المؤلف في مقدمته: «ولما أتممت كتابة هذه الفصول تفضل صاحب المعالي وزير المالية الشيخ عبدالله السلمان بطبعه على نفقته. فأسدى بذلك إلى مؤلف هذا الكتاب وإلى المتطلعين إليه يداً كبيرة،

كشأن معاليه في المسارعة إلى كل مشروع نافع ، حفظ الله معاليه رائداً لنهضة البلاد ، وساعداً أيمن للعاملين في شتى ميادين الإصلاح .

٢ — **العقد الثمين** من شعر ابن عثيمين — ينظر محمد بن عبدالله بن عثيمين .

٣ — **فتح المجيد** ينظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد عبد الوهاب .

عبدالله السويل :

الشيخ عبدالله بن عبد العزيز السويل .

١ — شرح منتهى الإرادات :

للشيخ منصور بن يونس البهوتي على نفقة عبدالله بن عبد العزيز السويل .
القاهرة ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ، ثلاثة أجزاء ، ١٣٦٦/ ١٩٤٧ .

٢ — كشاف القناع عن متن الإقناع :

للشيخ فقيه الحنابلة منصور بن يونس بن إدريس البهوتي . فرع من تأليفه سنة ١٠٤٦ .

على نفقة الشيخ عبدالله بن عبد العزيز السويل .
أربعة أجزاء ، القاهرة ، مطبعة أنصار السنة المحمدية ١٣٦٦/ ١٩٤٧ .

عبدالله بن عبد العزيز القرعاوي :

١ — البدرانية شرح المنظومة الفارضية ينظر محمد بن محمد بن عبد العزيز المانع .

عبدالله بن محمد العوهلي :

١ — طريق الوصول .
ينظر عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي .

عبد المحسن بن محمد بن مرشد :

١ — روضة الأفكار .
ينظر حسين بن غنام .

٢ ــ عقود الجواهر :

ينظر سليمان بن سحمان .

عبد الملك بن إبراهيم آل الشيخ :

١ ــ الانتصار لحزب الله الموحدين .

ينظر عبدالله بن عبد الرحمن أبا بطين .

٢ ــ كشف التلبيس :

ينظر صالح بن إبراهيم ...

علي آل ثاني :

الشيخ علي بن الشيخ عبدالله بن قاسم آل ثاني ــ حاكم قطر .

١ ــ أَرْبَحُ البضاعة :

ينظر علي بن محمد القاري .

٢ ــ تحفة الطالب :

ينظر عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ .

٣ ــ زوائد الكافي والمحرر على المقنع .

ينظر محمد بن عبد العزيز بن مانع .

٤ ــ عقد الفرائد :

ينظر عبد العزيز بن حمد بن ناصر آل معمر .

٥ ــ عقود الجمان :

ينظر محمد بن عبد العزيز بن مانع .

٦ ــ الكتاب المنتخب في ذكر قبائل العرب :

ينظر عبد الرحمن بن زيد ..

فوزان السابق

قال الدكتور الضبيب في الحلقة الثانية ص ١٦ : «من كتب الفقه ... كتاب «**القواعد**» للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن وجب الحنبلي المتوفي سنة ٧٩٧ وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٣٥٢ هـ وشارك في إخيائه الشيخ فوزان السابق» .

قاسم بن درويش فخرو :

١ — عمدة الفقه .

على مذهب ... أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تأليف موفق الدين ابن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ طبع على نفقة قاسم بن درويش فخرو ببيروت . دار الصياد للطباعة والنشر ٧ — ١٥٥ — ١٦٠ ص ، د . ت .

٢ — قرة عيون الموحدين .

ينظر عبد الرحمن بن حسن بن محمد آل الشيخ .

٣ — المذهب الأحمد في مذهب الإمام أحمد :

تأليف ابن الجوزي ...

طبع على نفقة الشيخ قاسم (؟) .

المحسنون :

١ — المجموع المستفاد :

طبع على نفقة المحسنين .

ينظر عبد العزيز بن عبد الوهاب الشثري .

محمد بن إبراهيم الباكر .

ساكن قطر .

١ — إقامة الدليل :

ينظر محمد بن عبد العزيز بن مانع .

ملاحظة :

محمد حسين نصيف ـــ ينظر أدناه .

محمد سرور الصبان ـــ ينظر .

قال الدكتور أحمد محمد الضبيب في بحثه «حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة» المنشورة في مجلة الدارة (العدد الرابع/ السنة الخامسة/ رجب ١٤٠٠ هـ/ يونية ١٩٨٠ (وهو البحث الذي كان مقرراً أن يكون الحلقة الرابعة) ص ٢٦ـــ٢٨ .

«الإمام العلامة الحافظ تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي المكي (ت ٨٣٢ هـ) ...» «أشهر المؤلفين بل مؤرخ مكة بحق» «وقد نشر له كتابان : الأول شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» سنة ١٩٥٦ م (١٣٧٦ هـ) والثاني «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» سنة ١٣٧٩ ، وكلاهما نشرا على نفقة محمد سرور الصبان . والكتاب الأول «شفاء الغرام» صدر في جزئين كبيرين محققاً ومعلقاً عليه ، وتولت التحقيق والتعليق لجنة لا نعرف من أفرادها أحداً ولا نعلم لماذا لم يفصح عن أسماء أعضائها مع أن اللجنة قد استعانت بأساتذة سعوديين وغيرهم ذكرتهم في المقدمة وشكرت صنيعهم ... سليمان الصنيع مدير مكتبة الحرم المكي لمعاونته في بعض التعليقات على رجال الحديث ، ومحمد نصيف على إعارته مخطوطته القيمة «إفادة الأنام بأخبار البلد الحرام للشيخ الغازي» ... ولقد تهيأ لهذه الطبعة أن تخرج إخراجاً جيداً ... و ... من التدقيق في التعليقات والشروح نجد أن فيها إشارات تدل على أن المحققين كانوا من أبناء الوطن ...

وقد ألحق الجزء الأول بفهارس للموضوعات ثم بمجموعة الصور (١٦ صورة) لبعض الأماكن الأثرية ... أما الجزء الثاني فقد أعقب بأربعة ملحقات أولها ولاة مكة بعد الفاسي ملخص من كتاب المؤرخ ابن ظهيرة القرشي المكي (ت ٩٥٠) المعروف بـ«الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف» بالإضافة إلى ما بعده حتى العصر السعودي ، وكان الملحق بقلم عبد الستار الدهلوي إلى عهد الشريف حسين ، ثم أكملته اللجنة إلى العصر السعودي حيث عين الأمير فيصل نائباً للملك في الحجاز . والثاني كتاب «الدرة الثمينة في تاريخ المدينة» للمؤرخ الحافظ الشيخ محمد بن محمود ابن

النجار (ت ٦٤٧هـ) مقدماً بمقدمة من اللجنة . والملحق الثالث : يختص بالعمارة التي أدخلت على المسجد النبوي الشريف منذ إنشائه حتى وقت صدور الكتاب . والرابع بعض آثار المدينة ومزاراتها . ثم كلمة الختام وجدول التصويب» .

من التعليقات على كلام الدكتور الضبيب أقول أني اطلعت على طبعة «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» ١٩٥٦ — وسيأتي وصفها من أوراق لدى الكلام على منشورات «مكتبة النهضة الحديثة بمكة — باب السلام» ويبدو أني لم الحظ اسم محمد سرور الصبان وطبع الكتاب على نفقته وأكبر الظن أني لو لحظته جيداً لأثبته في أوراقي . والدكتور أولى بالتصديق .

ومنها أن الدكتور الضبيب قال إن الجزء الثاني الحق بأربعة ملاحق ، وقد تحدث عن ثلاثة فقط .

ومنها ، وهو ما يحسن نقله هنا الهامش الذي وضعه لكتاب ابن ظهيرة القرشي المكي «الجامع اللطيف في أخبار مكة المشرفة والبيت الشريف» قال : «طبع هذا الكتاب الصغير طبعة تجارية سنة ١٣٤ هـ في مصر في مطبعة عيسى البابي الحلبي ولم يشر فيه إلى المخطوط الذي اعتمد عليه وإنما طبع بنفقة مكتبة تجارية في مكة ...»

وتحدث الدكتور الضبيب في العدد السابق من الدارة أي الثالث من السنة الخامسة ربيع ثاني ١٤٠٠ مارس ١٩٨٠ عن «الكتاب الثاني من كتب الفاسي ... هو كتابه الموسوعي الضخم «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» في ثمانية أجزاء فقال : «صدر الجزء الأول منذ سنة ١٣٧٩ هـ ، وتوالى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي (مصري) ولكن الأجل وافاه وهو يعمل في هذا الجزء فأكمله ابنه محمد الطّيب . وليس في هذا الجزء ... جهد علمي كبير ، ثم عهد إلى فؤاد السيد (مصري) بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ م وقدم له بمقدمة وافية ... وذكر منهجه في التحقيق ... واستمر ... في تحقيق الكتاب حتى أنهى الجزء السابع فانتقل إلى رحمة الله وبقي الجزء الثامن ... فعهد به إلى تلميذه محمود الطناحي (مصري) فحقق الجزء الثامن وهو كتاب اسمه «أسماء النساء والكنى» ... إن كتاب

العقد الثمين... من أحسن الكتب التي حققت وأنفقت عليها بلادنا وظهرت بالمظهر الحديث...» (ص ص ١٠ — ١١).

أزيد على حديث الدكتور ان «العقد الثمين» — كما في أوراقي — من منشورات المكتبة العلمية بالمدينة — تنظر في أدناه — ولا أذكر أني وجدت عليه اسم محمد سرور الصبان — ولا يعني هذا شيئاً كثيراً، ويؤيد الدكتور الضبيب الزركلي في الأعلام ١٣٦/٣ «محمد سرور الصبان... أنفق على نشر كتاب «العقد الثمين — ط التقي القاسي».

١ — ديوان الخطيب:

ينظر فؤاد الخطيب.

٢ — الطرق الحكمية في السياسة الشرعية:

الضبيب الحلقة الثانية ص ١٤ «من .. مؤلفات العلامة ابن القيم (محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي) تلميذ ابن تيمية... «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية» نشره محمد حامد الفقي على نفقة محمد سرور الصبان سنة ١٣٧٢هـ».

٣ — كتاب عمدة الطالب المسمى:

«هداية الراغب لشرح عمدة الطالب» تأليف عثمان بن أحمد النجدي الحنبلي (ت سنة ١١٠٠هـ) بتحقيق حسنين مخلوف ونفقة محمد سرور الصبان سنة ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م — الضبيب ح٢ ص ١٦—١٧.

محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ:

ينظر سليمان بن علي بن محمد.

محمد عبدالله القصيمي.

١ — إقامة الحجة:

ينظر سليمان بن سحمان.

محمد نصيف:

ينظر.

١ — قال الضبيب في الحلقة الثالثة ص ١٢ كتاب «**الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة**» للإمام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٥٢٠ هـ) وقد قام بتحقيقه عبد الرحمن بن يحيي المعلمي (ينظر) ، وطبعه الشيخ محمد نصيف عن نسخة مخطوطة نقلت وقوبلت على نسخة كتبت في حياة المؤلف بخط أحد تلامذته ، وقد قدم له المحقق بمقدمة ضافية تحدث فيها عن طبيعة العمل ومنهج التحقيق والمؤلفات في الموضوعات والقواعد التي يعرف بها الحديث الموضوع» .

والكتاب من أجود الكتب المحققة في بابه ، بذل فيه المحقق من الجهد والمقابلة والتعليق والترجمة للرواة ما يستحق الإعجاب» .

٢ — الكواكب الدرية :

ينظر محمد بن عبد العزيز بن مانع يذكر «دليل المؤلفات السعودية» ص ٩١ «نشر فضيلة الشيخ محمد نصيف» .

يوسف زينل علي رضا :

١ — **فضل الله الصمد** في توضيح الأدب المفرد لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري .

تأليف العلامة المحدث فضل الله الجيلاني الأستاذ في الجامعة العثمانية بحيدر آباد الدكن .

طبع على نفقة الوجيه الكريم الحاج يوسف زينل علي رضا من أعيان الحجاز .

القاهرة ، المطبعة السلفية — ومكتبتها ١٣٧٨ .

٣ — ١٨ — ٢١ — ٦٣٨ — ٦٤٨ تم الجزء الأول .

ملاحظة (١) :

عمدة الفقه .

على مذهب ... أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .

تأليف موفق الدين بن قدامة المتوفي سنة ٦٢٠ .

وطبع على نفقة عبد الظاهر محمد أبو السمح ، إبراهيم الشورى ، عبد الكريم بن جُهّان (ينظرون) .

ط٢ ، القاهرة ، مطبعة العلوم ١٣٥٥ ، ٤ — ١٤٤ + ٤ ص .

ط٣ على نفقة إبراهيم الشورى وعبد الكريم جهمان ، القاهرة ، مطبعة العلوم ١٣٥٧ ، ٧ — ١٥٥ + ٥ص .

ينظر في هذا الباب أعلاه : قاسم بن درويش فخرو .

ملاحظة : يمكن أن تكون للأسماء الثلاثة الأولى صلة بمطبعة أو مكتبة ...؟

ملاحظة (٢) :

لم نذكر الأسماء التي أسهمت بالنشر وهي تملك مكتبة أو مطبعة أو كانت لها صلة مباشرة بهذه أو تلك — لأن ذلك يذكر عادة في مكانه من المطابع والمكتبات .

وقد يكون ذكر **محمد حسين نصيف ضرورياً** هنا (ينظر ، وينظر عثمان بن بشر) .

وفي أوراقي :

تحقيق معنى السنة وبيان الحاجة إليها للسيد سليمان الندوي — من علماء الهند (— ٣٠ ص ص) يليه منظومة **الهدى في إتباع سنة المصطفى** (٣٣ — ٣٦ — ٥٠ — ٥١ ص ص) للشيخ محمد سعيد صفر المدني — نزيل مكة والمدرس بحرمها (رحمه الله ، توفي بالمدينة سنة ١١٩٢) .

طبع على نفقة الاستاذين الجليلين الشيخ عبد الوهاب الدهلوي (بمكة المكرمة) والشيخ محمد بن حسين نصيف (بجدة) ..

القاهرة ، المطبعة السلفية ١٣٧٧ .

وفي الكتاب ترجمة الناظم ... ومن مؤلفاته : رسالة : الهدي في اتباع النبي

الشعر في الجزيرة العربية

نجـد و الأحسـاء و القطيف

خـلال قرنين (١١٥٠ - ١٣٥٠)

— ٢ —

إن متابعة مسيرة الشعر خلال هذين القرنين يمكن أن تبرز حقائق واسعة ، واضحة

المقتدى ، ورسالة في أن شرف العلم على شرف النسب — انتهى نقلاً عن نشر النور والزهر في تراجم علماء مكة وأفاضلها من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر للشيخ عبدالله ابن الشيخ أحمد أبي الخير ميرداد قاصي محكمة مكة الشرعية المتوفي سنة ١٣٤٣ ، وملخصه للشيخ عبدالله بن محمد غازي الهندي من أساتذة المدرسة الصولتية المتوفي سنة ١٣٦٦ — وكلاهما مخطوط .

ملاحظة : طبعت المنظومة على النسخة المطبوعة في آخر كتاب «الجنة في الأدب .

مـلاحظة (٢)

يمكن لم يتتبع هذا النمط من المساعدة المالية على الطبع الذي بدأ وسار طويلاً مختصاً بالكتب الدينية ، أنه لم يلتزم هذا الخط وحده ، وكان السيد حسن الشربتلي من أوضح الأدلة على ذلك ...

ثم أن الظاهرة شرعت تخف وتختني بعد أن أدت واجبها ... وزوال الدواعي إليها .

وهي تبقى مهمة نادرة جديرة بدراسة خاصة حتى لو قلت أن «المحسنين» أثرياء ، ومنهم من يبغى الوجاهة ، أو أن الدولة تصرف المال أحياناً باسمه ... وقلت أن لدى بعض الناشرين ، مطمعاً تجارياً ، مالياً ... .

كلية الآداب — بغداد — علي جواد الطاهر

الدلالة ولعلنا نكون أكثر وعياً لهذه الظواهر حين نعود بالذاكرة إلى الشعر قبل هذه الفترة .

ولو عدنا إلى شعراء ما قبل هذين القرنين لوجدناهم سواء كثرة أو قوة في صورة هي أقل دون شك مما بعدها ، وصاحب السلافة رغم إحاطته بالشعراء لم يستطع أن يسجل أسماء شعراء يمكن أن يؤرخ لهم ، خاصة الجيل الذي عاش في القرن الحادي عشر أو أدرك القرن الثاني عشر ، أن أبرز الأسماء التي وجدت هي : تاج الدين المالكي المتوفي عام ١٠٦٦ هـ (١٦٥٦ م) ، ومحمد خليل السمرجي ، وقد أدرك القرن الثاني عشر ، وفرج الخطى المتوفي ١١٢٥ هـ وصدر الدين بن معصوم صاحب السلافة (ألف السلافة عام ١٠٨٢ هـ (١٦٧١ م) وهؤلاء الذين يعدون من أبرز وأقرب الشعراء إلى العصر الذي نؤرخ له ، لم يكونوا شيئاً يذكر في الشعر.

والطبقة التي خلفتهم على بساط الشعر وهي الطبقة الأولى من شعراء القرنين لا تبتعد عنهم كثيراً ، إلا أنها تتميز عنهم بالكثرة في عداد الشعراء ، وفي الشعر أيضاً ، وتتميز بمحاولة المشاركة في الأحداث السياسية والاجتماعية كما نجد عند ابن غنام ، والبيتي ، وهذه المشاركة جعلت الشعر أعلى منزلة ، وأبعد عن العبث والفراغ ويمكن أن نستعرض أسماء شعراء هذه الطبقة كما يلي :

حسين بن غنام المتوفي ١٢٢٥ هـ (١٨١٠) ، ومحمد الحفظي ١١٧٨ هـ (١٧٦٤ م) — ١٢٣٧ هـ (١٨٢٢ م) ومحمد قابل الجداوي (له شعر عام ١٢٠٢ هـ) ، وعبد الرحمن المكي (له شعر عام ١٢١٢ هـ) ، وجعفر البيتي (١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) — ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) ويوسف أبو ذيب المتوفي عام ١٢٠٠ هـ (١٧٨٦ م) والعواء المتوفي عام ١٢٠١ هـ (١٧٧٨ م) ومحمد بن عمير (١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) — اعتزل القضاء عام ١٢٠٣ هـ (١٧٨٩) وأحمد بن عبد القادر ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) — ١١٧٦ هـ (١٧٦٣) .

وهذه الطبقة عاشت حياتها الشعرية في النصف الأخير من القرن الثاني عشر ، وان كان بعضها أدرك القرن الثالث عشر.

إن الأسلوب عندهم أخذ في التحسن بشكل عام ، إضافة إلى دخول موضوعات

جادة في شعرهم ، بدلاً من غرض المطارحات والمراسلات الذي استبد بفراغ الشعراء قبلهم ، فعزلهم عن المشاركة الجادة في حياة مجتمعهم ، ولولا أن محاولة بعضهم كالمكي والجداوي نظم الشعر على الطريقة البغدادية والأندلسية بالأوزان المستحدثة والموشحات جاءت تسف بالعامية لكانوا يشكلون وثبة لا تطوراً فقط ، ومن المفيد ، وقد أشرنا في الحديث عن الشعر قبل الفترة أن زحف اللغة العامية وجد ، أن نشفع ذلك بأن شعر المكي والجداوي يشكل في بعض جوانبه إمتداداً لهذه الظاهرة ، وإن كان ذلك لا يعني تعميمها عند الشعراء ، بل يعني مجرد استمرارها .

ومن الظواهر الملموسة وجود الشعر العربي الفصيح في نجد ، وقد عرضنا من قبل أن الشعر في نجد كان عامياً ، وهذه الظاهرة الجديرة بالتسجيل مواكبة لروح العلم والنهضة ، التي نفخت فيها الدعوة وهذا الشعر الذي وجد ضعيف إلا أنه يشكل بداية قويت في شعراء الجيل اللاحق .

— ٢ —

وجاءت بعد الطبقة الأولى هذه طبقة ثانية أعطت الشعر امتداداً أطول نستعرض بعض أسمائها فيما يلي :

ابن مشرف (توفي ١٢٨٥ هـ (١٨٦٨ م) ، وعثمان بن سند ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م) (١٢٤٢ هـ (١٨٢٦) ، وعبد العزيز بن معمر توفي عام ١٢٤٤ هـ (١٨٢٩) .

وعبد اللطيف بن عبد الرحمن الشيخ ١٢٢٥ هـ (١٨١٠ م) — ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦) وعبد العزيز بن طوق وعثمان بن منصور (معاصران لعبد اللطيف الشيخ) وأحمد الحفظي الثاني (١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) — ١٣١٧ هـ (١٨٩٩) ، وعبدالله علوي الحداد وأحمد بن مهدي (توفي ١٣٠٦ هـ (١٨٨٩ م) ، والبسنوي (١١٩٣ هـ (١٧٧٩ م) — ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ، وأبو بكر الملا ١١٩٨ هـ (١٧٨٤ م) — ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) والأشرم ١٢٧٨ هـ — (١٨٦١ م) ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) ، وعبد الرحمن البهكلي (ولد عام ١١٨٠ هـ .

وقد أدرك بعض هذه الطبقة أوائل القرن الثالث عشر وعاش أكثرهم في النصف

الثاني من القرن الثالث عشر وفيها من أدرك أوائل القرن الرابع عشر.

يمتاز هذا الرعيل بالكثرة ، وهذا شيء قياسي بالنسبة للطبقة الأولى ، ويضمه مع الطبقة الأولى رباط العلم ، فكل شعراء الطبقتين ممن يعدون في العلم قبل الأدب ، أو ممن بنوا قيمتهم الاجتماعية على العلم ، وكانوا يزاولون مناصب القضاء أو الفتوى أو التدريس ، ما عدا الشعار الأشرم ، الذي لم يعرف بغير الشعر ، ويمكن أن نستثني ابن مشرف الذي بنى شهرته عند الناس على الشعر ، وان كان قد قضى وأفتى ، فقيمته التي بنى عليها شهرته أولاً قيمة رجل شاعر ، وهذا نوع من الانفراج أتاح للشعر نوعاً من الاستقلال عن أربطة العلم التي تشده إلى أرض الواقع ، وهو طير بطبعه ميال إلى الانطلاق والتحليق .

والديباجة والأسلوب عند شعراء هذا الصف أقوى وأجمل من ديباجة الطبقة الأولى ، ويمكن المقارنة بين أبرز الشعراء من الطبقتين كمقارنة ابن مشرف بابن غنام وكلاهما من شعراء الأحسائيين والأشرم بعبد الرحمن المكي أو محمد قابل وكلهم حجازي .

وتمتاز هذه الطبقة بكثرة ووفرة شعر وشعراء الدعوة ، ذلك أن الدعوة نضجت واستوت ، وانتقلت من الفكرة إلى العمل ، وامتدت فكان الشعراء مع امتدادها يتتابعون ، فكان من شعرائها : ابن مشرف ، وعبد اللطيف آل الشيخ ، وابن معمر ، وابن طوق ، وأحمد الحفظي الثاني وإضافة إلى الشعراء الذين تأثروا بالدعوة تأثراً عكسياً ، فجاء لهم شعر في النقائض ، كأبي بكر الملا ، وابن سند ، وابن منصور .

وقد أعطت الدعوة الإصلاحية إضافة إلى كثرة الشعروالشعراء ، أنواعاً من السمات والأغراض لافتة : كالعناية بالجدل العقيدي الذي وجد في كل البيئات ، وإذا كانت المخطوطات أبانت عن شيء من ذلك فاننا نعتقد أن المختفى أكثر من الظاهر .

والنقائض التي شبت معاركها بقوة وصلابة بين فريقين لا يتهادنان .

وشعر الهجو الذي كان من قبل ضاوياً قليلاً شخصياً ، فأخذ الإطار الفكري ، وألبس الشعر ثوباً لحمته النقاش ، وسداه المثالب فضلاً عن الشعر الباكي الحزين ، الذي وجد أثر سقوط معاقل الدعوة ، في حوادث أهمها كارثة الدرعية ١٢٣٣ هـ .

وليس هذا مجال تفصيل أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشعر أو خصائص الشعر ، ولكن الذي يهم بيانه أن حوالي نصف شعراء هذه الفترة شعراء من أهل الدعوة ، وأن أغلب شعراء هذه الفترة انفعلوا بالدعوة ، ودخلوا معاركها ، وذلك ما أعطى الشعر قوة وحيوية ، وزاد في أغراضه أغراضاً جديدة : هي الجدل العقيدي ، والنقائض ، والهجاء بأنواعه الفكري الديني والسياسي . كما قوي بعض الأغراض كوصف المعارك ، وشعر الشكوى والبكاء والرثاء ، وحولها إلى بكاء اجتماعي أكثر منه شخصياً ، وكما في المديح والشعر السياسي ، وبطبيعة الأمر فإنه استولى على فراغ كان الشعراء يملأونه بالعبث والمطارحات ، وليس يعني ذلك أن غرض المطارحات والمراسلات ضمر على حساب شعر الجد ، فهو وإن كان ضامراً في البيئة النجدية إلا أنّه ظل قوياً في البيئات الأخرى ، نتيجة قوة الشعر بعامة ، ووجد عند الشعراء الذين ابتعدوا عن الدخول في المعامع الهجائية أكثر من غيرهم كالبيتوشي وأحمد بن عبد القادر .

وكما زادت الموضوعات فان صورة الشعر قد أخذت تتغير خاصة في بيئة الدعوة ، حيث الميل إلى البحور الجزلة ، التي تناسب الموضوعات التي شاعت واختيار القافية ذات الرنين ، التي تناسب الترنم بالشعر ، كما أخذ الطول يظهر في الشعر ، حيث تحولت القصائد إلى مطولات تصل إلى سبع مئة ، وخمس مئة بيت . نتيجة وجود المدد العاطفي والفكري لبناء القصيدة ، وتبارى الشعراء في التجويد والاستيفاء . كما وجدت روح القوة والحماس في الشعر ، مواكبة بذلك حركة الدعوة ، بصورة تقارب ما في شعر الخوارج وشعر الحروب الصليبية . وظاهرة انصراف الشعراء عن الغزل إلا في مطالع القصيدة الناتجة من الالتزام الأدبي ، واعتبار الشعر رسالة للاقناع قبل أن يكون وسيلة للامتاع ، كل هذه الظواهر هي في شعر الدعوة الذي يشكل شعراؤه قرابة نصف شعراء الطبقة كما يشكل الداخلون في معامعه أغلب الشعراء كما يشكل هو من حيث الظواهر والتجديد ، كل الطبقة ، وإذا كان شعر المطارحات والمراسلات وجد عند الشعراء الذين ابتعدوا عن الملاحاة ، فن شعر الغزل الحسي والمجون وجد أيضاً عند المنطوين المنعزلين عن التأثر بأحوال المجتمع والسياسة . كالأشرم الذي عاش رومنسيا لا يحفل إلا بلذة ء برة ، وهو يشكل شذوذاً ، يثبت القاعدة ولا ينفيها .

ويمكن أن نضيف إلى هذه المميزات أن هذه الطبقة كانَت حرية بأن تكون خيراً مما كانت لولا سيطرة الأسلوب العلمي والديني عليها ، لأن الشعر في ظلال الدعوة وهو أوضح الوجوه الجديدة ابتلي بالأسلوب العلمي ، نتيجة الشعور الديني القوي الجارف ، الذي يجعل الشاعر يستلهم كتب الفقهاء أكثر مما يستجيب لأقباس الشعراء ، وليس الدين بمضعف الشعر خلافاً لما يراه الكثيرون[٤] لكن الذي يضعف الشعر سقوط الشعراء في الأساليب النثرية والعلمية نتيجة إكبابهم علي المتون ، واهتمامهم بالجدل ، وامتطائهم الشعر للنقاش العقيدي ، وذلك يضاف طبعاً إلى أن ثقافتهم الأدبية لم تكن موازنة لثقافتهم العلمية والدينية ، ولو توازنت لما ركع شعرهم للقيود العلمية ، والأسلوب الديني ، لكنهم على كل حال مهدوا لظهور طبقة استطاعت أن تكون خيراً منهم ، أقلت من روح العلم وأكثرت من روح الشعر.

ومن الظواهر التي امتازت بها هذه الطبقة ظهور الشعراء المجددين الذين لم نجد لهم في الطبقة السابقة إلا شعراً يسجل كبداية فقط ، لكننا نجد في هذه الطبقة شعراء كابن معمر وابن سند وابن طوق وابن منصور وعبد اللطيف آل الشيخ ، ومن الحق أن نقول أن شعرهم من شعر العلماء ، لكنه أيضاً شيء حَرِيٌّ بالإشادة أن نجد خمسة شعراء لهم شعر ليس بالقليل في إقليم أمي ، وقف شعره على اللون النبطي ، ومزاحمة الفصيح للعامي أثر من الدعوة الإصلاحية سنجده في ما بعد يشتد حتى نجد أبرز شاعر نجدي هو أبرز شعراء الجزيرة.

وقد عاصرت هذه الطبقة عهد النهضة الحديثة في مصر والشام ، الذي يؤرخ له بولاية محمد علي باشا (١٨٠٥ م) حوالي ١٢٢٠ هـ ، والذي بدأت فيه النهضة متصلة بالحضارة الغربية فكانت الرحلات والبعوث، والتعليم والترجمة ، والطباعة ، والصحافة والاستشراق ، قد شاعت في كل من مصر وسورية ولبنان في أوائله ، ولا شك أن أدباء الجيل الذين نؤرخ لهم قد استفادوا من ثمرات المطابع خاصة في نشر كنوز التراث القديم ، وإن كنا لا نتوقع منهم أن يتأثروا بتيار النهضة ، لأن شعراء الشام ومصر الذين واكبوا النهضة وهم أقرب الناس إليها لم يبدأ تأثرهم إلا قبيل الاحتلال الإنجليزي

لمصر عام (١٨٨٢م)[٥] حوالي ١٣٠٠ هـ ، وكان أول المتأثرين ممن اختلطوا بالافرنج ؟ وخاصة النصارى كفرنسيس مراش الحلبي المتوفي ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣م) ، ولم يظهر تأثر الشعر ويتمكن إلا بعد الاحتلال الانجليزي لمصر ، بخروج كواكب[٦] التجديد في سماء الشام ومصر كالبارودي توفي ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) ، وعائشة التيمورية توفيت ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م) وخليل اليازجي توفي ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩) ، ونجيب الحداد توفي ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م)[٧] .

ورغم أن بعض شعراء هذه الطبقة قد طوف خارج الجزيرة كعبد اللطيف آل الشيخ الذي مكث في مصر ٣٠ عاماً فإن ذلك لم يأت بنتائج كبيرة ، لأن الفترة التي طوف بها لم يكن فيها شعر مُجَدَّد .

إلا أن آخر الشعراء وفاة من هذه المجموعة أحمد الحفظي الثاني المتوفي ١٣١٧هـ (١٨٩٩م) قد تضمن معجمه الشعري وأسلوبه بعض الألفاظ والتعبيرات التي شاعت بعد عصر النهضة .

كالحديث عن الاتحاد والدعوة إليه ، يقول[٨] :

عسى اتحاد لنا فالأرض واحدة * والدين محترم عن فعل كل دنى

وكلمات أخرى كالتي نرى في هذه الأبيات ، وأبرزها عبارة «قدم العرض» يقول[٩] :

الشعر نادي ملوك الأرض بل طلبا * حكما صحيحا يزيل الشك والريَبا
وقدم العرض لكن ما استجيب له * وحقه في ملوك الأرض قد وجبا
نادى بصوت بليغ للعباد معا * أني جعلت لأغراض الدنا سببا
وسيلة لصلاح الأمر صرت لهم * وسلما لصعود السطح قد ركبا

وفي شعره روح الدعوة إلى الوحدة والتآخي ، وقد طوف في بلاد العرب : من مصر إلى اليمن فالحجاز فنجد . يدعو العرب إلى الوحدة ضد الحكم التركي ، كما يقول[١٠] :

قد طفت في الأرض أعواماً وخضت لما * فيها بحورا على البابور والسفن
سبعون شهرا بأرض الروم كاملة * ومثلها من ربى نَجْدٍ إلى عدن
ما كنت يوماً أجوب الأرض في سفري * لـــغير مجد وأني غير ممتهن

وأسمع الناس نصحاً قبل قارعة * تهد ركن القوى من فعلنا الخشن
عسى اتحاد لنا فالأرض واحدة * والدين محترم عن فعل كل دني

وهي نفس الأفكار التي رددها دعاة القومية العربية في الشام ، إلا أن الرجل كان مهتماً بحركة إسلامية ، لا تخلع رداء الإسلام ، لكنه لا يختلف عن القوميين في هدفهم القضاء على الحكم التركي ، ولذلك نفي إلى الآستانة ورجع دون أن يغير دعوته .

وغير بعيد أن تكون دعوته إلى الثورة الإسلامية على الأتراك ذات تأثر باليقظة التي نادى بها جمال الدين الأفغاني لإصلاح الشرق ، ورعيل آخر كمحمد عبده والكواكبي . لا سيما وهو قد سافر إلى مصر ، ولا يمكن أن تكون أفكاره حماسية ولا يتصل بحركة الأفغاني ، أو يقتبس منها . ولا ينبغي أن نبالغ في تأثره لأن الرجل لم ينبت من فراغ ، وهو ربيب الدعوة الإصلاحية أول ثورة عربية إسلامية عقيدية قطعت ربقة الأتراك .

والطبقة الثالثة هي التي أدركت شيئاً أو أشياء من القرن الثالث عشر ، وعاش أغلب شعرائها في النصف الأول من القرن الرابع عشر ويمكن أن نستعرض بعض أسمائهم كما يلي :

ابن عثيمين (١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) — ١٣٦٣ هـ (١٩٤٤ م) .

وابن سحمان (١٢٦٧ هـ (١٨٥١ م) — ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) .

وابن نفيسة توفي حوالي ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) ، ومحمد ابن بليهد (توفي ١٣٧٧ هـ (١٩٥٨ م) وأحمد البسام (معاصر لابن بليهد) ، وأنور عشقي (١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) — ١٣٣٦ هـ ١٩٢١ م) والنجار (توفي ١٣٤٧ هـ ، وعبد الحق العثماني (١٣٠٤ هـ (١٨٨٩ م) ١٣٧٤ هـ (١٩٥٥ م) ، وعمر بري ١٣٠٩ هـ (١٨٩٢ م) — ١٣٧٨ هـ (١٩٥٩ م) ، والصحاف والمدني (لها شعر في القبلة منذ عام ١٣٣٤ هـ) ، والأسكوبي (١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) — ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) والعمري ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) — ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ م) ، وعبد الجليل برادة (١٢٤٠ هـ (١٨٢٥ م) — ١٣٢٧ هـ (١٩٠٩ م) ، وعثمان الراضي (١٢٦٠ هـ (١٨٤٤ م) — ١٣٣١ هـ (١٩١٣ م) ، والجشي ١٢٩٩ هـ (١٨٨٦ م) — ١٣٧٦ هـ (١٩٥٧ م) ، وعبد اللطيف المبارك ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) — ١٣٤٢ هـ (١٩٢٤ م) ، وعبدالله بن عمير ١٢٩٣ هـ

(١٨٧٦ م) — ١٣٧٧ هـ (١٩٥٧ م) ، وأحمد الماجد ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) — ١٣٣٠ هـ (١٩١١ م) ، وعبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك ١٣١١ هـ (١٨٩٣ م) — ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ، وعبدالله بن عبد القادر ١٢٧٠ هـ (١٨٥٤ م) — ١٣٤٣ هـ (١٩٢٤ م) ، وعبد العزيز العلجي (١٢٨٩ هـ (١٨٣٢ م) — ١٣٦٢ هـ (١٩٤٣ م) ، وعبد العزيز بن حمد المبارك (١٢٧٩ هـ (١٨٦٢ م) — ١٣٦٠ هـ ١٩٤١ م) ، وعلي السنوسي ١٣١٥ هـ — ١٣٦٣ هـ .

وتمتاز هذه الطبقة بعدد وافر من الظواهر لم تتضح من قبل ، منها وفرة عدد الشعراء في كل البيئات في الحجاز ونجد والأحساء والقطيف ، وهذه الوفرة ظاهرة من كثرة الأسماء التي عرضت لنا ، ويضاف إليها ظهور شاعر لا بأس به في تهامة عسير (السنوسي) بعد أن كانت هذه المنطقة خلواً إلا من المحاولات .

وكثرة الشعراء المكثرين ، الذين طرقوا أبواب الشعر ، ودونوا الدواوين بعد أن كان أصحاب الدواوين في الطبقة الماضية ، قلة نجد في هذه الطبقة تطواً ملموساً في كثرة الدواوين ، ومن الشعراء أصحاب الدواوين المطبوعة : ابن عثيمين ، وابن سحمان ، وابن نفيسة ، وابن بليهد ، وأحمد البسام ، والجشى ومن أصحاب الدواوين المخطوطة : النجار ، والأسكوبي ، والعمري وعثمان الراضي .

وظهور الشعراء المستقلين الذين لم يعرفوا بمشيخة أو قضاء أو إفتاء أو علم ، إنما بنوا شهرتهم على الشعر وحده ، وهم : ابن عثيمين ، وابن نفيسة والعمري ، والصحاف ، وهؤلاء وان كانوا قليلينَ إلا أنهم يشكلون رصيداً متطوراً إذا قورن بمن قبلهم .

وظهور الشعراء المجددين الذين عنوا بالصياغة ، وتجنبوا زلق اللغة العلمية ، وكأنهم بذلك يعانقون الحركة الأدبية في الأقطار الأخرى كابن عثيمين والعمري وعبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك .

وقد بدأ الشعر يتخلص من ألوان الضعف والغزو العامي الذي نجده في شعر المكي والجمال ، ويعود تخلصه لنسمات من التعليم والوعي غزت البلاد من الأقطار الشامية ومصر ، وخاصة الحجاز منبت هذه الظاهرة ، لأنها لم تأت قصداً للغة العامية ، كما هو

الحال في وجودها في شعر الزجل المصري واللبناني المعاصر بل كانت استجابة لروح العصر ، ولذلك اندثرت بمضيه .

وقد رأينا أن شعر الطبقة الثانية يمتاز بسيطرة اللغة العلمية الدينية عليه ، لكن شعر هذه الطبقة قد سلم من كثير منها ، ينبغي أن نستثني ابن سحمان الذي ظل متمسكاً بها في أغلب شعره لأنه ظل امتداداً قوياً للشعر الجدلي العقيدي ، وبين ارتباط اللغة العلمية الدينية بشعر الجدل العقيدي .

— ٤ —

وفي مجال الأغراض نجد زيادة في الشعر السياسي والحماسي الذي أخذ بواكب الحركات السياسية ، إبَّان ثورة الملك حسين على الأتراك ، ويمتد مع امتداد فتوحات الملك عبد العزيز كما ظهر دور الشاعر كخطيب للاقناع بهذا الرأي أو ذاك ، وكما في شعر ابن عثيمين خاصة قصائده الموجهة إلى ثوار الأخوان ، وكما في شعر الصحاف وشعر جريدة القبلة الذي تبنى وجهة النظر القومية ، وعني بتفنيد حجج الأتراك ، وكافي الشعر الذي قيل حول الحكم التركي للأسكوبي أو في فضح نوايا الاستعمار كما في شعر عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك .

وحدة النقاش العقيدي والشعر الهجائي على يدي ابن سحمان ، وقد عرضنا من قبل أن ابن سحمان أكثر شعراء الدعوة الإصلاحية هجاء وملاحاة ، كما أن القصيدة عنده وصلت إلى أعلى مستوى في هذه البيئة وقد جاء تطور الهجاء والملاحاة بسبب ضعف سلطان الدعوة السياسي في أواخر القرن الثالث عشر والربع الأول من القرن الرابع عشر . مما كثر الهجوم على الدعوة فكان الشعر في ظلالها ينافح ويناضل ، ولذلك انتهت تلك المعارك حين عاد سلطان الدهوة السياسي إلى الجزيرة مرة ثالثة منذ فتح عبد العزيز بن سعود للرياض عام ١٣١٩ هـ .

وقد كثر شعر المديح وتدفق ، خاصة الشعر الذي قيل في الملك عبد العزيز لطول مدة حكمه ، وبطولته ، واستقرار الأمن ، وأكثر شعر ابن عثيمين وابن بليهد في مديحه ومديح أولاده ، وكثر شعر المديح حول الملك حسين أيضاً ومن مداحه : الصحاف ، وعلى الطيب المدني .

وقد نما غرض الوصف ، فظهرت الأشعار التي تصف الطبيعة ومخترعات العصر الحديث وهذا الغرض لا يوجد إلا نتيجة تطور أدبي ، ووعي بقيم الشعر الجمالية ، لأنه ليس أدباً رومنسيا يقرب من القلب ، ووجوده يدل على استيقاظ الحس الجمالي المتجرد ، على أنه لم يكن على مكان كبير من الجودة إلا أن بروزه يشكل تطوراً ونموا في الشعر .

وقد استمرت الأغراض القديمة كالغزل والمراسلات والمطارحات في الحجاز والأحساء ، وظواهر الضعف من بديع وتاريخ شعري ونحوها عند الشعراء الذين أقلوا الارتباط بالسياسة وبأحداث العصر ، خاصة في الحجاز ، لاستمرار تأثرهم بأدب العصر العثماني ، وصعوبة تمثلهم لقيم الأدب المحدث في مصر وسورية ولبنان ، لارتباطهم القوي بمدرسة شعراء العصرين المماليكي والعثماني ، وكونهم قد شبوا عن الطوق ، ولشيء آخر : نوع من الترف والرغد والأمن عاشه الحجازيون خاصة المدينة ذات الكثرة من الشعراء في أوائل القرن الرابع عشر ، وشعر المطارحات والمراسلات والغزل واللهو والفراغ لا يكون إلا في مثل هذا الفراغ ، الذي وجد منه أيضاً في الأحساء ما ناسب ليونة العيش .

— ٥ —

كما ظهر واضحاً تأثر شعراء هذه الطبقة بالنهضة الحديثة التي ظهرت ثمارها خاصة بعد الاحتلال الانجليزي لمصر عام (١٨٨٢ م) حوالي ١٣٠٠ هـ بكافة أدواتها من تعليم وترجمة ، وطباعة ، وصحف ، واستشراق ، ولا شك أن تأثرهم بما نشر من كنوز الأدب القديم كان لا يرقى إليه أي تأثر آخر ، لشدة ارتباطهم بمدرسة القديم ولكننا نحمد لهم أن ارتباطهم لشعر الانحطاط لم يكن قوياً عدا قلة من الشعراء : كعمر بري ، وبعض شعر الأسكوبي ، وعبد الجليل برادة .

وقد عاصر هذه الطبقة أو سبقها الشعراء الذين أعادوا الديباجية العباسية ، ونهضوا بعلم الشعر من وهدة شعر القرون الوسطى ، وأبرزهم محمود سامي لبارودي (١٨٢٨ م) حوالي ١٢٤٤ هـ — (١٩٠٤ م) حوالي ١٣٢٢ هـ ، وخليل اليازجي المتوفي ١٣٠٧ هـ (١٨٩٩ م) وعلي الليثي المتوفي ١٣١٣ هـ (١٨٩٦ م) ، ونجيب الحداد المتوفي ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) ، وعائشة التيمورية المتوفاة ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م) وغيرهم أن الشعراء

المجودين رقوا بالديباجة إلى درجة إحساس القارىء بالروح الشعرية تسري لتنفض التراب كما في شعر ابن عثيمين والعمري على شاكلة قول العمري في وصف القطار(١١) :

هـم الملوك عظيمة الآثار * تدنى البعيد النازح الأقطار
كم حولت بَحْراً لِبَرٍّ واسع * والبر بحرا جاري التيار
ومفاوزاً لا ماء في أرجائها * عادت جنانا ثرة الأنهار

قوله في وصف ما يجلبه القطار للحجاز من رفاه وخير :

أضحت دمشق إلى المدينة جارة * تتهاديان لطائف الأثمار
وبلاقع كانت فأضحت مجمعا * وموارداً لبضائع التجار
ومحارب قطع الطريق بسيفه * لا ينثني بالوعظ والتذكار
صبح القطار بلاده بعساكر * طحنته طحن الحب بالأحجار

جزالة ديباجة ، وعروبة بيان ، وخلوص من الصنعة ، وإذا كنا لا نقطع بتأثر شاعر كالعمري بشاعر كالبارودي ، فان من الواضح أن الوجه واحد .

ونفس الصورة عند ابن عثيمين بل أوضح منها يقول في وصف فتح حائل ١٣٤١ هـ(١٢) .

ويوم كسوت الجوفيه قساطلا * أعاد النهار المشرق النور مظلما
ملأت من الأسماع رَعْداً سماؤه * على كل باغ قد طغى تمطر الدما
فما تنطق الأسياف إلا تصلصلا * ولا تنطق الأبطال إلا تغمغما
وكم خدجت فيه الجياد مهارها * وعاد كُمَيْتُ اللون منها مسوما
ولم يعرف الناعي الحميم حميمه * غداة رآه بالغبار ملثما
فان أصحروا فالخيل قيد شريدهم * وان حصنوا ذابوا لحوما وأعظما
أقمت به عرش الهدى بعدما هوى * وقومته بالبيض حتى تقوما

وهذه ديباجة عربية ، جزلة ، سلمت من كلف البديع أعادها ابن عثيمين للشعر النجدي ، كما أعادها البارودي للشعر المصري ولذلك اعتبر ابن عثيمين بارودي الشعر

النجدي[١٣] ، وإذا كنا لا نملك الدليل الواضح على تأثر ابن عثيمين بالبارودي فلا شك أن شعر ابن عثيمين صورة من الديباجة القديمة التي غنى بها البارودي في شعره كقوله :

ونقع كموج البحر خضت غماره * ولا معقل إلا المناصل والجرد[١٤]
صبرت لـه والموت يحمسر تـارة * وينغل طورا في العجاج فيسود[١٥]
فما كنت إلا الليث أنهكه الطوى * وما كنت إلا السيف فارقه الغمد[١٦]
صئول وللأبطال همس عن الونى * ضروب وقلب القرن في صدره يعدو[١٧]
فما مهجة إلا ورمحي ضميرها * ولا لـبة إلا وسيفي لها عقد

ونجد أيضاً نأمة الدعوة إلى النهضة ، والقضاء على الجهل ، والخرافة في مضامين الشعر كما في شعر عبد العزيز بن عبد اللطيف المبارك[١٨] :

وتيـقظوا فالسيل قد بلغ الزبى * يـا أيها الـنومى على الأنطاع
إن قـلتم نخشى المجاعة فالـذي * بـكـم أشـد أذى مـن الأدقاع
وتعلموا فالعلم معراج العلا * ومـفـاتح الإخصـاب والإمـراع
وخـذوا مـن الغربى خير علومه * وذروا قـبـيح خلائق وطـبـاع
هبوا لطرد الفقر عن أوطانكم * جـيشـا مـن الـزراع والصـنـاع

ومثل ذلك يأتي في شعر الأسكوبي ، وأحمد البسام .

إلا أن علينا أن لا نبالغ في تأثر شعراء هذه الفترة بمعاصريهم ، فهناك جيل كبير ظل وقفاً على شعراء الانحطاط ، من جيل البهاء زهير وابن مكانس وابن نباتة ، وصفي الدين الحلي ، ومن تلاهم ممن زادوا الانحطاط عمقاً كابن عرب شاه ، أو ممن وقفوا على مشارف عصر النهضة دون أن يتأثروا به : كالشبراوي ، وعبد الغفار الأخرس ، وعلى أبو النصر المنفلوطي .

— ٦ —

كما نلاحظ أن الشعر الحجازي بدأ يأخذ مركز الصدارة بعد انتهاء معارك الملك عبد العزيز التي أوجدت للشعر في ظلال الدعوة مجالاً واسعاً ، وانتهاء معارك الملاحاة العقيدية بعد توحيد الأقطار تحت الحكم السعودي ، حين أخذت في الظهور كواكب في سماء

الحجاز تبشر بذلك ، وظهور هذه الطائفة لم يعن قلة الشعراء في نجد ، وقد ظلوا في ازدياد لكن يعني أن نسبة زيادة الأصوات في الحجاز أكثر منها في نجد ، وهذه الصدارة لم تكن في حياة ابن عثيمين ، أبرز شعراء العصر ، لكنها بدأت في أواخر حياته مما أعاد راية الشعر إلى مكانها الطبيعي الحجاز ، لأنه أكثر الأقاليم سكاناً وأكثرها تمدنا وتعلما ، وأقربها اتصالاً ببيئات الشعر في الشام ومصر. وذلك بظهور الشعراء الذين شدوا في العصر الحاضر متأثرين بالأدب المهجرب والشامي أولاً ، ثم المصري ثانياً . ومن الأسباب التي قوت ذلك انطلاق الثورة العربية عام ١٣٣٤ هـ وهي التي جددت الاتصال بالأقطار العربية خاصة الشام والعراق . ومن أجل ذلك وجدنا أن بداية الأدب الجديد في الحجاز قد سبقت بقية الأقطار بحوالي عشرين سنة ، وهذا جعل كبار الشعراء المعاصرين يظهرون في الحجاز كالقنديل والفقي والغزاوي ، وهذا لا يعني أن الشعراء المعاصرين امتداد معدل لشعراء الطبقة الثالثة من العصر الماضي ، لأن تيارات الشعر المعاصر اتصلت دون واسطة أولئك الشعراء بالأدب قديمه وحديثه ، ولا سيما شعراء الجيل الأول من العصر الحاضر الذين انفتحت عيونهم على الثورة العربية ، وأعجبوا بالأدب المهجري عند ميخائيل نعيمة وجبران ، وأدب النضال القومي عند القروي والخطيب وبدوي الجبل ثم بمدارس الشعر في مصر كمدرسة أبلو والديوان ، ومن هؤلاء الشعراء العامودي ، والصبان والآشي ومحمد عمر عرب وأحمد العربي ، والعواد ممن استطاعوا أن ينقلوا الأدب الجديد بتياراته المختلفة إلى الحجاز ، وإن لم يتعد دورهم دور الناقل المتأثر أو المقلد في أحيان كثيرة .

لكن ثمة رعيلا من شعراء الجيل الأول في الشعر المعاصر ظل مشدودا إلى الأدب القديم ، ويمكن أن نعتبره الجسر الذي عبر عليه الأدب من عصر إلى عصر ، وهؤلاء الشعراء يشكلون امتدادا مع بعض التعديل لشعراء الطبقة الثالثة من شعراء القرنين ، تأثروا إلى حد قريب بالشعر المعاصر لهم في مصر والشام الذي يناسب ميولهم الثقافية كالبارودي ، والجارم ، وشوقي ، وحافظ ، والكاظمي والرصافي ، وبدوي الجبل ، والخطيب ، وأغمضوا عيونهم عن الشعر الذي جد في التأثر بالشعر الغربي ، كالمدرسة المهجرية والرومنسية والواقعية .

ويمتاز هذا الرعيل من الشعراء المعاصرين عن شعراء الطبقة الثالثة من شعراء القرنين

بمميزات جد كبيرة في الأسلوب ، أبرزها التخلص إلى حدود واسعة من تأثيرات أدب القرون الوسطى ، وما يتصل بها من عبث ومطارحة ومجون وصنعة بديعية .

أما المضامين فهي لا تختلف عنها اختلافاً بينا سواء في الأغراض أو المعاني ، فقد ظلت حبيسة أدب المناسبات ، تكثر المديح وتطيل فيه ، وتقول الشعر في الأغراض القديمة التي قالها شعراء الفترة الماضية ، باستثناء ما تحته روح العصر كالنقائض ، والهجاء ، والنقاش العقيدي .

وظلت تعتمد روح الخطابة في الشعر والأغراض الجليلة التقليدية ، والبحور الطويلة ، مع تعديلات في مقدمة القصيدة لا تكاد تبين ، وظلت تركز على الحفاظ على شكل عمود الشعر ، وتعني بالمقاطع والمطالع ، وتغفل الوحدة الموضوعية أحياناً ، بله الوحدة العضوية .

وليس ارتباط هذا الرعيل من الشعراء المعاصرين بالشعراء في القرنين الماضيين ارتباط المتأثر بالمؤثر في الغالب الاخيطا من التأثر يبدو في الشعر المعاصر ، وأنه لا يكاد يبين ، فابن خميس الشاعر المعاصر مثلاً متأثرا بالشاعر ابن عثيمين ، أول قوله الشعر[19] ومثل ذلك يقال عن الغزاوي الذي تأثر إلى حد قريب بابن عثيمين ومحمد بن علي السنوسي متأثر بشعر والده علي السنوسي[20] .

ينبغي أن لا نبالغ في هذا التأثر الذي حد منه عدم وجود شعراء كبار كثيرين ، وسد مسده ما تقذف به المطابع من نشرات وكتب ومجلات ، إلى كتب التراث وإلى دواوين الشعراء لمعاصرين في الشام ومصر ولبنان .

ويمتاز هذا الرعيل بأنه أكثر اكباباً على الشعر والأدب من الطبقة الثالثة من شعراء القرنين وهذا تطور طبيعي رأينا مثله في الطبقة الثالثة التي كانت أكثر اعتناقاً لكتب الأدب من سابقتها .

وهذا الجيل من الشعراء المعاصرين مثل شعراء الطبقة الثالثة من شعراء القرنين في قلة الشعر الوجداني ، وإن كانت الطبقة الثالثة أجدر بالمعذرة لأنهم وجدوا في الحرب والقتال ، والإحاة ، والفقر ونكد الحياة ما يلتهم فراغهم الذي يمكن أن يفكروا فيه بأنفسهم ، بينما لم يجد شعراء هذا الرعيل نصباً مثل ذلك .

وهذا الرعيل المعاصر أوفر شعراً من الطبقة الثالثة ، من شعراء القرنين ، وذلك تطور طبيعي لانتشار الثقافة ، وشيوع التعليم ، وقد رأينا أن الطبقة الثالثة نفسها أكثر شعراً من سابقتها .

ومن شعراء هذه الطبقة المعاصرة أحمد الغزاوي ، وفؤاد شاكر ، وعبدالله ابن خميس ، وضياء الدين رجب وعبد الحق نقشبندي ، وعبد القدوس الأنصاري ، ومحمد عيسى العقيلي ، ومحمد علي السنوسي ، وأحمد الراشد المبارك ، وعبد الحميد الخطي .

وقد رأينا شعراء الطبقة الثالثة من شعراء القرنين ينتشرون في كافة الأقاليم ، إلا أن الشعراء الذين كانوا يتكاثرون في الأحساء ، أصبحوا يتناقصون ، بعبارة أدق : لم تزد نسبتهم كما زادت نسبة الشعراء في كل الأقاليم . وذلك بسبب اضمحلال قيمة الأحساء وحاضرتها الهفوف لظهور مدن على ساحل الخليج استأثرت بالحركة التجارية والنشاط الاجتماعي والعمراني ، كالدمام التي أصبحت عاصمة المنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية (٢١) .

— ٧ —

وبديهي أن نتساءل : ما أسباب تطور الشعر من قلة إلى كثرة ، ومن ضعف إلى قوة ؟

لذلك أسباب متصلة أولها دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب . التي صار لها كيان استطاع أن ينقذ البلاد خاصة نجد من ويلات التمزق والفتنة ، فترات طويلة بدأ فيها العلم ينهض ، والتجارة تنمو ، والمجتمع يتماسك ، وقد يظن أن تأثير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجانب العلمي والفكري والأدبي قاصراً على نجد ، لكن هذا الظن ينزاح إذا رأينا علماء نجد يقصدون الحجاز والأحساء للنقاش العقيدي والبحث الديني ، ورأينا علماء الجزيرة بعامة يناقشون الدعوة ، رفضاً وقبولاً كما رأينا الشعراء في الأحساء والحجاز واليمن والعراق وإيران والشام يخوضون في معاركها ، في كل البيئات عدا القطيف . بل ان الحكم السعودي شمل الحجاز في بعض الفترات ، وشمل الاحساء والقطيف في فترات طويلة مستقرة ، ولو لم يكن للدعوة إلا نشر الأمن بين مناطق الجزيرة لكفي ذلك باعثاً للعلم ، ناهضاً للشعر ، الذي هو بحد ذاته وثيق الصلة بالعلم والأمن .

لا ننسى أن هناك أسباباً بعيدة اتصلت بها النهضة ، فقد عاش العالم الإسلامي منذ سقوط بغداد عام ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) ، بلايا كارثة أولاها الغزو التتري ، الذي امتدت آثاره السيئة في صورة «تيمورلنك» ومن بعدها جاء الغزو الصليبي ، وهذان العدوان الشرقي والغربي ، تقليدان يهددان الوجود الإسلامي منذ كسرى وقيصر ، فكانت تلك العصور عصور ظلمة دامسة ، قتلت في الشعوب روح الحمية والصمود مما جعل القرون تمر بطيئة دون تقدم يذكر ، وحين صحا العثمانيون فوقفوا درعاً للأمة الإسلامية والعربية ، بدأت الحياة الإسلامية تدب في الأعماق ، وتنفض التراب ، عن روح الأمة المهيضة ، وظهرت الحركات الإصلاحية في أكثر من مكان ، أبرزها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبدأت الجزيرة تستيقظ من نومها العميق ، وهذا الأثر : عفوي لن يقصده الأتراك المشغولون بحروب البلقان ، لكنه نتج عفوياً بعودة روح الأمة إليها شيئاً فشيئاً ، بعد الجراح الناغرة من الغرب والشرق ، وصحوة الأمم ليست تحسب بالسنين والأيام إنها شيء يحسب بالقرون والدهور والعصور .

والغزو الغربي والأطماع الأوروبية بدأ من حملات البرتغال الاستكشافية ، وغزواتهم على شواطىء البحار العربية ، ونابليون في مصر ، وشركة الهند البريطانية في الخليج ، والأطماع الايطالية على سواحل البحر الأحمر كل ذلك ، كان له أثر في وعي العرب والمسلمين لكن حملة نابليون ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) دون شك هي مبعث إشعاعات بدأت من مصر ، وأخذت تسري في كل البلاد العربية .

فانتشر العلم ، وشاعت الترجمة ، ووجدت الطباعة ، والصحافة وإذا كانت هذه الأدوات لم توجد في الجزيرة إلا متأخرة ، لم يتأثر بها الشعراء لكنهم كانوا يقرأون ما تقذف به المطابع في مصر والآستانة وبيروت والهند ، من كتب الأدب والتراث ، كما أنهم لم يكونوا منفكين عن القراءة لمعاصريهم ممن دوت شهرتهم في سماء الأدب كالبارودي ، وإن ظلوا دائماً مشدودين إلى العصور السابقة في أغلب شعرهم ، فان طلائعهم قد عانقت روح العصر بصورة واضحة .

الريـاض : د . عبـد الله الحامـد .

الحـواشي :

(١) أنظر الشعر في وسط الجزيرة العربية قبل منتصف القرن الثاني عشر . العرب . رمضان وشوال ١٣٩٩ هـ .

(٢) كتاب «الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب» لكاتب السطور .

(٣) أنظر شعر ابن سحمان : ١٠٩ .

(٤) بينت ذلك في دراسة بعنوان «الشعر الإسلامي في صدر الإسلام» تحت الطبع .

(٥) آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢٠٥/٤ .

(٦) آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢١٥/٤ .

(٧) أنظر آداب اللغة العربية لجرجي زيدان : ٢١٨ و٢١٩ و٢٢٠ و٢٢٣ و٢٢٤ .

(٨) نفحات من عسير : ١٨٦ .

(٩) نفحات من عسير : ١٥٠ .

(١٠) نفحات من عسير : ١٨٦ .

(١١) محمد العمري الواسطي . مقالات . محمد سعيد دفتردار . المنهل رجب وجمادى الأولى وشعبان ١٣٧٩ هـ .

(١٢) ديوانه : ٢٥٦ التصلصل : الصليل ، صوت السيوف . تغمغم : أصوات غير مفهومة . خدجت : ولدت ناقصة لم يكمل خلقها .

(١٣) الشعر في المملكة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر . عبدالله ابن ادريس (بحوث مؤتمر الأدباء : ٦٤٩/٢ — ٦٥١) .

(١٤) النقع : غبار المعركة . المناصل جمع منصل وهو السيف . الجرد : جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر .

(١٥) العجاج : الغبار والدخان . ينغل : يدخل .

(١٦) الطوى : الجوع .

(١٧) صئول : صيغة مبالغة من صال أي وثب مقاتلاً . الونى : التعب . القرن : المثيل في الشجاعة . اللبة : موضع القلادة من الصدر .

(١٨) شعراء هجر : ١٧٧ .

(١٩) في قصيدة لابن خميس يرثي بها عبدالله بن حسن الشيخ لمحات من قصيدة ابن عثيمين في رثاء الخرجي .

(٢٠) ذكر ذلك عبد القدوس الأنصاري في دراسة له عن شعر السنوسي الابن وانظر (الملك عبد العزيز في مرآة الشعر) .

(٢١) أردت بهذا الاستطراد عن الشعر المعاصر ربطه بالشعر الماضي لمعرفة آثاره فيه ، وتطوره من عصر إلى عصر .

عَـــنَزَةُ
فـروعهـــا وأفخـــاذهـا

[بحث الأخ عبدالله بن عبار العنزي يبحث مُفَصَّل عن قبيلة عنزة ، أشار في مقدمته إلى تسلسل نسبها إلى نزار ، والى جانب من تاريخها القديم مما هو بحاجة إلى دراسة وافية .

« والعرب » تكتفي بنشر كل ما يتعلق بفروع القبيلة وأفخاذها في الزمن الحاضر ، مما كتبه الأخ عبدالله بعد حذف أسماء المشايخ لشهرتهم .

وتأمل « العرب » أن تتوالى الكتابة عن كل ما يتعلق بالقبائل العربية ، مما يُيَسِّرُ للباحثين في أحوالها معرفة جوانب لا تزال بحاجة إلى إيضاحها] .

عنزة تنقسم إلى بشر ومسلم .

وينقسم بشر إلى ضَنَا عبيد وضنا سهيل (العمارات)

وينقسم مسلم إلى الجلاس وبني وهب .

وينقسم ضنا عبيد إلى السُّبَعَة والفِدْعان ، وَوِلْدَ سُلمان .

كما تنقسم العمارات إلى العلي والجبل .

وتنقسم الجلاس إلى المحلف والرولة (الزايد)

وينقسم بَنو وهب إلى وِلْد علي والمنابهة (الحجاج)

وعليه تعتبر عنزة ثمانية أقسام رئيسية هي : الرولة والمحلف وولْد علي ، والمنابهة والعمارات ، والفدعان ، وَوِلْد سُلمان والسُّبَعَة .

تقسيـــم تلك الـفروع :

أولاً : ضَنا مُسلم : قسمان : الجلاس وبني وهب .

وأقسام الجلاس : المحلف والرولة .

ويطلق على الرولة[1] الزايد وهم خمسة أقسام : (١) المرعض . (٢) الدغمان . (٣) الفرجة . (٤) القعاقعة . (٥) الكواكبة .

فمن المرعض الشعلان والنصير والنصير والعلمة والموسرين والنواصره والقطاعا .

أما الدغمان فهم الحسن والبرابرة والمهنا والدرعان .

---

(١) ألف المستشرق التشيكوسلوفاكي الويس موزل — الذي عاش زمنا مع الرولة ، وسمى نفسه موسى الرويلي مؤلَّفاً يقع في ٧٢٤ صفحة عن (الرولة) دعاه : (The Manners and Customs of the Rawala Beduins) طبع في نيويورك سنة ١٩٢٨ وهو جدير بأن يعرب .

ومن الدرعان البطنان والجنفا .

وأما الفرجة فهم الفلتة والرماح والسباح والخضعان والمطلان والقفيان والقدران والسمران والمشيط والسواحله والعزول والمدهرشه .

وأما القعاقعة فهم الربشان والمانع .

فمن الربشان العوينان والرحمة والوقيت والجرذي والعطية ومن المانع الغشوم والمصطفقه والمحاميد .

وأما الكواكبه فهم الوكلان والعرضان والختام والمقيبل والخمسي والمديغم والوهيب .

القسم الثاني من الجلاس الحلف وهم ثلاثة أقسام الأشاجعة والسوالمه والعبادلة

فمن السوالمه المزاودة والفراهدة ، والمساعدة ، والملحاق ، واللهيب .

ومن الأشاجعة البدور والبلاعيس والمهيوب والحذاق والخلفيات .

ومن العبادلة الغشوش والحرزة والشفيع والخمسة .

القسم الثاني من ضنا مُسْلِم : بني وهب : وهم قسمان وِلْد علي ، والمنابهة .

وينقسم وِلْد علي الى قسمين ضَنَا مفرج والمشطه .

فمن ضنا مفرج الحامدة والمشادقة وجبارة والطلوح .

فمن الحامدة اليديان والركاب والعويمر (الفروك) والخالد والطوالعه والجريدة والربيلات والمذاوه والقرشه (الرتام) .

أما المشادقة فهم الطيايره والمريخات والمحمد .

وأما جبارة فهم التواجرة والضريغط والعليان والرموم والوحادين .

وأما الطلوح فهم المسعر .

القسم الثاني من ولد علي المشطه : وهم العواض والدعجان والعطيفات والجذالة والمجبيل فمن العواض الدوخي وهم السمير فيهم الإمارة .

ومن الدعجان : النمران والسعدي ، والسعايده ، والرواحلة .

ومن العطيفات : العتيق والروسان والطوالة والوطبان .

ومن الجذالة : الوسامة ، والعرقة والطلاع .

القسم الثاني من بني وهب المنابهة (الحجاج) : وهم عدة أقسام منها الراشد وهم السمين الفقراء والخماعلة والحسنة والمصاليخ والحجور ، والصقره والشراعبة .
ونفصل ما نعرفه من فروعهم : ينقسم الفقراء الى الزوارعة والمغاصيب والجمعات والشفقة .

ومن الخماعلة : الذيابه والفضيل واليزيد والشهاب .
ومن الحسنة : الفيصل والملحم والعويمل والقبلان والحجم والشمس وغيرهم
ومن المصاليخ : المردة والخرشة والقرشة واليعيش وغيرهم .
ومن الحجور : الكرشان والحرصان والجرعات .

القسم الثاني من عنزة بِشْر : وهم العمارات وجدهم سهيل ، وضَنَا عُبَيد .
وتنقسم العمارات إلى العلي والجبل .
فن العلي الدهامشة والصليلات
ومن الدهامشة العلي وهو غريب الدار والجلاعيد والسويلمات والسلاطين .
وينقسم أولاد علي غريب الدار الى الزبنة والمحلف
فن الزبنة الجميشات والصرمة والفويزة والقواسم والركعان والسبابيح والهوت والبواحيث والجعبان والخزام والعرايف (زينين العيون) .
ومن الجميشات العتيق والاغرا والأبلا والصقار والطواطحه والقحوص والعليان
أما المحلف فهم العياش والمذاوده
ومن العياش البلاليز والمعقل والغرير واللمعان والمتاريك
وأما المذاوده فهم الذوايده والشلخان والمحينات
وأما الجلاعيد فهم اللوايحه والعماير .
وأما السويلمات فهم المحيسن والاهمل والوطبه والعتقان والحماطر .
وأما السلاطين فهم القضاة والعجمات والمحاور .

القسم الثاني من العمارات الجبل وهم السّلقا وجدهم سلامه والصقور والحبلان
أما السَّلقا فهم الحامد والمحمد والدغيم
فن الحامد الشملان وهم الجبور والرشدة والبشير والكلوح والمراجلة

وأما المحمد فهم البجايدة والمطارفة فمن المطارفة الوطيف والسحالية والنصره والفقعه .
ومن الفقعه السالم والأزد والسعيد .
ومن البجايده الدلقة والعبيات
أما الدغيم فهم الحسني والمضيان .
فمن الحسني الرباع والعويضات والسويلم والقهاقة
ومن المضيان الحمايرة والسنيد والخنقه والزربعة
القسم الثاني من الجبل الصقور وهم الدهمان والمصاعب والجلال والدلة .
ومن الدهمان المسعود والمريبد والشرمان .
ومن المصاعب القحطة والعتيق والنمرة .
ومن الجلال الداغر والغدفان والعطيفات ومن الدلة الخويتم والعقلا .
القسم الثالث من الجبل الجبلان وهم الجعيثن والبسسات والغشوم والهيازع والختارشه .
ومن الجعيثن الهذال فيهم الامارة ومنهم العبير والسحيم والدشاش والحسن والعدينان .
ومن البسسات الجداعين والمتانين والشعافين والمعين واللحادة والهداهدة ،
ومن الغشوم السعدي والجروان والحسين والسلامة .
ومن الهيازع الحزام
ومن الختارشه المداميغ .

القسم الثاني من بشر ضَنَا عبيد : وهم الفِدْعان وَوِلْد سليمان والسبعة .
أما الفدعان فهم ضنا ماجد وضنا محمد (الولد) .
فمن ضنا ماجد ضنا كحيل والخرصة
ومن ضنا كحيل الغبين والعواد والجدعة .
ومن الغبين الحسن والعيد .
ومن الحسن العالي
ومن العيد الحمدان والدخيلان والسعيدان .
ومن العواد الراشد والرشيد
ومن الجدعة المتينه والحسيان والعليان .

ومن الخرصه ضنا لحيدة وضنا مزرع وضنا عربان والمكاثره .
ومن ضنا لحيده الملحود والملامار والجفل والرمث والهتيمة .
ومن ضنا مزرع الخشته والخدلات .
ومن ضنا عربان الجمعة والمنشى .
ومن المكاثره البغيق والصقرة والغضيان والشديدة والشلية .
أما الولد أو ضنا محمد فهم ضَنَا منيع وضنا فريض .
فمن ضنا منيع الروس والمهيد والشميلات .
ومن الروس الفليح والمثلوثه .
ومن المهيد المانع والعلي والروابا والقريبان .
ومن الشميلات الجذعان والكشور .
ومن الجذعان النصر والنواصره والقصران والزبينة والسياري .
ومن الكشور الدلة والطويق والقضاة والمنيخر .
أما ضنا فريض فهم الساري (السيف) والمقرن والخميس .
فمن الساري العريعر والحوسة والمسعود والرجلين .
ومن المقرن الحناتيش والخلف .
ومن الحناتيش السلمان والفهيد ومن السلمان الحشاشرة والخضر والرّخيص .
ومن الفهيد العميريس والغرير .
ومن الخلف الغضيور والقلفان .
أما الخميس فهم الميس والضحوة والهضبي والحازم .
ومن الميس الحريميس والسالم والسويلم والمحمد والسحيم .
وأما الضحوة فهم المرزوق والحضيري والبخيان والغرير .
وأما الهضبي فهم الجمال والعتيق .
ومن الجمال الجابر والحجلان .
ومن العتيق الصليليعه والمقنوه والصابر والجبيل .

القسم الثاني من ضنا عبيد السُّبعة ، وهم قسمان العبدة والبطينات .

فمن العبده المسكا والدوام والوثرة والبيايعة ، والعبادات والعرفا والرماح والموايقه .
ومن المسكا المسيب والعلطان والنوابغه والمقيبل .
ومن الدوام المنيع والجريبع والضويعن . ومن الوثرة الخزوم والسلمان .
ومن البيايعه الموينع والفريعات والشايع والسعيد والرويشد .
ومن العبادات الكراديش والجنادرة ، والذيبيات والجواميس .
ومن العرفا المحاوسة والسلامين . ومن الرماح القعيشيش والربيق .
ومن الموايقه السالم والمخلف والغثابرة .

القسم الثاني : من السُّبعَة : البطينات وهم القمصة والرسالين والمواهيب والمصارية .
ومن القمصة العميرة والسحيم والخمسان والرحمة .
ومن الرسالين الهويشان والعجلان والشفيع والقاسم .
ومن المواهيب السبيل والعقلا والتويمات . ومن المصاريه .

القسم الثالث من ضنا عبيد : وِلْد سُليمان ، وهم العلي (الجعافره) وضنا عليان .
فمن الجعافرة ضنا صقر والفضيل واليمنة .
ومن ضنا صقر السعيد والرواجح والمطاردة والمقاطعة والعويفيات .
ومن الفضيل التمام والقراوعة والسهول والمريخم والضواويه .
ومن اليمنه المرتعدة ، والمسارية والمسيعد
أما ضنا عليان فهم الخشان والسلمات والغضاورة .
فمن الخمشه القعدان والمقبل والقرين .
ومن السلمات الضحوة والعوامرة والكليب .
ومن الغضاورة البراهيم والمفلح والوفود والكلخه والحبشان .

أما الأقسام التي لم أفرعها فلأنني لم ألتق من يفرِّعها لي ، مثل الشراعبة والصقرة وغيرهما ، ولكن من المؤكد أنهم فروع من المنابهة .

عبدالله بن عبار العنزي

الضلفعة

إحدى قرى القصيم

[... توجد بعض آثار الزراعة القديمة في نواحي قرية الضلفعة، فهل لهذه القرية تأريخ قديم..

معهد بريدة العلمي   سليمان الحسين

«والعرب»: كفانا مؤونة الجواب العالم المحقق الشيخ محمد العبوديُّ. فتحدَّث عن هذه القرية في كتابة القيّم «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ج٤ ص ١٤٣٨ وما بعدها — وسيصدر قريباً.

وها هو نَصُّ ما كتب الأستاذ]:

الضَّلْفَعة:

بفتح الضاد المشددة فلام ساكنة ففاء ثم عين فهاء أخيرة.

قرية زراعية واقعة إلى الشمال الغربي من مدينة بريدة على بعد حوالي ٣٨ كيلاً. لا يفصلها عن الخط المسفلت المتجه من بريدة إلى المدينة المنورة غير ٤ أكيال إلى الشمال منه.

وكانت قديماً ماءٌ يسمى «ضلفع» بفتح الضاد فلام ساكنة ففاء مفتوحة فعين أخيرة.

قال لغدة الأصبهاني: ضفلع: لعبس[1].

وقال زيد الخيل الطائي:

واحللتكم من لُبْنَ داراً وخيمةً[2]   وكنتم بأطراف الْقَنَانِ بِمَرْتَع

فَخَرْتُمْ بأَشْياخ أُصيبوا بِخَنْعَةٍ   وتنسون شُبَّاناً أُنيموا بضلفع

قال البكري : قوله : بِخَنْعَةٍ : أراد بغدرة ، وضفلع : ماءٌ لبني عبس ، والقنان : جبل في ديار بني فقعس(٣) .

أقول : القنان هو الذي يسمى الآن «الموشم» ويقع إلى الغرب من منطقة «الضلفعة» راجع رسم الموشم . على بعد حوالي ١٠٠ كيل وتلك المنطقة هي التي تحاد منطقة سكنى طيء قوم زيد الخيل وسكانها بنو عبس كانوا يتقاتلون مع طيء .

ويقال عن الضلفعة : إنها بمثابة الأُم للقرى والبلدان التي حولها بمعنى أن كثيراً من أهل تلك البلدان كانوا من أهل الضلفعة لأنها كانت في وقت من الأوقات بلدة جليلة عامرة بالنسبة إلى البلدان في تلك المنطقة ، ويقول بعض كبار السن : إن سبب خرابها أن أهاليها كثرت عليهم نعم الله تعالى فلم يشكروها فاستولى عليها الخراب ، وتفرق أهلها في البلدان .

وقد حملهم على قولهم ذلك ما يشاهدونه من آثار العمران فيها وكثرة الآبار التي تركت الآن معطلة . مع صلاحيتها للزراعة وغزارة ماء الضلفعة وقربه من وجه الأرض بالنسبة إلى عمق المياه في الأراضي الأُخرى المجاورة لها .

هذا إلى كثرة أعجاز النخيل الميتة وجذوعها الباقية في الأرض . التي تدل على وفرة النخيل في الضلفعة وقوتها في القديم ، وقد حدثني بعض أهالي الضلفعة عندما زرتها يوم الخميس ١١ — ١٢ — ١٣٩١ هـ بأن حائطاً للتواجر «آل التويجري» كان حاصله من التمر خرصاً قبل أن يهجروا الضلفعة إلى الشيحية المجاورة ثلاثين ألف وزنة تمر أي : ما يعادل ٤٥ ألف كيل .

وهذا يتفق مع ما جاء في عبارة أبي محمد الأسود الآتية من كون الضلفعة كان فيها نخل من خيار ديار أسد .

عمارة الضلفعة :

قدمنا أن الضلفعة كانت ماءً يسمى «ضلفع» .

ويتناقل أهالي الضلفعة قصة ملخصها : أن شخصاً من العرينات من قبيلة سبيع اسمه : عامر بن عمر جاء إلى القصيم من قرية «العطار» من سدير ، ويقول بعضهم : بل جاء من بادية الجنوب .

فنزل على أمير بلدة القويع في الشمال الغربي من بريدة وكان معه بعض المال فزوجه الأمير بنته ، ثم حصل خلاف بينهما بعد أن أقام في القويع خمس سنوات .

فترك القويع وذهب إلى الضلفعة وكانت آنذاك ماء فيه عين تمشي على وجه الأرض إذا كثر المطر . فنزلها وعمر له قصراً في الموضع المسمى الآن الهدام : هدام القصر . في جنوب الضلفعة .

ثم انضم إليه بعد ذلك جيران له حتى كثر أهل الضلفعة وعمروها وأصبحت بعد قرون من أكبر البلدان في تلك المنطقة .

إلا أن الأخباريين الذين يروون هذه القصة لا يفيدوننا عن التاريخ الذي حصلت فيه ، ولكننا من استقراء الأحوال ومما يظنه بعضهم نرى أنها حدثت في غضون القرن التاسع الهجري .

ولكن من المحتمل أن تكون الضلفعة قد شهدت عمارة قبل ذلك ثم دثرت كما سيأتي بيان احتمال ذلك في كلام أبي محمد الأسود الذي روى عنه ياقوت .

قال البكري : ضَلْفَع بفتح أوله ، وإسكان ثانية ، بعده ألف ، وعين مهملة : موضع قد تقدم ذكره في رسم لبنى ، قال طفيل :

عرفتُ لِلَيْلَى بين وَقْطٍ وضلفع ... منازل أقوت من مصيف ومربع

وقال في رسم لبنى : ضلفع ماء لعبس .

وقال الهمداني : فمن عن يسار ضرية مما يلي الشمال من المناهل والموارد والمراعي ضلفع : هضاب وصحراءُ ترعاها الإبل ، قال الراجز :

يا إبلاً هل تعرفين ساقا ... وضلفعان المرتع الرِّقاقا

وفوزة المشرفة الأنساقا

ثم ساق الفروين ثم أبانان : أبان الأسود : وأبان الأبيض : جبلان يمر بينهما بطن الرُّمة[٤] .

وهذه العبارة محرفة شأنها شأن كثير من نصوص كتاب الهمداني وبمقارنة بيتين من هذا الرجز أوردهما البكري يتبين التحريف في نص الهمداني وهما :

يـا إبلي هـل تـعـرفين ساقا ؟ قالت : نعم ، وقُورها الانساقا[٥]

أقول : قورها : قور ساق ، جمع قارة . وهي تقع إلى الجنوب من ساق الذي هو ساق الجواء أفردنا لها رسماً خاصاً[٦] والأنساق : التي على نسق .

بقي أن نتساءل عن صحة ما ورد في البيت الثاني من الرجز الذي ذكره الهمداني ولم أجده عند غيره من تسمية «ضلفع» بضلفعان ، أذلك صحيح ؟ وأن الضلفعة كانت تسمى في زمن الهمداني أو ما يقرب من زمنه بضلفعان ويكون ذلك بداية لتغير اسمها العربي القديم من «ضلفع» إلى الضلفعة أم ذلك تحريف ؟ إنني أُرجح الأول .

ونقل ياقوت عن أبي محمد الأسود قوله : ضلفع قارة طويلة بالقوارة وهي ماءة ، وبها نخل من خيار دار ليلى لبني أسد بين القصيمة وسارة . وهذه العبارة أيضاً أصابها من التحريف ما أصاب نص الهمداني . ونعتقد أن المراد من ضلفع أنه يعني القارة التي تسمى الآن «حمار الضلفعة» . وتقدم ذكرها في حرف الحاء . وأنه يريد أنها قريبة من القوارة لأنه ليس بينهما أكثر من ٣٥ كيلاً بجنب ماءة وهي ضلفع الماء القديم الذي أصبح بعد ذلك قرية الضلفعة بدليل قوله لبني أسد ، ولعل ذلك في زمنه ، أما كلمة «ليلى» في النص فإنني لم أجد لها تخريجاً ولعلها زائدة . قوله بين القصيمة وسارة فالقصيمة هي المليدا الجنوبية كما سيأتي في هذا الرسم وسارة : تحريف «صارة» الذي هو جبل صارة المشهور في القديم والحديث وقدمنا ذكره في حرف الصاد ، وهو لا يبعد عن الضلفعة إلا بحوالي ٣٠ كيلاً إلى الشمال منها .

ويؤيد ذلك أن الزبيدي قال : ضلفع قارة ببلاد بني أسد[٧] ولعله يعني بذلك «حمار الضلفعة» المشرف على قرية الضلفعة وربما خرج قول أبي محمد الأسود على أنه

المراد أن ضلفع — فيها نخيل من خيار ديار بني أسد . وإن صح هذا فإنه يدل على أن الضلفعة قد شهدت عمراناً زراعياً في القديم دثرت بعده إلى أن عمرت في الأزمنة المتأخرة كما ذكرنا ، ثم عاد إليها الخراب ثانية حتى أصبحت الآن من أقل القرى ذوات الماضي المذكورة في القصيم عمراناً .

ولعل مما يؤيد قول أبي الأسود على هذا التخريج ما يشاهد من كثرة الآبار المندثرة المتقاربة في الضلفعة وأن ذلك يدل على أن معظمها كان لسقي النخيل .

ومما هو جدير بالذكر أن أبا محمد الأسود هو الأعرابي المعروف بالغندجاني عاش في آخر القرن الرابع الهجري ، وأول القرن الخامس .

ويؤيد ما قلناه من كون المراد بضلفع الذي وصف أنه قارة «حمار الضلفعة» وليس الماء قول نصر الاسكندري : ضلفع قارة ببلد بني أسد كأنها حائط[8] .

وهذا الوصف ينطبق على «حمار الضلفعة» كما سبق في حرف الحاء .

وقد ذكرت الضلفعة كثيراً في أشعار العرب القدماء باسم «ضلفع» من ذلك قول طُفَيل الغنويّ :

عرفتَ لِلَيْلَى بين وقط[9] وضَلْفع منازل أَقْوَتْ مِنْ مصيف ومَرْبَع
إلى المنحنى مِنْ واسِطٍ لم يَبِن لَنا بها غير أعواد الثُّمَام المُنَزَّع[10]

ونفهم من هذين البيتين أن تلك المنازل التي حول «ضَلْفع» أو قريبة منه كانت منازل صالحة لأن تكون مصيفاً أي مكاناً لقضاء الصيف ولأن تكون مَرْبَعاً أي : مكاناً لقضاء الربيع . وهذا هو الواقع بالنسبة للضلفعة ، ففيها المياه الغزيرة وحولها المراتع الخصبة ، أما واسط فهو إلى الجنوب من الدوادمي وهو وادٍ فيه منحنى .

أما وقط الذي قرن ذكره بذكرها فلا يزال معروفاً بالقرب من الفوّارة كما سيأتي في حرف الواو .

وهناك ضلفع آخر قرب «رنية» هو الذي يقول فيه لبيد :

لِهِنْد بأعلا ذي الأغَرّ رُسُومُ إلى أحُـــدٍ كـــأنهن وُشوم
فَوَقْفٍ فَسُلّيٌ فأكْنَاف ضَلْفَع تَـرَبَّـع فيهـا تـارة وتـقيم[11]

وهو غير ضلفع القصيم . لأنه قرنه بمواضع معروفة الآن هناك مثل «سُلّي وتدوم» وقد ذكرنا بيته هنا منعاً للالتباس .

وقال كعب بن زهير يصف حمر وحشٍ نافرة من صياد وقد تقدمها حمار منها يقودها[12] :

فَورَّكَ (قِدْراً) بالشِّمال وضَلْفَعاً وحـاذته أعلام لها ومخَـارِمُ[13]
وأمَّ بها ماءَ الرُّسيس ، فَصَوَّبَتْ للينة ، وانقض النجوم العواتم[14]
فـلم أرَ مَوسُوقـاً أقـلَّ وتيرةً ولا واسقاً ما لم تَخُنْه القوائم[15]

وقال متممُ بن نُوَيْرة في مرثية أخيه مالك[16] :

سقى الله أرضاً حلَّها قبر مالكٍ ذِهَابُ الغوادي المدجنات فأمرعا
وآثـر سـيـل الواديين بـديْـمَـةٍ تُرشِّحُ وسْمِياً من النبت خرْوَعاً
فَمُنْعَرَجَ الأجنَاب من حول شارعٍ فَروَّى جنابَ القريتين فَضَلْفعا

فقرن ذكر الضلفعة بذكر القريتين ولعلها القريتان اللتان قرب عنيزة بدليل أنه ذكر الواديين في البيت الذي قبله ولعلها تثنية وادي الرُّمة وأحد روافده .

وقال الكميت بن ثعلبة وهو جد الكميت بن معروف وهو فقعسي من بني أسد سكان تلك المنطقة[17] :

ألا زَعَـمَتْ أم الصَّبِيَّيْنِ أنني كبرت ، وأن المال عندي تضعضعا
فلا تـنكريني ، إنني أنا جاركم لـيالي حَلَّ الحي قُنـاً فضلفعا

وقُنّ : في جنوب ديار طيء ، أي : لا يبعد كثيراً عن الضلفعة .

وقال رؤبة بن العجاج[18] :

هَاجَتْ ومثلي نَوْلُه أنْ يَرْبَعَا حمامَـةٌ هـاجتْ حَمَاماً سُـجَّعَا

أَبْكَتْ أبا الشَّعثاء والسَّمَيْدَعا وعهدُ مَغْنى دِمْنَةٍ بَضَلْفَعَا

ويدل على أنه يريد ضلفع القصيم أن شرق القصيم كان لبني تميم كما تقدم في المقدمة .

وقال أوس بن حجر وقرن ذكر «ضلفع» بذكر أماكن معروفة في القديم أو في الحديث بأنها في منطقة القصيم الشمالية والغربية ، وهي أبان وشرمة[١٩] والقنان[٢٠] والعيون[٢١] قال[٢٢] :

تثُوب عليهم من أبان وشرْمة وتركب من أهل القنان وتَفْزَعُ
لَدُنْ غدْوةً حتى أغاث شريدهم طويل النَّبات[٢٣] والعيون وضَلْفَعُ

وليس ذلك فحسب دليلنا على أنه يريد «ضَلْفَع» القصيم بل هناك دليل آخر وهو نص ورد في حاشية هذا البيت منقول عن شرح ديوان أوس بن حجر لابن السكيت — وحسبك بابن السكيت معرفة — قال : ضلفع ماءٌ لبني عبس .

لمحات تاريخية :

قال ابن بسام : ثم دخلت سنة ٨٥٤هـ أربع وخمسين وثمانمائة .

في هذه السنة تناوخوا[٢٤] عنزة والظفير على الضلفعة المعروفة في ناحية القصيم .

واجتمعت قبائل عنزة ، ورؤساءهم حينئذ مصلط بن وضيحان ، وفهد بن جاسر الطيَّار ، وضيغم بن شعلان ، وصنيتان بن بكر ، ورؤساء الظفير مانع بن صويط ، ونايف أبو ذراع ، ومع الظفير من حرب : سالم بن مضيان وضاحي آل غرم .

وأقاموا في مناخهم أربع ؟ وثلاثين يوماً ، حتى أكلت الإبل أوبارها من الجوع ، من طول المناخ ، وكانوا في مناخهم ذلك يغادون القتال ، ويراوحونه طراداً على الخيل ، ثم إنه مشى بعضهم إلى بعض ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، وصارت الهزيمة على الظفير ، واستولوا عنزة على محلهم وأغنامهم ، وأخذوا كثيراً من إبلهم . وقتل من الفريقين خلق كثير ، ومن مشاهير القتلى من عنزة : ضيغم بن شعلان ونايف بن وضيحان ، وقتل من الظفير مانع بن صويط ، وماجد بن كنعان ، ودوخي بن حمود

ومن حرب سالم بن مضيان ، وشافي بن رومي ، وخلف بن جاسر ، وسرور بن فاضل[٢٥] .

وقال ابن بشر في سنة ١٠٨٨ هـ ظهر الشريف محمد الحارث شريف مكة إلى نجد ، وقتل غانم بن جاسر رئيس الفضول .

وهذه السنة هي مناخ الحارث والظفير في الضلفعة من ناحية القصيم وصارت الدائرة على الظفير ، واصطلحوا ، وأخذ الحارث عليهم العقال[٢٦] وعبارة ابن عيسى مختصرة جاءت كما يلي :

في سنة ١٠٨٨ هـ مناخ الضلفعة بين الشريف محمد الحارث وبين الظفير وصارت الهزيمة على الظفير[٢٧] .

وبعدهما جاء مقبل الذكير فأحسن ما وسعه الإحسان ، وأفاد أعظم إفادة إذ استعرض الحروب والمنازعات التي حدثت بين أشراف مكة وبين قبيلة الظفير التي كانت قوية الشكيمة ، كثيرة العدد في منطقة القصيم على رأس القرن العاشر أي : الأسباب التي سبقت هذه الوقعة ثم ذكر الوقعة نفسها بقوله : وفي سنة ١٠٨٨ هـ خرج الشريف محمد الحارث إلى نجد ، وقبض على غانم بن جاسر رئيس الفضول ، وقتله ، ثم قصد الظفير ، وبلغهم خبره ، واستعدوا للقائه ، وهم يومئذ في الضلفعة القرية المعروفة في القصيم ، وأغار عليهم ، وحصل بينهم وقعة شديدة فكانت الدائرة على الظفير .

أما المنقور فيذكر في تاريخه أنها وقعت في عام ١٠٨٧ هـ[٢٨] .

شعر عامي :

قال عبيد بن رشيد يذكر سنة المليداء :

يَومْ جرى (بالضلفعة) له ظلال   يعِدّه المالود لِّلي بالأصلاب[٢٩]
جونا وجيناهم سواة الجبال   صرنا عليهم حوطة مالها باب[٣٠]

وذكر الضلفعة ، وقال «يوم جرى في الضلفعة» مع أنه يعني وقعة «المليدا» لأن الضلفعة واقعة في الحد الغربي للمليدا كما سيأتي في هذا الرسم في حرف الميم إن شاء الله تعالى .

ونختم الحديث عن الضلفعة بقول لأحد الأوروبيين ذكرها فيه قبل سبعين سنة فقال :

ضلفعة : على بعد ١٦٠ ميلاً تقريباً جنوبي غربي بريدة ونفس المسافة شمال البكيرية : (١٥) منزلاً لقبيلة عنزة ، يوجد بها قليل من النخيل ، وزراعات الحبوب والخضروات ، والري من الآبار يبلغ عمقها ما بين سبعة وثمانية قامات ، ومياهها صالحة للشرب[٣١] .

الريـــاض محمـد العبـودي

---

(١) بلاد العرب ص ٢٦٩ .

(٢) وخيمة : وصف لدار من الوخم .

(٣) رسم : «لبني» ص ١١٤٩ — ١١٥٠ .

(٤) صفة جزيرة العرب ص ١٤٤ .

(٥) رسم «ساق» .

(٦) راجع رسم «القور» ورسوم قارة الأسلاف وما بعدها .

(٧) «تاج العروس» رسم ضلفع .

(٨) الأمكنة ق ١/١٠٠ .

(٩) راجع رسم : «وقط» .

(١٠) ياقوت رسم : «وقط» والبيت الأول في اللسان . «ضلفع» والبيتان في ديوان طفيل ص ١٠٥ — ١٠٦ .

(١١) ياقوت رسم : «وقف» [العرب : وانظر لتحديد هذه المواضع مجلة «العرب» س٧ ص ٧٠٤ إلى ٧١٤ .

(١٢) شرح ديوانه لابن السكيت ص ١٥٢ .

(١٣) ورك قدراً وضلفعا بالشمال ، أي : جعلها حذاء وركه الشمال . وقدر : لعله سمراء الحمار . راجع هذا الاسم والمخارم : جمع مخرم . وهو منقطع أنف الجبل .

(١٤) لينة : موضع وهو غير لينة المعروفة تلك شرقي الدهناء . والنجوم العواتم . التي تظلم من فترة في الهواء . وانقضاضها : هويها .

(١٥) الموسوق : المطرود ، والواسق : الطارد ، يقول : لم أر أقل وتيرة ، أي أسرع منها ومنه ما لم تخنه قوائمه فيضعف .

(١٦) ياقوت : رسم «شارع» .

(١٧) ياقوت : رسم «قن» .

(١٨) ديوان رؤبة ص ٨٧ .

(١٩) شرمة : جبل يقع إلى الشمال الغربي من القصيم باق باسمه ولكنه تابع لإمارة حائل يقع على بعد ٢٥ كيلاً إلى الشرق من «سميراء» .

(٢٠) راجع رسم «الوشم» فهو الذي كان يسمى قديماً «القنان» كما رجحنا ذلك ، وأثبتناه بالأدلة الواضحة .

الرقعي والرقمتان

[وتعرض «العرب» للقارىء الكريم نصوصاً من قسم (المنطقة الشرقية) من كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وهي من وراء هذا العرض تأمل أن تتلقى ما قد يَبِنْ للقارىء من ملاحظات حول تلك النصوص ليتسنّى استدراكها قبل صدور «المعجم» في طبعته المصححة.

ومن فضول القول أن مؤلف ذلك القسم من (المعجم) بل جميع مؤلفي أقسامه لَيْسُوا ممن يضيق بالنقد، لأنهم يدركون أن الكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه والمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه].

الرُّقْعيُّ :

— بالضم وإسكان القاف وكسر العين المهملة، بعدها ياء النسبة — :

يطلق هذا الاسم على موضعين :

أحدهما : ماءٌ قديم، لا يزال معروفاً، وقد أصبح مَهْجوراً، وحوله قصر متهدم، وهو في جانب منخفض من الباطن الجنوبي، يحيط به من الجنوب جالٌ صَخْريٌّ مرتفع، ومن الشمال رَبَواتٌ مرتفعة تفصل بينه وبين مجرى الباطن الكبير، وماءُ الرقعي آبار قريبة القعر، وهو قليل فيما يبدو.

---

(٢١) راجع رسم «عيون الجواء».

(٢٢) ديوان أوس بن حجر ص ٥٩ والبيت الأخير في البكري : العيون.

(٢٣) طويل النبات. قلنا إنه ربما كان الذي يسمى الآن طويل الرضم إلى الشمال من عيون الجواء.

(٢٤) كذا فيه وهو لغة ضعيفة والوجه : تناوخ. والمراد أناخوا معاً إبلهم.

(٢٥) تحفة المشتاق ٨ — ب.

(٢٦) تاريخ ابن بشر ج١ ص ٨٧.

(٢٧) تاريخ بعض الحوادث ص ٦٦ — ٦٧.

(٢٨) تاريخ الشيخ أحمد المنقور ص ٥٥.

(٢٩) له ظلال : أي : له ظل أي : أثر عظيم. المالود : المولود لي : للذي : أي : يذكره المولود لمن في الصلب : مبالغة في أهميته.

(٣٠) جونا : يقصد أعداءه، وسواة الجبال : سواء كالجبال، والحوطة، المكان المحاط بحائط : إشارة إلى قوة الالتحام.

(٣١) دليل الخليج ج٥ ص ٢٦٥٦.

الثاني : الرُّقعي الواقع على الحدود بين المملكة وبين الكويت ، وهذا يقع شرق الأول بنحو ١٦ كيلاً ، وقد أُنشيء منذ بضع سنوات ليكون مركزاً عند مدخل الحدود فأصبح بلدة عامرة كثيرة السكان ، وفي الجانب الموالي للكويت منه مباني للحكومة الكويتية[١] .

وكان الرُّقعي منذ عهد قريب ، قرية صغيرة ملحقة بمركز القيصومة ، أما الآن فقد اتسع العمران فيه ، لكونه المنفذ إلى الكويت .

واسم الرقعي قديماً كان يطلق على الآبار الواقعة في الباطن (فَلْج قديماً) وهو وادي الْحَفَر .

ويظهر من نصوص المتقدمين أنه كان يعرف قديماً باسم الرُّقَعي ــ بالتصغيرــ[٢] .

وجاء ذكر الرقعي في كتاب « دليل الخليج »[٣] مجموعة من الآبار في حدود الباطن على بعد ١٠٥ أميال جنوب غرب الكويت ، وعلى بعد ٦١ ميلاً شمال شرقي الحفر .

وعلى مسافة قصيرة من الرقعي في الجانب المواجه للكويت يوجد قاع سيال جارف ، ربما يتشابه مع القاع الذي تقع فيه آبار الرقعي ، يسقط في انحداره إلى الباطن بسلسلة من الصخور الجيريَّة اتساعها حوالي ٥٠ قدماً وارتفاعها عشرة أقدام .

وتقع آبار الرقعي في وسط التجويف الذي توجد فيه وترتبط بتجاويف (غيران) تحت الأرض .

وفي يناير سنة ١٩٠٦ وجدت هذه الآبار فارغة ما عدا واحدة منها تسمى أُم خرجين التي تنزل رَأسيَّةً إلى حوالي سبعة أقدام . ثم تنقسم إلى جَيْبَيْن يستمران إلى أسفل بانحراف وفي اتجاهات مضادةلعدة أقدام أبعد من ذلك .

ويقال : إن الماء يكثر أيام الربيع ويمكن الحصول على الماء طوال الصيف . انتهى ، وهذا الكلام قبل إهمال آبار الرقعي ، بعد حفر الآبار الارتوازية في المنطقة .

الرَّقْمَتَان :

ــ على لفظ مثنَّى رقمة ، وهي لُغةً : مجتمع الماء من الوادي ، والرَّوْضَة فهي في

الأصل وصف ، ثم أصبحت عَلَماً لمواضع — :

جاء في كتاب «المناسك» : (وكان في البطن من وراء مَاويَّة ، عند التواء الوادي الرقتان — وفَلْج يضيق في ذلك الموضع — وهما قريتان على شفير الوادي من جانِبَيْه ، والقفُّ في ذلك الموضع مُرْتَفِعٌ ، كانت إحداهما بإزاء الأخرى . وهي منزل مالك بن الرَّيب ، قال :

فَـلِلَّه دَرِّي يَـوْمَ أَتـرُكُ طـائِـعاً ... بَـنِـيَّ بـأعْـلَى الرَّقتين ومَـالِـيَـا

قال ذلك في الكلام على وادي فَلْج (وادي الْحَفَر) بعد ذكر الحفر ، مُصْعِداً منه إلى أعلاه .

وفي كتاب نصر[٤] : الرقتان قريتان على شفير وادي فلج بين البصرة ومكة .

وقيل : روضتان في بلاد العنبر .

وأيضاً بنجد بين جُرْثُم ومطلع الشمس في ديار أسد .

وأيضاً حذاء سَاق الفروتين(؟) وساق جبل لبني أسد .

وأيضاً : قريب المدينة ، نِهْيان من أنهاء الحرَّة .

وفي كتاب الحازمي[٥] : الرقتان قال الأصمعي : الرقتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قرب البصرة .

وأما في شعر زهير :

دِيَارٌ لها بـالرقتين كـأنَّها

قال الكلابي : الرقتان بين جُرْثُم ومطلْع الشمس بأرض بني أسد ، وهما أبرقان مختلطان بالحجارة والرمل .

والرقتان أيضاً حذاء ساق الغزو (؟) وساق الغزو (؟) جبل في أرض بني أسد .

والرقتان أيضاً : بشط فَلْج ، أرض بني حنظلة . انتهى كلام الحازمي .

وكَلمتَا (الفروتين)[٦] و(الغزز) في النصين المتقدمين تصحيف كلمة (الْفَرَوْيْن) .

وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم» : قال عُمَارة بن عقيل : ذو طلوح واد في أود ، يصب في رقة فلج ، وهي خبراء من سدر ، على بطن فلج ، وهي تأخذ ماءهُ أجمع . والرقة في أرض بني العنبر . قال : وببطن ذي طلوح القنفذة ، وهي لبني يربوع ، وأنشد لجرير :

مَتَى كَانَ الْخيَامُ بذي طُلُوحٍ ... سُقِيت الْغَيْثَ أَيَّتُها الْخيَامُ

وفي «معجم ما استعجم» أيضاً : رَقْمتا فَلْج : هما خَبْراوان خَبْراءُ مَاوِيَّة وخَبْرَاءُ اليَنسوعة ، وهي أضخمها — ثم أورد بيت مالك بن الريب وهذا الكلام مأخوذ من شرح شعر جرير . في ديوانه :

ولَو سَارَ الزُّبَيْرُ فَحَلَّ فِيْنَا ... لمَا يَئِس الزُّبَيْرُ مِنَ الايَابِ
لأَصْبَح دُوْنَهُ رَقَمَاتُ فَلْج ... وغُبْرُ اللاَّمِعَاتِ مِن الْحِدَابِ(٧)

الرقمتان :

رقتا فَلْج : خبراوان ، خبراء مَاوِيَّة وخبراء الينسوعة وهي أضخمها وهما الرقمتان وفي «معجم البلدان» : قال السكونيُّ : الرقمتان قريتان بَيْنَ البصرة والنَّباج بعد مَاوية تلقاء البصرة ، وبعد حفر أبي موسى تِلْقَاء النِّباج ، وهما على شفيرِ الوادي ، وهما منزل مالك بن الريب المازني ، وفيهما يقول :

فَلِلَّهِ دَرِّيْ يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعاً ... بَنيَّ بأَعْلَى الرَّقْمَتَيْن ومَالِيَا

وقال أبو منصور(٨) : الرقمتان النكتتان السوداوان على عَجُزي الحمار وهما الجاعرتان . والرقمتان : روضتان بناحية الصَّمَّان ، ذكرهما زهير فقال :

وَدَارٌ لَهَا بالرَّقْمَتَيْن كَأَنَّها ... مَراجِيْعُ وَشْمٍ في نَواشِرِمِعْصَم

وقال العمراني : الرقمتان روضتان إحداهما قريبة من البصرة والأخرى بنجد . وقال الأصمعيُّ : الرقمتان إحداهما قرب المدينة والأخرى قريب البصرة ، وأما التي في شعر زهير فقال الكلابيُّ : الرقمتان بين جرثم ومطلع الشمس ، بأرض بني أسد . قال : والرقمتان أيضاً بِشَطِّ فَلْج من أرض بني حنظلة . والرقمتان قريتان على شفير وادي فَلْج بين

البصرة ومكة . وقيل : الرقمتان : روضتان في بلاد بني العنبر . والرقمتان أيضاً : موضع قرب المدينة نِهْيَان من أنهاء الحَرَّة . انتهى .

الرَّقْمَةُ ــ كما تقدَّم ــ وصْفٌ ، ثم أصبحت عَلَماً لمواضع :

١ ــ موضعان : قريتان ــ وكانتا روضتين ــ في أعلى وادي فَلْج ، المعروف الآن باسم (الباطن) و(وادي الْحَفر) وهُمَا اللذان يدخلان في نطاق الحديث بتفصيل .

٢ ــ موضعان في ديار بني أسد ، في حدود بلاد القصيم ، ويظهر أنهما الواردان في شعر زُهَيْر ، لقربهما من جرثم ، وقد ذكره في القصيده التي ذكرهما فيها . كما نقل الحازمي . أما قول الازهري بأن الذي ذكرهما زُهَير ــ فيما نقله عنه صاحب «معجم البلدان»[٩] روضتان في الصَّمَّان ــ فغير وَجيْه ، والأزهري رحمه الله ــ حَسْبُكَ به في وصف ما يشاهده من مواضع البحرين ، أمَّا ما ينقله أو يصفه بدون مشاهدة فهو كغيره قد يقع في الخطأ .

والرقمتان اللتان في بلاد بني أسد هي التي حذاء ساق[١٠] الفروين .

والرقمتان أيضاً قرنان أحمران بقرب حَرَّة ليلى ، أورد فيهما الهجريُّ شعراً[١١] . وهناك مواضع أخرى تعرف باسم الرقة . والرقتين ، أشرت إلى بعضها في قسم (شمال المملكة) من هذا «المعجم» .

وأعود للحديث عن رَقْمَتَي فَلْجٍ (وادي الحفر) كنت ذكرت في قسم «شمال المملكة» من هذا «المعجم»[١٢] أن الرَّقْمتين تدعيان الآن القرائن اعتماداً على ما كتب به إليَّ الأستاذ محمد العبودي ، ولكنني لما زرت هذه الجهات في أول جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ أنا والأستاذان محمد العبودي وسعد بن جنيدل اتضح بعد روضتي القرائن وارتفاعها في أعلى الوادي عن موقع الرقمتين اللتين يرى الأُستاذ العبودي[١٣] أنهما ليستا بعيدتين عن مَاوِيَّة ، إذ يوجد على مسافة تقارب سبعة أكيال غرب مَاوِيَّة في بطن الوادي ــ غرب (أم عواقيل) روضتان في الجانب الشمالي من الوادي ، تسمى الواحدة منهما (المِتْياهة) ويستدل على ذلك بأن في الرجز المتقدم أنهم مروا مَاوِيَّة فجازوها عشيَّةً ، ثم صَلَّوا العتمة في الرقة ، مما يدل على قرب المسافة .

وذكر الجَهْضَمي في أُرجوزته في وصف طريق الحج[١٤] ، أنه جاز ماوية عَشية فطَرَقت وَهْناً بُيوت الرقة وصَلُّوا بها العَتَمة ثم إنَّهم عَرَّسوا بالْخَرشنة ، وتَعَشُّوا في الطُّنُب ، بعد أن ساروا من الخرشنة حين بدا الصُّبْح .

والتعريس النزول ليلاً ، وعلى هذا فإن الرقة تقع غرب مَاوية بمسيرة ساعات قليلة . ومن رَجَزه :

حَـتَّى إذا مَـرت على مـاويـة مَـرَّتْ فـجـازت أهْلَـها عَشيَّة

أما قول السُّكونيِّ — فيما نقله عنه صاحب «معجم البلدان» من أن الرقتين بعد مَاوية تُلقاء البصرة . فلا يتَّفق مع ما ذكره غيرهُ من المتقدِّمين ، ومن أوثقهك وأدَقِّهمْ وصفاً صاحب كتاب «المناسك»[١٥] الذي قال في وصف طريق المُصْعد من البصرة إلى مكة فذكر الحَفَر وبعده قال : ثم ماويَّة . ومن الحَفَر إلى مَاويَّة اثنان وثلاثون ميلاً ثم لما وصفها قال (وكان في البطان) إلى آخر كلامه المُتَقَدِّم ، ثم ذكر أن المُتَعشى يسمى الخرشنة وفي أرجوزة الجهضَمي .

فَـطَـرَقَتْ وَهْـنـاً بُـيُـوتَ الرَّقْمَهْ
فـفـرحتْ كَـيْما نُصَـلِّي الـعَـتَمه
ثمَّ استَمَرت كـي تُؤُمَّ الخرشَنَه
مَـحْمودة لدى الكِلال مُحْسَنَه

— ثم ذكر الطُّنُب فالحدادة فذات العُشَر (الثمامي) .

وأما الرقتان الواردتان في شرح شعر جرير ، وفي كتاب «معجم ما استعجم» فإحداهما : خَبْراءُ اليَنْسُوعة (بُريكة الأجردي) الواقعة غربها ، المعروفة باسم (أُمِّ عُشَرٍ) وتضاف إلى الأجردي للتفريق بينها وبين أُمِّ عُشَرٍ الواقعة في وادي فَلْج (الباطن) المعروفة قديماً باسم (ذات العُشَر) .

والثانية : إحدى الرقتين الواقعتين بقرب مَاوية في وادي فَلْج أيضاً .
الرقة : (الرقتان) .

الرُّقَيْعيُّ :

— بالضم وفتح القاف وإسكان الياء المثناة التَّحتيَّة وكسر العين المهملة تصغير الرُّقعي .

جاء في كتاب «بلاد العرب»[١٦] في ذكر منازل بني عدي ابن جُنْدب بن العَنْبر بن عمرو بن تميم : (والرُّقَيْعي ثَمَد لهم ، ينسب إلى بني رُقيع[١٧] ، وفيه يقول الشاعر :

يا ابن رُقَيْع هَل لها من مَغْبَق أمْ هَل لها عِنْدَكَ مِنْ مُعَلَّق
مَا شَرِبَتْ بَعْدَ قليب الغُربق من قَطْرَةٍ غَيْرَ النجاء الأدفق

— يعني خالد بن رُبَيْعة بن رُقَيْع .

قال هذا بَعْد قوله : أما منازلُ بني عَديٍّ بن جُنْدب[١٨] فَبطن فَلْج من طريق مكة ، ومُلْكُهُم من الطريق ما بين ذات العُشَر إلى الرُّقيعي .

ثم قال بعد ذكر الرقيعي : فهذه محاضرِهم في قَيْظِهِم ومَسْقَى أموالِهم ، ويتَبَدَّون في الصحراء بين الدَّوِّ والصَّمَّان . انتهى .

وأنشد الأصمعي — الرَّجز المتقدم على هذا النحو :

يَتْبَعن ورقاء كَلَون العَوهَق
لاحقة الرِّجْل عَنُود المرفق
يا ابْن رُقَيْع خَل لَهل من مَغْبَق
مَا شَرِبَتْ بَعْدَ قَليب القُرْبَق
من قَطْرَة غيْرَ النَّجَاء الأدْفق

القُرْبق : هو البصرة وقال النضر بن شميل : هو فارسيٌّ مُعرَّب ، وأصله (كُلْبَه) وهو الحانوت[١٩] .

وفي كتاب «المناسك»[٢٠] : — في وصف طريق الْمُصْعِدِ من البَصْرَة : (وعلى خمسة وعشرين ميلاً من الشَّجيِّ بركة وآبار يقال لها بركة الرُّقَيعي ذكرها وهب بن جرير في شعره قال :

حتى إذا مَرَّتْ على الرُّقَيْعي تَجْتَابُ اجوَازَ الفَلاَ بِالْبَوع
كالطِّرْفِ إذْ هُيِّجَ يَوْمَ الرَّوْع

ثُمَّ ذكر الخرجاء فالحَفَر.
أمَّا رَجَزُ وَهْبٍ. فقد ذكر قبله الشَّجيَّ قائلاً[٢١] :

حَتَّى إذا مَرَّت عَلَى الشَّجيِّ
وَاصِلَةَ الْغدُوِّ بالْعَشِيِّ
فَوَرَدَتْ والصُّبْحُ لمَّا يَنْسَفِر
فكرعَتْ في الْحَوْض كَيْمَا تَبْتَكِرْ
ثم مَضَتْ مُعْصفَةً لم تَنْتَظِر
حتى إذا كاد النَّهارُ يَنْتَصِفْ
طَفَقْتُ أثْنيها فَمَا كَادَتْ تَقِفْ
فَقُلْتُ للقَوْم : أنِيخُوا الأَيْنُقَا
أرَى كَلاَجَمًّا ومَرعى مُونِقَا
فَنَزَلوا وسَرَّحُوا الأباعِرا
وقَرَّبُوا زاداً لَدَيْهِم حَاضِرا
حَتَّى إذا ما الشَّمْسُ زالت وثَبُوا
فرَحَلُوا مَطِيَّهُمْ وركبُوا

ثم ذكر عن الرُّقيعي :

مَرَّتْ بِهِ فَلَمْ تَرِدْهُ وَمَضَتْ

وذكر أنها شربت في الخَرجاء، وأنهم نزلوها للمقيل، وباتوا في الحَفَر.

والرُّقيعيُّ هذا تَنْطَبِق أكثرُ أوصافه على مَنْهل الرُّقعي الواقع في وادي الباطن على ضفته الشرقية الجنوبية، شرق الحَفَر.

ولكن ينبغي ملاحظة أن الخرجاء المعروفة الآن تقع في الشمال الغربي من الرُّقعي،

والمفروض أنّ الطريق يتجه من الرقيعي إلى الحفر قَصْداً .

ويلاحظ أيضاً أن تحريف العامة للأسماء يكون غالباً منها تصغير الاسم ، لا تكبيره ــ كما هنا .

أما المسافة بين الخرجاء وبين الرُّقعي فهي على ما في كتاب «المناسك» سبعة أميال وهي حسب سيرنا حين مررنا به عشرة أكيال .

وينبغي التفريق بين الرُّقعي هذا والرُّقاعي الذي تقدم ذكره فهذا يقع غرب الدِّبدبَة ، والرقاعي يقع شرقها على مقربة من الكويت .

(يقع الرقعي بقرب خط الطول ٣٢َ ــ ٥٦° وخط العرض ١َ ــ ٢٩°) .

وللرقيعي ذكر كثير في الكتب ، لا يخرج عما تقدم ، أما ياقوت رحمه الله ــ فذكر في «معجم البلدان» أنه ماءٌ بين مكة والبصرة لرجل من تميم !! وأشار في «القاموس» وشرحه إلى الاختلاف هـ هو بالفاء أو القاف وهو اختلاف لا يُوبَه به .

الريـاض حمـد الجاسر

---

(١) زرت الرقعي في ٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٨ .

(٢) غالباً ما يكون تغيير العامة للأسماء بتصغيرها لا بتكبيرها ، فكيف هذا؟! .

(٣) القسم الجغرافي ٢٨٠٢ .

(٤) ٧٦ .

(٥) ٩٣ .

(٦) كلمتا (الفروتين) و(الفزو) في النصين المتقدمين تصحيف (الفروين) .

(٧) ديوان جرير : ٧٦٤ ، و«النقائض» ١٠٣٦ .

(٨) «تهذيب اللغة : ١٤٣/٩ .

(٩) أبو منصور في كلام صاحب «المعجم» هو الأزهري .

(١٠) أنظر عن ساق «بلاد القصيم» من أقسام «المعجم الجغرافي» .

(بقية الحواشي ص ٦٢٤)

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٧ —

حَرف الثاء

١٥٩ — بَابُ ثَبِيرٍ وَسَرٌ[(١)]

أمّا الأَوّلُ — بفتح الثاء بَعْدها بَاءٌ موحَّدَةٌ مَكْسُورة ثُمَّ يَاءٌ ساكِنَةٌ تَحتَهَا نُقْطَتان ، وآخِرُهُ راءٌ — : مِنْ أعْظَم جِبَالِ مَكَّة بَيْنَها وَبَيْنَ عَرَفَة وفي الحديث : كان المُشْرِكُونَ إذَا

---

(١) هذا الباب في كتاب نصر.

نَصُّ كلام نَصْر : (ثَبِير جَبَل ضَخْم بين عرَفَة ومكة ، وهذا الاسم له ولثلاثة أجْبالٍ تُصَاقِبُهُ ، ولكل واحد سِمةٌ تُميّزهُ : ثَبِيْرُ غَيْنا ، وهي قُلّةٌ على رأسِهِ ، وثَبِيْرُ الأحْدَب ، وثَبِير الأعْرَج ، وذكر وَكِيْع الأثْبِرَة : ثَبِير غَيْنا ، وثَبِيرُ الزّنج ، لأن الزّنْج كانوا يلعبون عنده ، وثَبِيْر الخَضْراء ، وثَبِيْر النّصع ، جبل المُزدَلَفَة . واذا ثُني ثَبِير أريد بهما ثبِيْر وحِراء . انتهى كلام نصر.

---

(١٢) ص : ٥٩٣ .

(١٣) «بلاد القصيم» : ١٦٧ .

(١٤) كتاب «المناسك» ص ٦٢٦ .

(١٥) ص : ٥٨ .

(١٦) ص : ٢٤٧ .

(١٧) في «جمهرة النسب» لابن الكلبي : ومن بني عدي بن جندب خالد بن ربيعة رقيع — وساق نسبة إلى عدي وقال — الذي ينسب إليه الرقيعي ، الماء بطريق مكة إلى البصرة وكان ربيعة بن ابن رقيع أحد المنادين من وراء الحجرات .

(١٨) لبني العنبر بن عمرو بن تميم .

(١٩) «معجم البلدان» — قربق — .

(٢٠) ٥٧٨ .

(٢١) ٦٢٤ .

أرادُوا الإِفَاضَةَ مِنْ جَمْعٍ كَانُوا يَقُوْلُونَ : أَشْرِقْ ثَبِيْرٌ ، كَيْمَا نُغِيْرُ .

وهُنَاكَ أَثْبِرَةٌ سِوَاهُ مِنْهَا ثَبِيْرُ الزِّنْجِ ، لِأَنَّ الزِّنْجَ كَانُوا يَلْعَبُونَ عِنْدَهُ وثَبِيْر الأَعْرَج .

وثَبِيْرُ الخَضْرَاءِ[1] .

وثَبِيْرُ النَّصْعِ وهُوَ جَبَلُ الْمُزْدَلِفَةِ .

وثبير غَيْنا .

وثَبِيْرٌ أيضاً في دِيَارِ مُزَيْنَةَ ، وفي حَدِيْث شَرِيْس بْنِ ضَمرَةَ المُزنيِّ لَمَّا حَمَلَ صَدَقَتَهُ إلى رَسُول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : مَا اسْمُكَ ؟ قال : شَرِيْسٌ . قال : «بَلْ أَنْتَ شُرَيْحٌ» وقال : يا رسول الله أَقْطِعْنِي مآءً يُقَالُ لَهُ ثَبِيْر . قَالَ : «قَدْ أَقْطَعْتُكَهُ»[2] .

وأمَّا الثَّاني ــ أَوَّلُهُ سِيْنٌ مُهْمَلة مَضْمُومَةٌ ، ثم رآءٌ مُشَدَّدَةٌ ــ : مَوْضِع حِجَازِيٌّ في دِيَار مُزَيْنَةَ .[3] .

---

(١) الأَثْبِرَة من جبال مكة تقع شرقها وجنوبها إلى مِنًى فَمزدَلفة ، وقد حدّدها الأزرقيُّ ، وليس منها ما يُعرَفُ الآن باسمه القديم ، كثَبِيْر غَيْناء يُعرَف الآن بجبل الرَّخم ، وهو مقابل لِحِراء ، يَمرُّ الطريق إلى نَجْدٍ بينهما .

(٢) خَبَرُ شَرِيْس المُزَني أورده ابن حَزْم في «جَمْهَرَة أنساب العرب» مختصراً بهذا النَّص : (وشُرَيْح بن ضَمْرَة بن لُحَيٍّ بن جَرْس بن لاطم بن عثمان بن عَمْرو بن أدٍ ، أَوَّلُ من جَاء بَصَدَقة مُزَيْنَة إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر ابنُ عبد البَرّ و ابن حَجَرٍ شُرَيْحَ بن ضمرة وأنه أول من قدم بصدقة مُزَيْنَةَ ولم يزيدا .

أما نَصْر فقال في كتابه : (وثَبِيْر أيضاً : ماءٌ في دِيَار مُزَيْنَةَ ، ذُكِرَ أنَّ أوّل صَدَقةٍ سِيْقَتْ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم صَدَقَة سَاقَهَا شَرِيْسُ بن ضمْرة المُزنيُّ ، فقال لهُ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : «ما اسمك - » قال : شَرِيْس : قال : «لا بلْ أنْتَ شُرَيْح» فتَسَمَّى بها وقال : يا رسول الله اقْطَعني ماءً يُقَالُ لَهُ ثَبِيْر ، فقال «أقْطَعْتُكَهُ» انتهى كلام نَصْر ، وبنحوه قال ياقوت في «معجم البلدان» .

وبلاد مُزَينةَ عند ظهور الإسلام بقرب المدينةِ في جنوبها في أعلى العَقِيق وجبل وَرِقَانَ وما حَوْلَهُ مجاورة لِسُلَيْمٍ من القُرْب ، وقد أقْطع الرسول صلى الله عليه وسلم بلال بن الحارث المُزنيَّ أماكن في تلك الجهات .

(٣) قال نَصْرٌ عَنْ سُرٍّ : (وأما سُرٌّ مَوْضِعٌ عند جَبَل قُدْسٍ في دِيَار مُزَيْنَةَ بِالحجاز) . انتهى ولم يَرِد ياقوت في «معجم البلدان» على هذا .

على أنَّ بعض العلماء كالصَّاغاني في «التكلة» ذكر أن السُّرّ في ديار مُزَيْنَةَ ، ولا أَسْتَبْعِدُ أن يكون هذا ، بل لا أستبعد أن يكون المُقْطَعَ ، فصُحِفَ إلى ثَبِيْر ، وما أكْثَرَ التَّصحيْف في أسماء المواضع .

١٦٠ ـــ بَابُ تُرَيّا وَيُرْنَا[1]

أمَّا الأوَّلُ ـــ بَعْدَ التَّاءِ الْمَضْمُومَةِ رآءٌ مفتوحةٌ ثم يَآءٌ مُشَدَّدَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان ـــ : اسْمُ بِئْرٍ بمكَّةَ لِبَنِي تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ. وقال الْوَاقِدِيُّ : كَانَتْ لِعَبْدِ الله بْنِ جُدْعَان[2].

وأمَّا الثَّانِيْ ـــ أَوَّلَهُ يَاءٌ مَضْمُومَةٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَان ، ثُمَّ رآءٌ ساكِنَةٌ بَعْدَهَا نُونٌ ـــ : وَادٍ حِجَازِيٌّ يَسِيلُ في نَجْدٍ[3].

---

(١) من أبواب كتاب نصر وفيه (الثُّرَيَّا) بالتعريف.

(٢) هذا نَصُّ كلام نَصْرٍ وزاد : (وأيضاً : ماءٌ بحمى ضَرِيَّة ، وثَمَّ جَبَلٌ يقال له عاقِرُ الثُّرَيَّا) انتهى.
والبئر التي كانت بمكة حدد موقعها الأزرقيُّ في كتاب «أخبار مكة» وعبدالله بنُ جُدْعان من تَيْم بْنِ مُرَّةَ فلا اختلاف بَيْنَ القَوْلَيْن ، وقَد دَرَسَتْ ابارُ مكة بَعْد إجراء الماء من خارجها.
والثُّرَيَّا ـــ الماء الذي في حِمى ضَرِيَّة ـــ لا يَزَالُ معروفاً ، وهو في وسط جبل شُعَبَا ، في وادٍ يُدْعَى وادي عِيْدَةَ ، وانظر عنه كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ٦٨٥.

(٣) تَعْريف يُرْنَا هو نَصُّ كلام نَصْرٍ ، وزاد : (وذُكِرَ يُرْنَا أيضاً مَعَ تَارَا ، أظُنُّهُ مَوْضِعاً آخَرَ ، لأنَّ تارَا شَامِيَّةٌ) انتهى.
ولكن يُلاحظ :
١ ـــ الاختلاف في ضبط الإسم هل هو بالتاء المثناة الفوقية (يُرْنا) أو بالياء المثناة التَّحتيَّة (تُرْنَا) فقد ورد فيهما في كثير من معجمات اللغة والأماكن.
٢ ـــ قول نَصْرٍ عن يُرْنَا أنه وادٍ حجازيٌّ يسيل في نجد أورده ياقوت بصيغة الضعف : (قِيْلَ) وأورد شاهداً عليه من قصيدة حماسية لِلعُديل بن الفَرْخ ، منها :

فَمَا تُرْبُ يَرْنَا ، لَوْ جُمِعَت تُرَابُهَا
بِأَكْثَرَ مِنْ آبْنَي نِزَارٍ على العَدِّ

إذَن هو موضع كَثِيْرُ التراب ، يُضْرَب بكثرته المثل ، وليس في الحجاز رِمَالٌ بهذه الكثرة ، ولكنها في شرق الجزيرة ، كالدَّهناء وعالِجٍ ويَبْرِيْن ، والدَّبِيْل.
وورد الاسم موصوفاً بكثرة الرمل ـــ بالصيغتين : (تُرْنَا) و(يُرْنَا) مع الاختلاف في ضَبْطِ أوَّلِهِ هل هو بالضَّمِّ أو الفتح ـــ في «ديوان رُؤْبة بن العجَّاج»

رَجْرَجْنَ من أعْجَازِهِنَّ الخُزَّلِ
أوْرَاكَ رَمْلٍ وَالِجٍ في رَمْلِ
من رَمْلِ تُرْنَا أو رِمَالِ الدَّبْلِ

وقال البكريُّ ـــ في «معجم ما استعجم» بعد أن ذكر الاختلاف في ضَبْطِ الاسم : (تُرْنا رَمْلَةٌ في دِيَار بني سَعْدٍ ، قال العجَّاج :

بِرَمْلِ تُرْنَا ، أوْ بِرَمْلِ بوزعا

وأورد الصاغاني هذا الشطر في «التكملة» ٤٣٧/٦ منسوباً لِرُؤْبَة :

١٦١ ــ بَابُ ثُعْلٍ وَبَعْلٍ وَنَعْلٍ(١)

أمَّا الأَوَّلُ ــ بَعْدَ الثَّاءِ المَضْمُومَةِ عَيْنٌ مُهْمَلَةٌ سَاكِنَة وآخِرُهُ لاَمٌ : وَادٍ حِجَازِيٌّ قُرْبَ مَكَّةَ فِي دِيَارِ سُلَيمٍ(٢) .

ومَآءٌ بِنَجْدٍ فِي دِيَارِ بَنِي كِلابٍ وَقَدْ جَاءَ فِي الشِّعْرِ(٣) .

وَأَمَّا الثَّاني ــ أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ وَالْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ــ شَرَفُ البَعْلِ جَبَلٌ في

أعَــيْــنُ فَــــرَّادٌ، إذا تَــقَــمَّــعــا
بِــرَمْــلِ يَــبْــرِنَــا أو بِــرَمْــلِ بَوزَعَا

وفي «ديوان رُؤْبة» أيضاً ــ ١٦٢ ــ من أرجوزة طويلةٍ في مَدْحِ بلال بن أبي بُرْدَةَ الأشعريّ :

كَــمْ جَــاوَزَتْ مِنْ حَــاسِـرٍ مُــرَبَّن
وقُفُّ أَقْــفَــافٍ، ورَمْــلٍ بَــحْــوَنِ
مِنْ رَمْــلِ يَــبْــرِنَــا ذِي الــرُّكَــامِ الأعــكَن

٣ ــ تكرار ذكر اسم هذا الموضع في شعر رُؤْبة يَدُلُّ على أنه في بلاده أو قريب منها في شرق الجزيرة ، والقول بأنه في ديار بني سَعْدٍ يَدُلُّ على أنه في جهات يَبْرِينَ ، حيث رِمَال بني سعد .

أما تارا التي ذكر نَصْرٌ أنّها شاميَّةٌ ، فقد ورد الاسم في خبر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبُوك أنَّ من المساجد التي صَلَّى فيها مَسجد الشَّقّ شَق تَارا ، واسم تارا غير معروف الآن ، ولكن الشَّقّ معروف في موضع واسع يُدْعَى الجَوّ ، يقع جنوب مدينة تبوك بنحو مئة وسبْعين كيْلاً ، يمُرُّ به طريق تبوك إلى العُلا ، وهُناك منهل للبادية باسم الشَّقّ .

والمتقدمون يتوسعون في وصف الأمكنة الواقعة شمال المدينة بأنها شاميَّةٌ ، وإن كانتْ خارجة عن بلاد الشام المعروفة الآن .

(١) هذا الباب أورده نَصْرٌ في (باب النون) ولم يَزِد الحازميُّ على كلام نَصْرٍ .

(٢) هذا تعريف نَصْرٍ ، وعلَّق عليه ياقوت في «معجم البلدان» بقوله : إن صَحَّ هذا فهو غير الأول ــ يقصد الثُّعْل ــ الماء الذي بِقُرْب سَجَا ــ وأنا لا أستبعد عَدَم الصِّحَّة ، فاسم الثُّعل يطلقُ على وادٍ فيه ماءٌ ، وهو يَلِيْ بِلاَدَ بني سُلَيْم ، ولكنَّ بلادَ هاؤلاء ليست قُرْبَ مكَّةَ ، إنَّها تقع شرقي الحِجَاز في الحَرَّة المنسوبة إليهم ــ حَرَّة رُهَاط ــ وما امتدَّ من أوديَتِها شَرْقاً صَوْبَ نَجْدٍ ، وغَرْباً مُخْتَرِقاً الحجاز صَوْبَ تِهَامَةَ ، ويَنْساحُونَ في نجدٍ جوار بلاد بني عامرٍ حتَّى الدَّفِينَةِ وقُرْب حِمَى الرَّبَذَة ، ولهذا فوادي الثُّعْل يقع غير بَعِيْدٍ عن أطراف بلادهم الشرقية الجنوبيَّة .

(٣) الماءُ الذي كان في ديار بني كلاب في نَجْدٍ واقعٌ في وادي الثُّعْل الذي لا يزال معروفاً ، وله ذكر كثيرٌ في الشِّعْر ، وهو قريبٌ من سَجَا ــ المنهل المعروف ــ كما جاء في تعريف نَصْرٍ ، يقع غَرْبَه بنحو عشرة أكيال ــ وانظر عنه كتاب «عالية نجد» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ ص ٢٦٤ .

طَرِيْقِ الْحَاجِّ مِنَ الشَّامِ[١] .

وأمَّا الثَّالِثُ ـــ أَوَّلُهُ نُوْنٌ مَفْتُوحَةٌ ، والْبَاقِي نَحْوَ مَا تَقَدَّمَ قَبْلَهُ ـــ : مَوْضِعٌ بَيْنَ تِهَامَةَ والْيَمَنِ[٢] .

١٦٢ ـــ بَابُ ثَكَنٍ وَبَكْرٍ[٣]

أمَّا الأَوَّلُ ـــ بِفَتْحِ الثَّاءِ والْكَافِ ، وآخِرُهُ نُوْنٌ ـــ : جَبَلٌ مَشْهُورٌ فِي الْبَادِيَةِ ، له ذِكْرٌ كَثِيْرٌ فِي الأَشْعَارِ[٤] .

---

(١) شَرَفُ الْبَعْلِ يُعْرَفُ الآن باسم الشُّرَف ، وشَرَف بني عَطِيَّة ، وباسم الشُّرَفَة أيضاً مضافة إلى سكانها الآن ، وتقع على طريق الحجاج القادمين من الشام أو مِنْ مِصْر ، طريق السَّاحِل بَيْنَ حَقْل والمُوَيْلح ، وانظر لتحديد موقعها كتاب «شمال المملكة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ـــ ص ٧١٤ ـــ وكتاب «في شمال غرب الجزيرة» ـــ ص ٤٥٣ ـــ ولكن يلاحظ أن شرف البعل ليس جَبَلاً بَلْ أرض مرتفعة عما حولها ، ولهذا فهي شديدة القَرّ .

(٢) نَعْلٌ ـــ الذي حَدَّدَ نصر بأنه موضع بتهامة بينها وبين اليمن لم أرَ له ذكراً سوى ما جاء في «معجم البلدان» : نَعْلٌ أرض بِتِهَامَةَ واليمن ، وقيل حِصْنٌ على جبل شطبٍ . والأخير ذكره صاحب «القاموس» وشارحه مُعَرَّفاً . ومع ركاكة عبارة تحديد الموضع لا أستبعد عدم صحَّة الاسم .

(٣) زادَ نَصْرٌ : (نُكْد) .

(٤) هذا الجبل الذي وصفه الحازميُّ بأنه مشهور ومذكور ، قال عنه نَصْر : (جبل أَحْسِبُهُ نَجْدِيّاً ـــ وقيل بضمها) يعني الثاء . ولم يَزِدْ ياقوت في «معجم البلدان» على قوله : (ثَكَنٌ بالتحريك ـــ : جبل بالبادية ، قال عبدُ المَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بن حَيَّان بن بُقَيْلَة الغسَّاني لِسطيحٍ ، وكانَ خاطبَهُ فَلَمْ يُجِبْ لِأنَّه كان قد مات .

أَصَمُّ أَمْ يَسْمَعُ غِطْرِيفُ الْيَمَن؟!
تَلُفُّهُ بالرِّيحِ بَوغاءُ الدِّمَن
كَأَنَّما حَثْحَثَ مِنْ حِضْنَي ثَكَنْ
أَزْرَقُ مُمْهَى النَّابِ صَرَّارُ الأُذُنْ

وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم» : ثكنُ ـــ بفتح أوَّلِهِ وثانيه ـــ : اسم جبل معروف ، وفي حديث سَطِيح ـــ ثم أورد بيت تَلُفُّه في الرِّيح .

وفي «القاموس» وشرحه : وثَكَن ـــ محركة ـــ جبل معروف ، نقله الجوهريُّ وابْنُ سِيْدَه ، وقال النضر أحسبه نَجْدِيّاً . انتهى . والقول لنصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه ـــ كما تقدم ـــ لا للنَّضر .

ولَمْ أرَ شعراً ذُكِر فيه ذلك الجبل سوى رَجز عبد المسيح ، وخبر ذلك الرَّجز في كثير من كتب التَّاريخ التي أوردت أخبار الارهاصات التي سبقت البعثة ـــ ككتاب «البداية والنهاية» لابن كثير وغيره .

ولَمْ أجِدْ تحديداً واضحاً لموقع ذلك الجبل فيما اطلعت عليه من الكتب .

وَأَمَّا الثَّاني ـــ أَوَّلُه بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ، والْكَافُ سَاكِنَةٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ ـــ : وادٍ في دِيَارِ طَيِّىءٍ عِنْدَ رَمَّانَ[1] .

١٦٣ ـــ بَابُ تُوْرَة وَبُورَة

أَمَّا الأَوَّلُ : ـــ بِفَتْحِ التَّاءِ والواوُ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا راءٌ ـــ : نَهرٌ بِدِمَشْقَ[2] .

وأَمَّا الثَّاني ـــ : أَوَّلُهُ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَضْمُومَةٌ والبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ ـــ : مَدِينَةٌ على النِّيلِ ، يُصْطَادُ مِنهَا سَمَكٌ يُقَالُ لَهُ البُورِيُّ[3] .

---

(١) وادي البَكْر ـــ ولا يزال معروفاً مُعَرَّفاً ـــ من أودية جَبَل رَمَّان ، حَيْثُ بلاد طَيِّء قديماً ـــ بل هو أشهر أودية ذلك الجبل وأعظمها ، يقسم الجبل قسمَين ، وله روافد كثيرة من أشهرها وادي لُكَان ـــ بضم اللام وفتح الكاف بعدها أَلِفٌ فنون ـــ وانظر عن تحديد وادي البكر كتاب «شمال المملكة» ص ٢٢٢ .
أمّا ثَكْدُ ـــ الذي زاده نَصْرٌ فقال : بفتح الثاء ـــ وقيل بضمها ـــ وسكون الكاف ، ثم دالٌ ـــ : أحَدُ الأمواه بَيْنَ الكُوفَةِ والشام . انتهى .
وفي «معجم البلدان» ثُكُدُ ـــ بالضم ـــ مُرْتَجَلٌ ـــ : ماءٌ لبني نُمَيْرٍ ، وقد ضَمَّ الأخطل كافَهُ فقال :
حَلَّتْ صُبَيْرَةُ أَمْوَاهَ الْعُدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحُلُّ وأَدْنَى دارِها ثُكُدُ
وقيل في تفسيره : ثكُدُ ماء لِكَلْب . وقال نَصْرٌ : ثُكُدُ ماءٌ بين الكوفة والشام ، وقال الرَّاعي :
كَأَنَّها مُقْطٌ ظَلَّتْ عَلَى قِيَمٍ مِنْ ثُكْدَ ، واغتَمَسَتْ في مَائِها الكِدرِ
انتهى كلام صاحب «المعجم» وأرى قوله بأنه ماءٌ لبني نُمَيْرٍ مَبْنِيّاً على ورود الاسم في شعر الراعي ، وهو عند الاطلاق نُمَيْرِيٌّ ، ولكن من شعراء كلب مَنْ يُدْعَى الرَّاعي أيضاً ذكره الآمِدِيُّ في كتاب «المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء» وأشار إلى أنَّ من شعره ما دخل في شعر الراعي النُّمَيْري . وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم : ثُكْد اسم بئر في ديار بني تغلب ، وأورد قول الأخطل وعلى هذا أرى الموضع في شمال الجزيرة حيث بلاد كلب أو تغلب ، وبلادهما متجاورة .

(٢) لَمْ يَزِدْ الحازميُّ على ما في كتاب نَصْرٍ .
النَّهْرُ الذي في دمشق قال عنه صاحب «معجم البلدان» : ثَوْرَا ـــ بالفتح والْقَصْر ـــ : اسم نَهْرٍ عظيم بدمشق ، وقد وُصِفَ في بَرَدَى ، وقَدْ جاء في شِعْرِ بَعْضِهِم ثَوْرَة ـــ بالهاء ـــ وهو ضَرُوْرة . وقال في الكلام على بَرَدَى : فإذا صارَ ماءُ بَرَدى إلى قرية يُقال لها دُمَّر افترق على ثلاثة أقسام ، لِبَرَدَى منه نحو النِّصْف ، ويفترق الباقي نَهْرَيْن : يقال لأحدهما ثَوْرَا في شمالي بَرَدَى ، والآخر باناس في قبليّه ، وتمتزج هذه الأنهار الثلاثة بالوادي ثم بالغوطة ـــ إلى آخر كلامه .

(٣) بُورَةَ المدينة التي بِمِصْر قال عنها صاحب «معجم البلدان» : قُرْبَ دِمْيَاط ، تُنْسَبُ إليها العائِمْ البُورِيَّة ، والسَّمَك البُورِيُّ ، منها محمد بن عمر بن حَفْصٍ البُورِيُّ . قال عبد الْغَنِيّ بنُ سَعِيدٍ : حَدَّثُونا عنه . انتهى .

الحُقْبَان : أصلهم وفروعهم

... اطلعت على مجلة «العرب» ج ٣ ، ٤ س ١٥ (رمضان وشوال سنة ١٤٠٠ هـ) على مقال : (أصول الأسر القديمة في مدينة الرياض) للأخ أحمد بن سليمان .

وقبل الدخول في الموضوع لفت نظري تعليق يتضمن عنايتكم بوضع معجم عن «أصول الأُسَر المتحضرة في نجد» وقد أمدكم أحد تلاميذكم الأستاذ أحمد بن سليمان بهذا البيان استجابة لرغبة منكم .

وحتى تكون المعلومات المقدمة لكم ذات صيغة تتصف بالعمق كما يعرفه الناس عن انسابهم التي عنوا بها وتابعوها وسجلوها كابراً عن كابرٍ.. حيث أنهم مؤتمنون على أنسابهم من جهة .. ومن أخرى فإن كثيراً من الأُسَرِ والقبائل قد دخل بعضها في بعض لاعتبارات اجتماعية أو عائلية .. كالمجاورة .. والأحلاف وغيرها مما لا يخفي على كثير من الناس هنا ..

لقد لفت نظري ما أشار إليه الأخ أحمد (ص ١٩٩) عندما قال (الحقابين) بأنهم من الحقبان من الدواسر.

و(ص ٢٠٢) عندما قال عن الشواعر بأنهم من عنزة .

وإنني إذْ أُقَدِّرُ لأستاذي الشيخ حمد ما أطلعني عليه من أوراق ومعلومات تحصل عليها .. عن نسب الشواعر الذين في شقراء وأُثيفِيَةَ وعما توصل إليه من معلومات عن قبيلة (الحقبان) وأصلهم .

تلك المعلومات التي دعّمت ما لديَّ من معلومات .. وجمعت من الرجال العارفين عن هذه القبيلة .. وما توفر لدى بعضهم من تسجيلات مرصودة . فأقول : بأن قبيلة الحقبان التي تعتبر الآن من الدواسر .. ترجع في أصلها الى تغلب العدنانيين وقد دخلت مع الدواسر بالحلف .. كما هو السائد في قبائل نجدٍ إلى وقت قريب ، بأن يَلْتَجِيء

الأضعفُ إلى من هو أقوى منه بالتحالف للحماية في وقت كانت العصبية القبليّة تضرب بجرانِها ، والكلمة فيها للأقوى ..

ولما كانت (تَغْلِب) قد هاجرت من قلب الجزيرة إلى شمالها في الشام والعراق فإن من تبقّى منها دخل مع القبائل الأخرى في أحلاف كما هو الحال في قبيلة (الدواسر) التي تَنْتَسِبُ في جذورها إلى جذمي العرب قحطان وعدنان .. حيث أخذ بهذا الرأي فؤاد حمزة في كتابه «قلب جزيرة العرب» قال (ص ٥١٨) : والدواسر يقسمون إلى قسمين الأول دوسر وينسب إلى تغلب العدنانيّة ، والثاني زائد ، وينسب إلى قحطان) ثم قسم آل دوسر بن تَغْلب إلى خمسة أفخاذهم : المصارير ، والحقبان ، والخُبَيْلات ، والعمور والمشاوية [ص ١٥٨] .. عنه أخذ رضا كحالة في «معجم قبائل العرب» ج ٢٨٦/١ أما الألوسيُّ فلم ينسب الدواسر لأحد بل قال : إنهم من عرب اليمن ولم يُنْسَبُوا إلى أحدٍ [تاريخ نجد ص ٩٣] .

أما القائلون بأن الحقُبان ينسبون إلى تغلب الغلباء القحطانية فهذا الرأي لا يستند على أصل .

وقد كانت مساكن الحقبان بلدة كَمْدَة بوادي الدواسر .. وما يجاورها ، والأفلاج والخرج .

وقد تفرقوا في أنحاء الجزيرة بعد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حيْث سكن (الشواعرة) الدرعيَّة ومنها تفرقوا .

وكلمة الشواعرة هكذا يطلقونها في اصطلاحهم على قبيلة آل الشُّويعر .. إذْ الكلمة التي جاءت في مقال الأخ أحمد السليمان (الشواعر) فهي جمع تكسير للمرأة الشاعرة : تقول امرأة شاعرة ، ونساء شواعر .. ولا يصح إطلاقها علماً لقبيلة .

وتنقسم قبيلة الحقبان إلى الأفخاذ التالية :

آل مرشد : **الرمازين** ، الهدايا ، الشواعرة ، المغانمة ، آل جريس ، آل أبا القرب .

[عن وثيقة خطيّة متوارثة وهي لدى نغيمش بن بادي] .

ـــ فآل مرشد يسكنون الخرج ، ومنهم الأُسَر التالية : آل جفيران ، آل عجران ،

آل مطيع ، آل بادي ، وآل سفر ، آل دخيل في أبها والرياض ، آل مقيم في الأحساء .

ـــ وأما الرمازين فمنهم آل غنيم في الخرج ، وآل صقر في الحوطه (حوطة بني تميم) وآل باتل في الأحساء ، وآل شايع في الأحساء ، وآل شملان في الأحساء والخرج وآل القديمي في الرياض .

ـــ المغانمة ومنهم : آل فارس في كمذة بوادي الدواسر وفي الخرج ، آل حميدي في الخرج وفي الأحساء ، آل رزقان في حائل ووادي الدواسر ، آل رجب في أبها والأحساء آل حسين في القويعيّة .

ـــ الهدايا : منهم آل ناصر في الدلم بالخرج ، وآل عامر في الاحساء .
ـــ آل جريس وهم سكان الصغو بالأفلاج ، وآل خلف .. ويعرفون أيضاً باسم الخرصة نسبهم إلى الجد الأعلى للحقبان جميعاً .. آل أبا القرب في منطقة الجنوب وقد لحقوا بسُبَيْع .

أما فخذ آل الشويعر ، . فمع كثرتهم واحتفاظهم بهذا الاسم الذي هو اسم للقبيلة حيث أصبح أيضاً اسماً للأسر .. فقبل أن نُشير إلى أماكن مساكنهم ، فإنه يحسن أن نشير إلى من يشاركهم التَّسْمِيَة .

١ ـــ مجموعة أُسَرٍ في حائل وشقراء ، يرجعون إلى السَّيايرة من بني خالد ، وجَدُّهُم حُمَيْدَان الشويعر الذي سكن بلدة القَصَب .. ثم انتقل منها إلى أُثَيْثِية ـــ بالوشم ـــ ومنها خرج بنوه ، فسكن بعضهم شقراء ، وبعضهم استوطن حائل ، وهو أول من أخذ هذه التَّسمِيَةَ .

٢ ـــ مجموعة في الرياض لا ينتمون إلى قبيلة معروفة لدينا ، ويعرفون بأهل القرينة .. وهناك أناس آخرون أيضاً في المنطقة الشرقية من المملكة .
٣ ـــ أفراد قلائل في منطقة جازان أخذوا التَّسمية لأولادهم عندما كان الأمير حمد بن عبدالله الشويعر أميراً في جازان .. كما هي العادة السائدة في مجتمعهم بالتسْمية على الأشخاص المرموقين .

٤ ـــ الذين ينتمون إلى الحقبان ـــ القبيلة التغلبية ، وهؤلاء استوطنوا الدرعية بعد

ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الاصلاحية التّجديدية .

وقد كان لهم قبل استيطان الدرعية مكانة في قيادة الحجاج ، وتأمينهم في أراضي الدواسر . ومع القبائل المجاورة ، إذ لا يزال أحد دروب الأحساء المتجهة إلى الخرج فكة بها علامات تسمى أبراج الشويعر ، ورجم الشويعر ، شرق الخرج ، والرجم هو العلامة الشاخصة في الفلاة المبنية من الحجر على مرتفع من الأرض ، ليكون بارزاً يراه المسافر من بعيد ، ويهتدي به .

وفي عام ١٢٣٣ هـ بعدما هدم ابراهيم باشا الدرعية في حملته المشهورة على نجد : وتَسَلُّطه على الدولة السعودية الأولى ، تفرّق من بقي على قيد الحياة فيما حول الدرعية : الرياض وما يجاورها .

وبعد أن استقرت الأوضاع بعودة الإمام تركي بن عبدالله ، واستجماعه ما تَشَتَّتَ من هذه الدولة ليبدأ الدور الثاني من أدوار الدولة السعودية ، وبعد أن اتخذ الرياض قاعدةً للدولة عوضاً عن الدرعية . استقر أفراد هذه القبيلة في أربع مدن في نجد : الرياض وشقراء وجلاجل وحائل .

وإن كان الزمن المحدد لاستقرار كل مجموعة في كل بلد غير واضح تماماً ما عدا سكان حائل فإن الزمن التقريبي الذي نضعه مأخوذ من النظرية التاريخية التي تحدد كل قرن بثلاثة أجيال على اعتبار أن المتوسط لعمر كل واحد بينه وبين ابنه ٣٣ عاماً ومن هذا المنطلق سِرْنا .

١ ــ الساكنون الرياض هم الذين تحولوا من الدرعية .. إلى ما يجاورها .. ثم إلى الرياض .. ونتوقع أن استقرارهم في أيام الإمام تركي بن عبدالله ..

وهؤلاء لم نستطع تحديد جدٍّ واحد يلتقون فيه ، لعدم ضبطهم لتسلسل الآباء ، ثم معرفة التقاء كل مجموعة في جدٍّ يلمُّهُمْ .. رغم ما في هذا من أهمية في تقسيم المواريث الشرعية .

وهم أبناء : عبد الرحمن بن ناصر الشويعر ــ وأخيه عبد العزيز بن ناصر الشويعر ، بعضهم في الخرج .

ـــ محمد بن عبد الرحمن الشويعر الذي توفي في حدود عام ١٣٠٠ هـ وهو جد الشيخ محمد بن عبد الرحمن الشويعر إمام مسجد الظهيرة في الرياض رحمه الله المتوفي عام ١٣٨٨ هـ .. والموجود على قيد الحياة منهم هم أبنا الشيخ محمد هذا .

ـــ عبدالله بن عبد العزيز الشويعر المتوفي في حدود عام ١٣٤٥ هـ بعضهم يسكن الخرج .

ـــ ابراهيم بن عبدالله الشويعر الملقب «الشّعلا» المتوفي في حدود عام ١٣٧٥ هـ .

٢ ـــ الساكنون في شقراء .. في حدود عام ١٢٦٠ هـ سكن حمد بن ناصر الشويعر وابن أخيه محمد بن ابراهيم بن ناصر الشويعر القراين القريبة من شقراء .. ثم تحولا منها إلى شقراء .. وأولادهما هم الساكنون في شقراء .. ثم الرياض ، ومرات والمدينة المنورة .

واشكر الشيخ الفاضل الشيخ حمد الجاسر الذي أطلعني على أوراق خطية من تركة الشيخ صالح بن عثمان القاضي من علماء عنيزة مكنت ما لدي من معلومات أوردتها هنا علماً بأن هذه المعلومات .. وما يليها استقيتها من وثائق متوارثة .. ومن وصايا و(قسَّاميَّات) المواريث .

٣ ـــ الساكنون في جلاجل في سُدير هم أبناء : عبدالله بن علي بن عبدالله الشويعر وأبناء أخيه محمد بن علي .. وقد سكنا جلاجل في حدود عام ١٢٧٠ هـ .. حيث انتقلا مع والدتهما وكانا يتيمين ، وقد كانا قبل ذلك في حُرَيملاء بعد النزوح من الرياض ، وسلالتهما في جلاجل ، والرياض ، وأبها ، والدمام ، والدوادمي .

٤ ـــ الساكنون في حائل وجدهم أول من ذهب من الرياض ، في عام ١٢٤٣ هـ كما أسلفنا ذكر ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد» أن الإمام تركي بن عبدالله بعدما وفد عليه عيسى بن علي رئيس جبل شمَّر ، ومعه رجال من قومه فبايعوه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة ، جعل في بيت مال الجبل الشويعر .. ويرى محققه أنه غير مستقيم ، ولعل صحة اسمه «حمد الشويعر» [٢ : ٤١] ، وهذا هو الراجح لدينا .. اذ تؤكد المعلومات الموجودة حسب التسلسل التاريخي أن اسمه حمد بن علي الشويعر وأولاده

مكتبة العرب

دراسات تاريخ الجزيرة العربية :

كان (قسم التاريخ في كلية الآداب في جامعة الرياض) قد عقد نَدْوةً لدراسات تاريخ الجزيرة العربية ، في أول شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٧ هـ «(آخر شهر ابريل سنة ١٩٧٧ م) شارك فيها علماء من مختلف الأقطار ، من عَرَبٍ وغيرهم — بأبحاث تناولت مختلف جوانب تاريخ الجزيرة .

وقد قامت (جامعة الرياض) بنشر طائفة من تلك الأبحاث ، بعد أنْ راجعتها لجنة من العلماء المتخصصين بالنواحي التاريخية العامة ، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري ، الذي تولى رئاسة (الندوة العالمية الأولى لدراسات تاريخ الجزيرة العربية) .

فصدر الجزء الثاني منها بعنوان (دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول :

يقيمون في حائل ، والدمام ، والخبر ، وفي الأردن .. حيث يقال أيضاً ان هناك عائلة سكنت الجوف ثم تحولت إلى سوريا في بلدة قطنة . ولعل صلة النسب بيني تغلب جعل بعضهم يعتقد أنهم من عَنَزة ، والمعروف أن عنزة من بكر بن وائل[1] .. وهؤلاء من تغلب بن وائل . وقد كان عندي ذلك الاعتقاد من قبل .

هذه لمحة قصدت بها الايضاح .. مقدماً لأستاذي الشيخ حمد هذه اللفتة . وحرصه على الوصول للحقيقة ، ونشدان المعرفة أمد الله في عمره .

دكتور محمد بن سعد الشويعر

الرياض في ١٢/١٣ سنة ١٤٠٠هـ

---

(١) عنزة بن أسد بن ربيعة» ، ووائل هو ابن قاسط بن هِنْب بن أفصى بن دُعْمِيٍّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة .

تاريخ الجزيرة وفيه بعد المقدمة :

١ — ثبت بكل الأبحاث .

٢ — مقدمو الأبحاث العربية .

٣ — ثبت اللوحات والخرائط

٤ — الأبحاث .

٥ — مؤرخو الجزيرة .

٦ — الجزيرة في الوثائق .

٧ — الجزيرة في كتب الرحالة المسلمين .

٨ — الجزيرة في كتب الرحّالة الغربيين .

ويحوي هذا الجزء أيضاً الأبحاث التي بغير اللغة العربية .

ويقع الكتاب في (٣٤ المقدمات + ٤٨٨ الأبحاث العربية + ٣٢ مقدمة الأبحاث باللغة الانجليزية + ٢٦٦ الأبحاث التي بغير العربية) ٨٢٠ صفحة من القطع الكبير .

ويفهم مما كتب في أوله أن «دراسات تاريخ الجزيرة العربية» عنوان لسلسلة جديدة من الدراسات في تاريخ الجزيرة ، تحوي الأبحاث التي قدمت في الندوتين الأولى والثانية اللتين نظَّمتها (كلية الآداب) في (جامعة الرياض) كما ستَضُمُّ الأبحاث التي ستقدم للنَّدوات التي ستُعْقَدُ فيما بعد .

والكتاب الأول من تلك السلسلة جُزْءان : «مصادر تاريخ الجزيرة العربية» هذا أحدهما .

والكتاب الثاني : «الجزيرة العربية قبل الإسلام» تحت الطبع .

وطباعة الجزء الذي بين أيدي القراء ممتازة حقاً من حيث حُسْن الترتيب وجودة الورق .

وهو من مطبوعات جامعة الرياض — طبع في مطابعها سنة ١٣٩٩ (١٩٧٩ م) .

ذكريات طفل وديع :

وصاحب هذه الذكريات هو الأستاذ الكاتب المعروف عبد العزيز الربيع مدير التعليم

بمنطقة إمارة المدينة المنورة ، ورئيس النادي الأدبي هناك وقد صَدَّر تلك الذكريات بجملة : (ما كرهت شيئاً في حياتي كرهي للوداعة في هذا الطفل) وقال في المقدمة : (ونصيحتي لك أن تَبْذِلَ كل ما تستطيع لِتَخَلَّصُ مِنَ الوداعة ، فهي آفةٌ أُعِيذُكَ بالله منها) .

والأستاذ الكريم يستعرض من ذكرياته — في أول حياته — جوانب لا يقف في استعراضها عند حَدٌّ طرافتها ، وجمال عَرْضِها ، بل كثيراً ما يُحاول استخلاص العِبْرَة ، والإِلْمَاعَ إلى مكامن الاستفادة من تلك الذكريات ويقع الكتاب الذي يحويها في ٢٨٣ صفحة من القطع الصغير . وهو الحلقة الثانية من منشورات (نادي المدينة المنورة الأدبي) الذي أتحف «العرب» بنسخة منه ، وقد صدر عام ١٣٩٧ — مطبوعاً بمصر .

الأمثال العامية في نجد :

وصدر من هذا الكتاب أربعة أجزاء تقع في ١٦١٤ صفحة ، وتحوي من الأمثال (٢٦٨٩) مُرَتَّبَةً على حروف الهجاء إلى نهاية حرف الهاء والجزء الخامس الأخير تحت الطبع يضم ما بُديء بحرف الياء مع فهارس مفصلة للأمثال من حيث الموضوعات ، وإيضاح معاني الكلمات العاميَّة . ويعتبر هذا الكتاب دراسة للأمثال النجدية من حيث محاولة إرجاعها إلى أصولها القديمة ، ومقارنتها بالأمثال المستعملة في الأقطار العربية ومؤلفه الأستاذ الجليل الشيخ محمد العبودي .

وقد قامت (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بنشر الكتاب ، وساعدت (دارة الملك عبد العزيز) على ذلك . وطبع بالمطابع الأهلية في الرياض ، وصدرت الأجزاء الأربعة سنة ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

كتاب استخراج الجدل من القرآن الكريم :

هو رسالة لإمام الحنابلة في زمنه الشيخ عبد الرحمن بن نَجْم المعروف بابن الحنبلي (٥٥٤ — ٦٣٤ هـ) حققها الأستاذ الدكتور زاهر بن عَواض الألمعي ، فَتَرجَم المؤلف وشرح الرسالة في كتاب بلغت صفحاته ١٦٠ ، ونشرته (مؤسسة الرسالة) في بيروت هذا العام (١٤٠٠ هـ ١٩٨٠) بإخراج حسن .

قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التَّوسُّعية :

يستخلص الدكتور سليمان بن محمد الغنَّام في كتابه «قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا التوسُّعية — ١٨١١/ ١٨٤٠ — في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا» مما عرض من آراء ، وأورد من نصوص تاريخية ووثائق — أن (الباشا التزم في سياسته التوسعية بخط واضح يقضي بالتوفيق بين طموحاته التوسعية ومتطلبات السياسة البريطانية في الهيمنة على المنطقة ، والتَّصدِّي لأيِّ خَطَرٍ مَحَلِّيٍّ أو خارجيٍّ يُهَدِّدُ أو يُعَرْقِلُ هذه الهَيْمَنَة) — ص ١٢٣ .

والكتاب جدير بالدراسة ممن يُعْنَى بتاريخ تلك الحقبة ، وخاصَّة ما يتعلق بتاريخ الجزيرة العربية .

وهو من منشورات سلسلة (الكتاب العربي السعودي) إذ هو الحلقة الخامسة من تلك السلسلة التي تقوم مؤسسة (تهامة) بنشرها ويقع في ١٧٦ صفحة مطبوعاً بمطابع البلاد ، في جدة عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

أبو مُسْلِم الخراساني :

والباكورة الأولى من ثمار منشورات (نادي القصيم الأدبي) في بريدة كتاب «أبو مسلم الخُراساني ، صاحب الدعوة العباسية» تأليف الأستاذ صالح بن سُليمان الوشميّ ، ومع كثرة ما كُتِبَ عن أبي مسلم فإن هذا المؤلّف يقدم للقاريء خلاصة وافية عن حياة ذلك القائد الذي كان له من الأثر في إنشاء الدولة العباسية ما لا يُجْهَل .

ويقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة ، مطبوعاً بمطابع القدس ، في مدينة بُرَيدة ، هذا العام (١٤٠٠ هـ) .

الأمثال الشعبيَّة في قلب جزيرة العرب :

وصدر من هذا الكتاب ثلاثة أجزاء (٤ و٥ و٦) وسبق لمجلة «العرب» أن أشارت إلى صدور أجزائه الأُوَل (س ١٤ ص ٧٩٧) ويحوي ما صدر منه من الأجزاء الستة (٥٧٦٩) مَثَلاً إلى نهاية حرف اللام وهو من تأليف الأستاذ الصديق عبد الكريم الـجُهَيْمان .

وقد وعد المؤلف الكريم بموالاة طبع بقية أجزاء الكتاب الذي يحوي ما يقارب عشرة آلاف مثل ، وهذه الطبعة — وهي الثانية — جيِّدة ، فالأمثال بحروف واضحة مشكَّلة والورق صقيل وصدرت سنة (١٤٠٠ هـ).

على دروب الشمس :

ديوان شعر للشاعر المعروف محمد هاشم رشيد ، قدمه (إلى الأجيال الجديدة من امتنا العظيمة التي وُلِدَتْ على دروب الشمس ، وعلى دروب الشمس انطلقت من جديد ، لتُحَقِّق رسالتها في الحياة).

يَضُمُّ قصائد نظمت في مناسبات مختلفة في فترات من الزّمن — بين سنتي ١٣٧٩ و١٣٩٧) ومنها في رثاء بعض أعلام الأدب في المدينة كضياء الدين رجب وعبيد مدني ومحمد سعيد دفتر دار . وللشاعر محمد هاشم دواوين أولها : «وراء السَّراب» صدر منذ نحو ثلاثين عاما ، ثم «على دروب الشمس» وعلى «ضفاف العقيق» و«في ظلال السماء» وكلها من منشورات (نادي المدينة المنوَّرة الأدبي) ومن مطبوعات (مطابع دار الأصفهاني) في جدة .

بيت وشاعر :

وكتاب «بيت وشاعر ، من الألف إلى الياء» تأليف الأستاذ خالد بن محمد السَّيْف ، على غرابة اسمه طريف في موضوعه ، قال عنه كاتب مقدمته : (قامتْ أُسُسُه على فكرة طريفة ، هي تقديم أكبر عدد ممكن من الشعراء بصورة مركَّزة لا تتجاوز الصفحة أو الصفحتين ، بطريق الإشارة إلى ما يسميه النقّاد القُدامى بيت القصيد ، من المقطوعة أو القصيدة التي اختارها المؤلف للشاعر) فهو إذن يُعَدُّ في كتب التراجم ، وفي كتب الدراسات الأدبية بدأ بحرف الألف بإيراد البيت :

أبي الإسلام ، لا أبَ لي سِوَاهُ ... إذَا هَتَفُوا بِبَكرٍ أو تَمِيْمِ

ثم ترجم قائله نهار بن تَوسِعَةَ ، من بَكْرِ بْنِ وائل ، في العَهْدِ الأُمويّ واستمر على هذا النحو حتى تحدث عن نحو (٢٩٤) شاعراً ، من القدماء والمحدثين من هاؤلاء نحو

٤٠ من بلادنا ومن غيرها من الأقطار العربية جُل مشاهير الشعراء وختم الكتاب ببيت :

يُشْرِقُ الإيمَانُ في أَرْجَائِهِ   كَوْكَباً يَعْبَقُ في لأْلاَئِهِ

البيت للشاعر محمد (الصواب محمود) شوقي الأيوبي . وُلِدَ في الكويت إلى آخر ترجمة الشاعر .

ورجع المؤلف إلى ما يقارب أربعين كتاباً من المصادر القديمة والحديثة ، وجاء الكتاب في ٤٩٦ صفحة ، بطباعة حسنة (لم يذكر اسم المطبعة وقد تكون من مطابع بيروت) وهو من منشورات (نادي المدينة المنورة الأدبي) لعام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) .

☐ شعراء من أرض عبقر

تحدثت «العرب» — س ١٤ ص ٣١٩ — عن الجزء الأول من هذا الكتاب الذي توخى به الأستاذ الشاعر محمد العبيد الخطراوي تقديم دراسات عن شعراء بلادنا ، ضمن أحاديث كانت تذاع من إذاعة الرياض ، قبل ست سنوات (١٣٩٥) .

وقد صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في (٢٨٢) صفحة صغيرة ، يحوي الحديث عن : محمد حسن فقي ، الشاعر الأمير (عبدالله الفيصل) ويستعرض المؤلف مراثي الملك فيصل — رحمه الله — بعنوان (الثلاثاء الحزين) ويعود للحديث عن : محمد حسن عواد ، عبدالله بن ادريس ، حمزة شحاتة ، حسن عبدالله القرشي ، سعد البواردي ، محمد علي السنوسي ، أحمد قنديل ، عبد السلام هاشم حافظ ، سعد أبو معطي ، محمد سليمان الشبل .

ويختم الجزء بدراسة لديوانه — أعني الأستاذ المؤلف — «غناء الجرح» كتبها الأستاذ عبد الحميد ربيع ، معتذراً عن إضافتها إلى هذا الكتاب بسبب صغر حجمه ، وفقدان حلقتين من موّاده تتعلقان بالشاعرين حسين سرحان وأحمد العربي .

والكتاب بجزءيه من منشورات (نادي المدينة المنورة الأدبيّ) وقد طبع بمطابع (دار الأصفهاني) في جدة ، وتاريخ الطبع ليس مذكوراً .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و١٠٠ ريال لغير الأفراد
الإعلانات يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
منشئها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل - هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩ و١٠ س ١٥ — الربيعان ١٤٠١ كانون ، شباط (يناير — فبراير) ١٩٨١م

حول كتاب

المعجم الجغرافي
للبلاد العربيّة السّعوديّة

الدكتور أسعد سليمان عبده أستاذ متخصص في علم الجغرافية ، فقد نال إجازة (الدكتوراه) من (جامعة درم في بريطانيا) عام ١٩٦٩ م وهو الآن أستاذ مشارك في قسم الجغرافية في جامعة الرياض ، فإذا تحدث في هذا العلم فلحديثه قيمته ، ولآرائه وزْنُها .

وقد تناول ما صدر من أقسام كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» بحديث شامل ، حوى كثيراً من الملاحظات التي يجدر بمؤلفي الأقسام التي صدرت من ذلك الكتاب النظر إليها بعين الاعتبار والاستفادة منها وقد نشر حديث الدكتور أسعد في العدد الأول من مجلة «عالم الكتب» الذي صدر في شهر رجب عام ١٤٠٠هـ .

ومع أنني تحدثت عن هذا الجزء في «العرب» س ١٥ ص ٣١٩ — وأشرت إلى ما كتبه الدكتور فيه ، ووضعتُ الجزء بين ما أعددته للمطالعة إلاَّ أن رحلتّي خارج البلاد زمَن الصَّيف حال دون ذلك ، ولما عُدتُ شُغِلْتُ بما أنا مُطَالَبٌ بإعداده من مواد مجلة «العرب» حتى زارني أحد أيام عيد الأضحى أحد الإخوة فذكَّرني بذلك المقال وحين أكملته قراءة أدركت خَطَأ عدم الاهتمام به ، لتناول جوانب منه بشيء من الايضاح والاستيضاح أيضاً ، فالكاتب الكريم من خلال حديثه يدلل على عنايته بالكتاب من جهة ، ومن ناحية أخرى فمطالعته ما صدر من أجزاء ذلك «المعجم» يدل على تَتَبُّعه ، وسعة اطلاعه على ما أُلِّفَ في الموضوع ، وأُستاذ بهذه الصفة أعتَبِرهُ ويشاركني هذا

الاعتبار الإخوة الذين شاركوا في تأليف «المعجم» مِمَّن يستعان به، ويُرْجَع إليه، ويُؤخَذُ بالنَّافع من آرائه، في أمر لا يزال في دور الإعداد، ولا يزال القائمون به يُهيِّئون ما يستطيعون تهيئته من وسائل بنائه بناءً تاماً، وذلك بجمع الموادِّ التي تتكون منها أقسام «المعجم» ثم تقديمها للقراء مُجزأَةً مُفرَّقةً، لكي يتلقى مؤلفو تلك الأقسام من الملاحظات والتوجيهات ما يُقَوِّمُ المُعوجَّ، ويكمل الناقص، ويُصْلِح الخطأ.

ولهذا قَلَّ أن يَصْدُرَ جُزْءٌ من أجزاء مجلة «العرب» منذ أن دعوت إلى تأليف هذا «المعجم» قبل ثلاثة عشر عاماً — «العرب» س ٥ ص ٤٨١ — إلى يومنا هذا — لا يتضمنُ الدعوة إلى نقد ما صدر من أجزاء ذلك الكتاب، إمَّا بعرض نماذج منها، أو بنشر ما يُعلِّقُ به أحَدُ القُراء على بعض موادها.

بَل إن بعض الأجزاء التي صدرت سُورِعَ في نشرها قبل استكمالها، حِرْصاً على إصلاح ما فيها من خطأ، بواسطة من يتصدَّى لذلك من القراء، وطبعت (طبعة تجربة وتمهيد) كما كتب في أولها، كما كتب في المقدمة — حاشية ص ٣١ —: (يُرجى من القارىء الكريم الكتابة إلى مجلة «العرب» أو دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) بما يلي:

١ — تصحيح الخطأ الواقع في أحد الأسماء.
٢ — ضبط ما لم يضبط منها.
٣ — ذكر ما لم يرد ذكره من أسماء القرى والموارد المعروفة.

وسبق أن نشرت «العرب» س ١٤ ص ٩٢٧ — قبل أن يتناول الدكتور الكتاب بالحديث ما هذا نصه: (وإذَا كان القائمون على تأليف هذا «المعجم» عملوا ما يَسْتطيعون عَمَلَهُ حتى قَدَّمُوه بهذه الصورة، فإنَّ على مَنْ رآى في عملهم نَقصاً أن يُسْدِي إليهم — وإلى أُمَّته — يَداً بإكمال النَّقص، وإصلاح الخطإ، فكل واحدٍ مِمَّنْ شارك في التأليف يُدْرِكُ أنَّ ما قامَ به مُحاولةٌ أولى، بحاجةٍ إلى من يُكملُها، ولمْ تَبْلُغ بأحدٍ منهم الثِّقَةُ في نفسه دَرَجةً تحمله على الاعتقاد بأنَّ عمله مُبرأٌ من كل خَلَل، ولن يبلغ بهم الأمر إلى هذا الحَدِّ المذموم من الغُرُور، ولكن مما لا مِرية فيه أنَّهم مَهَّدُوا

الطَّرِيق ، ووضعُوا صُوَاه) .

وأُضيف إلى ما تقدم — مما لم أجِد اشارةً إليه في البحث الممتع الذي كتبه الدكتور أسعد عبده ، قبل أن أتطَرَّقَ إلى الحديث عنه —

لقد استطاع الإخوة الذين تناولوا بالدراسة والبحث كثيراً من المواضع الجغرافية في هذه البلاد أن يصلوا إلى الحقائق ، في تحديد كثير من المواضع التي حار في تحديدها المتقدمون من العلماء ، والى تصحيح كثير من الأوهام التي وقع فيها أولئك العلماء عند محاولة تحديد بعض الأمكنة . فالقاريء عندما يرجع الى معجمات الأمكنة القديمة لمعرفة موقع (فَدَك) ذي الشهرة التاريخية التي قلَّ أن يَخْلو مؤلف تاريخيٌّ قديم تعرض لتاريخ بلادنا من ذكره عندما يريد معرفة موقع هذا الموضع ، لا يجد خَيْراً من قول صاحب كتاب «المغانم المطابة في معالم طابَة» ، ومنه : (سألتُ جماعاتٍ من أشراف المدينة ، الأمراء بها ، ومن الفقهاء ، والسُّوقَة ، عن فَدَك ومكانها ، فكلُّهم عن بواءٍ واحدٍ أجابوا : بأنه لا يُعْرَف في بلادنا موضعاً يُدْعَى فَدَك) .

وعندما يريد الاهتداء إلى موقع (بُزاخَة) الذي جرت فيه إحدى الوقعات الفاصلة في التاريخ ، فانتصر فيها المسلمون بقيادة خالد بن الوليد على جموع المُرْتَدِّين في السنة الحادية عشرة من الهجرة — لا يجد فيما بين يديه من الكتب القديمة إلا أقوالاً مُجملة .

وحين يبحث عن (فَرْدَة) الموضع الذي أرسل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم سَرِيَّة زَيْد بن حارثة ، والذي اتَّخذَ كُفَّار قُرَيْشٍ من طَرِيق ذلك الموضع طَريق تجارتهم إلى الشام ، يُصدَمُ بهذا القول في أهم مَرجع يجده بين يديه : (ووجدت بخط ابن الفُرَاتِ (قَرَدَة) بالقاف ، مُقَيَّداً في غير موضع ، وقال الواقِديُّ : ذُو القَرْدَةِ من أرض نجدٍ ، وقال ابنُ إسحاق : وسَرِيَّةُ زيد بن حارثة الذي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ، فيها حين أصابت عِيْرَ قُرَيش ، وفيها أبو سفيان بنُ حَرْبٍ على الفردة ، ماء من مياه نجد ، كذا ضبطهُ ابن الفُرات — بفتح الفاء وكسر الراء — وقال غير ابن إسحاق : هو موضع بين المدينة والشام . وقال موسى بن عُقْبَة : وغزوة زيد بن حارثة بثنية القردة . كذا ضبطه أبو نَعِيمٍ بالقاف . قال : وهذا الباب فيه نظرٌ إلى الآن ، لم يتحقَّقْ فيه شي) —

«معجم البلدان» — رسم فردة — .

وقُل مثل ذلك في كثير من المواضع التاريخية ، التي لم يقف القصور في تحديد أمكنتها على ايراد أقوال مضطربة غير واضحة عنها بل تَعَدَّى ذلك إلى التَّصحيف في أسمائها .

وقد حاول أولئك الإخوة أن يقدّموا للقارىء عن تلك المواضع وأمثالها من تحديد مواضعها ما هو القائم على خبرة ومشاهدة وعمق دراسة ، مما يَطْمئنّ إليه أو يجد منه وسيلة للاطمئنان — كل من كان متحرّياً للانصاف والبحث عن الحقيقة .

وكلُّ باحثٍ مُنصف يُدرِكُ أنَّ أولئك الإخوة قد ساروا في طريق قَد هُجر السَّيْرُ فيه مُنذ مِئات السِّنين ، وفَتَحُوا للدراسة الجغرافية المتعلقة بالمواضع التاريخية في هذه البلاد باباً كان مُغْلقاً منذ عَهْدِ ياقوت الحموي . والفيروز آبادي والسمهودي واضرابهم من متقدمي العلماء . بصرف النظر عَمَّا قام به بعضُ من تقدمهم من الباحثين من دراسات جغرافية لجوانِبِ محدودة غير شاملة ، كمؤلفي الرحلات ، ودارسي الآثار من المستشرقين وغيرهم ، وراسمي المصورات الجغرافية (الخرائط) للبحث عن المعادن أو غير ذلك من الأغراض التي لا تدخل تحت نطاق الإعداد لتأليف معجم جغرافي شامل ، لتحديد أمكنة هذه البلاد .

ثم نأتي لبحث الأستاذ الدكتور أسعد عبده الذي كنت أتمنَّى — صادقاً — أنه استرسل في ذكر جميع الملاحظات على «المعجم الجغرافي» ولم يقف عند قوله : (يوجد عدد من الملاحظات على «المعجم» ويمكن ذكر المزيد من الملاحظات لو أنَّ المقال اختَصَّ بكتاب واحدٍ من كتب «المعجم» وتَعَرَّضَ لمناقشة الاجتهادات حول أسماء بعض الأماكن أو مواقعها) . وهذا التمني قائم على عدة اعتبارات :

١ — إن «المعجم» لا يزال في دور التأليف ، وما صدر منه أقسام قُصِدَ مِنْ نشرها اطلاعُ أكبر عدد من القراء لمعرفة ما تمكن معرفته من الآراء حول ما تحويه من معلومات ؛ حتى يمكن إصلاح ما هو بحاجة إلى الإصلاح واستكمال جوانب النقص .

٢ — إن الأستاذ الدكتور كاتب البحث من خيرة من يُعَوَّلُ عليهم من باحثي هذه

الجوانب ، والمعنيِّين بها ولهذا فلملاحظاته قيمتُها .

٣ ــ إنَّهُ أفضل مشكوراً بِوَصْف ذلك « المعجم » في آخر مقاله بأنه **(عملٌ كبير يستحق من دعَا إلى تأليفه ، ومن ساهم في كتابته كُلَّ تقدير . وهو في الوقت الحاضر أفضَلُ مَرجع لأسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية) .**

وهو يدرك أنَّ مُجرَّد الثناء لا يُجدي ، وأن المشاركين في تأليف ذلك الكتاب من أزْهَدِ الناس في الثناء ، وأنَّ كلمة توجيه أو نَقْدٍ يتضمن استكمال نَقْصٍ لها في نفوسهم من الأثر أبْلغ مما لكلمات التقريظ ، وهم في أشدِّ الحاجة إلى تداركُ ما فاتَهم ما دام الأمرُ ميسوراً لهم ، ولم تُدْمَجْ جَمِيْعُ معلومات الأقسام الّتي صدرت من « المعجم » في كتاب واحدٍ يشمله اسم واحد ، بعد ترتيب جميع موادّه على حروف الهجاء .

ولا يزال في الوقت سعة ، ولا يزال الأمل منوطاً بالأستاذ الكريم الدكتور أسعد ، لِيُولي هذا الكتاب من العناية ما يجعل الفائدة منه أعمَّ وأوفى ، فهو يدرك أنَّ على العالم واجباً لأمته ولبلاده لا يقف عند حدٍ سوى حد العجز .

ويحسن المرور على الملاحظات التي أبداها الدكتور ، مروراً يقصد من ورائه الاستزادة ، بعد إبداء وجهة بعض الآراء حيال بعضها ، مما قد يكون الباحث الكريم بحاجة إلى إبدائه .

أولى الملاحظات : افتتحها الأستاذ الدكتور أسعد بقوله : (من قواعد البحث أن يذكر الباحث جهود من سبقوه ، ثم يبدأ من حيث انتهوا) ثم أخذ عليَّ :

١ ــ لم أشر إلى كتاب « صحيح الأخبار » للشيخ محمد بن بُلَيْهد ــ رحمه الله ــ ووصفه بأنه أول محاولة جادَّة لدراسة الأماكن في المملكة ص ٧ ــ كما وصف مؤلفه بأنه (رائد دراسة الأماكن بهذه البلاد في العصر الحديث) ص ٦ .

٢ ــ لم أُشِرْ لا أنا ولا أحد من مؤلفي « المعجم » إلى (الجهود التي بُذِلَتْ لِحَصْر عدد كبير من أسماء الأماكن ووضعها على خرائط جغرافية وجيولوجية للمملكة) ثم أشار إلى أنها من مراجعي ــ ص٧ــ .

٣ ـــ ولمْ أُشِر أنا ولا غيري إلى الجهد الذي بذلته ـــ وتبذله ـــ ادارة المساحة الجويّة في (وزارة البترول والثروة المعدنية) في جمع وتحقيق الأماكن ، ثم وضعها على خرائط حديثة) ص ٨ .

٤ ـــ لم أذْكرُ (أنَّ بيانات مصلحة الاحصاءات العامة الخاصة بحصر المدن والقرى وموارد المياه ـــ هي الأساس الذي اعتمدت عليه خاصة في تأليف مقدمة (المعجم) وأضاف : (والواقع أن الجهد الذي قامت به مصلحة الاحصاءات العامة لحصر أسماء عدد ٢١,٠٦٧ من مدن وقرى وموارد مياه ، وبيان موقع كل منها ، حسب المنطقة الادارية التابعة لها يمكن أن تُعْتَبَر أهمَّ عَمل تَمَّ حتَّى الآن لحصر أسماء الأماكن بالمملكة) .

٥ ـــ لَم يُشِرْ أحد من مؤلفي «المعجم» إلى المعاجم التي طُبِعَتْ باللغة الانجليزية عن أسماء الأماكن بالمملكة العربية السعودية ، رغم أن الحكومة الأمريكية نشرت سنة ١٩٦١ م معجماً حديثاً لأسماء الأماكن في شبه الجزيرة ، ثم في سنة ١٩٧٨ م أصْدَرَتْ نفسُ الجهة معجماً خاصّاً بأسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية ، وقد احتوى هذا المعجم الأخير على (٢٠ ٨٠٠) اسما منها (٢٠,٦٧٠) بالمملكة ، و(١٣٠) اسماً بالمنطقة المحايدة العراقية السعودية) وبعد أن ذكر طريقة ذكر الأمكنة في هذا المعجم قال : (كما علمت بوجود معجم ثالث باللغة الإنجليزية ، عن أسماء الأماكن بالمملكة ، ألَّفته سيدة ألمانية ، ولكني لم أره) ص٨ .

إنَّ ملاحظة الدكتور حول عدم ذكر تلك المؤلفات والأعمال يُعْتَبَر من مؤلفي «المعجم» عَدَمَ إنصافٍ ، وتجاهُلاً لفضل مَنْ سَبَقَهم ، وهذا مما ينافي شيمة العلماء ، وخاصَّةً فيما عرفوه واستفادوا منه . ولكن ليس كل ما ذكره الدكتور في ملاحظته تِلْكَ من العَتْب واللوم في محله ، لأمور :

١ ـــ أن مقدمَّة «المعجم» الشاملة لجميع أقسامه ـــ بعد ترتيب مَوَادّه ، لم تُوضَعْ بَعْد ، إذْ لا تزال أقسام منه لم يَتِمَّ تأليفها ، ومنها قسم المنطقة الغربية ـــ التي كان الأستاذ الدكتور عبدالله الوُهَيْبي سيقوم بتهيئة المادَّة المتعلقة بها بعد رجاء والحاح مني ،

وقد حالت كثرة أعماله في الجامعة وغيرها دون قيامه بذلك الأمر حتى الآن ، ومنها القسم المتعلق بجنوب المملكة ، إمارة بلاد عسير ، وإمارة نَجران ، وقد كان الأستاذ الشيخ عبدالله بن علي بن حُمَيِّد قد شرع في إعداد ذلك القسم — كما أشارَتْ مجلة « العرب » إلى هذا — س ٢ ص ٤٨٢ — فتوفي في ١٠ شهر صفر سنة ١٣٩٩ — قبل أن يُقَدِّم للنشر شيئاً في الموضوع ، مع أنه — تغمده الله برحمته — كان أطلعني على جُزءٍ مما ألَّف فلاَحَظْتُ أنه رتبه على أسماء السُّكَّان فرغبت منه أن يُرَتِّبَ على أسماء المواضع ، فأوضح لي أن كثيراً من المواضع في جنوب المملكة لا تُعرَف إلاَّ بأسماء ساكنيها ، فرجوته أن يُوَفِّق بين الأمْرين ، ولا أعرف ماذا فعل الله بما عمل بعد وفاته .

وعلى هذا فاتهام المؤلفين بتجاهل فَضْل من سبقهم في كتاب لم تُوضَع مُقَدَّمَتُهُ بَعد في غير محلّه ، ويتنافى مع خُلُق الإنصاف الذي يجب أن يكون العُلماء أوَّل مَنْ يتحلَّى به .

ويظهر أنَّ الناقد الكريم فاته أن كتاب « صحيح الأخبار » للشيخ محمد بن بُلَيْهِد أُلِّفَ استجابة لرغبة الشيخ رُشدي مَلْحَس ، أول من فكَّر في وضع معجم عامٍ شامل لأماكن المملكة ، وأصدر من هذا « المعجم » كُتَيِّباً صغيراً عن (المعادن) ثم اتجه لدراسة المواضع القديمة ، فأعدَّ بياناً يحوي أسماء المواضع المذكورة في « المعلقات » وبعث بنسخٍ منه إلى كثير ممن توسم فيهم المعرفة ، ومنهم الأستاذ خالد الفرج ، وعلي بن عبيد الله بن سرحان ، وكاتب هذه السطور ، وكان منهم الشيخ محمد بن عبدالله بن بُلَيْهِد ، الذي أقولها كلمة صدق عنه — بأن له — رحمه الله — من صفات النبل والكرم ما يُعَدُّ به من أفذاذ رجال هذه البلاد ، وما يُرْبِي على فضل إضافة هذا الكتاب إليه .

وهو كتابٌ عَوَّل الإخوةُ مؤلفو « المعجم » على كثير مما جاء فيه ، فكيف يوصفون بتجاهله ؟؟

٢ — ولا أدري ماذا يقصد الدكتور من عدم الإشارة إلى الجهود التي بُذِلَتْ في سبيل إعداد (الخرائط الجغرافية والجيولوجية) ؟ فلقد أشرت إلى تلك الخرائط مراراً ، بل أوضحت أنّ فيها ما لا يصح الاعتماد عليه ، لكثرة الأخطاء في الأسماء ، بل وفي المعلومات أيضاً ، لأن الأسماء كتبت فيها — أول ما كُتِبَتْ بحروف غير عربية ، ثم عُرِّبَتْ

من قبل أناس يجهلون أسْمَاء المواضع العربية ، فجاءتْ مشحونةً بالأخطاء مثل (الروسان) و(جبل ابن الأحمر وابن الأسمر) و(صفراء السرك) و(سيجا) و(وادي الذهب) في (الروشن) وجبل أبان الأحمر ، وأبان الأسود ، وصفراء السرّ ، وسَجَا ، ووادي الذِّهاب . إلى غير ذلك من الأسماء الكثيرة المحرفة .

بل إنَّ تلك المصورات (الخرائط) لم تَخْلُ من الأخطاء المعنوية فقد كتب في (الخريطة) التي تحمل اسم وادي الرمة ، الجغرافية والجيولوجية ، كتب اسم (معدن النجادي) في موضع يبعد عن موقعه الصحيح مئات الأميال ، لقد وُضع الاسم شمال غرب قرية (عُقْلَةَ الصقور) الواقعة في (وادي الرُّمَة) بنحو ثلاثين كيلاً (قرب خط الطول ٤٠/٤٢° وخط العرض ٠٠ و٢٦°) وموقعه الصحيح — كما حدده الهجريُّ والبكريُّ والسمهوديُّ في جبل حِلِّيتٍ ، وهذا الْجَبَلُ يقع في الجنوب الشرقي من (عقلة الصقور) بمئات الأميال (بقرب خط الطول ٣٠/٤٣° وخط العرض ٤٥/٢٤°).

وإطلاق اسم النِّجادي ليس معروفاً بين سكان تلك الجهة ، الآن ، وإنَّما وُضِع في المصوَّر الجغرافي اجتهاداً من بَعض المُتمعلمين ، وهو اجتهادٌ خاطيءٌ سوف يجرُّ إلى الخطأ ما دام ذلك المُصَوَّر مُعتبراً من المراجع .

وفي تلك المصورات أخطاءٌ في أسماء المواضع ، وُضِعَتْ قَصْداً ، وذلك لمجاراة العامَّة في نُطقهم ، مثل (أبقيق) و(أم عقلة) و(أنطاع) و(متاله) في أسماء : (بقَيْقٍ) و(مَعْقُلة) و(نَطَاع) و(مُتَالع) .

وأمثال هذه الأسماء في تلك المصورات يصعب ذكرها لكثرتها والمِيْزة الوحيدة لها أنَّها رُسِمَتْ بطريقة صحيحة ، ولهذا يمكن الاستفادة منها من حيث الرسم ، لا الأسماء ، وهذا الجانب من الإستفادة لم يُهْمِله مؤلفو «المعجم» .

أما القول بأنهم (لم يَتعرَّضُوا إلاَّ لبيان أخطائها والتقليل من أهميَّتها) فيَرُدُّهُ ما قلت في مقدمة القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية — ص ١١ — وهو مما اطلع عليه الناقد الكريم : (فاقتبست من الخرائط الموضوعة لهذه المنطقة . ومما تجب ملاحظته وقوع تحريف في الأسماء في تلك المصوَّرات ، غير أنَّ الذي يشفع في الاقتباس منها أنها تتعلّق

بمنطقة عرفها الذين رسموا تلك الخرائط معرفة مشاهدة أكثر من معرفتهم غيرها من الجهات الأخرى ، وأنَّ كثيراً من المياه والمواضع لم أجدْ لها مصدراً غير هذه الخرائط) ومع ذلك فأيُّ ضَيرٍ في التَّقليْل من أهميتها والأمر كما ذكرت من كَثْرةِ أخطائها ؟؟ إنها جُهد طائفة عظيمة من الناس ، لهم من القدرة والقوة ولديهم من الاستطاعة ما يُمكنهُم من إبراز عملهم بخير صورة ، ولهذا فإنَّ الخطأ اليسير في عملهم — مع قدرتهم — يُعَدُّ عظيماً ، فكيف إذا كان ذلك الخطأ سيستمرُّ قُدوةً سيِّئةً ما دام ذلك العمل باقياً ؟!

٣ — ولا أدري هل يُعَدُّ قُصُوراً مني وجَهْلاً حين أقول بأنها المرة الأولى التي اسمع فيها بأن في (وزارة البترول) إدارة خاصة للمساحة الجوية . ولقد أمر الأستاذ الشيخ أحمد زكي اليماني — أكرمه الله وشكر له — بإمدادي بمجموعة من الخرائط الجغرافية ولكنني لم أجدْ بَيْنها من الخرائط الحديثة ما يحوي معلومات أَوْفَى من الخرائط التي تقدم الحديث عنها ، مع انَّ أكثر ما اطلعت عليه منها لا يتعلق بالجهة التي أُعْنى بالكتابة عنها .

٤ — ويرى الدكتور أسعد عبده أن ذكر الكتاب الفُلاني بين مصادر المؤلف ، لا يكفي عن القول بأنه الأساس الذي اعتمد عليه وذلك في حديثه عن (بيانات مصلحة الاحصاءات العامة) ومع ما في هذا الرأي من مأخذ فيظهر أنَّ الدكتور لم يطالع مقدمة «المعجم المختصر» ولهذا لم يرد له ذكر في حديثه .

وبعد أن أرجو منه الاطلاع على هذا الكتا ب — لكي استفيد من ملاحظاته حوله — لا أرى غضاضة في القول بأن الأساس الذي اعتمدت عليه هو ما قُدِّمَ لي من (وزارة الداخلية) مع رجوعي كثيراً إلى النسخة التي أفضل بها علي الأخ الأستاذ الكريم علي الرّاشد ، المدير العام للاحصاء من تلك البيانات ، وقد اعتبرتها مع المعلومات التي قدمت لي من وزارة الداخلية أساساً لكلِّ ما أوردته في «المعجم المختصر» عن الأقسام الإدارية في المملكة وعن أسماء الأماكن .

٥ — وذكرت حين عرض لي الحديث عما ذكر الدكتور ممَّا كُتِبَ باللغة الانجليزية من المعاجم المتعلقة بالمملكة — ذكرت ما يُرْوى من أن مُربيَّة الشاعر أحمد شوقي — وكانت تعيش في قصر حاكم مصر في ذلك العهد — ذهبت به إلى سيِّدها ، وكان في

نظره في عينيه قبل — نوع مِن الحَوَل — فكان السيِّد يَضَعُ له قطعة من النقود الذهبية وسط صينية بيضاء ، فيركز الطفل نظره على قطعة النقود (الجنيه) فقال للمُرَبِّيَة : استعملي هذه الطريقة دائماً معه ، ليستقيم وضعُ عَيْنَيه . فأجابت : ولكنَّ هذا الدواء لا يوجد إلاَّ في صَيْدَلِيَّة (أفندينا) .

فالمعاجم — أو المعجمان — المؤلفان باللغة الانجليزية — مما لم يطلع عليه أحد من مؤلفي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ، فهل يلامون؟! ثم إنَّ الكاتب الكريم أشار إلى معجم قال عنه : (لم أرَه) فإذا كان الدكتور ومقامُهُ هُوَ هُوَ من العلم ، ومنزلته في (جامعة الرياض) لا تُجْهَل ومكانة الجامعة لدى جامعات العالم ومثقفيها ، وسعة اطلاع المشرفين على مكتبتها — مما لا مَحَلَّ للحديث عنه ، فلماذا زَجَّ الناقد الكريم بذكر هذا المعجم الذي لا يزال مجهولاً عنده ؟

قد لا يَرضَى الأستاذ الدكتور أسعد عبده أن يقال : إنَّ مَبلغ علم أولئك الأعاجم الذين ألَّفُوا المعاجم عن بلادنا ، وهم غرباء عنها — لم يبلغ من المنزلة في نظر مؤلفي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الدرجة التي تحملهم على الرجوع إلى تلك المعاجم للاستفادة منها .

وأنا — وأقولها صريحة صادقة — إنني أُعَوِّلُ على آراء أيّ واحد من الإخوة الذين شاركوا في تأليف «المعجم» في تحديد أيِّ موقع من المواقع التي عرفها عن علم ومشاهدة أكثر وأقوى مما أعَوِّلُ على آراء عالم غربيٍّ بعيدٍ كل البُعْد عن هذه البلاد ، فيما لو حاول تحديد موقع من مواضعها .

وهذه القولة تجرُّ إلى الإشارة إلى جانب من جوانب ملاحظات الدكتور أسعد عن ثقافة مؤلفي «المعجم» فمعظمهم (ينتمون إلى فئة المثقفين) ، أو الباحثين الذين كوَّنوا ثقافتهم عن طريق القراءة ومحاولات الكتابة) وبعد أن تحدث عن ثقافة ثلاثة منهم قال : (وتعبِّر هذه الأمثلة الثلاثة عن التحصيل الأكاديمي لمؤلفي «المعجم» . فثقافتهم جميعاً مصادرها كتب التراث العربي ومعظمهم على معرفة طيبة باللغة العربية ، وبالأدب العربي ، ومنهم شعراء بارزون) .

يلمح القارىء — بوضوح — من فحوى عبارات الناقد الكريم لا منطوقها أنه يرى أنَّ جوانب الضَّعف التي تَصَوَّرها وتحدث عن جوانب مما تصوره في عمل أولئك الإخوة يُمكِنَ إرجاعها إلى ضَعْفٍ تحصيلهم العلمي أو ما عبَّر عنه بالتحصيل (الأكاديمي) .

ولكن يُلاحظ أوّلاً : أنَّ الدكتور لم يكن مُلِماً إلماماً تامّاً بالناحية العلمية لكل واحد من أولئكَ ، فمن بينهم من أكمل دراسته متخصِّصاً في القضاء الشرعيِّ ، وزاولَهُ فترة من الزمن ، ومن بينهم من أصبح مُهيَّأً لِنَيْل دَرَجة (الدكتوراه) من إحدى الجامعات ، ومنهم من تخرَّج من إحدى كليَّات أقدم جامعة في بلادنا .

وبصرف النظر عن كلِّ هذا — فان الناقد الكريم إن صحَّ ما يفهم من فحوى كلامه

— يُدرِكُ أن تحصيل العلم ليس وَقفاً على الدِّراسة (الأكاديمية) ، وليست الكتابة عن تحديد المواضيع العربيّة مما يُدَرَّسُ في الجامعات ، التي قد يُسْتفاد مما يُدَرَّسُ فيها معرفة الأصول العامَّة لمختلف العلوم ، باستثناء العلوم العربية البَحتَة ، التي من بينها جغرافية البلاد العربيَّة بمختلف فروعها . ثم هذه الكلمة التي لها رَنين خلاّب في أسماع شبابنا المُثقَّف (الأكاديمية) و(البحث الأكاديمي) و(الدِّراسة الأكاديمية) أنها نوع من التأثُّر الغَربي أُخذ به بَعْضُ من دَرَسُوا هناك على غِرَّة من عدم فَهْم حقيقته . وأذكر أنَّ أحدهم ممَّنْ شَدَا طرفاً من العلم من العلم في إحدى الجامعات الغربية تحدث عن أحد الموضوعات العامَّة المتصلة بجانب من جوانب الحياة في بلادنا ، فأطلعته على بَحْث في الموضوع ، نُشر في إحدى المجلات التي تصدر في هذه البلاد ، فلم يُعِرْهُ اهتماماً وقال : (ليس بَحْثاً أكاديمياً) فلما استوضحته عن جوانب النقص فيه قال : (ليس قائماً على أصول العلم الحديث). فقد فهم من كلمة (أكاديمي) الحداثة ، مع أنها — كما هو معروف عَلَمٌ لمدرسة فلسفية يونانية ، أنشأها أفلاطون قبل ميلاد المسيح بنحو أربعة قرون (سنة ٣٨٧ق.م.) — أنظر كتاب «المعجم الفلسفي» ص ١٩ .

جوانب نقص في المعجم :

وتحدث الأستاذ الدكتور أسعد عبده عن جوانب النَّقْص فيما طالعه من أجزاء

«المعجم» فذكر منها :

١ ــ عدم ترتيب الكلمات حسب تركيب الحروف من كل كلمة ، وأورد أمثلة لذلك من «مقدمة المعجم» و«شمال المملكة» و«مقاطعة جازان» كما أشار إلى ورود مباحث في «معجم اليمامة» مفرقة مع اشتراكها في صفة واحدة .

٢ ــ عدم ضبط أسماء أماكن كثيرة ، لعدم معرفة المؤلف (بشكلها الصحيح) في «مقدمة المعجم» و«شمال المملكة» و«المنطقة الشرقية» .

٣ ــ تبادل الحروف ومثَّلَ لذلك بما جاء في «شمال المملكة» من كتابة اسم (حايل) بصورتين بالهمزة (حائل) وبدونها ، وكذا (أجا) بالنسبة للألف الأخيرة ، وأضاف : (وينْسَحِبُ هذا على الكلمات التي تبدأ بحرف الألف ، حيث نجد الألف يحذف أحياناً) .

٤ ــ التفاوت في طول المادة المكتوبة ومثَّل لذلك بما ورد في قسم «المنطقة الشرقية» عن (جوب قطعاء) و(البيضاء) و(الأُدَمَى) و(ثاج) وفي «بلاد القصيم» عن تخصيص ٣٦ صفحة عن (الأسياح) وفي «عالية نجد» عن (الرَّبذَةَ) و(الشعراء) من حيث طول الكتابة .

٥ ــ تفاوت المعلومات ، واختلاف المنهج في عرض تلك المعلومات ، حتَّى في الكتاب الواحد ، وتحدث عن هذين الأمرين بالنسبة لقسمي «شمال المملكة» و«المنطقة الشرقية» .

٦ ــ الاختلاف في ترتيب المادة المذكورة عن المكان ، وأوضح الكاتب الكريم لهذا بقوله : (نجد المنهج يختلف من كتاب لكتاب من حيث ترتيب المادة التي جمعها المؤلف عن الأماكن بل هي تختلف حتى في الكتاب الواحد) ومثل لذلك بما جاء في قسم «شمال المملكة» عن (أُباريات) حيث ذكر ما ورد في الكتب القديمة ، ثم رأي المؤلف .

وأحياناً يكرر المؤلف ما ورد عن الاسم في الكتب القديمة ، ثم رأيه ، ثم يعود لذكر

نصوص وردت عنه ، غير ما أورده ، ومثل لذلك باسم (أباضي) ص ٢٢ .

وأحياناً يكتفي المؤلف بذكر ما يعرفه عن المكان دون الرجوع إلى الكتب وأحياناً يذكر المؤلف ما ورد في الكتب القديمة عن المكان ، دون تعليق عليه .

وأضاف إلى ما تقدم قوله : (والكتاب الذي رُتِّبتْ مادَّتُهُ بشكل واحد بالنسبة لجميع الأماكن هو «بلاد القصيم» — ثم عرض طريقة ترتيب المادة وقال : (وهو منهج التزم به المؤلف) مما أعطى للكتاب ميزة على بقية كتب «المعجم» .

ومع الاعتراف بما لملاحظات الأستاذ من وجاهة ، ينبغي إدراك بعض أسبابها :

أ — والحق أنَّ كل ما أشار إليه النَّاقد الكريم مما ينبغي عدم حدوثه في كتاب يتناول موضوعاً عاماً ، فهو من حيث الترتيب يجب أن يكون في أوضح صورة تقرب الاستفادة منه ، ولكن ما يُدْرِكه كلٌّ من عرف أحوال الطباعة أنَّ أي كِتَابٍ لا يُشْرِف مؤلفه على طبعه يحدث فيه من أخطاء الطبع ما لا يَصِحُّ أن يكون من عمل المؤلف ، وليس من الانصاف نسبته إليه . إلا إذا جاز لأحد أن يصف الكاتب الكريم بجهله بأيسر قواعد النحو حين يقرأ في قوله عن هذا المعجم — ص ٥ من مجلة «عالم الكتب» — : (أن المملكة العربية السعودية تضمُّ أماكن شهدت أحداث هامة) وأن يصفه بعدم إلمامه بأيسر قواعد الإملاء حين يقرأ — في ص ١١ : (البدأ بمقالات طويلة) أو (لو بدء بتقسيم المملكة) ص ١٧ . هذه الهفوات التي لا يصح أن يوصم الكاتب الكريم بمعرَّتها وما أورده من الأمثلة عن عدم التزام ترتيب الأسماء بحسب ترتيب حروفها كلها هو من القِلَّة بحيث يدرك القارىء أنه وقع عن غير قَصْدٍ ، وخاصَّةً حين يعلم أنَّ كل اسم من أسماء المواضع تكتب مادَّتُهُ — أو الأمر على حِدة ، ثم تُرَتَّبُ الأسماء بحسب ترتيب الحروف ، وقد يكل المؤلف أمر التَّرتيب إلى غيره لسهولته .

ب — أشرت في مقدمة ما أَلَّفت من أقسام «المعجم» إلى أنني نقلت كثيراً من أسماء المواضع عن كتابات لم يُرَاعِ كاتبوها الضَّبْطَ والدِّقَّة في رسمها ، وقلت عن هذا — ص ١٣ «مقدمة» : (إن كثيراً ممن نقلوا تلك الأسماء لا يهتمون بكتابتها كتابة صحيحة ،

فقد يكتبون الاسم الواحد بعدة صور مثل (متعان ــ مثعان ــ مشعان) في وادي إضم بمنطقة الليث ومثل (الثورة ــ الشورة ــ الشوار) من سكان المنطقة نفسها ، ولهذا يحير القارىء حين يريد معرفة الاسم الصحيح ، ما لم يكن من أهل البلاد نفسها) .

فماذا يعمل المرءُ حين يحاول تسجيل أسماء مواضع بهذه الصفة ؟! ليس أمامه إلا الرجوع إلى الجهات المعنيَّة بتسجيلها أو الذهاب إلى المناطق التي تقع فيها تلك المواضع ، وقد عملت من الأمرين ما استطعته ، فاستقيت موادَّ الكتابة من (وزارة الداخلية) ومن ادارة (الاحصاءات العامَّة) وهكذا وردت الأسماء ــ غير مضبوطة ــ في المواد التي قُدِّمَتْ لي من أوثق المصادر وقمت برحلات كثيرة إلى شمال المملكة ، وإلى المنطقة الشرقية ، ولهذا لم يقع في القسمين المتعلقين بهاتين الجهتين مما كتبتُه من المعجم سوى أسماء يسيرة ، نقلتها مما قُدِّمَ لي من مَوادّ ، ولم أجدْ من يزيدني علماً بها حين أتيت الجهة التي نُسِبَت إليها ، ولكون الاسم ورد في مرجع (رسمي) رأيت ضرورة إثباته كما ورد وتَبِعَةُ ما وقع فيه من خطإٍ لا تقع عليَّ . ومبالغة في تحري الصواب وضعت بعد الأسماء التي لم أتيقَّنَ صحتها علامة استفهام ؟!

٣ ــ تبادل الحروف الذي أشار إليه الكاتب الفاضل ، ليس عامًّا ، وما مثل به يفهم منه أنه أراد حرف الهمزة وحدها ، حيث أورد اسم (حايل) بالياء (وحائل) بالهمزة . كما أورد اسم (أجا) قائلاً : (فالهمزة التي بآخرها تكتب أحياناً ، وتحذف أحياناً .

ومن المعروف أنَّ للعرب في النطق بالهمزة طريقتين : النطق بها ، وتسهيلها ياءً أو واواً أو ألفاً ممدودة غير مهموزة كما في (حائل) و(مؤنْس) و(فأر) فلك أن تقول (حايل) و(مونس) و(فار) بدون هَمز ، ولك أن تظهر الهمزة ، ولست مخطئاً في أحد الأمْرين .

وعامَّة الناس ــ باستثناء المثقفين منهم ــ يُسَهِّلون الهمزة ، إذا لم تكن أول اسم فينطقون بها ياءً أو واواً أو ألفاً ، فما جاء في «المعجم» بدون همز روعي فيه نطق هاؤلاء وهو صواب ، وما جاء مهموزاً جرى على ما ورد في نُصُوص المتقدمين التي جرى الاستشهاد بها وهو صواب أيضاً .

ولَيْتَ الكاتب الكريم أوضح بالمثال معنى قوله : (كما ينسحب هذا على الكلمات التي تبدأ بحرف الألف ، حيث نجد الألف يحذف دائماً) .

وأخشى أن يعني بهذا اسم (بقيق) وأمثاله من الأسماء التي أعجمها الأعاجم فزادوها ألفاً ، مجاراة لنطق العامة الذين يبدأون بإسكان الحرف الأول في هذا الاسم وأمثاله مثل (نطاع) و(معقلة) فتَلَقَّفها عنهم الأعاجم فكتبوها بحروف لاتينية بدأوها بحرف (A) وتلقَّاها بعض المثقفين في بلادنا عن أولئك الأعاجم . ولو سرنا على هذه الطريقة لأعجمنا كثيراً من الأسماء العربية .

٤ ـــ والدكتور الفاضل ـــ بتَتَبُّعِهِ قراءة ما لاحظ التَّفاوت فيه في قَدر المادَّة ـــ أدرك بدون شكٍ أن هذا يرجع لأمور منها : ما للموضع من أهمية تستلزم إطالة القول عنه ، كالحال في (الرَّبذة) الموضع الأثريّ المشهور و(الشَّعراء) البلدة المعروفة ، ومثل الأول (ثاج) و(البيضاء) ومنها : محاولة تحديد الموقع الذي أصبح مجهولاً بإيراد ما يمكن إيراده من النصوص المتعلقة به ، إذ على ضَوئها تتحقق المحاولة ، كما في (الأُدمَى) ومنها : كون الموضع لا أهميَّة له ، ولكنه يدخل في مُسَمَّى يشمل عدداً من المواضع كما في (جَوب قَطعاء) وقد أدرك الكاتب الكريم تلك الاعتبارات ، كما أوضح هذا بعد إبداء تلك الملاحظة .

٥ ـــ وما أخذه الدكتور على مؤلفي «المعجم» من تفاوت المعلومات طولاً وقِصَراً ونَوعاً ، ليس ببِدعٍ في كتاب يتناول تأليف أقسامه مؤلفون لا يجمعهم سوى غاية واحدة ، هي أن يُسْهِم كل واحد منهم بما يستطيع الاسهام به من تدوين ما لديه من معلومات عن أسماء الجهة التي تصدَّى للكتابة عنها ، لتَضِمَّ تلك المعلومات متى أصبحت صالحة إلى مواد ذلك «المعجم» .

أمَّا الطريقة التي تنسق بها تلك المعلومات تنسيقاً شاملاً لما ستضاف إليه ، فتلك مرحلة أخرى من مراحل تأليف هذا «المعجم» لَمْ يَجْرِ بَعْدُ إعداد العمل بها ، إذ كثير من مَواد الكتاب لم تُدَوَّن بَعْد .

ولهذا فمن السابق لأوانه ما أبداه النَّاقدُ الفاضل من ملاحظة في هذه الناحية .

الأسماء القديمة :

وقال الدكتور أسعد : (ومما يلاحظ أنه لم توحَّدُ طريقةُ الكتابة عن الأماكن التي كانت لها أسماء قديمة مختلفة عن أسمائها في الوقت الحاضر) .

وأشار إلى أن في قسم «شمال المملكة» :

١ ــ ذكر الاسم المُجَرَّد ورودِه في كتاب قديم حتى وإن كان غير معروف للمؤلف مثل (الأبهم) ص ١٦٣ .

٢ ــ ذكر الاسم القديم والاسم الحديث في مكانهما .

٣ ــ ذكر الاسم الحديث مع الاسم القديم في موضع واحد ومثل لذلك باسم (السَّلمة) والقول بأن الموضع يعرف قديماً باسم (السلالم) ولكن عند ذكر هذا الاسم (سلالم) لم ترد الإشارة إلى أن اسمها في الوقت الحاضر السلمة .

٤ ــ ذكر الاسم القديم مع الاسم الحديث ، وعدم ذكر الاسم الحديث في موضعه مثل (ذي الرُّقَيبة) الذي ورد عنه أنه يُعرَف الآن باسم (أبو رقبَة) مع عدم ذكر الاسم الأخير .

وأشار إلى أن كتاب «بلاد القصيم» يمتاز بأنه ليس من بين مُفرداته أسماء قديمة لأماكن لها الآن أسماء أخرى بل اكتفى فيه بذكر الاسم القديم أثناء التعريف بالمكان ، مع الإشارة إلى الأسماء القديمة في الفهرس .

ولا أدري هل استكمل الدكتور اسعد قراءة ما كتبته من أقسام «المعجم» فقد أوضحت أن ذكر الأسماء القديمة أمر لا بُدَّ منه ، فقلت في مقدمة القسم المتعلق بشمال المملكة : (ولئن كانتِ الغاية من تأليف المعجم تَحْدِيد مواقع المُدُن والقرى والأمكنة المأهولة في المملكة في زمننا الحاضر ، فإنَّ هذا في رأيي لا يكمُلُ بدون إيجاد الصلة بين ما لهذه البلاد من ماضٍ ذي تأثير قويٍّ مباشر بحاضرها) ثم أوضحت جوانب من ذلك التأثير وقلت : (ولهذا عُنيتُ بإيراد مجمل ما اطلعت عليه من النصوص المتعلقة بالمواضع ، وحاولت تحديدها) .

كما أوضحت أنني قد أذكر الاسم القديم وإن لم يكن معروفاً الآن ، فقلت :

(وقد لا يرتاح كل قارىء من أمور تعترضه أثناء مطالعة هذا الجزء منها :

١ ــ تكرار كثير من الشواهد والنصوص ــ ثم أوضحت السَّبب ــ .

٢ ــ إيراد أسماء مواضع مع ما ورد فيها من النصوص بدون تحديد تِلْكَ المواضع غير أنني وقد حددت الناحية التي ظهر لي أنَّ الموضع يقع فيها قَرَّبتُ للقارىء الأمر ، وبَدَلاً من أن يتيه في بَيْدَاء : (بين البصرة ومكة) و(في جزيرة العرب) أصبح من الميسور له البحث في جزء ضَيِّقٍ مُحَدَّدٍ من الأرض ، قد يتهيَّأ لهُ من الوسائل للاهتداء إليه أقوى مما تَهيَّأ لي) .

٢ ــ ذكرت الأيهَمَ بهذا النَّص : (قال نَصْرٌ ولطيِّءٍ الأَيْهَمُ ، وهي أودية لبني موقع ، وكذا في «معجم البلدان» انتهى .

وقد حَدَّدْتُ بلاد طيء ــ في أول القسم الذي ذكرت فيه الأيهم ــ وهي جَبَلاها أَجَا وسَلْمَى وما حولها .

ولهذا فليس من المستبعد أن يكون من بين المواضع المعروفة الآن فيما حول الجبلين موضع يسمَّى الأيهم ، فيحمل عليه ذلك النصّ .

٣ ــ الطريقة التي سِرْتُ عليها أن أذكُر اسم الموضع قديماً كان أو حديثاً في موضعه ، مع الإشارة إلى ما طرأ على ذلك الاسم من التغيُّرِ في كل موضع ذكرت الاسم فيه غالباً .

٤ ــ ذُو الرُّقَيْبَة : اسم ورد ذكره في حديث نبوي ، ذكرته في الكلام على (جنفاء) ولما سأَلْتُ عنه في خيبر ، وانا في مدرستها بين معلمي تلك المدرسة أروني ذلك الجبل مُطِلاً على منخفض الواحة من الجهة الغربية الشمالية ، فلما سألتهم عن اسمه الآن قال أحدهم (أبو رقبة) وقال آخرون (أُمُّ رَقَبة) وقد ذكرت الاسم الأخير في موضعه من الكتاب ، وفاتني ذكر الأول في موضعه ، فملاحظة الدكتور في مَحَلِّها .

المعجـم والشعـر :

أوضح الناقد الفاضل جانباً من عناية مؤلفي «المعجم» بذكر الشواهد الشِّعْرِيَّة ، وكان مما قال : (وتميل بعض كتب المعجم إلى التوسُّع في إيراد نصوص من الشعر ، فَتَذْكُرُ عَدَداً من الأبيات لمُجَرَّدِ ورود اسم المكان في بيت واحدٍ ، مثل ما وَرَدَ في مادَّة (أُجارد) من كتاب «شمال المملكة» .

وقد لا يكون الهدف من ذكر الشعر تحقيق اسم المكان ، وإنَّما الإشارة إلى مشاعر مُعَيَّنة تتعلق به) ومثل بما جاء في «معجم اليمامة» عن (الدّرعية) .

وأشار إلى وقوع شروح للشعر عند الاستشهاد به خارجة عن موضعها وختم ملاحظاته في هذا الجانب بقوله : (ورغم أنَّ الاستفادة من الشعر في دراسة أسماء الأماكن أمْرٌ لا يُنْكَر ، فإنَّ التوسُّع في ذكر النصوص الشعرية ناتجٌ في بعض الأحيان عن ميول المؤلف الأدبية ، وليس عن حاجة دراسة اسْم المكان ، وهو أمْرٌ كان من الأحْسَن تَجَنُّبه) ورأي الدكتور وَجِيْه وسَدِيد ، وقد لاحظ بعض الإخوة ممن شاركوا في التأليف جانباً من هذا وكما تقدمت الإشارة إلى أنَّ الكتاب لا يزال في دور التأليف ، فمن الممكن تدارك ما ينبغي تداركه عند البَدء في ترتيب مواده . ولكن هذا لا يمنع من لفت نظر الكاتب الكريم إلى :

١ ــ إيراد عدد من الأبيات من الشعر ليس لمجرد ورود اسم المكان في بيت واحد عند ذكر (أُجارد) فالمقطوعة الشِّعرِيَّة التي وردت ــ رغم ما تتَّصِفُ به من طرافةٍ في موضوعها طرافة تذهب عن الباحث السَّأم الذي ينشأ عادةً عن الاستمرار في قراءة النصوص القديمة ــ ورد فيها اسمْا موضعين (حُلامات) و(ذات أصفاء) مما يدل على صلتهما بأجارد ، فمعرفتهما تعين على معرفة ما حولها ، ثم إن البيت الذي فيه ذكر ذلك الموضع مُتَّصِلُ المعنى بما بعده من الأبيات .

٢ ــ لم يُمَثِّل الدكتور لما رآه خارجاً عن الموضوع في شرح الشعر المُسْتَشْهَد به ، ومهما يكن ففهمُ الشاهد الشعريّ من جميع نواحيه يجعل الاستشهاد به أوضح ، وهذا لا ينفي ما لاحظه الدكتور من أن التوسع في ذكر النصوص الشعرية وفي شرحها مما لوحظ فيما

صدر من أجزاء المعجم ، وخاصَّة الشعر العامي الحديث الذي لا يُضِيف في تحديد الموضع أو صفته جديداً أو مُفيداً .

مقدمـة المعجـم :

تحدث الدكتُور عن (مقدمة المعجم) واصفاً ومُثنياً وناقداً ، فذكر (من جوانب الضَّعف في هذا الكتاب عدم تَقيُّدِهِ بترتيب المفردات حسب حروف المعجم بما في ذلك الحرف الثاني والثالث للاسم . وكذالك عدم ضبط بَعْضِ الأسماء . وهناك جوانب أخرى كثيرة منها أنه يُعرِّفُ بعض الأمكنة بأنها أودية ، دون أن يذكر إذا كانت من موارد البادية أم لا ، أنظر الأحسبة والأدمة والأرطاوي — على سبيل المثال — مع أن الكتاب عن الأماكن المسكونة .

وهناك ملاحظات على طريقة كتابة بعض أسماء الأماكن مثل كتابة الطايف بالياء بدل الهمزة في ص ٨٠ وعدم السير على طريقة واحدة في كتابة الهوامش ، أو كتابة الأماكن ذات الأسماء المشتركة ، أو كتابة الإمارة التي يتبعها المكان ، أو نوعية المعلومات الواردة عن المكان) .

إنَّ هذه المقدمة — التي أطال الناقد الكريم الحديث عنها — نُشِرَت لغايتين أولاهما استفادة الإخوة الذين شاركوا في تأليف « المعجم » لمعرفة أسماء المواضع التي تقع في كل منطقة من المناطق التي خُصِّصَ « المعجم » للتأليف عنها ، فقد نقلت تلك الأسماء من بياناتٍ المفروض فيها أنَّها صحيحة ، وهي مذكورة في أول المقدمة . ومعروف أنَّ كل مؤلف لن يعتمد عليها إلا بقدر محدود هو عدد الأماكن وأسماؤها مما يدخل في المنطقة التي سيتحدَّث عنها . ثم هو على درجة من الادراك والمعرفة تُمكِّنُهُ من معرفة ما فيها من أخطاء .

الغاية الثانية : الاستفادة من ملاحظات القُرَّاء في ضبط أسماء الأماكن ولهذا كتب في أولها : (طبع تجربة وتمهيد) وطُلِبَ في المقدمة من كل قارىء أن يُمِدَّ المؤلفَ بمعلوماته حول ما في ذلك الكتاب من نقص أو خطإٍ في ضَبْط الاسم ، أو غلط في تحديد موقعه — كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

١ ــ أما القول بعدم التقيُّد بترتيب الأسماء على الحروف فيظهر أن الدكتور وقع نظره على أسماء قليلة لا تُعَدُّ شيئاً بالنسبة لآلاف الأسماء الواردة في الكتاب ، والخطأ في وضع تلك الأسماء أنَّ جميع أسماء الكتاب كُتِبَ كل اسم منها في بطاقة خاصة فحصل تداخُل بين عدد يسير من تلك البطاقات عند الطبع .

٢ ــ عدم ضبط بعض الأسماء أُوضح سَبَبُهُ فيما تقدم في الكتاب نفسه ولا أدري كيف فات الناقد الفاضل ، ففي صفحة ١٣ : (قد يكتب الاسم بصورة غير صحيحة ، لأن كثيراً ممن نقلوا تلك الأسماء لا يهتمون بكتابتها كتابة صحيحة ، فقد يكتبون الاسم الواحد بعدة صور . ولهذا يحير القارىء حين يريد معرفة الاسم الصحيح ما لم يكن من أهل البلاد نفسها) انتهى ملخصاً .

وجاء في (ص ٩) ما نصه : (أما ما لم يُضْبط من الأسماء أو ورد بصورة غير صحيحة أو لم يذكر فإنَّ الأمَل في أن تَتَضافر جُهُود القُرَّاء على تقويم المعوجِّ ، وعلى إكمال النقص ، وهذا أقوى دافع لنشره على هذه الصورة التي هي خير ما أمكن إخراجه بها) .

٢ ــ ومثَّل الدكتور بثلاثة أسماء هي (الأحسبة) و(أدمة) و(الأرطاوي) وفاته أن ذكر كونها أودية يَفِي بالتعريف ، فالأودية في البلاد بمنزلة شرايين الدَّم في الجِسْم ، إذ هي مجاري السيول ، ومُستقرَّات المياه وعلى ضفافها تنشأ مواقع الاستقرار والاستيطان منذ العصور القديمة حتى الآن والمثل العاميّ يقول : (إحْدِرِ وادي ، يُوصِلْكْ بَلَد) وحبَّذا لو مَثَّل الدكتور بأسماء أخرى غير أسماء الأودية .

٣ ــ واسم (الطائف) يصح لُغَويَّاً ونُطقاً أيضاً ــ بالهمز وعدمه وكذا (حائل) وما شابهها ، كما تقدم إيضاح هذا .

٤ ــ ولم يَتَّضِح لي مُرَادَ الكاتب الكريم من عَدَم السير على طريقة واحدة في كتابة الهوامش أو كتابة الأسماء المشتركة أو كتابة اسم الإمارة .

وما أراه عَنَى أمْراً ذا بال ، إذْ كُلُّ المعلومات الواردة في ذلك الكتاب وُضِعَتْ على وتيرة واحدة .

تسمية «المعجم» :

وأطال الدكتور الحديث عن (تسمية المعجم) ومما قال :

١ — (وصف هذا المعجم بأنه جغرافي لا يتَّفق مع ما اتُّبع في المعاجم العربية (القديمة) ثم أضاف : (لكن وصف معجمنا بأنه جغرافي يتمشّى إلى حدٍّ ما مع تعريف مؤتمر الأمم المتحدة لتوحيد الأسماء الجغرافية المتفق عليه سنة ١٩٦٧) .

وإذَنْ فقد كفانا الكاتب الكريم الاستيضاح عما يقصد من عدم اتفاقه مع ما اتُّبعَ في المعاجم القديمة الذي اقتصر إيضاحه له على ذكر كلمتيّ (المواضع) و (البلدان) في معجمي البكري وياقوت ، وأنهما لم يُوردَا كلمة (جغرافي) في عنواني كتابيهما . ولقائلٍ أن يقول للدكتور : وهل يَجِبُ التَقَيُّدُ بكل ما قالا ، وعدم الخروج عنه ؟!

٢ — وقال : (وقد نُسِبَ المعجم إلى البلاد العربية السُعوديَّة ، فسُمِّي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» وهذا خطأ يَصْعُبُ تَبْرِيْرُهُ ، لأنَّ المعجم يَهْتَمُّ بأسماء الأماكن ، ومع هذا لم يَتَقيَّدْ بالاسم الصَّحِيح للبلاد التي يدرس أسماء أماكنها) إلى آخر ما ذكر عن الاسم الرسمي للمملكة ولعلَّ الدكتور استعمل أول مرة كلمة (خَطَأ) في حديثه عن الكتاب في هذا الموضع ، ووصف الخطأ بصعوبة التَّبْرِير ! !

أنا لا أشكُّ في أنَّ من بين الطلاب الذين يتلقون العلم على الأستاذ الكريم الدكتور أسعد من يستطيع ادراك أن كلمة (البلاد) في اسم هذا الكتاب أنسب من استعمال كلمة (المملكة) ولَنْ يُعْجِز هذا الطالب القول بأنَّ جغرافية المملكة أشمل وأعم وأوسع مدلولاً ، فالكتاب لا يتعرض للبحث في حدود المملكة الجغرافية مع جاراتها من الحكومات ، ولا يتحدث عن المسافات والمساحات وتَعْدَاد السكان وغير ذلك من الأمور التي يجب أن يشملها «المعجم الجغرافي للمملكة» وقد لمح الدكتور هذا حين قال : (ولعل أوضح دليل على عدم اهتمام «المعجم» بحدود الأقسام المختلفة للمملكة أن (الجاسر) يذكر في كتابي (شمال المملكة) و (المنطقة الشرقية) أسماء أماكن خارجة ليس فقط عن حدود منطقة الدراسة وإنما عن حدود المملكة) .

ذلك أن الكتاب الذي يتحدث عنه الدكتور ، كل ما فيه من معلومات تنحصر في

تحديد المواضع ووصفها قديماً وحديثاً ، بدون التعرُّض للتفصيلات العامة للمملكة .

٣ ـــ أما ورود كلمة (المملكة) في عنوان كتاب «معجم اليمامة» أحد أقسام «المعجم الجغرافي» فما أظنُّ الأخ الأستاذ عبدالله بن خميس أدرك (الخطأ) الذي وقع في الأجزاء التي صدرت من «المعجم» فتداركه ، إذْ لو أدرك وقوعَ خطأٍ لنبَّه الإخوة المشتركين معه في العمل ، وهو نفسه قد استعمل هذه التسمية التي يَعتَبِرها الدكتور خطأً في ثنايا الكتاب (ص ١٤) مَثلاً .

ولا إخال الدكتور حين كرر القول بأن ما وقع من استعمال كلمة (البلاد) (خَطَأً يُؤسَفُ له) وَجَدَ في ذلك الكتاب أخطَاء أسوأً من هذا (الخطإِ المُؤسِف) لِيُفْضِل ـــ مشكوراً ـــ بإيضاحها لكي يتمكن مؤلفو «المعجم» من إصلاحها ، ولعله لو تعمق في دراسة المواد لوجد من الأخطاء ما هو أسوأ من هذا الأمر الذي عَدَّه خطأً ، ولن أُنشد عند ذكر هذا (الخطأ) قول الشاعر :

وعَيَّرَنِي الْوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّـهَا

ولكنني أرى في دقَّة ملاحظات الكاتب الكريم ، وشدّة تَعَمُّقه ، اهتماماً بهذا الكتاب ، يجب أن يقابل بالتقدير ، والاعتراف له بالفَضْل ، فَلَعَلَّهُ القارىء الوَحِيد الذي طالع ما صدر من أقسام «المعجم» مطالعةً تُدَلِّلُ على مبلغ اهتمامه بما ينشر عن جغرافية هذه البلاد ، ثم جاد بِجزء ثمينٍ من وقته للحديث عن آثار تلك المطالعة ، وهي آثارٌ جديرة بأن يستفاد بها .

أما ما لاحظه الكاتب الكريم حول أسماء أقسام «المعجم» .

فمن المدرك بداهةً أنَّ تلك الأسماء جعلتْ عناوين لما صدر من الأقسام التي سيشملها كلها اسمٌ واحدٌ ، فيما لو تَمَّ تأليف «المعجم» على الطريقة المتوخَّاة .

حـول طريقـة مؤلفي «المعجم»

ومما لاحظ الكاتب الكريم حول مؤلفي ما صدر من أقسام «المعجم» :

١ ـــ الاستعانة بمحدودي الثقافة وقاصري المعرفة لتجميع المعلومات ، وإعداد

دراسات عن الأماكن .

٢ ـــ كان المطلوب أن يكتب عن كل منطقة أَحَدُ أبنائها .

٣ ـــ كان من المفيد لو بُدِيءَ بتقسيم المملكة ـــ يقصد البلاد ـــ إلى أقسام على أُسُس مُعيَّنةٍ تبين حدود كل قسم لكي يراعي كل مؤلف هذه الحدود أثناء الكتابة ، عن القسم الذي اختصَّ به .

ولاَ شَكَّ أنَّ هذه الملاحظات على جانب كبير من الصواب ، غير أنَّ من أسْهَل الأُمور رَسْمَ الطَّريقة المُثْلَى لكلِ عمل من الأعمال ، لمن لم يزاول ذلك العمل ، ولكن ما أصعب السَّيّر وفق تلك الطَّريقة .

وليس الدكتور على درجة من الغفلة تَحْجب عنه الأسباب التي حالت دون تنفيذ تلك الملاحظات .

وليس ممن يجهل الحكمة المعروفة (شيء خَيْرٌ من لا شيء) وبارك الله فيه وفي إخوانه من أساتذة الجامعات لا ليرسموا الطُّرُق فَحَسْبُ ، بل ليقدموا أدّلةً صاقَةً على اتّباع أقوم السُّبل في أعمالهم . وأقول هذا من قَلْبٍ مُفعَمٍ بالصّدق والأمل .

مُلاحظات عامة :

ومما لفت انتباه الكاتب الفاضل :

١ ـــ عدم استفادة بعض مؤلفي أقسام المعجم من أهم مصادره التي سرد أسماءها (ص ١٧) أو من مؤلفات قديمة ورد ذكرها في بعض الأقسام .

ولكنَّ القسم الذي ذكر اسم مؤلفه طُلِبَ منه ـــ أو رغب هو ـــ أن يقدم ما يعرفه من معلومات عن بلاده وعن سكانها ففعل بقدر استطاعته فهل يُلاَمُ هو وأمثاله على عدم سَعَةِ اطلاعهم أو على اقتصارهم على القيام بجزء من عَمَل لم يكمل بَعْد ؟

٢ ـــ وكذا يُقَال عن الخرائط والصور التي لم تُرَاعَ فيها الاعتبارات الفَنِّية ـــ على ما ذكر الدكتور ـــ وعن وقوع أخطاء نحويَّةٍ في كتاب « بارق » مع أنه ليس من أقسام المعجم .

٣ ـــ وكأنَّ الدكتور الفاضل لم يَرَ داعياً لايراد أحاديث وقصص حول الأماكن التي ذكرتْ ، ولم يَرَ وجاهة تَعْلِيل إيرادها بدفع السَّأم الذي يَعْتَري القاريء بسبب جفاف البحث .

وأحال إلى صفحة (٣٩) بدون ذكر اسم الكتاب والى قصص أوردها الأستاذ عبدالله بن خميس ، وذكر أرقام الصفحات (٤٠) و(٤١) و(٤٢) وموضوع القصص ، ويظهر أنها من الجزء الأول من «معجم اليمامة» ولكنني لم أهتَدِ إلى مواضع تلك القصص والأحاديث ، ومع هذا فإنّ أذْواق القُرَّاءِ تختلف في هذا ، وإدخال ما يجدّد رغبة القارىء في الاستمرار في القراءة من الوسائل التي لا يختلف أحد في فائدتها . وليت وسائل التَّشويق وجَذْبِ القارىء لمطالعة الكتاب وقفت عند ذلك الحد من محاولة تحسين الأسلوب بدون خروج عن الموضوع . إنَّها تجاوزت ذلك إلى أن جعلت من الكتب أدوات تجميل للمكان الذي يحويها (ديكور) بحيث يُسْتَغْنَى بالنظر إلى تزويق مظهرها .

٣ ـــ وما ذكر الدكتور عن التصحيف في «المعجم» وأورد أمثلة منه من القسم المتعلق بشمال المملكة .

من الممكن إرجاع كل ما ذكر إلى أخطاء الطبع ، فمقال الدكتور الواقع في نحو عشرين صفحة من اليسير استخراج أخطاء مطبعية فيه لا تقل عن الأخطاء التي أحصاها الدكتور في كتابٍ تجاوزت صفحاته (١٤٧٠) .

مع أن كثيراً مما ذكر لا يصح أن يوصف بالتَّصحيف ، ولا بالخطأ . مثل : سلمان والسلمان ، فالأول هو الاسم القديم الوارد في المؤلفات القديمة والثاني هو الاسم الذي يعرف به الآن .

وحزَاباء ـــ حزابا ، والْحَيْزَاء ـــ الحيزا وصُبَيْحاء ـــ صُبَيْحا ، وظلماء ـــ ظلماء ـــ الأول في هذه الأسماء هو الاسم الفصيح ، والثاني هو الاسم المعروف الآن ، وسيَّان أُثبتت الهمزة كتابة ونُطقاً أو أُهملَتْ .

وأورد الدكتور بين الكلمات التي اخْتَلَفَتْ كتابتها كلمة (الشَّرَى) و(الشَّرا) وهو عَلَمٌ

لوادٍ مشهور يخترق سَلمي ، ويطلق أيضاً على إحدى قِمَم ذلك الجبل .

والواقع أنَّ كتابة ذلك الاسم بصورتين كانت مَقْصُودةً في الكلام على تحديد ذلك الموضع وَرَدَتْ نُصُوصٌ تَعصِم القاريء من نطق الاسم بالياء مع كسر الراء ، أما في الفهرس فروُعي كتابة الكلمة كما تُنْطَق لئلا يقع لَبَسٌ في نطقها يؤدي إلى تَغييرها .

ومِنَ المُدْرَك بَدَاهةً أنَّ قواعد الإملاء ما هي سوى وَسِيْلَةٍ لصحة النُّطْق بالكلمات وليْسَت غايةً ، ولهذا فهناك من متقدمي العلماء من يَرَى كتابة الكلمة كما تُنْطَقُ .

ولمَّا دعا الدكتور طه حسين لهذا الرَّأي ظَنَّ قاصرو المعرفة أنه سبق إليه ، ولكن الشيخ محمد بهجة الأثري قَدَّم بحثاً مُدْعماً بالأدلَّة لمجمع اللغة العربية في القاهرة أثبت فيه أنَّ من العلماء المتقدسين من يرى ذلك الرأي ، بتفصيلات أورَدَها الشيخ الأثريُّ — وكُنْتُ نَشَرتُ ذلك البحث قبل عشرين عاماً في جريدة «اليمامة» .

وكثيراً ما كنتُ أكتب الاسم كما يُنْطَقُ ، وإن خالَفَ القاعدة الاملائية ، التي ليست غايةً في نفسها ، ولكنَّها وسيلة .

ولا أرى حرجاً في كتابة جميع الأسماء وفق نُطْقها ، والأمر كما أوضحت — وإنْ خالف القاعدة المألوفة .

٤ — وحقّاً ما قال الدكتور من أن أخطاء الطباعة — يقصد (التطبيع) وهو الخطأ الناتج من عمل المطبعة — هذه الأخطاء اذا وقعت في الأسماء كان ضررها كبيراً .

ولكن ليس قولي : (هناك أخطاء أخرى لا تخفى على فطنة القارىء) ، يدل على عدم اهتمامي بحصر كل الأخطاء . بل أقصد أن هناك من الأخطاء ما لا يحتاج القاريء الفَطِنُ إلى اشغاله بذكرها ، فهو يَهْتدي إليها بِفطنته ، بعد أن أوضحت ما قد يخفى وجه صوابه .

الخلاصـة :

لقد تعرض الأستاذ الكريم للحديث عن جوانب أخرى يصح أن توصف بأنَّها

تَمَسُّ الشَّكْلَ لا المَضْمُون من « المعجم » ختم بها حديثه مما لا أرى إشغال القارىء ببيان وجهة الرأي حولها ، فهي لا تعنيه في قليل أو كثير.

ثم انتهى إلى القول : (يُوْجَدُ عدد من الملاحظات على « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » ويمكن ذكر المزيد من الملاحظات ، لو أنَّ المقال اخْتَصَّ بكتاب واحد من كتب « المعجم » وتعرَّض لمناقشة الاجتهادات حول أسماء بعض الأماكن أو مواقعها) !

أيُّها الأستاذ الكريم : لقد أدركت حاجة بلادنا إلى مثل هذا « المعجم » فاهتمامك بمطالعة الأقسام التي صدرت منه هو أقوى دَلِيْلٍ على ذلك ، ثم إنَّك — بفضلك وعلمك ، وبمكانتك في أقدم جامعة علمية أُنشِئَتْ في هذه البلاد — عليك ضريبة للعلم ، وفي سبيل خدمة بلادك منها الإسهام بقدر ما تستطيع — لا بكل ما تستطيع — في كل عمل ثقافي اتضحت لك فائدته.

ومن ذلك إكمال ما بدأت بعمله نحو هذا المعجم ، وذلك بتناول أحد أقسامه بإبداء الملاحظات التي لا شكَّ أنك أدْركت بَعضها مما لم تَتحدَّث عنه . وحبَّذا لو كان من بينها مناقشة الآراء المتعلقة بتحديد بعض المواضع القديمة التي جُهِلَتْ مواقعُها ، فجرتْ محاولاتٌ لتحديد تلك المواقع ، استناداً على النصوص القديمة ، كتحديد موقع (الربذة) و(فدك) و(البُطَاح) و(بُزَاخة) وأمثالها من المواضع التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ أمتنا وبلادنا ، والجهل بمواقعها مما لا يغتفر لأيٍّ مثقف يعني بدراسة تاريخ هذه الأمة وجغرافية هذه البلاد.

وإذَا تَقَاعَسْتَ أنت وأمثالك — من المُهْتَمِّيْنَ بتلك الجوانب الثقافية — عن اسداء النصح والتَّوجيه لمن حاول فأبدى ما قَدِرَ عليه بما قام به من عمل فكيف تستقيم الأمور وتصلح الأحوال ؟

إنَّ من اليَسِيْر أن يَتناول المَرءُ عَمل غيره — تَقْرِيظاً أو نقداً — من جوانب محدودة خاصَّة ، ولكن العالم المُدَرك لما يجب عليه — يُراد مِنْهُ حين ينظر إلى عَمل عامٍّ ما هو أعمُّ وأشْمَلُ في سبيل تقويم ذلك العمل — إن كان من الممكن تقويمه أو ابراز ما هو خير منه.

نساء في القمة

- ٢ -

أم تفرح لمقتل ولدها وتحزن لنجاته :

في القرن الخامس الهجريِّ صارتْ بِلادُ الشام مُلْتَقى جيوش الخلافتين المتَصارِعتينِ العباسية والفاطمية في معاركَ طاحنةٍ ، أكلت الأخضرَ واليابس ، أهلكَتِ الْحَرْثَ والنسل ، فبطل العمران ، وانتشر الخراب في كل مكان ، ونُهبت الأموال من السكان ، وتهدَّمتْ أسوار المدن ، فطار عنها طائر الأمان والاطمئنان ، وسمعتْ (أوربَّا) بما جرى في البلاد التي بارك الله في أرضها ، فأزال الظالمون منها البركة والخير ، فتداعى أبناؤُها الطامعون في السلْبِ والنهب ، وأتَّوا من كل فَجٍّ عميق في جموعٍ كثيفة تَحْمل راية الصَّليب ، وتسعى لتخليص القدس من أيدي المسلمين .

وطلع القرن السادس الهجريُّ على الصليبيين ، وقد أقاموا مملكة لهم في القدس ، التي ذَبَحُوا سكانها جميعاً ، ثم جمعوا جُثَثَهُمْ في تَلٍّ عظيم أَجَّجُوْا فيه النِّيران ، وأسَّسُوا ثلاث إمارات في طرابلس الشام وأنطاكية والرُّهَا ، وأخذتْ جيوشهم تنطلق من هذه الأماكن في غارات مُتَّصِلَةٍ على مدن الشام وقراه ، فتقتُل الرجال وتسبى النساء ، وتنهب المواشي والأموال ، وكانتْ مدينة (حلب) أشَدّ البلاد ابْتِلاءً بهم ، لقربها من مدينة أنطاكية التي حكم إمارتَهَا أشَدُّ أولئك القوم شكيمة ، وأقواهم قَلْباً ، وأقدرهم على إدارة المعارك والثبات في ساحات القتال ، فما لَقِيَتْ بلدةٌ منهم مثل ما لَقِيَتْ ، ولا

وإخوانك — أيها الأستاذ الكريم — لن يقنعهم من علمك وإنصافك تلك الكلمة الطيبة التي ختمت بها حديثك الممتع ، وصَدَّرَتُ بها كلمتي هذه — في الثناء على « المعجم » إنَّهم يتطلَّعون إلى المزيد من كُلِّ ما يضع أنظارهم على مواقع الخطأ فيما وقع منهم ، وما يُعينهم على السبر في الطريق القويم لبلوغ ما تَوَخُّوه من غاية لإكمال هذا العمل الذي بدأوا فيه .

ولو جاز تَقَارُضُ الثناء في هذا المقام لكان الدكتور الفاضل من أجدر من يوجه إليه ذلك .

حمد الجاسر

صبرتْ مدينة كما صبرت ، حتى كادت تُغْلب وتُملك ، فمضى بعضُ أهلها إلى بغداد ، فاستغاثوا في أيام الْجُمَعِ ، ومَنَعُوا الخطباء من خطبة الجمعة وكسروا مَنَابِرَ المساجد ، فبكى الناس لبكائهم ، وحزنوا لحزنهم ، فأمر السلطان حاكم (الموصل) واسمه (مودود) بالخروج بعساكره إلى الشام ، وكان مودود رجُلاً صالحاً شجاعاً ، فاتَّجَهَتْ إليه قلوب السكان ، وتجمعت حوله آمالُهم ، وأحاطت به دعواتهم ، فكسر الْفِرَنْجَةَ في معاركَ كثيرة ، وهزم ملكهم (بَلْدْوِيْن) عند مدينة (طبرية) ، ووصل إلى مدينة نابلس ، وكاد يصل إلى القُدْسِ ، لولا نفاد مُؤَنِ جيشه الذين تفرقوا للتزود بالمؤن والعودة إليه ، وأقام هو في دمشق ينتظر عودة الجنود .

وفي اليوم الرابع من وصوله إلى دمشق دخل المسجد الأُمَوِيَّ لصلاة الجمعة ، وخرج من الصلاة ويَدُهُ في يد حاكم دمشق ، فهاجمه رجل كان هذا الحاكم قد وضعه لاغتيال هذا المجاهد الكريم ، فجرحه أَرْبَعَ جراحات ، وكان صائماً فاجْتُهِدَ به لِيُفْطِرَ فأبى ، وقال : لا لقيتَ اللهَ إلا صائماً ، ومات من يومه ، فكتب ملك الفرنجة لحاكم دمشق : إنَّ أُمَّةً قَتَلَتْ عَمِيْدَهَا في يوم عِيدها في بَيْتِ معبودها لَحَقِيْقٌ على الله أن يُبِيْدَها وبكته العيون ، وجزعت له النفوس ، وأصبح الناس في الشام سُكَارَى وما هُمْ بِسُكَارَى ، ولكنّ الخوفَ أصبح من الصليبيين عظيماً . وأمْسَى سكان (حَلَب) أشدَّ الناس خوفاً ، فقد فُتِحَتْ الطريق إليها لأنه مات الذي كان يُخيف الغزاة .

وجاء (بلدوين) ملك الصليبين و(جوسلين) شيطانهم في جموع كثيفة ، ومع الغزاة (دُبَيْس بن صدقة) ، أمير عرب العراق ، الذي وعده الفرنجة بأن يملكوه في حلب ، إذا احْتَلُّوها ، ورافق موكبهم شيخ اللصوص في الجزيرة (مالك بن سالم العُقَيْلِي) صاحب قلعة جَعْبَر ، فحاصر هؤلاء الفرنجة والعرب مدينة حلب ، فقطعوا الشجر وأفسدوا المزروعات ، وبات أهل حلب في كرب شديد ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ ، بعد أن أصبح القَتْلُ والسَّبْيُ قاب قَوْسَيْنِ أو أدْنى منهم ومن نسائهم وأطفالهم ، وضاقَتْ عليهم الأرض بما رَحُبَتْ ، ونفدت الأقْواتُ ، فأكلوا الكِلَابَ والمَيْتاتِ ، وأصاب المرضُ النّاسَ ، ولكنه لم يكن يمنعهم من القيام من فراشهم سراعاً إلى الاسوار ، إذا ضربت الأبواق إنذاراً بهجوم الأعداء ، واستطاع وَفْدٌ منهم أن يتسلَّلَ

في جنح الظَّلام بين جيوش الأعداء ، وقصد مدينة الموصل التي خلف (مودود) في حكمها أميرٌ يدعى (البرسقي) ، فوجدوه مريضاً ، فدخلوا عليه ، واستغاثوا به ، فقال لهم : ترون ما أنا فيه من المرض ، ولكن قد جعلت لله عليَّ نَذْراً إن عافاني من مَرضي لأَقُومَنَّ بالذَّبِّ عن بلدكم ، فما مضى ثلاثة أيام على نذره هذا حتى فارقته الْحُمَّى ، فأخرج خيمتهُ خارج مدينة الموصل ، ونادى بالتأهُّبِ للجهاد ، ووصل بجيشه إلى حلب ، في ذي الحجة من سنة ثماني عشرة وخمس مئة ، فلما رأى الخونةُ والفرنجةُ جيشه مُقبلاً هربوا بدون قِتَال ، وأزال الله تعالى عن حلب الْغُمَّة ، وشرع الناسُ يزرعون أرضهم في شهر (شباط) يبلُّونَ الْحَبَّ بالماء ويزرعونه ، فنبت ، وتداركت عليه الأمطارُ ، فجاءت غلةُ ذلك العام من أجود الغِلال وأزكاها .

وتابع البَرْسَقيُّ جهاده في بلاد الشام وكسر الفرنجة في معارك عديدة ، ولكن الذين اغتالوا (مودود) إطفاءً لنار الحسد التي أكلتْ قلوبهم وأكبادهم ، أرسلوا نفراً يلبسون ثياب المجاهدين ، فاغتالوه في جامع الموصل ، وقت صلاة الجمعة أيضاً .

لقد كان رأى في منامه أنَّ عدَّة كلاب قد هاجَمَتْهُ ، فقصَّ رؤياه على أصحابه فأشاروا عليه بترك الخروج من داره ، فقال : لا أترك صلاة الجمعة لشيء أبداً ، فخرج إلى الجامع ، وكان يُصَلِّي في الصف الأول ، فخرج أولئك الكلاب عليه ، فأثخنوه بالجراح ، فمات من يومه ، فبكاه الناس كما بكوا عند مصرع (مودود) وحزنوا جميعاً إلا امرأة من قرية تسمى «كفرناصح» من قرى حلب ، فقد تزينت واكْتَحَلَتْ ، وجلست للتهنئة ، بِمَقْتَلِ ولدها الذي بلغها أنه كان ممن هاجموا البرسقي ، فَقُتِلَ ، فَسُرَّتْ لمقتله ، ولكن ما مضتْ أيَّامٌ حتى وصل ولدها الآثمُ سالماً ، فسوَّدَتْ تِلْكَ المرأة الصالحة وَجْهَهَا ، وجزَّتْ شعرها وأظهرت الحزن والبكاء على الشهيد (البرسقي) الذي يصح أن يقال فيه :

وما كان قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكٌ وَاحِدٍ ... ولـكـنَّـهُ بُـنْـيَـانُ قَوْمٍ تَـهَـدَّمَا

ولنجاة ولدها الذي ما أصح أن يقال فيه :

تَبَّتْ يداكَ لَئِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً ... حَقَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ الْمُتَعَمِّدِ

الكويت محمد علي العبد

القرعاء
إحدى قرى القصيم

[سيصدر من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الجزء الخامس . وترى مجلة «العرب» في عرض أبحاث من أجزاء هذا المعجم فائدة مزدوجة ، فالقُرَّاء سيستفيدون ويستمتعون بقراءة أبحاث طريفة في موضوعها ، وقد لا يَضنُّون بإبداء ما يعنُّ لهم من ملاحظات قد تفيد مؤلفي تلك الأجزاء ، حين يعاد طبع «المعجم» كاملاً] .

الْقَرْعَا :

بفتح القاف فراء ساكنة ، فعين مفتوحة فألف مقصورة على صيغة مؤنث الأقرع ، إلا أنهم قصروا الفها كعادتهم في جميع كلامهم العاميّ .

قرية قديمة العمران في ناحية الجواء تقع الى الشمال من بريدة على بعد حوالي ٢٣ كيلاً وتعتبر أقرب قرى الجواء إلى بريدة . وكان لها في الماضي القريب شأن عظيم ، وقد أخرجت رجالاً خدموا الدولة السعودية في الخارج مثل أسرة (الرميح) و(القحيمي) (والصَّقيْر) ولا يزال من هذه الأسر الثلاث أشخاص يحتلون مناصب رفيعة في الدولة .

إلا أن القرعا الآن في طور اندثار تدل على ذلك آثار العمارة القديمة من جذوع النخيل الخاوية والآبار المندثرة في جَوِّها .

وقد بقي من شواهد أهمية القرعا وقوتها في الماضي أثران :

الأول إلى الغرب منها قارةٌ مرتفعة فوقها بُرْج عظيم مبني من الصخر مُسَقَّف من الداخل ، بقي منه حتى الآن ستة أمتار . ولا شك في أن الذي سقط منه كان كثيراً واذا صعده المرء فإنه يشاهد ما حول منطقة (القرعا) وجَوِّ غضَيْ الذي يقع عنها الى الغرب بوضوح .

الثاني : قلعة هامة قليلة النظير في منطقة القصيم ، تقع في شرقي البلدة مقابلة لبرج المراقبة الذي يقع في أقصى غربيها فكأنهما متقابلان يقومان على حراسة مجد البلدة

الذاهب حذار أن يتبع أهلها الأولين .

وهذه القلعة مبنية بالحجارة إلى ارتفاع يزيد على المترين ثم بجدران مضاعفة من الطين القوي .

وهي من طابقين أكلت الأرضة خشبها وفي داخلها بئر حُفِرَتْ لئلا يحتاج من يحصر فيها إلى طلب الماء من خارجها . ولم نجد لها باباً ، مما يدل على أن بابها سِرِّيٌّ إما أن يكون خفياً بواسطة سرداب في جوف الأرض ، أو أن يكون يوصل إليها عن طريق بئر قريبة منها .

أما بناء الطين الباقي منها فإنَّ ارتفاعه يبلغ حوالي ٧ أمتار .

وقد دثر أكثر المباني والبساتين التي حول القلعة ، ولم يبق إلا أطلالها وبقايا القنوات والجوابي التي أُحيطت جوانبها بالحجارة .

تكلم عليها المستر لوريمر فيما استقاه من تقارير الأوروبيين الأوائل الذين زاروا منطقة القصيم في أول هذا القرن الرابع عشر فقال :

القرعا[١] على بعد ١٤ ميلاً غرب شمال غربي بريدة عند الجانب الغربي لجبل صارة[٢] (١٠٠٠) منزل لخليط من العرب . تنقسم القرية إلى قسمين أحدهما يسمى (قصر الحويطي) ويبعد عن القسم الآخر ميل في اتجاه الشمال ، وتوجد الفاكهة والنخيل والخضروات وكلها تروى من مياه الآبار الضاربة إلى الملوحة ، ولكن يمكن شربها . والمياه على عمق يتراوح ما بين ١٣ و ١٤ قامة . وتوجد بحيرة على بعد ميلين من القرعا ، وأحياناً تجف مخلفة طبقة سميكة من الملح[٣] .

تسميتها :

سُمِّيَت بالقرعا لوجود قاع أملس فيها يشبه في بياضه رأس الرجل الأقرع ، وهو واقع إلى الجهة الغربية من البلدة .

وكانت تسمى في القرن الثامن «قُرَيْع» بصيغة تصغير «أقرع» تصغير الترخيم ذكر

ذلك ابن فضل الله ناقلاً اياه عن رجل في زمنه — في القرن الثامن الهجري ، ذكرها في منازل بني خالد ، وذكر إلى جانبها ضارجاً (ضاري حالياً في الشقة) والكوارة (القُوارة) والنَّبوان (الصَّوال حالياً في قصيبا) وساق العرفة الذي هو ساق الجواء وسمي ساق العرفة بسبب وجود عرفة له تسمى الآن «شرفة ساق» وسبق ذكرها في حرف الشين. والرسوس ، التي هي الرس والرسيس وموضع آخر قريب منها . قال ابن فضل الله : خالد ، ودارها : التنومة ، وضيدة وأبو الديدان (والقريع) وضارج ، والكواره ، والنَّبَوان ، إلى ساق العرفة إلى الرسوس(٤) .

ذلك كان اسم القرعا في القرن الثامن الهجري فأصاب التغيير اسمها بالتكبير بعد التصغير ثم بالتأنيث بعد التذكير التفاتاً منهم إلى كونها بلدة أو قرية ومن حق البلدة أو القرية أن تؤنث كما هو معلوم هذا ما لا أشك فيه . ولكن هل تلك التسمية «قريع» التي هي أصل التسمية الحالية (القرعا) قديمة !

الجواب : بالنفي بكل تأكيد ، هذا ما أقوله إذْ لم أقِفْ على اسم «قريع» فيما وصل إليَّ من المصادر القديمة .

إذاً لا بد أن نبحث عن اسمها القديم أي الذي كانت تعرف به في الجاهلية وصدر الإسلام ، أو إلى أنْ سُمِّيَتْ «القريع» وبعد البحث عنها اقتنعت بأن اسمها القديم كان «جوَّمُرامِر» على لفظ الجو الذي هو المكان المنخفض من الأرض مضافاً إلى مُرَامِر بميم مضمومة فراء فألف ثم ميم أخرى مكسورة فراء في آخره .

وإليك بيان ذلك :

تقع (القرعا) في منطقة الجواء وهي منطقة ذكر الأقدمون أكثر الأماكن التي فيها حتى الصغيرة منها ، ومنها (قارة) صغيرة اسمها ناصفة الغَرَّاء ولا تزال تسمى حتى الآن عند المتأخرين «منيصفه» .

فلا يعقل أن لا يذكروا موضع القرعا الذي هو في جو من الجواء ظاهر بل هو ملفت للنظر في هيئته وفي خصوبة أرضه ، وفي قاع أملس واسع فيه واذاً لا بد أنهم ذكروه ولكن باسم يختلف عما نعرفه فما هو ذلك الاسم؟

لقد ذكروا في الكلام على الأماكن التي كانت لعبس عدة مواضع متجاورة أكثرها معروف باسمه القديم في تلك المنطقة وذكروا من بينها (جوّمرامر).

قال الإمام لغدة الأصبهاني : والهُدَيَّة : لبطن من حنظلة يقال لهم بنوسمر ، وضلفع لعبس ، ورماح لعبس و(جومرامر) لعبس ، وأثال لعبس وهو وادٍ فيه نخل وضارج لبني الصيداء من بني أسد ، وقوم من بني السبيع وهم فخذ من حنظلة[٥].

فذكر الهدية التي لا تزال محتفظة باسمها القديم وتقع الى الشمال من القرعا . وأثال الذي يقع إلى الشمال منها أيضاً وضلفع التي هي الضلفعة وتقع إلى الغرب من القرعا وضارج (ضاري) الذي يقع في الشقة أو هو الشقة كلها ويقع إلى الجنوب من القرعا ملاصقاً لها .

وعلى هذا يمكن القول بأن (جومرامر) الذي لا نعرفه بهذا الإسم القديم هو القرعاء ، وقد يقال : لماذا لا ينطبق ذلك على رماح الذي لا نعرفه أيضاً ؟

والجواب : لأن (جومرامر) كما يدل عليه اسمه (جو) أي منخفض من الأرض والقرعاء كذلك بخلاف رماح الذي لم يذكر أنه جو ، فلعله كان مثل الضلفعة .

ودليل آخر على ذلك وهو أن المتقدمين نصوا على جوين متميزين في ناحية الجواء أحدهما (جو أثال) وهو معروف قديماً وحديثاً والآخر (جومرامر) وهو غير معروف للمتأخرين ، ولكنهم وصفوهما بوصفين فيهما وضوح إذ ذكروا أن جو أثال كان يمر به طريق حاج البصرة إلى المدينة بخلاف الجو الآخر الذي هو جو مرامر هذا بالإضافة إلى أنهم ذكروا عيون ابن عامر التي هي عيون الجواء في الوقت الحاضر وذكروا أن الطريق يطؤها فدل على أنها ليست هي جومرامر ، واذاً لا بد من البحث عن جو متميز ليس على طريق حاج المدينة إلى البصرة وهو قريب من أثال ولا يوجد ما يستحق ذلك مثل الجو الذي فيه القرعاء فصح أن يقال — إذاً — إنه هو جومرامر القديم .

قال ياقوت : وجو أثال و(جومرامر) يقال لها الجوّان وهما غائطان في بلاد بني عبس أحدهما على جادة الطريق[٦] .

أقول : الذي على جادة الطريق هو جو أثال كما قال الإمام الحربي في كلامه على طريق حاج البصرة إلى المدينة :

يعدلون من النباج نباج بني عامر فيتيامنون ، فيصبحون من ليلتهم ببطن قو وهو وادٍ يقطع الطريق ، تدخله المياه ، ولا تخرج منه ، قد بنيت عليه قنطرة يعبر الناس عليها ، وليس فيه حفائر إلا أن يكون في البطن ماء ، ثم يرتحلون منه فيصبحون ماءً لعبس يقال له : أثال ، وأثال عقبة في ذلك الموضع ، إلى أن قال : وبين أثال ، وبين الماء الذي ينزلون فيه ثلاثة أميال ، وهي عيون ابن عامر وهي مياه ونخل(٧) .

فذكر أثال وأن الحجاج يمرون به وان أثال عقبة ، والمراد أن فيه عقبة فيما بينه وبين عيون الجواء تسمى الآن (المشيرف) تصغير مشرف ثم بعد أثال يذهبون إلى عيون الجواء .

فصح أن الجو الذي يمر به حاج البصرة إلى المدينة هو جو أثال ، واذاً يكون الجو الآخر الذي لا يمرون به هو جومرامر ، وهذا يدل على أن جومرامر هو القرعا لأن الحاج يمر بأثال وبالجو الذي فيه عيون الجوا أما القرعا فإنها عادلة جنوباً وليست على طريق الحاج المذكور .

ودليل آخر على أن (مرامر) في الجواء وهو أنه ورد ذكره في سياق أخبار حروب الردة في وقعة حدثت بين خالد بن الوليد وطلحة مقروناً بالجواء ، كما روى ابن جرير عن عبدالله بن أبي بكر قال :

كانت سليم بن منصور قد انتقض بعضهم فرجعوا كفاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أميركان لأبي بكر عليهم يقال له معن بن حاجز أحد بني حارثة فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه كتب إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سليم مع خالد واستخلف على عمله أخاه طريفة بن حاجز وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الرِّدَّة أبو شجرة بن عبد العُزَّى وهو ابن الخنساء فقال :

فلو سألتْ عنا غَدَاة (مُرَامِرٍ) كما كنتُ عنها سائلاً لو نَأَيْتُهَا

لقاء بني فهر وكان لقاؤهم غداة (الجواء) حاجة فقضيتها
صَبَرْتُ لهم نفسي وعَرَّجْتُ مهرني على الطعن حتى صار وَرْداً كُمَيْتُها
إذا هي صَدَّتْ عن كَميٍّ أريدُهُ عَدَلْتُ إليه صدرها فهديتُها[٨]

ورواية ياقوت لهذه الوقعة أصرح وأوضح وهي قوله :

وكانت بالجواء وقعة بين المسلمين وأهل الرِّدَّة من غَطَفَان وهوازن في أيام أبي بكر فقتلهم خالد بن الوليد شرَّ قتلة ، وقال ابو شجرة :

ثم ذكر أبيات أبي شجرة السابقة مع اختلاف في اللفظ بينها وبين رواية ابن جرير[٩] وقد يقول قائل يقرأ عبارة ياقوت متسائلاً : كيف يكون بين غطفان وهوازن وبين خالد وقعة ولا تكون في بلادهم بل تكون في الجواء ؟

والجواب : ان ابن جرير رحمه الله أوضح السبب في ذلك وهو أنهم لحقوا بأهل الردة من غير قبائلهم بل انحازوا إلى الجواء حيث كان يوجد مرتدون أقوياء مثل طليحة الأسدي .

ويدل ما ذكره في أن الأمير الذي كان على بني سليم من قبل أبي بكر وهو معن بن حاجز قد استخلف على عمله أخاه طريفة وسار مع خالد على أن الوقعة لم تكن ببلاد بني سليم أو غطفان وانما كانت بعيدة منها .

أما البكري فقد خلط رحمه الله النصوص كعادته إذا لم يصل إلى علمه أنها وردت في أماكن متعددة لا في مكان واحد فقال :

مُرَامِر : بضم أوله وكسر الميم الثانية بعده راء أخرى مهملة : موضع قد تقدم ذكره في رسم الجريب . قال الأسود بن يَعْفُر :

بالجوِّ فالأمرات حول مُرامِرٍ فبضارجٍ ، فقصيمة الرُّوَّاد

ويروى : حول مغامر ، وهو أقرب إلى ضارج ، ومرامر في ديار كلب ، واستشهد على ذلك بشعرٍ لتأبط شرّاً .

أقول : مرامر الذي ذكره في رسم « الجريب » جبل اسمه مرامر وهو لم يقرن بضارج

وبعيد عن منطقة القصيم كما لا يصح أن يقرن بالقَصِيمة التي تكون في القصيم . وأما قوله : إنَّ (مغامر) أقرب إلى «ضارج» فهو عجيب من أمره رحمه الله لأنه لم يذكر مغامراً ولم يتكلم عليه ولم ينقل عن أحد من المتقدمين أين يكون موقعه . ولهذا فإنه مجهول حتى لدى البكري نفسه . وأما استشهاده بشعر تأبّط شرّاً فلا شك أنه لمكان آخر غير مُرامر الذي في القصيم ، إذْ لا يصح أن يقرن مكان في بلاد كلب بضارج وبالقصيمة ويرتب بينه وبينهما بحرف الفاء في العطف والله أعلم .

كما أنه رحمه الله عرَّف (مرامر) في موقع آخر بأنه جبل فقال في قول الأسود بن يعفر :

وتذكرتْ حمضَ الجريب وماءه والجِزْعَ جِزْعَ (مرامر) والعيلما
وجَبَا نُفَيْعٍ يوم أورد أهله فكأنها ظَلَّتْ نَصَارى صُيَّما

مرامر : جبل هناك . ونفيع : بئر ، وجباها : ما اجتمع في حوضها من الماء . والعيلم : البئر الكثيرة الماء(١٠) .

مع أن الأَسْوَدَ بن يَعْفُرَ قال : والجِزْع : جزع مُرامر ، والجزع في المعروف الشائع في الفصحى هو منعطف الوادي ولا شك أنّ ما يكون في حكم الوادي من حيث أنه غائط في الأرض مثل الجو أحد الجواء فإنه يصح أن يقال فيما انعطف والتوى منه الجزع .

مع أنه يقول : إن الناقة المذكورة تذكرت حمض الجريب وماءه وتذكرت جزع مُرَامر فهذا لا يحتم أنَّ مُرامر بجانب الجريب ، الذي هو وادي الجرير في الوقت الحاضر بل يقول : إنها تذكرته ، فدلَّ ذلك على أنه ربما كان مراد الأسود بن يعفر بمرامر هنا : مرامر ذلك الذي في الجواء الذي وجدناه نفسه ذكره في شعره ، وقرنه بذكر مواضع لا تزال معروفة في الجواء كما سبق .

على أن الإشكال في ذكر (مرامر) موجود في غير كتاب البكري فقد ذكر لغدة (جومرامر) في منطقة الجواء وذكر أنه لعبس كما قدمنا : وذلك أمر لا إشكال فيه إلاَّ أنه وردت في كتابه في موضع آخر عبارة مشكلة وهي قوله :

ومن ناحية القصيم خارجاً منه النَّبوانُ وهو ماء ، ويسمى أيضاً جومرامر نصفه لعبس ، ونصفه لبني كوز وهاجر ابني كعب ، وعلق الأستاذ حمد الجاسر على ذلك بقوله في الحاشية : وهاجر وكوز ابنا كعب بن بَجَالة بن ذُهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضَبَّةَ(١١) .

أقول : على هذا يكون النبوان الذي اسمه الحالي (الصَّوَّال) يقال له جَوّ مُرامر إلى جانب الجو الآخر الذي لا إشكال في تسميته تلك كما قدمنا مع أن الصَّوال ليس جَوّاً منفرداً بل هو واقع في قصيبا التي كان يقال لها قديماً (قَوّاً) أو بطن قَوٌّ . وعلى هذا أيضاً يكون نصفه أي النبوان لبني عبس ونصفه لبني كوز من بني ضبة .

وقد ذكرت في رسم الصوَّال توجهاً لتصحيح اسم القوم الذين كانوا يشاركون عبساً في النَّبوان وأنهم من بني كُوز من بني والِبة من بني أسد وليسوا من بني كوز الذين هم من بني ضَبَّة اعتماداً على ما ذكره أبو أحمد العسكري من قوله بعد شعر نقلته هناك : ابن كوز من بني والبة ثم من بني أسد وفي ضبة أيضاً بنوكُوز بكاف مضمومة(١٢) .

ولكن الذي يبقى مشكلاً هو أن يكون النبوان اسمه (جومرامر) وربما كان في ترتيب الكلام في الأصل اختلاف .

وذكر الهجري (مرامر) هذا الذي في القصيم الذي أصبح يسمى القرعاء ولكن بلفظ الجمع مرامرات مع أن الشواهد التي أوردها فيه ذكر (مرامر) بالإفراد . فقد أنشد الهجري لناهض الشهابي الكلابي قوله :

صَبَحْنا يوم (جَوِّ مُرامراتٍ) بني ذُبيان حَدَّ الهُنْدُواني
تركنا منهم (بمرامراتٍ) ملاحم لا تبيد على الزَّمان

وأنشد لناهض الكلابي أيضاً من قصيدته :

فليتهما غداة (مرامراتٍ) وقد حشد الكتائب ينظران

وذكر الهجري يوم مرامرات أيضاً وأنشد قصيدة في ذلك اليوم لبزيع بن جيهان الضِّبابي وأورد من شعره قوله :

أنا غداة مَفِيض جَوٌّ (مرامر)   والنائبات من الزمان تنوب[١٣]

والدليل على أن المراد به جومرامر هذا الذي في القصيم أن قائل الشاهدين الأوّلَيْن هو ناهض الشهابي الكلابي ولم يذكر الهجري اسم أبيه ، ولكننا عرفناه من قوله الشهابي بأن اسم أبيه ثُوْمَةُ ، وأنه هو ناهض بن ثومة الكلابي ذلك بأنَّ ناهضا هو : ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك بن إمام بن جهضم بن شهاب[١٤]. فهذه نسبته (الشهابي) وهو من بني كعب بن بكر بن كلاب .

وهو شاعر بدوي فارس فصيح من الشعراء في الدولة العباسية وكان يقدم البصرة فَيُكْتَبُ عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة[١٥] .

وقد ذكر ناهض بن ثومة الكلابي هذا وقعات بين قومه بني كلاب وقبائل أخرى في زمنه في العصر العباسي وقعت حوادثها في القصيم ومنها أماكن قريبة من جومرامر الذي أصبح يسمى (القرعاء) منها ما كان في أبانين كما قال في قصيدة يذكر وقعة بين بني كلاب وبين بني نُمَيْر موجهاً كلامه إلى أبناء عمومته بني كعب الذين لم يشتركوا في المعركة مع بني كلاب وذلك في قصيدة أولها :

ألا هل أتى كعباً على نأي دارهم   وخذلانهم أننا سررنا بني كعب
بما لقيتْ منا نُمَيْرٌ وجمعها   غداةَ أتينا في كتائبنا الغُلْب
فيالك يوما بالحمى لا نرى له   شبيهاً ، وما في يوم شيبان من عتب
أقامَتْ نمير بالحمى غَيْرَ رغبة   فكان الذي نالت نُمَيْرٌ من النَّهْبِ
رؤوسٌ وأوصالٌ يزَايِلُ بينها   سِباعٌ تَدَلَّتْ مِنْ أبانين والهَضْب
لنا وقَعَاتٌ في نُمَيْر تتابعت   بِضَيْم على ضَيْم ونكْب على نكْب[١٦]

ووقعت بين بني كلاب رهط ناهض بن ثومة الكلابي هذا وبين نمير وقعة في هضبات (واردات) الواقعة في جنوب القصيم الغربي إلى الجنوب من دخنه (منعج قديماً) قال فيها من روى الأصبهاني كلامه :

ارتحلت كلاب حتى أتت نميراً وهم في هضبات يقال لهن واردات فقتلوا واجتاحوا وفضحوا نميراً ثم انصرفوا فقال ناهض بن ثومة الكلابي في هذه الوقعة من قصيدة :

سلوا عنا نميراً هل وقعنا بنزوتها التي كانت تُهابُ

إلى أن قال :

صبحناهم بأرْعَنَ مُكْفَهِرٌّ يدفُّ كأنَّ رايته العُقَابُ[١٧]
أجَشٌّ من الصواهل ذي دويٍّ تلوح البيض فيه والحرابُ
فأشعل حين حَلَّ بواردات وثار لنقعه ثَمَّ انصبابُ[١٨]

فهذا يدل على أنه كانت هناك عدة معارك في العصر العباسي بين بني كلاب وبين غيرها من القبائل في تلك المنطقة من القصيم القريبة من القرعا وان المراد بجومرامرات وبجومرامر في الأبيات التي أنشدها الهجري هو جومرامر هذا الذي في القصيم وليس غيره .

وهذا يفيدنا فائدة أخرى ، وهو أن القرعا حتى ذلك الوقت كان اسمها جومرامر ، ولم تكن قد اكتسبت اسم (قريع) الذي عرفت به في القرن الثامن الهجري .

ودليل آخر وهو أن القصيمة وردت في شعر للأسْودِ بن يَعْفُرَ مقرونة بذكر أماكن مجاورة وهي ضارج (ضاري) ومرامر الذي هو القرعا والجو الذي هو أحد الجِواء التي سُمِّيَتْ ناحية الجواء باسمها . قال[١٩] :

ولقد غدوتُ لعازب مُتَناذَرٍ أحْوَى المذانب ، مؤنق الرُّوَّاد
جادت سواريه فآزر نَبْتَه نُفَأً من الصَّفْراء والزُّبّاد
بالجوِّ فالأمراج حول مُرامرٍ فبضارجٍ (فقصيمة الطُّرَّاد)

فذكر أنه قد غدا أي ذهب غُدْوَةً أو نهاراً لكلأ أحوى المذانب أي : اشتدت خضرته حتى ضرب إلى السواد وهو مُتَنَاذَرٌ أي : يتناذره الناس فلا يقربونه لأنَّ دونه من يُقاتل عنه لنفاسته وهو مونق الروَّاد جمع رائد وهو الذي يفحص الأرض ليخبر قومه بما يكون فيها من عشب جيد وذلك العشب جادته سواريه وهي جمع سارية والمراد بها السحابة التي تنشأ في الليل وذكر أنه قد آزر نبته أي : خالطه نُفَأً أي قطع متفرقة من الصَّفْراء وهي عشبة مشهورة عند أهل هذه الناحية معروفة لهم حتى الآن تنبت في

المنطقة السهلة من الرمال ونحوها وكذلك الزُّبَّادُ . وهذا الوَصْفُ لهذا العشب قد يقال إنه ليس كثيراً على العشب الذي ينبت في القصيمة التي هي الميلدا اذا جادها الغيث وتعاقبت عليها غوادي السحب وسواريها .

ثم ذكر الأسْوَدُ بنُ يَعْفُرَ مكانه وحدَّده بأنه بالجو الذي هو أحد الجواء في ناحية الجواء في القصيم وهذا حده الشمالي حيث بدأ بتحديده من تلك الجهة ثم قال فالأمراج وهي جمع مرج الذي هو الشجر الملتفُّ حول مُرامر وهو القرعاء وتقع إلى الجنوب من الجو فبضارج ورتَّبَ عطفه بالفاء لقربه من القرعاء ويقع إلى الجنوب منها فقصيمة الطُّرَّاد وهي تقع الى الجنوب الغربي من ضارج فرتب ذكرها ترتيباً .

أوهـام حول القـرعـاء :

قال الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله : والقرعاء التابعة للجواء ، قال في معجم البلدان : هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة اهـ ثم قال : وذكر — أي ياقوت — الخبراء عند ذكره القرعاء ، والخبراء واقعة بهذا الاسم بين الجواء والقصيم ، وفي القرعا ملازم ماء ، وركايا قديمة ، وكان بها وقعة بين بني دارم بن مالك ، وبني يربوع وهاج بعضهم على بعض عند الماءاهـ[٢٠] .

وهذا وهم واضح لأمور :

الأول : أن طريق مكة من الكوفة لا يمر أصلاً بالقصيم . وإنما يتركه جنوباً منه إذْ يمر بالأجفر ثم فَيْد ثم سميرا وهذه كلها إلى جهة الشمال من القصيم .

الثاني : أن الخبراء المذكورة في نصٍّ ياقوت ليست الخبراء التي في القصيم وإنما هي بعيدة عنها كما سبق لنا تفصيل ذلك في رسم «الخبراء» في حرف الخاء .

الثالث : أن الشيخ ابن بليهد نفسه قد ذكر فيما يأتي من كلامه أن القرعاء المذكورة في هذا النص هي في الشواجن كما سيأتي .

قال ابن بليهد رحمه الله : والقرعاء[٢١] منهل بين اللصافة واللهابة ، واللصافة والقرعاء[٢١] واللهابة طولهن[٢٢] من سبع وثلاثين باعاً إلى ثلاثين باعاً والقرعاء[٢١] على

اسمها لم يتغير ، وقد غلط صاحب معجم البلدان في ذكره القرعاء[٢١] حيث قال : هو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة ، وقبل واقصة ، إذاكنت متجهاً إلى مكة ، وبين المغيثة والقرعاء[٢١] الزبيدية ، ومسجد سعد ، والخبراء ، وبين القرعاء[٢١] وواقصة على ثلاثة أميال بئر تعرف بالمرتمي ، وبين القرعاء[٢١] وواقصة ثمانية فراسخ . هذه العبارة تحدث عن القرعاء[٢١] الواقعة في أعلى القصيم ، وما يليها من النواحي ، لأنه ذكر الخبراء وذكر مواضع كثيرة محيطة بالقرعاء[٢١] ثم استطرد في عبارته ، ولم ينبه على شيء منها ، إلا أنه جعلها قرعاء[٢١] واحدة ، ثم قال : وفي القرعاء[٢١] بركة وركابا لبني غدانة : وكانت بها وقعة بين بني دارم بن مالك ، وبين بني يربوع ، بسبب هَيْج جرى بينهم على الماء . وهذه العبارة الأخيرة التي ذكر فيها الواقعة ، فهي في القرعاء الواقعة في الشواجن التي تعد من مياه الصَّمَّان اهـ كلام ابن بليهد[٢٣] .

وظاهر مما سبق أن الحديث كان عن القرعاء الواقعة بين اللصافة واللهابة . ولصاف تسمى الآن «اللصافة» بالفاء ، وأين ذلك الموضع من القصيم؟ كما أن التي ذكرها ياقوت غير تلك وغير قرعاء القصيم .

وقال ياقوت : واقصة : منزل بطريق مكة بعد (القرعاء)[٢٤] .

وواقصة لا تزال معروفة وهي بعيدة عن القصيم إلى جهة الشمال الشرقي إلى جانب كونها على جادة حاج الكوفة وذلك الطريق لا يمر على القصيم . ومعلوم أن قوله : إن القرعاء ، قبل واقصة إنما يريد أنها أدنى منها إلى العراق لأنه يتكلم على ذلك بالنسبة لمن يكون في العراق .

وقد صَرَّح بذلك في رسم القرعاء فقال : القرعاء : تأنيث الأقرع ، كأنها سميت بذلك لقلة نباتها وهو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة وقبل واقصة إذاكنت متوجهاً إلى مكة . وبين المغيثة والقرعاء الزبيدية ومسجد سعد والخبراء . وبين القرعاء وواقصة على ثلاثة أميال بئر تعرف بالمرتمي وبين القرعاء وواقصة ثمانية فراسخ ، وفي القرعاء بركة وركابا لبني غدانة ، وكانت بها وقعة بين بني دارم بن مالك وبني يربوع بسبب هيج جرى بينهم على الماء فقتل رجل من بني غدانة يقال له أبو بدر ، وأراد بنو

دارم أن يَدوا[٢٥] فلم يقبل بنو يربوع فهاجت الحرب .

ويوضح ذلك أيضاً قول ياقوت :

خَمَّةُ : بفتح أوله وتشديد ثانيه : ماء بالصَّمَّان لبني عبدالله بن دارم ، ويقال : ليس لهم بالبادية إلاَّ هذه . والقرعاء هي بين الدَّوِّ والصَّمَّان .

أقول : هذا هو موقع القرعاء التي كانت لبني عبدالله بن دارم بين الدَّوِّ الذي هو الدَّبْدَبَةُ في الوقت الحاضر وبين الصَّمان ، والدَّوُّ يقع شرقاً من الصَمَّان ، فأين ذلك من القصيم ؟

إضافة إلى أننا لا نعلم أن أحداً من المتقدمين ذكر أنه كان لبني عبدالله بن دارم أماكن في شمال القصيم في صدر الإسلام لا في هذا الموضع ولا في غيره . وقد وردت العبارة التي ذكرها ياقوت في كتاب لغدة الذي هو أقدم من ياقوت بقرون ولكن بلفظ أكثر وضوحاً قال :

وأما بنو عبدالله بن دارم فليس لهم بالبادية إلاَّ القرعاء وهي ماءة أسفل من الصَّمَّان ، وهي بينه وبين الدَّوِّ ، ليس لهم غيرها وغير مَصْنَعَة يقال لها الخَمَّةُ بالصَّمَّان[٢٦] .

واذاً ليس لبني عبدالله بن دارم مياه غير القرعاء وهذه المصنعة أي : الموضع الذي صنع وأعد لكي يجتمع به ماء المطر ، وعلى هذا ليس لهم ببلاد القصيم مياه أو مواضع واذاً فالقرعاء التي ورد في القديم أنها لبني عبدالله بن دارم ليست في القصيم بل هي في أسفل الصَّمان .

ويزيد ذلك وضوحاً قول لغدة نفسه في مكان آخر : والقَرْعاء واللِّهابة ولَصَاف وطويلع وما حولهن يُسَمَّيْنَ الشاجنة وهي دون الصَّمَّان في أسافله[٢٧] وينبغي أن يذكر المرء أن القرعاء هذه التي كانت لبني عبدالله بن دارم وسماها لغدة مع مياه حولها الشاجنة وسمَّاها ياقوت الشواجن هي غير القرعاء التي ذكرها ياقوت في طريق حاج الكوفة إلى مكة . ولكنها جميعاً غير التي في القصيم كما سبق .

وكرر الشيخ محمد بن بليهد رحمه الله قوله في تأكيد أن القرعاء التي وردت في بعض النصوص القديمة هي هذه التي في القصيم فقال في تعليقاته على كتاب : صفة جزيرة العرب للهمداني وقصيدة فيها هذا البيت :

شَاكَلَتْ فَيْدَها زُبَالَةُ خِصْباً　　وكـذاك الشُّقُوقُ فالقَرْعاءُ[٢٨]

القرعاء : قال الناشر : هي قرية من قرى الجواء لم يتغير من اسمها حرف واحد ، ولا يشابهها من الأسماء الواردة في كتب المعاجم إلاّ موضع واحد (القرعاء) منهل ماء من مياه الشواجن موقعها بين اللصافة واللهابة المنهلين المعروفين في شرقي الصَّمَّان ، والقرعاء المذكورة في هذه العبارة هي القرية المعروفة من قرى القصيم ، لم يتغير من اسمها حرف واحد إلى عهدنا هذا (القرعاء)[٢٨] .

أقول : القرعاء المذكورة قرنت بالشُّقوق ، وهي بعيدة عن القصيم ، وقد قدمت الدليل النثري على ذلك .

وأورد هنا أدلة من النظم تدل على أنها ليست هذه التي في القصيم بل بعيدة عنها وذلك من أراجيز ومنظومات ذكرت طريق الحج الكوفي ومنه القرعاء والشقوق ورتبت ذلك ترتيباً بكلمة ثم أو ما في معناها وهي تزيل اللبس في هذا الموضوع — ان وجد — إزالة كاملة .

قال أحمد بن عمرو من أرجوزة ذكر فيها منازل الحاج الذين كانوا في صحبة زبيدة بنت جعفر زوج الخليفة هارون الرشيد ، وذلك بأن ذكر القادسية في العراق[٢٩] :

ثم توجهنا إلى المغيثه　　تخبط خشناء الثرى حثيثه
كَيْسَ بها من رملةٍ دميثه　　ولا حوى أرض بها محروثه
قد أجْدَبَت فَمَا بِها طرثيثه　　والعيس منها الدَّهرَ مُستغيثه
ونحن في سيرتنا المحثوثه　　ندعو لِمَنْ نعمتها مبثوثه

القرعاء

ثم تَرَحَّلْنَا إلى (القرعاء)　　بَرِّيَّة ليست بذي رعاء

منزلها في قفرة صلعاء | قاطنها يضحى على الدّقْعَاء
ليس بها ماء لذي ارتواء | إلاَّ الذي يحمل في الوعاء
ونحن حول ناقة تلعاء | كالغُول في خلقتها الشنعاء
ندعو لذات الحفظ والإرعاء | شكراً لها بأفضل الدعاء

واقصة

ثم توجهنا نريد واقصة | والعيس من ساكنة وراقصه

وبعد أن أتم كلامه عن واقصة قال :

ثم أتينا منزلاً بالعقبة | يحوي صخوراً في ذرى منتصبه

وبعد العقبة ذكر القاع فقال :

ثم رحلناها نريد القاعا | مقطورة تندفع اندفاعا

ثم زبالة .

ثم نزلنا بعده زُبَاله | منزل صدق يونق النزاله

وبعد زبالة الشقوق :

ثم تَرَحَّلْنا الى الشقوق | منيزل في مائه ذي ضيق
قد كاد أن يقطع بالفريق | لولا فعال الْبَرَّة الصَّدُوق
وما نعانيه من الطريق | لَمْ يكُ للحُجَّاج بَلٌ الرِّيق
لكنها أجرَتْ بكل نيق[٣٠] | ماءَ عُيونٍ شَبه البُثُوق
أو بئر نَقْب نائق عميق | يروي ذوي الحج وأهل السوق

وبعد الشقوق . البطان :

ثم توجهنا إلى بطان | قبر العِبَاديّ أخي الشيطان

ثم تحدث عن الثعلبية والخزيمية مرتباً الحديث كله بِثُمَّ التي تقتضي الترتيب إذا عُطِفَ بها عند النحاة وبعدهما عن الأجفر قال :

ثم نزلنا منزلاً بالأجفر   بعد طريق خَشِنٍ مُوَعَّرِ
سهله الله بأم جعفر   فصار مورودا حميد المصدر

وبعد الأجفر في (فيد) :

ثم بإذن الله جئنا فيدا   قبيل وجه الصُّبْح أو بُعَيْدا

ثم انتقل من ذلك إلى توز ثم سميراء ، وقد خرج بعد ذلك عن مسامتة موقع القرعاء وأبعد الخروج .

وقال راجز آخر من أرجوزة في منازل الحاج الكوفي(٣١) :

فركبوا برحلة حثيثه   حتى إذا صاروا إلى المغيثه
لم يلبثوا أن نزلوا وساروا   لَيْلُهُم عندهُم نهارُ
حتى إذا (القرعاء) لاحَتْ نزلوا   فشربوا من مائها وأكلوا
ثم إلى (واقصة) الرحيل   حتى إذا كان بها النزول
حَطُّوا بها أثقالهم وعَرَّسوا(٣٢)   فَرَوَّحوا ركابهم ونَفَّسُوا
ثم اسْتَقَلُّوا يقصدون (العقبه)   بأنفس ذات كلال وَصِبَهْ(٣٣)
صارت عن الخفض إلى ارتفاع   منصبّة تريد بطن (القاع)
فنزلوا بمنزل ذي فضل   منتقص الأهل ، شتيت الشَّمْل
وارتحلوا منه إلى (زباله)   قد امنوا من حيرة الضلاله
فنزلوا بقرية وسوق   وارتحلوا منها إلى (الشقوق)
حتى أتوها لم يميلوا ميلاً   ثم أتوا (قبر العبادي) ليلاً
فارتحلوا مرحلة وَحِيَّةْ(٣٤)   حتى إذا صاروا (بثعلبية)
ثم (الخزيمية) أمُّوا بعدها   وهي (زرود) والنزول عندها
حتى إذا أسفر وجه السَّحَر   لاحَتْ لهم فيه بيوت (الأجفر)(٣٥)

فذكر ثمانية منازل بعد القرعاء وقبل الوصول إلى الأجفر الذي لا يزال معروفاً باسمه .

وقال آخر :

و(القادسية) الهوى والمَنْشَدُ ... و(بالمغيثة) استغاث المكد
يوما له (القرعاء) لا شك غَدُ ... ثم إلى (واقص) كان المقصد
ثم لنا (في العقبات) مورد ... وفي ضحى (القاع) العليل نبرد
وراحت العيس العتاق تُنْجِدُ ... إلى (زبالة) اطّلبها المنشد
و(بالشقوق) غرَّد المُغرِّد ... والقبر لاسقاه غيث مُرْعِدُ
(قبر العِبَاديِّ) الذي يُعَدِّدُ ... وقد جَرَتْ لكلفٍ ما ترقد
(بالثعلبية) النجوم الأسعُدُ ... ومِنْ (زرود) فوَّز المُزود[٣٦]
بمضي إلى (الأجفر) لا يُعَدِّد ... وراحت العيس بـ(فيد) تَنْهِدُ[٣٧]

أورد هذه الأرجاز صاحب المناسك رحمه الله وقد ذكر بعد هذه منازل حاج الكوفة عند الإياب من مكة .

هذا وقد طال الكلام في هذا الأمر فمعذرة للقاريء الكريم ، وظني أنه طول في محله لأن إثبات حقيقة تاريخية يستحق ذلك .

وللشيخ محمد بن بليهد رحمه الله عُذْرُهُ فيما قال وانْ كان قد أخطأ في اجتهاده ذلك بأنه لم يطلع على ما اطلعنا عليه من مراجع نشرت بعد وفاته وذكرت فيها طرق الحاج تفصيلاً من النثر والنظم حتى أصبح موضع (القرعاء) التي في طريق الحاج معروفاً واضحاً .

وقد حمله على ذلك أيضاً تشابه الاسم مع أنه عرف موضعاً آخر هو القرعاء التي يقال لها مع مياه حولها الشواجن ولكننا أصبحنا نعرف الآن أماكن أكثر يسمى كل واحد منها بالقرعاء . منها قرية مشهورة بمنطقة عَسِير ، وماءٌ عِدٌّ في جنوبي حزم الدواسر[٣٨] ، وآخر اسمه القرعا وهو قاع تجتمع فيه السيول يقع غرباً من صفراء السِّرّ[٣٩] .

ولا غرو في ذلك إذ القرعاءُ غالباً ما يكون وصفاً ثم يكون عَلَماً وأكثره يكون في قاع أقرع أي : خالٍ من النبات أو يكون بقربه قاع بهذا الوصف . وذلك كما قال ياقوت : القرعاء : تأنيث الأقرع ، كأنها سميت كذلك لقلة نباتها .

لمحات تاريخية :

تكرر ذكر (القرعا) في تاريخ القصيم بل في تاريخ نجد في العقد الأول من القرن الرابع عشر وذلك في سياق الحديث عما سبق وقعة المليدا المشهورة التي حدثت في عام ١٣٠٨ هـ بين محمد بن رشيد ومن معه من أهل الشمال وغيرهم من أهل نجد وبين أهل القصيم ، إذْ حصلت في (القرعا) وقعة بين الفريقين قبل الوقعة الرئيسية الفاصلة .

قال الشيخ ابن عيسى :

في جمادي الأول من هذه السنة سار محمد العبدالله بن رشيد لقتال أهل القصيم ، وخرج حسن المهنّا الصالح أبا الخيل أمير بريدة ، وزامل العبدالله السليم أمير عنيزة ، ومعهم جنود كثيرة من أهل القصيم ومن البادية . فحصل بينهم وبين ابن رشيد وقعة في (القرعا) قتل فيها عدة رجال من الفريقين ، وذلك في ثالث جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، ثم التقوا بعدها في المليدا في ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة[٤٠] .

هذا وقد أوضح الشيخ ابن عيسى أمر هذه الوقعة التي حدثت في القرعا بتفصيل أكثر في القسم الذي لم يطبع من كتابه عقد الدرر ، وقد اطلعت عليه بخطه في مكتبة الشيخ سليمان بن عبيد رئيس محكمة مكة المكرمة[٤١] .

الريـاض محمـد العبـودي

حواشي المقال :

---

(١) كتبها المترجم : القرعة .
(٢) كتبها المترجم (ساره) تحريف .
(٣) دليل الخليج ج٥ ص ٢٦٧٤ .
(٤) مسالك الأبصار ج٤ ورقة ٩١ ووردت هذه العبارة محرفة في قلائد العقيان ص ٨٩ ولكنه نص على أنه نقلها عنه .
(٥) بلاد العرب ص ٢٧٠ .
(٦) ياقوت : رسم «الجوا» .
(٧) المناسك ص ٦٠٦ — ٦٠٧ .

(٨) تاريخ ابن جرير ج٢ ص ٤٩٣ .
(٩) رسم «الجواء» .
(١٠) معجم ما استعجم ص ٣٧٨ : رسم «الجريب» .
(١١) بلاد العرب ص ٢٨٨ — ٢٨٩ .
(١٢) شرح ما يقع فيه التصحيف ص ٢٦٣ .
(١٣) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٣٦٧ .
(١٤) الأغاني ج١٣ ص ١٧٥ .
(١٥) المصدر نفسه .
(١٦) الأغاني ج٣ ص ١٨٥ .
(١٧) أرعن : جيش به فضول .
(١٨) الأغاني ج ١٣ ص ١٨٧ .
(١٩) ياقوت : رسم «مرامر» .
(٢٠) صحيح الأخبار ج١ ص ٢٦ — ٢٧ .
(٢١) كتبت القرعى في صحيح الأخبار بالقصر في كل هذه المواضع التي أشرنا إليها والصحيح : القرعاء بالمد كما رسمها ياقوت الذي نقل عنه لأنها على اسم المؤنث من أقرع .
(٢٢) يقصد عمق الماء فيها .
(٢٣) صحيح الأخبار ج٢ ص ١٧٦ .
(٢٤) رسم «واقصة» .
(٢٥) يدوا أي : يدفعون الدية .
(٢٦) بلاد العرب ص ٣٥١ — ٣٥٢ .
(٢٧) بلاد العرب ص ٣٥٥ .
(٢٨) صفة جزيرة العرب ص ٢١٦ .
(٢٩) صفة جزيرة العرب ص ٤١٠ .
(٣٠) كتاب المناسك ص ٥٤٧ — ٥٥١ .
(٣١) النيق : الجبل :
(٣٢) المناسك ص ٥٦٣ .
(٣٣) التعريس : النزول آخر الليل .
(٣٤) وصبه : من الوصب وهو التعب الشديد .
(٣٥) وحيه : سريعة من قولهم : الوحيَ الوحيَ أي : العجل العجل .
(٣٦) المناسك ص ٥٦٣ — ٥٦٤ .
(٣٧) فوَّز : دخل في المفازة .
(٣٨) المناسك ص ٥٦٩ .
(٣٩) معجم العالية .
(٤٠) تاريخ بعض الحوادث ص ١٩٦ وسيأتي ذكر وقعة المليدا عند الكلام على المليدا في حرف الميم .
(٤١) ينتهي المطبوع من عقد الدرر بحوادث سنة ١٣٠٢ أما هذا المخطوط فيمتد إلى سنة ١٣١٢ هـ .

— ٥٠ —

المطابع والصحافة والمكتبات

— ٤ —

١ — في جمادي الأولى ١٣٤٣ جريدة «أم القرى» الرسمية بمكة (حلت محل القبلة).

صدرت على وجه الدقة «في ١٥/٥/١٣٤٣هـ (١٢/١٢/١٩٢٤م). صحيفة رسمية أسبوعية ... وقد تولى يوسف ياسين (وهو سوري — ينظر عنه ج٨ من أعلام الزركلي ط٤) رياسة تحرير «أم القرى» إبَّان نشأتها ثم خلفه في الإشراف على تحريرها كل من رشدي ملحس ومحمد سعيد عبد المقصود وفؤاد شاكر وعبد القدوس الأنصاري ...

حفلت بالمقالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية التي كان يكتبها محرروها وبعض الأدباء البارزين مثل محمد حسن كتبي وأحمد السباعي.

* * *

ولا بد من الإشارة هنا إلى نجدي زاول الصحافة في زمن تقع حدوده في العهد الهاشمي ... وقد زاولها هذا النجدي (المغامر) خارج حدود الجزيرة، زاولها في العراق؛ وفي بغداد على وجه التحقيق، ذلكم هو:

سليمان الدخيل (ينظر) الذي أنشأ جريدة باسم «**الرياض**» — والاسم ذو دلالة، ثم مجلة باسم «**الحياة**» زيادة إلى مشاركات صحيفة أخرى.

قال السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه «تاريخ الصحافة العراقية» (ص ٦٥) :

الرياض — «جريدة سياسية عربية صدرت في بغداد في السابع من كانون الثاني ١٩١٠م ، ونشرت أبحاثاً قيمة عن الجزيرة العربية وإمارات خليج البصرة ، أكثرها من بنات خيال صاحبها الأستاذ سليمان الدخيل ، وكانت تحث الحكومة العثمانية كثيراً على وجوب مساعدة الأمة العربية في النهوض من كبوتها والأخذ بناصر العرب . لكنها لم تدم طويلاً» .

وقال ص ٣١ :

«أصدر السيدان : سليمان الدخيل وإبراهيم حلمي العمر مجلة في بغداد باسم «الحياة» في أول صفر ١٣٣٠ (كانون الثاني ١٣٢٧ رومي) وقد كتبا على غلافها أنها «مجلة شهرية تبحث في السياسة والاقتصاد والتاريخ والاجتماع» وأن «سنتها عشرة شهور» وقد احتجبت بعد صدور العدد الرابع فقط لقلة المؤازرين» .

وقال ص ١٢٤ : جزيرة العرب «جريدة أسبوعية عامة لصاحب تحريرها سليمان الدخيل» «صدر عددها العجيل ، ومديرها ورئيس تحريرها سليمان الدخيل» الأول في بغداد في يوم الأول ١٩٣١) فكان جل غاياتها خدمة الأمة العربية ولكنها احتجبت بعد ثلاثة أشهر فقط لقلة عدد المؤازرين لها» .

وقال رفائيل بطي في كتابه «الصحافة في العراق» ص ٢٨ — ٢٩ تحت العنوان العام «الصحافة بعد الدستور» .

جريدة الرياض «وها أنني أنتقل إلى التحدث عن جريدة ذات لون خاص في الصحف العراقية ، بل في الصحف العربية قاطبة في ذلك الجيل . فقد كان يقيم في الكرخ من بغداد وجيه نجدي هو الشيخ جار الله الدخيل من أهل القصيم يتصل بوشيجة نسب بالأمراء آل سعود وآل الرشيد . ومع جارالله وكالة لابن الرشيد في الخطة العراقية وله تجارة واسعة وهو يهيمن على طريق البادية وقوافلها [...] ولهذا الزعيم مضيف يعج برواده من البدو والحضر فأراد أن تكون له جريدة تعضد نفوذه وتوسعه وتخدم تلك الأصقاع المجهولة في عالم النشر يومئذ . وسهل مهمته ابن أخ له شاب نابه «سليمان

الدخيل» جاء إلى بغداد من القصيم ودرس على بعض الأساتذة منهم محمود شكري الآلوسي واتصل بالطبقة المفكرة والمشتغلين بالسياسة فأصدر جريدة (الرياض) متخذاً اسمها من قاعدة نجد. واستعان بطالب نجيب في المدرسة الإعدادية ذي موهبة كتابية اعتاد أن يترك مدرسته ويعيش في مكاتب الجرائد هو إبراهيم حلمي العمر».

ظهرت جريدة (الرياض) في ٧ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٠ أسبوعية عربية اللهجة أدبية المشرب وإن لم تكن قويمة اللسان ولا مشرقة البيان إلا أن صفتها التي امتازت بها هي العناية الفائقة بأخبار نجد وجزيرة العرب وإمارات الخليج العربي.

ويجب أن نعترف ونحن نحلل تسرب الفكرة العربية إلى الأذهان في حكم الترك الذين لم يكونوا يريدون للنزعة القومية إنتشاراً بأن (الرياض) خدمت (القضية العربية) بما أحدثت من كثرة الضجيج والكتابة عن قلب الجزيرة وينبوع العروبة. فقد أذاعت الأحاديث عن العرب المعاصرين وقبائلهم ومنازلهم ومنازعاتهم وغزواتهم وحربهم وسلمهم بنطاق واسع أثر على العقول ولفتها إلى هذه الرقعة من العالم العربي.

وليس عليكم بعد ذلك أن تدققوا أو تلحقوا في تمحيص صحة ما ترويه صحيفة (الرياض) من أخبار الإمارات العربية وسلطات الخليج وزعامات البوادي، فالمبالغة بادية عليها، ولكن هذا لا يهم الكاتب أو الناشر إنما المهم أن أكثر مروياتها تشيع في عالم الصحافة فتتناقلها الجرائد في العراق والشام ومصر. وقد تشغل بعض مروياتها من هذا اللون أسلاك البرق ودواوين الدولة العثمانية أياماً بل أشهراً بينما يكون الحادث من أساسه من مبتدعات خيال مدير (الرياض) أو محررها.

وقد ذكر الأستاذ رفائيل بطي وهو يتحدث عما كانت تعانيه الصحافة العربية (العراقية) على يد السلطات العثمانية، ص ٣٨: إنه «نشرت جريدة (الرياض) قصيدة (لمحمد الهاشمي) عرّض فيها بالطغاة في إيران والظلم اللاحق بالمسلمين في تونس والجزائر وما يعانيه أهل القفقاس من ذل ودعا الشاعر على قيصر الروسية بمنقلب الظالمين. فما كان من الحكومة التركية في بغداد إلّا أن قاضت الصحافي والشاعر،

فحكمت المحكمة على كل منهما بالسجن ثلاثة أشهر» .

وقالت الست زاهدة إبراهيم في كتابها «كشاف بالجرائد والمجلات العراقية» .

ص ٨٤ تسلسل ٣١٣ جرائد : «جريدة الرياض» جريدة يومية سياسية . صاحبها سليمان الدخيل . صدرت في بغداد في ٧ كانون الثاني ١٩١٠ . وكانت تهتم بأخبار نجد . وجزيرة العرب وإمارات الخليج وحثت الحكومة العثمانية على وجوب مساعدة الأمة العربية في النهوض من كبوتها» — وواضح أنها في تعليقها تفيد من كلام السيد عبد الرزاق الحسني .

وقالت : توجد في : مكتبة المتحف (ع ١٠٨) ١٩١١» تريد أن الذي رأته منها العدد ١٠٨ وأنه موجود في مكتبة المتحف العراقي . هذا وقد نقلت الجرائد والمجلات من مكتبة المتحف إلى المكتبة الوطنية ، ببغداد .

وقالت ص ٢٤١ مسلسل ٢١٢ مجلات : «مجلة الحياة . مجلة اجتماعية تهذيبية شهرية (عشرة أعداد في السنة) صاحبها سليمان الدخيل وإبراهيم حلمي العمر . صدرت في بغداد في ١ كانون الثاني ١٩١٢ (ويقول رفائيل بطي وسليم طه التكريتي إنها صدرت سنة ١٩١٢ وتوقفت بعد أربعة أعداد) يوجد في مكتبة المتحف العراقي (العدد الأول ١٩١٢» — ولا بد من أنه انتقل إلى المكتبة الوطنية .

وقالت ص ٥٦ تسلسل ١٩٤ جرائد : «جريدة جزيرة العرب . جريدة سياسية أسبوعية . صاحبها داود العجيل . رئيس التحرير : سليمان الدخيل . صدرت في : بغداد السبت ١٢ كانون الأول ١٩٣١ وتوقفت بعد ثلاثة أشهر . توجد في مكتبة المتحف العراقي (ع١ — ١٩٣١) وفي مكتبة عزيز إسماعيل (الموصل)» — ولا بد من أن يكون عدد المتحف قد انتقل إلى المكتبة الوطنية .

وقالت — دون تعليق — ص ٥٦ تسلسل ١٩٣ جرائد : «جزيرة العرب . جريدة يومية سياسية . صاحبها سليمان الدخيل . صدرت في بغداد سنة ١٩٣٧» .

ولما سألتها قالت : ما ذكرت عنه «موجود...» فذلك يعني إني رأيته بعيني وإلا

فأكون قد نقلت من مراجع أخرى ...

وكان الدخيل ينشر في المجلات والجرائد العراقية ... فمن المجلات : «لغة العرب» التي كان يصدرها الأب أنستاس الكرملي ، ومن الجرائد : «النهضة» .

قال السيد عبد الرزاق الحسني عن «النهضة» ص ٧١ — ٧٢ «جريدة إجتماعية سياسية موقتة عربية أنشأها في بغداد السيدان مزاحم أمين الباجه جي وإبراهيم حلمي العمر بعد أن تفاقمت النعرة القومية في العراق «بعد انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس» برز عددها الأول في الثالث من تشرين الأول عام ١٩١٣ م وعطلتها الحكومة بعد ظهور عددها الحادي عشر...» .

وقال رفائيل بطي ص ٣٠ — ٣١ «... فإذا هي الصحيفة القومية الفذة بين زميلاتها ...» وقالت الست زاهدة إبراهيم ص ١٧٩ «... العدد الأول ١٩١٣» «في مكتبة المجمع العلمي العراقي» .

وحدثني الأستاذ وليد محمود خالص عن مزاحم الباجهجي — وقد رأى أعداد الجريدة عنده — أنه كان راضياً وحتى معجباً بالدخيل يمدحه ، ويثني على تفكيره وعقليته وكتابته الصحفية ، كان ممن كتب المقالات في «النهضة» .

ومما يذكر أن الكتب — والدراسات — التي ألفها سعوديون عن «الصحافة...» مثل كتاب الأستاذ عثمان حافظ — تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية» جدة د . ت وكتاب الأستاذ محمد ناصر بن عباس «موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية» ط ١ ، ١٣٩١ هـ/ ١٩٧١ ، الرياض — وقد نشر هذا قبل ذلك لأن «الموجز» من مراجع الـ«تطور» (تنظر ص ٤٨٩ — منه) .

[لم تذكر سليمان الدخيل] .

وكان يمكن القول في سبب نسيان الدخيل أن المؤلفين الفاضلين يؤلفان في صحافة «المملكة العربية السعودية» فقط ، ولكن هذا لا يدفع لأنهما تحدثا عن الصحافة قبل قيام المملكة العربية السعودية ، وتحدثا عن أشياء بعيدة جداً عن الصحافة في المملكة العربية السعودية ... تمتد إلى أبعد الحدود في تاريخ الصحافة ...

ثم ان النص على سليمان الدخيل قد ورد من قبل على أسلة قلم سعودي مشهور مرموق هو الأستاذ حمد الجاسر ، وقد ورد ذلك أكثر من مرة : في مجلة الجامعة ، ومجلة العرب ، ومقدمة كتاب «القول السديد في أخبار إمارة آل رشيد» ...

قال الجاسر في مجلة الجامعة ، العدد الثالث ١٣٧٩ — ٥٩ — ١٩٦٠ في بحثه «مؤرخو نجد» : ص ٤٧ — ٤٨ «الأستاذ سلميان بن صالح الدخيل : وهذا أديب نجدي اشتغل بالأدب والتاريخ والصحافة ، وله فيها كلها آثار لا يسع الباحث في تاريخ نجد إهمالها . لقد ولد الأستاذ سليمان في بريدة سنة ١٢٧٠ ... انتقل إلى البصرة ... الهند ثم عاد من الهند بعد أن أصبح عمه جارالله الدخيل وكيلاً لإمارة آل رشيد في بغداد فسافر إليه وأقام هناك ... وأصدر جريدة الرياض ثم مجلة «الحياة» ... توفي ... عام ١٣٦٤ عن سبعين سنة ... وقد نشر في صحيفة (الرياض) الأسبوعية التي عاشت سبع سنوات ١٩٠٨ — ١٩١٤ ومجلة — الحياة — الشهرية التي صدر منها أربعة أعداد نشر كثيراً من أنباء الحوادث التي وقعت في نجد في ذلك العهد» . — كان «مورخو محد» حديث الأستاذ الجاسر إلى طلاب الجامعة في الرياض للموسم الثقافي مساء السبت ١٣٧٩/٧/٣ ...» .

وعاد الأستاذ الجاسر إلى التعريف بسليمان الدخيل والتنويه بفضيلة السبق في التأريخ الصحفي عندما أصدر مجلة «العرب» وقد ورد إليه سؤال من «عبد العزيز المنيفي» يقول فيه : «... أقوم بكتابة بحث عن «تاريخ الصحافة في بلادنا» وباعتباركم أول من أنشأ مجلة وداراً للطباعة في «مدينة الرياض» ثم صحيفة أسبوعية ، ثم جريدة يومية ، فأنني أرجو الكتابة إليَّ بترجمة مفصلة لحياتكم ...» .

فكان جواب الأستاذ الجاسر في الجزء الخامس من السنة الأولى من «العرب» ذو القعدة سنة ١٣٨٦/ شباط ١٩٦٧ ص ٤٦٩ — ٤٧٦ «أول نَجديٍّ مارس مهنة الصحافة ... سبقني إلى ذلك كثيرون من أهل بلادنا . ومن أقدمهم الأستاذ سليمان الدخيل الذي كتبت عنه كلمة في مقدمة النبذة التي قدمت بها القطعة التي نشرتها من كتابه «القول السديد» كما تحدثت عنه في البحث الذي ألقيته منذ سنوات في «الموسم الثقافي لجامعة الرياض» ... وها هي الكلمة التي كتبتها عنه ...» .

وقد ذكر هنا أنه ولد سنة ١٢٩٠ بعد أن ذكر هناك أنه ولد سنة ١٢٧٠ . وفي الكلمة الجديدة تفصيلات لم ترد في الكلمة السابقة ، أكثرها مما نقله عن رفائيل بطي في كتابة «الصحافة في العراق» وأشار إلى أن بطّي «تحدث عن الموضوع نفسه في مجلة «الكاتب المصري» في الجزء الأول منها» .

ثم عاد إلى الموضوع رابعة في الجزء العاشر من السنة الخامسة لمجلة العرب — ربيع الثاني ١٣٩١/ حزيران (يونيو) ١٩٧١ ص ٨٩٣ — ٨٩٤ وذلك عندما شرع منذ الجزء السابق (التاسع) في إعادة نشر بحثه عن «مؤرخي نجد من أهلها» «بعد إضافة أشياء إليه» . وقد عاد فيه إلى عام ١٢٧٠ تاريخاً لميلاد سليمان ووضع التاريخ الميلادي لوفاته ١٣٦٤/ ١٩٤٥ .

وجاء في أعلام الزركلي : «سليمان الدخيل ١٩٢٤ — ١٣٦٤/ ١٨٧٧ — ١٩٤٥ ... أنشأ في بغداد ، بعد خلع السلطان عبد الحميد (سنة ١٩٠٨) جريدة «الرياض» أسبوعية فاستمر إلى سنة ١٩١٤م وأصدر مجلة «الحياة» فلم تعش سوى أربعة أشهر ... كتب مقالات كثيرة في جريدته ومجلة لغة العرب البغدادية ، عن شؤون العرب وبلادهم ... توفي ببغداد» .

وذكر الزركلي في مصادره : «مجلة لغة العرب ٤ : ٣٨ ومذكرات خالد الفرج ونبذة تاريخية عن نجد ، ص ١٣٥ ومجلة سومر ١٣ : ٥٦ ، ٦٩ — وانظر محاضرة حمد الجاسر عن مؤرخي نجد ، في جريدة اليمامة ١٣٧٩/٨/١٠» ومما نص عليه في صلب كلامه على «الدخيل» من آثاره : «ذكر إمارات العرب وتاريخها والعشائر التابعة لها — خ» في مجلة سومر» .

٢ — **مجلة الإصلاح** ... صدرت بمكة في ١٥ — ٢ — ١٣٤٧ هـ (أغسطس ١٩٢٨ م) ... «دينية علمية اجتماعية أخلاقية» وقد تولى الشيخ محمد حامد الفقي أحد علماء الأزهر ورئيس شعبة الطبع والنشر بمكة إدارتها والإشراف على تحريرها» . وكانت شعبة الطبع والنشر تابعة لمديرية المعارف .

نشرت الإصلاح إلى جانب المقالات التي يسهم فيها «نفر من الكتاب المحليين ...

وغير المحليين ... **فصولاً من المؤلفات الدينية**، وتنقل بعضاً من المقالات التي تنشر في الصحف والمجلات الإسلامية ... أن محمد سعيد العامودي يؤكد بأنها قد توقفت عن الصدور في عام ١٣٤٩».

«لم تكن — الإصلاح — تملك مطبعة خاصة بها، وأنها إنما كانت تعتمد على المطابع التجارية في مصر والحجاز ... وكانت تطبع تارة في **المطبعة الماجدية بمكة**، وأخرى في **المطبعة السلفية بمصر**. وأحياناً في **المطبعة السلفية بمكة**» ...

٣ — **الحرم** : «جريدة أسبوعية أدبية اجتماعية مصورة صاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ فؤاد شاكر وأول عدد صدر منها يوم الخميس ١٣ رجب ١٣٤٩ الموافق ٤ ديسمبر عام ١٩٣٠ م.

... وقال في افتتاحية العدد الأول أنه أنشأ هذه الصحيفة وأوقفها على خدمة بلد وشعب وطني وعشيرتي ... وكانت تهتم كثيراً بأخبار البعثة العلمية السعودية ... صدر من الحرم ٥٧ عدداً والعدد رقم ٥٧ السنة الرابعة المؤرخ ١٦ شوال عام ١٣٥٢ هـ الموافق ١ فبراير عام ١٩٣٤ هو آخر عدد منها» — عن كتاب عثمان حافظ : تطور الصحافة ...

وقد اطلعت على مجلة «الحرم» وفي ذهني الآن أنها كانت تعنى بأخبار فئة أو فئات كانت قد خرجت على السلطة ... وأنه لا تدل على انسجام تام مع الحكم داخل البلاد ؟

٤ — **جريدة صوت الحجاز** ... «صدرت في مكة المكرمة» «في ٢٧ — ١١ — ١٣٥٠ هـ/ ٤ — ٤ — ١٩٣٢ م وكانت من أهم العوامل في إنعاش الحركة الأدبية التي بدأت في آخر العقد الثالث من القرن العشرين على أيدي كتاب المملكة الناشئين. فلقد أنشئت — كما قال أول رؤساء تحريرها عبد الوهاب آشي — «رابطة أدبية بيننا نحن أبناء هذه البلاد ...». وقد أكد صاحب امتيازها محمد صالح نصيف شخصيتها الأدبية هذه حين قال بأنها : «لسان حال النهضة الأدبية الحجازية ...».

«في مطلع عامها الرابع وفي ٥ محرم ١٣٥٤ هـ/ ٩ إبريل ١٩٣٥ انتقل امتياز «صوت الحجاز» إلى الشركة العربية للطبع والنشر».

«لقد توالى على تحرير «صوت الحجاز» ...: عبد الوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن عواد ومحمد علي رضا وأحمد سباعي وفؤاد شاكر وحسين عرب ومحمد سعيد العامودي ومحمد حسن كتبي وحسين خزندار وعبدالله عريف وأحمد خليفة النبهاني وأحمد قنديل ومحمد علي مغربي وأحمد إبرهيم الغزاوي ...» .

«كانت صوت الحجاز تطبع في سنواتها الأولى في **المطبعة السلفية بمكة** ، ثم أصبحت بعد هذا تطبع في **المطبعة العربية بمكة** .

«احتجبت ـــ كسائر الصحف السعودية ـــ عن الصدور منذ ٢١ يوليو ١٩٤١ حتى ٤ مارس ١٩٤٦ حيث عادت إلى الصدور باسم جديد هو «**البلاد السعودية**» . وفي بادىء الأمر احتفظت «البلاد السعودية» بشخصيتها الأدبية القديمة ، ولكن هذه الصبغة أخذت تقل رويداً رويداً .

«وتولى رئاسة تحريرها الأستاذ عبدالله عريف ، أطول مدة .. ثم أصدرها مرتين كل أسبوع [بعد أن كانت أسبوعية] فثلاثاً ، ثم صارت يومية ... ثم اندمجت مع جريدة (عرفات) وصدرت [باسم] جريدة البلاد» ـــ عن كتيب الصحافة السعودية الذي أصدرته وزارة الإعلام سنة ١٣٨٣ (؟) .

ويقول الدكتور الشامخ أن «البلاد السعودية صارت يومية في عام ١٩٥٣ وبعد ست سنوات اختصر اسمها فصارت تدعى «البلاد» .

٥ ـــ **مجلة المنهل** «في شهر ذي الحجة ١٣٥٥ هـ (فبراير ١٩٣٧ م) أصدر عبد القدوس الأنصاري في المدينة المنورة مجلة «المنهل» وهي مجلة شهرية «تخدم الأدب والثقافة والعلم» «أدبية الطابع» «وكم للأديب المخلص من أثر فعال في ترقية مستوى الأمة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والعمراني معاً ...» .

«وإلى جانب وفاء مجلة المنهل بما وعدت به من إحياء التراث الأدبي في هذه البلاد ، فإنها شجعت تلك الأنواع الأدبية التي وفدت آنذاك على الأدب في المملكة كالقصة القصيرة والشعر الحر ، واهتمت كذالك بنشر ما يترجم من الأدبين الشرقي والغربي ... وحرصت على نشر ما يتصل بالمملكة من دراسات تاريخية» .

«كانت ... تطبع في **مطبعة الحكومة بمكة** ...» .

احتجبت — بسبب الحرب العالمية — سنة ١٩٤١ .

ثم عادت إلى الصدور «في ديسمبر ١٩٤٥ حيث انتقل مقرها إلى مكة»/ ١٣٥٩ هـ ... ثم إلى جدة وما زالت توالى الصدور شهرياً وتصدر أحياناً أعداداً خاصة تعدل كتباً .

٦ — **جريدة «المدينة المنورة»** «أنشأها — في المدينة — عثمان حافظ في ٢٦ محرم ١٣٥٦هـ (٨ إبريل ١٩٣٧م) وقد كانت جريدة أسبوعية ... تطبع في **مطبعتها الخاصة** . وقد أشرف على تحريرها هيئة مكونة من أمين مدني وضياء الدين رجب ومحمد زيدان وعلي حافظ . وفي بادىء الأمر تولى أمين مدني رياسة التحرير . ولكن اسمه ما لبث أن اختفى ... فظل عثمان حافظ مسؤولاً عن إدارتها وتحريرها حتى ٩ محرم ١٣٥٧ هـ/ ١٠ مارس ١٩٣٨م حيث شاركه أخوه علي في ملكيتها والإشراف على تحريرها» .

«وقد أسهمت جريدة «المدينة المنورة» مع مجلة «المنهل» في تشجيع الحركة الأدبية في المدينة ... وقد أكد عثمان حافظ حرص جريدته على أن توسع مجالها الصحفي وألا تصبح محلية ...» .

وتضاءل حجمها بعد اندلاع الحرب العالمية و«لم تلبث أن احتجبت في ١٤ يوليو ١٩٤١ ولم تعد إلى الصدور إلا في ١٥ سبتمبر ١٩٤٧ .

٧ — **مجلة «النداء الإسلامي»** «في شهر ربيع الثاني ١٣٥٦ هـ (يونيو ١٩٣٧م) ظهرت في مكة ... وكانت تصدر شهرياً وتحرر باللغتين العربية والملايوية . وقد تولى مصطفى أندرقيري إدارتها ورئاسة تحريرها ...

وكانت تطبع في أول الأمر في **المطبعة الماجدية** بمكة ثم أصبحت تطبع في المطبعة العربية بمكة .

وكان يسهم في تحريرها — أحياناً — ... محمد حسن عواد ، وأحمد عبد الغفور

عطار ، ومحمد حسين زيدان ، وابراهيم الشورى ، وعبد الحميد الخطيب .

لا يعرف تاريخ انقطاعها عن الصدور . أن العدد التاسع عشر المؤرخ في شهر شوال ١٣٥٧ هـ (ديسمبر ١٩٣٨ م) هو آخر ما يوجد الآن — كما أعلم — من أعدادها ...» .

٨ — **مجلة الحج** «في عام ١٣٦٦ هـ صدرت مجلة الحج الشهرية ، بمكة . وهي حكومية تتبع مديرية الحج العامة آنذاك ورأس تحريرها الأستاذ السيد هاشم يوسف الزواوي ثم الأستاذ محمد سعيد العامودي ...» — عن كتيب «الصحافة السعودية» الذي أصدرته وزارة الإعلام ١٣٨٣ (؟) .

يوافق تاريخ صدورها مايو ١٩٤٧ — عن «موجز تاريخ الصحافة» .

تبدأ رئاسة العامودي «منذ أول عام ١٣٧٠ هـ» — عن العامودي ، «من تاريخنا» .

* * *

ولم تبق الصحافة محصورة بالحجاز وكان إنشاء «اليمامة» بالرياض عام ١٣٧٢ ففتح هذا التوسع في رقعة الصحافة وصار من الصعب السبر في التعريف على النهج الذي سرنا عليه ، ولا شك في حاجة الموضوع إلى دراسة مركزة مثل دراسة الدكتور الشامخ عن «الصحافة في الحجاز» مصحوبة بدراسة أخرى عن «الطباعة» . وسيلاحظ ازدهار خاص ، يلفت النظر عام ١٣٧٩ .

ويمكن أن يعالج البحث هذه المرحلة باسم المرحلة الثانية من تاريخ الصحافة (في المملكة العربية السعودية) تبتديء بصدور نظام (قانون) المؤسسات الأهلية للصحافة في ٢٤/ ٨/ ١٣٨٣ هـ وقد ألغيت بموجبه إمتيازات الصحف القائمة وأعيد تأسيس الصحافة على وجه جديد بدأت به مرحلة يمكن أن نُسَمِّيها «ثالثة» .

وننقل هنا سطوراً مما ورد في كتاب الأستاذ عثمان حافظ عن «اليمامة» :

«أصدر صحيفة اليمامة في الرياض الأستاذ حمد الجاسر — وهي أول صحيفة تصدر في نجد .. والأستاذ الجاسر من خبرة رجالنا علماً ، وأدباً ، وتفكيراً وطموحاً ،

وسعة اطلاع ، وطيب معشر..

والأستاذ الجاسر أول من فكر في إيجاد صحافة بالمنطقة الوسطى .. وأول من فكر في بناء دار للصحافة والطباعة تخدم العلم والأدب في الرياض .

وكان صدور أول عدد من اليمامة في شهر ذي الحجة ١٣٧٢ هـ الموافق أغسطس ١٩٥٣ ــ وصدرت على شكل مجلة في ٤٢ صفحة ... وأشارت ... إلى أنها صحيفة أسبوعية جامعة تصدر مؤقتاً أول كل شهر .

ومدير الصحيفة ورئيس تحريرها الأستاذ حمد الجاسر يعاونه في التحرير الأساتذة .. محمد علي العبد ، وعمران محمد عمران .

... في شهر صفر ١٣٧٥ هـ تحولت ... من مجلة شهرية إلى جريدة أسبوعية ... وتطورت تطوراً كبيراً ... وممن ساهم في تحريرها الأساتذة : عبد الكريم جهيمان ، سعد البواردي ، علي حسن فدعق ، حسن قرشي ، عثمان شوقي ، إبراهيم الحجي ، عبدالله بن إدريس ، إبراهيم الهاجري ...

واليمامة أول صحيفة اهتمت بشؤون البادية فأصدرت عدداً خاصاً عن **البادية** ... دعت إلى رفع مستوى حالتها الاجتماعية والمعاشية والثقافية وصدر هذا العدد من اليمامة في شهر ذي القعدة ١٣٧٣ هـ .. كما أنها أول صحيفة في الرياض نادت بتعليم المرأة وتثقيفها .

وبقيت اليمامة تحت إشراف الأستاذ الجاسر إلى عام ١٣٨٠ هـ ثم انتقل امتيازها إلى الأستاذ زيد بن عبد العزيز بن فياض ولم يعد للجريدة طابعها الأول .

وجاء في « موجز تاريخ الصحافة » لمحمد ناصر بن عباس : « ... كان العدد الأول من صحيفة (اليمامة) قد صدر على شكل مجلة شهرية وذلك في شهر ذي الحجة من عام ١٣٧٢ هـ (١٩٥٣م) وقد طبع العدد الأول منها في مصر لعدم توفر المطابع في مدينة الرياض آنذاك ، ثم طبعت في مكة فلبنان ، ولكنها في عام ١٣٧٥ هـ (١٩٥٥م) صدرت على شكل صحيفة أسبوعية طبعت لأول مرة في مدينة الرياض بعد أن أنشئت

أول مطابع فيها هي «**مطابع الرياض**» .

وفيما يأتي ثبت بالجرائد والمجلات التي صدرت بعد اليمامة حتى صدور نظام المؤسسات الأهلية للصحافة وقد اعتمدنا في إعداده على كتاب الأستاذ محمد ناصر بن عباس وكتاب الأستاذ عثمان حافظ والكتيب الذي أصدرته وزارة الإعلام بعنوان «الصحافة السعودية» وسيلتزم الثبت ببيان تاريخ صدور العدد الأول مع ملاحظة أن أكثر المجلات لم يكتب لها الاستمرار ولم تصدر أعداداً كثيرة ... ونكرر أن المعلومات تختار نصاً من هذه الكتب ومن كتاب الأستاذ عثمان حافظ على الخصوص .

١ ــ **مجلة قافلة الزيت** . نشرةشهرية يصدرها قسم الصحافة والنشر العربي التابع لشركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو بالظهران) . صدر العدد الأول في صفر ١٣٧٣ هـ (اكتوبر ١٩٥٣ م) . توالى على رئاسة تحريرها : حافظ الدروبي ، شكيب الأموي في شهر ذي القعدة ١٣٨٢ .

كانت تطبع في بيروت (حتى شهر جمادي الثانية عام ١٣٨٤ هـ الموافق سبتمبر عام ١٩٦٥ م حيث نقلت طباعتها إلى مطابع المطوع) ــ تنظر قافلة الزيت الأسبوعية .

٢ ــ **مجلة الرياض** . شهرية مصورة ، جدة ١٣٧٣/١٩٥٣ .

مديرها المسؤول الأستاذ السيد أحمد عبيد ورئيس تحريرها مدني بن حمد .

توقفت بعد عام ونصف من صدورها تقريباً .

٣ ــ **مجلة الزراعة** ، دورية ، كل ثلاثة أشهر أصدرتها وزارة الزراعة في ذي الحجة ١٣٧٤/ ١٩٥٤ ــ صدرت أول مرة باسم : مجلة وزارة الزراعة .

٤ ــ **جريدة أخبار الظهران** . صدرت بالدمام بالمنطقة الشرقية في ١/٥/ ١٣٧٤ هـ الموافق ٢٦ كانون الأول ١٩٥٤ . تولى رئاسة تحريرها في أول صدورها الأستاذ عبد الكريم الجهيمان .

ثم تحول اسمها إلى (الظهران) ... توقفت قبل صدور نظام المؤسسات .

٥ ــ **مجلة الفجر الجديد** . صدرت في مدينة الدمام بالمنطقة الشرقية عام ١٣٧٤/

١٩٥٤ ... أصدرها يوسف الشيخ يعقوب وقد توقفت بعد صدور العدد الثالث .

٦ ـــ **صرخة العرب** ـــ مجلة سياسية جامعة مصورة أصدرها بالقاهرة الأستاذ أحمد عبيد ... في يناير ١٩٥٥ تدعو إلى جمع كلمة العرب والمسلمين واتحادهم في تضامن يجعل منهم قوة ثالثة، والمجموعة التي اطلعت عليها ـــ والكلام دائماً للأستاذ عثمان حافظ ـــ تشتمل على عشرة أعداد ، العاشر في نوفمبر ١٩٥٥ وقد توقفت بعد هذا التاريخ بأعداد قليلة .

٧ ـــ **مجلة الإذاعة السعودية** أصدرتها المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر بجدة في عام ١٣٧٥/ ١٩٥٥ .

وهي شهرية ... صار اسمها ـــ فيما بعد ـــ مجلة الإذاعة والتلفزيون .

٨ ـــ **مجلة الإشعاع** . مجلة شهرية صدرت في مدينة الخبر بالمنطقة الشرقية . أصدرها الأستاذ سعد البواردي وهو يعمل في محل تجاري آنذاك . صدر العدد الأول في محرم ١٣٧٥ .

توقفت في ذي القعدة ١٣٧٦ ـــ ينظر عنها مجلة «عالم الكتب» العدد الأول ، رجب ١٤٠٠/مايو ١٩٨٠ ، الرياض ـــ الطائف ص ١٠٨ ـــ ١٢٨ .

٩ ـــ **هجر** ـــ مجلة اجتماعية أدبية شهرية أصدرها النادي الأدبي بمعهد الأحساء العلمي بالمنطقة الشرقية ولهذا النادي نشاط أدبي ملحوظ فقد أصدر قبل مجلة هجر صحيفة «الضياء الجديد» الحائطية ويرأس تحرير هذه الصحيفة الأستاذ «عبدالله شباط» .

صدر العدد الأول من هجر في المحرم ١٣٧٦/ أغسطس ١٩٥٧ ، مطبوعاً في مطابع المصري ببيروت ، رئيس التحرير ، عبدالله بن خميس ، وسكرتيره عبدالله شباط .

يقول سعود المرشد العقيلي في مقال نشره في «مارد الدهناء» عن «الصحافة في المنطقة الشرقية» فلم يصدر من هجر إلّا عددها الأول .

١٠ ـــ **جريدة الخليج** . أسبوعية صدرت عن دار الخليج العربي للطباعة والنشر

بمدينة الخبر وقد صدرت في بداية عام ١٣٧٥ على شكل مجلة شهرية فصدر منها أربعة أعداد ثم توقفت ... ثم صدرت في عام ١٣٧٧ على شكل جريدة أسبوعية برأس تحريرها محمد أحمد فقي ، صدر عددها الأول (جريدة) في ١/١/ ١٣٧٧ ، وقد طبعت بمطابع الرياض عام ١٣٧٧ هـ وفي عامي ٧٨ ، ١٣٧٩ هـ طبعت في مطابع الأصفهاني بجدة ، ثم توقفت . وكان رئيس تحريرها عبدالله شباط .

١١ ــ **جريدة حراء** . أسبوعية صدرت في مكة ، رئيس تحريرها : صالح محمد جمال . صدر العدد الأول منها في ٦ جمادى الأولى ١٣٧٦/ ٨ ديسمبر ١٩٥٦ .

وقد استمرت أسبوعية إلى العدد ٦٨ ، المؤرخ ١١ ذي القعدة ١٣٧٧ ثم صدرت يومية .

كانت تطبع في أول صدورها **بمطابع الأصفهاني** بجدة رغم أن محل صدورها وصاحبها بمكة ثم انتقل إلى طبعها في مكة .

بعد حوالي ثمانية أشهر من صدور «حراء» يومية اندمجت مع جريدة الندوة ــ وصدرت باسم «**الندوة وحراء سابقاً**» وذلك في ١٨ رجب ١٣٧٨/ ٢٨ يناير ١٩٥٩ وبعد صدور عددين بهذا الاسم (الندوة وحراء سابقاً) صدرت باسم **الندوة فقط** ... واختفى اسم حراء الصحيفة بعد أن استمرت في الصدور سنتين وشهرين تقريباً .

١٢ ــ **الأضواء** ــ أول جريدة صدرت في مدينة جدة في العهد السعودي .. أصدرها الأساتذة محمد سعيد باعشن ، وعبد الفتاح أبو مدين ، ومحمد أمين يحيي .

صدر العدد الأول في يوم الثلاثاء ٦ ذي القعدة ١٣٧٦/ ٤ يونية ١٩٥٧ .

الأضواء أسبوعية ... أصدرت عدداً ممتازاً عن وثبة الإذاعة السعودية في ١٥ صفر ١٣٧٧/ ١٠ سبتمبر ١٩٥٧ .

كانت تطبع في **مؤسسة الطباعة والنشر بجدة** .. استمرت في الصدور سنة وستة أشهر تقريباً ...

١٣ ــ **عرفات** ــ جريدة أسبوعية شعبية تصدر بمدينة جدة ــ أصدرها حسن عبد

الحي قزاز ، أسرة التحرير : أحمد صلاح جمجوم ، أحمد زكي يماني ، عبد العزيز الرفاعي ، محمد عبد القادر علاقي ، محمد سعيد العوضي ، شكيب الأموي .

صدر العدد الأول في ٢٠ ربيع الثاني ١٣٧٧ .

تطبع في **مطابع الأصفهاني وشركاه** .

آخر عدد رقم ٥٣ بتاريخ ٩ رجب ١٣٧٨/ ١٩ يناير ١٩٥٩ .

ثم اندمجت مع «البلاد السعودية» وصدرت باسم البلاد .

عرفات أول من عالج المشاكل الاجتماعية بالكركتير.

١٤ ــ الندوة ــ جريدة شعبية جامعة أصدرها بمكة الأستاذ أحمد سباعي عن دار «الندوة للطباعة والنشر» لصاحبها أحمد سباعي .

وقد استمرت في الصدور أحد عشر شهراً تقريباً .

ثم اندمجت بجريدة حراء على سبيل المشاركة بين صاحبي الجريدتين : أحمد سباعي وصالح محمد جمال ثم انسحب سباعي وبقيت الندوة لصالح محمد جمال ... وقد أصدر

صالح محمد جمال ــ فيما أصدر ــ عدداً ممتازاً يحمل رقم ٣٠١ مؤرخ ٢١ جمادى الأولى ١٣٧٩/ ٢٢ نوفمبر ١٩٥٩ واشترك في تحريره عدد كبير من الأدباء : أحمد الغزاوي ، عبدالله عريف ، حسين عرب ، أحمد عبد الغفور عطار ، حامد دمنهوري ، غالب حمزة أبو الفرج ، عبدالله السعد ، أحمد عبد الحميد ، عصام خوقير ، حسين سرحان ، علي حسن فدعق ، حبيب بخش ، عباس فائق غزاوي ، فهد المارك ، مطلق مخلد الذيابي ، محمد أحمد باشميل ، صالح جمال حريري ، رفعت ديشيشه ، أحمد طاشكندي ، عبدالله أبو السمح ، عبدالله الحصين ، مصطفى إسماعيل بغدادي ، عبد الحميد عويس ، أنور زغلوك ، محمود أحمد هيكل ، صالح محمد جمال ، أحمد محمد جمال .

١٥ ــ **مجلة الخليج العربي** : شهرية أصدرها عبدالله أحمد شباط بمدينة المبرز بالأحساء ، هو رئيس تحريرها ، وسكرتير التحرير إبراهيم عبد المحسن العبد القادر ...

ويعمل في التحرير حمود عبد العزيز البدر.

صدر العدد الأول في ١ ربيع الأول ١٣٧٧.

وتطبع **بالمطبعة السعودية بالدمام**.

ولكن المجلة توقفت بعد صدور ستة أعداد منها.

وعمل صاحبها على إصدارها جريدة أسبوعية، وفي أواخر عام ١٣٧٧ الموافق ١٩٥٧، أصدر عبدالله شباط **جريدة «الخليج العربي»** بمدينة الخبر، هو صاحب امتيازها، ويرأس تحريرها محمد أحمد فقي ثم تخلى محمد أحمد فقي عن رئاسة التحرير.

ساهم فيها: إبراهيم الناصر، أحمد طاشكندي، سيف الدين عاشور، أحمد محمد الصايغ، خليل الفزيع، عبد العزيز مؤمنة، عبد العزيز التويجري، لقمان يونس...

ويقول صاحبها أنها أول جريدة... اهتمت بقضايا العمل والعمال... وأول جريدة يرتفع توزيعها في تلك الفترة إلى ١٠٠٠٠ نسخة...

كانت جريدة الخليج العربي تطبع في **المطابع الوطنية** في الرياض، وفي عام ١٣٧٩ هـ انتقلت طباعتها إلى جدة وكانت تطبع **بمطابع دار الأصفهاني**.

وفي أوائل عام ١٣٨٠ تحقق لعبدالله إنشاء **مطابع الخليج العربي بالخبر**، وأصبحت جريدة الخليج تطبع بمطابع الخليج.

١٦ ــ **مجلة الجامعة** ــ تصدرها جامعة الرياض. تاريخ مقدمة العدد الأول ١٩ شوال ١٣٧٧، صدر في ذي القعدة ١٣٧٧/ ١٩٥٩.

رأيت منها أربعة أعداد لعلها كل ما صدر باسمها، الرابع بتأريخ ١٣٨٠/ ١٩٦١.

١٧ ــ **مجلة الروضة** للأطفال صدرت بمكة **١٣٧٩/ ١٩٥٩** رئيس تحريرها: طاهر زمخشري (بابا طاهر) توقفت بعد صدورها بوقت قصير.

١٨ ــ **مجلة الرائد** ــ أسبوعية أصدرها عبد الفتاح أبو مدين بجدة **١٣٧٩/١٩٥٩**

(غرة ربيع الأول) .

توقفت عند صدور نظام المؤسسات .

١٩ — **قافلة الزيت الأسبوعية** تصدرها (أرامكو) إلى جانب قافلة الزيت الشهرية (تنظر أعلاه) على شكل جريدة ... وهي كزميلتها قافلة الزيت الشهرية تصدرها الشركة لموظفيها وتوزعها مجاناً ... وقد صدر العدد الأول في شهر ربيع الثاني ١٣٧٩ هـ الموافق اكتوبر ١٩٥٩م تولى إدارتها منذ صدورها سيف الدين عاشور وتولى رئاسة التحرير شكيب الأموي ... الخ .

كانت تطبع في **مطابع الشركة** بالظهران حتى ٢٠ شعبان ١٣٨٠ هـ حيث انتقلت طباعتها إلى **مطابع وزنكوغراف المنطقة الشرقية بالخبر**.

٢٠ — **مجلة قريش** — أصدرها : بمكة أحمد السباعي في غرة جمادى الأولى

١٧٧٩ هـ/ نوفمبر ١٩٥٩ ، عمل في سكرتارية التحرير محمد عبدالله المليباري . استمرت أربع سنوات وستة شهور وتوقفت بعد صدور نظام المؤسسات .

٢١ — **جريدة القصيم** — أسبوعية أصدرها عبدالله العلي الصانع ببريدة ويطبعها في الرياض .

انتقلت إلى الشيخ صالح السلمان العمري وتوقفت في ٢٨/ ١٠/ ١٣٨٣ = ١٢/٣/ ١٩٦٤ .

٢٢ — **مجلة المعرفة** — أصدرتها وزارة المعارف شعبان ١٣٧٩/ فبراير ١٩٦٠ توقفت قبل نظام المؤسسات الصحفية .

٢٣ — **مجلة الجزيرة** — أصدرها عبدالله بن محمد بن خَمِيْس شهرية في مدينة الرياض في ذي القعدة ١٣٧٩/ إبريل ١٩٦٠ ، عنيت بالأدب الشعبي..

توقفت عند صدور نظام المؤسسات .

٢٤ — **جريدة عكاظ** — مقرها الطائف ، تطبع في جدة صاحبها ورئيس

تحريرها : أحمد عبد الغفور عطار ، مديرها : عزيز ضياء .

٢٥ ــ **مجلة راية الإسلام** ــ صدرت في الرياض في الأول من ذي الحجة ١٣٧٩ يرأس تحريرها الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان . شهرية ، توقفت بعد قليل من صدورها .

٢٦ ــ **جريدة الرياضة** ــ بمكة ، اسبوعية صاحبا امتيازها محمد عبدالله مليباري وفؤاد عنقاوي صدر العدد الأول ١١ ربيع الثاني ١٣٨٠/٢ اكتوبر ١٩٦٠ .

توقفت في ٨٢/١٠/٢٨ = ٢٢ مارس ١٩٦٤ .

٢٧ ــ **مارد الدهناء** ــ أصدرتها مصلحة السكك الحديد بالدمام دورية يمكن أن يكون صدورها في رمضان ١٣٨٠ .

تطورت إلى مجلة من العدد ٥٥ الصادر في محرم ١٣٨٣/ حزيران ١٩٦٣ .

٢٨ ــ مجلة «**حماة الأمن**» شهرية أصدرتها العلاقات العامة بوزارة الداخلية ، صدر عددها الأول في شوال ١٣٨٠ ، بدأت دورية وتحولت إلى مجلة .

طبعت بدار الأصفهاني بعد أن تعذر طبعها في الرياض .

٢٩ــ **مجلة كلية الملك عبد العزيز** ــ أصدرتها الكلية العسكرية بالرياض في ١٣٨٠ .

٣٠ ــ **مجلة تجارة الرياض** ــ أصدرتها الغرفة التجارية الصناعية بالرياض ، شهرية عددها الأول ١٣٨١/ ١٩٦١ .

٣١ ــ **مجلة** «**أخبار البترول والمعادن**» شهرية تصدرها وزارة البترول والثروة المعدنية ، العدد الأول ١٣٨١ .

تطبع في مطابع الأصفهاني وشركاه بجدة .

٣٢ ــ **مجلة المالية والاقتصاد** ــ تصدرها وزارة المالية والاقتصاد الوطني . ١٣٨١ هـ .

تطبع بمطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة .

٣٣ ـــ مجلة «**الندوة**» **الشهرية** أصدرها الأستاذ محمد صالح جمال إلى جانب جريدة الندوة اليومية ـــ العدد الأول في ذي القعدة ١٣٨١ . صدر منها ثمانية أعداد .

طبعت بمطابع **دار الثقافة بمكة المكرمة** .

٣٤ ـــ **مجلة الجيش العربي السعودي** ـــ مجلة عسكرية رئيس تحريرها علي الشاعر ، صدر العدد الأول ١٣٨٢ .

٣٥ ـــ مجلة **الأسبوع التجاري** ـــ العدد الأول ٢٨/٥/ ١٣٨٢ = ٢٧/١٠/ ١٩٦٢ صاحبها عبد العزيز مؤمنة . توقفت عام ١٣٨٤/ ١٩٦٤ ، وهي تصدر أعداد ممتازة سنوية .

٣٦ ـــ مجلة «**رابطة العالم الإسلامي**» شهرية تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة منذ ربيع الأول ١٣٨٢ يوليو ١٩٦٣ توالى على رئاسة تحريرها : حسين عبدالله سراج ، إبراهيم الشورى ، محمد سعيد العامودي ...

كانت تطبع عند صدورها بمطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة ، وفي عام ١٣٨٦ انتقلت طباعتها إلى **مؤسسة مكة للطباعة والإعلام** .

٣٧ ـــ **الإدارة العامة** ـــ نشر دورية يصدرها معهد الإدارة العامة بالرياض ... تشرف عليها لجنة من المعهد ... صدر العدد الأول في جمادي الأولى ١٣٨٣ هـ سبتمبر ١٩٦٣ .

* * *

كانت الصحافة تتقدم وتتعدد ويزداد انتشارها وانتشار أماكن صدورها وقد أبدت جريدة المدينة نشاطاً خاصاً لخطته عن قرب ...

وكانت الحكومة ترقب هذا التطور ولا ترتاح للتعدد وعقد فيصل ـــ وهو ولي عهد ـــ «مؤتمراً صحفياً بالطائف في ربيع الثاني ١٣٧٨ هـ ... وقال ... إن صحيفة واحدة

أو صحيفتين تصدر قوية تتضافر في إخراجها جهود الأدباء والصحفيين خير من عشرات الصحف تصدر هزيلة ... ورأى ... أن تندمج الصحف التي تصدر في المدينة الواحدة ... واستجابة لهذا التوجيه ... اندمجت جريدة حراء مع الندوة بمكة المكرمة وصدرت باسم الندوة ، واندمجت جريدة عرفات مع البلاد السعودية وصدرت باسم «البلاد» — عن عثمان ص ٣٨٩ .

وسارت السياسة في هذه الطريق : طريق الدمج ...

وفي ٢٤ جمادى الآخرة ١٣٨٣ هـ أصدرت وزارة الإعلام «بياناً» جاء فيه : «قرر مجلس الوزراء إنهاء إمتيازات الصحف والمجلات الصادرة حالياً في المملكة ... ونقل إمتيازها إلى **مؤسسات** أهلية بموجب تنظيم سيوضع لهذا الغرض في خلال فترة أقصاها ثلاثة شهور ... تبقى خلالها أوضاع الصحف كما هي قائمة عليه» .

وإذا ألقينا نظرة على الصحافة والطباعة وما إليهما في مثل هذا التاريخ ، رأينا سمات حركة ونهضة تدل على مستقبل أهم وأكبر ... ورأينا أن الذي يصدر من جرائد ومجلات غير قليل ، وربما بلغ العدد الثلاثين .

وأبرز الجرائد في الساحة : المدينة ، البلاد ، عكاظ ، الندوة — ولك أن تضيف اليمامة والقصيم ، وجريدة قريش التي كانت (مجلة) أسبوعية ...

وأبرز المجلات المنهل ، والحج ، ورابطة العالم الإسلامي ، وقافلة الزيت ، والجزيرة (؟) .

وكثرت المطابع في جهات مختلفة من البلاد الواسعة . وكان منها :

في جدة : مطابع الأصفهاني وشركاه (وهي أهم المطابع الأهلية وأكثرها أناقة وطبعاً للكتب) ، شركة المدينة للطباعة ، مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر ، مطابع البلاد السعودية .

وفي مكة : مطبعة الحكومة ، مطابع دار الثقافة ، مطابع قريش ، مؤسسة مكة للطباعة (؟) .

واستمرت الماجدية في نشاطها حيناً (؟) وكان مما طبع فيها كتاب «أخبار مكة ...» للأزرقي بتحقيق رشدي الصالح ملحس (ينظر) «في جزئين ، صدر الأول منها عام ١٣٥٢ هـ والثاني عام ١٣٥٧ هـ . قال الدكتور الضبيب (الدارة ، العدد الرابع من السنة الخامسة) ص ٢٣ — ٢٤ «وقد احتوت هذه الطبعة على كل ما يطمح إليه الباحث الحديث في مجال التحقيق العلمي ...» .

وفي الرياض ، تأسست أولى مطابعها باسم مطابع الرياض (١٣٧٤/ ١٩٥٥) ، مطابع الجزيرة ، مطابع نجد التجارية ، مطابع القصيم ، المطابع الوطنية الحديثة ، مطابع النصر الحديثة ، مطبعة الثقافة الإسلامية ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد ، مطابع العلم (؟) .

وللجيش مطابع باسم لعل مقرها الرياض (؟) .

وفي المنطقة الشرقية : دار الخليج للطباعة والنشر ، مطابع شركة الخط بالدمام ، المطابع الفنية بالدمام ، شركة مطابع المطوع بالدمام ، المطبعة السعودية .

(وهي في الغالب مطابع صغيرة) .

وهذه المطابع المختلفة جديرة بدراسة خاصة تحدد تاريخ تأسيسها والعوامل الداعية إلى التأسيس ، والأطوار التي مرت بها المطبعة ، وترفق بقوائم للكتب التي طبعتها مع بيان تاريخ الطبع .

ويحسن البدء بهذه الدراسة منذ هذه الأيام لاستدراك ما فات وللإفادة من الشهود ولوضع أساس لدراسات مقبلة ومكملة .

ومع وجود هذه المطابع ، بقي المؤلف السعودي ، والناشر السعودي يفضلان الطبع في الخارج (مصر ، سورية ، لبنان) بسبب من غلاء الطبع في الداخل وطول المدة التي يستغرقها الطبع ... ورغبة في سعة النشر والأناقة ... (ولبنان البلد المفضل لمن ينشد الأناقة ...) .

وتقع في مصر مطبعة المدني — مؤسسة سعودية ذات أهمية خاصة في طبع الكتب السعودية ...

وكان عدد من المكتبات ينشر عدداً من الكتب ويفضل الخارج في هذه الحال.

ثم صدر **نظام المؤسسات الصحفية الأهلية** في ٢٤ شعبان ١٣٨٣ هـ/ ١٣ يناير (كانون الأول) ١٩٦٤ وفيه: «... المؤسسة الأهلية للصحافة هي مشروع تقدمه مجموعة من المواطنين السعوديين تمنحها الدولة امتياز إصدار صحيفة أو أكثر... ولوزارة الإعلام الحق في الاعتراض على اسم أي واحد من المتقدمين بطلب إنشاء مؤسسة».

«وفي غضون شهر رمضان ١٣٨٣ هـ قدم معظم أصحاب الصحف البيانات المطلوبة بأسماء أعضاء مؤسساتهم لوزارة الإعلام وقد أعيدت البيانات... بالموافقة عليها بعد إضافة بعض الأعضاء واستبعاد البعض الآخر — عثمان حافظ ٣٩٩».

١ — مؤسسة البلاد للصحافة والنشر، أصدرت جريدة البلاد (العدد الأول في ٢ من ذي القعدة ١٣٨٣/ ٢٠ مارس ١٩٦٤)، جدة.

رئيس تحرير الجريدة: عبد المجيد شبكشي.

من أعضائها (ذوي العلاقة بالمعجم) عبدالله السعد، عبدالله مناع، عمر السقاف، محمد حسن فقي، محمد سرور الصبان، محمد علي مغربي، عبد الوهاب آشي.

٢ — مؤسسة المدينة للصحافة: أصدرت جريدة «المدينة» (العدد الأول في ٨٣/١١/١.

رئيس التحرير محمد علي حافظ (وَلِيه عبد الحميد عنبر ثم محمد عبد القادر علاقي ثم عثمان حافظ). تطبع في جدة.

٣ — مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر. أصدرت جريدة «عكاظ» (العدد الأول في ١٢/٦/ ١٣٨٤ = ١٨ أكتوبر ١٩٦٤).

رئيس التحرير محمود عارف.

من أعضائها: عبد الوهاب عبد الواسع، محمد حسن عواد، السيد علي حسن

فدعق ، أحمد قنديل ، عبدالله عمر خياط ، عبد الغني قستي ، عبدالله الحصين ، محمد مليباري ، أحمد علي .

تطبع في جدة .

٤ ــ مؤسسة مكة للطباعة والإعلام أصدرت جريدة «**الندوة**» بمكة ، في الأول من شهر ذي القعدة ١٣٨٣/ ٤ مارس ١٩٦٣ .

رئيس التحرير : محمد حسين زيدان . لم يستمر طويلاً ، وليه حامد مطاوع .

من أعضائها : حامد هرساني ، حسين عرب ، عصام خوقير ، أحمد زكي يماني ، عبدالله عريف ، عمر عبد الجبار ، محمد سليمان الشبل ، عبدالله بغدادي ، أحمد سباعي تمتلك المؤسسة داراً للطباعة خاصة بها ...

٥ ــ مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ــ مقرها الرئيسي : الرياض .

من أعضائها : عبدالله بن خميس ، عثمان الصالح ، عبد العزيز المسند ، عبد العزيز الخويطر ، فهد العيسى ،

تصدر جريدة الجزيرة في الرياض ، العدد الأول ٢٠ صفر ١٣٨٤ هـ (تصدر أسبوعية موقتاً) .

للمؤسسة مطابع خاصة بها تأسست في ١٣٨٧/٢/١ « وتتأهب المؤسسة لإصدار مجلة المجتمع » .

٦ ــ مؤسسة اليمامة الصحفية . مقرها الرئيسي : الرياض .

من أعضائها : حمد الجاسر ، حسن عبدالله القرشي ، عبدا الرحمن آل الشيخ ، عبد العزيز الرفاعي ، عبد العزيز التويجري ، عمران محمد العمران ، عبد الله الوهيبي ، حامد دمنهوري .

انتخب الرفاعي مديراً عاماً للمؤسسة ، والجاسر رئيساً للتحرير ... وفي ٧ من ذي القعدة ١٣٨٣ صدرت جريدة **اليمامة** بالرياض أسبوعية ... ثم تحولت إلى مجلة أسبوعية .

وفي ١ محرم ١٣٨٥ ، أصدرت جريدة **الرياض** يومية بالرياض .

تطبع الرياض واليمامة بمطابع الرياض التابعة للشركة الوطنية للطبع والنشر.

٧ ــ مؤسسة الدعوة الإسلامية للصحافة والنشر أنشئت في ١٣٨٤/١/٢٦ ، وأصدرت جريدة «الدعوة» ، العدد الأول في ٩/١/ ١٣٨٥ ــ رئيس التحرير : عبدالله بن إدريس .

تعمل على إنشاء مطابع خاصة بها .

«تبنى فكرة تأسيس مؤسسة الدعوة ... سماحة المفتي الأكبر الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ» وقد رأس مجلس إدارتها ...

والجريدة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً ، في الرياض .

٨ ــ مؤسسة دار اليوم .

بالمنطقة الشرقية ــ الدمام .

تصدر جريدة اليوم ، أسبوعية ثم نصف أسبوعية ، العدد الأول في ٢ شوال ١٣٨٥ .

(وللمؤسسة مطابع بدأت عملها في رجب ١٣٩١) وكانت قبل ذلك تطبع بمطابع الخط الحديدي بالدمام رئيس التحرير ....

ملاحظة : إن الأسماء التي ذكرت لرئاسة التحرير ليست ثابتة ، فقد يستقيل الرئيس وقد يتغير .. ولكننا حرصنا على ذكر الرئيس الأول للتحرير ...

أحدث صدور الجرائد عن المؤسسات حركة فكرية ثقافية وتنافست الأقلام وتنوعت المواد ، ونالت «المقالة» اهتماماً خاصاً ، وقد عاد إلى الصحافة أدباء كانوا قد فارقوا الميدان الأدبي (إلى التجارة أو الإدارة) ..

ولم يبلغ نظام المؤسسات الصحفية المجلات كلها ، فقد بقيت ــ توالي الصدور ــ مجلة المنهل ، ومجلة الحج ، مجلة رابطة العالم الإسلامي ، قافلة الزيت ...

ولم يحل دون إصدار مجلات جديدة ، كان في مقدمتها ومن أهمها — إن لم يكن أهمها : **مجلة العرب** التي يصدرها حمد الجاسر . صدر العدد الأول منها في رجب ١٣٨٦/ تشرين الأول ١٩٦٦ صدرت شهرية ، تطبع في لبنان .

ولكن ظروفاً قاسية حملت حمد الجاسر على إصدارها كل شهرين على أمل العودة إلى الإصدار الشهري .

ومجلة العرب تؤلف أعدادها مجموعة كتب بل مكتبة في تراث الجزيرة العربية أمكنة وقبائل وتاريخاً وأدباً ...

وتضمنت أعدادها كثيراً من الكتب التي نشرت متسلسلة .

(ينظر أعلاه : حمد الجاسر) .

ومما صدر من مجلات بعد نظام المؤسسات : جريدة أخبار العالم الإسلامي ، رئيس تحريرها : فؤاد شاكر ... ، مجلة كلمة الحق صاحبها ورئيس تحريرها : أحمد عبد الغفور عطار ، مجلة الرياضي صاحبها ورئيس تحريرها : عبدالله المنيعي ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة ، مجلة كلية التربية بمكة ، مجلة الجناح الأخضر ، مجلة أضواء الشريعة تصدرها كلية الشريعة بالرياض ، علمية (يصدرها المستشار الثقافي ببيروت — العدد الأول شوال ١٣٦٨/ يناير ١٩٦٧) ، الخدمة الاجتماعية ، الاقتصاد ، التربية الفنية ، الدفاع .

ويمكن أن يعد صدور العدد الأول من «مجلة كلية الآداب» بجامعة الرياض ١٣٩٠/١٩٧٠ حدثاً أكاديمياً مهما . ولك أن تعد أي بحث فيها كتاباً صغيراً .

ولدى البحث في **الطباعة** نكرر الملاحظة فحسب بأنها بقيت محصورة بالحجاز لمدة غير قصيرة . (٣٠ عاماً) .

وقد اقترن العهد السعودي بتعدد المطابع وتطويرها وقد صارت المطبعة الميرية : مطبعة أم القرى ثم مطبعة الحكومة ، واستمرت المطبعة الماجدية تطبع ، هذا إلى ما كان يطبع على نفقة الملك عبد العزيز (في مصر عادة ، مطبعة المنار خصوصاً) ونفقة الأمراء

والموسرين في مصر وغير مصر أحياناً ــ كما رأينا . ثم توالى الطبع وازداد داخل البلاد وخارجها ... مما كوّن صميم «معجمنا» هذا .

وإننا نثبت هنا ما أمكننا العلم به من مطبوعات صدرت عن أم القرى (والحكومة) والماجدية وغيرهما ... مما لم يذكر عليها اسم مؤلف أو ذكر المؤلف وكان عهده سابقاً على المملكة السعودية ... أو كان من غير أبناء المملكة .

أم القــرى :

بيان عن العلاقات بين المملكة العربية السعودية والإمام يحيي حميد الدين . مكة المكرمة . مطبعة أم القرى ١٣٥٣ هـ .

جريدة أم القرى :

صحيفة تاريخية عن المفاوضات الأخيرة بشأن الصلح في الحرب النجدية الحجازية تقديم يوسف ياسين . مكة المكرمة ١٣٤٣ هـ/ ١٩٢٥م ، ٢٤ ص .

المقدمة ص ٢ : «... وبعد فلقد جرى بين العشرين من رمضان والخامس من شوال بعض مفاوضات هامة تتعلق في أمر النزاع الواقع بين نجد والحسين بن علي وآله وقد توصلنا لخلاصة ما كان من المفاوضات ونشرناه في الجزء العشرين من أم القرى» — عن العناني ص ٥٥٧ ما جاء من المقدمة أو عن الصحيفة التاريخية .

ذكرى الكشافة العراقية :

(مجموعة الخطب والقصائد في زيارتها للحجاز سنة ١٣٥٣) مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ١٣٥٣ ، ٩٢ص (ينظر شكري) .

الزهد ــ كتاب الزهد :

للعالم الرباني والصديق الثاني أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (المتوفي سنة ٢٤١) .

حقوق الطبع محفوظة لناشره ، ١٣٥٧ ، مطبعة أم القرى ، صححه عبد الرحمن

ابن قاسم ص — ٥ — ٤٠٠ .

من المقدمة : «ولا يفوتنا أن نشكر فضيلة شيخنا الشيخ محمد بن عبد الرزاق آل حمزة المدرس بالحرم الشريف ودار الحديث فلقد عني بتصحيحه بمراجعة كتب الحديث ورجاله وغيرها وتهميشه ...» .

ينظر أعلاه : عبد الرحمن بن قاسم ، محمد بن عبد الرزاق حمزة .

صحيفة تاريخية :

ينظر أعلاه في هذا الباب جريدة أم القرى .

مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (تنظر أعلاه : مجموعة) مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ، ٢٣٥٣ — ١٣٥٦ (؟) — وينظر عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ...

معجم البلدان العربية ، قسم الحجاز ونجد وملحقاته ، بحث المعادن — رشدي صالح ملحس .

مكة المكرمة ، مطبعة أم القرى ، ١٩٤٩ (ينظر رشدي ...)

المياه والمعادن ، تأليف كارل تويتشل . مكة ، مطبعة أم القرى ١٣٤٩ — ١٣٥٠ (؟) ، ٣٦ ص .

ينظر ساعاتي ص ٤٤. وكذلك عن «بيان» ...

وعن مطبوعات «أم القرى» ينظر أعلاه : أحمد بن علي بن مشرف ... **ديوان ابن مشرف** ... طبعه الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (ينظر) بمطبعة جريدة أم القرى بمكة — ولا أعرف سنة الطبع ؟

وتنظر إدارة أم القرى — **البيان المفيد** ١٣٤٤ .

وينظر عبد الرحمن بن قاسم — **حاشية الرحبية** ١٣٥٧ .

وينظر عبد الرحمن بن قاسم — **الدرر السنية** في الأجوبة النجدية ١٣٥٢ .

ومما طبع باسم مطبعة الحكومة تقويم الأوقات لعرض المملكة العربية السعودية طبع بأمر صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية عبد العزيز العبد الرحمن إلفيصل آل سعود ط ١ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٦٢ القسم الأول : التاريخ والأزمنة ... الفصول ، القسم الثاني : توقيت الحجاز ، نجد ، عسير ، الثالث : شؤون زراعية .

قصيدة الدر المنظوم في نصرة النبي المعصوم للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن الحسن أبي حجر الحسني (؟) الجزائري المستغانمي .

طبعت بمطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٦٠ ، الكتاب في ١٨ ص ، القصيدة ٨ ص .

مسافات الطرق في المملكة العربية السعودية ، ط ٤ ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٦١ — ينظر رشدي .

التعريفة الجمركية . مكة المكرمة : مطبعة الحكومة ، ١٣٨٤ هـ ٢٠٩ ص (الساعاتي) .

نبذة لطيفة تتضمن بيانات مهمات في الصلاة والطهارة أمر بطبعها .. ط ١ ، ١٣٦٢ ، مطبعة الحكومة مكة ١٦ ص ص . **ينظر** عبد الرحمن بن قاسم — حاشية الدرة المضية مطبعة الحكومة ١٣٦٤ .

ومن مطبوعات **الماجدية** (الترقي الماجدية) :

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ... للأزرقي تحقيق رشدي الصالح ملحس (ينظر) .

مكة المكرمة ، المطبعة الماجدية ، ج١ سنة ١٣٥٢ ، ج٢ سنة ١٣٥٧ .

التحفة الحسنية على التحفة السنية تأليف — السيد محسن المساوي أحد أبناء المدرسة الصولتية . الأصل للشيخ حسن بن محمد مشاط . مكة — المطبعة الماجدية لأصحابها محمد كامل كردي وإخوانه ١٣٥٤ ، ٥١ ص + ١ .

تحقيق كلمة الإخلاص :

تأليف الشيخ الإمام العلامة الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي ثم الدمشقي (المتوفى سنة ٧٩٥...) .

ط ١ مطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية على نفقة مؤسسها ومنشئها (؟) محمد ماجد الكردي المكي ١٣٤٧ ، ٢ — ٢٣ ص .

التمارين المكية لتلاميذ مدارس الفلاح التحضيرية — تأليف عبد القادر موسى ، طبع على نفقة مدرسة الفلاح بمكة — المطبعة الماجدية ١٣٥١هـ ٣٥ ص ص .

التمهيد في تخريج الفروع على الأصول تأليف جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن القرشي الأسنوي الشافعي (المتوفى سنة ٧٧٧) .

ط١ ، المطبعة الماجدية — مكة المكرمة ١٣٥٣ ، ١٦٤ ص+٩ .

المحجة في سير الدلجة :

تأليف عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن رجب الحنبلي (المتوفى سنة ٧٩٥) .

ط١ ، مطبعة الترقي الماجدية بمكة المحمية على نفقة مؤسسها محمد ماجد الكردي المكي .

١٣٤٧ ، ٢ — ٢٤ ص .

ملاحظة(١) :

جاء في مجلة «المنهل» ، السنة السادسة ، الجزء العاشر ، شوال ١٣٦٥/سبتمبر ١٩٤٦ ، ص٤٧٦ «من السابقين إلى ميدان الإحياء الثقافي لهذه البلاد في مطلع القرن الهجري ، فضيلة الشيخ محمد ماجد كردي المكي رحمه الله ... قام قبل نصف قرن بطبع كتب جمة على نفقته بالمطبعة الأميرية . ثم سمت به همته إلى تأسيس مطابعه الثلاث المندمجة في بعض والموجودة بمحلة الفلق بمكة ، والمعروفة باسم «المطبعة الماجدية» ... طبع بها كتباً عديدةً في العلم والدين والأدب فكأنه فاتحة «المطابع الوطنية

في الحجاز» وما تزال مستمرة حتى الآن ... وهذه المطابع ... أحداها : مطبعة حجرية ... من ضمن ما طبع بها خريطة جزيرة العرب بالألوان ..ومعها مطبعتان حرفيتان ... ويدير الجميع الآن أحد أنجاله الشيخ محمد طاهر كردي .

وفي الذيل : ولد في مكة عام ١٢٩٢ هـ وتوفي في عرفة محرماً ملبياً في حج عام ١٣٤٩ هـ وقد ألف كتباً ورسائل مخطوطة لم يتم أكثرها منها معجم كنز العمال . معجم التخاميس في الشعر . المنتخبات الماجدية . فهرس عام لمحتويات مكتبته وغيرها من المؤلفات وله تعاليق كثيرة على كثير من الكتب التي بمكتبته . وقد استقينا أكثر هذه المعلومات من جريدة «أم القرى» في العدد ٣٣٤ الصادر في ٢٠ — ١٢ — ١٣٤٩ » .

ملاحظة (٢) :

من مطبوعات الماجدية .

رسالة في المناسك .

لعبدالله بن حميد (مفتي الحنابلة بمكة . ولد سنة ١٢٩٠ في عنيزة وقدم مع والده إلى مكة ... توفي سنة ١٣٤٦) — ينظر عمر عبد الجبار ، ولكنه لم يحدد سنة الطبع والأولى أن يكون في العهد الهاشمي .

ومما طبع في مطبعة **مصحف مكة** :

عمدة الفقه على مذهب حبر الأمة وناشر أعلام السنة العالم الرباني والصديق الثاني أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني .

تأليف الشيخ موفق الدين بن قدامة (المتوفي سنة ٦٢٠) .

يطلب من مكتبة الاقتصاد بمكة .

مطبعة مصحف مكة ١١٦ + ٤ ص ، د . ت .

ملاحظة : طبع الكتاب نفسه على نفقة الشيخ أبي السمح عبد الظاهر محمد إمام الحرم المكي والشيخ إبراهيم الشورى وكيل المعارف الحجازية (ينظران) .

القاهرة ، ط١ ، المنار ، ١٣٥٢ ، ١٦٩ + ٥ + ١ ص .

وفي أوراق ما يشير إلى مطبعة مصحف مكة ١٣٧٧ — ينظر علموي السيد عباس — نيل المرام .

المطبعة السلفية بمكة :

قال الدكتور الضبيب في الحلقة الثانية ص ١٠ «وإلى جانب مطبعة أم القرى أسهمت في طبع كتب التراث مطبعة أخرى أنشئت عام ١٣٤٧ هـ هي المطبعة السلفية لأصحابها عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف وشركائهما ، وهي فرع للمطبعة السلفية في مصر ...

هذه المطبعة الأهلية وإن كان ما وصلنا من مطبوعاتها قليل نسبياً إلا أنها أنشئت فيما يظهر لتواجد حركة النشر الجديدة التي شجعها الملك عبد العزيز ... ويذكر عبد الفتاح قتلان في مقدمته لفهرست هذه المطبعة الذي صدر عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م) «أن المطبعة قد عزمت بحول الله وقوته على بذل ما في الطاقة لتحقيق أماني جلالة الملك المعظم بنشر المعارف الإسلامية وطبع الكتب التي ألفها أئمة السلف الصالح وعلماء الأمة في بيان الدين الخالص ...» .

كتاب السنة :

تأليف عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل .

عني بتصحيحه والإشراف على طبعه لجنة من المشايخ والعلماء تحت رئاسة : العلامة المحقق فضيلة الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل الشيخ (ينظر) .

ج١ ، ٢ ، ٣ ، المطبعة السلفية — ومكتبتها بمكة المكرمة — الحجاز ١٣٤٩ ، ٢٥٦ ص .

كتاب **شرح الطحاوية** في العقيدة السلفية

عني بتصحيحها والإشراف على طبعها لجنة من المشايخ والعلماء تحت رئاسة

العلامة ... الشيخ عبدالله بن حسن بن حسين آل شيخ (ينظر).
أمر بطبعه على نفقته ... جلالة الملك عبد العزيز ... ملك الحجاز ونجد وملحقاته.
مكة، المطبعة السلفية ومكتبتها ١٣٤٩، ٤ — ٤٥٤ — ٤٦٢.

النظام الأساسي لمدرسة العلوم الشرعية بالمدينة المنورة.
مكة، المطبعة السلفية ١٩٣٤م، ٣٢ ص — عن الساعاتي ص٢٩.

الرسالة التبوكية:

تأليف شمس الدين ... ابن قيم الجوزية ١٩٤٧ — ينظر عبد الظاهر محمد أبو السمح.

ذكر الدكتور الضبيب ص ١١ من الحلقة الثانية أن الرسالة التبوكية لابن تيمية.

شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً لزين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي سنة ١٣٤٧هـ (ذكره الضبيب ص ١١).

مختصر الصواعق المرسلة على الجهميَّة والمعطلة:

الأصل لابن قيم الجوزية والمختصر للشيخ محمد بن الموصلي جزءان (الضبيب — نفسه).

زاد المستقنع في اختصار المقنع: لشرف الدين أبي النجا موسى بن محمد الحجاوي سنة ١٣٤٨هـ (الضبيب).

عنوان المجد في تاريخ نجد لعثمان بن بشر (ينظر) ... طبع بنفقة السيد محمد حسين نصيف (ينظر) والمطبعة السلفية ومكتبتها لصاحبيها عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف ١٣٤٩.

مهمـات الأوراد والأذكار:

منقول من الكلم الطيب لابن تيمية والأذكار للنووي والحصن الحصين للجزري

ومختصر الثلاثة الأصول للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ينظر) ـــ الضبيب ص ١١ .

كتاب المسوى من أحاديث الموطا جزءان ـــ الضبيب نفسه .

ملاحظـــة :

جاء على الصفحة ١٣٦ من كتاب عنوان المجد الذي طبعته المطبعة السلفية (١٣٤٩) بمكة : يطلب من المطبعة السلفية ومكتبتها ... بمكة :

الرسالة التبوكية لابن قيم الجوزية .

الجواب الكافي لابن قيم الجوزية .

شرح حديث أبي الدرداء فيمن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً لابن رجب .

تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للصنعاني .

زاد المستقنع في اختصار المقنع للحجاوي .

النظم المفيد الأحمد في مفردات الإمام أحمد .

مسائل الجاهلية للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (ينظر) .

أربعون حديثاً ـــ لشيخ الإسلام ابن تيمية .

العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

مختصر الصواعق المرسلة على الجهيمة والمعطلة لابن قيم الجوزية (تحت الطبع) .

وقد رأينا عدداً من هذه الكتب مطبوعاً بالمطبعة نفسها مما يمكن أن يقال معه أن الكتب الأخرى قد تكون من مطبوعاتها كذلك .

وفي أوراقي :

دليل الطريق لحجاج بيت الله العتيق . تأليف الحقير الفقير عبده علي بن سالم بن عمر بن أحمد العميري ... الحضرمي بلداً .

راجع أصولها وأحكامها السيد يوسف علي الزواوي المكي من علماء الأزهر .

مطبعة الفتح الوطنية بجدة ١٣٧٠ :

٢ ــ ٢٦٩ ص + قصيدة الصنعاني ولدى العناني ص ٧١ «٢٩٨ ص ــ بهامشه مسائل في إثمِد العينين للعلامة أبي صبرين ... مع فوائد حديثية وفقهية والرسالة المسماة هبات القدير في أحكام الاحتجاج بفعل الأجبر وبعض تقارير» .

ومما طبع في المطابع السعودية الحديثة من كتب لمؤلفين أو لم يذكر عليها اسم مؤلف بعينه :

شركة المدينة للطباعة والنشر :

١ ــ إبراهيم الشريفي ــ التاريخ الإسلامي . جدة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ١٣٨٩ هـ/ ١٩٦٩ م ٢٨٠ ص ــ عن العناني ص ٥٤٥ ــ الكتاب تاريخ للمملكة ... ولدى الساعاتي والقحطاني ص ٨٩ ــ ٩٠ «التاريخ الإسلامي خلال ١٤ قرناً ...» .

٢ ــ الشريفي ، إبراهيم ــ أضواء على الخليج العربي ومسقط وعمان منذ ظهور الإسلام حتى اكتشاف الذهب الأسود . جدة ، شركة المدينة للطباعة والنشر ١٩٦٨م ، ١١٠ ص ، ويحتوي على (١) الدعوة الوهابية . (٢) بريطانيا والدولة السعودية الساعاتي والقحطاني ص ٨٩ .

مطابع الأصفهاني ــ تنظر مطابع دار الأصفهاني .

مطابع البلاد السعودية :

عبد القادر بدران الحنبلي (المتوفي بدمشق سنة ١٣٤٦) ــ **البدرانية** شرح المنظومة الفارضية على مذهب ابن حنبل مكة ، مطابع البلاد السعودية ، ١٠٦ ص .

مطابع دار الأصفهاني وشركاه جدة ، وهي أنشط مطابع المملكة وقد عنيت بأناقة الإخراج مبكراً وتولت طبع كتب مدرسية مقررة رسمياً ... وقد مر ذكرها في «المعجم» مراراً وتكراراً ...

١ ــ عبد الرحمن عزام ــ **بطل الأبطال** أو أبرز صفات النبي محمد ... طبع على نفقة رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة ــ يوزع مجاناً . جدة ، مطابع دار الأصفهاني .

كتبت إلى المؤلف بتاريخ ١٥/١/ ١٣٨٤ تستأذنه في إعادة نشره فوافق .

ط١ ، ١٣٥٧/١٩٣٨ .

ط٢ ، ١٣٧٣/١٩٥٤ .

الطبعة الحالية (د . ت) يبدو أنها وقعت ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ، ١٣ ــ ١١٧ ص .
المؤلف مصري .

٢ ــ **دليل الغرفة التجارية الصناعية** بجدة . جدة ، مطابع دار الأصفهاني وشركاه ١٣٧٩ .

من المقدمة : «في كل عام تعودت الغرفة ... إصدار دليل سنوي يضم أسماء وعناوين وأوجه نشاط مشتركيها من التجار والشركات بالمملكة ...

يحتوي الدليل على ... إحصائيات لواردات وصادرات المملكة ... خلال عامي ٧٧ ــ ١٣٧٨ مستقاة من النشرة الإحصائية الرسمية التي تشرف على إعدادها وإصدارها المديرية العامة للجمارك .

يطبع الدليل باللغتين العربية ١ ــ ٦٧ ص ، والانكليزية ٣ ــ ٤٨ ص (تموز ١٩٥٩ ــ حزيران ١٩٦٠) .

٣ ــ **شاعر الإسلام محمد إقبال** ــ مجموعة ما كتبه أدباء المملكة العربية السعودية ونظمه شعراؤها لمناسبة يوم إقبال ٢٤ مارس ١٩٥٧م .

من مطبوعات قسم الصحافة والثقافة في سفارة الجمهورية الإسلامية الباكستانية بجدة .

مطابع دار الأصفهاني وشركاه بجدة ١٩٥٧ ، ٨٠ص .

ملاحظة : ينظر فيصل بن عبد العزيز...

مطابع دار الثقافة بمكة .

أخبار مكة ... للأزرقي ١٩٦٥/١٣٨٥ .

ينظر رشدي الصالح ملحس أعلاه ، مكتبة الثقافة بمكة أدناه .

مطابع الرياض :

من كلام للشيخ حمد الجاسر على مجلة اليمامة : «تم طبع جزء شوال وذي القعدة سنة ١٣٧٤ (يونيو ١٩٥٥) حيث أنشئت أول مطبعة في هذه المدينة .

وقد تحدث الشيخ الجاسر عن ذكرياته (المرة) عن الطباعة — تنظر العرب شعبان ١٣٩٩/ يوليو ١٩٧٩ .

وقد طبعت هذه المطبعة بنشاط كثيراً من الكتب ، ذكرنا منها ، فيما ذكرنا : الأدب الشعبي لعبدالله بن خميس ١٣٧٨ ، وتاريخ الخلاف السليماني ج١ ، ١٣٨٧ ، والجراح ابن شاجر ١٣٨٥ لمحمد بن أحمد بن عيسى العقيلي ، وتبرئة الشيخين لسليمان بن سحمان ، والأجوبة المفيدة لعبد الرحمن حمد الجطيلي (ولم نعرف سنة الطبع) (ولم نعرف شيئاً عن المؤلف) ، وابن مقرب ١٣٨٨ ، ومن أعلام الشعر اليمامي ١٣٧٧ لعمران بن محمد بن عمران .

ونذكر هذا مما هو شرط ذكره في هذا الباب .

١ — تربية الدواجن :

الحلقة الأولى من سلسلة كتب الجيب الزراعية تأليف محمد بهجت حسن (مدير تعليم فني سابقاً — لعله مصري) وأحمد يوسف علي (خبير زراعي ... بالسودان سابقاً) .

ط١ ، الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ، ٧ — ١٠٩ + ٧ ص .

وفيها : الحلقات الآتية :

٢ — زراعة الخضر ، ٣ — مملكة النحل ، ٤ — زراعة أشجار النخيل ، ٥ — أشجار الفاكهة . ٦ — الأنعام ومستخرجات الألبان . ٧ — زراعة المحاصيل . ٨ — البستنة ، ٩ — التخطيط الزراعي وتنفيذ العمليات الزراعية — ولم أطلع عليها ، ولست متأكداً من صدورها الفعلي .

٢ — **ديوان الشعر المنشود في بلد السعود تأليف** مصطفى إبراهيم جغنون (سوري) ط ١ ، الرياض ، مطابع الرياض ١٣٨٣ ، ١٤ — ١١٦ ص ص .

٣ — **رسالة إيضاح الفروض** في زكاة العروض . الرياض ، مطابع الرياض ٢ — ٢٨ ص ص د.ت .

توزع مجانا ، أصدرتها دار الإفتاء بالرياض .

٤ — **الفرقان** بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان .

تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية . طبع على نفقة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري وجعله وقفاً .

ط٢ ، الرياض ، مطابع الرياض ١٣٧٥/١٩٥٦ ، ٤ — ٩٣ص .

ملاحظة : كتبت عليه : «علق عليه وحققه أبو الوفاء محمد درويش» .

ثم وضع تنبيه على غلاف جديد : «وضع اسم «أبو الوفاء محمد درويش» سهواً وإلّا فالمذكور ليس له أي أثر في هذه الطبعة» .

٥ — **الفضل في أُبْطُوْلة تحليل** التصوير الضوئي — تأصيل وتعقيب وتاريخ . تأليف عبد اللطيف أحمد زيد (مصري) .

الرياض ، مطابع الرياض ٠٣٧٥/١٩٥٦ ، ٨ — ٧٧ ص ص .

الإهداء : «فاتحة جهادي في سبيل الله والحق .

إلى نصير المحقين ، قاطع المبطلين ، إمام الموحدين ، أمير المؤمنين ، علم الملوك ؛ سعود بن عبد العزيز آل سعود ؛ أيده الله بروحه وأعز به الإسلام والمسلمين» .

وفيه : كتب للمؤلف لم تطبع بعد :
١ ــ مراقي السلوك ومنازل العبادة . ٢ ــ تهذيب وتجريد المنازل والمدارج للهوى وابن القيم . ٣ ــ تقريب زاد المعاد لابن القيم . ٤ ــ تاريخ مجدد الألف الثاني محمد بن عبد الوهاب وأعلام آل الشيخ .

من المقدمة : « ... أبو الوفاء محمد درويش المحامي ، بعد التقاعد من التدريس الابتدائي المدني بسوهاج ... ذهب إلى القول بحل التصوير الضوئي الشمسي ...

غير أنه راعه بعد ذلك وروعه ، وأقض مضجعه ، أن يعلن حجة الإسلام وبقية السلف الراشد محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ مفتي المملكة العربية السعودية الأكبر . وهو الإمام الثبوت المتمسك بالسنة ، والقائم على رعايتها على بصيرة ونور وهدى من ربه .

راعه وروعه ... أن يعلن سماحته إلى الناس بيانه في تحريم التصوير على الإطلاق ... راعه وروعه فأخرج للناس قذراً سماه رداً على فتيا الشيخ الأكبر ...

وقد خار الله لي بفضله وتوفيقه في تحرير البحوث التالية في الرد على هذا المبطل المتخبط ...

أول جمادى الثانية ١٣٧٥ ، ١٥ يناير ١٩٥٦ ــ التوقيع : عبد اللطيف أحمد زيد من علماء الأزهر .

٦ ــ **كتاب قرة العين** في شرح ورقات إمام الحرمين ــ تأليف الشيخ محمد بن محمد الرعيني المعروف بالحطاب (٩٠٢ ــ ٩٥٤) .

الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٧٥ ، ٤ ــ ٣٤ + ١ ، طبع على نفقة الشيخ عبد العزيز بن محمد الشثري .

٧ ــ **مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ينظر أعلاه : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .

المجلد الأول ، الرياض ، مطابع الرياض ، ١٣٨١ ــ المجلد الثلاثون ١٣٨٣ .

لم أطلع على مجموع المجلدات ، ويا حبذا لو تأكد لي تواريخ طبعها ... ولعلها أكثر من ثلاثين .

٨ — **المجموع المفيد للطالب المستفيد** ط١ ، الرياض ، مطابع الرياض ١٣٧٥ ، ٩ – ١٨٩ + ٣ ص .

وفيه : ص ٥ ثلاثة الأصول ، ص ١٧ شروط الصلاة لمحمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٣ الأربع القواعد ، ص ٢٧ كتاب التوحيد ص ٧٩ كتاب كشف الشبهات . وخمستها للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ينظر) .

ثم ص ٩٥ ، العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

ثم ص ١١٣ كتاب آداب المشي إلى الصلاة ، ١٣٨ كتاب الزكاة ، ص ١٤٢ كتاب الصيام وثلاثتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ثم ص ١٤٥ ، الأربعون النووية من الأحاديث الصحيحة النبوية للإمام يحيي بن شرف الدين النووي .

ص ١٦١ نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر للحافظ ابن حجر .

ص ١٦٧ متن الورقات في أصول الفقه لعبد الملك بن يوسف الجويني إمام الحرمين .

ص ١٧٣ متن الأجرومية .

ص ١٨١ — ١٨٩ متن الرحبية في علم الفرائض لأبي عبدالله محمد بن الحسين الرحبي .

وجاء عن العقيدة الواسطية «اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة ، أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره » .

٩ — **مجموعة كتب** تحتوي على :

الصواعق المرسلة الشهابية .

تبرئة الشيخين .

كشف الشبهات .

الجهر بالذكر بعد الصلاة .

ينظر سليمان بن سحمان .

الرياض مطابع الرياض ١٣٧٦/ ١٩٥٦ ، ٣٥٨ ص « بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك سعود ...

١٠ — **المراعي** ووسائل تحسينها في المملكة العربية السعودية للدكتور عمر عبد المجيد دراز (مصري) خبير المراعي بوزارة الزراعة بالرياض ، وسابقاً السكرتير العام لمعهد الصحراء بالقاهرة .

ط١ ، الرياض ، مطابع الرياض ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ، ٧ - ١٥١ + مراجع .

١١ — **المسلمون تحت راية القرآن** للإمام الشهيد حسن البناء .

الرياض ، مطابع الرياض ، د. ت ، ٤ — ٣٩ — نشيد الكتائب ٣٢ ص ص .

« نص الخطاب الذي ألقاه ...» ١٤ صفر ١٣٥٨/ ٤ إبريل ١٩٣٩) .

١٢ — **من فتاوي شيخ الإسلام** أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية وفق الله تعالى .

الرياض ، مطابع الرياض ١٣٧٦ ، ٣ - ٥١ + ١ ص .

ومما طبع فيها : الأستاذ أبو الحسن الندوي بين البر والحقيقة ، قام بطبعها اسماعيل بن عتيق ١٣٧٣ (؟) ، ١٦ ص . مطابع الرياض .

مطابع مؤسسة النور ، تنظر مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

مطابع نجد التجارية — الرياض .

تطور الحكم والإدارة في المملكة العربية السعودية محمد توفيق صادق ، ١٣٨٥/١٩٦٥ .

مطابع وزنكغراف مؤسسة الجزيرة :

١ — **فهرس المخطوطات** بمكتبة عبد الرحمن العبيكان الخاصة .

الرياض ، مطابع ...، ١٣٩٠ ، ٨٦ ص .

٢ — **محاضرات في التاريخ والآثار** تأليف جمعية التاريخ والآثار بكلية الآداب في جامعة الرياض .

الرياض ، مطابع مؤسسة الجزيرة (أذكرت كلمة وزنكغراف؟) ١١٢ ص + ٦ ، ١٩٦٨ (؟) .

المطابع الوطنية الحديثة :

١ — **إلى الشباب** . للأستاذ حسن البنا (مصري) . الرياض ، المطابع الوطنية الحديثة ٣ — ١٦ ص ص د. ت (؟) .

٢ — **في دوحة المجد** — قصائد قالها شعراء سودانيون في مدح الملك سعود وجمعها الصحفي السوداني في الرياض عثمان شوقي ، ٣٨ ص .

مطبعة دار قريش للطباعة :

١ — **تاريخ الجزيرة العربية** تأليف علي عبد الرحمن أبا حسين (عراقي) .

مكة ، دار قريش للطباعة ١٩٦٦ ، ١٧١ ص .

٢ — **الأسماء والتواقيع المستعارة** في الأدب العربي للدكتور محسن جمال الدين (عراقي) .

ط ١ ، مطبعة دار قريش للطباعة والصحافة ، مكة المكرمة ١٣٨٩/ ١٩٦٩ ٣ + ١ — ٤٤ ص ص (محاضرة القيت بدعوة من النشاط الثقافي بكلية الشريعة ... في مكة ، مساء الأحد ١١/٢٩/ ١٣٨٨ ...) .

مؤسسة الجميح :

نشرت جريدة الجزيرة بعددها الـ١٩٠ في ١/١٨/ ١٣٨٨ = ٤/١٦/ ١٩٦٨ .

«تلقينا من مؤسسة المشائخ (كذا) عبد العزيز ومحمد العبدالله الجميح نسخة من كتاب **الجامع الفريد** وهو كتاب قيم جداً ويتعرض لبحث أصول التوحيد والعقيدة ، وقد قدم الكتاب فضيلة الأستاذ زيد بن فياض بكلمة جامعة وطبع بمطابع مؤسسة مكة للإعلام .

وأن نهوض مؤسسة الجميح بإحياء الكتب ونشرها لبادرة تشكر عليها وتؤجر» .

هل تعني كلمة «تؤجر» أن مؤسسة الجميح نشرت الكتاب حسبة وليس تجارة ؟ وحينئذ تدخل في قائمة الطبع «على نفقة» .

مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر — جدة :

الفيصليات — حامد المحضار ، ١٣٦٨ ، ٣ - ٨ - ٩ - ٤٣ — ٤٥ص .

(لا أعرف القطر العربي الذي يرجع إليه المؤلف؟) .

مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض :

قلنا عن «علي الحمد الصالحي : هو صاحب مؤسسة النور للطباعة والتجليد ، أو مؤسس فعال فيها ، مقرها الرياض ، ويبدو أنها تأسست بعد عام ١٣٨٠ وقد نشرت عدة كتب دينية يغلب عليها صغر الحجم والصلة بدار الإفتاء ، ويسهم الصالحي بالإشراف على الطبع والتصحيح ...» .

ونذكر هنا :

١ — زيارة القبور الشرعية والشركية :

للإمام محيي الدين محمد البركوي المتوفى سنة ٩٨١هـ بقسطنطينية .

الرياض مؤسسة النور للطباعة والتجليد ٣ - ٥٤ + ٢ص ص .

٢ — **شفاء الصدور** في الرد على الجواب المشكور (يوزع مجاناً) .

ط١ ، مؤسسة النور ، الرياض ، ٤ - ٧٨ + ٢ (د.ت) (في عهد سعود) .

الأصل : الجواب المشكور عن أسئلة القبور ، أصدرته جمعية الدعوة الإسلامية بباكستان .

٣ — **اللآلي البهية في شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية .**

تأليف أحمد بن عبدالله المرداوي الحنبلي رحمه الله .(سامحه الله)

ط١ ، الرياض ، مؤسسة النور ، تحـ . على الحمد الصالحي مطلع اللامية :

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي   رزق الهدى من للهداية يسألُ

تم الطبع في ١٣٨٦/١/١٥ ، ٥ — ١٠٦ — ١١٠ص ص .

عنوان المؤسسة : الرياض الوسيطى ، شارع الإمام أحمد بن حنبل ، تلفون ٨٧٧ .

فرغ المؤلف من جمعها سنة ١٢٦٣ .

وفي إعلان عن مطبوعات مؤسسة النور :

كتاب التوحيد — عليه القول السديد .

وواجب المسلمين .

البلبل (مختصر الروضة) في أصول الفقه كشف الشبهات مفصل ومخدوم .

حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب نواة التفسير لجزء عم وتبارك ثلاثة الأصول ...

مـلاحظة :

إن تقدم الطباعة في المملكة لم يحل دون الطبع في «الخارج» ، فاستمر الطبع في مصر وإن قل في الهند ، وفضل الشباب «لبنان» لما تضفي على الكتاب من أناقة ، وتميزت الشام بطبع الكتب الدينية وتميز في ذلك على وجه الخصوص «المكتب الإسلامي» .

وملاحظة أخرى تنفع من يدرس تاريخ الطباعة (في الخارج) هي العلم بأن هناك

كتباً قليلة طبعت في العراق ، لمؤلفين من أبناء المنطقة الشرقية ، والعلم بأمر سليمان الدخيل (ينظر) لدى إقامته ببغداد وصلته بالصحافة والطباعة .

ويحسن الالتفات إلى إيران وقد ذكر — مثلاً — محمد رضا نصرالله في «المجلة العربية» (ربيع الأول ١٤٠٠/ يناير ١٩٨٠) «... جعفر الخطي ... ديوانه طبع في إيران عام ١٣٧٢ هـ وقام بنشر هذا الديوان أديب عراقي ...» .

وجاء في ط ٤ من إعلام الزركلي ٢/١٢٩ أنه الخطي توفي ١٠٢٨/ ١٩١٩ ... وفي «لمحات من الخليج العربي» ص ١٤٠ «ولد في القطيف ثم رحل إلى البحرين .. توفي سنة ١٠٢٩» .

مكتب ، مكتبة :

والمكتبة باب آخر يتصل اتصالاً أكيداً بما نحن فيه من «معجم المطبوعات» لما تكون به من واسطة تسهل وصول الكتاب إلى القراء ... ثم — وهذا هو المهم هنا — لما تقوم به من طبع الكتب على حسابها و بمساعدتها وسعيها خارج البلاد (وداخلها) لمؤلفين من غير أبناء البلاد والعصر السعودي (ولمؤلفين من أبناء البلاد والعصر السعودي الذي نحن فيه) .

وأول اسم يمكن أن يذكر في تأسيس مكتبة (لبيع الكتب) ولها أثر أدبي واستعداد وتنفيذ لطبع الكتب هو اسم محمد سرور الصبان (ينظر) إذ أسس بمكة مكتبة سماها «المكتبة الحجازية» .

وتحدث أحمد علي عن «المكتبات» في كتابه «ذكريات» الصادر سنة ١٣٩٧ عن نادي الطائف الأدبي» فقال ص ٢٩ «وأول مكتبة اهتمت بجلب الكتب الحديثة في باب السلام [بمكة] — حسب معرفتي — هي مكتبة الشيخ عبد الكريم الخطيب» (أهو عبد الكريم الخطيب المار ذكره في حرف العين؟) ، وقال ص ٣٠ «وأول مكتبة تأسست في مكة على الطراز الحديث هي المكتبة الوطنية التي أسسها معالى الشيخ محمد سرور الصبان» — لعله يريد بالوطنية : الحجازية .

وللمكتبة الحجازية أهمية في الحركة الأدبية واستيراد الكتاب العربي ولا سيا المصري كما أنها عزمت على أن تكون واسطة لطبع الكتاب (الحجازي) في مصر، وقد خطت فعلاً الخطوة الأولى بأن طبعت هناك «أدب الحجاز» سنة ١٣٤٤ و«المعرض» سنة ١٣٤٥ .وتوالت المكتبات في الحجاز. وأشهر ما نذكر — مما له علاقة بالطبع والنشر —: مكتبة الثقافة بمكة، والمكتبة السلفية بمكة، المكتبة العلمية بالمدينة، المكتبة السلفية بالمدينة، مكتبة المعارف بالطائف.

أما في الرياض فأهم ما يذكر: المكتبة الأهلية.

وسيرد الكلام على هذه المكتبات والمكتبات الأخرى في هذا الباب، في حدود العلم وحدود ما يتصل الأمر بنشر الكتب وتولى أمر طبعها، ولن يشمل الكلام الحديث عن كتب المؤلفين السعوديين الذين ورد — أو يرد — الكلام عليهم في «المعجم»، وإنما سيقف عند كتب لمؤلفين غير سعوديين، أكثرهم من التراث العربي الإسلامي.

ثم شرعت تظهر مكتبات أخرى كالنهضة الحديثة في الرياض.

كما ظهرت دور عملها الأول النشر، مثل دار اليمامة (ينظر حمد الجاسر) والدار السعودية (تنظر)، وأسهمت مؤسسة النور (بالرياض) بالطبع والنشر (تنظر في أدناه)...، وربما سمت «الدار» نفسها مكتب...

مكتب سفير للخدمات التجارية — الرياض.

١ — **الدليل الطبي لمدينة الرياض**. الرياض ١٩٧٠، ٧٩ ص (شكري).

مكتب الفكر والفن (فكفن).

للنشر والتوزيع والإعلان، أسسه بجدة الأستاذ محمد حسن عواد (ينظر). ونشر عدداً محدوداً من الكتب الحديثة لمؤلفين سعوديين. خواطر جريئة لحسن عبدالله آل الشيخ، الشجرة ذات السياج الشوكي لرشاد سروجي، مخاض الصمت لنجاة خياط (تنظر في أماكنها من المعجم) وأعلن عن كتب أخرى لا أحسبه أصدرها: فيصل المواطن

الأول لنجاة محمد حسن عواد ، يادل باول لعبدالله القنيعير ، والتضامن الإسلامي ، وأقوال وصور لأشهر مشاهير المملكة ، ومن واقعنا .

ولم يعش المكتب طويلاً وتوقف قبل عام ١٣٩٠/ ١٩٧٠ — فيما أعلم .

وقد توفي العواد » في ٣/٦/١٤٠٠ عن عمر يناهز الثمانين عاماً » — ولد سنة ١٣٢٠ — ينظر عنه مجلة «عالم الكتب» العدد الأول من المجلد الأول رجب ١٤٠٠/ مايو ١٩٨٠ ص ١٢٩ — ١٣٣ .

مكتبة الآداب :

الشهيد عبد القادر حمزة .

الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه :

ط٦ ، ١٣٨٦/١٩٦٦ .

الناشر : مكتبة الآداب بالرياض .

٣ — ٩١ — ٩٥ ص‌ص ، مؤسسة النور للطباعة والتجليد .

(الشهيد قتل في مصر سنة ١٩٥٤) .

مكتبة الأحساء الحديثة :

نشرت شعراء هجر . ينظر عبد الفتاح الحلو ومحمد بن عبدالله آل مبارك .

مكتبة «أبو بكر خوقير» :

الشيخ أبو بكر خوقير (ينظر أبو بكر ابن محمد عارف خوقير — توفي سنة ١٣٤٩ هـ وينظر خوقير) .

قال الدكتور أحمد الضبيب في الدارة (العدد الرابع/ السنة الخامسة رجب ١٤٠٠/ يونية ١٩٨٠ ص ٢٢ — ٢٣) .

«نشرت بعض كتب التراث في مصر ككتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»

لمؤرخ مكة قطب الدين النَّهْرَوَاليْ بمصر سنة ١٣٠٥ في المطبعة الخيرية على ذمة ملتزمه الشيخ أبي بكر خوقير الكتبي بمكة بباب السلام ... المدرس والإمام بالمسجد الحرام ، وذلك على هامش كتاب : «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» لأحمد زيني دحلان» (ينظر) .

مكتبة الإرشاد — جدة :

صالح بن علي الحامد — تاريخ حضر موت ، ج١ بيروت ، مطابع دار الكتب ١٩٦٨ — ٣٩٢ ص+٢ .

المكتبة الأهلية بالرياض (نجد) :

لصاحبها الشيخ عبد المحسن بن عثمان بن أبا بطين (بابطين) ، وكثيراً ما نص على أن الطبع يتم بنفقته ، وهو كما يقول الجاسر أول من أنشأ مكتبة لبيع الكتب في الرياض (ينظر أعلاه : عبد المحسن ...) : تأسست سنة ١٣٦٤ .

نشرت المكتبة الأهلية لفيصل بن عبد العزيز آل مبارك (ينظر) : بستان الأحبار ، وتوفيق الرحمن ، وخلاصة الكلام ، والسبيكة الذهبية ، وكلمات السداد .

ونشر للشيخ محمد بن عبد الوهاب (ينظر) ثلاثة الأصول ...

ونشر لإبراهيم بن صالح بن عيسى (ينظر) كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر تأليف الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي الحنبلي ، طبع مع كتاب عنوان المجد لعثمان بن بشر (ينظر) تالياً له سنة ١٧٣٣/ ، ٧٩ ص ، القاهرة ، دار بنه للطباعة والتجليد (ط٢) — ولم نشر إلى هذه الطبعة عند كلامنا على إبراهيم ... أعلاه .

ونشر — كما رأينا — عنوان المجد لعثمان بن بشر وقال في ترجمته «الشيخ عثمان ... التميمي النجدي من رؤساء قبيلة بني زيد المعروفة في بلد شقرا من بني تميم بلدان الوشم ... وصنف عدة مؤلفات منها كتاب في الخيل سماه سهيل في ذكر الخيل ، في مجلد ، وكتاب الإشارة في منازل السبعة السيارة ، في عدة كراريس ، ورسالة في

الحساب سماها بغية المحاسب ، وكتاب مرشد الخصائص ومبدأ النقائص في الطفيليين والثقلاء ، وفهرس طبقات الحنابلة لابن رجب جعل تراجمها على حروف المعجم — توفي سنة ١٢٨٨ .

ونشر الشيخ عبد المحسن ... مؤلفاته ... واعتاد أن يعلن عن «مطبوعات المكتبة الأهلية بالرياض فيما ينشر من كتب مثل كتاب حسين بن غنام وكتاب عثمان بن بشر (ينظر) ومن هذه الكتب :

١ — إبطال التنديد شرح التوحيد .
٢ — القول السديد على ترجمة التوحيد .
٣ — استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس .
٤ — دعاء ختم القرآن العظيم .
٥ — لمعة الاعتقاد .
٦ — الكتاب المجهول .
٧ — رسالة في أدعية الطواف والسعي على المذاهب الأربعة .
٨ — التطفلات الأدبية .
٩ — تحفة الناسك في أحكام المناسك .
١٠ — حاشية على الأربعين النووية ، وينظر محمد بن عبد الوهاب طبع الأهلية بمصر ، شركة مكتبة ومطبعة ... البابي .

اشتركت الأهلية مع مكتبة النهضة في نشر «خلاصة الكلام» لفيصل بن عبد العزيز آل مبارك . وعن «كلمات السداد» قالت : الناشر المطبعة والمكتبة الأهلية .

مكتبة التعاون الثقافي .

لصاحبها عبدالله عبد الرحمن الملا — الأحساء .

نشرت ديوان ابن المقرب بتحقيق عبد الفتاح الحلو . توفي ابن المقرب أواخر المحرم ٦٣٠ — ينظر أعلاه .

مكتبة الثقافة بمكة المكرمة :

أسسها صالح محمد جمال (ينظر) سنة ١٣٦٤ هـ . كانت في بدايتها صغيرة .

نشرت عدة كتب ، واتسعت ، ويفهم من «القائمة» ٦ ط٣ التي أصدرتها سنة ١٣٨٤ ، مركزها الرئيسي : مكة — سوق الليل . المركز الثاني : الطائف — باب الريع . ومن إعلان لها في هذه القائمة : مطابع دار الثقافة . مكة — الزاهر . ينظر لمطبوعاتها أحمد محمد جمال (مثلاً) .

نشرت المكتبة من التراث .

١ — **أخبار مدينة الرسول** المعروف بالدرة الثمينة لمحمد بن محمود بن النجار البغدادي ، بتحقيق صالح محمد جمال (ينظر) .

٢ — **تاريخ البلد الحرام** المعروف بإعلام الأعلام ببناء المسجد الحرام — ينظر أحمد محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي .

٣ — **أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار** لأبي الوليد محمد بن عبدالله ... الأزرقي ينظر رشدي الصالح ملحس وقد حققه وطبعه بالمطبعة الماجدية .

وبعد وفاته أعادت دار الثقافة بمكة طبعه ، مطابع دار الثقافة ١٣٨٥/ ١٩٦٥ ينظر أعلاه رشدي ، صالح محمد جمال ، الساعاتي ص ٦٥ ، العناني ٨٥ .

دار الثقافة الإسلامية بالرياض :

يبدو أنها مكتبة (؟) .

نشرت كتاب «السنة» لمحمد بن نصر المروزي (؟) ...

الدار السعودية — تنظر .

دار الفكر العربي .

الحشرات والآفات الزراعية وطرق مقاومتها بالمملكة العربية السعودية :

الرياض ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٩ ، ٤٠٥ ص .

يذكر ساعاتي والقحطاني ص ٤٧ أسم المؤلف : محمد السيد أيوب (ويبدو أنه مصري) .

المكتبة السلفية بالمدينة :

صاحبها محمد عبد المحسن الكتبي نشرت كما أخبرني صاحبها (بخطه) :

الأحاديث الموضوعة لابن الجوزي ١ — ٣ .

تحفة الأحوذي شرح الترمذي ١ — ١٢ مجلداً .

التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي .

جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر .

دلائل النبوة للإمام البيهقي ١ — ٢ .

العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي .

عون المعبود شرح سُنَنِ أبي داود مع شرح ابن القيم ١ — ١٤ .

فتح المغيث شرح ألفية العراقي بشرح السخاوي ١ — ٣ .

مجموعة رسائل الحديث للعراقي والنسائي .

المعجم الصغير للطبراني .

قال لي صاحب المكتبة : كلها مطبوعة في مصر ما بين عام ٨٥ — ١٣٩١ (؟) .

ووجدت في أوراقي : محمد عبد المحسن الكتبي — المكتبة السلفية — المدينة :

مداواة النفوس .

وتهذيب الأخلاق .

لابن حزم .

تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان القاهرة ، مط العاصمة ١٩٧٠ ، ١٢٦ ص.ص .

فهل يعني ذلك منشورات المكتبة السلفية بالمدينة ؟

المكتبة السلفية ــ بمكة :

ينظر أعلاه : المطبعة السلفية ومكتبتها بمكة .

مكتبة الشيخ مصطفى ميرو بمكة باب السلام .

كتاب المحاورة الصحية لتلاميذ المدارس الابتدائية تأليف حسن فهمي بن إبراهيم حسني مدير المدرسة التحضيرية الأميرية بشارع المعلى . قرر مجلس المعارف العمومية الحجازية تدريسه . ١٤ ربيع الأول ١٣٥١ ، ٢٧ ص .

يطلب من مكتبة الشيخ مصطفى ميروا بباب السلام . مطبعة السلفية بمكة المكرمة .

عبد الشكورفدا :

ورد اسمه على كتب هكذا «منشورات عبد الشكور فدا» . وهو صاحب مكتبة النهضة الحديثة بمكة (تنظر أدناه) .

من الكتب :

الطرق الحكمية لابن القيم .

صحيح البخاري .

ألف ليلة مصور .

ومعه أخوه عبدالله فدا .. وهم إخوة كتيبة بباب السلام بمكة .

مما طبع على نفقة الشيخ عبدالله فدا وإخوانه الكتيبة بباب السلام بمكة :

مختصر التحرير في أصول فقه السادة الحنابلة تأليف محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي المعروف بابن النجار المتوفي سنة ٩٧٢ .

ط ١ ، ١٣٦٧ ، القاهرة ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ٧ ــ ٨٤ ــ ٨٨ ص .

الشيخ عبد القادر بن عبد الغفار الكتبي بمكة المكرمة .

كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر .

المكتبة العلمية بالمدينة :

لصاحبها محمد سلطان النمنكاني .

آثار المدينة — عبد القدوس الأنصاري (ينظر) ، القاهرة ، دار الكتاب العربي ١٣٨٠ .

الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة — للسيد محمد صديق القنوجي . القاهرة ، مطبعة المدني ١٣٧٩/ ١٩٥٩ ، ١٩٦ص +٢ .

صِديق هو العالم الهندي الشهير ذو المؤلفات الكثيرة ، محمد صديق حسن خان ، ولد في فنوج في الهند سنة ١٢٤٨ هـ وتوفي سنة ١٣٠٧ هـ في بهوبال .

الإسلام بين العلماء والحكام للشيخ عبد العزيز البدري ، بيروت ١٩٦٦ .

الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز — للعلامة عز الدين بن عبد السلام . دمشق ، مطابع دار الفكر ، ١٣٨٣ هـ .

البصائر في تذكير العشائر — للعلامة الشيخ عبد الحي السرقي ، مطبعة البيان ١٣٩٠ .

بهجة المحافل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ١ — ٢ للعلامة عماد الدين العامري اليمني ، بيروت ، دار صادر ١٣٩٠ .

التحفة السنية في شرح منظومة البيقونية للشيخ حسن المشاط ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٣٧٩ .

تحقيق النصرة بمعالم دار الهجرة — للإمام المراغي المتوفي سنة ٨١٦ هـ القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٧٦/ .

وقال الضبيب في الحلقة الخامسة من «الدارة» (العدد الثالث من السنة الخامسة ربيع ثان ١٤٠٠/ مارس ١٩٨٠) «ومن كتب تاريخ المدينة المحققة كتاب «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للعلامة زين الدين أبي بكر بن الحسين بن عمر أبي

الفخر المراغي ، وقد نشره محمد سلطان النمنكاني صاحب المكتبة العلمية وصححه وحققه محمد عبد الجواد الأصمعي . وقد استوفت هذه الطبعة جميع شكليات التحقيق العلمي من حيث الحديث عن المخطوطات وأبرز صورها ووضع الفهارس للأعلام والأمم ... حتى استغرقت الفهارس خمسين صفحة من مجموع ٢٧٣ . وقد ألحق بالكتاب ملحق عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي بقلم الناشر.

وقد أشار حمد الجاسر في «رسائل في تاريخ المدينة إلى أن أبا بكر ابن الحسين بن عمر المراغي القاهري المدني (٧٢٧ — ٨١٦) لخص كتابي ابن النجار والمطري وذيل عليهما بكتاب «تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة» . وقال : إن الكتاب طبع كثير الأخطاء» — محمد عبد الجواد الأصمعي مصري . ٢٧٦ ص .

ولدى الساعاتي والقحطاني ص ١٠٠ «... المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ١٩٥٥م/ ولدى العناني ص ٩٩ «... المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م ، ٢٧٦ ص» — وذكر «المدينة المنورة» هكذا قد يوهم بأنها مكان الطبع ، وكان المناسب النص على مكان الطبع وهو القاهرة .

تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ جلال السيوطي ، القاهرة ١٣٧٨ .

تسلية أهل المصائب للحافظ محمد بن محمد المنجي ، القاهرة ، مط . الاستقامة ١٣٧٨ .

تعدد الزوجات وتحديد النسل ص ٦١ — ١٢٥ .

تنظيم النسل وتحديده وموقف الإسلام منه ص ١٢٧ — ١٦٤ لفضيلة الأستاذ عطية محمد سالم (مصري ثم سعودي) من سلسلة محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة . منشورات المكتبة العلمية لصاحبها محمد نمنكاني المدينة المنورة .

أشرف على طبعها عطية محمد سالم طبعت هاتان المحاضرتان تاليتين لمحاضرة منهج التشريع وحكمته (تنظر أدناه) — لم يذكر اسم المطبعة (د . ط) . د.ت .

تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ، القاهرة ، دار الكتاب العربي

١٣٨٥ . للإمام ابن حجر المكي الهيثمي .

وبهامشه كتاب **كف الرعاع** عن محرمات اللهو والسماع ثم يليه كتاب **الإعلام بقواطع الإسلام** للمؤلف المذكور .

القاهرة ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٣٢ على نفقة الشيخ عبد القادر بن عبد الغفار الكتبي بمكة المكرمة (؟) .

توجيه النظر إلى علم الأثر — للعلامة طاهر الجزائري الدمشقي ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٩ .

جامع بيان العلم وفضله للعلامة ابن عبد البر النمري القرطبي ، بيروت ، دار صادر ١٣٨٩ .

الحسبة في الإسلام لشيخ الإسلام ابن تيمية القاهرة ، مطبعة المدني (؟) ١٣٧٩ .

حكم الإسلام في الإشتراكية للشيخ عبد العزيز البدري ، بيروت ١٣٨٦ .

رسالتان في أحكام أوراق النقود للشيخ الفا هاشم الفوتي والسيد أبي بكر الشطا المكي ، بيروت ، مطبعة الإنصاف ١٣٦٨ .

رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٧٩ .

السياسة الشرعية للشيخ ابن تيمية ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٣٧٩ .

شرح أحكام الإسلام للشيخ عبد الغني النابلسي ١٣٨١ .

علوم الحديث لابن الصلاح الشهرزوري ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر(؟) مطبعة الأصيل بحلب ١٣٨٦ ، ٤٣٠ص . الكتاب المعروف بمقدمة ابن الصلاح .

فتح العلوم شرح بلوغ المرام في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ١ — ٢ للعلامة عماد الدين العامري اليمني ، بيروت ، مطابع دار صادر ١٣٩٠ .

فضائل الأعمال للحافظ المقدسي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة ١٣٧٨ .

القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع للعلامة السخاوي . بيروت . مطبعة الإنصاف ١٣٦٨ .

معارج الوصول إلى أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ١٣٧٩ .

منهج التشريع وحكمته لفضيلة العلامة الجليل الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ينظر) ص ١٩ — ٥٩ + ٦ .

من سلسلة محاضرات الجامعة الإسلامية بالمدينة — منشورات المكتبة العلمية لصاحبها محمد نمنكاني . المدينة المنورة .

نشر عنواناً للكتاب الذي ضمه وضم محاضرتي فضيلة الأستاذ عطية محمد سالم : تعدد الزوجات ... تنظيم النسل (تنظران) . أشرف على طبعها عطية محمد سالم د . ط . د . ت .

من المقدمة «قاربت محاضرات الجامعة الثلاثين في مدة الثلاث سنوات الأخيرة لعدة أساتذة ، ما بين وطنيين وغير وطنيين ، من مدرسي الجامعة ومنتدبين» .

ملاحظات :

(١) التقيت بصاحب المكتبة العلمية في بيروت وتحدثنا عن النشر و«المعجم» .

(٢) نقل لي أكثر المعلومات عن الكتب المذكورة الدكتور نوري حمودي القيسي عن صاحب المكتبة مباشرة ، عندما كان منتدباً للتدريس في السعودية .

(٣) تسبق عنوانات الكتب التي نشرتها المكتبة العلمية بالمدينة بكلمة كتاب ...» عدا (رسالتان ، منهج ، تعدد) .

(٤) كان للمكتبة العلمية عام ١٣٩٠ تحت الطبع أو في طريق الطبع :

كتاب الفارق بين المخلوق والخالق للعلامة الباجرجي ، معه كتابان : الأجوبة الفاخرة ، وهداية الحيارى .

كتاب الطرق الحكمية للعلامة ابن قيم الجوزية .

كتاب إصلاح المجتمع للعلامة الشيخ محمد سالم البيحاني .

كتاب الفتوحات الربانية بالخطب والمواعظ القرآنية للعلامة ... البيحاني .

كتاب الإبداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ .

(٥) من منشورات «المكتبة العلمية» كتاب «**وفاء الوفا بأخبار المصطفى**» . تأليف أبي الحسن نور الدين علي بن عبد الله بن أحمد نور الدين السمهودي . قال الضبيب في الحلقة الخامسة (الدارة ، العدد الثالث ، السنة الخامسة) : «وقد طبع «وفاء الوفا» طبعتين كان آخرها طبعة محمد سلطان النمنكاني ... وقد عهد بها إلى محمد محي الدين عبد الحميد لتحقيقها وصدرت عن مطبعة السعادة سنة ١٣٧٩ هـ (١٩٥٥ م) وألحق الجزء الرابع منها بنبذة عن التوسعة السعودية للمسجد النبوي . استقاها الناشر محمد سلطان النمنكاني من مدير مكتب مشروع التوسعة محمد صالح القزاز...» «وقد تحدث حمد الجاسر عن طبعتي «وفاء الوفا» وإحداهما هذه الطبعة فقال : «وقد طبع هذا الكتاب في أربعة أجزاء طبعتين كثيرتي الأخطاء غير محققتين مع وجود نسخ منه جيدة» كلام الشيخ الجاسر عن «وفاء الوفا» ورد في مقدمة تحقيقه لكتاب الفيروز آبادي : المغانم المطابة ، وفي تحقيقه لرسائل من تاريخ المدينة (١٣٩٢) ص ٣٨ — والملاحظ أن الدكتور الضبيب يورد «وفاء الوفا» على «وفاء الوفاء» مما لا ينسجم مع سجع العنوان .

ينظر ساعاتي والقحطاني ص ٨٧ ولم يذكر مطبعة النمنكاني ، وينظر العناني ص ٩١ وقد ذكر أن طبعة السعادة ١٣٧٤/ ١٩٥٥ ، (٤) أجزاء في ٢ مج والتاريخ الذي يذكره أنسب من التاريخ الذي يذكره الضبيب (للهجري) .

(٦) ومن منشورات المكتبة العلمية كتاب تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (تنظر أدناه مكتبة النهضة الحديثة — شفاء الغرام) : **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤ — ثمانية أجزاء أذكر أني رأيته وأنه بالقطع الكبير .

ومن تمام خبر «العقد الثمين» طبعه مجدداً محققاً في ثمانية أجزاء ، وقد صدر الجزء الأول منه سنة ١٣٧٩ هـ وتوالى عليه ثلاثة محققين فبدأه محمد حامد الفقي ولكن الأجل وافاه وهو يعمل في هذا الجزء ، فأكمله ابنه محمد الطيب ، وليس في هذا الجزء في الحقيقة جهد علمي كبير ثم عهد إلى فؤاد السيد بتحقيق الجزء الثاني وما بعده فأخرج الجزء الثاني سنة ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٢ ...» ٩ الضبيب الحلقة الخامسة .

ويذكر العناني ص ٩٧ «القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩ م — ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٩ م ، ٨ جـ في ٨ مج ...) ولعله يقصد ٤ مج ، وذكر : «حقق الجزء الأول ... ومن الثاني إلى السابع فؤاد سيد ، والجزء الثامن بتحقيق محمود محمد الطناحي» .

ويذكر ساعاتي والقحطاني ص ٩٩ «العقد الثمين ... تحقيق فؤاد سيد وآخرين . القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ١٩٦٤ م ، ٨ جـ ...» ويبدو في هذا الكلام اضطراب بين الطبعتين ، فلم يسهم فؤاد سيد في تحقيق الطبعة الأولى (١٩٦٤) ؟ ...

ولم يذكر أحد من الدارسين الثلاثة صلة «للمكتبة العلمية» ، بالطبعة الثانية (؟) .

المكتبة العلمية — بمكة :

بباب السلام . نشرت : تاريخ القطبي : كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام لقطب الدين الحنفي المكي المتوفي سنة ٩٨٨ هـ — والطبع في القاهرة د.ت .

ينظر أحمد محمد جمال ، عبد العزيز الرفاعي ، مكتبة الثقافة .

جاء في بحث الدكتور أحمد الضبيب في «الدارة — العدد الرابع ، السنة الخامسة رجب ١٤/ يونية ١٩٨٠» ص ٢٤ — ٢٦ :

«في عام ١٣٦٩ هـ أصدر محمد جمال وعبد العزيز الرفاعي كتاب «الأعلام بأعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام للعلامة عبد الكريم مجد الدين القطبي المتوفي سنة ١٠١٤ ، وهو اختصار لكتاب عمه العلامة قطب الدين ابن علاء الدين الحنفي المتوفي سنة ٩٨٩ أو ٩٩٠ والمسمى «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ... وقد بذلا جهداً طيباً في

التصحيح والتعليق ... ويؤخذ عليهما ... إنهما غيّرا اسم الكتاب إلى اسم جديد فدعياه «تاريخ البلد الحرام...» .

«وقد طبع كتاب القطبي (الأصل) المسمى «كتاب الأعلام لأعلام بيت الله الحرام» طبعة ثانية على نفقة المكتبة العلمية بمكة ، وقدم له محمد أمين كتبي المدرس بالمسجد الحرام ، كما شرحه وعلق عليه ووضع صوره محمد طاهر الكردي الخطاط (ينظر) وذلك سنة ١٣٧٠ هـ وطبع في مصر بمطبعة السعادة وهذه الطبعة ... رديئة ... قدم محمد أمين كتبي للكتاب فذكر ... «لما رأى حضرة الفاضل الشيخ عبد الفتاح فدا صاحب المكتبة العلمية بمكة المكرمة بباب السلام شدة الرغبة والحاح الحاج إلى كتاب يسد الرغبة ... وقع اختياره على كتاب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» تاريخ مكة المشرفة ... فجرد العزم لطبعه ثانية بعد أن نفذت (كذا) الطبعة الأولى» ... ... «ثم اتبع» [محمد طاهر الكردي] «الكتاب» (كأنه بعد ص ٣٥٢؟) «بأرجوزة له في أشهر بنايات الكعبة» .

مكتبة الفلاح ـــ بالرياض :

الإسراع والمراع (؟) للإمام ابن عباس ، ٤٠ ص د.ت ، د.م .

دليل الناسك . قالت مجلة العرب (الجزء (١١) . السنة (٣) — جمادي الأولى ١٣٨٩/آب (أغسطس ١٩٦٩ ص ١٠٤٩ — ١٠٥٠ «قامت مكتبة الفلاح في بلادنا بإعادة طبع كتاب «دليل الناسك لأداء المناسك» تأليف الشيخ عبد الغني بن ياسين اللبدي الحنبلي الفلسطيني الذي ألفه في آخر القرن الماضي ، ويشمل كثيراً مما يحتاجه الحاج أو المعتمر لأداء الشعائر الدينية ، وقد أشرف على الطبع الأستاذ محمد عبد العزيز النجار ، وعلق عليه بعض إيضاحات مفيدة ، فجاء في ١٠٤ من الصفحات» .

وذكر لها الدكتور بكري شيخ أمين ص ٦٤٥ ديوان أحمد بن علي بن مشرف (ينظر) نشر مكتبة الفلاح بالرياض .

المكتبة الماجدية :

جاء في مجلة المنهل السنة السادسة ، الجزء العاشر ، شوال ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م . ص

٤٧٦ ـــ ٤٧٧ : «مكتباتنا القيمة . المكتبة الماجدية بمكة المشرفة ... لم يكتف الشيخ ماجد [كردي] بتأسيس المطبعة ... فقد رأى ضرورة وجود مكتبة علمية ... بجانب المطبعة .وكذلك بدأ في أوائل شبابه بتكوين المكتبة الماجدية ... حتى صارت ... تحوي من المجلدات ما يقارب الستة آلاف مجلد ، فيها الكثير من نوادر المخطوطات ... و... مطبوعات أوربا ... و... الشرق ... ... وتنظيما للمكتبة وسموا بمكانتها الفنية جعل كل ما فيها من الكتب مجلد ...

وحينما اطلع محمد طلعة حرب باشا على «المكتبة الماجدية» أبدى لأصحابها أنجال الفقيد الجليل عن رغبة ملحة منه في ابتياعها منهم لينقلها إلى مصر ودفع لهم من الثمن العظيم ما يغري ... ولكنهم أحجموا عن إجابته إلى طلبته ...» .

المهم في هذا الخبر هو ربط «المكتبة الماجدية» بمطبوعات «المطبعة الماجدية» ـــ وقد رأينا عدداً منها لدى الكلام على «المطبعة» .

مكتبة المعارف ـــ بالطـائف :

صاحبها : محمد سعيد كمال (ينظر) محمد سعيد بن حسن ... كمال) . أسسها عام ١٣٦٧ . له مؤلفات ... ومما نشرته المكتبة :

الأزهار النادية من أشعار البادية نكمل هنا الحديث الذي ورد عنه سابقاً .

ج١ ـــ يبدو أن الطبعة الأولى منه ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربي ٦٣٧٩ ، ١٧٦ ص .

والطبعة الثانية بالمطابع نفسها ، ولكن د. ت. جاء فيها : مصححه وبها زيادات .

المقدمة ٣ ـــ ٩ ، ١١ ـــ ١٧٧ ـــ ١٨٢ .

من المقدمة : «... وبداتنا يقسمون الشعر إلى نوعين :

١ ـــ الصحيح الاوزان واللغة ويسمونه القريض .

٢ ـــ الشعر البدوي يختلف في لغته وأوزانه عن الشعر الصحيح والقريض ويسمونه

الحميني (أو النبطي) .

هذا ولما عملت يد الزمن على محو الكثير من هذا الشعر الطريف ، قمت بطبع ما تجمع لدى منه ، خشية من ضياعه ... بموت حافظيه ... وقد جاء ذلك في عدة أجزاء ... قمت بضبطه وفق نطقهم له قدر الإمكان ... — محمد سعيد حسن كمال » .

وعلى ص ١٧٧ : اعتراف وشكر .

اعترافاً بما أسداه وقدمه الشريف حمزة الغالبي ، من أجود محفوظاته لأشعار الكثيرين المدونين في هذا الكتاب ، فأنني أسجل له شكري العاطر وثنائي الوافر ، على مساعداته القيمة ، إذ لولاه لما برز هذا الكتاب إلى حيز الوجود » .

وليلاحظ أن الناشر يعرف الكتاب (الازهار...) بأنه « مختارات من أجود أشعار البادية » .

وأنه تحدث في المقدمة عن تعدد اللهجات واختلاف القبائل وضم الجزء الأول المختار من شعر : بدوي الوقداني ، الشريف بركات ، محمد بن عون . حمود بن زيد ، مستور المطرفي ، أحمد عطية الغامدي ، القاضي ، الهزاني ، ابن لعبون .

وعشرات غيرهم .

ج٢ — ... يضاف إلى المعلومات السابقة ... اسم : العمودي والحربي ، الكلفوت والحليس ...

ج٣ — ... ، ١٠٨ ص .

ج٤ — وفيه ديوان الشاعر عبدالله بن سُبَيِّل ، ٧٧ ص .

ج٥ — وفيه ديوان شاعر نجد الكبير محمد العبدالله العوني ١٢٨ ص .

ج٦ — وفيه شعر محمد عبدالله القاضي من عنيزة .
ط٢ ، القاهرة ١٣٨٠/ ١٩٦٠ ، ١٢٥ ص .

ج٧ — وفيه ديوان محمد الصالح القاضي — عبد العزيز المحمد القاضي ، إبراهيم

المحمد القاضي .

ط۲ ، القاهرة ۱۳۸۰/ ۱۹٦۰ ، ١٣٤ ص .

ج۸ — يشتمل على ديوان شاعر سدير الكبير محمد بن إبراهيم بن جعيثن .
القاهرة ، مطبعة المدني ١٤٣ ص .

ج۹ — يشتمل على ديوان الشاعر الفكاهي المشهور حميدان الشويعر ، والشاعر الكبير المشهور محمد بن ربيعة (وفي ورقة أخرى : عبدالله بن ربيعة؟) .

القاهرة ، مطبعة دار الكتاب العرب ۱۳۸۰/ ۱۹٦۰ ، ۹۰ص .

ج۱۰ — يشتمل على ديوان النابغة الموهوب محمد بن لعبون ، مطبعة المعرفة ، ۱۱۸ ص .

ج۱۱ — يشتمل على ديوان الشاعر المشهور عبد الرحمن إبراهيم الربيعي .
ط ١ ، القاهرة ، دار الجهاد ، ۱۳۸۰/ ۱۹٦۰ ، ٦٥ ص (وهو أصغر الأجزاء) .

ج۱۲ — شاعر نجد محسن عثمان الهزاني ، وشاعر الأحساء سليم بن عبد الحي الأحسائي .

القاهرة ، مطبعة المشهد الحسيني ۱۳۸۳ ، ۲۰٦ ص .

ومن منشورات مكتبة المعارف بالطائف .

أهم الأحكام في مناسك الحج والعمرة على هدى خير الأنام فيه أربع رسائل :

١ — منسك شيخ الإسلام ابن تيمية .

۲ — منسك ابن الأمير الصنعاني (العلامة المحدث المجتهد صاحب كتاب سبل السلام) .

۳ — قصيدة في ذكر الحج وبركاته لابن الأمير الصنعاني :

أيـا عـذبـات الـبـان من أيمن الحمى
رعى الله عـيـشـاً في ربـاك قـطـعـنـاه

٤ ــ دعاء ختم القرآن العظيم .

لشيخ الإسلام ابن تيمية :

الناشر : مكتبةالمعارف ...، القاهرة ، المطبعة العربية ١٧٢ ص من المقدمة «لما رأت مكتبة المعارف بالطائف الحاجة ماسة إلى هذه المجموعة قامت بطبعها ...»

ومن منشوراتها :

شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والدليل لابن قيم الجوزية .

الناشر : مكتبة المعارف ــ الطائف .

مطابع دار الكتاب العربي ، القاهرة ، د. ت ، ١٤ (مقدمة الناشر) ــ ٤١٠ + ٤ ص .

ومما أعلنت عنه المكتبة إلى جوار كتاب شفاء العليل ، على أنه مما صدر حديثاً :

عمدة الأحكام في حديث خير الأنام ، ألفه العلامة عبد الغني المقدسي ورتبه على أبواب الفقه .

وعمدة الفقه للإمام المقدسي صاحب كتاب المغني في الفقه الحنبلي .

والمرجح أن الكتابين من منشورات مكتبة المعارف بالطائف(؟) .

مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

صاحباها : عبدالله ومحمد الصالح الراشد/ ص. ب ٥٢٦ .

١ ــ **البداية والنهاية** لأبي الفداء الحافظ ابن كثير ، ١٤ جزءاً في ٧ مجلدات ، ط٢ ، أشرف على طبعه وإخراجه مكتبة المعارف في بيروت ومكتبة النصر في الرياض .

٢ ــ **كشاف القناع** عن متن الإقناع ــ للشيخ العلامة فقيه الحنابلة منصور بن يونس بن ادريس البُهوتي ــ فرغ من تأليفه سنة ١٠٤٦ هـ . ويقع في ستة أجزاء .

ج١ ، راجعه وعلق عليه الشيخ هلال مصيلحي مصطفى هلال أستاذ الفقه والتوحيد بالأزهر .

الناشر : مكتبة النصر الحديثة لصاحبيها ..، ٥١٩ ص (وهو إعادة طبع) .

٣ — **نهاية البداية والنهاية في الفتن والملاحم لأبي الفداء الحافظ ابن كثير**، تحقيق فضيلة الشيخ محمد فهم أبو عبيه .

٤ — **المستدرك على الصحيحين في الحديث** . وفي ذيله تلخيص المستدرك . أربعة أجزاء .

ملاحظة مكتبة النهضة الحديثة طبع قلب جزيرة العرب ، وفي بلاد عسير ، البلاد العربية السعودية والثلاثة من مؤلفات فؤاد حمزة (ينظر) .

مكتبة النهضة بالرياض :

ديوان الدرر اليتيمة في أشعار النبط القديمة .

ط٤ ، الرياض — مكتبة النهضة ، ٥ — ١٦٥ + ٦ .

في إحدى أوراقي «... مطبعة الرياض ؟ ١٦٦ ص) .

ط٥ ... فيه شعر لابن سُبَيِّل ، الهزاني ، ابن ربيعة ، ابن لعبون ، حميدان الخ ...

دار الطباعة اليوسفية — مصر ٥ – ١٦٥ + ١ .

وكتبت في أوراقي «الناشر مكتبة المعارف بالرياض» وربما كان الصحيح : مكتبة النهضة .

ملاحظة : كان الكتاب من مصادر الأستاذ عبدالله بن خميس (ينظر) وقد ذكر أنه «لناشر مجهول» ولعله يقصد لجامع مجهول؟

مكتبة النهضة الحديثة بمكة .

بباب السلام .
صاحبها : عبد الشكور فِدَا (ينظر أعلاه من هذا الباب)
في إعلان يقول :

الناشر الأديب عبد الشكور فدا صاحب مكتبة النهضة بباب السلام بمكة المكرمة.. قام بطبع عدة مؤلفات منها :

١ ـــ كتاب بلوغ المرام.
٢ ـــ رياض الصالحين.
٣ ـــ شفاء العليل.
٤ ـــ خمسون حديثا ـــ من رواية شيخ الإسلام ابن تيمية.
٥ ـــ تفسير الجلالين.
٦ ـــ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية.
٧ ـــ عبد القاهر والبلاغة العربية.

٨ ـــ **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام** تأليف الإمام العلامة الحافظ أبي الطيب تقي الدين أحمد بن علي الفاسي المكي المالكي ـــ أحد قضاة مكة ٧٧٥ ـــ ٨٣٢.

حقق أصوله وعلق حواشيه لجنة من كبار العلماء والأدباء ملتزم النشر والتوزيع : مكتبة النهضة الحديثة بمكة ـــ باب السلام.

القاهرة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ١٣٧٥/ ١٩٥٦.

ج١ ، ٣٨٨ص.
ج٢ ، ٤٣٩ص.

وفي الجزء الثاني من ص ٢٩٩ ملحق : ولاة مكة بعد الفاسي.

تذييل وتكميل عبد الستار الصديقي الحنفي ابن الشيخ عبد الوهاب المبارك المكي البكري.

وفي ص ٣١٥ «إلى هنا ينتهي ما كتبه الشيخ عبد الستار الدهلوي عميد آل الدهلوي بالحجاز » مكة (ينظر).

ومن ص ٣١٧ ـــ ٤٣٢. «**كتاب الدرة الثمينة في أخبار المدينة** لمحمد بن محمود ابن النجار (٥٧٣ ـــ ٦٤٧).

ولدى العناني ص ٩٦ «الإهداء إلى صاحب الجلالة ، ملك المملكة العربية السعودية — من مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة ١٩٥٦/١٣٧٥م .

تنظر أعلاه — المكتبة العلمية بالمدينة — العقد الثمين ...

في أوراقي تحت «مكتبة النهضة الحديثة» : بلوغ المرام .

وفي الأوراق :

يعلن عبد الشكور عبد الفتاح فدا الكتبي عن افتتاح مطبعة النهضة الحديثة بمكة في أول المحرم ١٣٨٧ .

ينظر بمكتبة النهضة الحديثة : عبدالله بن عبد الرحمن ابن صالح آل بسام — تيسير العلوم ... ويضاف إلى ط٢ « ... ضبطه ونسقه وباشر تصحيحه محمد زهري التجاري من علماء الأزهر .

ومؤلف العمدة هو : عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور ... الجماعيلي ... المقدسي الحنبلي ، ولد سنة ٥٤١ ، توفي سنة ٦٠٠ .

وفي هذه الطبعة ورد الإعلان عن افتتاح المطبعة .

وينظر علوى بن السيد عباس المالكي المكي .

وينظر أحمد علي «قام مدير مكتبة النهضة الحديثة بمكة بنشر كتاب جغرافية شبه جزيرة العرب تأليف عمر رضا كحالة ...» .

وكحالة مؤلف سوري ...

جاء في كتاب ساعاتي والقحطاني «مؤلفات ومراجع» ص ١٠٣ .

كحالة ، عمر رضا — جغرافية شبه جزيرة العرب . الطبعة الثانية . مكة المكرمة ، مكتبة النهضة الحديثة . ١٩٦٤ ، ٦٨٤ص .

وينظر طاهر الكردي — التاريخ القويم ويضاف : جاء لدى ساعاتي والقحطاني ص ١٠٣ ، «كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم . مكة المكرمة ، مكتبة

النهضة الحديقة ١٣٨٥ . صدر منه ٤ أجزاء ، موضح بالرسم ... ويشتمل على تاريخ مكة في القديم والحديث ومظاهر تطورها ونهضتها الحديثة » .

مكتبـة النـور :

فتوي شيخ الإسلام ابن تيمية .
بيان الهدى من الضلال في أمر الهلال مكتبة النور ، مطابع الرياض .

ملاحظة : في الرياض « دار الثقافة الإسلامية » نشرت عدداً من الكتب ، ويبدو أن الدار = مكتبة ؟ ومن منشوراتها :

١ ــ **إدخال التعديل على معاهد** الدين ومدارس التعليم ، تأليف عبدالله بن زيد آل محمود (قاضي قطر) ، منشورات دار الثقافة الإسلامية بالرياض ١٣٨١/ ١٩٦١ ، دمشق مطابع دار الفكر ٤٦ ص .

٢ ــ الإيمـان :

لابن تيمية ، ط . على نفقة دار الثقافة الإسلامية في الرياض . دمشق ، منشورات المكتب الإسلامي ١٣٨١/ ١٩٦١ ، ٤٥٨ ص .

طبع قبل ذلك مرات « اعتمدنا الطبعة الهندية المقابلة على نسخة خطية في نجد » ...

٣ ــ شرح حديث النزول :

لابن تيمية . دار الثقافة الإسلامية ، ١٣٨١/ ١٩٦١ ، ١٩١ ص .

علي جواد الطاهر
كلية الآداب ــ جامعة بغداد

المصـادر والمراجـع

ملاحظة (١) : البحث في معظمه ميداني ، وقد اطلع الكاتب مباشرة على كثير من مواده وكان على صلة دائمة بما كان يصدر من صحف ومجلات أيام وجوده في السعودية (أوائل ١٩٦٣ — أواخر ١٩٦٨) : المدينة ، البلاد ، عكاظ ، قريش ، اليمامة ، القصيم ، الرياض ، الجزيرة ، المنهل ، العرب ، النّداء الإسلامي ، الحج ، قافلة الزيت ، الندوة ، الدعوة ، علميّة ، كلمة الحق ، مجلة كلية الآداب ، رابطة العالم الإسلامي ، وزار كثيراً من المكتبات ...

أحمد علي — ذكريات . منشورات نادي الطائف الأدبي ، مطابع الزايدي ، الطائف ١٣٩٧ .

أحمد محمد الضبيب (الدكتور) —

١ — **حركة إحياء التراث** في الجزيرة العربية . مجلة الدارة ، العدد الأول ، ربيع الأول ١٣٩٥ هـ — مارس ١٩٧٥ م (الحلقة الأولى) — السنة الأولى .

٢ — حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة . مجلة الدارة ، العدد الربع من السنة الثالثة . صفر ١٣٩٨/ يناير ١٩٧٨ (الحلقة الثانية) .

٣ — حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة . مجلة الدارة . العدد الثالث من السنة الرابعة شوال ١٣٩٨/ سبتمبر ١٩٧٨ (الحلقة الثالثة) .

٤ — حركة إحياء التراث بعد توحيد الجزيرة . مجلة الدارة . العدد الثالث من السنة الخامسة . ربيع ثان ١٤٠٠ هـ/ مارس ١٩٨٠ .

كتب تحتها : «الحلقة الخامسة» وهي منذ بدايتها تدل على أنها تتمة مباشرة لحلقة سابقة .

وقد نشرت المجلة الحلقة الرابعة في العدد التالي (الرابع ، السنة الخامسة ، رجب ١٤٠٠ هـ/ يونيه ١٩٨٠ وقالت : «كان المفروض نشر هذه الحلقة في العدد السابق

ونستكلها بالحلقة السابق نشرها بالعدد الثالث (السنة الخامسة)، وهذا الخطأ نتيجة لطبع عددين في وقت واحد...».

بريد الحجاز. جدة. صاحب امتيازها محمد صالح نصيف، أصدرت في ٢٩/٤/١٣٤٣ = ٢٦/١١/ ١٩٢٤ [مجموعة أعدادها في جامعة الرياض]: وقد بلغت ٥٥ عدداً آخرها الـ٥٥، السنة الثانية، الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ١٣٤٤/٩. ديسمبر ١٩٢٥ تنظر أدناه: صوت الحجاز).

بكري شيخ أمين (الدكتور) — الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية. بيروت، دار صادر ١٣٩٢/ ١٩٧٢.

الجاسر = حمد الجاسر.

الجامعة: جامعة الرياض. أربعة أعداد ١٣٧٧/ ١٣٨٠ = ١٩٥٩/ ١٩٦١.

الحازمي: منصور إبراهيم الحازمي.

الحرم — جريدة اسبوعية صاحبها ورئيس تحريرها فؤاد شاكر. القاهرة ١٣ رجب ١٣٤٩/ ٤ ديسمبر ١٩٣٠ — مجموعة أعدادها في جامعة الرياض.

حمد الجاسر:

١ — **رسائل من تاريخ المدينة**: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر (الرياض) ١٣٩٢.

٢ — **العرب**. مجلة، صدر العدد الأول في رجب ١٣٨٦/ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٦٦ — وما زالت تصدر. الرياض دار اليمامة...

ينظر على وجه الخصوص: **ذكريات عن الطباعة** ج١ ٢٢ س١٤ رجب/ شعبان/ ١٣٩٩/ حزيران/ تموز — يونيو/ يوليو ١٩٧٩.

قال: للحديث صلة... — العرب توالى الصدور، يصل بغداد، بحوثها كتب، مجموعة أعدادها مكتبة خاصة بالجزيرة.

خير الدين الزركلي = الزركلي .

الدارة . مجلة ربع سنوية . الرياض ، صدر عددها الأول في ربيع الأول ١٣٩٥/ مارس ١٩٧٥ وما زالت توالي الصدور .

روفائيل بطي ـــ الصحافة العراقية . القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٥ .

زاهدة إبراهيم ـــ كشاف بالجرائد والمجلات العراقية . بغداد ، وزارة الإعلام . دار الحرية ١٣٩٦/١٩٧٦ .

دليل المؤلفات السعودية ـــ وزارة المعارف ؛ مصطفى حسين عطار . جدة ؛ المؤسسة العربية للطباعة د. ت (١٣٨٣ هـ) .

الزركلي (خير الدين) ـــ **الأعلام** ـــ الطبعة الرابعة ، بيروت ، دار العلم للملايين ١٩٧٩ .

ساعاتي = يحيي .

ساعاتي والقحطاني = يحيي ...

سركيس اليان سركيس ـــ معجم المطبوعات العربية والمعرَّبة . القاهرة ١٣٤٦/١٩٢٨ .

الشامخ = محمد عبد الرحمن الشامخ .

شكري العناني = المملكة العربية السعودية ، دراسة بيليوجرافية . الرياض ، مكتبة دار العلوم ، طبع في القاهرة ، دار الجيل للطباعة ١٩٧٨ .

صوت الحجاز : ـــ «جريدة وطنية جامعة ، صاحبها ومديرها محمد صالح نصيف» ، صدر العدد الأول بمكة المكرمة ٢٧ ذي القعدة ١٣٥٠/٤ ، إبريل ١٩٣٢

ـــ أعداد السنوات الأربع الأولى متوافرة في جامعة الرياض ، تنتهي بالعدد ١٧٣ ، ١٢ جمادي الثانية ١٣٥٤/ ١٠ سبتمبر ١٩٣٥/ تنظر أعلاه بريد الحجاز .

عالم الكتب مجلة الرياض — الطائف . المجلد الأول . العدد الأول . رجب ١٤٠٠/ مايو ١٩٨٠ .

ينظر : مجلة الاشعاع ، مع الكتاب الراحلين .

عبد الرزاق الحسني — تاريخ الصحافة العراقية ، ج١ ، ط٣ ، مطبعة العرفان ، صيدا ، لبنان ١٣٩١/ ١٩٧١ (— ط١ سنة ١٣٥٣ ، ط٢ سنة ١٣٧٦) .

عبدالله سالم القحطاني = يحيى .

عبدالله عبد الجبار = **التّيارات الأدبية الحديثة في قلب** جزيرة العرب ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية العالية ١٩٥٩ .

عثمان حافظ — تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية . جدة . شركة المدينة للطباعة والنشر د. ت .

العرب مجلة . ينظر الجاسر ، الشامخ .

عمر عبد الجبار — دروس من ماضي التعليم وحاضره بالمسجد الحرام — ط١ ، ١٣٧٩ ، القاهرة ، دار مخيمر .

العناني = شكري .

فؤاد شاكر = الحرم .

مجلة كلية الآداب — جامعة الرياض ، العدد الأول ١٣٩٠/ ١٩٧٠ .

محمد جابر الأنصاري — لمحات من الخليج العربي بيروت ١٩٧٠ توزيع الشركة العربية البحرين .

محمد رضا نصرالله — مقالة «محاولة للبحث عن أفق الشعر السعودي» ، المجلة العربية ، ربيع الأول ١٤٠٠/ يناير ١٩٨٠ .

محمد سعيد العامودي — من تاريخنا ، ط١ ، القاهرة ، دار مصر ١٣٧٣/

١٩٥٤ ، ط٢ (مزيدة ومنقحة) منشورات «الدار السعودية للنشر — جدة» محرم ١٣٨٧/ ١٩٦٧ .

محمد سعيد عبد المقصود — مقالة : الطباعة في الحجاز «نقلها الشامخ — الصحافة في الحجاز عن جريدة» صوت الحجاز» ٥/١٢/ ١٣٥٧ = ١٩٣٩/١/٢٥ .

محمد عبد الرحمن الشامخ (الدكتور) :

١ — **التعليم في مكة والمدينة آخر العهد العثماني** ، ط١ ، الرياض ، المطابع الأهلية للأوفست ١٣٩٣/١٩٧٣ .

٢ — **الصحافة في الحجاز** (١٩٠٨ — ١٩٤١) دراسة ونصوص ، دار الأمانة ، بيروت ١٣٩١/ ١٩٧١ (يشار إليه باسمه وبالشامخ ... من غير نص) .

- نشر قبل جمعه في كتاب فصولاً ثلاثة في مجلة العرب .

٣ — **ظهور الطباعة في بلاد الحرمين الشريفين** : مجلة الدارة ، العدد الرابع من السنة الرابعة ، محرم ١٣٩٩/ ديسمبر ١٩٧٨ .

٤ — **نشأة الصحافة في المملكة العربية السعودية** مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، العدد الثالث تموز ١٩٧٥/ جمادي الثانية ١٣٩٥ .

محمد ناصر بن عباس — موجز تاريخ الصحافة في المملكة العربية السعودية . الرياض ، مطابع وزنكوغراف مؤسسة الجزيرة ١٣٩١/ ١٩٧١ .

المديرية العامة للإذاعة والصحافة والنشر — أضواء على المملكة العربية السعودية ، ١٣٧٧ .

منصور إبراهيم الحازمي (الدكتور) — معجم المصادر الصحفية (١) صحيفة أم القرى ، مطبوعات جامعة الرياض ، الرياض . المطابع الأهلية للأوفست ١٣٩٤/ ١٩٧٤ .

المنهل — مجلة شهرية . صاحبها عبد القدوس الأنصاري . العدد الأول في ذي

فن الزخـرفة في الأردن

[ترجو « العرب » أن لا يضيق صدر القاريء بما قد يمُرّ به من تعابير وثنية ، خرافية ، من تراث شعوب وأمم كانت تدين بالوثنية ، وتعبد آلهة باطلة ، ومن وسائل المعرفة إدراك جوانب الجهل ، وفي الحديث عن الصحابي الجليل حُذيفة بن اليمان كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشرّ ، مخافة أن أقع فيه .

ثم هذا البحث الممتع يعين على فهم كثير مما وصل إلينا من تراث الأمم التي ندرس تاريخها وآدابها ، ككتاب « الإلياذة » الذي عربه سليمان البستاني ، وغيره .

فضلاً عن صلته بتاريخ قطر من أقطار بلادنا التي يجب أن نعنى بتاريخها كلها] .

نَشأَ فنُّ الزخرفة ـــ الفسيفساء في الأردن ، في العصور الوثنية ، لكنه لم يكتسب

الحجة ١٣٥٥/ فبراير ١٩٣٧ ، ما زالت توالى الصدور ، تصل إلى بغداد ، صدرت أولاً في المدينة ، ثم في مكة ثم في جدة ـــ اشترك الكاتب في سنتها السادسة ١٣٦٥/١٩٤٦ . تصدر أعداداً خاصة .

وزارة الإعلام ـــ الصحافة السعودية . جدة . مطابع دار الأصفهاني د. ت (١٣٨٣؟) .

يحي محمود ساعاتي وعبدالله سالم القحطاني ـــ مؤلفات ومراجع عن المملكة العربية السعودية . الرياض شركة مطابع الجزيرة ١٣٩١/ ١٩٧١ .

ينظر = الحلقات الـ(٤٦) التي نشرتها مجلة العرب بعنوان « معجم المطبوعات العربية السعودية » تبعاً للترتيب الهجائي للمؤلفين ـــ كانت الحلقة الأولى في الجزء السابع من السنة الخامسة محرم ١٣٩١/ آذار (مارس) ١٩٧١ .

ملاحظة (٢) يرجو الباحث من العالمين والعارفين بشؤون الطباعة والصحافة والمكتبات أن يزودوه ما لديهم مما يصحح خطأً ويكمل نقصاً ويزيد في الخير خيراً ـــ مع مزيد الشكر ـــ علماً أن الحد الختامي للبحث ينتهي بانتهاء عام ١٣٩٠/١٩٧٠ .

شهرته إلا بعد الميلاد ، ودليلنا على ذلك ، أنّ أقدم الزخارف وهي مئة قطعة ، وجدت في (انطاكية)[1] يرتقي عهدها إلى سنة ١١٥ بعد الميلاد . وأقدم ما اكتشف في (جرش)[2] لا يسبق القرن الثالث للميلاد ، وهذه الملاحظة تكاد تعم كل ما وجد في ربوع (فلسطين)[3] .

لكن فن الزخرفة ـــ الفسيفساء ـــ راج وأضحى فنّاً معروفاً ، قائماً بنفسه ، في العصور المسيحية ، خاصة في :

أ ـــ المئة الخامسة للميلاد .

ب ـــ والمئة السادسة للميلاد .

ج ـــ والمئة السابعة للميلاد .

إذ كان هذا الفن ، زينة للمدن الكبيرة ، وشاع استعماله في أصغر القرى[4] .

* * *

ومنذ المئة الخامسة ، أخذ صانعو تلك الزخارف يكتبون كتاباتٍ تشير إلى الأسباب التي دعت إلى صنع تلك التحف من الفسيفساء فمنها ما هو :

أ ـــ لذكرى عزيزة .

ب ـــ أو لنجاة أحدهم من ضيق أو مرض .

ج ـــ أو لتخليد إحسان محسن ، من الأحياء ، أو من الأموات .

وكانت اللغة المستعملة في هذه الكتابات ، اليونانية ، ما عدا (المخيِّط)[5] فإنَّ الكتابة التي رافقت الزخارف ، لم تكن يونانية .

ومن المؤسف أن صانع تلك التحف ، لم يكن يذكر اسمه وكان خط صانع تحفة (مادبا) الخالدة ، حسناً ، إذ عرف اسمه ، فخلد ، مع تحفته النادرة (خارطة الفسيفساء) واسمه (سلمانوس) أي ـــ سلمان ـــ .

وكان صنع هذه الزخارف ، يحتاج إلى عمال كثيرين ، لتَهيئة المكان أوّلاً ، ولتسويته ، وفرشه بالكلس والرماد ، فرشة ، أو فرشتين ، وتمتاز الفرشة أو الطبقة

الثانية ، بالدقة ، والنعومة . وبعد ذلك يرسم عليها صاحب الفن الخطوط الرئيسية للصورة التي يريد رسمها ، في داخل إطار من الفسيفساء ، ويقوم هو نفسه بصنع أهم قسم من التحفة المراد إبرازه ، كالوجه البشري مثلاً . أما ما بقي من العمل . فقد يَكِلُ عمله إلى تلاميذه . وكانت الحجارة الملونة ، التي تستعمل في الزخرفة ، يختارها جماعة مِنْ ذوي الفن — متخصصون ، لأن العمل المتقن ، لا يمكن أن يقوم به واحد . بمفرده .

* * *

وقد كان العمل مرهقاً ، لما يحتاج إليه من الدقة ، ولأنه كان يَتمُّ — أحياناً — في أماكن خالية من النور الكافي ، أو في مكان ضيِّق ، لا يسمح للجسم بأقل نوع من الراحة ، أو التحرك الحر ، فإذا قدرنا هذه الظروف . علمنا مقدار ما يتطلب هذا الفن من الدقة والثَّبات والصبر .

*** نشوء مدرسة الفسيفساء في (مادبا) :**

في المئة السادسة للميلاد ، وبالتحديد سنة ٥٣٣ ب م نشأت في (مادبا) مدرسة لفن الزخرفة ، وانتشر فنُّها في الضفة الشرقية ، من الأردن وفي الصفة الغربية . ونرى ذلك في (مادبا) نفسها ، وفي (عَمَّان) وفي (القويسمة) وفي (جرش) .

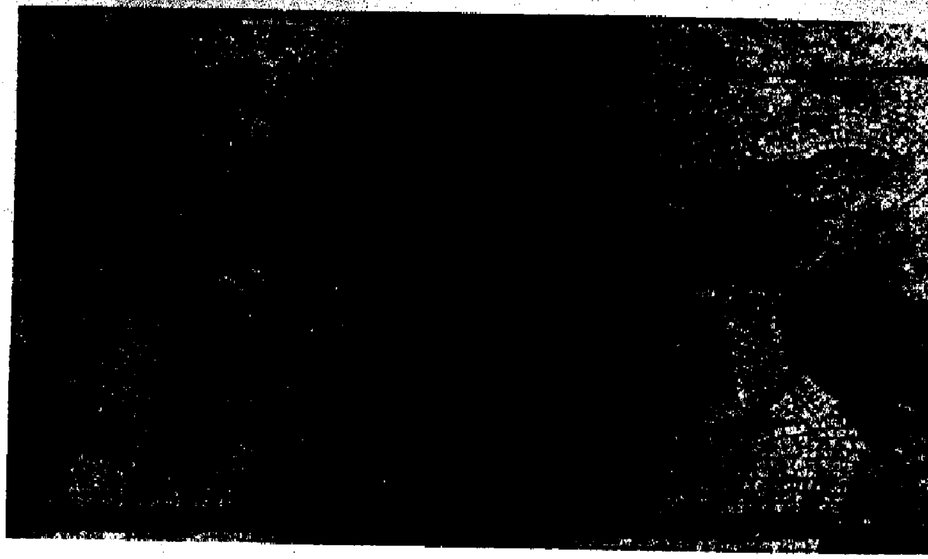
ومن أشهر ما خلفه فن الزخرفة ، (خارطة مادبا) التي يعتبرها علماء الآثار أفخم ما أبقى ذلك العصر (أنظر الرسم رقم ١) .

وقد عثر على هذه (الخارطة) اتفاقاً أحد رهبان دير الروم الارثوذكس سنة ١٨٨٤ . فكتب رسالة إلى بطريرك الروم الارثوذوكس في (القدس) يخبره بأمر هذه الخارطة ، التي تشتمل على أسماء مدن في (شرقي الأردن) وفي (فلسطين) . غير أن تلك الرسالة ظلت بلا جواب ، الى سنة ١٨٩٠ حيث تَولَّى المنصب البطريرك (جراسيموس) خليفة البطريرك الذي تسلَّم رسالة الراهب ، ولم يجب عليها ، وكان البطريرك (جراسيموس) محبّاً للآثار ، فأرسل مهندساً إلى (مادبا) وأمره أن يُدْخل (الخارطة) المشار إليها في بناء الكنيسة ، التي اختير لها المكان الذي يشتمل على تلك (الخارطة) ، التي سلم منها —











لحسن حظ العلم ـــ قسمها الكبير من غارات الأطفال ، الذين كانوا يقتلعون تلك المكعبات ويستعملونها ، ألعاباً لهم[٦] .

* * *

وهناك صور رسمت بالفسيفساء ، في العصر البيزنطي ، معظمها موجود في البيوت ، أو ما زال مغطّى بالتراب ، ومن تلك الصور ما يمثل مناظر مختلفة .

أ ـــ ما يمثل الحياة اليومية . كالذي نراه في (كنيسة الرسل) في طرف (مادبا) الجنوبي الشرقي . وهو مشهدان :

١ ـــ الأول ، يصوّر قاطف عنب ، بإحدى يديه مِقصّان ، وفي الثانية عنقود عنب .

٢ ـــ والثاني ، يُرِيْنا رجلاً ، يجر حماراً[٧] محملاً عنباً ، إلى المعصرة ، وهذان المنظران بقية من سلسلة كاملة ، وجدت تامة في (المخيّط) و(بيسان) .

وقد عثر في شرقي (مادبا) وشمالها على بقايا هياكل ، منها هيكل (عشتروت)[٨] آلهة (مادبا) .

ومن المشاهد الزخرفية البديعة ، رقص (باخوس) إله الخمر ، وتجد لهذا المشهد ما يشبهه في (افريقية الشمالية) وتبدو في هذا المشهد ، امرأة اسمها (بانخيه) أو (باخيه) (BANXH) ترتدي ثوباً شفّافاً ، وعلى كتفيها شال[٩] ترقص على رنّات الصنوج المنوطة بخلخالها . وإلى جانبها (ساتيروس) SATYRES رِفاق (باخوس) بشعر جعد ، لكل منهم أُذُنا حيوان وقَرْنَا تَيْس ، وقَوائم تَيْس ، وبيد كل منهم عود أو ناي .

وقد وفق صانع الفسيفساء في الإعراب عن فكرته ، في تموُّجات الحركة ومنها المشهد الذي يمثل امرأة نائمة ، كغيره من الزخارف الوثنية (الميثولوجيا) في (انطاكية) ولعل هذه المرأة ، هي الآلهة (إربانا) التي تصورها (الميثولوجيا) راقدة قرب عين ماء وأشجار ، فيراها (جوبتر)[١٠] JUPITER وينزل بعربته ، فيباغتها ، ويختطفها ، ويذهب بها ، وقد وجد هذا المشهد في شمالي (مادبا) وقد قال اثنان من أشهر مؤرخي

الآثار عن هذه الزخرفة إنها أجمل ما رأى في (فلسطين) وانها جوهرة من الفن[١١] .

وعُثِر نَبهاً[١٢] في شهر شباط سنة ١٩٦٠ ، على زخرفة من الفسيفساء في (مادبا) ترتقي إلى العهد الروماني ، في وسطها صورة رجل كتبت فوق رأسه هذه الأحرف (AXIVEA) أي (اخيل)[١٣] وهو رمز البطولة في كل اللغات ، وقد صور وهو يضرب على القيثار ، كما يصور — غالباً — في أكثر أوضاعه ، وعن يمين (آخيل) محارب آخر ، لم يبقَ من اسمه سوى هذه الأحرف فلا شك عندنا ، في أنه (باتروكلوس) صديق (آخيل) الذي قتله (هكتور)[١٤] في حرب (طروادة) فثأر له (آخيل) بأن فتك بـ(هكتور) نفسه ، وقد صورت إلى يسار (آخيل) امرأة تدعى (KOOC) وهو اسم شائع ، غير معيَّن ، ولعل هذه المرأة ، من حبيبات (آخيل) . ودليل ذلك ، ما ترمز إليه الشجرة القائمة بينهما ، وقد تُوِّجَت المرأة بإكليل يحمله طفلان صغيران مجنَّحان ، هما تجسيد للحبّ ، وقد كتبت كلمة الحب ، هكذا (EYBPE) ، وفي الطرف الأعلى من الزخرفة ، يبدو إله الرعاة (يان) وله ساقا تَيْس ، يعزف على الناي ، في طليعة موكب مختلط ، يصعب تمييزه ، فإما أن يكونوا من رفاق (يان) أو من زمرة (باخوس) (BACCHUS)

وكل ما ذكرنا ، دليل قاطع على أن مدرسة لفنّ الزخرفة — الفسيفساء — كانت قائمة في مدينة (مادبا) في أواخر القرن الثالث للميلاد ، وبداية المئة الرابعة ، قبل أن تضحي السيطرة للفن البيزنطي . ويظهر أن أساتذة هذا الفن كانوا يعملون بوحي من إله الخمر ، (باخوس) .

* * *

وقد وجد في (عَمَّان) بجانب المسرح القديم ، حجر نقشت فيه كتابة باللغة النبطية ، واللغة اليونانية ، وهذا تفسير الكلمات النبطية : (هذا هو القبر ، والنصب الذي فوقه ، اللذان صنعهما (أبجرد) المدعو (ايسيون) بن (منعت) من (آل عامرة) لـ(سلمان) ابنه ، في السنة الثالثة ، لوالي (بصرى) يا (سلمان) الصالح ، المأسوف عليه ، سلام !..)

أما تفسير الكلمات اليونانية فهو : (إن ابجرو) المدعو (ايسيون) بن (منعت) صنع النصب ، لابنه المحبوب ، في السنة الثالثة من المقاطعة).

هذا الرقيم ، يذكرنا بقبر (عائذبيل) . وبالكتابة التي نقشت عليه ، أيام (الحارث الرابع) ملك الأنباط ، ويبين لنا أن أهل (مادبا) — قديماً — كانوا يجعلون فوق قبور أعزائهم الراحلين مكعبات من الحجارة ، يعلوها عادة ، ولكون هذا الرقيم ، أقدم أثر خطي — عندنا — من مقاطعة بلاد العرب ، اذ هو من السنة الثالثة لتأسيس المقاطعة ، أي من سنة ١٠٨ — ١٠٩ ب. يبرهن على أن أهل (مادبا) ظلوا عرباً ، يفاخرون باستعمال لغتهم النبطية حتى في وداع موتاهم .

وقد خلد الماضي الروماني ، أثرين من أيام الامبراطور (انطونيوس) الورع ، ١٣٨ — ١٦١ ، يشير أولها أيضاً ، إلى أن أهل (مادبا) — أيام الرومان — كانوا أنباطاً ، ودليل ذلك حجر ، حفرت فيه كلمات باللغة اليونانية ، تقول إن أحد سكان المدينة ، بنى هنا ، قبراً فخماً . وهذه ترجمة ما نقش !

(عبد الله بن انعم) قد صنع هذا القبر بانفاقه ، وابتنى في الوقت نفسه ، جانبي السور المقدس ، في السنة التاسعة عشرة من ملك الامبراطور (انطونيوس) أي سنة ١٥٦ [١٦] .

وهنالك حجر آخر ، وجد في مقبرة اللاتين ، يبين أن أهل (مادبا) القدماء في هذا الزمن نفسه ، قد أقاموا تمثالاً ، لأحد قادة الفرقة (القيروانية) الثالثة ، وكان رومانياً ، مسؤولاً عن قسم من الجيش ، وقد حفر على هذا الحجر ما ترجمته :

(تكريماً لـ(كايوس روميسيوس الكسندر) من الفرقة (القيروانية الثالثة) للطفه ، واستقامته) [١٧] .

* * *

أعظم الآثار الفنية الزخرفية مكانها في الأردن :

إن أعظم الآثار الزخرفية الفنية — الفسيفساء — موجودة في (مادبا) من أجل هذا

سميت (مادبا) مدينة الفسيفساء[١٨] لكثرة ما تحتوي عليه من هذه الآثار، ولوجود خارطتها الرائعة ، التي لا نظير لها في العالم ، وقد نشأ ذلك عن وجود مدرسة فنية كانت (مادبا) هي مركزها[١٩] .

وكانت المذاهب التي اتبعتها مدرسة (مادبا) الفنية ثلاثة :

١ — المذهب الطبيعي الوثني ، وهو يستلهم الطبيعة ، وتغلب عليه المفاهيم الطبيعية ، متشعباً من الموجة الهلينية الوثنية .

٢ — المذهب المؤتمّ[٢٠] — الكلاسيكي — وهو دقيق التنظيم ، يبدو أثره في (سياغة) في القرن الخامس .

٣ — المذهب المخضرم ، ويجمع بين المذهبين السابقين ، وقد ازدهر في الحقبة الثانية من القرن السادس

وقد كان أعضاء مدرسة (مادبا) الفنية ، يؤلفون شركة من الوطنيين المحليين ، فتهيأ لـ(مادبا) ان تبسط سلطتها على :

(زرقاء ماعين) و(حسبان) التي كانت لها شهرة عظيمة ، حتى ضربت بشهرتها الأمثال ، إلى حدّ أنَّ صاحب نشيد الأناشيد ، خاطب عروس شعره بقوله : (عيناك كبركتي حشبون) وبلغ من شهرة (حسبان) أن المؤرخ (أوسابيوس) ، كثيراً ما عين موقع المدن الأردنية بالنسبة إلى بعدها عن (حسبان) . وامتدّت سلطتها إلى (مكاور) و(القريات) ومدينة (نبو)[٢١] و(ماعين) ، و(اليارورة) و(القويسمية) . أما سلطتها الفنية فقد ترامت إلى ما وراء شرقي الأردن . غرباً وشمالاً ، وجنوباً .

* * *

والغريب في الأمر ، أنه حيثما حفر في (مادبا) وجدت طبقة من الفسيفساء ويتفق أحياناً ، أن توجد طبقات متعددة ، بعضها فوق بعض .

ولم يكن التصوير بهذه المكعبات الحجر الملونة شائعاً قبل الميلاد ، بالدرجة التي شاع بها بعد الميلاد . وأقدم الزخارف التي وجدت من هذا الفن يرتقي عهدها إلى سنة ١١٥

بعد الميلاد وقد وجد منها مئة قطعة في (انطاكية) . أما في الأردن ، فأقدم ما اكتشف ، كان في (جرش)

هذه إلمامة أردنا بها الإشارة ، والتلميح ، لا الاستقصاء ، لأن الاستقصاء أمر يطول ، وليس مكانه صحيفة أو مجلة .

عَمّان روكس بن زائد العُزَيزي

حـواشي المقـال

(١) D. Levi Antioch Mosaic Pavemevts Princeton 1947, 625
مادبا وضواحيها ص ٤٤ لسابا والعزيزي .

(٢) C. Kraeling: Gerasa, New Haven 1938, 251-252.
مادبا وضواحيها ص ٤٤ لسابا والعزيزي .

(٣) Avi-Jonah: The Quar Terly of the Dep. of Ant. in Palestine, 11-111, 1933 — 1934
مادبا وضواحيها لسابا والعزيزي .

(٤) مادبا وضواحيها ، لسابا والعزيزي .

(٥) المخيط مكان فيه آثار ثمينة بالقرب من (بنو) غربي (مادبا) .

(٦) لعل قراءة مقالنا المنشور في مجلة (الدارة) الشهيرة التي تصدر في الرياض عددها الرابع سنتها الخامسة ، البارزقي رجب ١٤٠٠ هـ يونية ١٩٨٠م من الصفحة الـ٢٣٨ إلى الصفحة الـ٢٤٣ فيها الكفاية .

(٧) قلنا يجرُّ ، ولم نقل يقود ، لأنه يظهر على الحمر شيء ، من عدم الانقياد .

(٨) عشتروت سماها الهنود (مايا) و(بهاقاني) وسماها الفرس (بترا) ودعاها الفينيقيون (عشتروت) والأشوريون (أنايتيس) واليونان والرومان (فينوس) والقبط (بادخت) واصطلح العرب على تسميتها (الزُّهَرة) ولها أسماء عديدة ، تختلف ، باختلاف الأمم التي عرفتها ، لكنها كانت في (الميثولوجيا) — علم الأساطير— من أشهر المعبودات ، وأقدمها ، لأنها آلهة الجمال ، والحب ، وكانت عبادتها قائمة باستباحة المنكرات ، وارتكاب القبائح الناشئة عن روح العشق في الطبيعة البشرية . فانتشرت عبادتها في أقطار الأرض ، وسارعت في الأمم القديمة ، وكانت كل الأمم تقيم لها المعابد ، وتنحت لها التماثيل . وسبق لـ(بابل) أن مثّلها — وهي عشتار الساميين — امرأة حسناء عارية ، وقد عمت صورتها هذه (العراق) القديم و(سورية) و(فينيقية) و(فلسطين) باعتبارها آلهة الحب والفسق « في طريق الميتولوجيا عند العرب (محمود سليم الحوت) الطبعة الأولى سنة ١٩٥٥ الصفحة الـ٨٨ .

وضع العلامة الشيخ رشيد عطية في معجمه النفيس (معجم عطية في العامّي والدخيل ، مقابلاً لـ(ميثولوجيا) الرِّطازة ، أو السِّطارة ولا نرانا راضين من كلتا الكلمتين فالأوابد خير منهما . (العزيزي) .

الصفحة الـ ٣٤ المجلد الـ ٥ .

الشال ، كلمة فارسية أصلاً ، قبلتها اللغة العربية الفصحى تعني نسيجاً رقيقاً من الحرير أو الصوف .

(٩) ساتيروس EATIROE — Satyres هم الآلهة الصغار عند الرومان ، رفقاء (باخوس) إله الخمر ، صورهم برؤوس عليها قرون ، وبقوائم كقوائم التُّيوس ، وبأيديهم العيدان ، أو النَّايات — والنَّايات جمع ناي ، والكلمة فارسية ، عربت .

(١٠) جوبيتر Jupiter هو إله الآلهة في خرافات الرومان ، ويسميه اليونان (زفس) Zeus وجوبيتر ، هو أحد الكواكب السيَّارة . وقد سماه العرب (المشتري) .

(١١) مادبا وضواحيها الصفحة الـ ٢٠ تأليف جورج سابا وروكس بن زائد العزيزي مطبعة الآباء الفرنسيين — القدس الطبعة الأولى سنة ١٩٦١ .

(١٢) ما وُجِد نَبَهاً ، هو الذي يوجد من غير طلب .

(١٣) (آخيل) .Achille أعظم أبطال الأغريق المذكورين في الألياذة ، قتل (هكطور) في حصار (طروادة) .

(١٤) (هكتور) Hector أعظم ، وأشجع قُواد الطروادبين الذين ذكرهم (هوميروس) Homere ، كان ابن (فريام) تزوج بـ(أندروماخ) .

(١٥) (باخوس) يسميه اليونان (ديو نيزوس) وهو إله الخمر .

(١٦) هذا الحجر مازال موجوداً في الحائط الغربي من بيت المرحوم (سالم الطوال) .

(١٧) كانت (مادبا) من المدن التي سُكَّتْ فيها النقود ، وأقدم ما وجد ، يرتقي إلى عهد الانبراطور (ستيموس سفروس) ١٩٣ — ٢١١ يمثل الشمس (Haioe) واقفة متجهة إلى الشمال ، في عربة تجرها خيل تعدو ، وقد رفعت يدها اليمنى للتحية ، وعلى ذراعها اليسرى مشعل وفي أسفل الصورة كلمة (M HAABHNAN) التي تدل على أن هذه النقود ضربت في (مادبا) وهنا لك نقود من أيام الأمبراطور (كراكلا) ٢١١ — ٢١٧ — منها قطعتان من سنة ٢١١ تذكران بدلاً من الشمس آلهة (مادبا) وهذه الكلمة نفسها ، قد وردت في أول نقود عثر عليها ، وتمثل (عشتروت) نفسها ، كما هي في عملة (سورية و(فلسطين) راجع مادبا وضواحيها لـ(سابا) و(العزيزي) ص ٢٥ .

(١٨) S.H. Lang Don: The Mythology of all the World (Semitic)

ومادبا وضواحيها ص ٤٤ تأليف الأب سابا وروكس بن زائد العزيزي .

(١٩)

H. Lammens: Etudes, 1897, 721-736, 1898, 44-61

Bagatti: Art.c. Lammens: Art.c. 1898, 47-48, A. Musil. Arabia Petrea, 116.
S. Bagatti: The Town, 134-136; Abel: Histoire, 11, 385-386; De Vaux R.B., 1938 255-256.

مادبا وضواحيها ٤٤ — ٥٢ .

(٢٠) مؤتم كلمة أحَلَّها العلامة المرحوم الأب أنستاس ماري الكرملي محل الكلاسيكي . (العزيزي) .

(٢١) (نبو) اله بابليّ للتجارة ويسمي الأرادنة (جبل نبو) جبل نَبَا .

روكس بن زائد العزيزي

العرب : نعتذر للكاتب الكريم من عدم وضع كثير من الكلمات الأعجمية ، لأن حروفها ليست موجودة .

ما اتَّفق لفظُه وافترق مُسمَّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي

(٥٤٨ / ٥٨٤ هـ)

— ٧ —

حَرْفُ الجِيْم

١٦٤ — بَابُ جَارٍ وَجَاْزٍ وخَارَ

أمَّا الأوَّلُ — آخِرُهُ رَآءٌ — : مَدِيْنَةٌ على سَاحِلِ البَحْرِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ المَدِيْنَةِ يَوْمٌ ولَيْلَةٌ ، تُرفَا إليهِ السُّفُنُ من أَرْضِ الحَبَشَةِ ومِن الْبَحْرَيْن والصِّيْن ، وبِهَا مِنْبَرٌ وَهي آهِلَةٌ شُرْبُ أهْلِهَا مِنَ الْبُحَيْرَة ، هِيَ عَيْنٌ يَلْيَل ، وَبالْجَارِ قُصُورٌ كَثِيْرَة ، ونِصْفُ الْجَارِ في جَزِيْرَةٍ مِنَ الْبَحْرِ ، ونِصْفُهَا عَلَى السَّاحِل ، وبِحِذَاءِ الْجَارِ قَرْيَةٌ فِيْ جَزِيْرَةٍ مِنَ الْبَحْرِ تَكُونُ مِيلاً في مِيْلٍ ، لاَ يُعْبَرُ إلَيْهَا إلاَّ في السُّفُن ، وَهِي مَرْسَا الْحَبَشَةِ خَاصَّةً ، يُقَالُ لها قَرَاف وسُكَّانُهَا (نجا) كَنَحْوِ أَهْلِ الْجار يُؤْتَوْنَ بِالْمآءِ مِنْ عَلَى فَرْسَخَيْن .

ذكر ذَلِكَ كُلَّهُ أبو الأَشْعَثِ الْكِنْدِيُّ ويُنْسَبُ إلَيْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الرُّواةِ مِنْهُم عَمْرو بْنُ سَعْدٍ الْجارِيُّ رَوَى عَنْ أبِيْ هُرَيْرَةَ وغَيْرِهِ ، وأبو سَعْدٍ الْجَارِيُّ وغَيْرُهُمَا(١) .

هذا الباب في كتاب نَصر (باب جاز ، وجار ، والخار) .

(١) عَرَّفَ نَصْرٌ : (جار : آخره راء مهملة — بلد على ساحل البَحْر ، بينه وبين المدينة يوم وليلة . وموضع أيضاً أحْسِبُهُ يمانياً) .

أمَّا تعريف الحازمي فهو من رسالة عَرَّام «أسماء جبال تهامة» وأبو الأشعث هو راوي الرسالة . التي نقل جُلَّ ما فيها البكريُّ في «معجم ما استعجم» وياقوت في «معجم البلدان» .

والحازمي نقل نصوصاً كثيرة من هذه الرسالة ، تُكَوِّنُ أصلاً صَحيحاً لها ، ولكن النَّصَّ الذي نقل الحازمي عن الجار يختلف عما طُبِعَ من الرسالة في مواضع يَسِيرة ، كما يختلف اختلافاً يسيراً عما نقله البكري وياقوت ، وأرى.

ما نقل الحازميُّ أوثق وأصحُّ لقدمه ، ولجودة مخطوطة كتابه فمن الاختلاف :

عن جزيرة قراف : (سكانها بجا) هي في كتابي البكري وياقوت المطبوعين (تجار) ولكن رسم الكلمة في مخطوطة الحازمي لا يعبّر عن هذا اللفظ ، اذ لا وجود للراء ، وفوق الألف علامة قد تكون وضعت للشكّ في الكلمة ، كهاء مفردة أو صاد صغيرة . ولهذا فأنا أرى أنّ كلمة (تجار) التي تكرر ذكرها في الكتب المطبوعة في ذكر مرفأ الجار مُصَحَّفة عن (بُجَا) والبُجَا جِنْسٌ من السودان ، كانوا مسيطرين على أعمال الملاحة في موانىء البحر الأحمر القريبة من الجار في القرن الثالث الهجري ، وقد جاء في «معجم البلدان» عن البجاة :
١ — سواكِنُ : بلد مشهور على ساحل بَحْر الجار ، قرب عَيْذَاب ، تَرْفأ إليها سفنُ الذين يقدمون من جُدة ، وأهلُها بُجاة سُودٌ نصارى .

٢ — عيذاب مدينة البُجاء ، ثم يمتد ساحل البحر إلى مساكن البجاء ، والبجاء قوم سود ، أشدُّ سواداً من الحبشة (رسم القلزم) .
وللبجاة (البُجاء) هاؤلاء صلة قديمة ببلاد العرب ، فقد كان أسْلَمُ مَوْلى عُمَرَ بن الخطاب — رضي الله عنه — منهم .

وكلمة (البحرين) تتفق مع ما في «معجم ما استعجم» أما في «معجم البلدان» فقد ورد مكانها (عدن) .

وفي الكتابين (مصر) ولم تَرِدْ في كتاب الحازمي . وزاد في «معجم البلدان» : (وسائر بلاد الهند) .

ويظهر أن هذا الاختلاف نشأ عن تَعَدُّد نسخ رسالة عَرّام .

والجار كان ذا شهرة عظيمة بحيث كان الاسم يطلق على الساحل الشرقي من البحر الأحمر من غرب المدينة إلى جدة (أنظر «معجم البلدان» رسم سواكن) وقد أورد مؤلف كتاب «التِّيجان» ص ١٨٨/١٩٤ — قصة خرافية طويلة حول الجار وتسميته تدل على قِدَم الموضع .

وذكر ابن سعد في «الطبقات» — ٢٠٨/٩ في خبر عودة المهاجرين من الحبشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى النجاشي أن يبعث إليه من بقي عنده منهم فحملهم في سفينتين إلى ساحل بولا وهو الجار .
ثم في صدر الإسلام عُرِف الجار بأنه ميناءُ المدينة المنورة ترد إليه السفن من مختلف البلاد ، وقد ازدهر عمرانه ، مع تعرّضه لغارات القبائل . وورد وصفه في كثير من كتب المسالك ومعاجم الأمكنة . وآخر ما يستنتج من ذلك الوصف أن مدينة الجار كانت معروفة إلى أول القرن الخامس الهجري (سنة ٤١٤) حيث زارها أحمد بن أنس العُذْري الأندلسي فوصفها بقوله : (الجار ساحل المدينة المنورة ، بينها وبين بَدْرٍ عشرون ميلاً ، وبها سُوقٌ وجامع وآبار ، كجُدَّة ، يخرج أهلها إذا فتحوا الباب إلى باب النَّبيِّ ، يَستقبلون المدينة ويسلمون على النبيّ صلى الله عليه وسلم . أنظر «العرب» س ١٢ ص ٣٢٧ .

ثم نُسِي الجار وجُهِل اسمه إلا من إطلاقه على الباب الجنوبي من أبواب مدينة ينبع البحر ، حين كانت مُسَوَّرة ، وعلى محلة من محلاّتها لا تزال معروفة . أمَّا مَتَى دَرَسَتْ بلدة الجار فهذا مما لم توضحه المصادر .

ولكنَّ ميناء الجار ظَلَّ مُستعملاً إلى هذا العَهْد ، ولكنه عُرِف باسم حديث هو البُرَيكةُ ، تصغير بركة ، ويظهر أنَّ تلك البُريكة كانت من أبرز ما كان يشاهد من آثار بلدة الجار بعد خرابها ، فعرف الموقع بهذا الاسم .

وأمَّا الثَّاني — بعد الجيم الـمَفتُوحَة هَمْزةٌ ساكنةٌ ، وآخِرُهُ زَاي — : جَبَلٌ شَامِخٌ فِي دِيَارِ بَلْقَيْن (١) .

وقد أصبح ميناء المدينة يَنْبُع ، منذ عهد بعيد ، ولعله اتخذ بعد خراب الجار — وانظر كتاب «بلاد ينبع» لكاتب هذا التعليق .

ويَجِدُ القارئُ بَحثاً مُفَصَّلاً عن الجار ، مع مُصَور جغرافيٍّ يحدد موقعه في كتاب «في شمال غرب الجزيرة» من ص ١٦٧ إلى ٢١٤ .

وجزيرة قُرَاف التي كانت مُقابلة لميناء الجار ابتلعها البحر ، ولم يبق سوى الآثار الدالة على بروز مكانها . ومصدر ما اطلعت عليه عن هذه الجزيرة ما ورد في رسالة عرّام ، وعنه نقل ياقوت — كالحازمي — بدون زيادة .

أما ما جاء في «تاج العروس» ونصه : (وقراف كَسَحاب بلدة بجزيرة بحر اليمن بحذاء الجار ، أهلها تجار ، نقله الصاغاني وضبطه في «التكلة» ككتاب . فهذا القول واضح الخطأ ، فأينَ الجار من بَحْر اليمن ؟! وكلمة (تجار) تقدم القول فيها .

أمَّا الجار الذي حَسِبَهُ نصْرٌ يَمانياً ، فلم أر له ذِكراً ، ولكن في المخلاف السليماني (منطقة جازان) وادٍ يُدْعَى الجارة — بالتأنيث — فلعله ما أراد نَصْرٌ على أنَّ البكريَّ ذكر في «معجم ما استعجم» ما نصه : (والجار موضع آخر باليمن مذكور في رسم تعشار) وفي رسم تعشار أورد لعمرو بن مَعْدي كَرِب .

وهُمْ أخذوا بِذِي المَرُّوتِ ألفاً ... يُقَسَّم لِلحُصَيْن ولابْن هِنْد

وقال : الْمرُّوتُ : وادٍ باليمن ، وحُصَين وشهاب بن هِنْدٍ من بني الحارث بن كَعْب ثم أورد قوله :

وهُمْ قَتَلُوا بِذَاتِ الْـجَار قَيْساً ... وأشْعَثَ سَلْسَلوا في غير عَقْد

وقال : الجار موضع هناك .

وما أرى قول عمرو هذا يدل على أنَّ الجار في اليمن ، فهو يتحدث عن غزوات قومه خارج بلادهم ، في لحج ، ونجدٍ ، وتعشار ، والمَرُّوت ، والجار ، وكلها أمكنة متباعدة ، والمروت ليس في اليمن بل في نَجْدٍ ولا يزال معروفاً .

وعَدَّ ياقوت من المواضع التي تُسَمَّى الجار (١) : قرية في أصفهان (٢) : جبل من أعمال الموصل . (٣) قرية بالبَحرين ، لبني عامر من عبد القيس . وقرية بني عامر هاؤلاء ليست معروفة الآن في منطقة الأحساء (البحرين قديماً) ووادي يَلْيَل هو وادي بَدْر ، أسفَل وادي الصَّفْراء .

(١) جأْزٌ : قال عنه ياقوت في «معجم البلدان» : هو جَبَل شامخٌ في ديار بَلْقَين بن جَسْر ، وهو أصَمُّ طويلٌ ، لا تكاد العينُ تبلغ قُلّته . انتهى وهذا نصُّ كلام نَصْر في كتابه ، ولم ينسبه ياقوت إليه ، ولم يَزد عليه .

وبنو القين هاؤلاء يظهر أنهم بنو القين بن جَسْر بن شيع الله من قضاعة ، لا بني القين بن جَسْرٍ الذين من مُحارب من قيس عيلان ، وبلاد القضاعيِّين شمال الجزيرة في أطراف الشام ، من وادي السِّرحان شمالاً ، على ما يفهم من كلام المتقدمين قال الإمام بن حَزم في «جمهرة أنساب العرب» . وكان للقين جمع عظيم ، وثروة في أكناف الشام ثم ضعفوا ووهن أمرُهُم حتى ما يكاد أن يعرفوا . انتهى .

وَأَمَّا الثَّالِثُ — أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ ، ثُمَّ أَلِفٌ وَآخِرُهُ رَاءٌ — : جَزِيرَةٌ قُرْبَ سِيرَافَ ، قِيلَ : هِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا خَارَك وقيل : خَارَكُ جَزِيرَةٌ أُخْرَى ينسبُ إِلَيْهَا أَبُو هَمَّام الخَارَكِيُّ وغَيْرُهُ[1] .

---

(١) جزيرة خَارَكُ من أشهر جزائر خليج البصرة ، لا تزال معروفة مأهولة قال ياقوت في «معجم البلدان» : خارك بعد الألف راءٌ وآخره كافٌ — : جزيرة في وسط البحر الفارسي ، وهي جبل عالٍ في وَسَط البحر ، إذا خرجت المراكب من عبَّادان تُريد عُمَان وطابت لها الرِّيح ، وصلت إليها في يوم وليلة — وذكر أنه جاءها غير مرّة ، وأطال الحديث عنها . وذكر مِمَّن يُنْسَبُ اليها أبا همَّامِ الصَّلْتُ بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي المُغيرة البصريُّ ثم الخاركي ، يروي عن سفيان بن عُيَيْنَةَ ، وحَمَّاد بن زَيْدٍ ، وذكر أنه ممن يروي عنه محمد بن إسماعيل البخاري .

وانظر عن خارك كتاب «بلدان الخلافة الشرقية» ص ٢٩٦/٢٩٧ . وقد دخل على اسم (خارك) تحريف ، فصار ينطق (خَرْك) و(خَرْش) و(خَرْج) كما دخل على كثير من أسماء المواضع القريبة منها فاسم عبَّادان) ينطق (عَبْدان) بتخفيف الباء وحذف الألف وهذا خطأ ، فقد اشتق اسم الموضع من اسم عبَّاد بن الحُصَيْن الحَبَطي — من الحبطات — من بني عمرو بن تميم — أنظر عن صلة عباد هذابا النَّواصر — «علماء نجد خلال ستة قرون» ترجمة الشيخ عثمان بن عبد العزيز بن منصور — ص ٦٩٣ .

وفي عبَّادان ورَدَ المَثَلُ : (ما وراء عبَّادان قَرية) .

وجاء في «معجم البلدان» بعد ذكر عبَّادان ونسبته إلى عبَّاد بن الحُصَين : (وأما إلحاق الألف والنون فهو لغة مستعملة في البصرة ونواحيها أنهم إذا سَمَّوا موضعاً أو نسبوه إلى رجل ، أو صنعة يزيدون في آخره ألفاً ونُوناً) ثم أورد أمثلة على هذا .

وخار الذي ذكر الحازميُّ أنه قُرْبُ سِيْراف قال عنه ياقوت في «معجم البلدان» : موضع في الرَّي . وذكر بَعْضَ مَنْ يُنْسَبُ إليه . ولكنَّ الرَّيَّ بعيد عن سِيْراف الواقعة بقرب ساحل الخليج ، وخارك الجزيرة هي التي بقرب سِيْراف .

ونَصُّ كلام نصر : وأما بالخاء المعجمة : جزيرة بين البصرة وسيراف عامرة ، يسمونها فارك . وقيل : خارك قرية بعُمَان . انتهى ولم أر للقرية التي بِعُمَان ذِكراً . ولعل القول بأن في عُمَان قرية بهذا الاسم نشأ عن كون (أبي صفرة) والد المهلَّب ، أصله من خارك الجزيرة ، ثم انتقل إلى عُمَان ، فكان ينسب الى تلك الجزيرة ، فتوهَّم نَصْرٌ أو غيره أنه ينسب إلى قرية بِعُمَان (وانظر ما فصَّله ياقوت عن أبي صفرة في رسم خارك) من «معجم البلدان») .

كتاب بغية المستفيد

تحقيق عبدالله الحبشي
نشر مركز الدراسات اليمانية صنعاء
٢٣٣ ص ١٩٧٩م

يقوم (مركز الدراسات اليمانية) بنشر بعض الكتب الهامَّة عن القطر اليمني منها القديم المخطوط ومنها الحديث. وهذه بادرة طيبة يجب تشجيعها والإشادة بها لأنَّ (صاحب البيت أدرى بما فيه) على حدّ قول المثل الدارج. ولقد سبقه في هذا السبيل فضيلة القاضي محمد علي الأكوع الحواليّ فلقد حقق عدة مخطوطات يمنية تُعَدُّ من ذخائر التراث العربي. منها: «صفة جزيرة العرب» للهمداني والجزء الأول والثاني والثامن من «الاكليل» للمؤلف نفسه «وقرة العيون في أخبار اليمن الميمون» لابن الدَّيبَع فجاء عمله على أحسن وجه.

ولقد حاول السيد عبدالله الحبشي أن يسير على خطوات هذا الباحث الجليل، وله به نِعْمَ القدوة، وخير المثال فقام بتحقيق كتاب «بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد» لعبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر الشيباني المشهور بابن الدَّيبع. وهو أهَمُّ سِفْر وضعه هذا المؤلف، إذ رجع إلى كتب من سبقه من المؤلفين من أمثال عُمارة اليمني والخزرجيِّ والبهاء الجَنَدي وجيَّاش الحبشي وابن المجاور..

وكان ابن الدَّيبع معاصراً للدولة الطاهرية عائشاً في ظلها مطلعاً على أحوالها وعلى أخبار زَبيد خاصة، وهي مسقط رأسه فجاء كتابه من خير مصادر التاريخ اليمني.

وكنا نَتَمنَّى أنْ نُشيد بفضل التَّحقيق الذي قام به السيد عبدالله الحبشي، لنشجعه على المُضِيِّ في هذا السبيل، لأن اليمن بحاجة ماسة إلى نشر تراثه، ولأنَّ المحققين من أبنائه يُعَدُّونَ على أصابع اليدِ الواحدة فخاب أمَلنا عند قراءته.

ولا أدري كيف أخذ (مركز الدراسات) على عاتقه نشر مثل هذا العمل، والتقديم له على الرغم مما وقع فيه من أغلاط فادحة تكاد لا تحصَى عداً من سقط وتحريف وتبديل وخطأ في قواعد اللغة والاعراب. بل قد وقع التصحيف حتى في بعض آيات القرآن الكريم، فجاء تاريخ ابن الديبع مشوّهاً تشويهاً قبيحاً لا مثيل له. وعلاوة على ذلك لقد أهمل عبدالله الحبشي ضَبْطَ أسْمَاء الاعلام كما أهمل الفهارس، وهي شرط أساسي في البحث العلمي. وأغفل أيضاً شرح الكلمات والمصطلاحات الفنية.

ومن المستبعد جداً أن تخفى أمثال هذه الأخطاء على اللجنة التي أَخَذَتْ على عاتقها نَشْرَ هذا الكتاب. وقد يكون لها بعض العذر إذا سهت عما وقع في هذه الطبعة من سقط وتحريف إذْ قد لا يكون لديها مخطوطة ترجع إليها لتتبيّن الصواب من الخطأ، ولكن هيهات أنْ تغفل عن الأغلاط النحوية أو عن التبديل الذي يضيع من جرّائه المعنى والأقرب إلى الظن أنَّ الموافقة على طبع هذا التحقيق تَمَّتْ دون قراءته.

وقد يتبادر إلى الذّهن أمام فداحة الأخطاء وكثْرَتِها أن المسؤول الأول عنها هو الذي قام بالطبع، ولكن إذَا عُدْنَا إلى التصدير والمقدمة فإننا نكاد لا نجد فيهما شيئاً من الأغلاط المطبعية مما يدل على أنَّ العهدة على المحقق.

ولا نُريدُ إطالة هذه المقدمة والتَنْديد بالعمل قبل إيْراد الشواهد. ولكن أمام كثرتها نكتفي بما قلّ ودلّ. والكتاب من عنوانه كما يقول المثل، فإننا نجد على غلاف الكتاب وهو غُرَّتُه ثلاثة أخطاء. فمدينة زَبيد (وزن أمير) أصْبَحَتْ زُبَيْد (وزن كُلَيْب) فخلط بين اسم المدينة التي اختطها ابنُ زياد واسم القبيلة المذحِجيَّة المشهورة[1]. وأبْدِلَ عنوان الكتاب فكتب: (تاريخ زبيد) بدلاً من أخبار زَبيد، وحُرّف اسم المؤلف فأصبح ابن الرُّبَيْع بدلاً من ابن الدَّيْبع.

وحرصاً على وقت القارىء ووقتنا نكتفي هنا بإثبات أهم الأخطاء وهي تقسم إلى قسمين:

(١) السقط والتحريف.

(٢) الاغلاط النحوية واللغوية:

١ ــ السقط والتحريف :

الخطأ	الصواب	الصفحة
كم نستعين	لم نستعنْ	١١
وانقاباً	وازماناً	١٢
والمتصوفون	والمنصفون	١٤
وقيام السلاطين في ذكر..	وقيام السلطان في ذكر...	
الملك الظافر أبي النصر	الملك الظافر ذي النصر	
عامر بن عبد الوهاب	صلاح الدين عامر بن عبد الوهاب	١٥
ابن ثابت	ابن نابت	١٧
قضاعة	قفاعة	١٧
وبر بن بجنس	وبْر بن يُحَنّس	١٩
أمر أبو بكر	أقَرَّ أبو بكر	٢٢
والد عمر بن ربيعة	والد عمر بن أبي ربيعة	٢٢
يعلى بن أمية التيمي	يعلى بن أُمَيَّة التميمي	٢٣
عبدالله بن العباس	عُبَيْد الله بن العباس	٢٣
وفي الطائف	وعلى الطائف	٢٣
بشر بن أرطأة	بُسْر بن أرطأة	٢٤
النعمان بن بشر	النعمان بن بشير	٢٥
بجير بن ريشان	بجير بن ريسان	٢٥
عيسى بن يزيد	قيس بن يزيد	٢٥
عبدالله بن الاحول	عبدالله. بن يحيي الأعور	٢٧
ثم بعث المهدى... أخا له	ثم بعث المهدي.. أخا	
علي بن سليمان	علي بن سليمان	٢٩
الحارثي مدة	الحارثي فكث مدة	٢٩

خالد بن بهك	خالد بن برمك	٣٠
اسمعني أصوات أهل اليمن	أسمعني أصوات أهل اليمن	
سنة ٨٤	فقدم اليمن سنة ٨٤	٣٠
وتولى على الخلافة	واستولى على الخلافة	٣٠
عبدالله القشيري	عبدالله القَسْرِي	٣٠
وأسرارها ومساحتها	وأسوارها وأبوابها ومساحتها	٣٣
والعلماء والاثبات	والعلماء الاثبات	٣٣
شجر النارجيل القفر	شجر النارجيل القفف	٣٤
وزهر النانج	وزهر النارجيل	٣٤
السبر	السنبر	٣٤
ثم أدار عليها أسواراً	ثم أدار عليها سوراً آخر	
أخو الوزير	الوزير	٣٥
باب الشارق(٢)	باب الشبارق	٣٥
وعقد له الولاء	وعقد له الولاية	٤٦
فقالت : وغير أهلنا ونحفظ أخانا	فقالت : ونمير أهلنا ونحفظ أخانا	٤٧
يعود اليك الأمس	يعود اليك الأمر	٥٢
إذا كنت تعفو عن كثير	إذا كنت تعفو عن كفور	٥٤
كثير نهاية	كبير نكاية	٥٤
يقال لها الهوب	يقال لها الهويب	٥٥
في سياسته والعسكر	في سياسة العسكر	٥٩
يميزونه	ينبزونه	٥٩
لحملت	لكملت	٥٩
واعطاه منصور.. ثلثمائة ثوبا	وأعطاه منصور ثلثمائة ثواباً	٦٠
ثم حصلت بين القائد	ثم حصلت وحشة بين القائد	٦٠
وهو أمير المذكور	وهو أمير القوم	٦١
ناظر الفقهاء بين يديه	تناظر الفقهاء بين يديه	٦٢

ويحفو على المتظلم	ويحفو عليه المتظلم	٦٢
فيبكي ويفر خده بالأرض	فيبكي وَيعفر خده بالأرض	٦٣
يواد ومن حاد الله.. الآية	يوادون من حاد الله.. الآية	٦٦
حبس بقية في الشمس	حبس الرجل نفسه في الشمس	٦٦
ثم غار على الجؤة.. وخرقها	ثم أغار على الحَوّة.. وحرقها	٦٧
ينتهي إلى المدينة	ينتهي إلى الدِّمْنة	٧٢
ولا يسلمون ذلك الاغزا	ولا يسلمون ذلك إلا تمراً	٧٥
خرج مغاضبا لأبيه بمصر	خرج مغاضباً لأبيه إلى اعمامه بمصر	٧٦
وهو الذي بنى الجامع نحتفر	وهو الذي بنى الجامع بخنفر	٧٧
من الأمراء المقربين	من الأمراء المصريين	٨١
وأظهر الدراهم الرياضية	واظهر الدراهم الرياصية(٣)	٩٢
وكان اقطاعه اللحية	وكان اقطاعه الجثّة	٩٣
بلاد بني طاهر ابناء السلطان	بلاد بني طاهر أمناء السلطان	١٠٣
دار السلاح	دار السلا	١٠٨
جهة شقيق ابنه نسك الخاصلي	جهة شقيق ابنة يَشْبُك الخاصكي	١١٣
بيوت أهل الجند	بيوت أهل المجنبذ	١١٧
الملك المجاهد.. على أخيه	الملك المجاهد.. علي واخيه	١٢١
وقد مات مواشيهم الفجاج	وقد ملأت مواشيهم الفجاج	١٣٨
من نخل لمدنى فحضر القراءة	من نخل المِدّبي فحضرا	
عليه وغزا المجاهد أهله	القراءة عليه وعَزّى المجاهدأهله	١٤٣
وقعة الجرابه	وقعة الحرّابه	١٤٣
بوادي الجزيره	بوادي الحُرَيز	١٤٣
وبقي من بقي	ونُفِي من نُفي	١٤٥
وفي شهر محرم من سنة سبع وستين	وفي شهر محرم من سنة سبع وسبعين	١٤٧
حصن وقهة	حصن وقيهه	١٦٢
خيل عبس	خيل عنس	١٦٢

الفضل بن علي دعش	الفضل بن علي دَغْشر	١٧٥
مَنْ ينزه	مَنْ ستره	١٩٠
وكحل عبد الأمين	وكحل عبداً للأمين	١٩١
العجيلي	العجلمي	١٩١
دار السلام	دار السلا	١٩٦
عقيان	عُمَيْقان	١٩٨
باعلوي	با عمر علوي	٢٠٩
حصون .. السليلة ..	حصون .. النبيلة	٢١٠
والسرعة .. والاكمة قيراط	والشرنمة .. وأكمة قيراط	٢١٠
وضرب له مركوباً	وصرف له مركوباً	٢١٢
فامتثل الأمير الشريف	فامتثل الأَمْر الشريف	٢١٢

هذا قليل من كثير مما وقع من سقط وتحريف في الألفاظ ولولا الخوف من ملل القارىء الكريم لأوردنا أضعاف ما ذكرناه من الشواهد.

أما ما وقع من سقط في العبارات وتحريف في الجمل من شعر يصبح نثراً[٥] وأبيات ساقطة[٦] أو مختلفة الوزن[٧] فهو أيضاً كثير لا يمكن الناقد أن يأتي عليه جميعاً إلاَّ إذا ضحّى بعدد وافر من الصفحات ولذا نكتفي ببعض الأمثلة.

ففي صفحة ٥٦ السطر الثاني سقطت العبارة التالية: (وعنهم زالت الدولة إلى علي بن مهدي الخارج باليمن في رجب سنة أربع وخمسين وخمسماية).

وفي صفحة ٩٢ سطر ١١: بعد عبارة: (ثم حجّ بعد ذلك سنة اثنتين وأربعين) سقطت الكلمات التالية: (وسبعماية وكسا البيت وكسا أمير الركب الشامي والمصري)..

أما الأخطاء النحوية فنكتفي أيضاً بإيراد بعض الأمثلة:

الخطأ	الصواب	الصفحة
سنة ثلاثة عشر	سنة ثلاث عشرة	٢٣
وكان اسمه عسكر	وكان اسمه عسكراً	٢٤
فدفن الولدين حيث قتلا	فدُفِنَ الولدان حيث قتلا	٢٤
وحول العقدة قصوراً	وحول العقدة قصور	٣٥
يسمى جعفراً	يسمى جعفَر	٣٥
يسمي نفيس	يسمي نفيساً	٤٢
هما أحمد .. وأباسبا	هما أحمد .. وأبو سبا	٤٦
فلم يريا إلا راكب فرساً	فلم يريا إلاَّ راكب فرس	٥٠
فلما قتل منّ الله سيدها منصور	فلما قتل منَّ الله سيدُها منصوراً	٥٨
ومن القبب على اثني عشر قبة	ومن القبب على اثنتي عشرَة قبّة	٧١
فبينما الحفارين	فبينما الحفارون	٧٢
ومرض خطلها .. فراسل	ومرض خُطلُبا .. فراسل	
خطاب سراً	خطّاباً سراً	٧٤
وأجازه السلطان عليها	وأجازه السلطان عليها	
اثنا عشر ألف دينار	اثني عشر ألف دينار	١٠١
وزعموا أنهم .. يخلعوا من شاءوا	وزعموا أنهم .. يخلعون من شاءوا	١٠٧
وأمر عليهم الاميران	وأمّر عليهم الأميرين	١٧١
ولم يقدم إلى زبيد احداً	ولم يقدم إلى زبيد أحَدٌ	١٧٤
ليلة الاثنين الحادي عشر	ليلة الاثنين الحادية عشرة	١٧٤
فأحرق الغلباء ودواب كثرة	فأحرق الظباء ودوابَّ كثيرة	١٧٩

وليس الغرضُ من هذا النقد النَّيْلَ من المحقق فهو رجل نشيط ، عرفته أديباً مكبًّا على العمل ، ولكن يؤخذ عليه تسرعه بالنشر ، فلا يتأتّى له أن يوفي الموضوع حقه من البحث .

ومن البديهي أن تحقيق مخطوطة لا يتم استناداً على نسخة واحدة متأخرة أو نسختين

ولا بُدَّ للباحث من جمع عدة نسخ ثم ينتقي واحدة منها تكون المرجع الذي يعتمد عليه ، إما لقدمها وإمّا لجودتها وإمّا للسببين معاً ، ثم يقارن بينها وبين النسخ الأخرى ويثبت النص ويشير في الهامش إلى اختلاف النُّصوص ، ليعلم القارىء أنه قد اختار أحسن الوجوه ، وأصْوب المقال على حسب ما يقتضيه المعنى والبيان .

وأمام ضعف التحقيق وكثرة الأخطاء التي وقعت في هذه الطبعة نرى أنه من المستحسن التوقف عن بيعها وسحبها من الأسواق والمكاتب لما قد ينتج عنها من تشويش في التاريخ اليمني لدى الطلبة وغير المختصين .

وحبذا لو قام (مركز الدراسات اليمانية) بإعادة طبع هذا السفر الجليل طبعة علمية . ويضيف اليه الذيل الذي وضعه ابن الدَّيبع بعد عشرين سنة من تأليفه « بغية المستفيد » وسماه : « الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زبيد » . وبذلك تمّ الفائدة والله ولي التوفيق .

باريس — د. يوسف شُلْحُد
أستاذ أبحاث في المركز القومي الفرنسي
للبحث العلمي

الحواشي

(١) نجد الخطأ نفسه في كتاب « بغية الأماني في أخبار القطر اليماني » ليحيى بن الحسين بن القاسم ابن محمد بن علي (دار الكاتب العربي . القاهرة ، ١٩٦٨) . فالمحقق سعيد عبد الفتاح عاشور يكتب زبيد بالضم في عدة أماكن (ص ١٥١ ، ٤٩٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠...) وكذلك عامر ثامر في كتابه : أروى بنت اليمن (سلسلة اقرأ . القاهرة ، ١٩٧٠) ص ١٦ و٥٧ .

(٢) يتردد هذا الخطأ مراراً ولكن المحقق يكتب أحياناً باب الشبارق كما هو الصواب .

(٣) الرباصيه أي من الفضة الخالصة .

(٤) يكتب المحقق غالباً نخل المدني (ص ١٢٥) والصواب المدبّي نسبة إلى المدبّ اسم قرية .

(٥) ص . ٨٥ — ٨٦ : خمسة أبيات كتبت نثراً أولها :

وشهدتم وشاهدتموه وحمدتم عقباه في كل أمر

(٦) في الارجوزة ص ٢٢٠ — ٢٢٥ سقط عدد من الأبيات .

(٧) مثلاً ص ١٤ :

وقلْ (كذا) من جدّ في أمر يحاوله واستشعر الصبر إلّا فاز بالوطر

والصواب : وقلَّ .والبيت من البسيط .

الشيط والشيطان

[وهذا أحد مباحث القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من كتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية». قد يكون فيه ما يفيد القارىء. أوْ يلفت نظره إلى خطأ فيرشد إليه مشكورا].

الشَّيِّطُ :

— بالفتح والمثناة التحتية المشددة مكسورة وآخره طاءٌ مهملة —:

وادٍ بين جَبَلَيْن ، وهما الشَّيِّطانِ ، وهما واديان لتميم على ما في كتاب «بلاد العرب»[1] وذكر ياقوت في اشتقاق الكلمة أنَّها من شَيَّطْتَ رأْسَ الغنم وشوَّطْته إذا أحرقْتَ صوفه لتنظفه . انتهى .

أما لماذا سمي هذا الموضع بهذا الاسم فلم أرَ من ذكر هذا . ولعله لصلابة أرضه يبدو نبته كأنه مُشَيَّطٌ .

وسيأتي تحديد موقع الشيِّط بعد هذا .

الشَّيِّطَانِ :

تثنية شَيِّطٍ — بفتح الشين المعجمة وكسر المثناة التحتية مشددة وآخره طاءٌ مهملة — : جاءَ في «معجم البلدان» : وهما قاعان فيهما حوايا للماءِ .

قال نَصْرٌ : الشَّيِّطَانِ واديانِ في ديار بني تميم لبني دارم ، أحدهما طُوَيْلع أو قريب منه . قال بعضهم .

عُـذَافِـرَةٌ حَـرْفٌ كـأَنَّ قُتُوْدَهـا عَلَى هِـقْـلَـةٍ بـالشَّـيِّـطَـيْـنِ جفُوْلِ

ويوم الشَّيِّطَين من أيام العرب مشهور .

قال الأعشى :—

عُـلِّـقْـتُـهَـا بـالشَّـيِّـطَـيْـنِ وقَـدْ شَـقَّ عَـلَـيْـنَـا حُـبُّـهَـا وشَـغَـلْ

وما نقله ياقوت عن نَصْرٍ هو نَصُّ كلامه في كتابه[٢] ولم يورد شعراً .

وقال الفرزدق[٣] :

كَأَنِّي وَرَحْلِي والْمَنَافِيَّ تَرْتَمِي ... بِنَا بِجُبُوبِ الشَّيِّطَيْنِ حَمِيرُ

المنافي : رجل من بني مناف بن دارم كان دليل الفرزدق والجبوب : الأرض الصلبة .

ويقصد حمير الوحش .

وفي « التهذيب »[٤] : ويقال لِوَشْي قوائم الثور الوحشيِّ إذا اسودَّتْ رَمَلٌ ، واحدتها رَمَلَة قال الْجَعْدِيُّ :

كَأَنَّهَا بَعْدَمَا جَدَّ النَّجَاءُ بِهَا ... بالشَّيِّطَيْنِ مَهَاةٌ سُرْوِلَتْ رَمَلا

وفيه أيضاً[٥] : الشَّيِّطانِ قاعانِ بالصَّمَّانِ — فيهما حوايا لماء السماء . انتهى .

وفي « القاموس » وشرحه : والشَّيِّطَانِ — كَكَيِّسٍ مُثَنَّى شَيِّطٍ — قاعانِ بالصَّمَّانِ ، في أرض بني تميم ، لبني دارم أحدهما طويلع ، أو قريب منه ، فيهما مساكات للمطر — ثم أورد بيت النابغة الجعديِّ وقال : ويروي (سُرْبِلَتْ) أراد خطوطاً سودا تكون على قوائم بقر الوحش .

وفي « معجم ما استعجم » : الشَّيِّطَانِ — بفتح أوله ، وكسر ثانيه وتشديده بعده طاءٌ مهملة ، على لفظ التثنية ، قال أبو حاتم : هما واديان لبني تميم وأنشد للحطيئة :

وكَأَنَّ رَحْلِيْ فَوْقَ أَحْقَبَ قَارِحٍ ... بِالشَّيِّطَيْنِ نُهَاقُهُ التَّعْشِيرُ

التعشير : أن يقطع نُهاقه . وقال الأعْشَى :

كَأَنَّهَا بَعْدَمَا جَدَّ النَّجاءُ بِهَا ... بِالشَّيِّطَينِ مَهَاةٌ تَرْتَعِي ذَرَعَا[٦]

وفي كتاب « بلاد العرب »[٧] : فإذا جُزْتَ طُوَيْلِعَ وأنت تُريد البصرة وقعت ببلد يُسَمَّى الشَّيِّطين ، وبها كانت وقعة الشَّيِّطين لبني بكر بن وائل على بني تميم ، وهو مَرْعَى لأهل طويلع .

وفيه أيضاً[٨] : ثم تجوز طُوَيْلعاً إلى وادٍ يقال له الشَّيِّطُ ، وهو واد لتميم ، بين جبلين ، وهما الشَّيِّطَان ، وهما واديان لتميم .

وفيه أيضاً[٩] : في ذكر مياه بني مناف بن دارم بن مالك بن حنظلة : وماءة ملحة تسمَّى ثَبْرَة ، قريبة من الشَّيِّطين لهم .

وفي «النقائض»[١٠] ما ملخصه : يوم الشَّيِّطَيْن يوم لبكر بن وائل على بني تميم ، لم يكن فيه كبير قتال .

وكان الشَّيِّطَانِ لبكر بن وائل ، فلما ظهر الإسلام من غير أن يكون أهلُ نجدٍ والعراق أسلموا سارتْ بكرٌ قِبَلَ السَّوادِ ، وبقي مقَّاسُ بن عمرو حَليفُ بني شيْبان ، وجاءت تميمٌ حتى نزلوا الشَّيِّطَينِ ، فاستَوْبَأتْ بكرٌ السَّوادَ ، ومواشيهم . فأقبلوا حتى نزلوا لَعْلَعَ وهي مُجْدِبة ، وقد أخْصَبَ الشَّيِّطَانِ ، فعلمت بكرٌ بخصبها وأجمعت على الإغارة على بني تميم ، فارتحلوا بالذراري والأموال ، فأتوا الشَّيِّطين في أربعٍ ، وما بينهم (؟) مسيرة أيام ثمانية ، حتى صبَّحوهم وهم لا يشعرون فقاتلوهم ، فَهُزِمَتْ تميم .

فقال رُشَيْدُ بْنُ رُمَيْضٍ الْعَنَزِيُّ :

وَمَا كَانَ بَيْنَ الشَّيِّطَيْنِ ولَعْلَعٍ ... لِنِسْوَتِنَا إلَّا مَنَاقِلُ أرْبَعُ
فَجِئْنَا بِجَمْعٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ ... يَكَادُ له ظَهْرُ الْوَرِيْعَةِ يَظْلَعُ
صَبَحْنَا بِهِ سَعْداً وعَمْراً ومَالِكاً ... فَظَلَّ لَهُمْ يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ أشْنَعُ
وَذِي حَسَبٍ من آل ضَبَّةَ غَادَرُوا ... يُجَرُّ كَمَا جُرَّ الفَصِيْلُ الْمُقَرَّعُ
تَقَصَّعَ يَرْبُوعٌ بِسُرَّةِ أرْضِنَا ... وَلَيْسَ لِيَرْبُوعٍ بِهَا مُتَقَصَّعُ
وقُلْتُ لِيَرْبُوعٍ أسِرُّ نَصِيْحَةً ... ولو أنَّ يَرْبُوعاً إِذَا امْتَارَ يَرْفَعُ
يُخَلُّوا لَنَا صَحْنَ الْعِراقِ فإنَّه ... حِمىً مِنْهُمُ لا يُسْتَطَاعُ مُمَنَّعُ

فأجابه مُحْرِزُ بن الْمُكَعْبَرِ الضَّبيُّ :

فَخَرْتُمْ بِيَوْمِ الشَّيِّطَيْنِ وَغَيْرُكُمْ ... يَضُرُّ بِيَوْمِ الشَّيِّطَيْنِ ويَنْفَعُ
وَجِئْتُم بِهَا مَذْمُومَةً عَنَزِيَّةً ... تَكَادُ مِنَ اللُّؤْمِ الْمُبِيْنِ تَظْلَعُ

فإنْ يَكُ أقوامٌ أُصيبوا بِغِرَّةٍ فلنتم من [illegible] أخزى وأوجعُ

وقال مقّاسُ بْنُ عَمْرٍو العائذِيُّ — من أبيات :

فَأَعْجَلْنَ ضَبـاً بالْوَرِيعَةِ خُدْعَةً وَيَرْبُوعَها يَنْفَقْنَ في كلِّ مَحْجَرِ

ضَبًّا : يعني ضَبَّة .. أي أغرنا عليهم قبل أن ينذروا بنا .

وقال كَبِدُ الحصاة — وهو قيس بن عَمْرٍو — العِجْليُّ :

صَبَحْنَا غَدَاةَ الشَّيِّطَيْنِ تَمِيمًا بذِي لَجَبٍ تَبْيَضُّ مِنْهُ الذَّوائِبُ
فَيَارُبَّ داعي جَوْعَةٍ مِنْ شُعَاعِهَا وقَدْ أشرفَتْ فَوْقَ الْحَزِيْزِ الْكَتَائِبُ

فقالوا : إن بكراً أتاهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا على ما في أيديهم . انتهى مُلَخَّصاً .

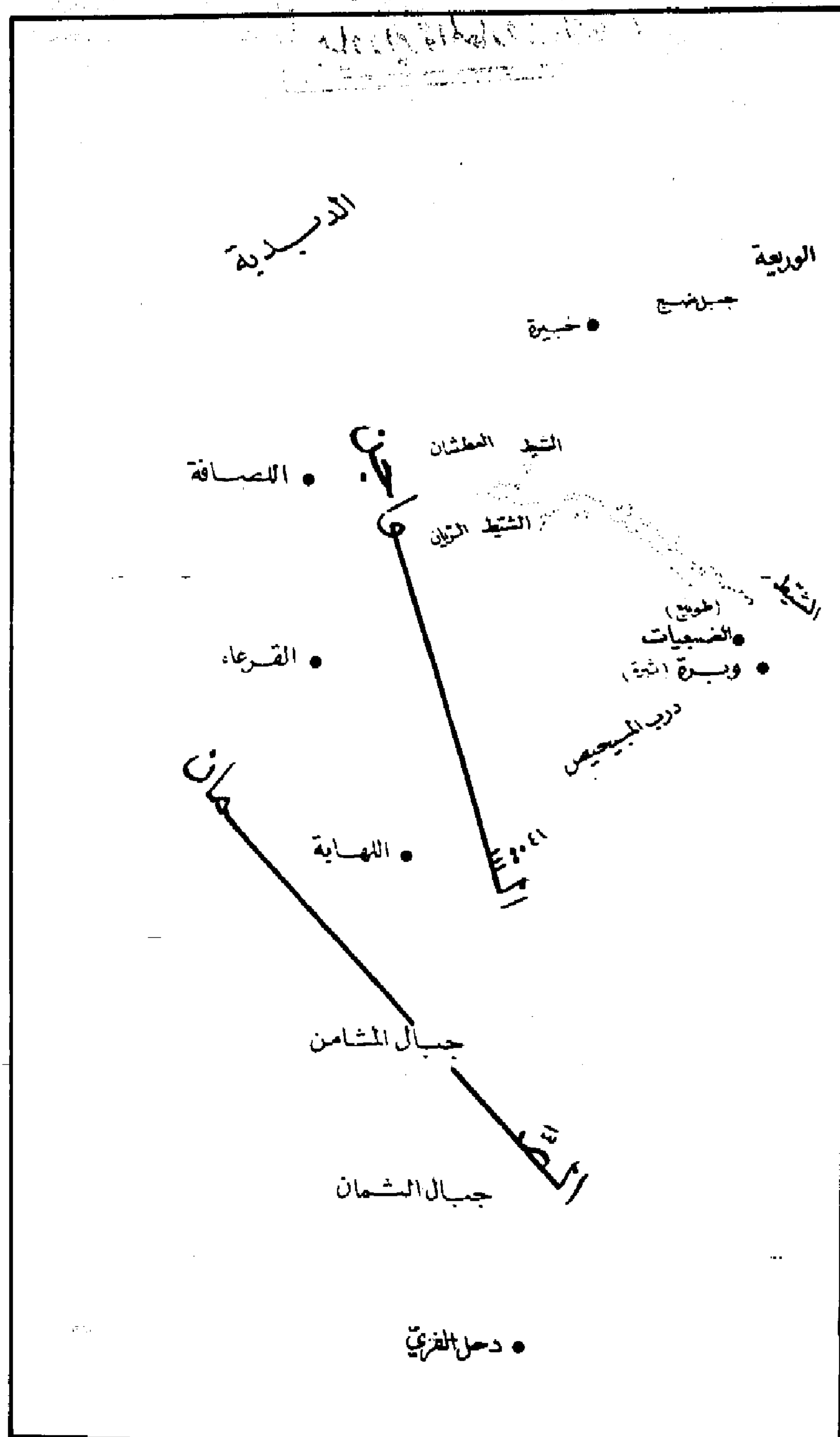
وقال جرير(١١) — يهجو الفرزدق وقومه :

وَيَوْمَ الشَّيِّطَيْنِ حُبَارِيَاتٌ وأشْرَدُ بالْوَقِيطِ مِنَ النَّعَامِ

هذا يوم الشيطين : وكان لبكر بن وائل لما ظهر الإسلام من غير أن يكون أهل نجد وأهل العراق أسلموا ، فسارت بكر قِبَلَ السواد ، وجاءتْ تميم حتى نزلوا الشَّيِّطَيْنِ فاستوبأت بكرٌ السوادَ فأجدُّوا هاربين ، فأقبلوا حتى نزلوا لَعْلَعَ ، وهي مُجْدِبَةٌ وقد أخصب الشَّيِّطان وكان أكتل بن عبدالله العجلي طلب حاجة في بني نهشل فلم يقضوها فرجع من الشَّيِّطَيْنِ إلى قومه بِلَعْلَع فأخبرهم بِخِصْبِ أرضهم ، فاجتمعت على الغارة على بني تميم . فارتحلوا من لعلع بالذراري والأموال ، ورئيسهم بشر بن مسعود ابن قيس بن خالد ، فأتوا الشَّيِّطين في أربع ليالٍ ، وبينهما ثمان ، فسبقوا كلَّ خبر حتى صَبَّحُوهم وهم لا يشعرون ، فقاتلوهم ، فانهزمت بنو تميم ، فقال رُشيد بن رُميض العَنَزيُّ :

ومَا كَانَ بين الشَّيِّطَيْنِ ولَعْلَع لِنِسْوَتِنَا إلَّا مَنَاقِلُ أرْبَعُ

— ثم أورد القصيدة في ٧ أبيات .


الدبدبة
الوريعة
جبل ضبيع
خبيرة
الثيد العطشان
اللصافة
الشيط الريان
(طويح)
الضبعيات
وبرة (الثية)
القرعاء
درب المسيحيص
اللهابة
جبال المثامن
جبال الشمان
دحل الفزي

الشيِّطَان لا يزالان معروفين إلا أن العامة تخفف الياء في النطق وتسكنها فتقول (الشَّيْط) وهما واديانِ يُسَمَّيان الآن الشَّيْط العطشان والشَّيْط الرَّيَّان ، ويقعان في أسافل الصَّمَّان مما يلي الدَّبْدِبَة (الدَّوّ) والوَريعة ، وهما في أرض صلبة تكثر فيها الآكام والحزون ، وتمتد فروعهما من المرتفعات الواقعة شرقي القرعاء واللِّهَابة من أسافل شعيب (فاصل) الذي يفصل بينهما وبين اللِّهَابَة ، ويمتدَّان من الجنوب الغربي نحو الجنوب الشرقي ، وليسا ضريبن ، وسيلهما تحجزه مرتفعات تقع غرب قرية العليا ، بعيدة عنهما .

ويلتقي الشَّيِّطَانِ شرقي وَبْرة (ثبرة قديماً) في روضة واسعة تُدْعى أمّ الشَّفَلَّح ، وقد أصبحت الآن مزرعة ، حفرت فيها بئر (ارتوازية) ماؤها عذب ، وفيها زراعة .

والجنوبي منهما يدعى الشيِّط الرَّيَّان ، وفي أسفله يقع منهل طويلع ، في جوّ واسع في متسع الوادي لا في نهايته ، ويقع منهل ثبرة (وبرة) في أسفله في روضة واسعة .

والشمالي يدعى الشيِّط العطشان ، ويفصل بين الواديين سلسلة من الحزون .

يقع الشَّيِّطَانِ بين خطي الطول ٥٥َ — ٤٦ْ و٣٠َ — ٤٧ْ وخطي العرض ٢٠َ — ٢٧ْ و٤٥َ — ٢٧ْ .

وكان الشَّيِّطَانِ — قبل الإسلام — من منازل ربيعة ، ولذا قال الهمداني[١٢] : الشَّيِّطانِ ماءٌ لبني بكر بن وائل ، وأورد قول الأعشى . وقوله : ماءٌ هو من قبيل إطلاق الاسم على جزءٍ مما فيه ثم استولت بنو تميم على تلك الجهات ، كما جاء في كتاب «النقائض» وغيره من الكتب التي ذكرت أيام العرب ، ومنها يوم الشَّيِّطَيْنِ .

حمد الجاسر

حواشي المقال

(١) : ٣١٥ .
(٢) الورقة : ٩٤ وفيه (في أرض) بدل (في ديار) .
(٣) : ديوانه : ٢٤٤ .
(٤) ١٥ — ٢٠٥
(٥) : ١١ — ٣٩٠ .

بنو مالك : بلادهم وفروعهم

اطلعت على ما نشر في «العرب ج ١ ، ٢ س ١٤ — رجب وشعبان سنة ١٣٩٩ هـ الصفحة ١٥٤ — ١٥٥ بقلم الأخ الصديق يحيي بن علي عكور ادارة التعليم في بيشة بعنوان (بنو مالك وقراهم) وحيث أن الأخ من غير سكان هذه المنطقة ولم يُلِمَّ إلماماً كافياً بالمنطقة وتاريخها وقبائلها كتب موضوعاً مختصراً وكتب أسماء القرى بدلاً من اسماء القبائل المعروفة ، وإيضاحاً للحق وافهاماً للقارىء العزيز أحب أن أوضح لكم :

منطقة بلاد بني مالك تقع جنوبي مدينة الطائف على بعد ١٠٠ كيل على سلسلة جبال السروات ، تمتد على أرض نصف قطرها ٤٥ كيلاً يحدها من الشمال جبل بيضان ومن الجنوب جبل بثره . وتقع بين قبيلتي ثقيف من الشمال وزهران من الجنوب وفي غربها سلسلة جبال السروات . وفي شمال هذه المنطقة توجد منطقة بجيلة التي منها الصحابي الجليل جرير بن عبدالله البجلي الذي توفي ودفن بها وقبره معروف وهذا يدل على أن المنطقة لها تاريخ قديم منذ عهد الرسول (ص) أو قبل ذلك ويقال : إنَّ الخليفة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قد مرَّ بها في طريقه الى اليمن حيث توجد بعض الآثار الدالة على مروره وبعض الأقوال المتداولة المأثورة ، ومن المعروف أن هذه المنطقة كانت مرتعاً خصباً للحروب بين القبائل بشكل كبير والى وقت قريب يذكره كبار السن ويدل على ذلك أشعارهم المتناقلة بينهم .

---

(٦) ترتعي : تراعي . والدرع ولد البقرة الوحشية إذا قوي على المشي .

(٧) ٢٩٧ .

(٨) ٣١٥ .

(٩) ١٣٥٤ .

(١٠) ١٠٢٠ .

(١١) ديوانه : ٢٠٣ و«النقائض» : ١٠٢٠ .

(١٢) «صفة جزيرة العرب» : ٣٢٧ .

ويقطن هذه المنطقة خمسة بطون محتفظة بأسمائها ومعروفه .

أولاً : أبا النعيم وفروعهم :

أ ـــ بني دهيس . ب ـــ بني عبدالله . جـ ـــ بني أحمد . د ـــ قريش .

ثانياً : بني عمر ـــ في بجيلة وفروعهم :

أ ـــ أبا الحليس . ب ـــ السهوى جـ ـــ الجهالين . د ـــ شوقب . هـ بني رباح . و ـــ الحناحنة . ز ـــ الوهباء .

ثالثاً : بنو حرب ويتفرعون الى :

أ ـــ بني حرب . ب ـــ البشران . ج - بني ثابت . د ـــ العصبان .

رابعاً : بنو علي ، في وادي عَرَدَة ، والمناطق المجاورة لقبيلة زهران وهم :

أ ـــ بني عبيد . ب ـــ بني عاصم . حـ ـــ المشايخ . د ـــ بني سعد . هـ ـــ بني هراوه . د ـــ المحامدة والقاع . و ـــ الشبان . ز ـــ بني مخشي . حـ ـــ بني محمد . ط ـــ بني حشر .

خامساً : بنو هلال :

ويقطنون تهامة بني مالك .

ومن أهم المناطق (حداد) مركز تجمع الادارات الحكومية والمحلات التجارية وبه سوق كبير كل يوم أحد .

ويشتغل أهل هذه المنطقة بالزراعة والرعي ومن محاصيلها القمح والذره والشعير والآن بدأت في إنتاج الفواكه والخضروات بشتى أنواعها . ومن محاصيلها أيضاً اللوز المشهور بجودته والمعروف باللوز البجلي وتكسو جبالها أشجار العتم والعرعر وغيرها .

مكتب الضمان الاجتماعي ببني مالك **عوض محمد ضيف الله المالكي**

«**العرب**» : يظهر أن الأخ الكاتب لم يطلع على ما نشرته «العرب» س ١٤ ص

٦١٢ (جزء محرم وصفر سنة ١٤٠٠ هـ) بقلم الأخ يحيي بن علي عكور ، وقال فيه : (والواقع أن كل من يكتب عن قبيلة بني مالك من غير أهلها تكون كتابته ناقصة وفي المثل : أهل مكة أدرى بشعابها . وقد تحدث عن أسواق بني مالك .

كما يظهر أنه لم يطلع على المقال الذي نشرته «العرب» س ١٥ ص ٣٠٧ (جزء رمضان وشوال سنة ١٤٠٠) بقلم الأخ أحمد بن عبد الرحيم المالكي بعنوان (قرى بني مالك) وفصَّل القول عن القرى وذكر أقسام القبيلة الأربعة ، ولم يذكر بني هلال ، الذين اعتذر الأخ عوض بن محمد ضيف الله عن جهله ببلادهم الواقعة في تهامة .

أما قول الأخ الكاتب : (في شمال المنطقة توجد منطقة بجيلة التي منها الصحابي الجليل ، جرير بن عبدالله البجلي) .

فالصحيح أن اسم بجيلة قديماً كان يطلق على القبيلة التي تعرف الآن باسم (بني مالك) وهاؤلاء كانوا من فروع بجيلة ، ومنهم الصحابي الجليل جرير ، فصار اسم الفرع يطلق على كل القبيلة ، وبقي الاسم الذي كان يطلق على القبيلة بأسرها عَلَماً لأحد منازلها .

ويحسن — لمعرفة جانب من تاريخ قبيلة بجيلة وغيرها — من قبائل السراة الرجوع إلى كتاب «في سراة غامد وزهران» تأليف صاحب هذه المجلة وهو من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

في ذلك الكتاب معلومات وافيةٌ عن سُكَّان السَّراوات ، عن أُصولهم القديمة ، ومشاهيرهم ، وتحديد بعض المواضع الأثريّة ، وذكر أسماء نباتات السراة كما وردت في المؤلفات القديمة . وغير ذلك من المعلومات التي تهمُّ المعنيِّين بالبحث والدراسة .

وحبَّذا لو كتب أحد الإخوة من بني مالك مقالاً مُفَصَّلاً عن هذه القبيلة ، أفخاذها وبلادها ، مرتبة على حروف المعجم ، مع ضبط الأسماء ضبطاً يحول دون تحريفها ، مع تشكيلها بالحركات .

ويَسُرُّ «العرب» أن تقدم ذلك المقال لقرائها .

كما يسرُّها أن تتلقَّى من كل قارىء ما يعنُّ له من ملاحظات وتعليقات ، لها صلة بتحديد الأماكن ، أو بأنساب القبائل .

علماء آل شافع في منطقة جازان

كان الأستاذ محمد بن أحمد العقيلي قد تحدث عن علماء من أسرة (آل شافع) في منطقة جازان في مجلة «العرب» س ٧ ص ٤٧ وما بعدها.

وقد استوضح الأخ زين رشيد شافعي — من تلك الأسرة — عن مصدر الأستاذ العقيلي في حديثه عن آل شافع، فتفضل الأستاذ ببيان ذلك المصدر. وهو كتاب «العقيق اليماني» ومؤلفه الشيخ علي بن عبدالله النعمان.

والكتاب لا يزال مخطوطاً، لم يطبع.

قبيلة الرِّيث

قرأت في مجلة العرب الغراء العدد ٣، ٤ رمضان وشوال ١٤٠٠هـ ص ٣١٢/ ٣١٣) كلمة عن قبيلة (الريث) بقلم أحد الأخوان.

ولي ملاحظة خدمة للحقيقة والتاريخ أرجو أن يتقبلها الأخ.

١ — إنَّ منطقة جازان هي غير منطقة عسير، فمنطقة جازان تعرف تاريخياً باسم (المخلاف السليماني).

٢ — إنَّ قبيلة (الريث) من قبائل منطقة جازان لا من قبائل عسير ولهذا — كما أشار الكاتب — لم يذكرها صاحب كتاب قبائل عسير.

٣ — المعروف في المنطقة وحتى عند قبائل الريث أنهم من خولان السافلة لا الأزد كما ذكرت — راجع كتابنا «المخلاف السليماني».

٤ — إن قاعدتهم قرية (رخية) بالخاء المعجمة لا الجيم، وهي ليست من ضواحي جيزان بل في شمالها الشرقي بـ١٤٠ كيلاً.

وشكراً　　　　**محمد بن أحمد العقيلي**

□ كتاب الجيم :

يعتبر كتاب «الجيم» لأبي عَمْرو، اسحاق بن مِرَّار الشيباني المتوفي في أوّل القرن الثالث الهجريّ، من أصول كتب اللغة، ومن أقدمها تأليفاً. وقد عرف لهذا الكتاب مخطوطة واحدة، قام مستشرق ألماني يُدْعَى (فَرْنِديم) بدراستها دراسة نال بها شهادة (الدكتوراه) من (جامعة لودفيك) في ميونخ وقد اجتمعت بالرجل في (المعهد الشرقي الألماني) في بيروت، فقدم لي نسخة لتلك الدراسة، بعثتها لأحد الإخوة مع مصورة كتاب «الجيم».

وفي هذا العام (١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م) صدرت تلك الدراسة مُعَرَّبَةً ضمن منشورات (الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون) تولّى ترجمتها والتقديم لها والتعليق عليها الدكتور حسن محمد الشماع، وراجعها الأستاذ الدكتور حسن ظاظا، وجاءت في ١٩٠ صفحة مطبوعة على (مطابع وإعلانات الشريف) في الرياض (؟).

ولا يملك القارىء — عند الاطلاع على طريقة المؤلف في دراسة ذلك الكتاب — إلا أنْ يعترف بأن عمله جدير بالتَّقْدِير والإعجاب، وأنه مما ينبغي أن يُتَّخَذَ قدوة ومثالاً يُحْتَذَى، في الدّراسات الجامعية وقد قام (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بنشر كتاب «الجيم» كاملاً منذ ثلاث سنوات.

أما الترجمة العربية فلم تَخْلُ من هَفَوَات كان من الممكن تداركها لو أنَّها عُرِضَت على المؤلف الألماني قبل نشرها مثل (الطهاوي) و(طهاية) ص (٥٤) و(٧١) والجازيني والثَّوِيلي (٥٤) وحمدان (٧٢) وبرطنج وابن مشهر وابن قطان (٨٥) وحاكم وحق الشيباني وابن زفار ورعبل بن قرت البسميني (٨٦)وغيرها من الأسماء العربية المحرفة.

وحَبَّذَا لَوْ تداركت الأمر الجهة التي قامت بنشر الرسالة ، ثم أعادت النشر ــ بعد التصحيح .

☐ حديث (ما) :

مؤلف للدكتور محمد بن عبد الرحمن المُفَدَّى بعنوان : «حديث (ما) أقسامها وأحكامها» جاء في مقدمته : (وأن أثري الذي أعتبره جديداً هو :

أ ــ أني حققت ــ بقدر الإمكان أنَّ (ما) لم تكن موضوعة لغير العالم ، ولكن له وللعالم .

ب ــ جمعت ما قيل عن هذه الكلمة حتى استوى كُتَيِّباً يجمع كُلَّ ما قيل عنها أو جُلَّه ــ إلى أن قال : فكل ما يصلح أنْ يُدَوَّن عنْ هذه الكلمة موجود بين دَفَّتَيْ هذا البحث) .

وجُهْدُ الدكتور المؤلف في هذا الكتاب يَتَّضِحُ لكل مَنْ عانَى مثل هذه الدراسة الْجَادَّةِ ، وطالع ما طرقه المؤلف الفاضل من مباحث متشعبة في مؤلفات كثيرة ، وأدرك ما أبداه من آراء حول ما عرضه من المسائل .

ويقع الكتاب في ١٩٢ صفحة بطباعة حسنة ، وبفهارس مفصلة .

وهو من منشورات (النادي الأدبي في الرياض) لعام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) مطبوعاً بمطابع الفرزدي .

☐ ديوان أحيحة بن الجلاح :

تَصَدَّى الدكتور حسن محمد بَاجَوْدَة ، في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ــ بجامعة الملكِ عبد العزيز ــ لدراسة شعر الشاعر الجاهليّ أُحَيْحَةَ بْنِ الجُلَاحِ الأَوْسِي ، فجمع ما عثر عليه منه ، وحقَّقَهُ ، وترجم الشاعر ترجمة موجزة وقد قام (نادي الطائف الأدبي) بنشر تلك الدراسة بعنوان «ديوان أُحَيْحَةَ بنِ الجُلَاحِ الأَوْسِي الجاهلي ــ

دراسة — جمع — تحقيق» .

ومع قلة ما في هذا الدّيوان من الشعر — وهو ما عثر عليه المحقق الفاضل — إلّا أنه لا غناء عنه للمعنيين بالدراسات الأدبية المتعلقة ببلادنا .

وقد جاء في ٩٦ صفحة .

مطبوعاً سنة ١٣٩٩ هـ (١٩٧٩ م) عن (شركة مكة للطباعة والنشر) .

☐ همسات في أذن الليل :

ديوان شعري للأستاذ الشاعر محمد العيد الخَطْرَاوي ، يحوي نحو ٤١ قصيدة ، من شعر العاطفة ، مما دفع الشاعر إلى أن يقدم الدِّيوان بحديث حول الغزل ، وأنه (فنّ شعريٌّ راقٍ ، يصدر عن إحساس مرهف ، ونفس صافية) وأورد خبر عبدالله بن عباس — رضي الله عنهما — حين استمع قصيدة عمر بن أبي ربيعة الرائية الغزليّة .

ويقع هذا الديوان في ١٥٢ صفحة صغيرة ، والطباعة جميلة بمطابع (دار الأصفهاني) في جدة ، ولم يؤرخ زمن الطبع .

ويظهر أنه الديوان الثالث للشاعر ، وقبله «مَلْحمة أمجاد الرياض» و«غناء الجرح» . والأخير يقع في ١٤٢ صفحة صغيرة ، يضم نحو ٢٦ قصيدة[1] وكل الدواوين من منشورات (نادي المدينة المنورة الأدبي) .

☐ «الإكليل» للهمداني :

كتاب الإكليل» في أخبار اليمن القديمة وآثارها وأنساب أهلها ، للحسن بن أحمد الهمداني المتوفي في منتصف القرن الرابع الهجري ، من أشهر الكتب التي عُني بها الباحثون ، وقد نُشِر ما عُثر عليه من أجزائه العشرة وهي الثامن والعاشر ، ثم الأول والثاني .

وكان للصديق العالم الجليل القاضي محمد بن علي الأكوع اهتمام وعناية بالمؤلفات

---

(١) أنظر «العرب» س ١٥ ص ٦٤٠ .

اليَمَنية واتجاه إلى مؤلفات الهمداني بصفة خاصة ، فحقق منها الْجُزْء الأول والثاني من الإكليل ، و«صفة جزيرة العرب» و«شرح الدامغة» وكلها نُشِرَت منذ سنوات وتحدثت عنها «العرب» .

ثم أعاد الأستاذ الأكوع نشر جُزْءي الإكليل في بغداد ، فصدر الأول قبل بضع سنوات .

ــ ثم صدر الثاني عن دار الْحُرِّيَّة للطباعة في بغداد) هذا العام (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) في ٤٢٠ صفحة ، والطباعة من حيث الورق والحروف حسنة .

أما من حيث الإتقان ، والسلامة من (التطبيع) فَقَلَّ كتاب لا يَتَوَلَّى مؤلفه أو محققه تصحيح تجارب الطبع أن يَخْلُو من الأخطاء التي كثيراً ما تُغَيِّر المعاني المقصودة .

والجزءان فيهما علم غزير ، أضاف إليه المحقق الأستاذ الأكوع المزيد مما يَتَعَلَّقُ بأحوال بلاده التي هو من أعرف أهل العصر بها .

إلَّا أن خُلُوَّ الكتابين من الفهارس المفصلة الوافية تجعل من الصَّعْبِ العثور على ما يرومه الباحث دائِماً .

☐ بلاد القصيم :

وصدر من كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» تأليف الباحث المحقق الأستاذ الجليل الشيخ محمد بن ناصر الْعُبُوْدي ــ صدر جُزءانِ هما :

١ ــ الجزء الرابع يضم من أسماء الأماكن ما هو مَبْدُوء بحرف الصاد وما بعدها إلى آخر ما هو مبدوء بحرف العين ، وتبلغ تلك الأسماء (٢٠٢) مئتين واسمين .
ويبدأ من صفحة ١٣١٣ حتى صفحة ١٨٠٠ .

٢ ــ الجزء الخامس يبدأ بحرف الغين حتى آخر الأسماء المبدوءة بحرف اللام ــ نحو (٣١٤ اسما) .

وفَضْلاً عما يحويه الجزءان من ذكر جميع أسماء الأماكن المأهولة والأعلام المشهورة في منطقة القصيم الإدارية ، فَقَدْ تناول البحثُ تحديد كثير من المواضع التاريخيّة التي جُهلت أسماؤها ، فَوُفِّقَ المؤلف المحقق إلى تعريف عدد كبير من تلك المواضع ، وتحديد مواقعها تحديداً قائماً على أسس من عمق الدراسة لأقوال متقدمي العلماء ، وتطبيقها على تلك المواضع ، التي زار الأستاذ المؤلف كثيراً منها فعرفها معرفة مشاهدة . ووقف أمام بعضها موقف العالم المحتاط الذي يقدم الأدلة والوصف ويترك لغيره من الباحثين المجال واثعاً .

وقد صدر الجزءان في أول هذا العام (١٤٠١ هـ) بطباعة جيدة ، ورقاً وحروف ، عن (المطابع الأهلية) في الرياض .

وكتاب «بلاد القصيم» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

☐ تاريخ الغوص على اللؤلؤ :

يصح أن يوصف هذا الكتاب بأنه (دائرة معارف عامة) عن كل ما يتعلق في موضوعه ، فمؤلفه الأستاذ الكريم سيف بن مرزوق الشّمْلان بَذَلَ جُهْداً ووَقْتاً ليس في مستطاع كل باحث بَذْلُهُا في سبيل التأليف في هذا الموضوع الطريف الذي ألف فيه الأستاذ مرزوق كتابه هذا ، ومكّنه من إحاطته بموضوعه أنه عاش في جوٍّ كانت حياة أهله تقوم على أساس الاشتغال بأعمال الغوص .

وقد تحدثت «العرب» عن الجزء الأول من هذا الكتاب ، بإبداء ملاحظات حوله في السنة العاشرة[1] وقد صدر الجزء الثاني يحوي مع المعلومات الواسعة في الموضوع — صوراً ورسوماً كثيرة ذات إرتباط بتلك المعلومات ، مُصَدَّراً بتقاريظ من مشاهير الكتّاب والباحثين للجزء الأول .

ولا يضير الكتاب عدم ترتيب أبحاثه بطريقة تُيَسِّر للقارىء الاستفادة منه بدون

---

(١) س ١١ ص ٣٢٠ . س ١٠ ص ٥٩٠ .

تصفحه كله ولعل المؤلف الفاضل يستدرك هذا بوضع فهارس مفصَّلة وافية في آخره .

وطباعة هذا الجزء جيدة من حيث الورق وحسن الإخراج ، ولم يَخْلُ من (التطبيع) مما أشار إليه المؤلف في آخره وغيره .

وقد جاء في ٥٦٨ صفحة . مطبوعاً بمطبعة حكومة الكويت عام ١٣٩٨ (١٩٧٨ م) .

وهذا الجزء وما قبله يتحدثان عن (تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج) ويليهما الجزء الثالث عن (تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الأحساء والبحرين وقطر) ثم جزء رابع عن سواحل فارس ، وجزر الخليج .

☐ **الألعاب الشعبية الكويتية :**

الأستاذ سيف مرزوق الشَّمْلان ممن اتجه للبحث في التراث الشعبي الكويتي اتّجاهاً أثمر ثمرات طيبة منها كتاب «تاريخ الغوص على اللؤلؤ» الذي صدر منه جزآن .

ومنها كتاب «الألعاب الشعبية الكويتية» وصفها وأدواتها ، وما يتعلق بها .

وقد أتحف المؤلف الكريم «العرب» بالجزء الأول من هذا الكتاب ، الذي صدر منذ سنوات (طبعته الأولى سنة ١٩٧٠ والثانية سنة ١٩٧٨ م) .

وهذا الجزء قد رُتِّبَتْ مباحثه على حروف الهجاء ، فانتهى بنهاية الكلمات المبدوءة بحرف الدال ، يذكر اسم اللعبة ويَصِفها ، وقد يلحق بالوصف صورة أَوْ رَسْماً لتلك اللعبة ، وكثيراً ما يورد كلماتٍ ليست أسماء لُعَبٍ ولكن لاستعمالها بين الأولاد ، ولهذا فالكتاب يفيد المعنيين بدراسة اللهجات في تلك البلاد .

وقد حاول المؤلف الفاضل إرجاع بعض اللعب إلى أصول قديمة ، وتوسع في الحديث عن بعض الموضوعات مما هو خارج عن موضوع الكتاب (انظر ص ١٧٧ عن الكلاب) فجاء طريفاً لا يملُّ القارىء من التنقل بين صفحاته لتعدد موضوعاته .

وفي آخر الكتاب فهرس مفصّل ، يساعد على الاستفادة مما في الكتاب بدون إضاعة وقت في البحث .

وقد وقع هذا الجزء في ٢٩٤ صفحة يحوي كثيراً من الصور ، مطبوعاً بمطابع (المقهوي) في الكويت .

الاشتراك السنوي
٤٨ ريالاً للأفراد و ١٠٠ ريال للهيئات
البريد يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء : ٨ ريالات

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها : حمد الجاسر

العنوان
دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر
شارع الملك فيصل · هاتف ٢٦٩١٥
الرياض - المملكة العربية السعودية

الجزءان ١١ و١٢ س١٥ جماديان ١٤٠١ — آذار — نيسان (مارس ، ابريل) ١٩٨١م

« دكتور » ولكن ...

تَرَدَّدْتُ في إكمال الجملة ، فكان أن نَبَّهني أحد الأخوة إلى أن عدم إكمالها أبلغ وأنسب في هذا المقام .

لقد سألني سائلٌ طلعةٌ عما ذكرته في مجلة « العرب » س ١٥ ص ٣٢٩ — من أن الدكتور سعيد عاشور — رئيس إحدى إجتماعات مؤتمر تاريخ بلاد الشام — لم يَسْمح لي بإبداء ملاحظاتي حول مُحاضرة الصديق الدكتور محمود الغُول ، وحاول أن يصرفه عن الحديث معي ، ورام السائل الكريم تعليل ذلك . وماكنت ذا رغبة في الحديث حول هذا الأمر ، لو

لم يكن ذا صلةٍ قَويَّة بحياتنا الثقافية ، وبالوسط العلمي ، فشهادة (الدكتوراه) في هذا العصر تُعتبر أقوى وسيلة تُمكِّنُ المرء — مهما بلغ من العلم — أن يَتسنَّم أرقى المراتب العلمية ، دُون أن يوصم بنقصٍ في علمه أو كفاءته أو في خُلقه ! !

والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بلغ من تلك المراتب ما لم يبلغه إلا القليل من أنداده ، فهو أستاذ تاريخ العصور الوسطى في كلية الآداب في جامعة القاهرة منذ أكثر من عشر سنوات ، وهو الآن رئيس قسم في جامعة الكويت ، وله سمعة حسنة ، ومواقف محمودة لدى بعض من تَعثَّروا في مواصلة الدراسة في كليات انتقلوا منها إلى غيرها ، فنالوا — بإشراف الدكتور سعيد عاشور — شهاداتٍ عالية .

ولقد تحدثت هذه المجلة في سنتها الرابعة (ج جُمادى الآخرة سنة ١٣٩٠ هـ ص ١١٢٤

إلى ١١٣٦) عن أثر من آثاره في مجال تحقيق كتاب من كتب التُّراث ، هو كتاب « غاية الأماني ، في أخبار القُطر اليماني » وهو عمل شورك فيه ، فقد راجعه — على ما جاء في طُرَّته الدكتور محمد مصطفىٰ زيادة — رحمه الله — إن صح هذا .

ومما جاء في مقدمة ذلك الحديث — بعد عبارات تفيض بالتّقدير للدكتور سعيد عاشور ومحاولة إضفاء العُذْر عما وقع في ذلك العمل من قُصُور بنفيه عنه : إن ما بُذِلَ في سبيل تحقيق « غاية الأماني » لا يُشرِّف عالمين أجلُّها ويُجلُّها غيري أن يُنْسَبَ اليهما تحقيق ذلك الكتاب ، بالصُّورة التي بَرَزت من خِلاَل صفحاته) .

ولقد تأثّر الدكتور سعيد من ذلك الحديث ، وبعث إليَّ كتاباً هدَّدَ وتوعَّد — بل أرغى وأزبد — فأجبته بأدب واحترام ، وطلبت منه أن يبعث إليَّ ما توعّد بنشره في (صحف أخرى) ! ووعدته بنشره كاملاً ، وأكبرتُهُ عن نشر كتابه ، ولكنه لم يبعث إليَّ شيئاً .

وماذا تُراه باعثاً ، أو مُعتذراً بِهِ عن تلك السيِّئات التي شوَّهَتْ ذلك الكتاب تَشْوِيهاً لم يقْلِلْ من قيمة الاعتماد عليه والاستفادة منه فحسب ، بل أنزله إلى مستوى الكتب التي لا يصحُّ الرجوع إليها — في طبعته تلك — لأنها تُضَلِّلُ القارىء ؟!

بم يعتذر عن إقحام لَعنٍ صحابيٍّ جليل (في الصفحات ٩٢/ ٩٣/ ٩٤/ ٩٥/ ٩٦/ ٩٩/ ١٠٠ وغيرها) لأنَّ عابثاً جاهلاً مُتأخراً عن عهد المؤلف شَوّهَ جمال تلك المخطوطة التي اتخذها الدكتور عاشور أصلاً . فلم يُفَرِّق بين الأصل وبين ما أُلحِقَ به مما ليس منه حتى في الصفحات الخارجة عن الكتاب ؟!

وبِمَ يُعَلِّلُ عدم تفرقته بين أبي حاتم المُحدث المشهور ، وبين عَدِيِّ بن حَاتم الصحابيِّ ولا بين طُلَيْحَةَ الأسديِّ وطلحة بن عبيدالله الصحابي ، فأضفى على الأوّلين ما للصحابيّين من صفات ؟!

و بماذا يُبرِّرُ وصْفَهُ الرَّحْبَة التي هي من محلات صنعاء بأنها تبعد عنها مسيرة ستة أيّام ، أو تحديده لمسجد صَنْعَاء بأن طَرَفَه على مسافة ليلتين من مكة ؟! وقِسْ على هذا كثيراً من الأمكنة التي تكرر ذكرها في الكتاب .

أما تصحيف أسماء المواضع مثل (رِمَع) و(بَيْش) و(بيشة) و(المهجم) و(المُشَلَّل) إلى زَمَعَ وبَيْنَ وبَيْته والمهجر — والمسلك ثم شرح تلك الكلمات المحرفة في صفحات:٧١/ ١٠٣/ ١٤٣/ ٢٢٧ وأمثالها كثير؟!

وتعريف بعض القبائل تعريفاً خاطئاً — فغطفان من قحطان — ص ٨٦) وكلمة (التسع) اسم العدد هو (السبيع بطن من همدان) — ص ١٦٨ — وأشياء مضحكة من هذا النوع .

وتصحيف أسماء الاعلام مثل نجدة بن عامر الحنفيِّ (حَدَّة) وتفسيرها بالمنزل الذي بين مكة والمدينة (ص ١٠٨) وجندب (حيدر) — ٨٩ — مُرَّةَ (مُزينة) ص ١١٤/ ١١٦ والحمار : (الجمار) — ١١٦ — ورُغال (دعال) — ١١٧ — والقَسري : (القُرى) — ١١٥ — وغيرها من الأسماء التي يصعب حصرها وتحريف كثير من عبارات الكتاب ، ثم تأويل ذالك التحريف بسبب جهل قراءة المخطوطة — فكل تلك الأمور ممّا أصبح مألوفاً في أعمال كثير ممن تَصَدَّوْا لتحقيق بعض المخطوطات ، والأستاذ الدكتور سعيد عاشور لَيْسَ بِدعاً من هاؤلا .

لقد أرَدْتُ خَيْراً للدكتور فأوضَحْتُ جانباً يسيراً ممّا وقع في عمله من خَطإٍ ، لكي يتداركه ما دام في إمكانه تَدَارُكه ، حاولت أن أُلقي بالتبعة على غيره ، فذكرت أن كثيراً من العلماء قد تشغلهم كثرة أعمالهم ، فيكلون القيام ببعضها إلى من يتوسَّمُون فيه القُدْرَةَ على القيام بها من طلابهم فتدفعهم الثقة إلى عدم مراجعة ذالك العمل ، إذْ لم أتَصَوَّر — ولا يمكن لأيِّ قارىء اطلع على مطبوعة ذلك الكتاب — أن يَقَع ما فيها من أخْطاءٍ سَيِّئةٍ من أقَلِّ طلبة العلم إدراكاً وفَهْماً فَضْلاً عن (دكتور) يتولى منصباً علمياً رفيعاً في احدى كبريات الجامعات في العالم .

ولكنَّ الدكتور سعيد عاشور لم ينظر إلى عملي النظرة الصحيحة التي يجب أن يُنْظَرَ بها إليه ، نظرة العالِم التي تتسع اتساعاً يرتفع بها عن الصغائر إلى المجال الرحب ، حيث تتلاقى نظرات العلماء الذين يتخلَّقُونَ بأخلاق العلم ، وله وحده ، وفي سبيله يعملون .

وقُلْ لي — بِرَبِّك — أَيُمكِن حقاً لطُلاَّبٍ يُنشِّئهم مُدَرِّسُونَ ومُرَبُّونَ لا تتجاوز نظراتهم

أهواءهم ومآربهم الخاصَّة ، أن تسمو نظراتُهم إلى الأمور أيّاً كانت عن مستوى نظرات مُدرسيْهم ؟!

قبل عشرين عاماً وصفت كتاباً مخطوطاً في «مجلة المجمع العلمي العربي» بدمشق ، أصله في مكتبة (جامعة أُبْسَالا) في السُّويد ، وبعد ذلك بزمن وصل إليَّ الكتاب من «المجمع» مطبوعاً ، ومُترجماً إلى لغة أعجمية ، وطلب مني «المجمع» إبداء ملاحظاتي حوله ، وبعد نشر تلك الملاحظات ما شعرت وأنا في مكتبي في بيروت إلا بزائر يقدم لي نفسه باسم ليس بغريب على سمعي ، فلما استوضحت منه قال : أنا (كريستوفر تُلّ) أتيت إليك لأشكرك ، فقد قرأت ما نشرته «مجلة المجمع» حول كتاب «الجوهرتين» .

إنَّه (الدكتور) الذي نشر ذلك الكتاب وترجمه . وقد نقدت جوانب من عمله ، ولكن ذلك لم يَحُلْ بينه وبين المجيء إليَّ مُظهراً سروره وتقديره ، بحيث اتَّصَلَ التعارف والتواصل بيني وبينه .

و(دكتور) آخر هو (جورج لنشفسكي) فقد هَفَا هَفْوَة أثناء ترحيبه بوفد صحفي كنت فيه — في حفل أقامه (اتحاد الطلبة العرب) في (جامعة بركلي) من ولاية (كليفورنيا) عام ١٩٦٠ م فكان مما قال — مُعَرَّباً — (وها أنتم الآن تشاهدون جامعاتنا مفتحة الأبواب للطلاب العرب ، من أي البلاد) قال ذلك بمعرض لا يخلو من الامتنان ، فلما تحدثت — بعده — أوضحت أنَّ العلم لا يَصحّ أن يُمتنَّ به لأنَّ لكل إنسان على ظهر البسيطة أن ينال نصيبه منه كاملاً غَيْر منقوص ، اذ هو تُراث جميع الأمم ، لا تختصُّ به أُمَّةٌ دون أخرى ، ولهذا فإنَّ لكل امرىء من أيِّ أُمَّةٍ من أُمم العالم له فيه حَقٌّ .

فما كان من ذلك (الدكتور) إلاَّ أن طلب التَّعقيب على حديثي شاكراً ومُعْتَرفاً بهفوته ، وكان ذلك من الأسباب التي دفعته إلى أن يبعث إليَّ بعض مؤلفاته . وَلَن أُطيل ، بل أَدَع للقارىء المقارنة بين موقف هذين العالِمين الغربيين معي وبين موقف (الدكتور) سعيد عاشور ، راجياً من القارىء الكريم أن يُلقي نظرة على عمله في كتاب «غاية الأماني في أخبار القطر اليماني» قبل أن يَصِمني بوَصْمةٍ أنا منها بريء .

وها هي صورة أخرى لـ(دكتور) آخر ، لم يبلغ من الشهرة والمكانة ما بلغه من قبله ، إنَّهُ

البقية ص ٨٠٥

التعليقات والنوادر

لأبي علي الهجري

(الجزء الأول)

بتحقيق د. حمود عبد الأمير الحمادي (مطبوعات وزارة الثقافة العراقية — بغداد ١٩٨٠)

يرجع الفضل الكبير إلى الأستاذ الجليل الشيخ حمد الجاسر في التعريف بهذا الكتاب النفيس ، فهو أشهر من شارك في درس أبي عليّ الهجري وعرّف به وبهذا الكتاب .

ولا شك أن ما كتبه أستاذنا الجليل في هذا الأمر قد دفع السيد الحمادي بل أغراه لتحقيق «التعليقات والنوادر» كما حفزت كتاباته النافعة الفريدة أخاً له من قبل هو الدكتور خليل العطية الذي اضطلع باخراج «التقفية» لِلْبَندنيجي . وتلك يَدٌ نعرفها لشيخنا الجليل من عوارفه وكمالاته .

لقد اقتحم الدكتور الحماديّ هذا الأمر اقتحاماً لم يتهيأ له ولَمْ يَحْسِبْ له الحساب .

(الدكتور عبد الأمير[1] الحمَّادي) محقق كتاب «التعليقات والنوادر» للهجري ، ولكنها صورة على درجة من البشاعة تستدعي إبرازها كاملة بعد أن أبْرز أستاذنا الجليل الدكتور ابراهيم السامرائي ، جانباً من جوانبها ، ولعله استبشع الجانب الآخر ، فسَارَ على حدِّ المثل (يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) .

حمد الجاسر

---

(١) التعبيد لغير الله لا يجيزه الدين الإسلامي .

وذلك لأنَّ هذه «التعليقات والنوادر» نماذج من أدب قديم ، لم نجد أغلبه في أيِّ كتابٍ من مصادرنا الأدبية والتاريخية .

ثم إنَّ مَوَادَّ هذه التعليقات والنوادر تتجاوز الشعر القديم إلى شيء كثير يتَّصل بالأنساب والأعلام مع بسطة وافية تشتمل على المواضع من جبل ووادٍ وسهل وبقاع أخرى تتصل بهذا العلم «الجغرافي» القديم .

لـم مـاذا ؟

لقد حفلت «النوادر» بطائفة لغوية ، لعلَّ شيئاً كثيراً مِنْها يصح أنْ يُسْتَدْرَكَ به على أُمَّات المعجمات .

قلتُ : إنَّ السيِّد الحادِيَّ لم يُعِدّ نفسه إعداداً كافياً لخوض هذه الغمار ، على أنه بذل ما بذل من جهد كبير . قد نأخذ على السيد المحقق طائفة من المسائل ، وقد نجد له في الوقت نفسه فسحةً من عُذْرٍ .

إنَّ للكتاب الذي نعرض له في هذه الأثارة أصْلاً مخطوطاً فريداً هو نسخة دار الكتب المصرية ، وقد شاء السيد المحقق أن يَعُدَّ نُسْخَةً أخرى انتسخت من الأولى بعد القرن العاشر نسخة ثانية .

لقد قدّم المحقق لعمله هذا بمقدمة تكلم فيها على المصنف فأتى على سيرته التي لم يجد منها في المصادر الشيء الكثير إلا نبذة يسيرة ذكرها ياقوت في «الإرشاد» كما تكلم على الكتاب في النسختين الخطيّتين ، وعرض لمادته وطريقته .

وقد احتفل المحقق أيَّما احتفال بهذا الكتاب ، وجعله موضوعاً لنيل درجة الدكتوراه . لقد أحسن صنعاً لو أنه استطاع أن يَجْلُو هذا الوجه المُتجهِّم العابس الذي بدا في صنيعه . ولو أن احتفاله وفرحته بالمخطوط رافقهما عنايةٌ وإفراغ الْوسع في التحقيق والعمل لكان له أنْ يَفْخَرَ بل يُزْهى على غيره من أهل التَّحقيق لنشره عملاً صعباً ليس له من الأصول ما يُعين على الإجادة ، وأنه ينشر أول مرة . وحَسْبك أن تَعلم أنَّ ناشر النَّصِّ القديم أوَّلَ مرة مُجَاهِدٌ في اقتحامه الصِّعَاب في أكثر الأحايين . ولو أنَّ المحقق خرج من

جهاده بشيء من النصر لكنت أحمد له جهاده ونضاله . ولا أطيل عليك أيها القارىء فقد نشرت «التعليقات والنوادر» ، وهي دونك تقرؤها فتحس أنَّ في كل صفحة منها من المُصَحَّفِ أو النَّاقص أو المُزَال عن جهته وحقيقته شيئاً غير قليل . وأنك في كثير من صفحات الكتاب لا تفهم ما يُراد لما قَدْ عرض للنص من آفاتٍ أحالته وسَلَبَتْ رُواءه .

تقرأ التعليق اللغوي فتجده مُنْقطعاً عن مادّةٍ لا بُدَّ أنْ تكون قد سبقته هي أبيات في الغالب ، فهل لنا أن نتجاهل أنَّ الأبْيَاتَ سقطت لأننا لا نُدْرِكُ العلاقَةَ بين هذه المادَّة اللُّغَوِيَّةِ وهي التَّعليق وما يسبقها من مَوادَّ . ومثل هذا كثير لا حصر له .

ولو أنَّ شيئاً من هذا قد استرعى نظر السِّيِّد المحقق فأشار إليه في حواشيه لهان الأمر ولدفع عن نفسه ما ليس هو بمسؤولٍ عنه .

وقد تلمح كَثْرَة حواشي المحقق فتحملها على أنه بذل ما بذل من جُهْدٍ ، ولكنك تقرؤها فتجد أنَّ شيئاً كثيراً منها غير مفيد الفائدة اللازمة ، فهو لا يُشير الى ما يُحْمَلُ على أنه قد سقط من النَّصِّ ، وهو لا يشير إلى شيء كان ينبغي أن يُشار إليه كإيضاح غامض أو إقامة عِوج من مُصحَّفٍ أو مُزالٍ عن جهته أو التعريف بِعَلَمٍ يَشتبه فيه بآخر أو لم يذكر إلا في الكنية أو اللقب .

ولو أنَّ القارىء المعنيَّ بهذا الكتاب قد قرأه لأدرك أني لَمْ أجُر عليه ولم آلُ في هذا النقد من المحقق ، فَقَدْ عَرَضْتُ لمسائل يسيرة وتجاوزتُ ما يتَّصِلُ منها بالمواضع والجبال والمياه وغيرها مما عرض له الوهن والتصحيف إلى أهل هذا الفن من ذوي الاختصاص ، كما تجاوَزْتُ عما يَتصل بالأنساب والأعلام القديمة لغيري ليشاركوا في إقامة هذا البناء الذي لم يَسْتَقِرَّ على قواعده .

وها أنا أبدأ هذه الرحلة فأقِفُ على ما بدا لي انه غير مستقيم فأقول :

١ ــ جاء في الصفحة ٤٠ وهي الصفحة الثانية من أصل الكتاب قول الشاعر من جملة أبيات :

مَنَازل أُمِّ العَمْرِ حِينَ تَحلُّهُ وتجْتَابُ فيه الحنظليَّ المهتَّما

أقول : ليس في كتب اللغة وأمّات المعجات (الخنلي) ولا (الحَنْلي) ولكنني أعرف أن فيها «الخنلة والحَنْلة» بمعنى السرعة ، فما معنى «الخنلي»؟ ولِمَ الوصف بـ(المهتّم) وهو المكسّر الثنايا ، وكيف (تجناب الحَنْلي المهتّما) ؟ كل هذا أمر غامض أشدّ الغموض لا وجه إلى الفصل به .

أقول : إذا كان هذا على ما أشرت من الغموض فهلا كان على المحقق أن يشير إلى شيء من ذلك فيدفع عن نفسه طائلة إقْرار الخطإ والغُموض والتصحيف وما يتصل بهذا مما أحال النَّصَ وأبعده عن حقيقته ؟

والمحقق مُوْلَع بضبط الشكل ولكنه في كثير من الأحيان يسيء الضَّبْطَ فيولد خَطَأً أجدُ من الصعب عليَّ أنَّ أحمِله على ما يقترفه عامل المطبعة . ومن هذا (الخنلي) فقد شدّد اللام ولم يفطن إلى الوزن في الأقل ، ومثل هذا كثير لا حصر له .

وعلى هذا كنت أَميْلُ إلى أنَّ أُشارك المحقق في (احتفاله) وفرحته بالكتاب لو أنه شقّ مثلي بهذه المادَّة المعوجة. ولو أنَّه فعل ذلك لكان لنا من الكتاب خير كثير.

٢ — وجاء في الصفحة نفسها البيت الذي يلي البيت الذي أشرنا إليه :

سَلاَلِيَ أُمَّ العَمْر فِيْمَ يَلُوْمُهَا ولَمْ تَأْتِ مَكْروهاً ولم تَغْشَ مَأْثَما

أقول : والصواب : (مأثما) من الإثم ولا مكان للمأْتِمَ فهل لنا أن نحمل ذلك على سوء الطبع ؟

٣ — وجاء في الصفحة نفسها البيت :

دَعَوْتُ وَلبيَّ النَّاسِ فِيْمَا دَعَوْتُهُ يَلقّه (كذا) مِنْ شَيْبَان جَيْشاً عَرَمْرَمَا

أقول : إذا كنَّا نَقْرأْ ما في البيت (يلقّه) فلا نَهْتَدي إلى أيِّ مَعْنَى ، ولا يستقيم بذلك البيت وزناً ومعنىً . ولم يشر إلى شيء من ذلك المحقق في حاشيته التي اقتصرت على قوله :

.... بنو شيبان بن ذهل بن ثعلبة ....

أنظر «نهاية الأرب» ... انتهت الحاشية .

فهل كان هذا هو (التحقيق) ؟ وماذا أفاد القارىء من أبيات لا نعرف من معناها ومبناها إلا القليل .

٤ — وجاء في الصفحة ٤١ بيت سادس من هذه المقطوعة :

فأضحى صريعاً تحجلُ الطَّيْرُ حوله وتَبْقى زماناً بَعْدَه وتأيُّما (كذا)

أقول : لم أفهم كلمة (تأيُّم) بهذا الشكل وهي مصدر (تأيَّمَ) الفعل ، ولم يسأل المحقق نفسه لماذا نُصِبَتْ ، ثم ما معناها في المعنى العام للبيت .

أقول : لعلها (تتأيَّما) .

٥ — وتنتهي هذه المقطوعة بأبياتها التسع ثم يأتي كلام على :

المُرضع والمرضعة والعاصف والعاصفة وكيف تختم بالهاء للتأنيث وتعرّى منها ومتى يكون كل وجه من الوجهين .

أقول : نقرأ هذه المادة اللغوية وهي منقطعة عما قبلها فليس في أبيات المقطوعة (مرضع) ولا (عاصف) ولا أي صفة من هذا النوع مما يقبل علامة التأنيث ويعرّى منها ، فهل لنا أن نقول إنَّ شيئاً قد سقط من مادة الكتاب أو أن خللاً عرض له ؟ سكت المحقق ولم يُشِرْ إلى شيء من ذلك .

٦ — وجاء في الصفحة ٤٢ الرجز الآتي :

ثم نمَتْ والمُنى لا تَجدي (كذا)

بئرُ بني ضميرة بن سعد .

من بني زعب بن مالك بن خُفاف من مكافي الحرة المنجدة .

أقول : لم أفهم قوله (من مكافي الحرة المنجدة) .

لعلها : من مكان في الحرّة المنجدة .

٧ — وجاء في الصفحة نفسها في الحاشية ٥ قول المحقق في التعريف بـ(المزني) الذي ورد في النص في الصفحة نفسها :

المزني : اعتقد هو عبدالله ذو البِجَادَيْن المزني .
أقول : قد يكون المزني هو عبدالله ذَو البِجَادَين الذي انقطع اعتقاد المحقق إليه ، وقد يكون آخر[1] ، ولم يشر المحقق إلى الدلائل التي استرجحها فبنى عليها اعتقاده .

٨ ــ وجاء في حاشية أخرى للمحقق في الصفحة نفسها :

الرِفد ــ بالكسر ــ العطاء والصلة . أنظر اللسان (رفد) ١٦٢/٤ .

أقول : هذا مثل من أمثال كثيرة للحواشي غير المفيدة ، ألا ترى أن (الرفد) مما يعرفه الشُدَاة ، والذي يرجع الى كتاب «التعليقات» مُستَغنٍ عن هذه الفوائد المعروفة .

٩ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

أنشدني المزنيّ لابن نعمة ولعزب (كذا) فقال :

على غِــرَّةٍ والـــيهـــا وربّما رمين على الغِرّات رَمْيَ الوقائف

أقول : وصدر البيت غير مستقيم وزناً ولا يتجه فيه شيء من المعنى .

١٠ ــ وجاء في الصفحة ٤٣ قول المصنف :

أنشدني القشيري رحمة بن مفرج : (الرجز) .

إِذَا وَرَدْنَا آجناً جَهَرْنَاهُ
أَوْ خَالِياً من أَهْلِهِ عَمَرْنَاهُ

أقول : ضَبَطَ (الرجز) بضم الهاء في (جَهَرناه) و(عَمَرْناه) ، والوزن يقتضي السكون . ولم يفطن المحقق أنَّ البيتين من بحر السريع كما نبيّن :

إذا وَرَدْ	نا آجناً	جَهَرناهْ
مستفعِلن	مستفعلن	مفعولان

(١) «العرب» : وهو الصواب اذ ذو البجادين توفي في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، وقد كرر الحمادي هذا الخطأ (ص ٥٩) والمُزَني المذكور ممن روى عنهم الـهَجريُّ أي من أهل القرن الثالث الهجري ، فلعلة المزني الذي ذكره في موضع آخر (الدرزي المزني) .

وقد خفي أمر (السريع) على المحقق مرات عدة فحمله على الرجز كما سنرى .

١١ — وجاء في الصفحة ٤٤ البيت :

لها أجهل من حَافَتيها كليهما طِوال الذُّرَى تُرمى بهنّ الوقائف

أقول : كأنَّ المحقق أدرك معنى (أجهل) وفهم المراد بالبيت جملة ، فلم يشر إلى شيء من ذلك ، فما (الأجهل) ؟ وما المراد بالبيت ؟

إنَّ هذه المواد الغامضة بسبب من التصحيف والتحريف وغيرهما جعلت النَّصَّ مُسْتغلقاً ، وكم لهذا من أمثال كثيرة في الكتاب تتجاوز الحصر ، ذلك أنَّ القارىء يُواجِهُ في كل صفحة بيتاً أو مقطوعَةً أو رَجَزاً بأكمله لا يمكن أن يتوجه إلى صواب واضح .

١٢ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وأنشدني الأشجعي والرزّني (كذا) بطن من دَرْمَا لبعض طيء

وعلق المحقق على الأشجعي معرّفاً به ، وقد كفاه الأستاذ الجاسر مؤونة الخوض في المصادر فأشار في كتابه «أبو علي الهجري» إلى أن «الأشجعي» هو أطيط بن سعد .

ولم يكلف المحقق نفسه في التعريف بـ«الرزّني» ومن يكون ، أخو الرزّني أم شيء آخر ، لقد أغفله وكأنه مشهور معلوم .

ولم يهمز المحقق (درما) وهي ممدودة ، قالوا : دَرْمَاءُ طَيِّءٍ . وهذا الوهم يرجع إلى أن المحقق يرى الكلمة غير مهموزة في المخطوط فيثبتها على حالها . ومن المعلوم أنَّ النساخ كانوا يتخففون كثيراً من رسم الهمزة في أول الكلمة ، ووسطها وآخرها .

١٣ — وجاء في الصفحة ٤٥ قول المصنف :

المزنيّ (كذا) .

ثم ورد بعده رجَز وقبله رَجز وفي كل ذلك من الكلم المعدول عن جهته شيء لم يسترع انتباه المحقق .

وقد علق السيد المحقق على (المزني) فقال في حاشيته :

نسبة إلى مزينة بنت كلب .

أقول : وهل من فائدة في هذه الحاشية ، زادت النّص وضوحاً ؟

١٤ ــ وجاء في الصفحة ٤٦ قول المصنف :

والبُدْن والبُدون : الكثير مسان الأرْوَى يَجَكُّ قَرْنَيْه بأصل الساق .

أقول : كان على المحقّق أن يُشير إلى ما اختص به الهجريُّ من ذكر الفوائد اللغويَّة
التي لا توجد في مُعْجمات اللغة ، ومنها ما تفرّد بذكره الهجري . ذكره في التعليق على
رجز هو :

لكنّها من بُدُن زعّاق

ثم إنَّ في كلام المصنف الذي أثبته المحقق وأقرّه ولم يشك فيه شيئاً لا بُدَّ مِن الوقوف
عليه وهو :

والبُـدُن والبُدُون الكثير مَسانّ الأروى ..

أقول : هو : البُدْن والبُدُن (بضمتين) الكبير من مَسانّ الأروى . وبذلك يتجه
الكلام وذلك لأن (البدون) ليس جمعاً لـ(بَدْنة) الواحدة ، ولم تكن الواو إلا ضمة
فوق الدال ربّما أزلّها النسّاخ عن مكانها الحقيقيّ فتولد الخطأ .

ثم لا معنى للكثير وإنما هو الكبير .

١٥ ــ وجاء في الصفحة ٤٧ قول المصنف في بداية السطر :

(الغرّ) وكأنّها بَدْءٌ لتعليق لغويٍّ على عادة المؤلف ، وليس في الرجز الذي يسبق هذه
الكلمة شيء من هذا ولا يتصل بـ(الغر) من قريب أو بعيد .

فماذا نقول ؟ أسقط الشعر الذي وردت فيه كلمة (الغرّ) أم كانت هذه الكلمة
مصحفة عن شيء آخر .

وما أظن أنّ المصنف يقف على (الغُرّ) جمع (الأغر) كما ذكر المحقق في حاشيته غير
المفيدة .

١٦ ــ وجاء في الصفحة ٥٠ قول المصنف :

وقال : هي المَشرِقة ــ بجرّ الراء ــ .

أقول : وقول المصنف في (المشرقة) لا يتصل بالمقطوعة التي قبله فليس فيها هذا اللفظ أو ما في معناه .

ألنا أن نفترض أنَّ شيئاً من النّص قد سقط ؟

لم يقل لنا المحقق شيئاً وكأن لا شيء يستحق التَّعْلِيْق .

١٧ ــ وجاء في الصفحتين ٥١ ، ٥٢ من كلام المصنف على النُّوق وأصْنَافِهَا من الفرق والجَذَعة والحِقَّةِ وبَنَاتِ اللَّبْن (لا اللُّبن) كما أثبت المحقق ، والهُجْن . ثم أعقبه بكلام على اهتجان الشباب وتغيّر الشيخ ، ثم أعقبه بشيءٍ يتَّصِلُ بـ(العَوار) في العين ، والطلوب (التي تحولت لدى المحقق الى الطلون) من البِئار بعيدة القعر وشيء آخر يتصل بالبئر كالعقاب والضرس .

أقول : كل ذلك مادة لغوية لا صلة لها بالنَّصِّ الذي يسبقها فليس فيه أيُّ شيء من ذلك . لم ينتبه المحقق إلى شيء من ذلك .

١٨ ــ وجاء في الصفحتين ٥٤ ، ٥٥ كلام للمصنف على مواضع هي جبل وسيل وهضبة ونحو ذلك فقال :

وسألت الباهلي عن تَيْمَن فقال :

. . . . . .

وفي آخر قول الباهلي ورد : واليربض خسف في الأرض به ماءٌ وكلّ ماءٌ (كذا) أسمينا (كذا) بالشريف ، وجُذّته هضبة عن الكلاب بميلين تدفع في الكلاب .

فعلق المحقق على (ماءٌ) في الحاشية ٧ ص ٥٤ فقال :

في (أ ، ب) وكل ماء وهو تحريف .

أقول : لا أدري أين (التَّحْريف) أفي الأصلين (أ ، ب) أم في نصه (وكلّ ماءٌ) هذا هو العبث الذي يسمى تحقيقاً .

ولعل (أسمينا) : هي أسميناه ، وجُذّته : هي (حُذُنّةُ)[1] .

١٩ — وجاء في الصفحة ٥٥ قول المصنف :

وأنشدني المسلّم بن أحمد .... الحربي لمحمد بن القضِيم (كذا) بن زيد البكايّ (كذا) .

أقول : هو البَكّائي والنسبة إلى ربيعة البكّاء بن عامر . أنظر جمهرة أنساب العرب ٦٤ ، وقد أشار المحقق إلى المصدر ولم يستفد منه .

٢٠ — وجاء في الصفحة ٥٦ البيت :

وفاءتْ رجال المُصعبين وخيَّمت رجال وهابت صَيدُها وصقورها

وقد علق السيد المحقق على كلمة «فاءت» بقوله في الحاشية (٦) :

وتَفَيَّأتِ الشَّجَرَةُ وفاءت تفيئة كَثُرَ فيؤها . ويقال للحديدة اذا كلّت بعد حِدتها فاءت (اللسان) فتأ) .

أقول : وهل أفاد القاريء شيئاً من هذه التعليقة ؟ وأين هذا من البيت ؟ وهل الكلمة في البيت محتاجة إلى هذا الإثقال ؟

وصواب «صَيدها) بالفتح (صِيدها) بالكسر جمع أصيد ،

ثم أعقبه البيت كلام للمصنف في الغُفر ولد الأرويّة ، والطَليّ ولد الضَّأنِ والجوْة وغير ذلك ، وكله مما لا علاقة له بنص يسبقه ، ولم يُشِر المحقق إلى ذلك . ثم أعقب ذلك كلام آخر جديد فقال : رجل سَقُط وتكلم عَلَى المعنى والدلالة وهو كسابقه كلام منقطع غير متصل . واستدل المصنف على السقط بقول الشاعر :

آبي المضيمة ناءٍ بالعظيمة مِـ(كذا) تْلاَفِ الكريمة لاسقط ولاوانِ

---

[1] «العرب» : النصّ كما في ص ١١٦ «أبو علي الهَجري» وحُذُنّة هضيبة ذات رءوس لا تزال معروفة وانظر عن تحديد موقعها كتاب «عالية نجد» أحد «أقسام المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) .

أقول : لقد أثْبَتُّ البيتَ كما ضبطه المحقق ، وصوابه :

آبي المضيمة ناء بالعظيمة متـ ـلاَفُ الكريمة لاسِقْطٌ وَلاَوَاني

والبيت من (البسيط) لا (الكامل) كما أثبت المحقق .

وللبيت رواية أخرى في اللسان (ودق) ..

٢١ — وجاء في الصفحة ٥٩ قول المصنف :

وساق بالنبي — صلى الله عليه — سانداً في الغائر .... في (مُهاجره) (كذا) وهو (أبي عبدالله بن ذي البِجَادَيْن المزني) ينشد :

تَعَرَّضِ مدارجاً وَسُوْمِي
تَعَرُّضَ الْجَوزَاءِ للنُّجوم .

أقول : والصواب : تَعَرَّضي ، وبه يستقيم الرجز .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٦٢ قول المصنف :

فصائل مالك بن جعفر : بنو سلمى والإضافة إليه سِلْميٌّ ، مثل عَمريّ .. أقول : والصواب سَلْميّ بفتح السين .

وكان من المفيد أن يشار إلى أن اللغويين يَسْتَعْملون (الإضافة) بمعنى النّسبة .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٦٤ قول المصنف :

وخِضَيَل رهط بزيع ...

أقول : وكان الواجب أن يضبط «بَزيع» بفتح الباء مثل كريم ورحيم . وبَزيع غير واحد من المحدِّثين .

٢٤ — وجاء في الصفحة ٦٩ قول المصنف :

إذا خرجت من فَيد تريد بالس وحمص من الشّام فأنت داخل تحت مهَبّ الشمال سلكتَ ناحية الصُحر..

أقول : والصواب .. وأنت داخل تحت مهبّ الشمال سلكت لأن جواب (اذا) هو (سلكت) .

وجاء في الصفحة ٧٣ قول المصنف :

وقال السُّلَيميُّون : ..

أقول : والنسبة إلى «سُلَيْم» سُلَميّ (بحذف ياء التصغير) مثل قُرَيش وقُرَشي وغير ذلك ..

٢٥ — وجاء في الصفحة ٧٥ قول المصنف :

الأربعون هو أدنى ما يحتمي من العدو بالغور والنجد ، والقلة في الغور أولى بالاسم لاستيزائهم الى الأحجاء والأوزاء ..

وقد علق المحقق على كلمة (الاستيزاء) فقال :

التياز (بتشديد التاء والياء وفتحها) الرجل الذي يتيَّز لأنه يتقلع في الأرض تقلّعاً ، تاز يتوز توزاً ويتيز تيزاً !

أقول : وليس (الاستيزاء) من تاز يتوز ويتيز بل هو من (استوزى) من مادة (وَزَى يَزِي) بمعنى انتصب .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٧٦ قول المصنف في تعليقة لغوية لا تتصل بنَصٍّ شعري قبلها وقد أغفل المحقق كل ذلك :

.... وهو النِّمر (كذا) وجمعه نمُور ونُمرٌ ونَمرات ونِمار وأنمار وأفصحها النمور والنَمران (كذا) .

أقول : ولم يرد (النمِرَان) جمعاً لـ(نَمِر) ولعله (نِمران) مثل ذئب وذِئبان بكسر النون لا فتحها ، أما (نَمرات) فهي مصحفة عن (نَمِرات) إلا أن تكون من لغة الأطفال أو جمعاً لـ(نَمِرة) مؤنثاً . هو (النمر) بفتح فكسر لا (النمر) بكسر النون كما أثبت المحقق .

٢٧ — وجاء في الصفحة ٧٧ قول المصنف :

الفَضَّة والفضاض مثل الوَجار (كذا) والسيب يكون السباع (كذا) في الجبال والحرار..

أقول : لم أستطع أن أجِدَ وَجْهاً لكلمة (الفضّة أو الفِضَاض) يؤدي الوجار أو (الوَجار) بالفتح كما أراد المحقق.

ليس لي إلا أن أقول إن (الفضّة والفضاض) هما (الغَيضة والغياض) والغيضة الأجمة ومُلتفّ الشجر وهي ملجأ الوحوش الكواسر كالأسد والضبع وغيرهما.

وليس (السيَب) إلاَّ (السَّرَب) وهو سَرَبُ الضَبع ، ويكون للسباع لا كما قال المحقق .. (يكون السباع).

٢٨ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

اللِّحقة واللِّحاق — بجرّ اللام — في السيف يكون فوق الجَفن يُشرَح على مقاديم السيف..

أقول : إذا كان هذا من الفوائد التي لا نجِدها في معجمات العربية أما كان من الواجب أن يشير إلى ذلك المحقق ؟

٢٩ — وجاء في الصفحة نفسها الرجز الآتي :

إذا زيادٌ فوقها اقلعفّا
وجَعَلَتْ رؤوسَ الغضاة طفّا
أقول : والصواب : وجَعَلَتْ رَأْسَ الغضاة طَفّا

٣٠ — وجاء في الصفحة ٧٨ قول المصنف :

وحجر شَعاعة..

ولم أدرْ ما المراد ولم أجد في كتب اللغة شَيئاً من ذلك ، ولم يشر المحقق إليها ولا علق بشيء..

٣١ — وجاء في الصفحة ٧٨ قول المصنف :

عَسِبَ الكلب إذا غَلِمَ ، وقَطِمَ الفحل ، وغَلِمَ الرجل .
أقول : والصواب : قَطِمَ لا (قطيم) كما أثبت المحقق .

٣٢ ـــ وجاء في الصفحة ٧٩ قول المصنف :

رماك الله بذَبحة تقحذ منك ..
أقول : والصواب تُقَحْذِمُك أي تعجل عليك بالموت ، وليس تقحذ منك .

٣٣ ـــ وجاء في الصفحة ٧٩ من قول المصنف :

الحَبَطة : أثر الجرح وقد برأ ، حبرة ناتئة ، ولحقهم الغيث للذين يغشونهم . أقول : ولا ترى أي صلة بين أجزاء هذا الكلام وما علاقة (الحبطة) وهي أثر الجرح وقد برأ ، بـ(الحبرة الناتئة) وما المراد بـ(لحقهم الغيث للذين يغشونهم) .

٣٤ ـــ وجاء في الصفحة ٨٢ قول المصنف :

سَرُع الفرس يسرُع سرعاً لكل من أسرَعَ من رجل وروحاني !
أقول : وما معنى قوله : (وروحاني) من غير شك أنها شيء آخر وقد تصحف الى (روحاني) .

٣٥ ـــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

إذَا أنــزلتهــا رفــعــة مضريــة وأخــرى يمانيٌّ أمَـدَّ تـريـدهـا

وقد علق المحقق على البيت في الحاشية(٢) فجاء فيها :

هامش الأصل : لا تشد والشام ولا يماني ولا تهام ، وغير ذلك من المنسوب اليه يشد ...

أقول : وهذا الهامش الذي أثبته المحقق غير مفهوم ولم يفهمه هو ولو كان قد فهمه لشرحه وأبان غموضه ثم قوّم أَوَدَهُ . أو يماني مخفّفا . والمراد منه : ان المنسوب إلى اليمن (يَمَان) أو يماني محقّقا والى الشام (شآم) أو شـآمي (بالتخفيف) والى تِهامة (تَهام) أو تَهامِي (بالتخفيف) .

٣٦ ــ وجاء في الصفحة ٨٣ قول المصنف :

وقال الْقِرديّ : وهب المَنسبة (بجز السين) تشبيب القصيدة وهو التسيّب .

أقول : وأظن أنّ كلمة «وهب» قد دُسَّت ولا معنى لها في السِّياق . وصواب الكلام كله :

المنسِبة : نسيب القصيدة وهو التشبيب لا التسيّب .

٣٧ ــ وجاء في الصفحة ٨٤ قول المصنف :

ويقولون الشُبوب (كذا) مثل حُسنّ البقر الوحشية ..

أقول : ولا يَتَّجهُ الكلام إلا حين نقول :

ويقولون الشبوب (بفتح الشين لا ضمها) من مَسانّ الإبل الوحشية ،

٣٨ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

واذا رَعَت التُهمة جاء العسل شردواً ..

أقول : والصواب هو الشَّورْ ، ويسمى العسل شَوْراً وهو من باب تسمية الشيء بالمصدر ، شار يشور شوراً .. وقد تكرر الخطأ في الصفحة (٨٥) فصار الشور (شِرواً) (كذا) .

٣٩ ــ وجاء في الصفحة ٨٥ قول المصنف :

وقال الهذلي ..

فعلق المحقق على «الهذلي» في الحاشية (١) فقال نسبة إلى بني هذيل !!

أقول : وهل كان المحقق يشك أن أحداً من القراء كائناً من كان يجهل هذا ؟

٤٠ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وقال الزهيري والتَّبالي والخثعمي ..

فعلق المحقق على قوله «الخثعمي» في الحاشية (٢) . فقال :

نسبة إلى خشام (كذا) والصواب خثعم بن أنمار..

وكان على المحقق أيضاً أن يشير إلى أنَّ (خثعم) اسم جبل فمن نزله فهم خثعميّون.

٤١ — وجاء في الصفحة ٨٦ قول المصنف:

وجلّه الوادي (كذا).. مفتوحة الجيم..

أقول: والصواب: جُلْهَة الوادي.

٤٢ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

.... والضَقَة مفتوحة أيضاً.

أقول: والصواب الصَنَفَة بالصاد مفتوحة بعدها نون مفتوحة أيضاً ما غَلُظ من الحرّة.

٤٣ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف:

الكَرَبة.. فعلّق المحقق في حاشيته فقال:

الكَرَبة: فصل ما بين الجبلين، وجمعه كراب «نظام الغريب» ص ٢٢٤.

ثم قال المصنف في الصفحة ٨٧: وأدنى العدد للكربة كَرَبات، فعلّق المحقق ثانية فقال: الكَرَب أصول السعف العِراض التي تيْبس مثل الكتف واحدتها كَرَبَة (اللسان).

أقول: ولا ندري أيهما أراد المصنّف ولم يُشر المحقق إلى المراد من الشاهد الذي أتى به المصنف مستشهداً على (الكَرَبات).

قال عمارة الخثمي (كذا):

أبَتْ كَرَبات بين جبلان فالشَرَى فؤادي غار (كذا) أن تَرَى أبداً نُعا

أقول: أني استرجح أن ليس لأُصُولِ السَّعَفِ مكانٌ في كلام المصنف بل المراد الموضع.

٤٤ ــ وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

والجَهاء (بفتح الجيم) ممدود ، جمع جَهوة .
أقول : هذا ما انفرد به الهجريُّ ، وإذا كان هذا فلا بد أنْ يكسر الجيم لأنه ليس بناء (فَعال) بفتح الفاء من أبنية جموع التكسير بل هو (فِعال) بالكسر.

٤٥ ــ وجاء في الصفحة ٨٩ قول المصنف :

وقال العزيني : من هلال شَحُبَتْ .
وقد علق المحقق على « العزيني » فقال : لم تفصح عنه المصادر ولعله القريني أقول : ويحتمل أن يكون العُريني أو آخر ! !

غير أن المحقق لم يعلق على قول المصنف « من هلال شحبت » هذه الجملة التي لا تفصح عن أي معنى .

٤٦ ــ وجاء في الصفحة ٩٠ قول المصنف :

ومثله قول : خُلَيْدٌ عَيْنَيَنَ العَصَريُّ يرثي المنذر بن الجارود الْعَبْديَّ :
تذرو عليه الريح مَوْرَ الدَّرِينْ . ... (الرَّجَز)
أقول : وهذا مثل آخر من بحر السريع الذي حمله المحقق على الرجز
مستفعلن مستفعلن مفعولان

٤٧ ــ وجاء في الصفحة ٩١ قول المصنف :

في العَنِفة والعنيفات ، والعَرِفة والعريفات ، والوَدِقة والوَدِقات للسحاب دون العليا ، وهي المطر (كذا) أيضاً .

وقد علق المحقق على كلمة (الودقة) فقال في حاشيته :
في (أ ، ب) الودفة (بالفاء) وهو تصحيف ، حيث الوَدِقة (بفتح الدال) الروضة الخضراء المطورة اللينة (اللسان) .

وجاء وذقت السماء وأودقت ، وسحابة وأدقة ، والودق المطر (اللسان) .
أقول : لقد اقتصر الشرح على (الودقة) ونفي أن تكون بالفاء ، وكأن الكلمتين

وهما : عنفة وعرفة «لا شيء فيهما من غموض واشكال .

٤٨ — وجاء في الصفحة ٩٢ قول المصنف :

واكتشموا الإبل يعني ساقوها .

وقد علق المحقق على (اكتشم) فقال في حاشيته :

كشم أنفه دقّه وجدعه (اللسان) ثم قال : وليس فيها هذا المعنى . أقول : ألا يجوز أن يكون الكلام : اكتسحوا الإبلَ ؟

جاء في كتب اللغة : واكتسحوهم : أخذوا مالهم كله ، والمال هو الإبل والماشية .

٤٩ — وجاء في الصفحة ٩٣ قول المصنف :

والمِلْوَطة : خشبة يُسَرَّى (بالراء) بها الديار .

أقول : والصواب : يُسَوَّى من التسوية .

٥٠ — وجاء في الصفحة نفسها قول المصنف :

وتَواتَنَى القومُ : كثر نسلهم من أوتَنَى المعدن إذا كثر ما يخرج منه . أقول : والصواب : وتواتنَ القوم .... من أَوْتَنَ الْـمَعْدِنِ ...

٥١ — وجاء في الصفحة ٩٥ مقطوعة مطلعها :

كـنّـا وسـعـداً اخـوة جيرة   أعـزَّةً والـفضـلُ لـلـفـاضـل

فأشار المحقق أنها من البحر الكامل .

أقول : والصواب انها من السريع .

٥٢ — وجاء في الصفحة ٩٧ قول المصنف :

هذا المحض من كلام العرب .

وقد علق المحقق فأشار إلى (المحض من كل شيء الخالص) ..

أقول : وما أظن أن كلام المصنف يقتصر على هذه العبارة فلا بد أن يكون قد

عرض للنص ما عرض من السقط والعبث .

٥٣ ــ وجاء في الصفحة ٩٨ قول المصنف :

وقال : وَهْبٌ يتبحَّرُ على كبدي للذي يقف من الطعام والشراب .

أقول : ما المراد بهذا القول ، أليس هو مما قد عرض له من المسخ والحذف وغير ذلك حتى أحاله . والغريب أنَّ المحقق لم يَقِفْ ولم يعلق بشيء وكأنه مستقيم لا عوج فيه .

٥٤ ــ وجاء في الصفحة ٩٩ قول المصنف :

قال ذو الرمة :

قطعتُ لها رُعْبُلَةً من عمامتي ، فاسنخت زيداً فساخاً ..

أقول : لم أتبين من بيت ذي الرمة إلا الصدر وهو :

قطعت لها رعبلّة من عمامتي .

غير أن المحقق أتبعه بكلام آخر لا علاقة له به فصار المجموع خليطاً من شعر ونثر غير مفهوم على وجه من الوجوه . ولم يشر المحقق الى شيء من ذلك .

ثم إني لم أجد صدر البيت في ديوان ذي الرمة .

٥٥ ــ وجاء في الصفحة ١٠١ قول المصنف :

.... وهي العَقَب (كذا) فوق الفُوق .

وقد علق المحقق على كلمة (الفوق) فقال : فواق : ناقة (بفتح الفاء وضمها) (اللسان) أقول : وفات المحقق أن (الفوق موضع الوتر من السهم) ، وأعجب أنه كيف ذهب الى هذا وفي النص كلام على الرمي للمصنف وهو :

« هو أرمى الناس بذي أُطُرةٍ أي السهم .

٥٦ ــ وجاء في الصفحة ، ١٠٢ قول المصنف :

أنا مُقرِن للذي لا معين له على ضيعته وعمله ، والمقرن : المطبق للأمر القوي عليه . حرق (كذا) من الأضداد .

فعلق المحقق على كلمة (حرق) فقال في حاشيته :

الحرق : حرق النابين أحدهما بالآخر .

أقول : لولا حاشية المحقق لحملت كلمة (حرق) على الخطأ المطبعي ، ولكن الحاشية دلتني على مبلغ علمه وفطنته .

ألم ينتبه الى كلمة (الأضداد) فيصلح (الحرق) ويكتبها «حرف» بالفاء والحرف بمعنى الكلمة . والمعنى أن كلمة (المقرن) من الأضداد .

٥٧ — وجاء في الصفحة ١٠٣ ذكر أبي عمرو بن العلاء فعلق المحقق وترجم له وذكر المصادر للترجمة .

أقول : وأبو عمرو بن العلاء غير محتاج إلى هذه الترجمة فهو من الاعلام والمشاهير ولا سيما لقراء «النوادر» هذه .

ولو أن أبا عمرو قد ذكر في كتاب الهجري بكنيته فقط لكانت الاشارة إلى ذلك مفيدة لئلا يلتبس أمره بأبي عمرو الشيباني مثلاً .

٥٨ — وجاء في الصفحة ١٠٤ قول المصنف :

وأنشدني السَلوليّ :

وقد علق المحقق على (السلولي) فقال : هو الوليد بن سليمان السلولي ، أنظر رقم ٨٥٠ .

أقول : إن الإحالة على رقم ٨٥٠ أي الجزء الثاني من «التعليقات» الذي لم يطبع غير مفيدة ، وكان على المحقق أن يقطع بالأمر في هذا الموضع لأنه أسبق . وليس لنا أن نقطع أن السلولي هذا هو الوليد بن سليمان فقد يكون سلولياً آخر .

٥٩ — والذي نلاحظه في كثير من مقاطيع كتاب «التعليقات» في هذا الجزء كثرة الإقواء بحيث تجد موضعين للأقواء في مقطوعة واحدة لا تتجاوز سبعة أبيات ، أنظر الصفحات ، ١٠٥ ، ١٤٢ ، ١٥٦ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٩٤ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٩ الى آخر ذلك .

٦٠ — وجاء في الصفحة ١٠٧ البيت :

ألا إنَّ قرب الدار جد وأن ترى خليلك يوماً نظرة يستديمها

أقول : والصواب : ألا إنَّ قرب الدار خير وأن ترى .

٦١ — وجاء في الصفحة ١٠٩ البيت :

الى الله أشتكي رجلاً يجني .

وقد علق المحقق عليه فقال : البيت لا يستقيم وزنه إلا إذا قلنا : إليه اشتكي ولعل يجني ليصلح المعنى .

أقول : وهذا الافتراض غير صحيح من أجل الوزن . والذي أراه أن تسهيل همزة اشتكي تجعل الوزن مُستقيماً .

٦٢ — وجاء في الصفحة ١١٠ البيت :

فإن تكُ يا ابن عمّي بَهْونيّاً .

أقول : لم أجد (البهونيّ) في كتب اللغة ولم أتبيّن لها وَجْهاً فلعلها مصحفة ، وأما حاشية المحقق عن (البهي) وهو ذو البهاء فلا تغني ولا تسد الحاجة .

٦٣ — وجاء في الصفحة ١١٢ قول المصنف :

من أهل السراة فصحاً (كذا) .

أقول : لعلها «فصحاء» ولما لم يجد المحقق الهمزة مرسومة أثبت الكلمة على نقصها .

٦٤ — وجاء في الصفحة ١١٤ البيت :

وفتَّلْتَ رأياً من خطوب كثيرة وسدَّيت ما لا بد أنّك نايرهْ

أقول : والصواب : ناثره ، والهمز مطلوب . وقد أخل المحقق بهذه الهمزة غير مرَّةٍ .

٦٥ — وجاء في الصفحة ١١٧ البيت :

فما نطقه مما قرَى المزنُ في صَفاً منيع الذُرا تروي الوعول حوالقهْ

أقول : والصواب : نطقة .

٦٦ ـــ وجاء في الصفحة ١١٩ البيت :

ألا يا ابن جَعدٍ لو علمت بغرّة بِـدارَ لأنضـيتَ المطيّ المخزّما

وقد علق المحقق فقال : المطيّ المخزّم : حلقة تجعل في أحد جانبي مِنْخري البعير يشد بها الزمام .

أقول : ليس (أعطي المخزّم) حلقة .. بل الحلقة هي الخِزامة وخزَّم المطيَّ جَعَلَ في أنْفِهِ الخِزَامَة .

٦٧ ـــ وجاء في الصفحة ١٢٧ البيت :

ومـا هَـدْهَـدَتْ ورقـاءُ في سـاق سِـدرةٍ
لها فَنَنٌ غَضٌ الـنـبـات وطـيـب

أقول : والصواب : لها فَنَنٌ غضّ النبات رطيب وبذلك يستقيم الوزن .

٦٨ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٠ البيت :

لو أنّ الذي منك كان براهب يصلّى الليالي كلها ويصوم

وقد علق المحقق في الحاشية فقال :

هكذا ورد ولا تدخل الباء على خبر كان ، البيت فيه إقواء ولا يستقيم الوزن إلاّ بقولنا : ولو أن الذي قد كان منك براهب .

أقول : حاشية المحقق غريبة وفيها من الوهم الشيء الكثير ، فليست الباء داخلة في خبر كان ، واقتراحه واسترجاحه للصدر لا يُقَوِّمُ البيت ، فالوزن غير مستقيم كما اقترح للبحر الطويل .

ثم إنَّ الاقواء حاصل في ثلاثة أبيات من المقطوعة التي تنتهي بالميم المكسورة ، ويستقيم البيت إذا كان : لو أنّ الذي قد كان منك براهبٍ . ثم إن الراهب (يصليّ ويصوم) لا يصلّى .

٦٩ ـــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

أَبى وَرَق الدُّنيا وأخلص دينه
وصامَ وخَلّى عنه كلَّ نعيم

أقول : والصواب : وَرِق الدنيا ، والورِق (بكسر الراء) الفضة .

٧٠ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٢ البيت :

فإنْ يعْفُ منه طاهرُ التُّرب والحَصَى
ويشعبُه من وقت الحمام شَعوبُ

أقول : والصواب : ويشعبه وقت الحمام شَعوبُ ، باسقاط «من» .

٧١ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٤ البيت :

إذا انشق عند السابريّ رأيته هضيم الحشا صَكت الجبين عَمرّدا

أقول : والصواب :

اذا انْشقّ عنه السّابِريُّ رأيْتَهُ هضيم الحَشَا صَلْتَ الجبين عمرّدا

٧٢ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٥ البيت :

له ـ أبْرَدَاهَا بِالعَشيِّ وبالضُحى يدور الى أَيِّيهِمَا كان أجْوَدا

وقد علّق المحقق على كلمة (الابردان) أي الظل والفيء أو الغداة والعشيّ . وكان عليه أن يقف على قول الشاعر (أَيّيهِمَا) فهي جديرة بالوقوف عليها .

٧٣ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٧ الرجز :

أيا اخويّ اعقباني أعييتُ (بضم التاء في اعييت)
أقول : وتمام الرجز في وزنه ينبغي أن يكون :
يا أخَوَيَّ أعقبانيْ أعْيَيْتْ
فحرف النداء (يا) وليس (أيا) والفعل الأخير ساكن التاء .

٧٤ ـــ وجاء في الصفحة ١٣٩ البيتان :

إذا نارُ ليلى آلت الجمر بعدَما سرينـا بها ليلاً وطال تقرُبها
تُشَبُّهُ لضُلاَّل الرعاء وقد بدت لأكبر منهـم حـاجةً لو يؤويها

أقول والصواب :

. . . . . سرينـا بها ليلاً وطال تُقُوبُها
. . . . لأكبر منهم حاجةً لو يؤوبُها

٧٥ ــ وقد جاء في هذه المقطوعة التي أشرنا إليها في البيتين المتقدمين قول الشاعر :

واعرض وجهي للجَنوب من الهوى إذا استروَح الأرواح بالليل ذئبُها

همز المحقق كلمه (ذئبها) وحقّها أن تُسَهَّل الهمزة (ذِيْبها) لتناسب الأبيات الأخرى في أن (الردف) الذي يسبق حرف الروي إما أن يكون واواً أو ياءً . وقد عرض مثل هذا في مقطوعة أخرى في الصفحة ١٤١ فجاءت الكلمة التي فيها الروي (شؤمها) بالهمزة وحقها أن تكون (شومُها) بالواو .

٧٦ ــ وجاء في الصفحة ١٤١ البيت :

فتى الحيِّ لا ذو كبرياء عليهم ولا شحشح جُم الجنال عَتوبُ
أقول : لعلّ الأصل : جهم الجناب عتوبُ .

٧٧ ــ وجاء في الصفحة ١٤٦ البيت :

بَدَتْ شرفاً من فوقهنّ كما بدا على القَـزَع الكُلف الدمام صبير
أقول : لعل الصواب : الرهام .

٧٨ ــ وجاء في الصفحة ١٥٢ الرجز :

قد وردت من فَرِملٍ وأوضاحْ
أقول : وليس هذا من الرجز بل هو من السريع (العروض الثالثة) .

٧٩ ــ وجاء في الصفحة ١٦٦ قول المصنف :
فالْبُكْل لغير العجين أجوده والملك للعجين أجود

أقول : والصواب : فالبَكْل لغير العجين أجود .

٨٠ ـــ وجاء في الصفحة ١٦٧ البيت :

ألا هل أتى من حلَّ بطنَ حَبوني ونجران أخـــبـــار الأمـور الجســائم

أقول : والصواب : بطن حَبّونٍ (اسم موضع) .

٨٠ ـــ وجاء في الصفبة ١٦٨ البيت :

ضمنتُ لدرَّاجٍ ضمانَ ابن ضُرّة ان اسقيه الكأس التي قد سقانيا

أقول : والصواب : بالكأس ، وبذلك يستقيم الوزن .

٨١ ـــ وجاء في الصفحة نفسها البيت :

لـو أشبهت شـيـخاً قبره بِسَعْبَعَبٍ أبـى دقّة الأخلاق وهـو ولـيـد

وقد علق المحقق على كلمة «سَعْبَعَب» فقال : لم يرد موضع بهذا الاسم ، بل ورد «شَعَبْعَب» بالشين اسم ماء باليمامة لبني قشير .

أقول : وكان واجباً على المحقق أن يصحح ما في المخطوط ويرسم (شَعْبَعب) بالشين لأنه هو الصحيح المراد ، والشين والسين أو قل الاعجام والاهمال معروف يعرض في المخطوطات بسبب من جهل النساخ أو اقتصارهم على السهل ، وعلى المحقّق صاحب الاختصاص أن يعجم ماسها عنه الناسخ فأهمله .

٨٢ ـــ وجاء في الصفحة ١٧٤ قول المصنف :

والعَضَد ضِخام الغضون ..

أقول : والصواب ضخام الغصون بالصاد .

٨٣ ـــ وجاء في الصفحة ١٧٥ الرجز :

ضحَّيتُ حتى أظهرت الملحوبِ
وأشرفت ملواحها روس اللوبِ

وطنَّبَ الصَقْبُ كما يعوي الذيبُ .

وقد علق المحقق فقال : والبيت الثالث فيه إقواء لمخالفة الأبيات السابقة بالحركة .

أقول : وليس من إقواء في البيت الثالث وقد أساء المحقق إقامة الوزن للأبيات فهي ساكنة الآخر :

ضحَّيت حتى أظهرَتْ للحوبْ

وبهذا فليس من إقواء . ثم إن الأبيات ليست رجزاً بل هي من السريع (العروضة الثالثة) مستفعلن مستفعلن مفعولان .

٨٤ ــ وجاء في الصفحة ١٧٦ قول المصنف :

وأنشد أبو الميمون بيت جُرَيٌّ .

أقول : والصواب بيت جرير ، أنظر الديوان .

٨٥ ــ جاء في الصفحة ١٧٧ قول المصنف في أول الصفحة :

شأو مُتَقَرِّف من كل مكان ومتطرف   واحد القرائف والطرائف

أقول : والكلام غامِضٌ لا سبيل إلى فهمه ، ولم يُشِر المحقّق إلى ذلك .

٨٦ ــ وجاء في الصفحة نفسها الرجز :

تدفع أيديها يداً ثمّ يَدا
لعلَق اللبينيّ الهبيد المُعْقَدا

أقول : ولا يستقيم وزن البيت الثاني إلا إذا قلنا : لَعْقَ اللبيني الْهَبِيْد المُعقَدا .

٨٧ ــ وجاء في الصفحة ١٧٩ قول المصنف :

لو يؤكل من رعية شيء هو أنف ....
أقول : ويتجه الكلام لو قلنا : ما لم يؤكل من رعيه (لا رعية) شيْءٌ ، هو أُنُفُ .

٨٨ ــ وجاء في الصفحة ١٩٤ البيت :

ودابـرتَ بعد الأربعين تحشلّي   وقد لاح شيب في المفارق والضرر

أقول : والصواب : والغُرر بالغين المعجمة .

٨٩ — وجاء في الصفحة (١٩٧) البيت :

اذا ظعنوا طاروا كما طيّر القَطا   على ضُـمَّـر صُـهْب بطيٍّ كلاهما

أقول : والصواب بطيء مهموزاً .

٩٠ — وجاء في الصفحة (٢٠٢) البيت :

فلنعم معترك الحيّ الجياع اذا   خبَّ السفير وسابي الخمر

أقول : والصواب الذي به يستقيم الوزن أن تحذف كلمة (الحيّ) .

٩١ — وجاء في الصفحة (٢٠٣) قول المصنف :

هي عروس فتاتي تعينني السَقّي حتى يختلط طين السقي ومدره بخلوتها أقول : والصواب بخلوقها .

٩٢ — وجاء في الصفحة (٢٠٧) البيت :

مجرّكل سماكيّ اذا عـزبت   شمس النهار وحان الليل فاتّسقا

أقول : والصواب : اذا غَرُبت .

٩٣ — وجاء في الصفحة (٢١٢) البيتان :

سقى القبر قبراً بالدفان محلُّه   من الرعد ريان الذباب وكوفُ

. . . .

فمن لبغاة الخير بعد ابن مُعوضٍ   وقد ملَّ عيسَى سيرُهنّ وجيف

أقول : والصواب :

.........،   من الرعد ريان الرَّباب وكوفُ

....   وقد ملَّ عَنْسي سيرُهنّ وجيف

خاتمـة :

أكتفي بهذا القدر بعد أن تجاوزت عن الكثير من الخطأ الذي يتصل بإساءة الضبط الذي يُغيِّر المعنى ، كما تجاوزت عن الكثير مما يتّصل بالأوزان .

ولا بد أن أشير إلى أن الثلث الأخير من هذا الجزء قد اشتمل على قصائد طويلة ومقطعات أكثرها غير معروفة في مصادر الأدب القديم ، ولم يُعرَّف أصحابها . غير أن هذه المواد قد عرض لها ما عرض من التحريف والتصحيف والحذف والبَتر ما جعل الوصول إلى وجوهها الصحيحة ، عسيراً جداً .

بغداد كلية الآداب　　　الدكتور ابراهيم السامرَّائي

العرب : تَرَفَّع أستاذنا الجليل الدكتور السّامرائي ، أو تحاشى التَّعَمُّق في الحديث عن جوانب أخرى تتّصل بالموضوع .

١ ـــ أهمها أن كل ما في المقدمة عن الهجري ـــ مما هو موضوع رسالة (الدكتوراه) منقول جُلُّهُ ـــ باللفظ أو المعنى من كتاب «أبو علي الهجري» وهذا ما ستعرض مجلة «العرب» لتفصيله وإيضاحه .

٢ ـــ صاحِبُنا لم يُحسن قراءة المخطوطة القديمة من نسختَي (دار الكتب) فاكتفى بالمخطوطة التي نُسِخَت عنها في عهد مُتَأخِّر ، صيانة للأولى ، وتاريخ نسخها لا يرتفع إلى أكثر من سبعين سنة ، والناسخ جاهل لا يحسن قراءة الخط القديم ، ولا يدرك أنَّ في ترتيب ورق المخطوطة التي هي الأصل خَلَلاً كان يجب إصلاحه قبل البدء بالنسخ ، فلذا جاءت المنسوخة مختلّة الترتيب أيضاً ، وقد علم صاحِبُنا بذلك من أحد من قابلهم ، فادَّعَى هو بأنه رتّب ورق نسخته التي طبعها ترتيباً صحيحاً ، ولكن من يقرأ نسخته يجد الاضطراب وعدم الترابط بين كثير من صفحاتها .

٣ ـــ ثم هو نفسه ـــ فيما يظهر من عمله ـــ لا يحسن قراءة النصوص القديمة ، فيقرأ مثلاً :

١ ـــ هضبة بِرأس الذَّرْو ، ذَرو الشُّريف .

نساء في القمة

- ٤ -

أم تطلب من ولدها أن يغرقها :

من أعظم البلايا التي مرَّت بالمسلمين في تاريخهم الطويل بَلْ أعظمها وأدهاها ، وأشدها وأنكاها ، خروج المُغُول من خلف سُوْر الصِّيْن العظيم إلى بلاد المسلمين ، فَدَمَّرُوا المُدُنَ ، وقتلوا السكَّان ، ونَهبوا كُلَّ ما رأوه صالحاً لَهُم ، ثُم أَحْرَقُوا مَا وَرَاءهُمْ فتركوا العامر خراباً ، والحقولَ الناضرةَ صَحْرَاءَ خاويةً ، ولعلَّ فيما ذكر ابْنُ الأَثِيرِ المُؤَرِّخ المشهور صورةً واضحة جَلِيَّةً تُرى فيها تِلْكَ المصيبةُ في مُجْمَلِهَا قال :

لقد بَقِيْتُ عدة سنين مُعْرِضاً عن ذكر هذه الحادثة استِعْظاماً لها ، كارهاً لذكرها ، فأنا

هضبة برأس الزرود الشريف (ص ٥٢) ثم يتحدَّث في الحاشية عن زَرُود .

٢ — ويقرأ حُذُنَّة : جَذْنة (٥٤) ثم يعتذر بعدم وجود الاسم في المصادر .

٣ — ويقرأ (العرصة) بالضاد المعجمة ويسترسل بتفسير ما قرأ ص ٦٠ .

٤ — ومن دَارات العرب بِسُرَّة نَجْدٍ : دارة شُعَبَى) يفسرها : البُسْرة بسكون السين من مياه بني عقيل — ويحيل الى «مراصد الاطلاع» — ص ٦٥ .

٥ — ودارة خنزر هي (دارة حنزة) وما في الأصل تحريف ص٦٥ .

٦ — وكلمة (خف) التي يضعها الكاتب فوق الحرف إشارة الى تخفيفه تدمج في الأصل مثل : (أبانان ومسيل الرُّمَة خف بينهما) — ٦٨ .

٧ — والحَزِيْز تُقرأ (الحُزَين) ص ٧١/٦٩ وتُفَسَّرُ بأنها من الحَزَن مع ذكر الحزون نقلاً عن «مراصد الاطلاع» .

٨ — والبِرَك (نوك) والنبي (البني) .

وغير ذلك من الكلمات التي تُذكر بِمُسْتملي أبي عُبَيْدة الذي يكتب خلاف ما يسمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويَشْرح ما لم يَقْرأ !!

أقدِّم إليه رِجْلاً وَأُوخِّرُ أُخرَى ، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْهُلُ عليه أَنْ يَكْتُبَ نَعْيَ الإسلام والمسلمين ؟ وَمَنْ الذي يَهُونُ عليه ذِكْرُ ذلك ؟! فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي !! وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسْياً مَنْسِياً ، إِلَّا أَنَّنِي حَثَّنِي جماعةٌ مِنَ الأصدِقَاء على تَسْطِيرِها وأنا مُتوقِّف ، ثم رأيْتُ أن تَرْكَ ذلك لا يُجْدِي نَفعاً فنقول : هذا الفعل يتضمَّن ذِكْرَ الحادثة العُظْمَى والمصيبة الكُبْرَى التي عقمت الأَيَّامُ والليالي عن مثلها ، عَمَّتِ الخلائقَ ، وخَصَّت المسلمين ، فلو قال قائل : إن العالَم مُنْذُ خَلَقَ الله سبحانه وتعالى آدَم إلى الآن لم يُبتَلَوا بِمِثْلِها لكان صادقاً ، فإن التوارِيخ لم تَتَضَمَّن ما يُقَارِبُها ولا ما يُدَانِيهَا ، ومنْ أعْظم ما يذكرون من الحوادث ما فعل (بُخْتَنَصَّر) . ببني إسرائيل من القَتْل وتخريب الْمَقْدِس ، وما بَيْتُ المقدسِ بالنِّسْبَةِ إلى ما خَرَّبَ هؤلاء الملاعين من البلادِ التي كل مدينة منها أضعاف بيت المقدس ، وما بنوا إسرائيل بالنسبة إلى من قتلوا ؟ فإن أهلَ مدينةٍ واحدة ممن قتلوا أكْثَرُ من بني إسرائيل ، ولعلَّ الخَلْق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا .

إنهم لم يُبْقوا على أحدٍ ، بل قتلوا النِّساء والرِّجالَ والأطفالَ وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الأَجِنَّة ، فإنا لله وإنا إليه راجعونَ ! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم لهذه الحادثة التي اسْتطَار شررُهَا ، وعَمَّ ضَرَرُها ، وسارتْ في البلاد كالسَّحَابِ اسْتَدْبَرَتْهُ الريح .

فإنَّ قوماً خرجوا من أطراف (الصِّين) فقصدوا (تُرْكَسْتَان) مثل مدينة (كاشغَر) وغيرها ، ثُمَّ منها إلى بلاد (ما وراء النَّهر) مثل (سَمَرْقَنْد) و(بُخَارَى) وغيرهما ، فيمتلكونها ، ويفعلون بأهلها ما فعلوا ثم تعبر طائفة منهم إلى (خراسان) فيفرغون منها مُلْكاً وَتخريباً وقتْلاً ونَهْباً ، ثم يتَجَاوَزُونَهَا إلى (الرَّي) و(هَمَذَان) و(بَلَد الجبل) وما فيه من البلاد إلى حَدِّ العراق ، ثم بلاد (أَذْرَبِيْجَان) ويُخَرِّبُونَهَا ويقتلون أكثرَ أهلها ، ولمْ يَنْجُ إلا الشريد النادر ، وكلُّ ذلك في أقل من سنة ، هذا ما لم يسمع بمثله .

هذه هي الصورة التي رسمها هذا المؤرخ الذي توفي قبل دخولهم بغداد وتَخْرِيبِها وقتل سكانها وهدم بنيانها ومَحْوِ حَضَارَتِهَا .

وأمام هؤلاء الغزاة تبدَّدَ شمل الملوك والسلاطين ، فتطايرتْ تِيجانُهُم كأنَّها وَرَقُ الشَّجر في زوابع الخريف ، وفرُّوا كما تفِرُّ العصافير ، إذا أَحَسَّتْ بسباع الطير ، ولم يَثْبُتْ منهم لهذا

الطوفان الغامرِ إلا السُّلْطَان (جلال الدين منكبرتي) الذي لم تُرْعِبْهُ أخبارهم ، ولم ترهبه جموعهم ، بل قاتلهم وجالدهم ، فحقدت عليه قلوبهم ، وامتلأت بهيبته نفوسهم واشتد لذلك غَضَبُ طاغيتهم وعظيمهم ، (جنكيزخان) فجمع رجالهُ وولّى جلال الدين ، فهزم جيشه وأرغم أنفَهُ وأذل نفسه ولكن يا لسُوءِ الطَّالِع ويا للحظِّ العاثِرِ لقد اختَلَفَ قادَةُ جلال الدِّين على الغنائم ، فالتبس الأمر ، وخفي موضع الصواب ، وذلك مما أزال النِّعَم وكان سببَ هتْكِ المحارم ، وفتح البلاد ، وبسبب ذلك الاختلاف ، فَارَقَ جلالَ الدين أكبَرُ قادته مع جنوده ، فتذلل له جلالُ الدين ، وبكى بين يديه ، فلم يُصْغِ ذلك القائدُ إلى ندائهِ ، ولا التفت إلى استخذاء ذلك الملك واستجْدائِهِ ، بل ركب رأسَهُ ، ومضى على هوى نفسه ، ولم يُضِع (جَنكيزخان) الفرصة المواتية ، بل انقض بجيشه على من بقِيَ مع جلال الدين فتطاير الفرسان ، وتجالد الشُّجعان سحابة يومهم ، وحمل جلالُ الدين بنفسه على قلب جنكيزخان ، فمزقه بَدَداً ، وجعله طرائق قِدَداً ، وولَّى اللَّعينَ بنَفْسِهِ مُنهزماً ، وكادت الدائرة تدور على (التَّار) لولا خروج كَمِين فيه عشرة آلاف فارس ، من نخبة رجال (التَّار) فأسر ابن جلال الدين وهو ابن سبع سنين ، وقُتِل بين يدي (جنكيزخان) . ووصل جلال الدين إلى حافة نهر (السِّنْد) وقد سُدَّت دونه المهارب ، وأحاطت به المعاطب ، فرآى والدته وأُمَّ ولدِهِ ، وجماعةً من أخواته يَصِحْنَ بأعلى أصواتهن : باللهِ عَلَيْكَ اقتُلْنَا وخَلِّصْنا من الأسْر ، فأمَرَ بِهِن فغُرِقْنَ في النَّهر ، وهذه من عجائب البلايا ، ونوادر المصائب .

وهكذا تفعل النساءُ الشريفات العفيفات ، فما يشبه ذلك أو يقترب منه ما رواه أُسَامَةُ بْنُ مُنْقِذٍ قال : جرى قتالٌ بيننا وبين قوم أغاروا علينا ، فجاءتْ والدتي إلى أُخْتٍ لي وقالت : الْبَسِي خُفَّكِ وإزاركِ فَلَبِسَتْ ، وأخذتها إلى رَوْشَنٍ في دارنا يُشْرِفُ على الوادي من الشرق ، أجْلَسَتْها ، عليه وجلستْ على باب الرَّوْشَنِ ، ونَصَرَنَا الله عليهم ، وجئتُ داريْ ، فقلت لأُمّي : أُخْتِي أيُّ شَيْءٍ تَعْمَلُ هَا هُنا ؟! قالت : يا بُنَيَّ أجْلَسْتُهَا على الرَّوْشَنِ وجَلَسْتُ بَرًّا مِنْها فإذا رَأَيْتُ الأَعْدَاءَ قدْ وَصَلُوا إلَيْنَا دَفَعْتُهَا رَمَيْتُهَا إلى الْوادِيْ فأَرَاهَا قَدْ مَاتَتْ ولا أراها مع الأعْدَاءِ أسِيرَةً . فشكرْتُهَا على ذَلك وشكَرَتْها أُخْتي وجزَتْهَا خيْراً .

فهذه النَّخْوَة أَشَدُّ من نَخَوَاتِ الرِّجَال .

الكويت　　　　محمد علي العبد

جُهَينة: أصلها وتفرقها في البلاد

نسب جهينة[1]

لا خلاف بين نسّابة العرب — فيما أعلم — على انحدار القبيلة العربية الكبيرة «جهينة» من قضاعة، فأمهات الكتبَ التي يُعوَّلُ عليها، والتي تيسر لنا الرجوع إليها — تُوشك أن تُجْمِعَ على سَنَدٍ نَسَبِيٍّ واحدٍ ينتهي بِقُضَاعَة، فقدْ ذكرتْ هذه المصادر أنَّ جهينة هو ابن زيد بن لَيْثٍ بن سود ابن أَسْلُم بن الحاف (في بعضها: الحافي) بن قضاعة[2].

وأدخل ابن عبد البر[3] تعديلاً على سلسلة هذا النسب بزيادة ونقصان؛ فقد أورد عن نسب جهينة: «وأما ولدها — يُشيرُ إلى قضاعة — فإن قضاعة ولد الحافَ بن قُضَاعَةَ؛ وولد الحافُ رَجُلَيْن: عمران بن الحاف، وعمرو بن الحاف. هذا ما لم يُختلف فيه، ومنهما تشعبت بطون قضاعة ...... ومن ولد عمرو بن الحاف بن قضاعة (بَلِيٌّ) ...... وجُهينة بن زيد ابن سود بن أسلم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة»[4]. فأنت ترى أن صاحب هذا النص حَذَفَ جَدَّ جهينة (ليث)، ووسَّط بين أسلم — الذي هو ابنُ الحاف في الرواية الأولى — اسماً آخر هو عمرو الذي جعله ابناً لـ(الحاف).

كما أن السمعانيّ — وإن اتفق مع أصحاب الرواية الأولى على سلسلة نسب جُهَيْنَةَ — خالفهم حين جعل جُهَيْنَة هو زيد بن ليث، وذلك حين يقول: (الجُهَنِيُّ .... هذه النسبة إلى جُهَيْنَة، وهي قبيلة من قضاعة، «واسمه زيد بن ليث بن سوذ بن أَسْلُم بن الحاف بن قضاعة[5]. غير أنَّ الاتفاق تامٌّ بين هؤلاء وأولئك على الارتقاء بالنسب الجهنيِّ إلى قضاعة.

أما قضاعة نفسه ففي نسبة اختلاف كبير بين نَسَّابة العرب، فمنهم من وصله بعدنان — وله في ذلك حججه.

ومنهم من ارتقى به إلى قحطان ، وهو عندي الأرجح ،[٦] ومن شواهد رجحانه — على سبيل المثال — حديث عقبة بن عامر الجهني الذي رواه (جرير بن حازم عن أبي لهيعة ، عن معروف بن سويد عن أبي عشانه المعافري عن عقبة بن عامر الجهنيّ في حديث ذكره قال : قلتُ يا رسول الله : أما نَحْنُ من مَعَدّ ؟ قال : «لا» . قلت : مَن نحن ؟ قال : «أنتم قضاعة ابن مالك بن حمير»[٧] . يقول ابن عبد البَر — تعقيباً على ذلك — : «فعلى هذا قضاعة في اليمن في حمير في سبأ ، ولا يختلفون أن جهينة بن زيد ابن سود بن أسلُم بن عمرو بن الحاف بن قضاعة قبيل عُقبة بن عامر الجهنيّ . قال الشرقيُّ : فإن يكن رسولُ الله قال فقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم[٨] .

على أن دراسة نَسب قضاعة بالتفصيل ، وتتبع تقلباتها على مدار التاريخ الإسلاميّ منذ القدم وحتى الخلافة العباسية ، تبعاً لمصالحها الاقتصادية المتمثلة في العطاء ، الذي كان يُرَاعى في توزيعه قرب نسب القبيلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحياناً تبعاً لأهواء وأغراضٍ سياسية تتمثل في مواقف الخلفاء الأمويين من القيسية والقحطانية[٩] ، وما إلى ذلك من الدواعي ، — هذه الدراسة تخرج عن طبيعة هذا البحث ، ولذا نكتفي فيها بهذه الإشارة السريعة .

ب — جهينة في شبه جزيرة العرب :

١ — في تهامة اليمن :

يستفاد مما ذكره ابن هشام والطبريُّ وياقوت أن أقدم موطنٍ لجهينة كان في تهامة اليمن ، فقد جاء في «السيرة» لابن هشام نقلاً عن ابن اسحاق — في معرض حديثه عن نسب قضاعة — قوله : (فولد معد بن عدنان أربعة نَفَرٍ نزار بن معد ، وقضاعة بن معد ،... فأما قضاعة فتيامنتْ إلى حمير بن سبأ .... قال ابن هشام : فقالت اليمن : وقضاعة بن مالك بن حِمْيَر[١٠]) . وقد أراد ابن هشام — فيما هو ظاهر — أن يدعم رأيه القائل بأنَّ قضاعة من عدنان ، وأن نسبتها إلى حِمْيَر إنما هو وَهْمٌ نشأ بسبب سكناها في ديار حِمْيَر اليمانية .

وإذا كان ابن هشام لم يذكر ، في هذا النص ، تهامة اليمن أو جهينة بلفظ صريح

فإن الإمام الطبريَّ قد أوضح ذلك على نحوٍ مُبِين ، وذلك حين قال : (ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعدٍ ونَهْدٍ وجُهينة بني زيد من تهامة ، حتى مات كعب بن لُؤَيّ ، فأرخوا من موت كعب بن لُؤَيٍّ إلى الفِيْل ، فكان التاريخ من الفيل حتى أرخ عمر بن الخطاب من الهجرة[11] . فقد أفادنا هذا النص — زيادة على التصريح بِسُكْنَا جهينة في تهامة — قِدَمَ جُهَيْنَة في هذه الديار ، قدماً يعود بها إلى زمانٍ سابقٍ لميلاد المسيح عليه السلام .

أما ياقوت فقد جاء في حديثه عن كلمة (شَبٌّ) قوله : (ذو الشب شقٌّ في أعلى جبل جُهينة باليمن ، يُستخرج من أرضه الشبُّ المشهور)[12] . وبيَّن في موضع آخر مراده من (اليمن) الوارد في هذا النص — فيما أظن — فقال[13] : (وقال أبو المنذر في «كتاب الأفراق» : وظعنت قضاعة كلها من غور تهامة بعدما كان من حرب بني نزار لهم ، وإجلائهم إيَّاهم ، وساروا منجدين»[14] .

وتهامة — فيما هو معلوم — تشمل أراضي السهل الساحليّ الضَّيِّق الممتد من شبه جزيرة سيناء شمالاً إلى أطراف اليمن جنوباً ، وفيها مُدُن نَجْران ومكة المكرمة وجدة وصنعاء[15] وغيرها ، وهي — لهذا — تنقسم إلى تهامة اليمن وتهامة الحجاز ، وقد رَجَّحنا في الصحائف الماضية أن تهامة الواردة في النصوص هي تهامة اليمن لاقترانها كثيراً بكلمة اليمن وحِمْيَر ، ولقرائن أُخرى غيرها .

على أن ابن خلدون يرى أن أقدم موطن لقضاعة — وفيهم جهينة على ما مرّ — إنما كان نَجْران ، إلى أن غلبهم عليها بنو الحارث بن كعب من الأزد ، فساروا إلى الحجاز ، ودخلوا في قبائل معدّ ، ومن ثم نُسبوا إليه غلطاً[16] .

من هذه النصوص نستنتج أن نشأة جهينة الأُولى كانت — على الأشهر ، وفي أغلب الظن — في تهامة بمعناها الواسع الذي يشمل أوطان نزار بن مَعَدٍّ ، حتى قرب مكة المكرمة في الشمال ولا يتجاوزه ، كما يشمل أرض سبأ في اليمن .

وهكذا بَقِيَتْ جهينةُ — فيما يبدو — تَحْتَلُّ رقعةً واسعة في شبه جزيرة العرب ، تمتد من مواطن سبأ في مأرب ، حتى مواطن نزارٍ بن معد قرب مكة ، ومما يؤيِّد هذا القول

ما رواه ياقوت[١٧] من انتشار ديار جهينة قديماً في أرض أُدَيْم التي تلي جبل السراة متوسطة تهامة واليمن .

٢ — في نجـد :

وظلت قبائل جهينة تُقيم في هذه الديار إلى أن وقعت حربٌ بينها وبين نزار — لا نعرف من أخبارها كثيراً ، اضطرت جهينة على إثرها للانتقال شرقاً حيث أَصْحَرَتْ في بوادي نجد ووديانها ، ومن ثم قالت العرب عنهم : «هؤلاء صُحَار» كما يقول ابن دريد[١٨] . على أننا لا نعرف العلاقة بين هذه التسمية وبين بلدة «صُحَار» الكائنة في عُمان[١٩] ، والتي كانت مشهورة بالنسيج وبالأسواق العامرة .

أقامت جهيْنة ونهد وسعد بصُحار نجد زماناً لا نعرف مداه على وجه اليقين ، لكنه لا يبدو قصيراً ، يُسْتأْنس لذلك بقول البكري : (فكثروا وتلاحق أولاد أولادهم)[٢٠] . ولم نعرف من أخبارهم في نجد — بعد أن سكنوها — شيئاً غير سبب رحيلهم عنها قاصدين بلاد الحجاز ، على إثر القتال الذي نشب هناك حين (وثب حزيمة بن نهد — وكان مشؤوماً فاتكاً جريئاً — على الحارث وعرابة ابني سعد بن زيد فقتلها)[٢١] ، فكانت هذه الحادثة أحد الدواعي والأسباب الرئيسة لأن تُولِّي جهينة وَجْهَهَا شَطْرَ بلاد الحجاز ، وتستقر فيها لفترة من الزمن غير قصيرة .

٣ — في بلاد الحجاز :

يُقصد بالحجاز — كما يعلم القارىء — جبل السراة ، (أو الشراة) الذي يُمثل حدّاً فاصلاً بين تهامة ونجد ؛ ذلك لأنه (أقبل من قُعْرةِ اليمن — وهو أعظم جبال العرب — حتى بلغ أطراف بوادي الشام ، فسمته العرب حجازاً ، وقطعته الأدوية)[٢٢] ، فعاد جبالاً سكنت جهينة كثيراً منها على ما يأتي تفصيله .

وقد قصّ البكري أنباء مسير جهينة من نجد إلى الحجاز — فيما نقله عن ابن الكلبيَ — فقال : (وكان أول أمر جهينة بن زيد بن ليث بن أسلُم بن الحاف ابن قضاعة في مسيرهم إلى جبالهم وحلولهم بها ، فيما حدثني أبو عبد الرحمن المدنيُّ عن غير واحد من

العرب : أن الناس بينما هم حول الكعبة إذ هُم بخلق عظيم يطوف ، قد آزى رأسه أعلى الكعبة ، فأجفل الناس هاربين ، فناداهم : ألا لا تُراعوا ، فأقبلوا إليه)[٢٣] ... ، وعندئذ أنشدهم شعراً ، ثم ما لبث الناس أن تبينوا أن هذا الخلق العظيم إنما هو امرأة ، فسألوها عن شأنها ، فقالت : (مَنْ يَنْحَرْ لي كلَّ يوم جزوراً ، ويُعِدُّ لي زاداً وبعيراً ، ويبلغني بلاداً قوراً[٢٤] ، أُعطِه مالاً كثيراً . «فانتدب[٢٥] لذلك رجلان من جهينة ، فَسَارَا بها أياماً حتى انتهت إلى جبل جهينة) .

ويمضي البكريُّ في روايته عن ابن الكلبي فيقول : (ونادِيَا [أي الرجلان] هل من ماء؟ قالت : نعم ، آنظرَا في موضع هذا الهضاب .... ووجد الجهنيَّان عند الهضبة الماء ، وهو الماء الذي يُقال له (مشجر)[٢٦] وهو ناحية (فَرْش مَلَل) ، من مكة على سَبْعٍ أو نحوها ، ومن المدينة على ليلة إلى جانب (مثعر) ماءٍ لجهينة معروف ، فيقال إنَّها بقيا بتلك البلاد ، وصارت بها جماعة جهينة . وكانت بقايا من جذام سكان أرضٍ بتلك البلاد يُقال لها (يَنْدَد) فأجلتهم عنها جهينة ..، فنزلت جهينة تلك البلاد ، وتلاحقت قبائلهم وفصائلهم ، فصارت نحواً من عشرين بطناً ، وتفرقت قبائل جهينة في تلك الجبال ... وانتشروا في أوديتها وشعابها وعِرَاصِها ،... وأسهلوا إلى بطن إضم ، وأعراضه ، وهو وادٍ عظيم تدفع فيه أودية ، ويُفرغ في البحر ... ثم استطالوا على الساحل ، وامتدوا في التهائم وغيرها حتى لقوا بَلِياًّ وجذام بناصية (حقل) من ساحل تيماء ، وجاورهم في منازلهم على الساحل قبائل من كنانة ... فلم تزل جهينة في تلك البلاد وجبالها ، والمواضع التي حصلت لها بعد الذي صار لأشجع ومزينة من المنازل والمحال التي هم بها إلى أن قام الإسلام وهاجر النَبِيُّ صلى الله عليه وسلم[٢٧] .

هذا عن مسير جهينة من نَجْد إلى بلاد الحجاز ، أما المواطن التي استقرت فيها في بلاد الحجاز ، ومارستْ منها دورها في مختلف شؤون الحياة العربية فقد أجملها «عَرّامُ» ، مُشيراً إلى نطاقها العام دون تفصيل . قال عرام فيما يرويه السيرافي ، بإسناده : (أولها رضوى من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامِنَةٌ طريق المدينة ، ومياسرةٌ طريق البُرَيْراء لمن كان مُصْعِداً إلى مكة ، وعلى ليلتين من البحر ، وبحذائها عَزور ، وبينه وبين رَضْوى طريق الْمُعْرِقة[٢٨] تختصره العرب إلى الشام ، وإلى

مكة[٢٩] . وإلى المدينة بين الجبلين قدر شَوْطِ فَرَسٍ ، وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومها أحد ... ويسكن ذَرَاهما وأحوازهما[٣٠] نَهْدٌ وجُهَيْنَةَ في الوبر خاصَّةً دون المَدَر ، ولهم هناك يَسَار ظاهر ... ومن عن يمين رَضْوَى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رَضْوَى (ينبع)[٣١] ، وبها منبر ، وهي قرية كبيرة غنَّاء ، سكانها الأنصار وجُهَيْنَة وليث[٣٢] أيضاً ، وفيها عيون عِذَابٌ غزيرة ، وواديها يَلْيَلُ يصبُّ في غَيْقَة)[٣٣] .

وأكبر الظن أن جهيْنة احتفظت بهذا النطاق المكانيّ أو نحوه إلى زمن العلامة عبد الرحمن بن خلدون المتوفي في العقد الأول من القرن التاسع الهجري ، يدل على ذلك قوله : (... ومِنْ أسلمُ سعد وهُذَيم وجُهينة ونهد بنو زيد بن ليث بن سود بن أسلم ، فجهينة ما بين الينبع ويثرب إلى الآن في متسع من بريَّةِ الحجاز ... وكلاهما على العدوة الشرقية من بحر القلزم»[٣٥] .

هذا عَرْضٌ عام لقصة ارتحال جهينة من نجد إلى الحجاز ، وبيان إجماليٌّ للمدَى المكانيّ الذي اتخذته مستقراً لها ومُقاماً حتى مجيء الإسلام ، ومنه يتبين أن منازل جهينة في الحجاز — في عمومها — كانت تشغل الجزء السهليّ من الأرض ، الممتد من الجنوب إلى الشمال بين المدينة والشام ، ومن الغرب إلى الشرق بين ينبع ويثرب مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم[٣٦] .

ولعلَّ مما يُفيد الباحثين في شؤون قبائل العرب أن نضع بين أيديهم — من خلال هذا البحث الموجز — ما وقفنا عليه من معلوماتٍ نحسبها ذات بال ، تتعلق بأسماء كثير من القرى والمياه والوديان والجبال التي كانت منازل لجهينة ، استقيناها من أوثق المراجع المَعْنِيَّةِ بهذا الموضوع ؛ فهذه ثلاث قوائم ؛ إحداها للهمدانيّ ، وثانيها للبكريّ ، والثالثة لياقوت الحموي ، رتبناها — كما ترى — حسب قِدَم المراجع :

قائمة الهمداني (ت نحو ٣٥٠) [٣٧]		قائمة البكري (ت٤٨٧هـ) [٣٨]	قائمة ياقوت (ت٦٢٦هـ) [٣٩]
الأشعر	الأثاية	الأشعر	أجرب
الأجرد	الرُّوَيْثة	الأجرد	أجرد
يَنْدَد	المَجْنَبيّان	مثعر	الأشقر
مثغر	الرَّوْحاء	يَنْدَد	شَعْر
وادي غَوَى (رَشَد) حقل		قُدْس	وادي القرى
قُدْس	ذو المروة	آرة	الحِجْر
آرة	العِيْص	رضوى	الصَّفْراء
رَضْوَى	فيف الفحلتين	صِنْدَد	ذو المروة
صِنْدِيد	فيف الريح	إضم	ذَهْبَان
إضم	خيبر	ذو خشب	أَشْمَذَان
الصَّفْرَاء	فدك	الحاضرة	يَيْن — أين
ساية	حرة النار	لقف	إضم
ذو خشب	يَيْن	العيص	تَيْدَد
الحاضر	الرَّبَذَة	بُوَاط	طَيبة
ثقباء	النقرة	المُصَلَّى	الجَعْلان
نعف	إرَن	بَدْر	جَبَل القَبَلِيَّة
بُوَاط	صُفَيْنَة	جفاف	قِرْس
المُصَلَّى	وادي القرى	وَدَّان	حرّة النار
بَدْر		يَنْبع	رَضْوَى
جفجاف		الحَوْراء	مثعر
رُهاط		العَرْج	الخَبَط
وَدَّان		الخَبْتين	بُوَاط
يَنْبع		الرُّوَيْثة	حَرْحار

الحَوْرَاء	الرَّوْحَاء	يَنْبُع
العَرْج	حقل	صُحَار
	ذو المروة	الأسْوَد

بمقارنة هذه القوائم الثلاث يظهر ما يلي :

أولاً : أن جهينة ظلت تحتفظ بأماكنها القديمة تقريباً في بلاد الحجاز لأكثر من ثلاثة قرون على الأقل ، يدل على ذلك ورود هذه الأماكن في قائمة البكري الذي عاش حتى أواخر القرن الخامس الهجري ، وياقوت الذي عاش في القرن السابع الهجري . وهي نفسها تقريباً الأماكن التي ذكرها الهمدانيُّ الذي عاش في النصف الأول من القرن الرابع الهجري[٤٠] .

ثانياً : أن جهينة تَوَسَّعَتْ في بلاد الحجاز ، فامتلكت بلاداً أُخرى لم تكن لها في القرون الأُولى ، بدليل عدم ذكر الهمداني لها ، في حين ورد بعضها في قائمة البكري ، وبعضها في قائمة ياقوت الحموي ، مثل : لقف — بدر — الخبتين — أجرب — شَعْر — الحِجْر — الصفراء — ذهبان — أشمذان — طيبة — الجَعْلان — جبل القبلية — قِرس — الخَبط . وهذا أمر طبعيٌّ ، فالتوالد الذي يتبعه التكاثر بداهة ، وطبيعة البَدْوِ في التنقل إلى حيث يُوجَدُ الماءُ والكَلَأُ يستلزمَانِ هذه الظاهرة .

ثالثاً : اختفت من القوائم بعض الأماكن التي كانت لجهينة في العصور الأولى ، ولا نعلم إن كان ذلك راجعاً إلى تبدل أسمائها ، أم إلى رحيل جهينة عنها .

رابعاً : تحرفت بعض أسماء الأماكن التي كانت لجهينة ؛ فوردتْ في القوائم المتأخرة على صورة تُخالف ما كانت عليه في قائمة الهمداني . وهذه الظاهرة مفهومة مُعَلَّلة ، فالتقادم يُعَدُّ من أقوى أسباب التحريف في كل زمان ومكان ، ليس تحريف الأماكن حسب ، بل تحريف الأخبار والوثائق والنصوص وغير ذلك من آثار الإنسان المتقدم ، أيضاً[٤١] .

من أمثال هذا التحريف الذي نحن بصدده — كما يُلاحظ في القوائم —: الأشقر

بدل الأشعر ، مثعر بدل مثغر ، تَيْدد بدل يَنْدَد ، صِنْدد بدل صِنْديد ، جفاف بدل جفجاف ، وهكذا :

بعض آثار جهينة في بلاد الحجاز :

ولما جاء الإسلام وقامت دولته في المدينة (يثرب) بدأ اسم جهينة يظهر مقترناً بكثير من الأحداث السياسة التي شهدتها بلاد الحجاز ، ورأيناها تُشارك — أفراداً وجماعات — في صُنْع الأحداث التي كان لها آثارها في انتشار الإسلام وسيادة مبادئه ؛ ففي السنة الأُولى للهجرة حدثنا الطَّبَريُّ عن صلاتٍ للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بجهينة ، وذلك عندَ عودته من غزوة الأَبْواء ، وقبل وصوله إلى المدينة ؛ فقد بعث ، عليه الصلاة والسلام ، عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه في ثلاثين راكباً من المهاجرين إلى سيف البحر من ناحية العِيص ، أرض جهينة ، غير أن الطبريَّ لم يشأ أن يذكر لنا شيئاً عن طبيعة هذا الاتصال(٤٢) .

وفي السنة الثانية للهجرة توجه صلى الله عليه وسلم إلى بُواط أُحد جبال جهينة بناحية رَضْوَى ، يُريد قريشاً ، (ورجع ولم يلق كيداً)(٤٣) الأمر الذي يُستنتج منه أن الصِّلات بينه صلى الله عليه وسلم وبين الجُهَنِيِّين — إن لم تكن صلاتُ وُدٍّ ووئام — صلاتُ أَمْنٍ وسلام .

وفي غزوة بدر الكبرى ، التي تمثل انطلاقة الإسلام نحو السيادة والتمكين ، شارك أفراد من جهينة في خوض غمارها ، من هؤلاء الأفراد : عَدِيُّ بنُ أَبي الزَّغْبَاء الْجُهَنِيُّ(٤٤) .

ويتحدث البكريُّ عن بعض الصحابة من جهينة الذين كانوا يسكنون قُرَى تجاور المدينة غير بَعيد فيقول : (وذو المروة من أعمال المدينة ، قُرى واسعة وهي لجهينة ؛ كان بها سَبْرَةُ بن مَعْبَدٍ الْجُهَنِيُّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولده إلى اليوم فيها ، بينها وبين المدينة ثمانية بُرُد)(٤٥) . وقد مَرَّ ذكر (ذي المروة) هذا في قائمة البكريّ وغيرها(٤٦) .

على أن أثر جهينة الفعّال في تثبيت دعائم الإسلام ودولته في المدينة المنورة يتجلّى أكثر ما يتجلّى في فتح مكة المكرمة عندما اشتركتْ ، بفعالية ، في زحف الجيش الإسلامي الذي فتحها في السنة الثامنة للهجرة المباركة ، وقد شهد أبو سفيان بن حرب — الذي حبسه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم عند خَطم جَبَل ، لِيَرى جُنْدَ الله الزاحف — شهد أبو سفيان هذا جُمُوعَهَا تزحف على مكة مع جند المسلمين في جيشها الذي بلغ عددُ أفراده ألفاً وأربع مئة مقاتل ، في حين كان جيش بَني غِفَار أربع مئة لا يزيدون . وكان يَقُودُ جهينة آنئذ — فيما يقود — سيف الله المسلول خالد بن الوليد ، وقد دخل بها من (اللِّيط) أسفل مكة[٤٧] .

ولا شكّ أن هذه الكثرة النسبية التي ظهرت بها جهينة في جيش الفتح تدل على ضخامة هذه القبيلة وكثرة بطونها وأفخاذها .

امتد تأثير جهينة السِّياسيّ على مدار التاريخ الإسلامي ، وفي كل بلد هاجرت إليه ؛ فشاركتْ في نشر مبادىء الإسلام في مكة والمدينة كما رأينا ، وشاركتْ في زحف الجيوش الإسلامية على الشام والعراق ومصر والسودان — كما سنرى — ؛ وناصرت الثوراتِ ، وانغمست في الفتن والصراعات التي اندلعت على عهد الأمويِّين والعبّاسيين . وأبرزُ مثل يُساق للتدليل على وزن جُهينة في أحداث التاريخ على عهد العباسيين : دَوْرُها الواضح في ثورات العلويين في الحجاز ، لا سيما ثورة محمد بن عبدالله بن الحسن ، المشهور بالنفس الزكية ، ضد الخليفة العباسيّ أبي جعفر المنصور الذي حكم ابتداءً من سنة ١٣٦ هـ . حدّث الطَبَريُّ بسنَده بما فحواه : بعث أبو جعفر المنصور سنة ١٤٤ هـ . رجلاً إلى المدينة المنورة ، فدخل على عبدالله بن الحسن ، وسأله عن ابنه محمد ، فأجابه : إنه في جبل جُهَينة[٤٨] . فهذا — مع سير الأحداث اللاحقة — يدل على أن جهينة قد انضمت إلى هذا التأثر العلويّ منذ وقت مبكّر ، ولهذا نراه يطمئنُّ إليها ، فيقيم بين ظهرانيها ، ملتمساً الحماية عندها وفي جبالها . وأكبر الظن أن هذا الصنيع أثار غضب المنصور ، وأحفظه على جُهينة ، يدلّ على ذلك أن المنصور ما كاد يُنهي حجّه هذا العام حتى بادر فأمر واليه على المدينة رياح بن عثمان بن حيَّان المُرِيّ بالقبض على عبدالله بن الحسن ، وابنَيْه : محمد وابراهيم ، وإخوته وجميع أشياعه ومنهم

جهينة ، ويُوثق الجميع كتافاً ، ثم يبعث بهم إليه في الرَّبَذَةِ ، يقول الطبري : (قال محمد بن عمر : أنا رأيت عبدالله بن الحسن وأهل بيته يخرجون من دار مروان بعد العصر وهم في الحديد ... قال محمد بن عمر ، قال عبد الرحمن بن أبي الموالي : وأخذ معهم نحواً من أربع مئة من جُهينة ومُزَينة وغيرهم من القبائل ، فأراهم بالربذة مُكَتَّفِينَ في الشمس)[٤٩] .

على أن الثورة العلوية لم تَنْتَهِ عند هذا الحَدّ ــ كما هو مبسوط في مَظَانِّهِ ــ وإنما أخذتْ تتعاظم أحداثها حتى انتهت إلى صِدَام مسلَّح بين العباسيين وبني عمومتهم العلويين ، كما أن تأييد جُهينة لم ينته عند المشايعة والمناصرة باللسان ، فما كادت تندلع الحرب بين الفريقين حتى رأينا جُهَيْنَةَ في طليعتها . يقول الإمام الطبريُّ (وحدثني محمد بن اسماعيل بن جعفر عن الثقة عنده ، قال : أجاب محمداً لما ظهر أهلُ المدينة وأعراضها وقبائل من العرب منهم جهينة ومزينة ... فكان يُقدم جُهَيْنَة ، فغضبت من ذلك قبائل قَيْس)[٥٠] .

ج : جهينة في الشام والعراق ومصر

أولاً : في الشام :

ومع الفتوحات الإسلامية ــ كما سبق أن أشرنا ــ اندفعت جهينة إلى بلاد الشام ، وما كادت تستقر هناك حتى أخذت تنفعل بالأحداث الجارية فيه ، وتتفاعل معها ، على نحو ما كان عليه حالها في بلاد الحجاز الذي عرضناه قبل قليل . بَيْدَ أنَّ الأمر في الشام اختلف من بعض الوجوه عما كان عليه في الحجاز ، ففي الشام صراعٌ بين الأمويين أنفسهم كما سنبيّن بَعْدُ ، على حين كان صراع الحجاز بين عَبَّاسِيِّينَ وعَلَوِيِّين .

استقرت جهينة في مواطن متعددة من الشام ، أشار الهمدانيُّ إلى بعضها بقوله : (وللخم أيضاً : الجولان وما يليها من البلاد : نَوَى والبَثَنِيَّةَ وشقص من أرض حوران ، ويخالطهم في هذه المواضع جُهَيْنَة وذبيان)[٥١]

كما أشار ابن حزم إلى بعضٍ آخر من مواطنها حين ترجم لاثنين من الجهنيين ، هما :

عمرو بن مرة بن عبس بن مالك بن الحارث بن رفاعة بن نصر بن مالك بن غطفان ، وقال عنه : إن له صحبة ، ومولود بدمشق . والثاني هو عوسجة بن حرملة بن خزيمة ابن سبرة بن خديج بن مالك بن عمرو بن ذهل بن عمرو بن ثعلبة بن رفاعة بن نصر بن مالك ابن غطفان ؛ عقد له رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألف رجل من جهينة ، وأقطعه ذا أمر) وهو موضع بالشام(٥٢) .

وفي كتاب ابن عبد البر إشارة أخرى إلى جهينة الشام ، فقد أورد في ترجمة أبي الغادية الجهني أنه : (سكن الشام ، ونزل في واسط ... يُعد في الشاميين(٥٣) .

ومثل هذه الإشارات إلى مواطن جهينة الشام وبطونها ترد كثيراً في متون مراجع هذا العصر ومصادره .

أما مشاركتها في أحداث الشام السياسية ، التي أومأنا إليها قبلاً فكثيرة ؛ يتمثل بعضها في الصراع العنيف الذي ثار في البيت الأموي سنة ست وعشرين ومئة من الهجرة بين يزيد بن الوليد (الناقص) ، وبين الوليد بن يزيد الخليفة القائم آنذاك ؛ فقد كانت جُهَينة أثناء هذه الفتنة التي انتهت بمقتل الخليفة الوليد — تقف مع الثائر يزيد بن الوليد . روى الطبري بسنده قال : (وأقبل ربعي بن هاشم الحارثي في الجماعة من بني عُذْرَة وسلامان ، فدخلوا من باب تُومَا ، ودَخلت جُهينة ومَن وَالَاهُمْ مع طلحة بن سعيد . وجميع هؤلاء بايعوا — آنئذٍ — يزيد بالخلافة ، وأتوه استعداداً لقتال ابن عمه الوليد بن يزيد الخليفة المخلوع(٥٤) .

ثانياً : في العراق :

كذلك هاجرت بعض بطون جهينة وأفخاذها من مواطنها بالحجاز إلى بلاد الرافدين : العراق . وإذا كنا لا نعرف وقتاً متيقناً لقدومها فقد يجوز أن نفترض أنها قدمتْ فاتحةً مع جيوش المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص ، وأسهمت في فتح المدائن ، ومن ثمَّ انتشرت في أقطار العراق جنوباً وشمالاً ، استأنس لتأييد هذا الفرض بقولِ الطبريّ : (ثم دخلت سنة سبع عشرة ، ففيها اختطت الكوفة ، وتحول سعدٌ بالناس من المدائن إليها في قول سيف بن عُمَر ، وروايته ... وأنزل في غربيِّ الصحن

بَجَالة وبَجْلَة على طريق ، وجَديلَة وأخلاط على طريق ، وجهينة وأخلاط على طريق ،... فهذه مناهجها العظمى)[٥٥] . فكان هذا ـــ على ما يبدو ـــ إيذاناً بانتشار جُهينة في أنحاء من العراق ؛ ذلك لأن أخبارهم بدأت منذئذٍ ترد في المصادر ، وبِتْنا نعرف لهم أوطانا في الشمال [الموصل] ، وفي الجنوب [البصرة] ، بالإضافة إلى تأثيرهم القويّ على مَجْرَيَات الأُمور في الكوفة ، أما قبل ذلك فلم يكن ما يُعرف عن جهينة في العراق يتجاوز أفراداً قلائل جاء ذكرهم : عَرَضاً عند الحديث على موقعة الجمل ، التي كانت بين علي بن أبي طالب من جهة ، وبين أُم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير من جهة ثانية سنة ست وثلاثين. ومن هؤلاء الأفراد : ظفر الذي بعثته أم الفضل بنت الحارث ـــ مستأجراً ـــ ليبلغ عليّاً كتاباً منها فحواه : خروج عائشة وطلحة والزبير من المدينة لحربه[٥٦] . وغلامٌ آخر من جهينة ـــ لم يذكر الطبريٌّ اسمه ـــ كان يحارب في صفوف أصحاب الجمل[٥٧] ، ثم عَنَّ له أن يسأل محمد بن طلحة ـــ وكان رجلاً عابداً كما يقول الطبريُّ ـــ عن دم عثمان فيكن هو؟! فلما أجابه محمد بأنه شركة بين عائشة وطلحة وعليٍّ قال : (ألا أُراني على ضلال) ثم لحق بِعَليٍّ وهو ينشد شعراً رقيقاً يُبرِّره فيه من دم عثمان رضي الله عنه ، ويُنْحي باللائمة على الآخرين[٥٨] .

أما جُهَيْنَة باعتبارها جماعة ذات خطر ـــ فما أعلم لها خبراً في العراق قبل انتقالها مع سعد بن أبي وقاص إلى الكوفة سنة سبع عشرة من الهجرة ، كما سبقت الإشارة إليه .

يأتي الحديث الآن عن ديارها في شكل جماعات في كلٍّ من الكوفة والبصرة ، وعن ذلك يذكر السمعانيٌّ ، عند حديثه وتعليقه على كلمة الْجُهَنِيٍّ ما نصه : (هذه النسبة إلى جُهَيْنَة ، وهي قبيلة من قضاعة ... نزلت الكوفة ، وبها محلة نُسِبَت إليهم ، وبعضهم نزل البصرة)[٥٩] .

كذلك يذكر الْهَمَذَانيٌّ من ديار جهينة في الموصل : (مرج جُهَيْنَةَ)[٦٠] . ويشير ياقوت إلى قرية كبيرة في نواحي الموصل أُطلق عليها اسم جُهَيْنَة فيقول : (جهينة بلفظ التصغير ، وهو عَلَم مرتجل في اسم أبي قبيلة من قضاعة ، وسُمِّيَ به قرية كبيرة من نواحي الموصل على دجلة ، وهي أول منزل لمن يُريد بغداد ، وعندها مرج يُقال له : مرج جُهَيْنة

جُهَيَنة له ذكر. يُنسب إلى القرية أبو عبدالله الحسين بن نصر... المتوفي بالموصل سنة ٥٥٢ هـ[٦١].

على أن مركز ثقل جهينة في العراق — فيما يظهر — كان بالكوفة، يُدَلُّ على ذلك بالكثرة النسبية لارتباط اسم جُهَيَنة بهذه المدينة، وبوجودها عنصراً رئيساً في شرطة الأمويين بالكوفة إبَّان ثورة زيد بن عليٍّ على ما يأتي. ولعلَّ جهينة في الكوفة ينْهض برهاناً عليها وجود مسجد لها، أصبح مَعْلماً من معالم هذه المدينة؛ فها هو المختار بن أبي عُبَيْدٍ يمرُّ به عند استعداده للخروج على سلطان ابن الزُّبير، وها هو مصعب بن الزبير — عند خروجه من البصرة متوجهاً إلى الكوفة لملاقاة المختار الذي طرد عامله عليها — يأمر أصحابه بالاقتراب من قصر الكوفة، ثم يُوْعِزُ إلى قائده عبَّاد ابن الحصين الحَبَطيِّ بالنزول عند مسجد جُهينة، ليساعد ذلك أصحابه في السيطرة على أتباع المختار المشرفين عليهم من القصر المحصورين فيه[٦٢].

ويُخَيَّلُ للمتأمل في تاريخ جُهينة أنها تتخذ، في تصرفاتها السياسية، منهاجاً يقوم على مُمَالأَةِ السلطان القائم في البلاد إن كان السلطان للأُمويين، وتعضيد الثائرين على السلطان إن كان الأمر غير ذلك، وإلَّا فكيف نفسر وقوفها — عند نشوب ثورة زيد بن عليٍّ ضدَّ الأَمَوِيِّين — مع الخليفة هشام بن عبد الملك ضِدَّ زيد هذا؟ وذلك عند قدُومه إلى الكوفة بين سنتي ١٢١، ١٢٢ هـ على خلافٍ في ذلك، فقد أمر الحكمُ بنُ الصلت أميرُ الكوفة من قِبَل الأمويين صاحبَ شرطته عَمْرو بْنَ عَبْد الرحمن بالتأهب للتصدِّي لثورة الشيعة بقيادة زيد بن عليٍّ، فتهيأ صاحب شرطة الأمويين للأمر، ووقف في خيله من جُهَيْنَة لصدِّ الثائرين[٦٣]. وهكذا وقفت جهينة تُمَالِىءُ السلطانَ القائمَ لأنه سلطان الأُمويين.

أما في الحجاز — فيما بعدُ — فقد اتخذتْ جهينة موقفاً مغايراً لما كانت عليه في العراق؛ وذلك بانتصارها للعلويين على العباسيين كما رأينا[٦٤]. وقد يكون هذا التباين في المواقف باعثاً على التساؤل عن تفسيره وتعليله، وفي محاولة ذلك ينبغي أن نفترض أنَّ الموقف الأخير لجهينة في الحجاز انبنى على كراهية للعباسيين الذين انتزعوا الحكم من الأمويين، وابتلوهم بألوان من التنكيل، وأصنافٍ من العذاب، كما فعلوا الشيء نفسه

مع أبناء عمومتهم العلويين. وتبعاً لهذا الفرض لا بُدَّ من فَرْضٍ آخر مُؤَدَّاهُ: أن جُهينة كانت (أُمَوِيَّة الهَوَى)، أو على الأقل: (عثمانية المنزع). ولا نَعْدِم إشاراتٍ في المراجع تُرجح هذا الافْتِرَاض الأخير. فبالإضافة إلى ما يُمكن استنتاجه من مناصرة جهينة لثورة النفس الزكية — كما أوضحنا —، نجد في تراجم بعض الجهينيين في الشام ما يُشير إلى وقوفهم في موقعة صِفّين إلى جانب الأمويين، وقتلهم بعض أصحاب عليٍّ من جلّة الصحابة، والتفاخر بذلك؛ فقد ذكر ابن عبد البر أن ابا الغادية الجهني قتل عمار بن ياسر الصحابيَّ الجليل، وأحد قادة جيش عليٍّ في موقعة صِفّين[٦٥]. فَتَشَيُّعُ جُهَيْنَة للعلويين إذَن، ومناصرتهم للنفس الزكية ربما كان منبعثاً عن دافعين مُخْتَلِفَيْن؛ أحدهما إيجابي، وهو حبُّ الأمويّين، وثانيهما سَلبيٌّ، وهو كراهة العباسيين.

ثالثاً: في مصر:

ولعلّ من المناسب أن نقول — في مستهل حديثنا عن جهينة في مصر —: إن عمدتنا في أخبارها في هذه الديار هو كتاب الحمداني المفقود[٦٧]، وقد نقل هذه الأخبار عنه القلقشنديُّ في «قلائد الجُمَان» و«النهاية»، ثم المقريزيُّ في «البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب». وهكذا أمكننا أن نقف على شيء غير يسير من أخبارها.

لا نعرف — ولا من الميسور أن نعرف — على وجه اليقين في أي زمان بدأتْ هجرة جُهَيْنة إلى مصر؛ ذلك لأنَّ تسلُّلَ القبائل العربية أفراداً وجماعات إلى مهاجر جديدة من الأمور التي يصعب رَصْدُهَا بِدِقَّة إلى حدٍّ كبير، ما لم ترتبط هذه الهجرات بأحداث كبيرة تفرض وجودها على عقول المؤرخين وأقلامهم، مثال ذلك: الفتح الإسلاميُّ لمصر وما اقترن به من اشتراك بعض القبائل فيه.

غير أن العلامة ابن خلدون أشار إشارة غير موقوتة بزمن، إلى هذا التَّسَلُّل السِّلْميِّ لجهينة إلى مصر، فقال — بعد أن قرر أن مواطن جهينة في الحجاز ما بين «الينبع» و«يثرب» إلى الآن (توفي ابن خلدون سنة ٨٠٨هـ)، وأنها على العدوة الشرقية من بحر القلزم —: (وأجاز منهم أُمَم إلى العدوة الغربية، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة، وكاثروا هنالك سائر الأمم)[٦٧].

على أن الهجرات الجُهَنِيَّة المؤثرة إلى مصر لم تبدأ — فيما نرجح — إلَّا بعد ظهور

الإسلام ، كما هو الشأن في الشام والعراق ، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن أعداداً منها اشتركت في فتح مصر على يد عَمْرو بن العاص . يقول ياقوت الحمويّ عند حديثه على محلة الراية في مصر : (الرَّاية هي محلة عظيمة بفسطاط مصر ، وهي المحلة التي في وسطها جامع عمرو بن العاص ، إنما سميت (الراية) لأن عَمْرو بن العاص لما نزل محاصراً للحصن ... وكان في صحبته قبائل كثيرة من العرب ، واختطَّتْ كُلُّ قبيلة « خُطَّةً بأرض مصر هي معروفة بهم إلى الآن ، وكان في صحبته قوم من قريش ... وأشجع وجُهينة ... فلم يكن لكل بطن من هؤلاء من العدد ما ينفرد بدعوة في الديوان ، وكره كل بطن أن يُدعى باسم قبيل غيره ، وتشاحُّوا في ذلك ، فقال عمرو ابن العاص : فأنا أجعل رايةً ولا أنسبها إلى واحد منكم ، ويكون موقفكم تحتها ، وتسمون منزلكم بها . فأجابوه إلى ذلك ، فكانت الراية لهم كالنسب الجامع ، وكان ديوانهم عليها ، واختطوا كلهم في موضع واحد ، فسميت هذه الخطة بهم لذلك)[٦٨] .

وفي « أنساب السمعاني » ما يحمل على الاعتقاد بأن جهينة بلغت من القوة في مصر حداً جعل شخصاً في قوة معاوية بن أبي سفيان يحسب لها ألف حساب ، فيُسند إليها وظيفة من أكثر وظائف الدولة حساسية ودقة ، تلك هي : **ولاية الجند** . تَرْجَمَ السَّمْعَانيُّ لأحد الأعلام فقال : (... وأبو عبس ، ويُقال أبو حماد عقبة بن عامر ... بن رشدان بن قيس بن جهينة ، الجهنيُّ ، شهد فتح مصر ، واختط بها ، وولي الجند بِمِصْرَ لمعاوية بن أبي سفيان بعد عُتْبَةَ بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين ... توفي بمصر في سنة ثمانٍ وخمسين ، وقبره في مقبرتها بالمقطم)[٦٩] .

بالتأمل فيما سبق يتبين أنَّ أَوَّلَ موضع نَزلته جُهَينة بمصر كان في أحد أحياء القاهرة الحالية ، وأكبر الظن أنَّ استقرار هذا العدد من جُهينة في هذا الموضع شجَّع أعداداً أُخرى غير قليلة على القدوم من الحجاز للإقامة والاستقرار ، ومن هذا المَعْقِل بدأت تنتشر في أرجاء مصر ، وبخاصة بلاد الصعيد .

ويستفاد مما ذكره القَلْقَشَنْدِيُّ والمِقْرِيزيُّ أن جُهينة عند قدومها لبلاد الصعيد سكَنَتْ أول الأمر في أسفله في المنطقة المعروفة آنذاك (بالأشمونين) مجاورة لقريش ، مثلما كان وضعها في بلاد الحجاز ، ثم ثارت — على عهد الفاطميين (٣٥٨ —

٥٦٧ هـ) — فتنة بين هؤلاء الجيران ، وكان الفاطميون يتولّون قريشاً بدافع عَصَبِيٍّ ، فبادروا إلى إرسال جيوشهم نَجْدَةً لقريش على جهينة ، وانتهى الأمر بطرد الأخيرة — جهينة — من (الأشمونين) واستقرار قريش مكانها ؛ ومنذئذ تبدل اسم (الاشمونين) إلى (بلاد قريش) . أما جهينة فقد لحقت بأبناء عمومتها قبائل بَلِيٍّ في الصعيد الأعلى ، وتمّ الاتفاق بينهما على أن تحتل جهينة من المشرق من عقبة (قاو الخراب) إلى عيّذاب[٦٩] ؛ ويشمل بلاد منفلوط ، وأسيوط ، ودشنا ، على الساحل الصحراوي ، ولِبَلِي من جسر سوهاج إلى قريب من : قمولة ، ويشمل هذا بلاد إخميم وما تحتها ، من الغرب[٧٠] .

ويُورد البكريُّ وابنُ حزم إشاراتٍ لبطون من جهينة سكنت مصر دون تحديد للمكان الذي سكنت فيه هذه البطون ، ولا الزمان الذي وصلت فيه إلى مصر[٧١] . كذلك ينصُّ عبد المجيد عابدين على أن هناك (قبائل من جهينة سكنت الشرقية والقليوبية وقنا ، وفي مركز فاقوس بمديرية الشرقية قرية قديمة تسمى دوار جهينة ، وكانت تسمى من قبلُ : لبينة «أو لبني» . وفي تاريخ ١٢٢٨ م قيد زمامها باسمها الحالي نسبة إلى جماعة من عرب جهينة يُقيمون بها ،... وفي مديرية القليوبية في مركز شبين القناطر بلدة تسمى نزلة عرب جهينة ، أصلها من توابع زفيتة مشتول ، ثم فصلت عنها في العصر الحديث)[٧٢] .

ظلت جهينة تعيش في أوطانها بمصر في سلام ووئام مع جيْرانِها من جهة ، ومع السلطان القائم في البلاد من جهة ثانية ، ولا نعلم نِزَاعاً شاركتْ فيه ، فيما خلا ما أشرنا إليه من شأنها مع الفاطميين . ويبدو أنها كانت تَحْظَى بمشاركة في السلطة حين كانت مصر في أيدي العرب أو المتعربين من الأيوبيين ، على نحو ما رأينا من إسناد إمارة الجند إلى أحد أبنائها ، على عهد معاوية بن أبي سفيان كما مرَّ ، إلى أن كان يومٌ تولَّى زمام السلطة فيه في مِصْر قومٌ غيرُ عربٍ ولا متعربين هم المماليك (٦٤٨ — ٧٨٤ هـ) وحاولوا — فيما يبدو — إقصاء العناصر العربية عن وظائف الدولة ، وأظهروا أن هذا العنصر غير مرغوب فيه ، وابتدعوا من وسائل الاضطهاد ما حمل هذا العنصر العربيَّ على الهجرة من مصر . ها هنا بدأ التَّذَمُّرُ العربي ، وما لبث أن عبَّر عن نفسه في ثورات عارمة ،

قادت جُهَيْنَة إحداها ضِدّ المماليك ، ولكنها انتهت بهزيمتها[٧٣] ، وإخراج معظم من بقي فيها إلى بلاد السودان . يقول ابن إياس في وصف هذه الثورة[٧٤] .

(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فيها توفي الخليفة الإمام الحاكم بأمر الله ... وصلى عليه السلطان الملك الصالح ... وفي هذه السنة جاءت الأخبار من بلاد الصعيد بأن العربان أظهروا الفساد ، وعصوا ونهبوا جميع الغلال ، وقتلوا العمال ، وكان كبير العربان شخصاً يسمى ابن الأحدب [هو محمد بن واصل العركي] شيخ قبيلة عَرَك[٧٥] ، فاجتمع عليه قبائل كثيرة من العربان حتى سَدُّوا الفضاء ، فلما بلغ السلطان ذلك اضطربت الأحوال ، وخرج إليهم السلطان بنفسه ، وسائر الأمراء قاطبة ، وكان جاليش العسكر الأمير طاز ، والأمير شيخو العمري ، والأمير صرغتمش الناصري ، فلما تقدموا أمام العسكر وقع بينهم وبين العربان واقعة عظيمة لم يسمع بمثلها ، وقيل مات من العربان نحو النصف ، وانكسر شيخهم ابن الأحدب ... ثم إن الأمراء مشوا وراء العربان الذين هربوا مسيرة سبعة أيام حتى دخلوا أطراف بلاد الزنج ، ثم رجع الأمراء والسلطان إلى الديار المصرية)[٧٦] .

يقول الدكتور عبد المجيد عابدين : (وصفوه القول أن جُهَيْنَةَ في الفترة التي بين ٦٩٨ ــ ٧٥٤ هـ كان لها نصيب وافر في المقاومة ، وأن هذه الحركة انتهت بكثير منهم إلى بلاذ السودان)[٧٧] .

وهكذا انتقلت جُهَيْنَة ــ عن طريق مصر ــ إلى السودان ، كما انتقلت إليه من موطنها الأصلي بالحجاز عبر البحر الأحمر .

وطرق انتقال جهينة من أوطانها في الحجاز ومصر إلى السودان هي موضوع الحلقة الثانية من هذه الدراسة إن شاء الله .

والله من وراء القصد

الرياض في غرة المحرم ١٤٠١هـ   د : محمد صالح محيي الدين محمد

(١) نشرت «العرب» سلسلة من المقالات عن جهينة س١ ص ٢١٧/ ٣٣٨/ ٤٣٤/ ٥٦٣/ ٦٣٧/ ٧٣٤/ ٨٨١/ ١٠٤٣/ ١١٣٧

س٢ ص ٥٩/ ٢٤٥/ ٣٦٠/ ٤٥١/ ٦٤٨/ ٧٣٧/ ٣٩٤/ ١٠٠٢/ ١١١٤

س٣ ص (٥٤/١٦٠) .

س١١ ص (٣١/١٥١) وص ٤٧٤ .

(٢) أنظر : ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت ٣٢١ هـ) : «الاشتقاق» ٥٣٦/٢ ، ابن حزم : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦) هـ : «جمهرة أنساب العرب» ص ٤٤٠ ، ٤٤٣ — ٤٤٤ ، ٤٨٥ ، البكري : أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧ هـ) : «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» ٣٠/١ ، ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : عبد الرحمن بن محمد ، «العبر ، وديوان المبتدأ والخبر» ٥١٦/٢ ، القلقشندي : أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ) ؛ «قلائد الجمان ، في التعريف بقبائل عرب الزمان» ص ٤٣ .

(٣) هو أبو عمر يوسف بن عبد البر النَّمِري المتوفي سنة ٤٦٣ هجرية .

(٤) «الإنباه على قبائل الرواة» ص ١٢٧ .

(٥) السمعاني : أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التيمي (ت ٥٦٢ هـ) :

(٦) «الأنساب» ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .

وقد رجح هذا من المتقدمين الحسن بن محمد الهمداني (٢٨٠/ نحو ٣٥٠) في كتاب «الإكليل» ج١ ص وأورد الأدلة على هذا الترجيح وأطال في ذلك . وانظر كتاب «أدب الخواص» ص ١٣٣/ ١٣٥ — «العرب» .

(٧) الإنباه على قبائل الرواة ص ٦٠ — ٦٢ .

(٨) راجع نسب قضاعة بتفصيل أوْفى : الطبري (ت ٣١٠ هـ) : «تاريخ الرسل والملوك» ٣/ ٢٢٩٧ ، ابن هشام (ت ٢١٨) : «سيرة النبي» ٧/١ — ٨ ، ابن حزم : «جمهرة أنساب العرب» ٧/١ — ٨ ، ابن عبد البر : «الإنباه» ص ٦١ — ٦٢ ، السمعاني : «الأنساب» ورقة رقم ٤٥٦ ، القلقشندي : «قلائد الجمان ص ٤٠ — ٤٢ ، ابن خلدون : «العبر» ٥٠٥/٢ — ٥٠٦ ، المقريزي : «البيان والإعراب» ص ٨٥ — ٨٧ .

(٩) أشار الهمداني إلى بعض البواعث السياسية في انتساب قضاعة إلى عدنان في الجزء الأول من الإكليل في الكلام على نسب حِمْيَر .

(١٠) سيرة النبي ٧/١ — ٨ .

(١١) تاريخ الرسل والملوك ١٢٥٣/١ .

(١٢) معجم البلدان ١/ ٢٥٠ ، وياقوت هو شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت ٦٢٦ هـ) .

(١٣) نفس المرجع ٢٨٨/٢ — ٢٨٩ .

(١٤) «العرب» : وهم ياقوت رحمه الله — حين ذكر أن جبل جُهينة في اليمن ، فجبلها الذي فيه الشَّبُّ هو جبل الأشعر ، المعروف الآن باسم الفِقْرة ، بين ينبع والمدينة ، وقد أوضح هذا البكريُّ في «معجم ما استعجم» رسم

(الأشعر) فيما نقل من كلام الهجريّ ، ولم يُصَرّح بالنقل عنه ، ولا يزال في ذلك الجبل شعب يعرف باسم (الشّب) حدثني بهذا الأخ المهندس سعيد الأحمدي ، من الأحامدة سكان الفقرة وهو من روافد وادي الخاضة ، وهذا نص كلام البكري .

(ومن أودية الأشعر حَوْرَتانِ — الشامية واليمانيّة ، وهما لبني كُلَيب (؟) وبني عوف بن ذُهْل الجُهينيّين ، وبحورَةِ اليمانيّةِ وادٍ يقال له ذُو الهُدَى ، سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن شدّاد بن أميّة الذُّهْلي قَدِمَ عليه بعسل أهداه له ، فقال : «مِنْ أيْنَ شُرْتَ هذا؟» فقال : من وادٍ يقال له ذو الضّلالة ، فقال : «بَلْ ذُو الْهُدَى» .

وَبِهَا الخاضَةُ ، وهي بقاع كانت لِقَوْمٍ من جهينَةَ ، ثم صارتْ لعبد الرحمن بن محمد بن عُرَيْزٍ ، وهي التي يقول فيها ابن بَشِير الخارجيّ :

ألا أبْلِغا أهل الخاضــة أنّني مُقيمٌ بِزورا آخِرَ الدَّهْــرِ مُعْتَمِرْ

وكانت وعِرَةً ، وبها غَرْضٌ يستخرج منهُ الشّبُّ — والغَرْضُ شِقٌّ في أعلى الجَبَلِ أوْ في وَسَطِهِ . انتهى المقصود منه .

أما عن سكنى جُهَينة تهامة ، ثم انتقالها إلى الأشعر وما حوله من جبال شمال الحجاز فقد فصّلها البكريُّ ، في مقدمة «معجم ما استعجم» نقلاً عن كتاب «الافتراق» لابن الكلبي ، وقد نشر في مجلة «العرب» وسيرد ذكره في هذا المقال .

(١٥) فردينان توتل اليسوعي : «المنجد في الأدب والعلوم» مادة : تهامة .

(١٦) «العبر» ٥١٥/٢ .

(١٧) «معجم البلدان» ١٧١/١ .

(١٨) «الاشتقاق» ٥٤٦/٢ ، البكري : «معجم ما استعجم» ٣٠/١ ، ياقوت : «معجم البلدان» ٢٨٨/٢ ، ٣٦٨/٣ .

(١٩) لا صلة لجهينة بِصُحَار التي في عمان ، فقد ذكر البلاذريُّ «أنساب الأشراف» ١٩/١ والبكريُّ «معجم ما استعجم» ٣٠/١ — الطبعة الثانية — نقلاً عن ابن الكلبيّ : أنّ أول من طلع من قضاعة إلى أرض نَجْدٍ ، فأصْحَرَ في صحرائها جُهينة ونَهْدٌ وسَعْدُ هُذَيم بنو زيد بن لَيْثٍ ... فنزلوا الصَّحْراء فسمّتهم العرب صُحار وانظر هذا الاسم في «معجم البلدان» ومجلة «العرب» س١ ص ٢١٧ وما بعدها .

(٢٠) معجم ما استعجم ٣١/١ — ٣٢ .

(٢١) نفس المرجع والصفحات .

(٢٢) البكري : معجم ما استعجم ٨/١ .

(٢٣) نفس المرجع ٣٥/١ — ٣٦ .

(٢٤) قوراً جمع أقور وقوراء : أي واسعة . (نفس المرجع والصفحة) .

(٢٥) فانتدب : أجاب أو أسرع (البكري : معجم ما استعجم ص ٣٥ — ٣٦) .

(٢٦) ورد هذا الاسم :

(١) متنخر في «المغانم المطابة» : ٣٩٣ .

(٢) مشجر في «معجم ما استعجم» ص ٣٦/

أمّا مثعر الواقع بقربه فيطلق الاسم الآن على موضعين أحدهما — وهو المقصود — من أودية الأشعر (الفقرة الآن) يفضي سيله إلى فرش ملل والثاني من روافد وادي العَرْج .

وقد ورد اسم مثعر — مصحفا في كثير من الكتب .

(٢٧) أنظر تفاصيل قصة انتقال جهينة من نجد إلى الحجاز في : البكري : معجم ما استعجم .

(٢٨) ١/٣٥ — ٣٨ .

(٢٩) طريق المعرقة : لعله الطريق الساحليّ إلى الشام . (أنظر عرام ص ٣٩٦) .

«العرب» : عبارة عرّام هذه فيها اضطراب . فجبل عَزور بعيد عن رَضوى إذ هو بقرب الجحفة الواقعة جنوب رابغ ، ورضوى الجبل الذي لا يزال معروفاً يُطِلُّ على ينبع ، ولا صلة له بطريق المصعد من المدينة إلى مكة .

(٣٠) الذَّرى بالفتح : الكَنُّ والظل ، والأحواز : النواحي ، جمع حوزة . (عرام ص ٣٩٧) .

(٣١) سنرى فيما بعد إن شاء الله أن جهينة السودان عبر معظمها من «ينبع» هذه إلى شرق السودان عبر البحر الأحمر ، ومنه انتشرت في بقية أرجاء السودان .

(٣٢) أنظر : «كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبتُ عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه» ، رواية السيرافي بإسناده إلى عرام بن الأصبغ السلمي ص ٣٩٦ — ٣٩٨ .

(٣٣) وادي يَلْيَل هو وادي بَدْرٍ ، جزءٌ من وادي الصَّفراء ، ولا صلة له بوادي ينبع الذي يبعد عنه مسافة أطول من مئة ميل ، ويظهر أن رسالة عرَّام لم تصل إلينا صحيحة ، وأن في هذا النَّصِّ منها نَقْصاً ، ككثير من نصوصها .

(٣٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٢/٥١٦ .

(٣٥) أنظر ياقوت «معجم» ٤/٨١ ،«الأطلس التاريخي» خرائط ١ ، ٢ ، ٣ .

(٣٧) الهمداني : أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود : كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٣٠ ، ١٧٠ — ١٧١ .

(٣٨) البكري : معجم ما استعجم ١/٢٣ ، ٣٦ — ٣٨ ، جـ٣/ ٨٣٦ .

(٣٩) ياقوت : معجم البلدان ١/٣٣ ، ٢٧٩ ، ٤٢٥ ، ٣٠٥ ، ٩٠٤ ، ٧٥٠ — ٢/٧٢٥ ، ٧٩٠ ، ٣٩٩ ، ٢٣٨ — ٣/٦٦ ، ٣٩٩ ، ٥٧٣ ، ٣٦٨ ، ٨٢٩ — ٤/٥٧ ، ٨١ ، ٤١٣ ، ١٠٣٨ — ١٠٣٩ .

(٤٠) «العرب» : يلاحظ على هذه القوائم :

١ — من المعروف أن العلماء الثلاثة الذين نقلت الأسماء من كتبهم ما كانوا يعيشون قريباً من منازل قبيلة جهينة ، فمعلوماتهم عن هذه المنازل مما تَلَقَّوْه — غالباً — عن طريق ما كتبه علماء قبلهم ، ومن هنا لا يمكن الربط بين أزمانهم وبين الزمن الذي أقامت فيه جهينة تلك المنازل .

٢ — جُهينة من القبائل القليلة التي بقيت في بلادها منذ ظهور الإسلام حتى عهدنا الحاضر ، وقد يحدث لتلك البلاد امتداد لما حولها من المواضع ، أو تَقَلُّصٌ بسبب قوة القبيلة أو ضعفها ، وامتداد نفوذ ما يجاورها من القبائل ، وقد أشار الهمداني في الجزء الأول من «الإكليل» عند كلامه على قبيلة حَرْب حين استقرت بين الحرمين بقرب المدينة ، وكانت في عنفوان قُوَّتها — أشار إلى آثارها في انكماش منازل قبائل تلك الجهة ، ومنهم قبيلة جهينة .

٣ — أوردت في «العرب» س١ (الصفحات ٣٣٨/ ٤٣٤/ ٥٦٣/ ٦٣٧/ ٧٣٤/ ٨٨١ من بلاد «جهينة بيانا مفصلا يحوي أسماء المواضع التي ذكر المتقدمون — ممن اطلعت على كلامهم — أنها من بلاد جهينة .

٤ — إذا أردنا استخلاص أسماء المواضع التي لا يُشك بأنها من بلاد جهينة لم يبق لنا من تلك الأسماء سوى القليل وهذا يرجع إلى أسباب منْها :

أ — الهمداني :

(١) : الهمدانيّ حين يتكلم عن بلاده اليمن فحسبُك به ، ولكنه حين يتكلم عن القبائل التي تعيش خارج

تلك البلاد . فإنه كثيراً ما يذكر المواضع التي وردت في شعر أحد شعرائها باعتبارها من منازلها . وهذا لا يصحّ دائماً ، وقد وقع في كتابه «صفة جزيرة العرب» كثير من هذا القبيل ، بل قد يذكر اسم موضع باعتباره من منازل قبيلة ، ثم يذكره مرة أخرى من منازل قبيلة ثانية لورود اسم ذلك الموضع في شعر شاعرين من القبيلتين (انظر اسم محجر ص ٣٢٥ وص ٣٢٩ من «صفة جزيرة العرب» طبع دار اليمامة) بل قد ينسب مواضع لقبيلتين اثنتين ، غير متجاورتين في المنازل (أنظر ص ٣٨٧ — مواضع بني أسد وغنيٌّ ، بدون تفريق بينهما .

(٢) نسب الهمداني في القائمة التي أوردها الكاتب الكريم — مواضع كثيرة لجهينة وعَدَّها من بلادها ، مع أن غيره من متقدمي العلماء ومتأخريهم مَنْ ذكرها من منازل قبائل أخرى ، وهذا لا يمنع أن تكون جهينة حلّت تلك المنازل التي هي من منازل غيرها من القبائل ، ومن تلك المواضع : صُفَيْنَة وأرن وفدك وبدر . ووادي القرى والنقرة والربذة وخيبر وحَقْل والروحاء والرُّوَيْثَة ، والأثاية والعَرْج ووَدَّان ورُهاط وآرة وقدس .

ب — البكري :

(١) من المعروف أن البكريَّ أندلسيٌّ وأن كل ما في كتابه عن تحديد المنازل منقول من مصادر ألفها علماء تقدموه في الزّمن ، ومنهم الهمداني الذي عوَّل على كتابيه «صفة جزيرة العرب» و«الإكليل» :

(٢) وقع البكريُّ فيما وقع فيه الهمداني حيث عَدَّ مواضع خارجةً عن بلاد جُهينة — عدَّها من منازل هذه القبيلة ، وهي قدس ، وآرة وبدر وودان ، والعرج والرَّوحاء ، والرويثة — وكل هذه مما ذكر الهمداني — وزاد البكريُّ اسم لقف .

جـ — ياقوت :

(١) أورد من أسماء المواضع الخارجة عن بلاد جهينة : وادي القرى ، والحجر والاشمذين — مثنى أشمذ — وحرَّة النار .

(٢) بل أورد ما ليس اسم موضع ظنًّا أنه اسم وهو (صُحار) وهذا سبق إيضاحه .

و(الخَبَط) ليس اسم موضع ، وَلَعَلَّ ياقوتا قلد الزمخشري حين ظن أن (سرية الخبط) إحدى سرايا النبي صلى الله عليه وسلم منسوبة إلى موضع يدعى الخَبَط ، ومعروف أنَّ تلك السَّرية جاع أصحابها حتى اتخذوا من الخَبَط — وهو ورق الشَّجر — قوتاً .

وقد حاول صاحب «القاموس» وشارحه تخريج هذا على أنه اسم موضع ، ولكن صاحب «القاموس» يتتبع خُطَى ياقوتٍ حتى في أوهامه وصاحب «التاج» في تحديد المواضع القديمة لا يبصر موضع قدمه ورحمة الله على الجميع :

أما ذهبان الذي ذكر ياقوت فهو جبل أسفل ذي المروة ، واسم ذهبان يطلق على مواضع أشهر منه .

(٤١) أشار الأستاذ الكريم إلى التصحيف الواقع في بعض تلك الأسماء ، ويحسن أن يضاف :

١ — يَندُد : لَدَى الهمدانيِّ والبكري ، صوابه (تَيْدَدُ) وينطق الآن (تَيْتَد) لصعوبة النطق بحرفي الدال المتواليين أبدلت العامة الأولى (تاء) لقرب مخرجها من الدال — وتَيْتَدُ وادٍ من أودية الأجْرَد جبل جُهينة المعروف ، والوادي لا يزال معروفاً مأهولاً .

٢ — مَثْعَرٌ : بالعين المهملة بعد الثاء الْمُثَلَّثَةِ وادٍ من أودية الأشعر (الفقرة) من أودية القبليَّة ، وهي الأودية التي تُقْبِل من الجبل نحو المدينة لا يزال معروفاً . كما أنَّ الاسم يطلق على شِعْبٍ من روافد وادي الْعَرْج ، ولكنَّ هذا خارج عن بلاد جهينة .

وهناك أسماء أخرى يظهر أنها محرفة مثل (أجرب) و(شعر) وغيرهما .

(٤٢) «تاريخ الرسل والملوك» ١٢٦٧/١ .

(٤٣) ياقوت : «معجم البلدان» : ٧٥٠/١ .

(٤٤) ابن هشام : «سيرة النبي» ٣٥٠/٢ ، ابن حزم : «الجمهرة» ٤٤٥/٢ .

(٤٥) «معجم ما استعجم» ١٢١٨/٤ .

ذُو المَرْوَة — البلدة — قد درست ، ويدعى موقعها الآن (أُمّ زرب) وتقع في ملتقى الأودية التي منها وادي الجِزْل ووادي العُلا وغيرهما — فيا يعرف قديماً باسم وادي القُرى — بقرب خط الطول ٣٨/٢٢ وخط العرض ٢٥/٣٨ — وتقع المَرْوَةُ التي سمي الموضع بها غَرْباً عن موقع أمّ زَرْب ، وهي صخرة بيضاء واقفة ، تقع غرب هذه الصخرة أكمةٌ تُدْعى الظُلَيْمة ، وآثار القرية من أُسُسٍ قنوات وآثار زراعة لا تزال واضحة هناك .

وذكر ابن زُبالة — فيا نقل عنه السمهودي في «وفاء الوفاء» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل بذي المَرْوَة ، وصلَّى بها الفَجْرَ ، ومكث لا يُكَلِّمُهُمْ حتى تعالى النهار ، ثم خَرَج حتى أتى المَرْوَةَ ، فأسند إليها ظَهْرَهُ ملصقاً — إلى آخر الحديث (أنظر «العرب» س٨ ص ٧٣٤ و٨٨١ وس ١٢ ص ١٨٠ وما بعدها وكتاب «بلاد ينبع» —

(٤٦) أنظر ورقة القوائم .

(٤٧) الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ١٦٣٣/١ ، ١٦٣٦ — ١٦٣٧ ، ١٦٤٧ .

(٤٨) تاريخ الرسل والملوك ١٥٦/٣ — ١٥٧ .

(٤٩) تاريخ الرسل والملوك ١٨٧/٣ .

(٥٠) المرجع السابق ٢٢٨/٣ .

(٥١) صفة جزيرة العرب ص ١٣١ .

(٥٢) الجمهرة ٤٤٥/٢ — ٤٤٦ . وذو أمَرّ : موضع في برية الشام من جهة الحجاز . (نفس المصدر والصفحة .

«العرب» : هذا النّصُّ بحاجة إلى تعليق من جوانب :

١ — صحة الاسم ذُو مَرّ وذو تضاف إلى أسماء المواضع كثيراً ، واسم مَرٌّ يطلق على مواضع منها : مَرُّ الظَّهْرَانِ ومَرَّيْنِ ، ومَرّ — بدون إضافة — وهو وادي رابغ ، وكل هذه بين مكة والمدينة .

ومَرٌّ هذا وهو واقع في وادي إضَم ، مجتمع أودية المدينة — أعلى وادي الْحَمض الآن — وبلاد جُهينة قديماً تتّصل بهذا الوادي ، ولهذا أقطعه الرسول صلى الله عليه وسلم عَوْسجةَ بْنَ حَرْمَلَة الْجُهَنِيّ لصلته ببلاد قومه ، والرسول صلى الله عليه وسلم — فيا عرفت من اقطاعاته — لم يُقطعْ أحداً أرْضاً خارجة عن أرض قومه .

وزيادة الألف في الاسم (ذي أمر) خطأ وقع في الطبعة الثانية من «جمهرة أنساب العرب» وقد ورد صحيحاً في الطبعة الأولى وفي مخطوطتي «مختصر «جمهرة النسب» وكتاب «النسب مَعَدٌّ واليمن» لابن الكلبي ، وقال الحازمي في كتاب «البلدان» : مُرٌّ — بضم الميم — وادٍ من بطن إضم ، وقيل : هو بطن إضم . انتهى .

وذكر السمهوديُّ في «وفاء الوفاء» أنّ بعض ولد عبدالله بن الزُّبير اعْتَزَلَ أيّامَ الفتنة بأمر ، من بطن إضم . انتهى ولا شك أن المراد (بِمَرّ) هذا — ولزيادة الإيضاح أنظر «العرب» س١ ص ٧٤١ .

٢ — لم تكن الشام في عهد الرسالة مشمولة بحكم الإسلام ، حتى يسوغ الإقطاع فيها . أمّا إقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم تَميمَ بْنَ أَوْسٍ الدَّاريَّ قرية عينون في فلسطين ، فإنّ تميماً وقبيلته من أهل تِلْك البلاد .

(٥٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٧٢٥/٤ ، وابن عبد البرهو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت ٤٦٣ هـ).
(٥٤) أنظر تفاصيل موضوع مشاركة جهينة في أحداث الشام في الطبري : تاريخ الرسل ١٧٧٥/٢ — ١٧٩٢ .
(٥٥) «تاريخ الرسل والملوك» ٢٤٨١/١ ، وانظر أيضاً ص ٢٤٩٠ من نفس المصدر.
(٥٦) المرجع السابق ٣١٠١/١ .
(٥٧) «أصحاب الجمل» اصطلاح يُقصد به عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم أجمعين.
(٥٨) أنظر الطبري : المرجع السابق ٣١٢١/١ .
(٥٩) «الأنساب» ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .
(٦٠) «مختصر كتاب البلدان» ص ١٣١ ، والهمذانيُّ هو أبو بكر أحمد بن محمد المعروف بابن الفقيه.
(٦١) «معجم البلدان» ١٦٨/٢ .
(٦٢) راجع أمر الصراع بين الزبيريين والمختار ، ودور جهينة فيه في الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ٥٢٠/٢ — ٥٢١ ، ٥٣٢ — ٥٣٣ ، ٥٩٨ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٣٤ — ٧٣٥ .
(٦٣) أنظر : الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٧٠١/٢ — ١٧٠٣ .
(٦٤) راجع ص ١١ — ١٢ من هذا البحث.
(٦٥) أنظر : الاستيعاب ١٧٢٥/٤ .
(٦٦) ذكر الدكتور عبد المجيد عابدين في مقدمة «البيان والأعراب» ص ٤—٥ ، أن كتاب الحمداني المؤرخ ضاع مع الزمن.
«العرب» : يوسف بن حمدان — المعروف بابن زمّاج — ترجمه الحافظ ابن حَجَر في كتاب «الدرر الكامنة» والقلقشنديُّ ومن جاء بعده ممن نقل عن الحمداني يظهر أنَّ المصدر الأول لهم هوكتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العُمَرِيّ ، المتوفي سنة ٧٤٩ هـ فقد ورد في ذلك الكتاب نُقُولٌ طويلة تتعلق بالقبائل عن الحمداني (المَهْمَنْدَار) لأنه كان يتولّى دار الضيافة لحكام مصر في عهده.
(٦٧) العبر وديوان المبتدأ والخبر ٥١٦/٢ .
(٦٨) معجم البلدان ٧٤٥/٢ — ٧٤٦ .
(٦٩) الأنساب ٤٣٩/٣ — ٤٤٠ .
(٦٩) قاو الخراب من البلدان المندرسة ، وهي إحدى نواحي مركز البداري بمديرية أسيوط (هامش : قلائد الجمان ص ٤٤) . أما عَيْذَابُ فإنها ثغر مصريٌّ على البحر الأحمر ، ويسمى سماكن القديمة ، يقع على خط عرض ٢٢/٢٠ .
(٧٠) القلقشندي : «قلائد الجمان» ص ٢٤٤ «البيان والإعراب» صفحات ٢٧١ ، ٣٢—٣٣.
(٧١) البكري : «معجم ما استعجم» ٤/١ ، ابن حزم : «الجمهرة» ٤٤٣/٢ — ٤٤٤ .
(٧٢) البيان والإعراب هامش ص ٣٢ — ٣٣ ، وانظر : «دائرة المعارف الإسلامية» ٢٠٠/٧ .
(٧٣) أنظر : «البيان والإعراب» ، الصفحات ١١٥ — ١٢٢ .
(٧٤) هو محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري ، المتوفي سنة ٩٣٠ هـ (١٥٢٤ م).
(٧٥) بنو عَرَك فرع من جهينة (أنظر ياقوت ٣٢/٤ — ٣٣ مادة القَيْلِيَّة).
(٧٦) كتاب تاريخ مصر ، المشهور «ببدائع الزهور في وقائع الدهور» ٢٠٠/١ .
(٧٧) «البيان والإعراب» ص ١٣١ (دراسة للعروبة في وادي النيل ، ذَيّل بها كتاب : «البيان والأعراب»).

القـريتان : القُـرَيّة والعَـيّارِيّة

[وهذا بحث ممتع ، من مباحث كتاب « بلاد القصيم » من أقسام « المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية » . والكتاب سيصدر آخر أجزائه الستة قريباً ، وهو من تأليف العالِم المحقق الأستاذ الشيخ محمد بن ناصر العبودي] .

« الْقُرَيّـة »

بإسكان القاف بعد « ال » فراء مفتوحة ثم ياء مشددة فهاء أخيرة : صيغة تصغير الْقَرْية (بتخفيف الياء) .

والأمر كذلك لأنها هي قرية ابن عامر إحدى القريتين الوارد ذكرهما في التاريخ كما سنبين ذلك فيما بعد .

والقريّة تقع في متسع من الأرض على طرف مكان خصب على الضفة الجنوبية لوادي الرُّمَة في المنطقة الواقعة شرقي مدينة عنيزة ، وعلى بُعْد ستة كيلات منها وجنوبا من مدينة بريدة على بعد ٢٢ كيلاً منها .

تحد من الجنوب الشرقي بالزغيبية ومن الغرب « بِصَفْرا عنيزة » وشرقاً بنفود لوى(٢) .

وماء القريّة غزير جداً إلاَّ أنَّ فيه غِلَظا أي ملوحة وهو قريب من سطح الأرض اذْ لا يزيد عمق بعض آبارها على خمسة أمتار .

وفيها في الوقت الحاضر عدة آبار وأشجار من الاثل ، وقصور للزُرّاع ، وكان أهالي عنيزة وأهالي الخُبُوب الجنوبية لبريدة مثل « القصيعة » يعتادون زراعتها قمحاً في فصل الشتاء فيجود الى جانب وقوعها في موضع لا ينقطع منه الحمض أبداً . ونعتقد أنها هي قرية ابن عامر لأمور :

أولها : التسمية الحالية التي لم تختلف إلاَّ بالتصغير عوضاً عن التكبير وذلك تغيير ليس كبيراً كما هو المعروف في بعض المواضع التي لها أسماء قديمة وهذا التصغير لم يغيّر من حروف « القريّة » شيئاً .

وربَّما كان مرجعه الى ضعف أصاب (قُرَيَّة ابن عامر) بعد ازدهار كان لها في القديم وكان موجوداً في أذهان الذين صغَّروها لذلك أتبعُوا هوانها في أنفسهم بتصغير اسمها .

ثانيها : وقوعها في موقع خصب يؤهلها للعمران القديم ، وقرب نبط آبارها حتى الوقت الحاضر مما يجعل إخراج المياه منها سهلاً إنْ لم يمكن اجراؤها الى المواضع المنخفضة في مجرى وادي الرُّمَة أو على ضفته الجنوبية في مواضع قد تكون مجهولة لنا الآن . وقد تكون روضة الزغيبية تابعة في القديم لقرية ابن عامر لأنها تقع ملاصقة لها .

ثالثها : وجود بقايا أميال الطريق طريق الحاج البصري في مدخلها على الضفة الجنوبية لوادي الرمة وعلى بعد ٣ كيلات من الزغيبية شمالاً . وقد شاهدت بقايا ميلين منها مطابقين في الشكل لما هو موجود في جنوب الأسياح (النباج قديماً) وفي القاع الأبيض (قاع بولان قديماً) وهي معروفة لكثير من اهل القصيم بل ذكر لي راشد الفوزان من أهل الشماسية أنه رأى هناك عدة أميال متقابلة كان يفصل بين كل واحد منها وبين مقابله حوالي ٥٠ متراً وانها الى الشمال من «القريّة» فما بينها وبين الوادي .

رابعها : أنها تقع في الاتجاه الصحيح الى مكة المكرمة لمن يأتي من حاج البصرة قادماً من الأسياح (النباج قديماً) ثم الصَّريف ، فقاع بولان الذي هو الآن «القاع الأبيض» ثم القريتين اللتين هما القرية قرية ابن عامر هذه والعسكرة قرية العباسيين التي هي العيارية الآن وأطلق اسم القريتين عليهما للتغليب كما أطلق اسم «القَمَرَين» على الشمس والقمر ، والعُمَرَين على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

خامسها : أن هناك الى الشمال من القريَّة تلاً مرتفعاً نوعا ما فيه آثار العمارة القديمة باديةً من حجارة مُهذبة وأساس قصور وغيرها . إلا أن القول الفصل في محتوياتها وتاريخها يرجع الى المختصين في الآثار . والشيء المؤكد أنه بقايا عمارة قديمة أي : ليست حجارة طبيعية .

سادسها : أنه كانت ولا تزال بقايا بركة زبيدية ماثلة للعيان في الجهة الغَربية من (القرية) لها مجرى مائي طويل مصنوع من الحجارة المهذبة ويمسك به مادة شبيهة بالجبس وليست جبساً ، وهي بالجص أشبه إلا أنها أقوى منه وقد بقي هذا المجرى ظاهراً

الى أن رُصِفَ الطريق الإسفلتي الممتد بين مدينتي عنيزة وبريدة فقضت على آثارها الجرّافات التي أصلحت الطريق . ويقع مجراها على بعد حوالي ١٨٠٠ متر من المضباعة أي الثنية المرتفعة التي تأتي مباشرة بعد المزيرعة للمتجه من عنيزة الى بريدة شرقاً من الروغاني ، وهذا دليل واضح على أن القرية هي قرية ابن عامر لأن ماءها ملح فوضعت هذه البركة بين القريتين العيارية (العسكرة في القديم) وقرية ابن عامر ليستقي منها الحاج الذي لا يسهل عليه أن يجلب الماء من عنيزة .

نصـــوص قديمـة :

قال ياقوت : القريتان قريبتان من النباج في طريق مكة من البصرة . أقول : هذا صحيح لأن النِّباج هو الأسياح كما سبق في حرف الألف إلا أن قُرْبهما من النِّباج هو نسبي أي بالنسبة الى طول الطريق بين مكة والبصرة ولكونه لم يكن يوجد بينهما مكان معمور مزدهر العمارة في ذلك الوقت .

وبينهما الآن على طريق الحاج الذي يذهب من القرية التي هي قرية ابن عامر وهي الشرقية منهما على طريق الصريف الى النباج حوالي ٧٢ كيلاً كما ان بين القرية الأخرى الغربية منهما وهي التي كانت قديماً تسمى « العسكرة » وتسمى الآن العيّارية على طريق عوسجه التي تسمى الآن « خب العوشز » والتي تقع الى الجنوب من مدينة بريدة على بعد حوالي ٤ كيلات حوالي ٧٨ كيلاً .

ثم قال ياقوت : قال السَّكُوني : هما قرية عبدالله بن عامر بن كُرَيْز . وأُخرى بناها جعفر بن سليمان وبها حصن يقال له العسكر ، وهو بلد نخل بين اضعافه عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون من ماء عنيزة وهي منها على ميلين قال جرير :

تغشى النباج بنو قيس بن حنظلة والـــقـــريـــتين بِسُــرّاق ونُـــزّال

أقول : هذا الوصف ينطبق على العبارية احدى القريتين فهي كان فيها عيون جارية وهي تبعد عن شمال عنيزة الذي هو الجناح حوالي ٤ كيلات . وقال الإمام لغدة الأصبهاني من أهل القرن الثالث الهجري : والقصيم موضع ذو غضا فيه مياه كثيرة وقرى

منها قريتا ابن عامر ، وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان احداهما يقال لها العسكرة[٤] .

أقول : إذا كانت عبارته صحيحة خالية من التحريف فإن ذلك يدل على أن القريتين كلتيهما كانتا في القرن الثالث لبني جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس الذي كانت له العسكرة أي العيارية في الوقت الحاضر ويكون الكريزيون أبناء عبدالله بن عامر بن كريز قد تركوا قرية عبدالله بن عامر التي أصبحت تسمى الآن «القريَّة» بالتصغير .

على أنه من المحتمل أن يكون في العبارة تحريف ويكون صحتها منها قريتا ابن عامر واحداهما اليوم لولد جعفر بن سليمان يقال لها العسكرة ذلك بأن عبارة لغدة هذه إذا كانت صحيحة تعكس الشائع عن القريتين اذ الأولون غلبوا اسم قرية عبدالله بن عامر على القرية الأخرى وغالباً ما يكون التغليب لسبب قوي إما لأهمية الذي غُلِّب اسمه أو لخفة لفظه أو لنحو ذلك ونفترض هنا أنَّ التغليب جاء لكون قرية عبدالله بن عامر أقدم عمراناً ، اذ عبدالله بن عامر بن كريز رضي الله عنه توفي عام ٥٩ من الهجرة أما جعفر بن سليمان فقد جاء بعده بقرن من الزمان[٥] .

هذا إذا اتبعنا ظاهر النصوص بأن الذي عمر العسكرة هو جعفر بن سليمان وانها لم تكن معمورة قبله فاشتراها وتوسع في عمارتها وذلك بعد موت عبدالله بن عامر بن كريز بأكثر من مائة سنة .

قال ياقوت :

القَرْيتان : بالفتح : تثنية قرية ، وأصله مِنْ قروت الأرض اذا تبعت ناسا بعد ناس ، وقال بعضهم : ما زلت استقري هذه الأرض قرية قرية ، ويجوز أن يكون من قولهم : قريت الماء في الحوض ، أي : جَبَيْتُهُ وجَمَعْتُهُ ، وقيل : هي القَرْية والقِرْية بالفتح والكسر ، والكسر يَمَانٍ .

هكذا ذكر ياقوت اشتقاق القرية وهكذا ابتدأ الكلام على القريتين ثم ذكر نصوصاً بعضها في القريتين اللتين في القصيم وبعضها في غيرهما ، وسيأتي نقل كلامه على اللتين في القصيم فيما بعد .

أما البكري فقال :

القريتان : على لفظ تثنية قرية ، موضع في طريق البصرة الى مكة ، قال القَطاميّ :

كَعَنّاء ليلتنا التي جُعِلَتْ لنا (بالقريتين) وليلة بالخندق

أقول : لا أدري أراد القطّامي بالقريتين قريتي القصيم أم غيرهما ، لأن القطامي ليس من سكان القصيم بل كانت منازل قومه في جزيرة ابن عمر ما بين العراق وأطراف الشام الشرقية الشمالية .

ولا يصح الافتراض بأنه ربما كان قد مرَّ بالقريتين حاجّاً لأنه كان من نصارى تغلب الذين بقوا على نصرانيتهم رغم كونه في العصر الأموي(٦) ثم قال البكري :

وقال مالك بن نويرة :

فمجتمع الأسدام مِنْ حول شارع فَروَّى جبال القريتين فضلعفا

وهذا إذا لم يكن تحريفاً من الطابع أو الناسخ بعد البكري فإنه وهم منه اذ الشعر من قصيدة لمتمم بن نويرة أخي مالك بن نويرة يرثي فيها مالكاً الذي قتل في البطاح وهي قصيدة مشهورة أولها(٧) :

لعمري وما دَهْري بتأبين هالكٍ ولا جَزَعٍ مما أصاب فأوجعا
لقد كفَّنَ المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العَشيَّات أروعا(٨)

الى أن قال :

فعيّنيَّ هَلاَّ تبكيان لمالكٍ إذا أذْرتِ الريحُ الكنيف المُرَفَّعَا(٩)

الى أن قال :

فلما تَفَرَّقْنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا
فإنْ تكن الأيام فَرَّقْنَ بيننا فقد بان محموداً أخي حين وَدَّعا
أقول وقد طار السَّنا في ربابه وجونٍ يَسُحُّ الماء حتى تَرَبَّعا(١٠)

سقى الله أرضاً حلَّها قبرُ مالك
ذِهابَ الغوادي المُدْجناتِ فأمْرَعا[11]

وآثَرَ سَيْلَ الواديين بديمةٍ
تُرشِّحُ وسمياً من النَّبْتِ خرْوعا

فمَجْتمعَ الأسدام من حول شارع
فروَّى جبال (القريتين) فضلعفا[12]

فوالله ما أُسْقِي البلاد لحُبِّها
ولكنني أُسْقي الحبيب المَوَدَّعا

تحيته مني وان كان نائياً
وأمسى تُراباً فوقه الأرضُ بَلْقعا

ولقد ذكرنا هذه الأبيات من القصيدة لنشرك القارىء الكريم في التعرف على (القريتين) اللتين ورد ذكرهما فيها .

فالمتبادر الى الذهن انهما قريتا ابن عامر اللتان في القصيم وذلك لأن هذه القصيدة لمتمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك بن نويرة اليربوعي . وبنو يربوع كانت لهم عدة أماكن في شمال القصيم عندما ظهر الإسلام مثل القُوارة وخُفّ (الخفيات) وزنقب (الساقية) فهو إذاً غير غريب عن هذه المنطقة بل هو منها قريب . إضافة الى أن مالكاً قُتِلَ في البطاح القريب من الرس قتله خالد بن الوليد أثناء حروب الردة . ومن الطبيعي أن يدفن في القصيم سواء في البطاح أو في مكان قريب منه .

ودليل آخر وهو ان متمما ذكر مع القريتين (ضلعفا) الذي هو الضلفعة في الوقت الحاضر .

وقد رأيت بعض الباحثين ذكر أن مالك بن نويرة قتل في البطاح ودفن في الضلفعة (ضلفع) ولا أدري مصدره في ذلك إلا أن هذا البيت الذي قاله متمم بن نويرة من هذه القصيدة :

فمجتمع الأسدام من حول شارع
فَروَّى جبال القريتين فضلعفا

كما سبق يحمل على القول بأن القريتين في هذه القصيدة هما قَرْيتا ابن عامر كما صنع البكري رحمه الله . غير أن هناك إشكالاً في البيت في شارع ما هو شارع ؟ وفي أي مكان هو ؟

وذلك لأن شارعاً المشهور وبخاصة في شعر ذي الرمة هو نقاً من أنقاء الدهناء اسمه

«شارع»[١٣] وطبيعي أنه ليس بهذا المذكور في بيت متمم بن نويرة فهل هو شارع غيره أم أن الأمر فيه تحريف وتصحيف؟

واذا تركنا شارعاً وشأنه مع أن البحث يدعونا الاّ نتركه ولكننا نفعل ذلك مرغمين فإن جبال القريتين تعترض لنا أيضاً مبدية إشكالاً أكثر من الإشكال الموجود في شارع ذلك بأن قريتي القصيم ليس فيهما جبال وانما حولها وبخاصة الشرقية منهما ظراب: جمع ظرب بمعنى (جال) عند العامة فأين جبال القريتين؟ إننا لا نستطيع أن نطمئن تمام الاطمئنان الى أن المراد بالقريتين هنا قريتا القصيم إلاّ إذا وجدنا جبال القريتين ونحن لن نجدهما أو وجدنا علماً أفادنا بأن كلمة جبال هنا محرفة عن حبال — بالحاء — مثلاً أو جماد — جمع جمد بمعنى جال — أو نحو ذلك والله أعلم.

على أن ذكر متمم بن نويرة للواديين — تثنية وادي — في قصيدته مما يرجح القول بأن المراد بالقريتين قريتا ابن عامر اذ وادي الرمة معروف وهما على شفيره، وهناك انحناءات وديان بقربهما يسمى كل واحد منها بوادي كذا مثل «وادي الجناح» و«وادي العمران» و«وادي أبو علي» وتسميها العامة من المحدثين جميعاً بالوديان كما قال أحد شعراء العامة من أهل عنيزة وهو علي الخياط:

يا عيني اللي حاربة للنوم ... يوم حَلَّ القطع بالوديان

وتقدم ايرادها في رسم (عنيزة).

وقال صاحب المناسك وهو يتكلم على طريق حاج البصرة الى مكة، بعد أن ذكر النباج ثم العوسجة: ثم القريتين: أخبرني الثُّمالي عن التَّوزّي عن الأصمعي، قال: القريتان كانتا لطسم وجديس، قال زهير:

عهدي بهم يوم باب (القريتين) وقد ... زال الهماليجُ بالفُرْسانِ واللُّجُم

فاستبدلت بعدنا داراً يمانية ... ترعى الخريف فأدنى دارها ظَلِمُ[١٤]

أخبرني الثمالي عن التَوزّي عن أبي عمرو قال أصيبت (بالقريتين) دراهم، وزن الدرهم منها تسعة دراهم وثلثان، مِنْ بقايا طسم وجديس، قال: فسألتهم أن يدفعوا

اليّ ، ويأخذوا وزنها . فقالوا : نخاف السلطان .

أقول : ستأتي فيما بعد رواية لهذا النص مع التعليق ان شاء الله .

ثم روى الحربي عن محمد بن سليمان قال :

القريتان : الدنيا منهما قرية ابن عامر ، والأخرى قرية يقال لها (العسكر) وهي بلد نخل تَطَّرِدُ في اضعافها عيون في مائها غلظ ، وأهلها يستعذبون ماء عنيزة ، وهي على ميلين من القريتين(١٥) .

أقول : قوله : الدنيا منهما قرية ابن عامر يدل على ما قلناه من أن (القريّة) هي التي كانت تسمى (قرية ابن عامر) لأنها ادنى القريتين من العراق ، وان الثانية هي العيارية ، وهي التي كان يقال لها (العسكر) والعسكرة وذلك يصحح لنا ما في هذا النص اذْ ورد فيه اسم الحصن الذي في القرية الأخرى التي بناها جعفر بن سليمان (العسفر) وذلك تحريف ظاهر يدل عليه ما قاله لغدة :

القصيم : موضع ذو غضا ، فيه مياه كثيرة وقرى ، منها قريتا ابن عامر وهما اليوم لولد جعفر بن سليمان احداهما يقال لها : العسكرة .

وقد سبق شيء من إيضاح ذلك في رسم «العيارية» في حرف العين .

وقول الحربي في روايته : وهي بلد نخل تطرد بين أضعافها عيون ، يريد بذلك العسكرة التي هي العيارية بدليل قوله : وأهلها يستعذبون الماء من عنيزة وهي على ميلين من القريتين ، فالعسكرة التي هي العيارية أقرب الى عنيزة من قرية ابن عامر التي هي القريّة في الوقت الحاضر .

وقد أوضح وهب بن جرير بن حازم الجهضمي موقع القريتين بالنسبة الى طريق حاج البصرة الى مكة في أرجوزته التي ذكر فيها مواضع ذلك الطريق بعد أن ذكر دخول الحجيج إلى رمال القصيم بعد أن تجاوزوا (الصريف) ثم مرورهم بقاع بولان (القاع الأبيض) ثم القريتين ، ثم ذكر بعد القريتين اختراقهم لرمال عجلز أو لكثيب عجلز على حد تعبيره وهي رمال الغميس كما تسمى في الوقت الحاضر ثم رامة قال :

حتى إذا أوفت على القصيم وخلّفتْ أرضَ بني تميم
قلت لها جِدّي ولا تقيمي

فاختلَفَتْ تنحطُّ في رماله مثل انحطاط الوعل في أجباله
تحذو اذا انحطَّتْ على مثاله(١٦)

حتى إذا مَرَّتْ بقاع بولان مزهوة تخدي أمام الركبان
حَرْف أمونٌ ذاتُ لَوْث مِذْعَانْ

ثم مَضَتْ قِدْماً تَؤمُّ النَّخْلا تقدم اطلاحا عتاقا بُزْلا
تكاد تذري حلسها والرَّحْلا

عامدةً للقريتين لا تني لو عُطِفَتْ لمرتع لم تنثنِ
متى تحركها لسير تُمْعِنِ

بَهْزَرَةٌ في أيْنُقٍ بهازر لما رأين (قرية ابن عامر)
رمينها بالأعين الفواتر

فَوَرَدَتْ والشمس لمَّا تَطْلعِ عطشَى بها حرارةٌ لم تُنْقَعِ
متى تُقرِّبْها لماءٍ تَكْرَعِ

هذا ونحن في صميم الْبَرْدِ قد يَطَّبيها الوِرْدُ بعد الورد
عيهمة كالهقل حين تَخْدي

فأخبر القوم، وقيل: شَمِّرُوا فارتحلوا وهُنَّ خُوصٌ ضُمَّرُ
يَسْتاقُهُنَّ سائق حَزَوَّرُ

ثم مَضَتْ نحو كثيب عَجْلَز تنحطُّ بالسير الوَحْيِّ الموجز
لو طَلَبَتْ وحشية لم تُعْجِزِ

فَسِرْنَ في لبث على الكثيب تعسل فيه عَسَلاَنَ الذيب
باقية النيِّ على الدؤوب

تشرف فيه تارةً، وتنحدر دائمة النشاط كالعير الأشِر
راحت كذاك، وكذاك تبتكر

قاصدة بي ما تخاف ميلا فوردت بي رامتين ليلا
سريعة السَّيرِ تَسيل سيْلا[١٧]

وتعتبر القريتان المنزل الثاني عشر من منازل حاج البصرة الى مكة بالنسبة للمصعد أي: المتوجه من البصرة الى مكة.

قال صاحب المناسك وهو يعدد منازل الطريق بالنسبة للمتوجه منها الى مكة:

الثاني عشر: القريتان، وبالقريتين منبر، وهي لقريش لولد ابي الحميصه[١٨]. وقد كانت القريتان منزلاً هاماً من منازل الطريق المذكور يذكرهما كل من ذكر منازل أو عدد محطاته كما قال الإمام الهجري بعد أن ذكر طريق الخارج من ضرية بريد مكة:

فإن خرج من ضرية بريد البصرة، شرب بطخفة، ثم إمَّرة، ثم رامة ثم (القريتين) وبين القريتين والنباج أربعون ميلاً في المنزلين جميعاً، ثم العوسجة ثم النباج ثم الينسبوعة، ثم العشر، ثم ماوية، ثم الحفَر: حَفَر أبي موسىٰ، ثم الخرجاء، ثم الشجي، ثم الرُّحَيْل، ثم الحُفَيْر، ثم البصرة[١٩].

والقريتان قديمتان بل هما جاهليتان عرفتا قبل الإسلام، وقالت عنهما الأساطير إنهما كانتا لِطَسْم وجَدِيس من العرب البائدة وانه وجدت فيهما نقود قديمة.
ذكر ياقوت ذات (الأبواب) وقال: قالوا في قول زهير:

عهدي بهم يوم باب القريتين وقد زال الهماليج بالفرسان واللُّجُمُ

باب القريتين التي بطريق مكة — يقصد من البصرة — فيها ذات أبواب، وهي قرية كانت لطسم وجديس، قال الأصمعي: حدثني أبو عمرو ابن العلاء قال: وجدوا في ذات أبواب دراهم في كل درهم ستة دراهم من دراهمنا ودانقان، فقلتُ: خذوا مني بوزنها وأعطونيها، فقالوا: نخاف السلطان لأنا نريد أن ندفعها اليه[٢٠].

أقول : أعتقد أن ذات الأبواب هذه كانت قد خربت وبارت قبل ظهور الإسلام إلاَّ أنه كان قد بقي منها آثار أبنية عالية كالأبواب والعقود ، وذلك ما حمل زهيراً على أن يذكر باب القريتين ، وما حمل الذين رأوها على أن يُسَمُّوها « ذات الأبواب » لأن اسم القريتين فيا نفهم كان قد أُحْدِثَ بعد ذلك إحداهما وهي قرية عبدالله بن عامر بن كريز التي هي هذه التي تسمى الآن « القريَّة » أنشأها أو عمرها بمعنى وجدها باثرةً فأعاد عمارتها الصحابيُّ الجليل عبدالله بن عامر بن كريز في وقت متأخر من ظهور الإسلام إذ ولادته رضي الله عنه كانت بعد الهجرة النبوية الى المدينة . وسميت «قرية ابن عامر» والأخرى بناها جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله بن عباس في القرن الثاني للهجرة وكان اسمها « العسكرة » أو حصن العسكر في أول الأمر ثم غلب عليها اسم القرية فأصبحت إحدى القريتين .

وعلى هذا يكون اسم « ذات الأبواب » للقرية القديمة التي كانت لطسم وجديس كما تقول النصوص ، ولعل ذلك مما يوحي بقدم عمارتها ، وبأن آثارها التي منها أبواب ظلت باقية الى عصر زهير بن أبي سلمى قبيل ظهور الإسلام وهذا هو الذي يوحي به وجود دراهم عظيمة المقدار فيها اذْ هذه غالباً ما توجد في الدفائن في المحلات القديمة أو في الآثار التي خَلَّفها الأولون .

والنَّصُّ الذي ورد فيه ذكر وجود هذه الدراهم يوحي بذلك فقد ذكر راوي الخبر وهو الإمام الثِّقَة بل الحُجَّة أبو عمرو بن العلاء أنه في كل درهم ستة دراهم من دراهمهم ودانقان[٢١] وانه قال : خذوا مني بوزنها واعطونيها يريد بوزنها فضة وذلك لرغبته فيها لقدمها والا فإنه لا وَزْن فيها زائداً من الفِضَّة إذا كان سيعطيهم مثل ما فيها من الوزن ، ولم يشأ وهو الإمام الورع أن يزيدهم على وزنها فضة لأن ذلك من الرِّبا الذي لا يجوز إلاَّ أنه لو كان اشتراها منهم بذهب لجاز له أن يعطيهم ما يتراضى معهم عليه من قيمتها شرط أن يكون ذلك يداً بيد .

الا أنهم امتنعوا من ذلك وقالوا : إننا نخاف السلطان وليست هذه الكلمة على ظاهرها وأنها تعني السلطان أي الحاكم الذي كان اسمه السلطان فلم تكن هذه الكلمة من ألقاب الحاكم في ذلك الوقت فأبو عمرو بن العلاء عاش آخر القرن الثاني الهجري وإنما

المراد بالسلطان ما يسمى الآن (السُّلْطة) وهي كلمة أقل استعمالاً في الفصحى من كلمة السلطان .

فهم يخافون أن يعرف صاحب السلطان وهو الخليفة أو عامله على تلك الناحية بأنها عندهم فيعاقبهم على عدم إيصالها اليه لأنها من الرِّكائز التي هي تُعْنى الكنوز في الأرض وفيها الخُمُس لبيت المال . ولذلك قال المبرد فيما يتعلق بتلك القرية القديمة :

يقال : إنَّ اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هناك كانت لِطَسْم وجَديس[٢٢]

أقول : واضح أن موضع القريتين كان يؤهلها لذلك فهما أُقيمتا على ضفتيّ وادي الرمة الذي كان أكثر جرياناً ، والامطار كانت أوفر فكان يأتي بالطمي والخصب الى أرضها وكانت المياه تجري فيه عيوناً سارحة تنمو عليها النخيل والأشجار وهناك غير بعيد منها أماكن خصبة لزراعة القمح والحبوب مثل الزغيبية .

وقد أدركت ومَنْ كان في مثل سني عشرات العيون الجارية أو التي كانت جارية وبقيت خرائقها وآثار مسيرها في منطقة القريتين ، في العَبَّارية وما كان غربا من (القريّة) هذه وما كان على يمين المتوجه من بريدة الى عنيزة وعلى يساره مع الطريق الذي أصبح عليه الجسر الذي يربط الآن بين المدينتين على وادي الرمة .

أما بيت زهير الذي ذكر فيه (باب القريتين) فإنه من قصيدة له يمدح فيها هَرِمَ بن سِنَان المُرِّيَّ أولها[٢٣] :

قِفْ بالديار التي لم يَعْفُها القِدَم   بلى ، وغَيَّرها الأرواح[٢٤] والدِّيَمْ

تغزل فيها بمحبوبته سلمى ، وذكر أن لها داراً في الغمرين ثنية غمروهما في شمال القصيم الغربي في المنطقة التابعة لحائل[٢٥] وهي من ديار بني أسد وان سلمى ومَنْ معها تركوا تلك الديار ، ربما كان ذلك انتجاعاً للغيث أو لغرض آخر — الى حيث سالت بهم قرقرى التي هي في جو اليمامة الذي فيه (ضرما) ويقع غرباً من جبل طويق ، بحيث جعلوا بركا[٢٦] والعاليات على أيمانهم . وخيما[٢٧] على أيسارهم أما زهير فإن آخر عهده بهم قبل أن يترحلوا الى تلك المنطقة البعيدة عن بلاد بني أسد التي تقع بجوار بلاده التي

سكنها عند أخواله بني عبدالله بن غطفان في غربي القصيم ، هو يوم أن سال بهم وادي السليل ، أي : يوم ساروا من وادي السليل عند جبل أبان بالقرب من بلدة النبهانية .

ثم تذكّر أنه كان قد رآها قبل هذه النجعة البعيدة في أماكن أخرى مرتفعة عن منطقة القصيم مثل وادي الجفر والهدم التي تسمى في الوقت الحاضر (الهدايم)[٢٨] وسراء التي كتبت في الديوان (السِّرّ) ونعتقده خطأً .

وكذلك ذكر لُكَانَ في بلاد بني أسد الذي يقع الى الجنوب من مدينة حائل بحوالي ١٥٥ كيلاً ولا يزال معروفاً بهذا الإسم[٢٩] ووادي الغمار الذي سبق ذكره في (الغمار) في حرف الغين . وكذلك في شرقي جبل سلمى وفيد ورمم .

ثم تذكر أيضاً أنه كان قد عهدهم وهم بباب القريتين اللتين هما قرب مدينة عنيزة وقد ركبوا الهمالج من الإبل التي شُدَّت معها الخيل لأنهم اذا سافروا ركبوا الإبل وجَنَّبوا الخيل .

وأن سلمى بَعْدَ عهده بها في الأماكن المذكورة قد استبدلت داراً يمانيةً أي الى جهة اليَمَن وهي جهة الجنوب .

وهذه هي الأبيات التي ذكرت فيها هذه المواضع من القصيدة مع البيت الذي فيه ذكر القريتين ليتصور القاريء سياقها[٣٠] :

دارٌ لأسماء بالغمرين ماثلة ... كالوحي ليس بها من أهلها أرِمُ[٣١]
سالت بهم قرقرى : بِرْكٌ بأيمنهم ... فالعاليات ، وعن أيسارهم خِيَمُ
كأنَّ عيني وقد سال السليل بهم ... وعَبْرَةٌ ما هُمُ لو أنهم أمَمُ[٣٢]
بل قد أراها جميعاً غير مقوية ... السِّرُّ منها فوادي الجَفْرِ فالهِدَمُ[٣٣]
ولا (لُكان) ولا وادي الغمار ولا ... شرقيُّ سَلْمَىٰ ولا فَيْدٌ ولا رِمَمُ
عهدي بهم يوم (باب القريتين) وقد ... زال الهماليج بالفرسان واللُّجُمُ
فاسْتَبْدَلَتْ بعدنا داراً يمانية ... ترعى الخريف فأدنى دارها ظَلَمُ[٣٤]

وكما كان للقريتين اسم قديم هو (ذات الأبواب) كان لهما اسم آخر غير القريتين مما يؤكد قدمها واهميتها في أذهان أهل ذلك العصر وهو (أَبْوَىٰ).

قال ياقوت: أَبْوَىٰ: مقصور: اسم للقريتين اللتين على طريق البصرة الى مكة [35].

أقول: الظاهر أن ياقوتاً أخذ ذلك مِنْ كتاب نصر الاسكندري إذْ نص على ما يأتي:

أَبْوَى كان اسماً للقريتين اللتين على طريق البصرة الى مكة المنسوبتين بِطَسْمٍ وجديس أو لأحدهما [36].

فتأمل قوله: كان اسماً مما يدل على ما قلناه بأنه اسم تاريخي آخر قديم لهما مثل «ذات الأبواب» أو ربما كان أكثر إيغالاً في القدم ولم ينقله ياقوت فيما نقله من كتاب نصر مع أن أستاذنا حمد الجاسر يعتقد أن النسخة التي وصلت الينا من كتاب نصر هي بعينها التي اطلع عليها ياقوت وهي المحفوظة الآن في المتحف البريطاني، وعَلَّلَ ذلك بكون ياقوت ينقل عنها أحياناً أشياء على ما فيها من اضطراب، إضافة الى أنَّ تاريخ نسخها فيما يعتقد سابق على وفاة ياقوت، وقد أورد ياقوت بعد كلامه على (أبوي) شاهداً من شعر المُثَقِّب العَبْديَّ على (أبوى) ربما كان في موضع آخر يقال له: (أبوى) أو أنه كان يتصور في ذهنه عن حال كانت لأبوى قديمة لأنه هو من شعراء الجاهلية القدماء، واذا كان يتحدث عن شيء في ذهنه متقدم على زمنه فذلك يكون أعرق في القدم. قال المثقب العَبْدي:

ألا مَنْ مُبلِغ عَدْوان عني ... وما يُغْني التَّوَعُّدُ منْ بَعيد
فإنك لو رايت رجال (أَبْوَىٰ) ... غداةَ تسربلوا حَلَقَ الحديد
إذاً لظننت جِنَّة ذي عَرين ... وآساد العُرَيفة في صعيد

فذكر هنا لقدم زمنه آساد العريفة: جمع أسد.

على أن الذي أرجحه أن شعره هذا في مكان آخر غير أبوى التي أصبحت تسمى في

صدر الإسلام القريتين وفي هذا العهد القريّة والعبارية .

وقيل : قال رجل من بني سليم ، وسأله الحَجّاجُ عن المطر فقال : أصابتنا سحائب ثلاث : سحابة بِحَوْران(٣٧) بقَطْر صغار وقَطْر كبار فكان الصِغَارُ للكبار لُحْمَةً ، ثم أصابتنا الثانية بسُوّاء فلَبَّدَت الدِّماث ودَحَضَت العَزاز وصدعت الكمْأة عن أماكنها . ثم أصابتْنا الثالثة (بالقريتين) فملأت الإخاذ ، وأفْعَمَتْ كل واد ، وأقبلنا في ماء يَجرُّ الضّبُع ، ويستخرجها من وجارها(٣٨) .

وكانت القريتان توصفان بالتمدن والظلال ويوصف مَنْ يسكنهما بأنه حَضَرِيٌّ وليس بَدَوِيّاً كما قال الفرزدق في هجاء جرير :

فاسأل فإنك من كليب والتمس ... بالعسكرين بقية الأظلال

قال أبو عبيدة : قوله والتمس بالعسكرين يعني القريتين قريتي ابن عامر ، وفيهما سوق وتمر ونبّاذون . قال : وإنما يرميه بانَّ له منزلاً في القريتين ، وانه ليس ببَدوي(٤٠) . أقول : وقوله بالعسكرين يريد العسكرة إحدى القريتين والأخرى ، تغليبا لاسم العسكره .

ومن الشعر في القريتين قول جرير(٤١) :

تغشى النباج بنوقيس بن حنظلة ... والقريتين بسُرّاق وَنُزّال

والدليل على ذلك أنه قرن ذكرهما بذكر النباج القريب منهما والذي يسمى الآن « الأسياح » وقد تقدم توجيه هذا البيت مع بيتين آخرين في رسم (القاع الأبيض) ، وقال جرير(٤٢) :

لَعَلَّكَ مَحْزُون لِعرفان منزلٍ ... مُحِيل بوادي القريتين منازله
فإني ولو لام العواذل مولعٌ ... بحُبِّ الغضا مِنْ حُبِّ مَنْ لا يُزايلُهْ

ونستدل على أنه يريد قريتّي القصيم بذكره للوادي الذي هو جانب من وادي الرمة . وذكره للغضا الذي يكثر في الرمال التي تقع قريبة من القريتين ، وبخاصة في الحبل الرملي الذي يقع الى الشرق من القرية والذي يسمى الآن « لوى » كما سيأتي ذكره في حرف اللام .

وقد ذكر الادريسي (القريتين) في كتابه «نزهة المشتاق» في معرض كلامه على اليمامة وذكر أنه كان فيها حِصْنٌ وان عندها يجتمع الطريق ويريد طريق البصرة الى مكة وطريق اليمامة قال :

ومن اليمامة الى مكة طريق وهو من اليمامة الى العرض مرحلة : ثم الى الصفراء مرحلة ثم الى صدا مرحلة، ثم الى حصن (القريتين) الذي في طريق البصرة مرحلة و(بالقريتين) تجتمع الطرق ومن (القريتين) الى رامة مرحلة(٤٣) .

وهذا يدل على أنهما كانتا محطة هامة من محطات الطريق حتى أنَّ مَنْ كان من أهل نجد نازلاً منها جنوباً فإنه يذهب اليها وان لم يكونا على القصد بالنسبة الى ما يريد أن يذهب اليه من المواضع وذلك لكي ينطلق منها مع طريق واضح المعالم ، بين المسالك فيه الأعلام والأميال ، وفيه البرك والمياه ، وسوف ننقل بعد ذلك عبارات لبعض المتقدمين تدل على أهميتها من هذه الناحية .

والى ذلك كانت القريتان في القديم مكاناً واضحاً معروفاً حتى كانت بعض البلدان والمواضع تعرّف بقربها أو بعدها منها أو بالنسبة الى الاتجاه لها .

ومن ذلك ما قاله الأصمعي : سمعت الأعراب تقول : إذا خَلَّفْتَ عجلزاً مُصْعِداً فقد أنجدْت . وعجلز فوق القريتين(٤٤) .

أقول : عجلز : هو الزريب كما سبق أن أوضحت رأيي هذا في رسم الزريب في حرف الزاي ، ورمال عجلز تشمل رمال الغميس الذي عن مجرى وادي الرمة يميناً وشمالاً قبل الشبيبيَّة في البدائع .

بل ان عنيزة نفسها التي أصبحت المدينة الثانية في القصيم قد كان الأقدمون يعرفون موضعها بالقريتين ، وذلك — بطبيعة الحال — قبل أن تصبح قرية ، وكانت آنذاك حسبما نفهمه من النصوص روضة فيها ماء استخرجه محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله ابن عباس .

قال ابن السكّيت : الخُرْج بعنيزة خلف (القريتين) في طريق البصرة الى مكة(٤٥) .

و(رامة) المشهورة عُرِّفَ مكانها بقربه من (القريتين) قال عمارة بن عقيل : رامة وراء القريتين في طريق البصرة الى مكة[٤٦] .

أقول : يريد بذلك لمن يكون مقيماً بالعراق ، وعاقل عرَّفه عمارة بن عقيل نفسه بأنه وراء القريتين[٤٧] .

وقال ياقوت : الرمادة : بلدة من وراء القريتين على طريق البصرة — يقصد الى مكة — وهو نصف الطريق من البصرة الى مكة .

وقال السَّكوني : من خرج من القريتين متياسرا ، يعني القريتين اللتين عند النباج ، فأول منزل يلقاه الفقي[٤٨] وأهله بنو ضبة[٤٩] ، وقال ابن شبيب : نجد من أوطاس الى القريتين .[٥٠]

وأنشد الهجري للغنوي :

تأبَّدت العجالز من رياح واقفرت المدافع من خزاق
واقفر من بني كعب جُبَاحُ فذو غثث الى وادي العناق
وكانوا يدفعون النوم عني فيقصر، وهو مشدود الخناق

وقال : العجالز التي ذكر : أراد عجلزاً ، وهو ماء في الطريق — يريد طريق الحاج البصري الى مكة — بينه وبين القريتين تسعة أميال ، والى جنبه ماء يقال له رحبة[٥١] .

ونقل الحربي عن يحيى بن جابر الكلابي قال : اذا قصدت الى اليمامة فأول منبر إذا خرجت من (القريتين) فأشيُّ وأهله بنوعدي[٥٢] .

هكذا أورده الحربي مجملاً ولم يوضح البلد الذي يخرج منه وان كان ظاهره أنه يريد بذلك من خرج من البصرة فإنه يسير مع الطريق السلطاني طريق الحاج حتى يصل الى القريتين ثم من القريتين يذهب الى أشي في سدير وذلك إذا أراد أن يتجنب طريق البرية القفراء الذي ينطلق من البصرة الى اليمامة .

ويجوز أن يكون المراد بذلك هو الخارج من النباج (الأسياح في الوقت الحاضر) وذلك ما صرَّح به السَّكُوني فيما نقله عنه ياقوت قال :

مَنْ أراد اليمامة من النباج سار الى (القريتين) ثم خرج منها الى أُشيّ وهي لِعَدي الرِّباب الخ .

وقال صاحب المناسك أيضاً :

ولليمامة طريقان الى مكة : طريق من (القريتين) لا يأخذ فيه على مرأة[٥٣] ، وطريق على مرأة فإذا خرجت من مرأة ، فأول منبر يلقاك منير بعقرباء الخ[٥٤] .

وقال السَّكونيُّ أيضاً : من خرج من (القريتين) متياسراً يعني (القريتين) اللتين عند النباج فأول منزل يلقاه الفَقْيُ ، وأهله بنوضبة ، ثم السحيمية[٥٥] .

وذكر الإمام نصر الاسكندري (مُبيناً) وهو ماء من عظام مياه بني ضَبَّة لبني السِّيد منهم فقال : إنه بين (القريتين) وفيد ، وذكر ماء لبني نُمَير وراء (القريتين) بنصف مرحلة ملتقى الرمل والجلد[٥٦] .

وقال نصر أيضاً : جَرَدُ القصيم : من (القريتين) على مرحلة ، وهما دون رامة بمرحلة ، ثم إمَّرة الحمى ، ثم طِخْفة ، ثم ضرية[٥٧] .

وقال الاصمعي :

وللبصرة الى مكة طريقان : أما أحدهما فالصحراء عن يسارك ، وانت مصعد الى مكة ليالٍ ، فإذا ارتفعت فخرجت من فَلْج فانت في الرمل ، فإذا جاوزت النباج و(القريتين) فقد انجدت[٥٨] .

وقال ابن شبيب : ذات عرق من الغور ، والغور من ذات عرق الى أوطاس . وأوطاس على نفس الطريق ، ونجد من أوطاس الى (القريتين)[٥٩] .

إيضـاح :

هناك موضع آخر في حائل اسمه (القريَّة) بصيغة التصغير على لفظ هذه التي في القصيم ، ولكنه ليس بها بل هو بعيد عنها ، وقد نَوَّهتُ به منعاً للاشتباه . وهو الذي ذكره امرؤ القيس مقروناً بذكر حائل في قوله :

تـبيت لَبُوني (بالقُرَيَّة) أُمَّنا وأسرحها غِبّاً باكناف حائل

قال البكري بعد أن أنشد هذا البيت : القُرَيَّة : بجبلي طيء معروفة[٦٠] وقال ابن الكلبي : (القُرَيَّة) تصغير قرية : مكان في جبَلي طيء مشهور قال امرؤ القيس :

أبت أجأٌ أنْ تُسلِم العام رَبّها ... فمَنْ شاء فلينهض لها مِنْ مُقاتل
تبيت لَبُوني بالقُرَيَّة أُمَّناً ... وأسْرَحها غِبّاً بأكناف حائل
بنو ثُعَلٍ جيرانها وحُماتُها ... وتُمْنَعُ من أبطال سعد ونائل[٦١]

وكان أوس بن سعد قال للنعمان بن المنذر أنا أُدْخِلُكَ بين جبلي طيء حتى يدين لك أهلها ، فبلغ ذلك حاتماً الطائي فقال :

ولقد بغى بجلاد أوسٍ قومَهُ ... ذُلاًّ وقد علمت بذلك سِنْبِسُ[٦٢]
حاشا بني عمرو بن سِنْبِس، إنهم ... منعوا ذمار أبيهمُ أنْ يَدْنَسُوا
وتواعدوا وِرْدَ (القُرَيَّة) غُدْوَة ... وحلفت بالله العزيز لَنَحبِسُ
والله يعلم لو أتى بسُلافهم ... طرف الجريض لظل يَوْمٌ مُشْكِسُ

قال الشيخ علي الصالح : القُرَيَّة : معروفة جنوباً عن حائل[٦٣] .

فهذه القرية في شمال نجد الى الشمال من (قُرَيَّة) القصيم التي كان اسمها في القديم قرية ابن عامر — بالتكبير — وهناك قُرَيَّةٌ أخرى تقع جنوباً من القصيم في اليمامة وهي التي تسمى (سدوس) في الوقت الحاضر.

قال محبوب بن أبي العَشَنَّط النهشلي[٦٤] :

لَرَوْضة من رياض الحَزْن أوْ طَرَفٌ ... من (القُرَيَّة) جَرْدٌ غيرُ محروثِ
لِلنُّوْر فيه إذا مَجَّ النَّدَى أَرَجٌ ... يشفي الصداع ويشفي كلَّ مَمْغُوثِ
أملا وأحلى لعيني إنْ مررتُ به ... من كرخ بغداد ذي الرمان والتوث[٦٥]
الليل نصفان : نِصْفٌ للهموم ، فما ... أقصى الرُّقادَ ، ونصف للبراغيث

أبـيت حين تُسـامـيني أوائـلـهـا أنزو واخـلـط تسبيحاً بتغويثِ

هذا في نجد وهناك قُرَيَّةٌ أخرى كانت في الجانب الغربي من بغداد ، وقُرَيَّةٌ أخرى تحت مدينة واسط في العراق(٦٦) .

أما القريتان بلفظ التثنية وهو الاسم الذي كان موجوداً للقريتين التاريخيتين اللتين هما قريتا ابن عامر في القصيم فهناك مما يطابق اسمها وهما مكة والطائف قال الله تعالى : (وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْن عظيمٍ) قال المفسرون : هما مكة والطائف .

وقد وهم ياقوت رحمه الله حين ذكر أنهما المرادتان بشعر مَعْن بن أَوْس المُزَنِي إذْ قال : واياها أراد معن بن أوس بقوله :

لها مَوْرِدٌ بـالـقـريـتين ومصـدر لِفَوْتٍ فلاة لا تزال تُنازله(٦٧)

ذلك بأن الشعر يدل على أن المراد به القريتان اللتان في القصيم لأن الشاعر ذكر المورد والمصدر والفلاة وهي بالقريتين اللتين في القصيم أشبه منها بالقريتين اللتين هما مكة والطائف .

إضافة الى أن سياق القصيدة التي منها هذا البيت في ديوان معن بن أوس يدل على ذلك وهو قوله(٦٨) :

تجرُّ بـروضـات الإشـاءة أرْجُلاً رمتها أنابيش السَّفَا ونواصله
أَبَتْ إبلي ماء الحياض بأرضها وما شنَّها من جار سوء تزايله
لها مورد (بـالـقـريـتين) ومَصْدَرٌ لِـفَوْت فلاةٍ لا تـزال تـنـازلـه
عليه شَرِبٌ لَيِّنٌ وادعُ العصا يُساجلها جَمَّاتِه وتُساجِلُهْ

فذكر أن إبله قد أَبَتْ ماء الحياض بأرضها وهو من بني مزينة ممن سكناهم في الحجاز جنوباً من المدينة المنورة كما هو معروف ، فكان لإبله مورد الى الماء في (القريتين) ومصدر منه .

وهناك قريتان في اليمامة وهما قُرَّان وملهم وهما كانتا لبني سحيم وتسمى قُرَّان في

الوقت الحاضر القرينة أمامَهُم فهي باقية على تسميتها القديمة[69] .

و(القريتان) قرية كبيرة من أعمال حمص في طريق البرية .. وإياها عنىْ ابن قيس الرُّقيَّات بقوله :

وَسَرَتْ بغلتي اليك من الشا ... م وحَوْرانُ دونها والـعَـويـرُ
وسواءٌ و(قـريـتـان) وعين الـتَّـمْـر ... خَـرْق يـكـلُّ فـيـه الـبـعـير
فـأستـقت من سجاله بسجالٍ ... لـيس فيهـا مَنٌّ ولا تـكـديـر

الرياض — محمد العبودي

الحـواشي :

(١) كلٌّ خبر الخ ، أي : لقد علم الجميع ما فعلناه في الضحى جهاراً بيِّنا .
(٢) سنذكر «نفود لوى» في حرف اللام تحت رسم «لوى» .
(٤) بلاد العرب ص ٣٣٩ — ٣٤٠ .
(٥) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٤ .
(٦) أنظر عن القطامي الأغاني للأصبهاني الجزء الرابع (طبعة دار الكتب) .
(٧) المفضليات ص ٢٦٥ — ٢٧٠ والشرح منه .
(٨) المنهال هو المنهال بن عصمة الرياحي كفَّن مالك بن نويرة في ثوبيه .
(٩) الكنيف : حظيرة من شجر تجعل للإبل تقيها البرد والمرفع : المرفوع .
(١٠) السنا : ضوء البرق . والرباب : السحاب الذي يكون دون السحاب ، والجون هنا : الأسود
(١١) الذِّهاب : جمع ذهبة بكسر الذال وهي المطرة الغزيرة والغوادي : جمع غادية وهي السحب التي تغدو بالمطر أي في وقت الغداة . والمدجنات التي تغطي السماء بالسحاب . وامرع : أخصب .
(١٢) الاسدام : جمع سدم وهو الماء المندفن يتغير من طول الوقت .
(١٣) ياقوت : رسم «شارع» وقد أورد أبيات متمم بن نويرة فيه وظاهر صنيعه أنه يريد أنها في شارع الذي في الدهنا وذلك غير مراد كما بينا من سياق القصيدة الى عدم وجود ضلفع والواديين — تثنية وادي في الدهنا — كما أن الأسدام لا تكون في الدهناء .
(١٤) سيأتي الكلام على بيت زهير هذا مع الأبيات التي قبله وبعده .
(١٥) المناسك ص ٥٨٨ — ٥٨٩ .
(١٦) على مثال الوعل .
(١٧) المناسك ص ٦٣١ — ٦٣٢ .

(١٨) المناسك ص ٦١٢ وعلق الأستاذ حمد الجاسر على ذلك بقوله : الكلمة في الأصل غير منقطة الحروف وربما كانت حميضة والقريتان في ذلك العهد لآل سليمان بن عبدالله بن عباس وآل كريز وكلهم من قريش ويخالطهم غيرهم .

(١٩) أبو علي الهجري وأبحاثه ص ٣٣٣ — ٣٣٤ وكانت كلمة القريتين فيه مكتوبة (الفريش) وهو تطبيع أو خطأ من الناسخ لا شك فيه .

(٢٠) ياقوت : رسم «ذات أبواب» . وشرح ديوان زهير ص ١٥٠ — ١٥١ . والقصة في الكامل للمبرد ص ٧٣٢ .

(٢١) دانقان : تثنية دانق وهو سدس الدرهم من الفضة في المقدار .

(٢٢) الكامل ص ٧٣١ .

(٢٣) ديوانه ص ١٤٦ .

(٢٤) الأرواح : الرياح .

(٢٥) راجع عن الغمرين معجم شمال المملكة للأستاذ حمد الجاسر ص ١٠٠٤ .

(٢٦) راجع عن (برك) معجم اليمامة .

(٢٧) راجع عن «خيم» معجم العالية .

(٢٨) راجع عن الهدايم معجم شمال المملكة ص ١٣٨٤ .

(٢٩) راجع عنه أيضاً معجم شمال المملكة ص ١١٦٤ .

(٣٠) ديوان زهير ص ١٤٦ — ١٥٢ .

(٣١) ماثلة : أي : لاطئة لا يرى لها شخص . والأرِم : الذي ينصب الأرَم وهو العلم من الحجارة ونحوها أو ما يسمى في العامية النجدية (الرجم) .

(٣٢) امم : قريب .

(٣٣) مقوية : خالية والسر : هكذا في الديوان وأرى صوابه : (سرَّاء) .

(٣٤) ظلم : جبل في أعلى عالية نجد لا يزال معروفاً باسمه القديم راجع عنه معجم العالية .

(٣٥) رسم «أبوى»

(٣٦) الأمكنة ق ١/٤ .

(٣٧) حوران — بالفتح — : ماء بنجد قال نصر : أظنه بين اليمامة ومكة . وهو غير حوران الشام . أقول : وفيه يقول حاجب بن حبيب الأسدي من قصيدة في المفضليات ص ٣٧١ :

ينتاب ماء قطيَّاتٍ فأخلفه   وكان مورده ماء بحوران

(٣٨) سواء : وادٍ بالحجاز .

(٣٩) الدماث : السهول من الأرض . الأخاذ : جمع أخذ وهو ما حفرته في الأرض كهيئة الحوض . الوجار : جحر الضبع . وهذا القول في البيان والتبيين ج ٢ ص ١٦٤ — ١٦٥ والشرح من حاشيته .

(٤٠) النقائض ص ٢٨٤ .

(٤١) ديوانه ص ٤٢٤ .

(٤٢) ديوانه ص ٤٧٨ .

(٤٣) مجلة العرب م ٥ ص ٣١٠ .

(٤٤) ياقوت : رسم «نجد»

(٤٥) المناسك حاشية ص ٥٨٩ .
(٤٦) البكري : رسم : «رامة»
(٤٧) البكري : رسم : «عاقل»
(٤٨) الفقي : هو وادي سدير في الوقت الحاضر ، راجع معجم اليمامة ج ٢ ص ٢٥٦ .
(٤٩) ياقوت : رسم : «الفقي»
(٥٠) ياقوت رسم «عرق»
(٥١) أبو علي الهجري ص ٣٦٧ .
(٥٢) المناسك ص ٦١٥ .
(٥٣) مرأة هي التي تعرف الآن باسم (مرات) في منطقة الوشم راجع معجم اليمامة ج ٢ ص ٣٥٠ .
(٥٤) المناسك ص ٦١٦ .
(٥٥) ياقوت : «رسم» الفقي» ج ٤ ص ٢٦٩ (بيروت) .
(٥٦) بلاد العرب ص ٢٨٧ وحاشيتها .
(٥٧) بلاد العرب حاشية ص ٢٨٨ .
(٥٨) بلاد العرب ص ٣٣٨ .
(٥٩) ياقوت : رسم «العرق»
(٦٠) البكري : رسم «حائل» ص ٤١٥
(٦١) ياقوت : رسم «القُرَيَّة»
(٦٢) سنبس : بطن من قبيلة طيىء .
(٦٣) معجم شمال المملكة للأستاذ حمد الجاسر ص ١٠٩٢ .
(٦٤) الحيوان ج ٥ ص ٣٩٦ .
(٦٥) مغوث : محموم والتوث هو التُّوت — بالتاء .
(٦٦) ذكرهما ياقوت تحت رسم «القُرَيَّة»
(٦٧) رسم «القريتان»
(٦٨) ديوان معن بن أوس ص ١١٢ .
(٦٩) والقريتان أيضاً : في المنطقة الشرقية ، يعرفان الآن باسم (قَرية العُليَا) و(قرية السُّفلى) واسمها القديم (النَّباج) و(ثَيْتَل) على ما حققته في القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

وقد وردت تسميتها بالقريتين في الشعر القديم : قال الفَرَزْدق يهجو بني نَهْشَل — وبلادهم في نواحي القريتين :

إذا حضرت يوماً (لَصَافِ) فإنَّه ... سَيَبْدُو عَلَيْه فِسْقُها ومُجُونُها
إذا نَهْشَلٌ بالقَرْيَتَيْن تَرَوَّحَتْ ... مِلاءً من الزَّادِ الخَبِيْثِ بُطُونُها
فَرُبَّ كَعابٍ مِنْكُمُ آلَ نَهْشَلٍ ... يُثَارُ بأَعْلَى القَرْيتين دَفِيْنُها

ولَصَافِ هي اللَّصافة الواقعة على مقربة من قَرْيَة العُلْيَا ، غربها .

وجاء في «شرح ديوان ابن مُقَرَّب» الطبعة الهندية الأولى — ص ٣٢١ — من قصيدة نظمها سنة ٦٠٤ .

←

رحلات

[صدر لصاحب هذه المجلة كتاب «رحلات» ، للبحث عن التراث ، من منشورات (الجمعية العربية السعودية للفنون والثقافة) .

وقد استعرضه الأستاذ الأديب المعروف عبد الفتاح أبو مَدْيَن قراءةَ هذا الكتاب وإبداء ملاحظاتٍ صائبة في مجلة «إقرأ» عدد ٢٨٥ — ١١ شوال ١٤٠٠ هـ وحبّذا لو أمْعَنَ القارئُ الكريم النَّظَرَ ، أكثر وأكثر ، فالمؤلف حين يُجِيدُ قراءة ما كتب يَقْرَأُ بقلبه ، فَيَنْبُو نَظَرُهُ عما وقع في كتابه من هفواتٍ ، وهي كثيرة في هذا الكتاب ، منها ما نبّه إليه الأستاذ عبد الفتاح ، وكثير منها مما تَغَاضَى عَنْهُ ومن ذلك — ص — ٢٣١ (أما هذه المرّة فهي ابْنَتَاي سَلْوَا ومُنَا ، وهُنَّ يُحْسِنَّ التَّخَاطُبَ بالإنجليزية والفرنسية) والصواب (وهُمَا يُحْسِنَان) أما كتابة الاسمين بالألف فقد قصدتها وأشرت في الحاشية إلى ذلك ، ولم تُثِرِ انْتِبَاهَ أحَدٍ منَ القُرّاء .

ومن الأخطاء الشنيعة عدم انطباق كثير من أرقام الصفحات على موادّ الفهارس ، إذ بعد وضع الفهارس حدث من قبل المطبعة توسيع في الصفحات فزادت فتغيرت مواضع المواد .

وأكتفي بعرض ما كتب الصديق الكريم الأستاذ عبد الفتاح لتحصل الاستفادة به لأكثر عدد من القراء] .

قضيت وقتا ممتعا .. في قراءة «رحلات» أستاذنا الشيخ حمد الجاسر .. القسم الأول ، وانك لتشم عبق التراث ، وأنت تقرأ .. ما تخطه يمين بحاثتنا ، وتحيا معه ، أو تعيش .. بين المخطوطات ، في دهاليز ، يغطيها الغبار ، قاتمة ، معتمة ، صعبة المعايشة ، مضنية المراجعة ، كثيرة المتاعب ، يلاقي المرء .. الذي يراجع المكتبات ، وخاصة أقسام المخطوطات .. صنوفا من الناس ، فيهم المهذب ، وكثير منهم الصعب المراس ، لعل الصنف الثاني .. يحس بمسئوليته الوظيفية ، إنه يغار على هذه الكنوز النادرة ، ولو كان الأمر بيده .. لما ترك أحدا يقرب منها ، أو يمسها ، لتبقى حيث هي ، وكما هي في أمان من يد البشر ، غير أن البلى يدركها .. في تخزينها ، وتقاوم الزمن عليها ، وتلك طبيعة الحياة ، فكل شيء هالك إلا وجه الله .

أقُول لِرَكْبٍ مِنْ عُقَيْل لَقِيْتُهُ ... وأعْنَاقُهَا لِلْقَرْيَتَيْن تُمَالُ

القريتان : مَوْضِعان يقال لاحدهما القرية العُليا ، والأخرى السُّفلى .

إذا جِئْتُمُ أرْضَ (الْحَسَاء) وقَابَلَتْ ... قِبَابٌ بِضَاحِيَ بَرِّهَا وَتِلاَلُ

فَأرْخُو لَهَا فَضْلَ الأزِمَّةِ سَاعَةً ... وَإنْ كَانَ أيْنُ مَسَّهَا وكِلاَلُ

إن الجهد ، والعناء .. اللذين يبذلان في مراجعة المخطوطات .. لا يعرفها إلا من عاش هذه التجربة .. ولن يقف الأمر .. عند التعامل ، وصور نماذج البشر القيمين على هذه المكتبات ، وأخلاق بعضهم الصعبة ، إلى حد الشذوذ ، ولكن العناء الآخر في صعوبة .. قراءة المخطوطات ، من رداءة الخطوط .. التي كتبت بها ، والطمس الذي يلحق بعض كلماتها ، وصفحاتها ، والتمزق .. الذي يبترها ، وعوامل البلل .. الذي يخفي حروفها ، أو تقاوم الزمن ، ورداءة المداد ، والتزوير ، زيادة أو نقصاً ، وكذلك ما يتعلق بتواريخ نسخها ، والتحريف .. في أسماء أصحاب هذه المخطوطات ، واللبس الذي يقع فيها ، وأخطاء الفهارس ، وأنظمة المكتبات ، في السماح بالتصوير وعدمه ، وعدم إحضار أكثر من ثلاثة كتب للمطالعة في فترة واحدة ، وأمر الحصول على تصريح «بطاقة» بالدخول .. لهذه المكتبات ، بالإضافة إلى عامل اللغة .. في المكتبات التي تقع في البلاد الأوروبية ، أو غيرها ، من البلاد الأعجمية ، وسبل المواصلات .. وصولاً إلى المكتبات ، إنها أمور لا يقوى عليها إلا أولو العزم في الصبر. كل هذا وغيره ، يعيشه المرء .. الذي لم يتعود أن يرتاد هذه المكتبات ، مع كتاب شيخنا الجاسر ، في رحلاته ، إلى بعض البلاد العربية ، والأوروبية .

بدء الرحلات :

هذه الرحلة ، أو الرحلات ، بدأت من القاهرة ، أو بيروت ، القاهرة ، في شهر رمضان ١٣٩٢ هـ . ثم إلى الجزائر ، والمغرب ، وتونس ، ثم إلى أوروبا . والمطلع على هذه الرحلات ، يصادف في وسط أو الثلث الأخير من الكتاب ، أطرافاً من الرحلات ، حدثت قبل هذا التاريخ .. ببضع عشرة سنة ، أي أن تاريخها يرجع إلى عام ١٣٨٠ هـ مثلاً ، ومعنى هذا أن أستاذنا الجاسر .. لم يرتب رحلاته ، وهو يهيئها للنشر ، حسب أقدمية تواريخها وربما سنقرأ في القسم الثاني أو الثالث .. من هذه الرحلات ، تواريخ أقدم ، قد ترجع إلى ثلث أو نصف قرن ، خلال إقامة وتنقل شيخنا .. في سلك الوظيفة والدراسة ، بين مكة ، والطائف وينبع ، ورحلاته إلى شمال وجنوب الجزيرة .

ولا حرج في تقديم وتأخير نشر الرحلات ، وإن كنت أوثر .. أن يكون ترتيبها .. بين

صفحات ما ينشر وفق التسلسل التاريخي في حدوثها ، فذلك أكثر انضباطاً ، وأجدى للمؤلف والقارىء .. معا ، لأن في تسلسل هذا الترتيب ، يمضي القارىء .. مع الكاتب ، في تتبع تاريخي مرحلي ، هذه مجرد ملاحظة ، لا تأثير لها ، على المحتوى مطلقاً ، فالمحتوى هو الجوهر ، والأساس ، ولا يستحق أن يقال فيه ، إلا أنه جميل ، وجيد ، ذلك أنه صور وانطباعات واقعة ، وصاحبها .. رجل يمضي في تخصصه ، ويطلع على ما يعنيه .

ثم إن شيخنا الجاسر ، له من اسمه نصيب كبير ، ذلك أن بعض رحلاته ، فيها مغامرات ، ولا سيما الأوروبية ، ولا يقدم على ذلك .. إلا جسور .

وقد أحسنت جمعية الثقافة والفنون ، حين طبعت هذا القسم من الرحلات ، وأرجو أن يتاح لها .. متابعة الشيخ في طبع بقية أقسام الرحلات ، ذلك أن هذه النماذج .. من الرحلات ، فيها ثقافة ، ومعرفة ، وبذل جهد ووقت .. في الوقوف عليها من النبع ، ثم قدمت في صحاف شهية ، في يسر ، لينال منها الجائع إلى المعرفة .. ما يجد فيها ، مما يبحث عنه ، أو ما يريد الوقوف عليه ، ولولا ذلك الجهد الكريم ، لما أمكن .. الوصول إلى هذه المعرفة ، في كنوز المكتبات .. المبعثرة في مختلف مدن العالم ، ودونها القيود ، والسدود .

مسلك .. الشيخ الجاسر :

الشيخ حمد الجاسر ، أشبه بزهاد المغاربة ، في زيه ، وتواضعه ، وأسلوب تعامله ، وتعارفه ، فهو نموذج محبب إلى النفس . ليس فيه كبر .. وصلف بعض من نعرف ، ولا غرورهم ، وتشبثهم بالتوافه .. والقشور ، والتعلق بخيوط العنكبوت ، ظناً منهم ، أن في ذلك مجداً ، وعلواً ، ورفعة ، ولكن فيما يتوهمون .. الخواء .. وهذا التمسك بالرخيص التافه ، من الأحلام الزائفة ، والجري وراء الشهرة المتراكمة ، الهشة ، واللهث ، وراء كلمة صغيرة تقال ، أو تكتب ، ورصها .. في قصور مبنية على الرياح ، على أنها فخار ، دليل الفراغ النفسي ، ولا أقول الفراغ العلمي ، لأن بعض من نعرف .. عندهم رصيد من المعرفة ، ولكنهم شوهوه ، بالرخيص ، والحقير من الأمور ، فلم

يحترموا أنفسهم ، ليحترمهم الآخرون ، حتى أن من يخاصم منهم يفجر ، وتلك علامة من علامات النفاق .. الذي يصوره الحديث النبوي الشريف ، في قوله صلى الله عليه وسلم «وإذا خاصم فجر» .

الشيخ الجاسر ، ينتقد ، ويجادل ، ولكنه سمح ، قبل ذلك وبعده . وآخرون ، عفا الله عنهم ، إذا خاصموا ، فلا ينتهي خصامهم ، عند انتهاء المسألة ، كتابة ، أو تعاملاً ، وإنما يطفقون .. يكيدون لك ، ويدسون عليك ، يريدونك ، أن تتحطم ، وأن يظلوا هم أوثانا .. في الساحة وحدهم ، لا يشاركهم أحد المجد الزائف ، والحياة الحقيرة الفانية . لا يعرفون إلى التسامح سبيلاً . فإما أن يؤلهوا ، وأما أن يحقدوا ، وتعمى أبصارهم بهذا الداء الوبيل .

واقرءوا معي هذه الجمل من رحلات الشيخ الجاسر ، وهي من آخر ص «٣١٤» وأوائل ص «٣١٥» وهو يتحدث عن الأستاذ «رودلف زلهايم» محقق كتاب — نور القبس — فيقول : «وقد جرى التعارف بيننا ، بعد أن نشرت كلمة عن ذلك الكتاب — مجلة العرب السنة الأولى ص ٤٥٢ — أوضحت فيها ملاحظات تتعلق به ، فكان هذا سبب التعارف ، والتواصل بيننا ، بينما كانت كتاباتي .. عن بعض المطبوعات ، التي يقوم بها ، بعض أساتذتنا وإخواننا من العرب .. سبباً للقطيعة ، ومدعاة للوقيعة أيضاً» .

هذا هو المحزن في الأمر . فالمستشرقون والغربيون ، والأمريكيون ، وغيرهم من أمم الأرض ، يقدرونك إذا دللتهم على أخطائهم ، كأنهم يطبقون الحديث النبوي الشريف : «رحم الله امرأً أهدى إلينا عيوبنا» . ونحن المسلمين ، نرفض هذا المسلك ، كأننا نرفض هذا التوجيه النبوي .

والأستاذ الجاسر ، يسلك منهج العلماء ، فلا يستنكف أن يقول : ذهبت إلى أستاذنا ، واتصلت بأساتذتنا ، وقال لي أستاذنا ، هذه صفة العلماء ، فلا يتكبرون ، ولا يقولون : قلنا ، وفعلنا ، وعلمنا ، وقيل فينا ، واحتفى بأثرنا ، وأشيد بقصيدتنا ، ومحاضرتنا ، وكتب عنا إلى غير ذلك من هذه النماذج المضحكة التي تشبه السراب ،

الذي يحسبه الظمآن ماءا ، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً .

ملحوظات :

بدأت لي بعض الملحوظات ، وأحسبها نتيجة سرعة ، فلم يتح لأستاذنا الجاسر أن يراجع هذا القسم من الرحلات ، في نقاط محدودة ، قبل دفعه ، إلى المطبعة ، وأخرى .. أحسبها أخطاء مطبعية ، وكان ينبغي تجنبها ، أو عمل جدول بها في آخر الكتاب ، أسوة بالفهارس .. التي ألحقت به ، والفهارس عمل العلماء ، والمحققين ، والمدققين ، والنابهين .

أولى الملحوظات ، أن الأستاذ الجاسر ذكر في صفحة ٤٢ أن المسافة بين مطار الدار البيضاء والمدينة أي الدار البيضاء (٧٣) كم . وفي ص (٩٩) ، أن مطار النواصر ، وهو مطار الدار البيضاء ، يبعد عن المدينة (٢٤) كم .

الثانية : جاء في صفحة (٨٤) أن المسافة بين الرباط والدار البيضاء (٩٢) كم ، وفي صفحة ٤٢ أن المسافة بين المدينتين (٨٠) كم . وفي الصفحة نفسها (٩٢) ومن الدار البيضاء إلى الرباط ٢٤٣ كم ولعل صحة ذلك ومن الدار البيضاء إلى مراكش .

في صفحة ٩٢ كلمة البناء مكرورة في سطري (٩ و١٠) وإحداهما زائدة . وانظر ص ٣٠٢ وقبلها ٢٨٠ و٢٧٨ و٢٧٤ و٢٧٠ و٢٦٠ ، كم فيها من أخطاء مطبعية .

في صفحة (١٠٣) سطر (٧) ذكر اسم الأديب التونسي هكذا «محمد المطوي العروسي» ولكني قرأت في صفحة أخرى الاسم صحيحاً وهو «محمد العروسي المطوي».

في السطر (٨) من ص (١١٠) كلمة سيده منقوطة ، وهي هاء مهملة .

واترك الأخطاء المطبعية في ص ١١٢ و١٣٧ و٢٣٥ و٢٣٧ و٢٤٨ و٢٥٥ واقف على ص «٢٦٠» عند الحديث عن العقد الثمين ، ومعالي الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله ، وقد فات على الشيخ أن يهمش ، بأن طبع الكتاب المذكور ، قد تم ، وتوفي الشيخ الصبان . وفي ص — ١٧٨ هذه الجملة «لهذا السوق العظيم» فهل يجوز لغة تذكير السوق ؟ . ونجد كلمة ربيع الثاني في ص ٢٠٧ و٢١١ بدل ربيع الآخر . وفي ٢٠٩ كلمة الصحفيين ، بدل الصحافيين .. وسقطت كلمة «إلا» في ص «٢٢٠» . في

معجم قبائل
المملكة العربية السعودية

[صدر حديثاً كتاب «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» من جمع صاحب هذه المجلة ، في جزءين تبلغ صفحاتها ٩٥٤ ونعرض للقارىء الكريم فاتحة ذالك الكتاب وخاتمته.

وغاية ما نرومه أن يتناول القرَّاء هذا الكتاب بالنَّقد والتصحيح والاستدراك لكي نتمكن من إخراجه في طبعته الثانية بصورة خير من صورته التي خرج بها في طبعته الأولى] .

المقدمـــة :

هذا الْكِتَابُ صِنْوٌ لكتاب «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» الذي قُمْتُ بالدَّعْوَةِ لتأليفه ، وشاركت في ذلك ، حتى قارَبَ التَّمَامَ ، فَمُطَالِعُهُ بِحَاجَةٍ ـــ حين

هذه الجملة ـــ لا أعرف اللغة العربية . في ٢٢٥ ـــ يعطيك بطاقة صغيرة مكتوب فوقها الجهة التي تقصدها .. والصحيح ـــ الجهة التي بدأت منها ركوب القطار ..

وجاء اسم قاسم أمين ، بدل عبد الكريم قاسم ص ٢٨٨ . وما جاء في بعض ص ٢٩٠ مكرور سبق ذكره في أوائل الكتاب ، وكذلك الحال في ص «٣٠٤» ، فإن بعض ما فيها ، سبق الإتيان عليه .

أكتفي بهذه الوقفة ، وأترك الأخطاء المطبعية لمسئولية المشرف على طبع هذا الكتاب ، وهو عيب ، وأيسر الواجب ، أن يعمل بها جدول .. في آخر الكتاب ، ليعدلها مقتني الكتاب .

أؤكد أنني استمتعت بمصاحبة أستاذنا الكبير ، في رحلاته الممتعة المشوقة ، ومن أجمل ما فيها التجرد ، والصدق ، واليسر ، فأستاذنا أطلق نفسه على سجيتها ، وهو يسجل ملاحظاته في ترحاله إلى عالم المخطوطات .. والناس . أرجو الله أن يمد في عمره ، لنرى المزيد من ثمار جهده ، وبحثه ، وعلمه ، بآثارنا وجغرافيتنا ، وتاريخنا ، وأدبنا ، والله حسبي ونعم الوكيل

جـــدة   عبد الفتاح أبو مَدْيَن

يَمُرُّ به اسم قبيلة أو فرع من فروعها — في تحديد موضع أَوْ موردٍ ، أَنْ يعرف صلة تلك القبيلة أو ذلك الفرع بالْقَبَائِل الأُخْرَى .

كما أَنَّ القاريء — أَيَّ قاريء كانَ — لا يجد بين يديه كتاباً شاملاً مُرَتباً على الحروف ، مُخَصَّصاً لقبائلِ هذه البلاد ، على كثرة المؤلفات في الموضوع .

وقد حَاوَلْتُ الْإِيْجَازَ بإيرادِ المعلومات بقَدْرِ الإمْكَانِ ، فَلَمْ أَتَطَرَّقْ للبحث في الأُصُولِ ، ولا في إيراد مختلف الأقوال عن تفرُّع القبائل الكبيرة ، ولم أتوسَّع في ضبط الأسْماء ، بَل اكْتَفَيْتُ بإيراد الاسم مضبوطاً بالشَّكْلِ .

ولَمْ أَتَعَرَّضْ لِذِكْرِ القبائل القديمة التي ليس لها بقيّة في هذه البلاد ولا لذكر القبائل التي تحضرت كل فروعها ، ولم يبق لها بادية ، ولا لذكر القبائل التي نزحتْ عَنْها ، سوى فروع بعض قبائل بقي أَصْلُهَا ونزحت تلك الفروع إلى العراق والشام وغيرهما ، ثم لما أنعم الله على هذه البلاد بِنِعْمَةِ الْأَمْنِ والرَّخَاءِ بَدَأَ كثير من تلك الفروع في الرجوع إلى مواطنه القديمة بعد غياب طويل ، فكثير من فروع عَنَزَة وشَمَّر والظَّفِيرِ وغيرها من القبائل عادت إلى هذه البلاد ، وقد يَعُودُ غيرها ، ولهذا فقد حاولت ذكر بعض فروع تلك القبائل ، ممن هَاجَرَ ، ولا تزال مُغْرِياتُ العودة إلى هذه البلاد تَزداد بازْدِيَادِ ازْدِهَارِ الْعُمْرَانِ ، وتَوَفُّرِ أَسْبَابِ الْحَيَاةِ الرَّغِيدة .

وَمَع عِنَايَتِي بدراسة أصول أنساب القبائل ، واتجاهي لتدوين بعض المعلومات عنها في مؤلف عن « أصول أنساب القبائل في المملكة العربية السعودية » وآخر عن « أصول الْأُسَرِ الْمُتَحَضِّرة في نجد » إلَّا أنَّ عملي في هذا « المعجم » لا يَعْدُو الْجَمْعَ ، فهو مُنْحَصِرٌ في جمع الْمَعْلُومَاتِ وترتيبها مُسْتَقَاة من مؤلفاتٍ معروفة ، مذكورة في آخر الكتاب .

وقد تحاشيت ذِكْرَ ما يُثير التساؤلَ ، أو يُؤَثِّر في بعض النفوس بوسائل : منها : أنني أدعو القبيلة بالاسم التي تريد أن تُسَمَّى به مثل بني رَشِيْدٍ فقد استعملته بدل (هُتَيم) الذي لا تعترف به تلك القبيلة المنتشرة حول خَيْبر ، وفي سفوح الْحِرَار المحيطة به ، وفي جبلي أَبَانٍ . وإن كان اسم (هُتَيم) يُطلق على غيرها بَلْ أَصْبَحَ من كلمات الشَّتْم .

ومنها : أَنَّ بعض نسابي القبائل يختلفون بإضافة هذا الفرع إلى تلك القبيلة ، فلم أُعِرْ

هذا الاختلاف اهتماماً ، ما دام ذلك الفرع ينتسب إلى تلك القبيلة ، بل سِرْتُ على قاعدة : (النَّاسُ مأْمونون على أنسابهم) .

وقد أستعمل كلمة (في) بدل (من) إذا كان لذلك الاختلاف أساس صحيح[1] .

ومنها : أَنَّ حَصْرَ جميع فروع القبائل من الصعوبة بمكان ، ولهذا فحين أُوْرِدُ أسْماء الفروع أو الأفخاذ أُعبِّر بكلمة (مِنْهَا) فقد أكون تركت عن جَهْلٍ ما يعرفه غيري ، فكثير من أحوال عشائر جنوب المملكة لا يزال بحاجة إلى الدراسة والبحث . وقد أذكر الفخذ منسوباً إلى فرعين من فروع القبيلة وهذا ناشيء عن اختلاف الرواة في نسبته .

وتَحْسُنُ الإشارة إلى أُمور قد يحتاج إلى معرفتها الباحث في هذا الكتاب منها : أنَّ كثيراً من عشائر تِهَامَة وما يقرب منها من سفوح السَّرَوَاتِ قد تنتمي إلى الأماكن التي تعيش فيها أَوْ حَوْلَهَا ، وتُهْمِل انتماءها إلى الجِذْم الذي يربطها بأصْل معروف ، فتشتهر بانتسابها إلى الموضع أكثر من اشتهارها بانتسابها إلى الأصل الذي يربطها بأحد الأصول المعروفة ، وهذا معروف منذ القدم ، مثل (بارق) و(غسّان) ولهذا فليس أمام من يُعْنى بتدوين أحوال العشائر — ممن يَجْهل الجِذْمَ الذي تنتمي إليه — سوى ذكر الموضع الذي تحلُّه ، وهذا ما فَعَلته ، فذكرت عشائر تهامة بأسماء بلادها مثل (بَيْش) و(جازان) و(صَبْيَا) و(ضَمَد) و(فَيْفَا) و(المِخْلَاف) و(الْمَوْسَم) وغيرها ولا شَكَّ أن كثيراً ممن ذكرت ذات أُصول معروفة — كغيرها من القبائل .

ومنها أن القبائل التي تقع بلادها جنوب المملكة في جهات نجران ، وفي بلاد عَسير ، وفي غربها في تهامة من مكة جنوباً ، حتى اليمن — لا تزال مجهولة ، إذ لم تدرس أحوالها ، ولم يؤلف أو يكتب عن أنسابها سوى نُتَفٍ موجزة ، يعتريها الخطأُ ، وعدم التحقيق ، ولهذا فليس أمام من يُعْنى بالكتابة عنها سوى الاختلاط بها في بلادها ، أو أن يقوم بذلك المثقفون من أبناء تلك القبائل ، كما فعل غيرهم من إخوتهم عن قبائل السروات .

ومنها : أن تداخل القبائل سبَّبَ خلافاً واسعاً في نسبة بعض الْفُروع وقد سِرْتُ في هذا الكتاب على ما هو معروف الآن في عهدنا وإنْ خالَفَ الصَّحِيْحَ ، فذكرت

(وَقْدَان) في فروع عُتَيْبَة ، و(ثُمَالَة) في فروع ثقيف .

ومنها : أن لاختلاف لهجات القبائل أثراً كبيراً في طريقة النطق بالأسماء كعدم التفريق بين الضاد والظاء ، والتعاقب بين الجيم والياء ، وتقارب النطق بحروف الجيم والقاف والكاف ، أو السين والصاد وهذا يوقع الخطأ في كتابة الأسماء[1] ، وقد حاولت كتابتها بأقرب الوجوه إلى الصواب ، مع ذكر الصورة التي تنطق بها[2] وإن خالفتُ القاعدة المعروفة .

كما جَرَّدْتُ الأسماء من جميع الزوائد عند ذكرها — مع الإشارة إلى صفة نطقها مثل (بَنْيوس) و(بَلْيَعْرب) و(بَلْجُرَشي) فقد أوردتها في (أوس) و(يعرب) و(الجرشي) بحذف الحروف الزائدة على الأسماء مثل (آل) و(إيل) و(أل) و(ضنا) و(وِلْد)[3] و(بني) و(ذوي) و(عيال) و(أولاد) وأمثالها .

ومنها : أنني قد أنقل الاسم شاكًّا في صحته فأضع بعده علامة الاستفهام (؟) إشارة إلى الشكّ .

ومنها : أنني قد أكتفي بإيراد اسم الفرع من القبيلة عند ذكرها ، ثم أذكره في موضعه ، فحدث عن هذا بعض التكرار ، وقد لا أذكره ، وكان ينبغي ذكر كل فرع في محله ، مع الإحالة إلى القبيلة بدون ذكر فروعها عند ذكرها ، وهذا ما ينبغي تداركه ، مستقبلاً ، إن تسنَّى لي الإشراف على إعادة طبع الكتاب .

وسيلاحظ — فيما كتبته —:

---

(١) كأن أقول : (آل فلان في القبيلة الفلانية) أي هم مخالطون لها ومعدودون فيها .

(٢) مثل الضفير ، الجثمة ، المتفك ، البسة ، وهي الظفير ، القشمة ، المنتفق ، البصصة ، وأمثالها كثير ، وقد اضطر لكتابة الاسم بصورتين تبعاً لما أسمعه من الناطقين به .

(٣) وحرصي على إيراد الاسم كما ينطق اضطرني الى مخالفة قواعد الأعراب في كلمات يسيرة مثل استعمال كلمتي (ذوي) و(بني) دائماً بالياء .

(٤) إيل يكثر استعمال هذه الكلمة محل (آل) في سراة بجيلة وسراة زهران . كما يكثر استعمال (ضَنَا) في قبيلة عَنَزَة ، ويقصد بها (آل) والضَّنْءُ لغة فصيحة بمعنى الابن ، وفي جنوب المملكة يكثر استعمال (آل) وفي الشمال يقال (ال) مثل آل ابراهيم ، وآل محمد وآل عبدالله ونحوها يقال فيها (البراهيم) و(الحمد) و(العبدالله) .

١ — التكرار عند تفريع الفروع أو الأفخاذ ، وقد عملت هذا تحاشياً لوقوع خلط بين تلك الفروع أو للأفخاذ ، لوقوع التشابه في الأسماء .

٢ — أنني قد أسرد أسماء فروع القبيلة وأفخاذها عند ذكر اسمها ، ولكنني لا ألتزم هذا دائماً ، وهذا ناشيء عن أحد أمور : — إما الاختلاف القوي حول فروع تلك القبيلة — أوكثرة تلك الفروع وشهرتها ، أو عدم وجود مصدر أطمئن إليه في تفريعها .

٣ — قد أذكر بعض الأفخاذ عند ذكر فرعه ثم أعيد ذكر الاسم في موضعه في الكتاب ، وكان ينبغي السير على هذه الطريقة عند ذكر أفخاد القبائل ، وهذا ما أرجو ملاحظته حين يعاد طبع الكتاب .

وبَعْدُ : — فكما سَبَقَ أن أوضحته — ليس لي من عَمَلٍ في هذا المؤلف سوى الجمع ، فما كان فيه من صواب فهو لمن سبقتني فرجعت إلى كتابه ، وما كان من خطإٍ فأنا شريك فيه ، ولعلَّ دَعْوَتي إلى نَقْدِهِ — لإصلاح ما فيه من خطإٍ ، أو إكمال ما اعتَرَاه من نَقْصٍ — تكون شافعةً لي فيما ارتكبت عن غيرِ قَصْدٍ .

وعسى أن يكون في ذلك ما يُمَكِّنني من تدارك الأخْطاء ، ومن إكمال النقص .

الخاتمــة :

[وهذه خاتمة الكتاب] ،

وإلى هنا انتهى ما قدرت على جمعه — لا ما أردت أنْ أُقَدِّمه للقاريء مجموعاً — فالموضوع من السَّعة بحيث لا يَسَع المرءُ تَقديمَ مُؤَلَّفٍ وافٍ فيه .

وحسبي أنّي بَذَلْتُ جُهْدِي في الجَمْعِ وَحْدَه ، فقدَّمتُ هذا الكتاب ، الذي أرجو من المعنيين بموضوعه أن تكون نَظَرَاتُهم إليه نظرات نَقْدٍ وتصحيح ، لا نظرة إغْضاءٍ وستْرٍ لعُيُوبِهِ ، وأخْطَائِه الكثيرة ، التي أدركت كثيراً منها بعد أن تَصَفَّحتُ تجاربَ الطَّبْع ، فلم أتمكَّن من إصلاحها .

ولو أردتُ الاعتذار ، وإلقاء التَّبعة على غَيْري لَمَا أعْياني ذالك ، إذْ عملي مُنْحَصِرٌ

في الجمع ، والنَّقل مما كتبه غيري أوَّلاً .

ومجال الاعتذار واسعٌ ، لو جاز لمثلي أن يعتذر . ولكن ما قيمة عمل المؤلف إذا لم يُحقِّق ما ينْقُلُه ، فيختار الصحيح منه ، ولا يكون (إمَّعةً) يسير على ما رُسِم له ؟!

حَقّاً إنَّ هذا ما كان يجب عمله في موضوع مَحْصُور الجوانب ، ليْسَ من السَّعَة والشُّمول بالدَّرجة التي يتَّصِفُ بها موضوع هذا الكتاب .

ولَنْ أُطيْلَ فجوانِبُ النَّقْص كثيرة ، أشَرْتُ إلى أسباب بعضها في المقدمة . ومنها :

١ ـــ النقل عن مصادر ألَّفها في أوَّل الأمر مؤلِّفُون أعاجِم ، فكتبوا الأسماء بحروف لاتِينيَّة ، أو مؤلفون حَاكُوا العامَّة في نطقهم محاكاة مخالفة للنطق الفصيح في مثل (الشبيك ـــ الشبيس) (عقيل ـــ عجيل) وهكذا في أسماء كثيرة .

ووقع في الكتاب أسماء من هذا القبيل ، لا يهتدي إلى إصلاحها سوى من له صلة أو معرفة بها ، أما ما كتب بحروف غير عربية ، ثم نقل إلى العربية فما أكثره ! ! مثل (القطامرة) وهي (الغشامرة) و(العويِّد) وهي (العويِّض) ويصعب التمييز بين الاسمين لمن لم يعرف المُسَمَّيْن .

٢ ـــ التَّصحيفُ في المؤَلَّفات العربية لتشابه الحروف ، وكثرة التطبيع (الأخطاء المطبعية) فيها مثل (المرازيق) قد تكتب (الموازين) وقد وقع في هذا الكتاب أخطاء كثيرة من هذا النوع ، لم يكن في الامكان تداركها قبل الطبع .

ومَنْ يَدْرِي ؟ فقد يَجِدُ هذا الكتاب عِنَايةً من القُرَّاء تكون عَوناً لإبرازه في طبعة أكمل وأصَحَّ وأوفى من هذه .

الريـاض حمد الجـاسر

المراشدة
من فروع عتيبة

قبيلة المراشدة النسبة إليهم — مَرْشدي — والمراشدة عشيرة من فخذ المزاحمة من الروقة من قبيلة عتيبة .

وهم بنو مرشد بن مزحم بن روق وأقرب من يواليهم في النسب من الروقة من عتيبة أبناء عمهم العِضْيان والغُبَّيات قال أحد شعراء البادية من الغبيّات يذكر قرابتهم :

ابنْ مُـهَـنَّـا والـفَـهارِيْن رَبْـعي   ومحـمـد بـن غُـبَـيْـد دامتْ لياليه

ويذكرون أنهم كانوا ثلاثة إخوة مرشد وعضَيّ وغبَيّ عيال مزحم بن روق وروق جد الروقة يعود نسبه إلى غزيَّة[1] بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن من قبيلة هوازن التي تعود اليها في النسب أكثر فروع قبيلة عتيبة كما يذكر نسابو هذه القبيلة وكما هو معروف اليوم .

وعِزْوة المراشدة : هي عزوة قومهم المزاحمة — ابن مَزْحَم — يقول احدهم وهو الفارس دُليم الطِّرّ المرشدي :

وِلْيَا اعتـزَيْنا بـالعزوة المزحمية   نـادى مـناديهم آلآذْ حـطَّـاب

قال ذلك في حروب بينهم وبين الشَّلاوَى من بني الحارث في الزمان المتقدم .

أما عزوة الروقة فهي — ابن رَوْق — ونخوتهم في الحرب — رَوق يا عيال أبوي —

وسم المراشدة : على الإبل الأثافي هكذا . []
ومن تحتها الشاهد [—] على رقبة المطية ويسمّى هذا الوسم كذلك الباب [U]

ديرة المراشدة : في نجد[1] في بلاد كبشان شمال بلدة القاعيَّة بأربعين كيلاً وفي

الجنوب الشرقي من بلده عفيف تقع المَردَمَة والأطولة وخَرْجا من بلادهم ولهم بلدة الْحنابج في جبل النِّير.

والصهروج ماء في حرة كُشْب والخضارة غرباً من عفيف.

فروع القبيلة :

تنقسم قبيلة المراشدة إلى بديدتين هما :

١ ـــ ذوي محمد ٢ ـــ ذوي حميد.

وذوي محمد ينقسمون إلى خمس خصل هي :

(١) المثاقبة : بنو مثقاب بن وتيد بن محمد بن عبيد بن مرشد والمثاقبة ثمان خوامس هي :

١ ـــ الدفافات : النسبة إليهم ـــ أبو دفافة ـــ وأبو دفافة لقب على جدهم شفاي بن هادي بن عايد بن عيد بن مثقاب ، وسبب هذا اللقب ـــ فيما يذكرون ـــ أنه كان لابساً نوعاً من العباءة يسمَّى ـــ دفافة ـــ فلحق به هذا اللقب حتى اشتهر به نسله من بعده.

وأقرب من يكون للدفافات من المثاقبة بنو عمهم البُختّان.

٢ ـــ البختان : نسل بخيت بن ساري بن عابد بن عيد بن مثقاب ، وأم بخيت مُطيرية من بني ميمون من العبادل ـــ بني عبدالله.

وولد لبخيت بن ساري غافل وحباب ولم يعقب حباب أما غافل فمنه انحدر البختان فولد له منير وفالح وغلاب وعوض وزيَّاد وأمهم عيدا بنت عايض بن عيد بن شدة من ذوي عبيد من المراشدة ، ولم يعقب منهم سوى اثنين عوض وزياد ، ويقال لنسل عوض اليوم ذوي عوض ولنسل زياد ذوي زيَّاد ـــ الزيادين ـــ.

٣ ـــ الخمسان : بنو طلق بن هذال بن سيف بن بُنيَّة بن مسيف بن مثقاب وطلق هو أخو زايد بن هذال جد البلوط من المثاقبة وأمها نَشْوا بنت ضبيب من المهنين من المراشدة ، قال أحد شعراء البادية فيهم مادحاً :

خوالي الخمسان رَبْعٍ عرايب بيوتهم للمطاليق مِدْهَالْ
وأبو مخلد عطيب المضارب قصَّار من شارب خَصِيمه لَيَاطِالْ

ومن الخمسان : ذوي ضواحي ، وذوي دغيس .

٤ ــ الغصاصيب : نسل غصاب بن رزيق بن عبدالله بن عيد بن مثقاب ومنهم شيخ المثاقبة طعيميس بن كايد بن غصاب وأقرب قريب لهم من المثاقبة بنو عمهم القيعان .

٥ ــ الضعفان : عيال عواض وهو المسمّى ــ الضعيف ــ وهو لقب اشتهر به .

والضعفان ــ حلفاء للمثاقبة وهم من الهجال من بني عبدالله[٢] ــ العبادل ــ من مطير .

٦ ــ البلوط : النسبة إليهم ــ بَلْط ــ والبَلْط لقب على جدهم زايد بن هذال المرشديّ وسبب ذلك ــ فيما ذكروا ــ أنه وجد له شلَفا ــ نوع من الرماح ــ فاتخذها له وسمّاها البلطة فسمِّي من ذلك اليوم البلط وقيل لبنيه البلوط نسبة إليه .

٧ ــ القِيعان : النسبة إليهم ــ قاع ــ والمسمّى القاع هو صقر بن رزيق بن عبدالله بن عيد بن مثقاب وهو أخو غصَّاب جد الغصاصيب من المثاقبة وولد لصقر أربعة أبناء :

عبيد وجزا وجازي وعبدالله وكلهم أعقبوا ما عدا عبدالله وجزا هو جزا بن صقر القاع فارس معروف قال أحد شعراء البادية :

مثل جزا القاع والا أبوذيب والا عسير العطاوي عز عيني له

٨ ــ العروط : المنسوب إليهم ــ عرط ــ جدهم هزاع بن بنية بن مسيف بن مثقاب والعروط المعروفون بهذا الاسم هم :

١ ــ ذوي محمد بن هزاع ويقال لهم ذوي حْمَيِّد .
٢ ــ ذوي جالي بن رماح بن هزاع .
٣ ــ ذوي بنيّة بن سعد بن هزاع[٣] .

ولا أدري ما سبب تسميتهم بالعروط .

(٢) ذوي عبيد : بنو عبيد بن محمد بن عبيد بن مرشد ومن ذوي عبيد :

١ ــ ذوي خضار وهم :

١ ــ ذوي شدّة وهم ــ ذوي معوّض ــ ذوي عوّيد ــ المراوين .

٢ ــ الشماسين ــ بن شمسي .

٣ ــ الغباشين ــ غبّاش .

٤ ــ الصنادحة ــ بن صنيدح ــ

٢ ــ الحبانية : ومنهم : ذوي شرف ــ وذوي خالد .

٣ ــ الجحادلة : ــ بن جحيدل .

٤ ــ التّنابكة : ابن تنبيك ــ شيخ المراشدة اليوم في بلدة حديجة غرب كبشان بثمانية أكيال ولذوي عبيد فروع أخرى لكن لا أعرفها .

(٣) العرامين : بنو عرمان بن محمد بن عبيد بن مرشد ومنهم(٤) :

١ ــ المعافنة ــ بن معيفن ــ وهم : ذوي مُسلم ــ وذوي عليثه .

٢ ــ الوهقان : بن وَهْق ــ شيخ العرامين اليوم في بلدة الخضارة غرب عفيف بنحو سبعين كيلاً .

٣ ــ الهبعان : الهباع .

٤ ــ الكذابات : منهم عبدالله العواي .

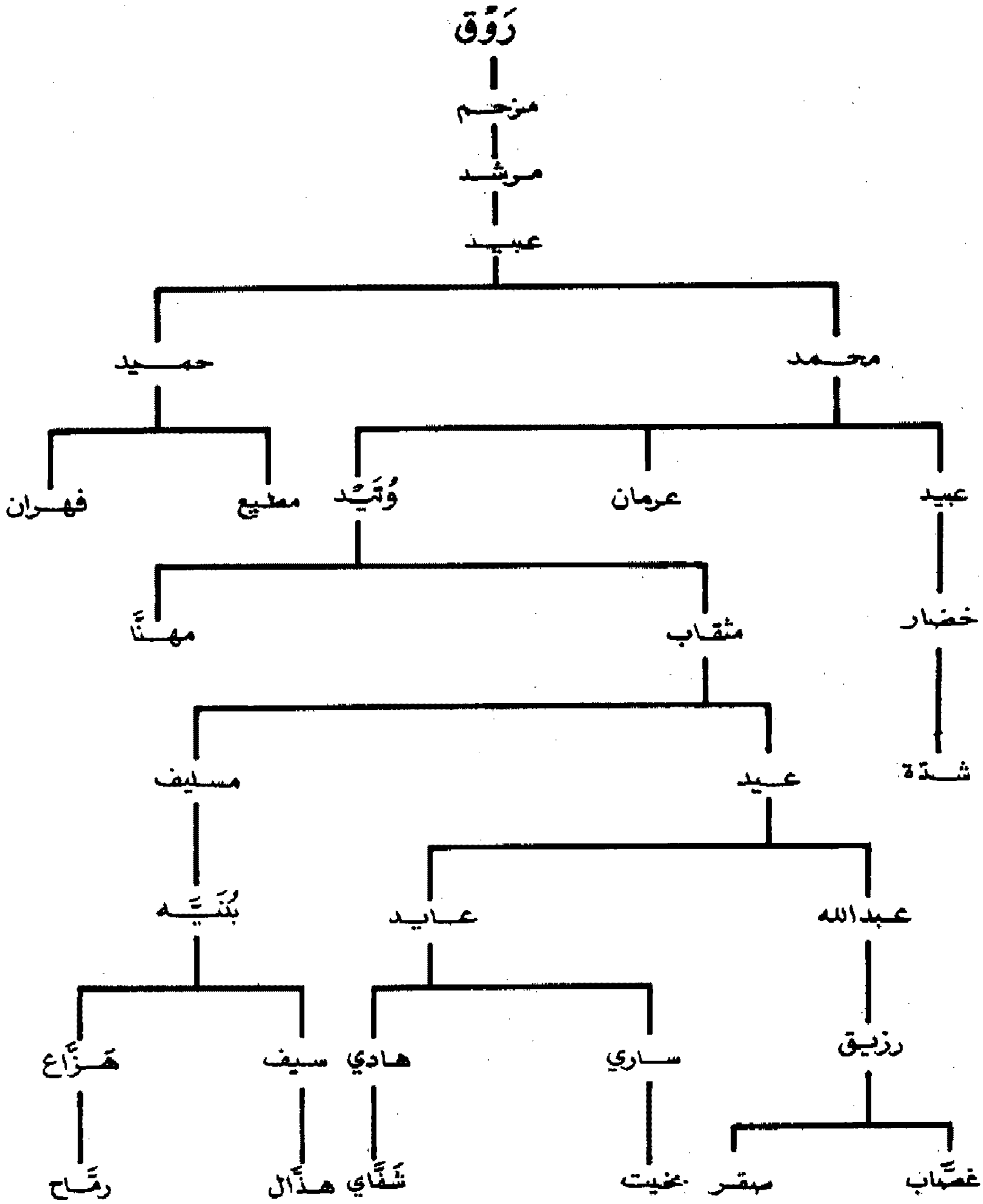
(٤) المهنّين : بنو مهنّا بن وتيد بن محمد بن عبيد بن مرشد ومنهم :

١ ــ الخشيمان : ــ أبو خشيم ــ كانوا شيوخ شَمْل المراشدة من عُتَيْبة ، أما اليوم فقد اقتصروا على قومهم المُهنّيْن . والمسمّى أبو خشيم جدهم راجح بن رويشد بن مهنا .

٢ ــ الدرامين .

٣ ــ اللهوب ــ أبو لَهَبْ .

٤ ــ ذوي شوَيمي .



شجرة نسب قبيلة المراشدة من الروقة من عُتيبة

٥ ـــ الزويان ـــ ابو زوي

والزويان من قبيلة حريب بلا خلاف بينهم في ذلك .

ومن الزويان : ذوي دهار ، وذوي سعدون .

وهذه الخمس الخوامس من المُهَنَّين يقال لهم ذوي رويشد .

٦ ـــ الخواوير ـــ خوَّار ـــ ولهم فروع لا أعرفها .

(٥) الهراجفة : النسبة إليهم ـــ هَرجَفْ ـــ وهم قُرْنَة[٦] المراشدة وليس لهم فروع .

٢ ـــ ذوي حميد : وهم البديدة[٧] الثانية من المراشدة وهم أَرْبع خُصَل هي :

(١) الفهارين : بنو فهران بن حميد بن عبيد بن مرشد . ومنهم :

١ ـــ القوسة : ـــ القوس .

٢ ـــ الكسور : ـــ الكسر .

٣ ـــ الهروس : الهرس ـــ ومنهم آل وُرَيْك ـــ شيوخ ذوي حميد من المراشدة .

٤ ـــ الروبة : روابي .

٥ ـــ المساطير ـــ المسيطير .

٦ ـــ الصفوق ـــ الصَّفق .

(٢) الطرورة : النسبة إليهم ـــ الطِّرّ ـــ منهم الفارس دليم الطِّر وبعض الطرورة اليوم في الحجاز ولهم فروع في غربي نجد في كشب ، ولا أعرف عن فروعهم هذه شيئاً .

(٣) ذوي مطيع : بنو مطيع بن حميد بن عبيد بن مرشد ومنهم :

١ ـــ اللوابين ـــ بن لوابان .

٢ ـــ الكناخرة ـــ بن كناخر .

٣ ـــ الخذمان ـــ خذامي ،

٤ ـــ الحسانية ومنهم ـــ ذوي قبًا ـــ وذوي حَجْرف .

٥ ـــ ذوي سُوَيْد .

(٤) العناترة[٨] : النسبة إليهم — عنيتري — ومنهم :

١ — العيادين .

٢ — المقارنة : النسبة إليهم — مُقَرِّن — بتشديد الراء وهم حلفاء للمراشدة ويذكرون أنهم من أهل ثَرمداء رافقوا قبيلة المراشدة في الزمان المتقدم .

منهم عور المقرّن كان من (خويا) الملك عبد العزيز رحمه الله ومن فروع المقارنة :

— المراقيع — والعلاليب — والسحامين .

٣ — ذوي حثّيان .

وللمراشدة فروع وديار بالحجاز هي ديارهم الأولى ولم ينحدروا مع عتيبة في انحدارها الى نجد .

وبعضهم كانت ديارهم قريبة من بني سعد من عُتيبة فَعَدُّوا منهم ولم يكن ذلك موافقاً للحقيقة المعروفة .

الرياض : عبد الرحمن بن زبن المرشدي العتيبي

متوسطة وثانوية تحفيظ القرآن الكريم

الحواشي :

(١) المعروف من القديم أن الروقة من قبيلة عتيبة التي يرجع نسبها إلى هوزان . ورجوع أصل عتيبة إلى قبيلة هوزان مشهور من قبل الباحثين في الأنساب اليوم .

(٢) سكون المراشدة في نجد مع قومهم عتيبة عند انحدارهم من الحجاز إلى نجد ويبدو أن انحدارهم إلى نجد وسكناهم فيه كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود بن عبد العزيز رحمهم الله لكن انحدارهم إلى نجد كان بالتدريج فسكنوا أول ما سكنوا في أطراف نجد الغربية في كُشْب وما حولها ولم يدخلوا في عالية نجد — إلا بعد ذلك بعدة سنين حيث جاء ذكرهم في تواريخ نجد فذكرهم ابن بشر رحمه الله في تاريخه عنوان المجد في تاريخ نجد — سنة ١٢٤٧ هـ حينما غزاهم الإمام فيصل بن تركي رحمه الله في طلال أحد مياه عالية نجد أنظر عن ذلك ص من عنوان المجد في تاريخ نجد . وقد قبيلة عتيبة عند سكونها نجد بقبائل قحطان ومطير من عرب نجد فحصل بينهم حروب ووقائع في مطلع القرن الثالث عشر الهجري وانساحت قبيلة قحطان قليلاً إلى الجنوب من نجد وهجرت بعض قبائل مطير ديارها إلى شمال شرقي نجد ولا يزال لها بقية إلى اليوم ببلاد الحجاز وبنجد حول ضرية وفي ذلك يقول أحد شعراء مطير :

←

السُّوَدَةُ : من المناطق الأثرية

[وهذا أحد مباحث القسم المتعلق بالمنطقة الشرقية من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» في الجزء الثاني من ذلك القسم الذي صدر حديثاً .

وهذا المبحث يَتَعَلَّقُ بموضع قديم ، عُثِرَ في بعض مواقعه كـ(ثَاج) و(الحِنَّاءة) على آثار عمران قبل العهد الإسلامي .

والغاية من عرض هذا المبحث التَّطَلُّعُ إلى ما قد يُفْضِلُ أحد القرّاء بإبدائه من ملاحظات حَوْله ، أو حول ما تضمنه ذلك القسم من المباحث] .

السُّوَدَةُ :

— بضم السين وإسكان الواو وفتح الدال المهملة وآخره هاء — :

قال الهجريُّ[1] : أرسل بعضُ بني نُمَيْر إلى مزيد بن الجعد يُخْبِره بنعم ، بِدار ، من

→

واديـرتي مـا حـدهـا السِّـر وغـادي ‏ ‏ ‏ ‏ ومـا حـدهـا ضـلـع الـدفـينـة على مـاه
واديـرتي فيـهـا الـعـتـيـبي يـنـادي ‏ ‏ ‏ ‏ عـقـب الخافـة فيـهـا بـيـوت مـبـنـاه

(٣) ينطق اسم بني عبدالله بترقيق اللام في لفظ الجلالة .

(٤) لئن كنت اسهبت في الكتابة عن خصلة المثاقبة من المراشدة فليس تَعَصُّباً لهم وإنما هو لتوفر المعلومات عنهم لأني منهم فأعرف عنهم ما لا أعرف عن غيرهم .

(٥) بعض فروع العرامين عن مدله بن نشا المرشدي .

(٦) القرنة : القبيلة التي ليس لها فروع تتفرع عنها وإنما ينتسبون إلى الأصل الذي يجمعهم والقرنة ضد الجماجم المعروفة في قبائل العرب قديماً ، وقد ذُكرت عن القرنة والعزة والنخوة وغيرها في كتاب أنساب عرب البادية — مخطوط .

(٧) البديدة — وجمعها بدايد — عند عرب هذا العصر يقصد بها العشيرة التي تنقسم إلى فروع .

(٨) كنت أنطق هذا الاسم — العناقرة — وعلى ذلك كتبته في بحث عن عتيبة ومن حسن الحظ أنه لم ينشر في المجلة — مجلة العرب — وقد نسبتهم في ذلك البحث إلى العناقرة من بني سعد من تميم لأنهم أو بعض فروعهم كما يقولون أتوا من ثرمداء من بلاد الوشم وحالفوا المراشدة ، والحقيقة أن صحة الإسم العناترة كما رواه لي صالح بن عوض المرشدي ومنهم المقارنة حلفاء من أهل ثرمداء .

السُّودَة ، بشقِّ البحرين ، ما بينه وبين البصرة عن يوم من البحرين ــ وتقدم كلامه في رسم دار .

وأورد ياقوت اسم السُّودة مصحفاً ، فقد جاء في «معجم البلدان» : السُّوَدَدُ ــ هكذا رويت عن الحفصي بضم السِّين ــ قال : وهي فلاةٌ تُنْبتُ الغَضَا والأَرْطَى والبُقُولَ ، وهي لبني مالك بن سعد ـ بين البَحْرَيْن والبصرة . انتهى .

وتقدم ما نقل ياقوت عن الأزهري : السْتارانِ واديان يقال لهما السُّودَة .

والسُّودَةُ عدَّهَا الهمدانيُّ من أَرْضِ الْبَحْرَيْن[٢] .

وقَدْ لَمَحَ في خاطري تَعْلِيْلٌ لإطلاق اسم السودة على هذه الأَرْض ، أُعرضه لِلْقَارِىء ، بدون أن أَقْنَعَ بصحته . هو أن الأرض المتخامة لساحل البحر ، الممتدة من شمال واحة الأحساء حتى قُرب رأس الْخَفَقِي لها مَظْهَرَانِ بارِزَانِ : ما قرب من الشاطىء تكثر فيه الرمَال ، فَيَبْدُو للناظر صافي اللون ، إلى البياض ، ولهذا أُطْلِقَ عليه اسم البيضاء ، بيضاء الْخَطِّ . أَوْ بيضَاء بني جذيمة ــ وهاؤلاء من عبد القيس سكان هذه البلاد .

وما حاذى هذه الأرض غَرْباً من الأغوار والمُنْخَفَضَات التي تكثر مياهها وأشجارها ، فيخالف لونها لون الأرض الواقعة شرقها ، ولهذا أطلق عليها اسم السُّودَة ــ مقابل البيضاء ــ وإن لم تتفق الكلمتان وَزْناً ، فهما متقاربتان مَعْنًى ، والسَّوَادُ يطلق على اللَّون الأَخْضَر[٣] ، كما أنَّ الخُضْرَةَ قد يقصد بها السَّواد .

ولنعد إلى ذكر بعض النصوص المتعلقة بالسودة .

قال الفرزدق : [٤]

نُـبِّـئْتُ سَعْداً عَلَى أَمْوَاهِ سُودَتِهَا   تَفْسُو الْعَصِيْرَ وتَدْعُو الْغَدْرَ كَيْسَانَا
يا سَعْدُ لَنْ تُدْرِكُوا مَسْعَاةَ أَوَّلِنَا   أَوْ يُنْقَل الرَّمْلُ عَنْ جَرْعَاءِ حسَّانَا

والسودة كانت من بلاد بني سعد بن زيد مناة بن تميم هي وما حولها من المواضع .

وجاء في «شرح ديوان ابن الْمُقَرَّب» الأحسائي : ــ كان الفضل ابن عبدالله بن

علي العُيُوني ، قد حَمَى من (ثاج) إلى (يَبْرِيْنَ) وكان مقر الفضل في أوال في قرية تدعى (نار برد) أو (زاد برد) ولكنه يأتي إلى مواضع من حِمَاهُ فرأى أعْرابياً يرعى في جانب من الحمى ، وأعرابياً آخر يقول له : إنَّ هذا حِمَى الفضل ؟ فقال :

مَتَى يَلْتَقِي مَنْ (نار بَرْدٍ) مَحَلُّهُ وآخَــرُ سُوْدِيٌّ بَـعِـيْـدٌ مذاهـبَـهْ

فما أتمَّ البَيْتَ إلّا والفضل في جريدة من الْخَيْل قد ظهر عليه ، فكان ذلك من عجيب الاتفاق .

وفي ذلك يقول ابن مُقَرَّب :

هُمَامٌ حَمَى الْبَحْرَيْنِ سَبْعاً وَمِثْلَهَا سِنِيْنَ وَسَارَتْ في الفيافي مواكِبُه
وَلَـمْ يَـرْعَ مِنْ (ثاج) إلى (الرَّمل) مُضْرِمٌ عَلَى عَهْدِهِ إلَّا استُبِيْحَتْ حَلائِبُهْ
زَمَانَ يَـقُـولُ الْعَامِرِيُّ لِمَنْ غَدَا يُحَـذِّرُهُ عَنْهُ وذُوْ الحُمْقِ غالِبُهْ
وأيْنَ امْرُؤٌ فِي (زادَ بَرْدٍ) مَحَلُّهُ وأَغْـنَـامُ سُوْدِيٌّ بَعيـدٍ مَـذَاهِبُهْ ؟
فَلَمْ يَسْتتِمَّ الْقَوْلَ حَتَّى إذَا بِهِ يُسَـايِـرُهُ والـدَّهْـرُ جَمٌّ غَـرَائِـبُـهْ
فقالَ لَهُ : الآنَ الْتَقَيْنَا فَأَرْعَدَتْ فَرَائِصُـهُ ، والْجَـهْـلُ مُرٌّ عَـوَاقِبُهْ

وذكر الصَّاغاني اسم السُّودَة مُثَنَّى ، ولم يُحَدِّدِ الموضع . ويظهر أنه في بلاد هذيل ، لأنه ورد في شعر أحدهم .

يفهم من أقوال المتقدمين أن اسم السودة يطلق على أرض واسعة ، فالهجريُّ ذكر أنها تبعد عن البحرين بيوم ، ولعله يقصد عن قاعدة البحرين الأحساء ، ويدل على هذا أنَّهُ عَدَّ داراً من السُّودة ، فهذا جانبها الجنوبي ، وتقدَّم القول بأن الستارين يقال لها السُّودة ، والسِّتَارَان يمتدان من الجوف جنوباً حتى النِّقار شمالاً .

ولا يزال اسم السودة يطلق على القسم الشرقي من وادي المياه (الستار) ثم على أرْض النِّقار كلها حتى شمال رأس الخَفْقي — بل وراء ذلك .

ويمتدُّ مُسَمَّى السودة غَرْباً إلى أبرق الكِبْرِيْتِ ومَنْهَل عِرْق ، وهو من مناهلها ، ومن تلك المناهل — في أسفل السودة —: طَمَا والطَّرايف ، وطُرَيف ، وحَمَض والنقيرة

ونُقَيّر ، ورُكُبَة والجِنْجُوبُ ، وفُضَيخ والفضيخيَّة والطيَّار والبجسا . وجنوبها الطويلة في الحبل . وفي أسفلها السفَّانية ومُنيْفة .

وسكان السُّوْدَة الآن فروع من قبائل متعددة ، من بني خالد والعُجْمَان وبني هاجر ، والعوازم .

وجاء في كتاب «دليل الخليج»[٥] : السودة : سهل كبير يكون المنطقة الجنوبية لإمارة الكويت ويقع على البحر ، ويحد من الشمال بمنطقة الحزيم HAZAIM التي يفصلها عن السهل نهير المقطع MAQTA ، ويحد من الجنوب بالراديف RADAIF وسبحة المطايا MUTAYA وزور لوذان[٦] ويشمل الطريق الشمالي وادي لبيبة (؟) ، وطول السودة من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي يقدر بحوالي ستين ميلاً ، ويقال إن سطحه مُستَوٍ ، ويتكون من رمال متماسكة داكنة اللون .

ولا توجد به أشجار وإنما يوجد به شجيرات صغيرة من العرفج والكافور والكازورين[٧] .والثمام من مراعي الإبل إلى جانب بعض المراعي الأخرى .

وفيما يلي أهم المظاهر الطبيعية للمنطقة :

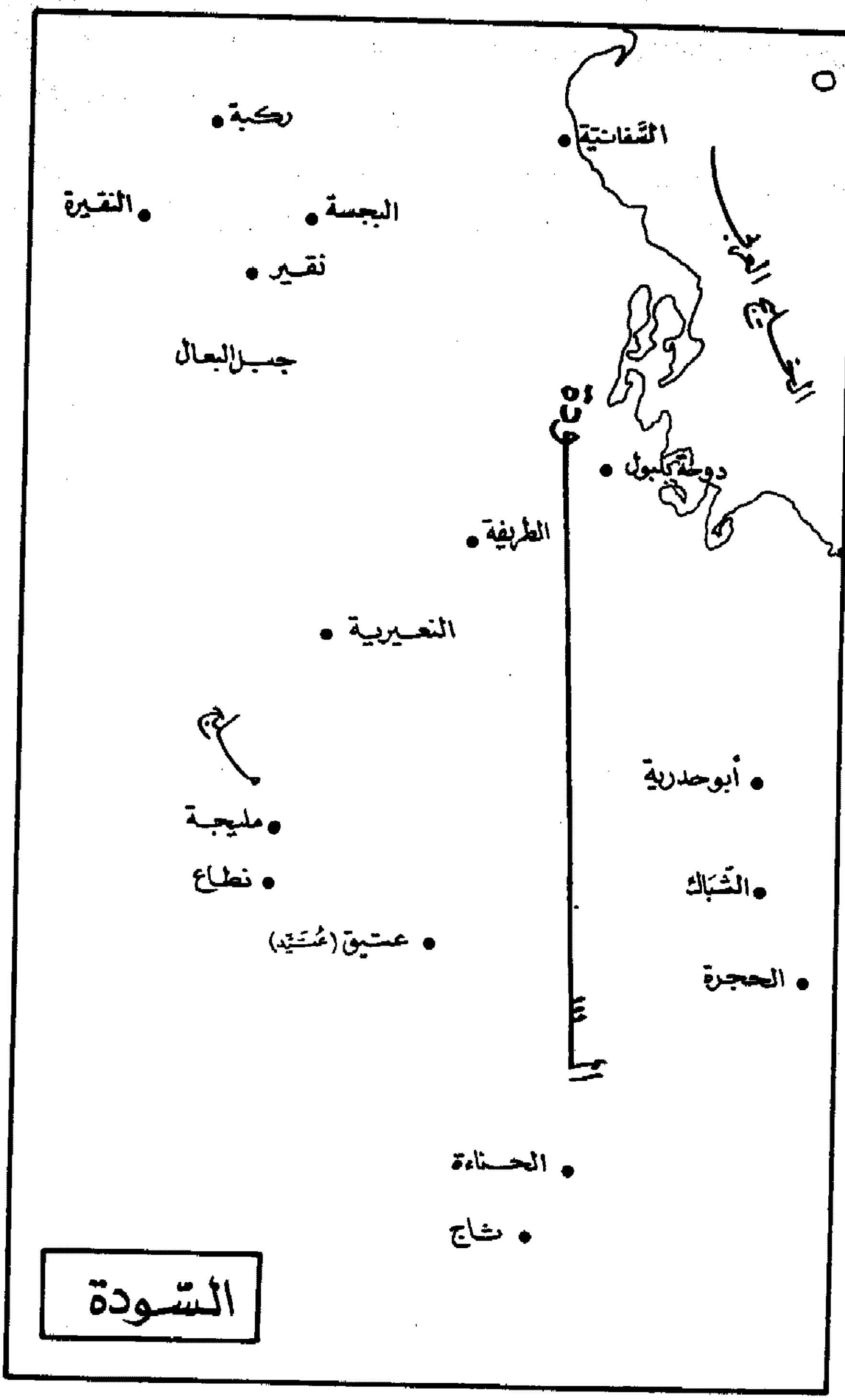
العرفجية : وتقع على بعد ٧ أميال غرب جبل عمودة AMUDAH وهي آبار ، يمكن شرب المياه التي تبلغ عمق آبارها ١٥ قدماً .

عرق : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً شمال غرب تخاديد و١٨ ميلاً جنوب شرق مراغة (؟) في الحزيم و٢٠ ميلاً من البحر .

كما يلاحظ أنه لا يمكن شرب المياه في الغالب والتي عمقها ١٢ قدماً .

البعال[٨] في اتجاه الركن الجنوبي الغربي لمنطقة السودة وهي تلال مستوية . يخيم فيها البدو .

حَمَض : آبار تقع على بعد ٢٠ أو ٢٥ ميلاً شمال غرب جبل النُّعيرية والمياه بها على عمق ١٢ قدماً وهي ضاربة للملوحة .


ركبة
السفانية
النقيرة
البجسة
نقير
جبل البعال
دوحة كلبول
الطريفة
النعيرية
أبوحدرية
مليجة
نطاع
الشباك
عتيق (عُتَيِّد)
الحجرة
الحناءة
ثاج
السودة

نُفَير : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرق حمض ، وعلى بعد أميال كثيرة من شمال شرق بعال .

شاذي (؟) : SHADHI : آبار تقع على بعد أميال قليلة من العرفجية وعمق الآبار ستة أقدام وهي عذبة .

تخاديد : آبار تقع على بعد ١٢ ميلاً جنوب شرق عرق وعلى بعد ١١ ميلاً شمال غرب حمض .

ويلاحظ أن المياه هنا عذبة على عمق ١٢ قدماً .

النُّقيْرة : آبار على بعد ٤ أميال شمال غرب نقير.

ويلاحظ أن المياه هنا عذبة وعمقها ١٢ قدماً .

وقد ورد في مقالة الكويت وصف تفصيلي للمظاهر الطبيعية لساحل السودة بالترتيب من الشمال إلى الجنوب وهي : رأس الحفقيّ وحِدُّ المشعاب وجزيرة المَقْطَع ، وبندر المشعاب وجبل العمدة وأبو راسين ورأس السّنافية ودوحة الخريس ورأس التناجيب ودوحة بُلْبُول وجبل مُنيفةَ . انتهى . ويلاحظ :

١ ــ أن كثيراً من الأسماء وردت مُحرَّفة ولم أهتد إلى وَجْه الصواب فيها .

٢ ــ أنَّ كثيراً من المياه التي في تلك الجهات قد درست ، بعد إنباط المياه القوية من اعماق جوف الأرض ، في عصرنا الحاضر.

٣ ــ أما المياه الباقية والمواضع المعروفة فقد ورد تحديد مواقعها في أماكنها من هذا « المعجم » .

حمد الجاسر

ما اتّفق لفظه وافترق مسمّاه من أسماء الأمكنة

للإمام محمد بن موسى الحازمي
(٥٤٨ / ٥٨٤هـ)

— ٧ —

١٦٥ — بَابُ جَاسِمٍ وَحَاسِمٍ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ — قبل المِيمِ سِينٌ مُهْمَلَةٌ مَكْسُورَةٌ — : ناحِيَةٌ بِالشَّامِ ، بَيْنَ دِمَشْقَ وَطَبَرِيَّةَ(٢) .

وأَمَّا الثَّانِي — أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ والبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ — : مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ ذَكَرَهُ

الحــواشي

---

(١) أورده نصر في (حرف الحاء) ولم يَزِد الحَازميُّ على ما ذكر نَصْرٌ شيئاً في تعريف الموضعين .

(٢) جَاسِم — على ما حدَّد ياقوت في «معجم البلدان» : قَرية بَيْنها وبين دمشق ثمانية فراسخ ، على يمين الطريق الأعظم إلى طبرية ، وأورد شعرا فيها لحسَّان وعدي بن الرقّاع ، وذكر أن أبا تمّام حبيب بن أوس الطائي الشاعر منها — وَلي بريدها وذكر بعض مَن نُسِبَ إليها . وجاسم معدودة من قُرى حوران في سُورية .

حواشي السودة :

---

(١) ص ٣٢٦ .

(٢) «صفة جزيرة العرب» : ٣١٧ .

(٣) في «تاج العروس» : الحبة السوداء هي الحبة الخضراء ، لأن العرب تسمي الأسود أخضر ، والأخضر أسود .

(٤) ٨٧٤ .

(٥) القسم الجغرافي : ج ص ٣٥١٢ .

(٦) في الترجمة العربية لهذا الكتاب سماه : (زور الأوذن) .

(٧) كذا في الترجمة العربية وهي غير صحيحة .

(٧) جبل البعال يقع شمال النعيرية وغرب ماء الجليقة . وجنوب ماء نقير ، وشرق جبل المعيقل . ومشاش (أبو حدرية) يقع في جبل بعال .

صَاحِبُ كتاب «الْعَيْن»[1] .

١٦٦ ــ بَابُ جَاكَه وَحَاكَه[2]

أمَّا الأوَّلَ بجيم غَيْر خَالِصَةٍ ، وهي بَيْنَ الْجِيْمِ والشِّيْن ، لُغَةٌ عَجَمِيَّةٌ وبعد الْأَلِف كافٌ ــ : ناحِيَةٌ مِنْ أَعْمَال الْأَهْوَاز .

وأمَّا الثَّانِيَ أَوَّلُهُ حَآءٌ مُهْمَلَةٌ والْبَاقِي نَحْوَ الْأَوَّلِ ــ : وَادٍ فِيْ بِلَادِ عُذْرَةَ ، كَانَتْ بِهَا وَقْعَةٌ .

---

(٣) نَقَل ياقوت تَعريف حاسم عن الحازميّ ، ونسبه إليه ، ولَمْ يَزِدْ ، والتَّعريف لِنَصْر كما تقدَّم ، وجاء في «القاموس» وشرحه : وقال ثَعْلَبُ : حُسُمٌ وحُسَمُ وحَاسِمُ مواضعُ بالبادية . وما أكثر مواضع البادية ، وما أوسعها !! وما أرى الاسم سوى تصحيف (جاسم) بالجيم ، وقد أطال الأزهري الكلام فيا ورد في كتاب «العين» المنسوب للخليل بن أحمد ــ من التَّصحيف ، وأورد في «التهذيب» أمثلة كثيرة لذلك .

(١) في كتاب نصر في (حرف الحاء) بهذا النص : (باب حالة وخالة وخاكة وجاكة) ولم يذكر (حاكة) .

عَرَّفَ نَصْرٌ جَاكه بما هذا نَصُّهُ : وما بجيم فارسية بين الجيم والشين والكاف ــ ناحية من بنات آذر ، من أعمال الأهواز ، انتهى .

أمَّا ياقوت فقال : جاكه : جيمه عجميَّة غير خالصة بين الجيم والشين ، وبعد الألف كافٌ : ناحية من بلاد الأهواز . انتهى . والهاء في الكتب الثلاثة غير منقوطة .

وفي «تاج العروس» : ومما يُسْتَدرك عليه : جاكه : ناحية من بنات آذر ، من أعمال الأهواز ، نقله نصر في كتابه . قلت : ومنها الإمام ... بدر الدين حسين بن ابراهيم بن حسين الجاكي الكردي نزيل القاهرة ، توفي بها سنة ٧٣٩ وزاويته بالحسينيَّة مشهورة انتهى .

ولم أر في تعريف هذا الموضع أكثر ممَّا تقدَّم . ولم أهتَد الى معرفة (نبات آذر) أو (بنات آذر) الواردة في كتاب نصر و«تاج العروس» ولعلَّ عدم وضوحها هو الذي دفع الحازمي والحمويَّ إلى عدم ذكرها .

وعرَّف نَصْر المواضع الثلاثة التي لم يذكرها الحازميُّ بما هذا نصه : حَالَة بالحاء : بين المدينة والشام من أرض بَلْقَين قرب حَرَّة الرَّجلاء وبالخاء المنقوطة . من مياه كَلْبِ بن وبرة ، من بادية الشام ، وبالخاء أيضاً والكاف : وادٍ من بلاد عُذْرة ، كانت به وقعة . انتهى .

وما أرى الأسماء الثلاثة إلاَّ لمُسَمَّى واحد هو حَالة ــ بالحاء المهملة بعدها ألف فلام فهاء منقوطة ، وصُحِّفَ هذا ، فبلاد كَلْبٍ وبني القين وعذرة مُتَجاورة ، ومُختلِطة ، وحالة لا تزال معروفه ، تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ــ قسم شمال المملكة .

١٦٧ — بَابُ جَبَاءٍ جبَاء ، وَجُبَّا وَحَيَا[١]

أَمَّا الأَوَّلُ — بَعْدَ الجِيمِ الْمَفْتُوحَةِ بَآءٌ مُوحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ أَيْضاً ثُمَّ هَمْزَةٌ عَلَى وَزْنِ جَبَلٍ — : جَبَلٌ بِالْيَمَنِ يُنْسَبُ إِلَيْهِ شُعَيْبٌ الْجَبَإِي ، حدَّثَ عنه سَلَمَةَ بْنُ وَهْرَامَ[٢] .

وَأَمَّا الثَّانِي — آخِرُهُ أَلِفٌ والْبَاقِي نَحْوَ الأَوَّلِ — : شُعْبَةٌ مِنْ وَادِي الجِيِّ ، وَهِيَ عِنْدَ الرُّوَيْثَةِ بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ[٣] .

وصُحِّف هذا ، فبلاد كلْبٍ وبني القين وعُذْرة مُتجاورة ، ومُخْتَلِطة ، وحالة لا تزال معروفة ، تحدثت عنها في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — قسم شمال المملكة .

---

(١) في كتاب نصر : (باب الجبَا والجُبَّا والْجَبَّا والحيا) .

(٢) جَبَأٌ مَدِينَةٌ أَثْرِيَّةٌ ، وصفها الهمداني في «صفة جزيرة العرب» — ٧٨ — وحَدَّدَ الأستاذ محمد بن عليّ الأكوع موقعها في فَجْوَة جَبَل صَبر مِنْ غَرْبِيِّه وصَبر من أشهر جبال اليمن ، تقع مدينة تعز في سفحه ، وشعيب الجبَإي تابعي من أقران طاووس ، وممن روى عنه محمد بن إسحاق — صاحب «السيرة» .

(٣) هذا تعريف نَصْرٍ بدون زيادة أو نَقْص ، ومثله في «معجم البلدان» بزيادة شعرٍ لِتأَبَّطَ شَرّاً يَرْثِي الشَّنْفَرى ، ومنه :

عَلَيْكَ جَزَاءٌ مِثْلُ يَوْمِكَ بِالجَبَا وقـد رعـفـتْ مِـنْكَ السُّيُوفُ البَـواتِـرُ

وما أرى الشاهد هذا ينطبق على الموضع المذكور ، لأن غارات الشَّنْفَرى في بلاد السَّراة — سراة أزدشنوءة في جهات بلاد عَسِير الآن ، بعيدة عن هذا الموضع .

كما أورد ياقوت لِكُثَيِّر قوله :

أهـاجكَ بَـرْقٌ آخـرَ الـلَّيْل وَاصِبُ تَضَـمَّـنَـهُ فَـرْشُ الـجَـبَـا فَـالْـمَـسَـارِبُ

ولم أعرف الجَبَا ، ولكنَّ وادي الجيِّ التي الجبا شُعْبَةٌ من شعابه ، لا يزال مَعْرُوفاً ، وادٍ تنحَدِرُ فروعه من جبل قُدْس (دِقِسْ وجبل عَوْفٍ الآن) ويفيض في وادي الصَّفْراء فَوْق مضيقها بجزعه المتَّجهُ إلى المدينة قبل أن يصل إلى المُسَيْجيد (المُنْصَرَف قديماً) بعد أن يجتاز وادي الْعَرْج — من الطريق القديم .

والرُّوَيْثَةُ كانت من أشهر منازل ذلك الطريق ، وقد يرى بعض الباحثين أن موقعها يعرف الآن باسم (محطَّة خَلْص) التي تبعد الآن عن المُنْصَرَف بنحو سبعة عشر كيلاً .

وكنت ذكرت في تعليقي على كتاب «المناسك» ص ٤٤٧ — أنَّ الرُّوَيْثَةَ تُعرَفُ الآن باسم (بِئْر عباس) التي تبعد عن المنصرف سبعة أكيال . وقلت : ولكنّها ليست على الطريق ، بَلْ منحَرِفَةٌ ذات اليسار كثيراً — قُلْتُ ذالك اعتماداً على ما كتب به إليَّ مؤرخ المدينة ، الشريف ابراهيم العياشي — رحمه الله ونشرته في «العرب»

وأمّا الثّالِثُ ــ أوّلُهُ جيمٌ مَضمومَةٌ ثم ثاءٌ مُثَلَّثَةٌ ــ : مَوضع بَيْنَ فَدَكَ وخَيْبَرَ قال بَشيرٌ أَبو النُّعْمَان :

لَعَمْري لَحَيٌّ بَيْنَ دَارِ مُزاحِمٍ
وَبَيْنَ الجُثَا لا يَجْشُمُ الصَّبْرَ حَاضِرُ[1]

وَأَمَّا الرَّابعُ ــ أوَّلُه حاءٌ مُهْمَلَةٌ ويَاءٌ تَحتَها نُقْطَتَانِ مَمْدُودَة ــ : وادٍ مِنْ أَقْصَى دِيَارِ قُشَيْرٍ[2] .

السنة الأولى ــ ص ١١٥٨ ــ .

ولكنني بعد أن مررت ببير عباس في خامس من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٠ هـ اتَّضَحَ لي أنّها لا تَقَعُ على الطريق القديم مِمَّا يَحْمِلُ على الشّكّ في أن تكون هي الرُّوَيْثَة ، وتوقَّعْتُ أن يكون موقع الرُّوَيْثَة هو ما يعرف الآن باسم مَحَطَّة خَلْصٍ ــ على ما ذكر الأستاذ عاتق البلادي ــ في كتابه « طريق الهجرة » ــ ص ٢٢٨ ــ ووصف ذلك الموضع عن مشاهدةٍ .

---

(١) عَرَّفَ نَصْرٌ الجُثا : بضم الجيم وثاء مثلَّثةٍ ــ ناحيَةٌ يَطَؤُها الطَّرِيقُ بَيْنَ فَدَكَ وَخَيْبَر . انتهى . وياقوت أورد نَصَّ كلام الحازميّ ــ غير مَنْسُوبٍ ــ وزادَ في شعر بشير ــ في « المعجم » بِشْر ــ بَيْتاً قَبْلَهُ . وفي كتاب « الهجري » ــ ٣٣٧ ــ لِعَمْرو بن عَوْنٍ الصاردي :

يَهِيجُ عليَّ الشوقُ أنْ شَطَّتِ النَّوى بِسَهْمِيَّةٍ ما شَمْلُهَا بِمُداني
تَحُلُّ جَثَا والظَّهْرَ رَابِعَةً بِهِ وَمَحْضَرُها بالصَّيْفِ جَوْعِتَانِ

ــ سَهمِيَّة من سَهمُ بن مُرَّةَ . انتهى ومُرَّة من غَطَفَان ، وما بَيْنَ خَيْبَرَ وفَدَك (الحائط الآن) من بلادهم . وجثا هذا ــ على ما يفهم من النُّصوص المتقدمة ــ وسط حرَّةِ خَيْبَر ، غَرْب بلدة الحائط ، وبشير أبو النعمان هو ابن سعد بن ثعلبة الخزرجيُّ الأنصاريّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل شهيداً سنة اثنتي عشرة للهجرة وابنه النُّعْمَان الصحابي الجليل أَوَّلُ مولود في الإسلام من الأنصار في المدينة في السنة الثانية من الهجرة ، وقتل شهيداً سنة ٦٥ هـ .

(٢) تعريف حَبَا هو نَصُّ تعريف نَصْرٍ ، وهو ما في « معجم البلدان » ولم ينسب التعريف .
وزاد نَصْرٌ : الجُثَّا ــ بضم الجيم وتشديد الثَّاء ــ جبل من جبال أَجإ ، مُشْرِفٌ على رَمْلِ طَيِّءٍ ، وعنده المناعان جَبَلان . انتهى . ومثل هذا في « معجم البلدان » .

١٦٨ — بَابُ الْجَبَاجِبِ والحَبَاحِبُ *

أمّا الأوّلُ — بعد الجيمِ المفتوحةِ باءٌ موحّدةٌ ، وبعد الألِفِ جيمٌ أُخرَى — : جِبَالُ مكّةَ قال الزُّبيْرُ : الْجَبَاجِبُ والأخاشِبُ جِبالُ مكّةَ يُقالُ : ما بَيْنَ أخْشَبَيْهَا وبَيْنَ جَبْجَبَيْهَا أكْرَمُ مِنْ فُلانٍ وقال كُثَيِّر :

إذَا النَّضْرُ وافَتْهُمْ عَلَى الخَيْلِ مالِكٌ وعَبْدُ مَنَاةٍ والتَقَوا بالجَبَاجِبِ

وقيل : هِيَ أسْوَاقُ مكّةَ[1] .

وأمّا الثّاني — أوّله حاءٌ مُهملةٌ مفتوحةٌ وأُخرَى بَعْدَ الألِفِ مكْسورَة — : بَلَدٌ[2] .

---

* زاد نَصْرٌ : (والجُباجِبة) .

(١) قال نصر — عن الجَبَاجِب — : بفتح الجيم ، مجمع الناس بِمِنَى ، وقيل : الْجَبَاجِبُ الأسواقُ . وقال السكريُّ : الجَبَاجِبُ والأخاشِبُ جِبَالُ مَكّة ، وبخط (فا) بضم الجيم . انتهى . وفوق (فا) كلمة (كذا) مما يدلُّ على أن الكاتب هكذا وجدها ونقل ياقوت من كلام نَصْرٍ أوّلَهُ إلى قول السكري ، وقول الحازميّ ، وزاد : وقال العِمْرانيُّ : الْجَبَاجِبُ شجر (؟) معروف بِمِنَى ، لأنّهُ كانَ يُلْقَى بِهِ الجَبَاجِبُ وهي الكُرُوش . كما فَسَّرَ الجباجب من الناحية اللُّغويَّة . وأورد قول كُثَيِّر :

إذا النصر وَافَتْهَا — وهي في مخطوطة كتاب الحازمي : (وافيهم)

وكلمة (شجر) قد تكون مُحرَّفة إذ في «تاج العروس» : قال البرقيُّ — في تفسير الجباجب — حَفَرٌ بمنى كان يُلْقَى به الكروش .

(٢) لم يُعرِّف الحازميُّ الحَبَاحِبَ تعريفا وافياً ، وكذا نَصْرٌ الذي قال : وأما بضم الحاء المهملة وبعد الألف مثلها (؟) مكسورة : بَلَدٌ . انتهى . وعن الحازميِّ نقَل ياقوت ولَمْ يزدْ إلاّ المعنَى اللُّغَويَّ لكلمة حَبْحَاب — مفرد حباحب — : الصغير من كل شيء .

وعرّفَ نَصْرٌ الجُبَاجِبَة بقوله : بضم الجيم الأولى وآخره هاء — : ماء في ديار بني كلاب ، لِرَبِيْعَة بْن قُرْطٍ ، عليها نَخْلٌ ، ولَيْسَ على شيء من مِيَاهِهِم نَخْلٌ غَيْرَها وغَيْرَ الجَرْوَلَة . انتهى ونقل هذا ياقوت غير منسوب ، وأصله في كتاب «بلاد العرب» — ص ١٣٧ — في الكلام على مياه بني ربيعة بن قُرْطٍ — ونَصُّهُ : ثم الجُبَاجِبَةُ وهي ماءةٌ لِرَبيعة بن قُرْطٍ ، عليها نَخْلٌ ، وليس على شيء ممَّا سَمَّيْنا نَخْلٌ غيرها وغير الجَرْوَلَةِ ، فإنَّ عليها نَخْلاً مُحْدثاً . انتهى . ويظهر مما أورده صاحب كتاب «بلاد العرب» عن مياه بني ربيعة بن قُرْط أن الجُبَاجِبَة من مياه نَمَلَى (رَغْبَا الآن) في جنوب عالية نَجْد .

مقتطفات :

من كتاب "الإيناس"

[سيصدر قريباً كتاب «الايناس في علم الأنساب» من منشورات (النادي الأدبي في الرياض) أعده للنشر صاحب هذه المجلة ، والكتاب وإن كان خاصاً بضبط الأسماء ، إلا أن المؤلف كثيراً ما يستطرد بإيراد نصوص أدبية وتاريخية ، معتمداً على مصادر قديمة ، مما يجعل لتلك النصوص أهمية خاصة لدى الباحثين.

وها هي نماذج منها مما يتعلق بالشعراء ، والترتيب ليس من عمل مؤلف الكتاب].

أوسُ بن حَجَرٍ :

في تَميم : حَدَّانُ بنُ قُرَيْعِ بْنِ عَوْف بن كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيدِ مَنَاة بْنِ تميم ، منهُم فَارسُ هبُّود ، وهو بُرْثُنُ بن شِهَابِ بْنِ النُّعْمَانَ بن جُبَيْل بْن حَدَّان بْنِ قُرَيْعٍ ، وكَانَ شَرِيفاً قَائِدَ بَنِي سَعْدٍ وَرَئِيسَهُمْ فِي الجاهِليَّةِ .

ومنهُم عَلقَمةُ بنُ سَبَّاحِ بن جُبَيْل بْنِ حَدَّان . وكانَ في فُرسَان بَني سَعْدٍ ، ومَدَحَهُ أوْسُ بنُ حَجَرٍ التَّميْميُّ .

أنشدني أبُو سُلَيْمٍ قال أنشدني أبو بَكْرِ بْن دُرَيْدٍ عن أبي حاتمٍ عن الأصمعيِّ عن أبي عَمْرو بْنِ العَلاءِ ، وعن أبي حاتم عن أبي عُبَيْدَةَ لِأَوْسِ بْنِ حَجَرَ في جملة ديوانه(١) يمدح عَلْقَمَةَ هذا :

وَدِّعْ لَمِيسَ وَدَاعَ الصَّارِمِ اللاَّحي ... إذْ أفْنَكَتْ في فَسَادٍ بَعْدَ إصْلاح
قَاتَلَهَا اللهُ تَلْحَانِيْ وَقَدْ عَلِمَتْ ... أَنِّي لِنَفْسي إفْسادي وإصلاحي
إنْ أشْرَبِ الْخَمْرَ أوْ أرْزَا لَهَا ثَمناً ... فَلاَ مَحالةَ يَوْماً أنَّنِي صَاحي
وَلاَ مَحَالةَ مِنْ قَبْرٍ بِمحْنِيَةٍ ... أو في مَلِيْعٍ كَظَهْرِ التُّرْسِ وضَّاحِ
وَقدْ لَهَوْتُ بِمِثْلِ الرِّيم ، آنِسَةٍ ... تُصْبِي الْحَلِيْمَ عَرُوبٍ غَيْرِ مِكْلاَحِ
كَأنَّ رِيقَتَها بَعْدَ الْكَرَى اغْتَبَقَتْ ... مِنْ مَاءِ أدْكَنَ في الْحَانُوتِ نَضَّاحِ
أوْ مِنْ مُشَعْشَعَةٍ. ورْهاءَ نَشْوتُها ... أوْ مِنْ أنَابِيْبِ رُمَّان وتُفَّاحِ
يَاهَل تَرَى الْبَرْقَ لَمَّا نُمْتُ أرَّقَني ... فِيْ عَارِضٍ مُسْتَطِيرِ الْبَرْق لَمَّاحِ

دَانٍ مُسِفٌّ فُوَيْقَ الأَرْضِ هَيْدَبُه   يَكَادُ يَدْفَعُهُ مَنْ قَامَ بالرَّاحِ
يَنْفِي الحَصَا عَنْ حَدِيْدِ الأَرْضِ مُبْرِكاً(؟)   كَأَنَّهُ فَاحِصٌ أو لاعِبٌ داحِ
فَمَنْ بِنَجْوتِهِ كَمَنْ بِمَحْفِلِهِ   والمُسْتَكِنُّ كَمَنْ يَمْشِي بِقِرْوَاحِ
سَقَى دِيَارَ بَنِي عَوْفٍ ومسكَنَهُم   ودَارَ عَلْقَمَةِ الْخَيْرِ ابْنِ سَبَّاحِ

أفنون التغلبي :

في رَبِيعَةَ : حُبَيْبُ بْنُ عَمْرو بن غَنْمِ بن تَغْلِبَ ، واسْمُ تَغْلِبَ : دِثَارٌ . مِنْهُم : الملقب بأفنونَ[٢] وهو صُرَيم بن مَعْشَر بن ذُهْل ابن تَيْم بن عَمرو بن مَالِك بْنِ حُبَيْبٍ القَائِلُ[٣] :

ألا لَسْتُ في شَيْءٍ فَرُوحاً مُعَاوِياً   وَلاَ الْمُشْفِقَاتُ يَتَّبِعْنَ الحَوَازِيَا

أي لست في شيء من الحياة ، ولا المُشفِقَاتُ عليَّ في شيء من حَيَاتي .

فَطَأْ مُعْرِضاً إنَّ الخُطُوبَ كثيرةٌ   وَإِنَّكَ لا تُبقِي بِنَفْسِكَ بَاقِيا
وَلاَ خَيْرَ فِيمَا يَكْذِبُ المَرْءُ نَفْسَهُ   وَتَقْوالِهِ لِلشَّيْءِ يا لَيْتَ ذَالِيا
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِي   إِذَا هُوَ لَمْ يجْعَلْ لَهُ اللهُ واقِياً
كَفَى حَزَناً أنْ يَرْحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً   وأُصْبِحَ في أعْلَى إلاَهَةَ ثَاوِيا

إلاَهَةُ هَا هُنَا قَارةٌ بالسَّمَاوَة[٤] .

وَإِنَّما أوردْنَا هذين البَيْتَين لاعتمادِنا أن لا نُخلِي فَصْلاً من مَعْلُوم غَيْرِ الأسْماء ، وبالله التوفيق .

جِعَالُ بْنُ زَيْدٍ :

وفي هَمْدَانَ نِهْمٌ ـــ بِكَسْرِ النُونِ وإِسكَانِ الهَاءِ ـــ بنُ رَبِيْعة بْن مَالِك بْنِ صَعْبِ بْنِ دَوْمَانَ بن بَكِيْلِ بْنِ جُشَمَ بْنِ خَيْرَانَ بْنِ نَوْفٍ بن هَمْدَان ، وقَد قِيلَ : دُومَانُ بِالضَّمِّ والأوَّلُ أثْبَتُ .

مِنهم : جِعَالُ بْنُ زَيْدِ بْنِ رَبِيْعَةَ ، ويُقَالُ : جِعَالُ بْنُ عَبْدِ بن رَبيعَة كانَ شاعِراً ،

وله أقاصيص يطول ذكرها .. وأنشدني بعض أشياخنا لجعال هذا وهي قطعة من أحسن ما حفظ وذوكر به :

أتبرمت سلمى مدلّة | أم للصريمة تلك علّة
ويل أم سلمى لو وفت | لك بالذي منتك خلّة
من حبها عبراته | في الصدر تنفح مستهلّة
فسقى الإله الدار إذ | بالدار تجتمع الأخلّة
قد كنت تعذر في الصبى | أيام أنت عليك بلّة
أودى بها ريب الزمان | وكل ذلكم تعلّة
ما من أخ لك لا تعد | ولو حرصت عليه زلّة
والدهر يعثر بالفتى | ويريشه من بعد قلّة
والمرء يأمل أن يعيش | وطول هذا العيش ملّة
ويخونه ويملّه | أهل البطانة والدخلّة
والموت أهون حادث | مما يمر على الجبلّة

جميل بن عبدالله بن معمر :

بن الحارث بن خيبري بن ظبيان — وهو ضبيس — بن حنّ بن ربيعة بن حرام بن ضِنّة بن عبد كبير بن عُذرة .

صاحب أم عبد الملك بثينة بنت حبّاء ابن ثعلبة بن الهوذاء بن عمرو بن الأحبّ بن حنّ . التي يقول فيها :

إنّ بني عمّك أوعدوني | أن يقطعوا رأسي إذا لقوني
ويقتلوني ثم لا يدوني | قد علم الأعبد أنّ دوني
ضرباً كإيزاغ المخاض الجون | أُنمي إلى عادية زبون
يشقّ عنها السيل ذو الشجون

ومن قوله لها :

قَالَتْ بُثَيْنَةُ مَا تُبَالِي هَجْرَنَا وَبَـلَى وربِّكِ إنّي لَأُبَـالِي
صَدأُ الْحَدِيْدِ بِمَنْكِبِيَّ كَأَنَّني جَـمَـلٌ يُغَشِّيْهِ العنيَّةَ طَالِي
أَبُثَيْنَ هَلْ تَدْرِيْنَ كَمْ كَلَّفْتِنِي مِنْ عَقْرِ نَاجِيَةٍ وحَرْبِ مَوالِي

وبُثَيْنَةُ شَاعِرَةٌ والبيتان النُّونيَّانِ مَعْرُوفَانِ لها .

ومِنْ غَرِيْبِ شِعْرِها ما أَنْشَدَهُ أبو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بن دُرَيْدٍ الأَزْدِيُّ لِبُثَيْنَةَ في خَبَرٍ طويْلٍ :

لا هَمَّ فَارِعَ الْغَيْبِ مِنْ جَمِيْلِ واحْفَظْهُ فِي الْبُكْرَةِ والأَصِيْلِ
واكْنُفْهُ فِي الرَّحِيْلِ والنُّزُوْلِ واطْوِ عَلَيْهِ شُقَّةَ السَّبِيْلِ
حَتَّى يَؤُوْبَ سَالِماً خَلِيْلِي

حَاتِمُ الجواد :

ومَنْ هَزُومةَ — بن ربيعة بن جَرْوَلٍ بن ثُعَل بْنِ عَمْرو بْنِ الْغَوْثِ بن طَيِّءٍ ، حاتِمُ الجَوادُ بنُ عبدالله بن سعد بن الحَشْرج بن امريء القيس بن عديٍّ بن أخزم بن هَزُومة .

السيِّدُ الشريف ، والشاعر الفصيح ، وهو القائل :

أَلا أَبْلِغَا وَهْمَ بْنَ عَمْرٍو رِسَالَةً فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمَرْءُ بالخَيْرِ أَجْدَرُ
رَأَيْتُكَ أدنَى مِنْ أُنَاسٍ قَرَابَةً وغَيْرُكَ مِنْهُم كُنْتُ أَحْبُو وأَنْصُرُ
إِذا ما أَتَى يَوْمٌ يُفَرِّقُ بيْنَنا بِمَوْتٍ فَكُنْ يا وَهْمُ ذُو يَتَأَخَّرُ(٥)

يُخَاطِبُ وَهْمَ بْنَ عَمْرو بن حُوَيص بن مالك بن امريء القيس ، وكان حاتمُ مُصَارِماً له ، عِنْدَ مُفَاخَرَةٍ لبني لَأْمٍ بالْحِيْرة — وذلك يَمُرُّ بك مشروحاً في «أدب الخَوَاصِّ» إن شاء الله — فأتى حاتمٌ وَهْمَ بْنَ عَمْرٍو ، فقالت له امْرَأَتُهُ : أيْ وَهْمُ هذا واللهِ أبو سَفَّانة قَدْ طَلَع ! قال : ما لنا ولحاتِمٍ ؟! أَثْبِتِي النَّظَرَ ! ! فقالت : هُوَ هُوَ . فأقبلَ حاتِمٌ حتَّى سَلَّمَ عَلَيْه ، فقال : ما بِكَ أبا سَفَّانَةَ ؟! قال : أَخْطَرْتُ عَلَى حَسَبِي وحسَبِكَ . فقال : في الرَّحْبُ والسَّعَة ، هذا ما لي فَخُذْهُ ، وكان عندهُ سَبْعُ مِئَةِ بَعِيْرٍ ، فَأَقْبَلَ يَحُوزُها لَهُ ، مِئَةً ، مِئَةً ، فانصرف عنه ، وقال هذه الأبيات .

وأكثر شعر حاتِمٍ حَسَنٌ ، ولكن ليس من شرط هذا التَّعليق الإطالة وبالله التوفيق[٦] .

دِجَاجَةُ بن أَهْوَى :

ابن عَلْقَمة بن مَرْهُوب بْنِ هَاجِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ بَجَالَة بْنِ ذُهْل بْنِ مَالِكِ بن بَكْرِ بْن سَعْدِ بْنِ ضَبَّة ، وهُو حَسَنُ الشِّعْر ، ومن قولِهِ يَمْدَحُ رَجُلَيْن :

فَكَرًّا وَلَو شاءا لنجَّاهُمَا معاً … مِنَ الْمَوْتِ جَيَّاشَا الضُّحَى رَيذَانِ
هُمَا تَرَكَا دَارَ الْهَوَانِ لأَهْلِهَا … وغُودِرَ قَيْسِيٌّ بِهَا ويَمَانِ

دِجَاجَةُ بن عَبْدِ قَيْسٍ :

وفي تَيم عَبْدِ مَنَاةَ : دِجَاجَةُ بنُ عَبْدِ قَيْس بْن امْرِيء الْقَيْس بْن عِلْبَاء بْن رُبَيْع بْن عَمْرِو بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ لُؤَيِّ بْن عَمْرِوبْن الحَارِث بْنِ تَيْم بنِ عَبْدِ مَنَاة بْنِ أُدٍّ بْنِ طَابِخَة ، شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ وهُو القائِلُ :

تَعَجَّبُ ممَّا قَدْ عَلاَ الرَّأسَ جَارَتِي … وقد شَمِطَتْ قَبْلِي فَلَمْ أَتَعَجَّبِ
وَلَسْتُ بفَحَّاشٍ ولاَ ذِي نَمَامَةٍ … يُزجِّي إِلَيْهِمْ كُلَّ أَفْعَى وعَقْرَبِ

وإِيَّاهُ عَنَى ذَبَّابُ بنُ مُعَاوِيَة العُكْلِيُّ ، إذْ يَقُولُ :

أَلاَ أَبْلِغَا تَيْماً فَإِنِّي مُكَلِّمٌ … دِجَاجَتَكُمْ هَذَا الَّذِيْ لا يُكَلَّمُ
سَتُقْصِرُ أو تَنْهَاكَ عَنِّي عَظِيمَةٌ … مِنَ الأَمْرِ تَعْيَاهَا الْقَوابِلُ مُتْئِمُ

تعياها بمعنى تَعيي بها .

دِجاجة بنت صفوانَ :

بن حُصَيْن بن مُوَيْلِك بن مُلَيْل بن رفاعة بن سالم بن عُبَيْد بن سعد بن عوف بن كعب بن جلاّن بن غَنْم بن غَنِيٌّ .

وكانت شاعرة ، وهيَ الْقَائِلَةُ تَنْصُرُ أُمَّها في مُفَاخَرَةٍ كانَتْ بَيْنَهَا وبيْنَ بَعْض نِسَآءِ قَوْمِها .

تَـقُول ما قَالَتْ لَهُمْ قطَام وَكُـلُّ قَوْمٍ لَـهُـمُ إِمَـامُ
أَوْلَادُ سَـعْـدٍ عِـزُّهَـا الـلُّـهَـامُ وَذَادَةٌ إِذْ وَقَفَ الْـخُصَّـامُ

وأُمُّها قَطَام بِنْتُ حَنَش بْنِ مُوَيْلِكٍ آبْنَةُ عَمِّ أَبِيهَا ، شَاعِرةٌ أَيضاً مُحْسِنَةٌ ، وَهِيَ القَائِلَةُ :

فذَرذَا وَلَكِنْ ما تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ يُضِيءُ سَنَاهُ الْبَاءَ باللَّيْلِ أَكْدَرَا
تَحدَّرَ من غَوْرِيَّةٍ وانتَحَى بِهِ صُدُور غَمَامٍ فاسْتَهَل فَامْطَرَا
كَأَنَّ خُزَامَاهُ إِذا اعْتَمَّ نَبْتُهُ وَسَاوَى بأَطْرَافِ العِضَاهِ وَنَوَّرا
قُطُوعُ رِحَالٍ أوزرايٌّ تَاجِرٍ عَلَى حِيْنَ أَنْ بَثَّ العِيَابَ وَنَشَّرَا

ومِنْ قَوْلِهَا لِعَوْفِ بْنِ الأَحْوَص الْكِلاَبِيِّ ، واسمُ الأَحْوص : رَبِيْعَةُ ، وكَانَ عَوْفٌ يُهَاجِيهَا فقَالَتْ لَه :

أَعَيَّرتَنِي دَاءً بِأُمِّكَ مِثْلُهُ وَذَلِكَ دَاءٌ ظَاهِرٌ لا يَضِيْرُهَا
بَنُو غَنَوِيَّاتٍ كِرَامٍ مَوَاجِدٍ أَعَاشَكَ ما ضَمَّتْ عَلَيْكَ حُجُورُهَا

في أبياتٍ طَوِيْلَةٍ ، وقَصَصٍ مُمْتَدَّةٍ .

أبو ذَهْلَبٍ[٨] الراجِزُ :

وقال أبو اليقظان : ومن حَدَّان هاولاء[٩] : أبو ذَهْلَبٍ الراجزُ ، وهو القائِلُ وكان يَزِيدُ بنُ مُعاوِيَةَ أَمَرَهُ أَنْ يرجِزَ بالأُرْدُنِّ :

حَنَّتْ قَلُوصِي أَمْسِ بِالأُرْدُنِّ
حِنِّي فَمَا ظُلِمْتِ أَنْ تَحِنِّي
حَنَّتْ بِأَعْلَى صَوْتِهَا المُرِنِّ[١٠]

الزُّبَيْرُ بن عَبْد المطَّلب :

وفي قُرَيْش : الزُّبيرُ — مفتُوح الزَّاي — في قَولِ أَحمدَ بْن يَحْيي الْبَلاذِرِيِّ والبَاقُونَ كُلُّهم عَلَى ضَمِّهَا ، ابْنُ عَبْدِ المطَّلِبِ ابن هَاشِم عَمُّ رَسُولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم ،

وأخو أبيه لأُمّهِ وَمَاتَ ورَسُول اللهِ صلى الله عَلَيْهِ وسلّم لَمْ يُبْعَثْ ، لِبْنُ تِسْعٍ وثلاثينَ سنةً ، وقَدْ قِيلَ أنّهُ مَاتَ أيامَ المَبْعَثِ ، وهُوَ كَانَ المتَكلّمُ في عَقْدِ حِلْفِ الفُضولِ الّذِي تعاقَدَ فيه بَنُو هَاشِمٍ ، وَبنُو المُطّلب بن عَبْدِ مَنافٍ وَبَنُو أسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزّى بْنِ قُصَيٍّ ، وَبَنُو زُهْرَة بن كِلاَبٍ وَبَنُو تَيْم بن مُرّةَ بْنِ كِلاَب ، في دَارِ أبي زُهَيْرٍ عَبْدِاللهِ بْنِ جُدْعَانَ التّيميِّ ، عَلَى مَنعِ الظُّلْم .

وفي هذا الحِلْفِ يَقُولُ نُبَيْهُ بْنُ الْحَجّاجِ السَّهْميُّ ، وَكَانَ أرَادَ أنْ يَغْصِبَ رَجُلاً مِنْ خَثْعَمَ بِنْتاً لَهُ ، يقال لَهَا الْقَتُولُ ، فَمَنَعَهُ هؤلاءِ الأَحْلاَفُ .

زَالَ صَحْبِي وَلَمْ أُحيِّ الْقَتُوْلا ... وَأُودّعـهُـمُ وَدَاعـاً جَـمِـيْلا
لا تَخَالِي أنّي عَشِيّةَ رَاحَ الـ ... ـرَكْبُ هُنْتُمْ عليَّ ألاَّ أقُوْلاَ
بَلْ خَشِيْتُ الفضولَ فِيْكِ وقِدْماً ... قَدْ أرانِي وَلاَ أخَافُ الْفُضُوْلاَ

وقال نُبَيْهُ أيْضاً :

حَيٌّ الْمَلِيْحَةَ إذْ نَأتْ ... مِنَّا عَلَى عُدَوائِهَا
لاَ بِالْفِرَاقِ تُنِيْلُنَا ... شَيْئاً ولاَ بِلِقَائِهَا
لَوْلاَ الْفُضُولُ وأنّهُ ... لاَ أمْنَ من غُلَوائِهَا
لَدَنَوْتُ مِنْ أبْيَاتِهَا ... وَلَطُفْتُ حَوْلَ خِبَائِهَا
وَلَجِئْتُهَا أمشِي بِلاَ ... هَادٍ عَلَى ظَلْمَائِهَا
فَشَرِبْتُ فَضْلَةَ كَأْسِهَا ... وَلَبِتُّ فِي أحْشَائِهَا

وكان الزّبيرُ شَاعِراً ، وأنا لاَ أُفَضِّلُ عَلَيْهِ مِنْ شُعراءِ قُرَيْشٍ إلاَّ الْقَلِيْلَ ، وَمِنْ قَوْلِهِ :

وَلَسْتُ كَمَنْ يُمِيْتُ الْغَيْظَ عَجْزاً ... وَلَكِنِّي أُجِيْبُ إذَا دُعِيْتُ
وَيَنْهى عَنِّي الْمُخْتَالَ صَدْقٌ ... رقِيْقُ الْحَدِّ ضَرْبَتُهُ صَمُوتُ
بِكَفِّي مَاجِدٍ لَم يَقْنَ ضَيْماً ... إذَا يَلْقَى الْكَتِيْبَةَ يَسْتَمِيتُ
ولَوْلاَ نَحْنُ لَمْ تَلْبس رِجَالٌ ... ثِيَابَ أعِزَّةٍ حتَّى يَمُوتُوا

وقال الزّبيرُ أيضاً :

تَرمي بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ إذَا أُظْلَمُ مِنْ حَوْلِيَ بالْجَنْدَلِ
لا أَسَدٌ تُسْلِمُني لا ولا تَيْمٌ ولا زُهْرَةُ للنَّيْطَلِ

ومن قوله :

إنِّي إذَا مَرَّ مَالي لاَ أُكَلِّفُهُ إلاَّ الغَزَاةَ وإلاَّ الرَّكْضَ في التُّرُبِ
وَأَنْ أُقِيمَ بِأَرْضٍ لا أُشدُّ بها صَوْتِي إذَا ما اعْتَرَتْني سَوْرَةُ الغَضَبِ

ومن قول الزُّبيْرِ :

تَذَكَّرْتُ مَا شَفَّني إنَّما يُهَيِّجُ مَا شَفَّهُ الذَّاكِرُ
وَيَمْنَعُهُ النَّوْمَ حَتَّى يُقالُ بِهِ سَقَمٌ باطِنٌ ظَاهِرُ
فَلَوْ أنَّ حَجْلاً وأعْمَامَهُ شُهُودٌ وَقَرَّةُ والطَّاهِرُ

حَجْلٌ ، وقَرَّةُ ، والطَّاهِرُ : بَنُو الزُّبيْرِ ، وقَدْ كَانَ لَهُ أخٌ يُقَال له حَجْلُ أيضاً .

وَلَكِنَّ غُوْلاً أصابَتْ بِهِمْ وَفيهم لِمُضْطَهِدٍ نَاصِرُ
فلا يبعد القومُ إذ وَدَّعُوا وأسْقَى قُبُورَهُم المَاطِرُ
نَجَاء رَبِيعٍ لَهُ وَابِلٌ لَهُ خَضِرٌ ولَهُ زَاهِرُ

وَكَانَتْ للزُّبيرِ بِنْتٌ يُقَالُ لَهَا : ضُبَاعَةُ ، تَزَوَّجَهَا المِقْدَادُ ابْنُ عَمْرٍو ، المَعْرُوفُ بالمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ ، والأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ زَوْجُ أُمِّهِ ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى جَوَازِ النِّكاحِ في الْمُسلمِينَ غَيْرِ الأَكْفَاءِ في النَّسَبِ .

طَيْسَلَةُ بن بَسِيلٍ :

وَفي تَميمٍ : بَسِيلُ بنُ مَحْكَانَ بن جِرْوَةَ بن قَبِيصَة ، بن مَجْدِ بن أُبَيٍّ ابن الْحَارِثِ بن حُنْجُودِ بن .

وابنه طَيْسَلَةُ بْنُ بَسِيلٍ ، شاعرٌ .

وَجِدتُ له بِخَطِّ يعقوبَ بْنِ السِّكِّيتِ في أنْسَابِ بَني حُنْجُودٍ يُرَقِّصُ ابْنَهُ مُقَلَّداً :

مُقَلَّدٌ يُحِبُّهُ فُؤادي حُبَّ المُمَنَّى الْمَاءَ وهو صَادِي

بِـــغَــــدَوَاتِ نَـــازِحِ الْـــبِلاَدِ حَيْثُ يَضَلُّ الشَّمَّرِيُّ الهَادِيْ

ومِنْ قَوْلِه يَرْثي زَوْجَهُ رِبحلَةَ بِنْتَ جَميل بْنِ جرْوَةَ :

لقد نَزَعَتْ رِبَحْلَةُ من حِبَالي بِـأَسْبَـابٍ وكـنْتُ بها ضَنِيْنَا
وَكَانَتْ لاَ يُـهَالُ الـجَارُ مِنْها ولا تَلْحَى عَلَى العَدَمِ القَرِيْنا

وقَالَ لابْنِهِ قُرَيْطٍ ، وافْتَرَض :

غَزَا لَمْ يُؤامِرنِيْ قُرَيْطٌ ولَمْ يكنْ لِيَنْهَاهُ أمْرٌ للصَّرامةِ عن أمْرِي
يَقُولُ لَهُ الأعْداءُ إذْ يُزْعِجُونَهُ لفَيءُ الرُّدَيْنِيَّاتِ خَيْرٌ مِنَ الفَقْرِ
ومَا في اجْتِلاَدِ الأزرقيَّةِ راحَةٌ ومَطْرورة الأَغْراضِ جَائِرَة الْهَبْرِ

عَبْدَةُ بْنُ الطَّيْب :

واسْمُ الطَّيْبِ زَيْدُ بْنُ مَالِكِ بْنِ امْرِيءِ القَيْس بْن مَرْثَدِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ سُبَيْع بْنِ عَبْدِ نُهْمِ بْنِ جُشَم بن عَب الشَّمْس ، وقَد قِيل في نَسَبِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، إلاَّ أنّي كَذَا وَجَدْتُ بِخَطِّ إِسحَاقَ وعَرْضِهِ على عُلماءِ دَهْرِهِ ، وأنا بِهِ أوْثَقُ ، وكَذَا وَجَدتُ بخطِهِ (عب الشمس) عَلَى مَا صَوَّرْتُهُ لَكَ وَهَذَا يُوهِمُني أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ : عَبشمس ، بِكَسْرِ البَاءِ ، لِأَنَّ اللَّفظَ بِذَلكَ يقاربُ اللَّفْظَ بصُورَة الكَلِمةِ منْ خَطِّ اسْحَاق .

قال إِسْحَاقُ : قالَ أَبو زَيْدٍ : قَدْ أَدْرَكَ عَبْدَة الإسْلام ، وَإِنَّما سُمِّيَ أَبوهُ الطَّيْبَ بقوله :

كَفَفْتُ الأَذَى عَنَّا بِعَضْبٍ مُهَنَّدٍ وَإِنِّي بِـجَـهْـلِ الْجَاهِلِيْنَ طَبِيْبُ

وكَانَ حَمَّادُ بْنُ أبي لَيْلَى الرَّاوِيَةُ يَقُولُ : كَانَ عَبْدَةُ حَبَشياً ، وعَبْدَة شَاعِرٌ مَعْدُودٌ مَشْهُورٌ صَاحِبُ القَصِيْدَة التي فيها :

وَالْمَرءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيسَ يُدْرِكُهُ والْعَيْشُ شُحٌّ وإشْفاقٌ وتأميْلُ

وصَاحِبُ القَصِيْدَةِ الْعَيْنيَّة التي أوَّلُها :

أَبُنَيَّ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ وَرَابَنِيْ بَصَرِي وفِيَّ لِمُصْلِحٍ مُسْتَمْتَع

وَأَشْعَارُهُ حِسَانٌ ولكنَّي يُعْجِبُني مِنْ قَوْلِهِ :

نَمَا الشَّوْقُ حَتَّى ظَلَّ إِنسَانُ عَيْنِهِ يَفِيضُ بِمَغْمُورٍ مِنَ الدَّمْعِ مُتْأَقِ
وَمَا يَرْعَ مِنْ وصْلٍ أَخٌ لاَ يَزَلْ لَهُ جَدِيْداً وَمَا يَتْرُك مِنَ الوَصْلِ يُخْلِقِ

وابْنُهُ : أُثَالُ بْنُ عَبْدَةَ بْنِ الطَّبِيبِ القَائِلُ :

وَلَمَّا الْتَقَى الأَبْطَالُ واشْتُجِرَ الْقَنَا سِجَالاً وأَسْبَابُ الْمَنَايَا سِجَالُهَا
تَبَيَّنَ لِيْ أَنَّ الْقَمَاءةَ ذِلَّةٌ وَأَنَّ أعِزَّاءَ الرِّجَالِ طِوَالُهَا
هَتَفْنَا لِسَعْدٍ واعْتَزَوْنَا لِطَيِّءٍ أُسُوْدُ الشَّرَى إقْدامُهَا وَنِزالُهَا

ابن هَرْمَةَ الشاعر :

وفي قُرَيش ثم في فِهرٍ منها : هَرْمَةُ بن .... ومنهم : ابنُ هَرْمَةَ الشَاعِرُ(١١) الذِي كانَ يَقُولُ أَبُو عَبْدِاللهِ محمد بنُ الأعرابي ، مَوْلى مُجَالِدٍ ، ومُجَالِدٌ مَوْلَى أَبِي جَعْفرٍ المنصُور : (خُتِم بابْنِ) هَرْمَةَ الشِّعْرُ ، واجْتَازَ يوماً بالمدِينَةِ على إخْوَانٍ لَهُ ، وَهُوَ بأقْبح حَالٍ تكُونُ من السُّكْرِ ، فَلاَمُوهُ لمَّا صَحَا فقَال :

يَا سُبحَانَ اللهِ ما أعجَبَكُمْ ، أَنَا في طَلَبِ مِثِل هَذِهِ السَّكْرَةِ مُنْذُ حِيْنٍ ، أما سَمِعْتُمُونِي أَقُولُ :

أَسَأَلُ اللهُ سَكْرَةً قَبْلَ مَوْتِي وَصِيَاحَ الصِّبْيَان : يا سَكْرَانُ ! !

وقَالَ ابنُ هَرْمَةَ :

مَا أَظُنُّ الزَّمَانَ يَا أُمَّ عَمْرٍو تَارِكاً إنْ هَلَكْتُ مَنْ يَبْكِيني

قَالَ مُصْعَبٌ الزُبَيْرِيُّ :
فأخبرَنِي مَن رَأَى جِنَازَتَهُ ، ومَا معَها إلاَّ أَرْبَعَةٌ يَحْمِلُونَهَا حَتَى دَفَنُوهُ بالبَقِيع .

وَحَدَّثَنِي بَعضُ أَصحَابِنَا ، قَالَ : سَأَلَهُ أَبُو جَعْفرٍ من القَائِل :

وَمَهْمَا أُلَامُ عَلَى حُبِّهِمْ فَإِنِّي أُحِبُّ بَنِي فَاطِمَهْ
بَنِي بِنْتِ مَنْ جَآءَ بِالْمُحْكَمَا تِ وَالدِّينِ وَالسُّنَّةِ الْقَائِمَهْ

فقال: قائِلُها مَنْ مَصَّ بظَرَ أُمِّهِ، فلما خَرَجَ قَالَ لَهُ ابنُهُ وكان معه ـــ: أَلَسْتَ قَائِلَهَا؟ قَالَ؟ يَا بُنَيَّ (أَيُّمَا خيرٌ أَمَصُّ [بظر الأم] أَوْ يَأْخُذُنِي ابْنُ قَحْطَبَةَ؟! وقال عيسى بنُ عَلِيٍّ بن عَبْدِاللهِ بْنِ العَبَّاسِ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي جَعْفَر حتّى دَخَلَ عَلَيْهِ ابْنُ هَرْمَةَ، فقَالَ: يَا عَمّ مَا رأيْتُهُ إِلاَّ هَمَمْتُ بِقَتْلِهِ، فقلتُ: يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ:

كَرِيمٌ لَهُ وَجْهَانِ وَجْهٌ لَدَى الرِّضَا أَسِيلٌ وَوَجْهٌ فِي الكَرِيهَةِ بَاسِلُ
لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافَيْ سَرِيْرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ

فقَالَ: نَعَمْ، أَوَ لَيْسَ الذِيْ يَقُولُ فِي عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ سُلَيمانَ بْنِ عبْدِ الْمَلِكِ بْن مَرْوَان؟:

إِذَا قِيلَ مَنْ خَيْرُ مَنْ يُجْتَدَى(١٢) لِمُعْتَرِّ فِهْرٍ وَمُحْتَاجِهَا
وَمَنْ يُعْمِلُ(١٣) الخَيْلَ يَوْمَ الوَغَى بِإِلْجَامِهَا قَبْلَ إِسْرَاجِهَا
أَشَارَتْ نِسَآءُ بَنِي مَالِكٍ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَزْوَاجِهَا

وقَالَ عيسَى بنُ عليّ: مَا زَال المنصوُرُ يُشَاوِرُنَا فِي أَمْرِهِ حتّى مَدَحَهُ ابْنُ هَرْمَةَ، فقال:

إِذَا ما أَرَادَ الأَمْرَ نَاجَى ضَمِيرَهُ فَنَاجَى ضَمِيراً غَيْرَ مُخْتَلِفِ الْعَقْلِ
وَلَمْ يُشْرِكِ الأَدْنَيْنَ فِي جُلِّ أَمْرِهِ إِذَا انتَقَضَتْ بِالأَضْعَفِينَ عُرَى(١٤) الْحَبْلِ

وَكَانَ أَبُو جَعْفَر لمَّا ابْتَنَى مَدِينَتَهُ، كَتَبَ إِلَى عُمَّالِهِ فِي كلِّ نَاحِيَةٍ وَبَلَدٍ، يَأْمُرُهُم أَنْ يوجِّهُوا إِلَيْهِ بِالخُطَبَآءِ والشُّعَراءِ فوَجَّهَ إِليهِ أَهْلُ المدِينَةِ خُطَبَاءَهُمْ وشُعَرَاءَهُمْ وفيهم ابْنُ هَرْمَةَ.

قال ابْنُ هَرْمَةَ: فَدُعِيَ قَبْلِي الشُّعَرَآءُ كُلُّهُمْ والخُطَبَآءُ حتّى لَمْ يَبْقَ غَيْرِي ثم قِيْلَ لِيْ: قُمْ فَادْخُلْ، فقُمْتُ أَمَامَ سِجْفٍ كَانَ أَبُو جَعْفَرٍ ورآءهُ يَرَى النَّاسَ ولاَ يَرَوْنَهُ، وأَبو

الخَصِيبِ مَوْلاَهُ قَائِمٌ مع السَّجْفِ والرَّبيعُ يَمْشي بَيْنَهُ وبَيْنَ النَّاس فَقَالَ الرَّبيعُ : هَذَا ابْنُ هَرْمَةَ ، فَسَمِعْتُهُ يَقولُ :

فلاَ أَنعَمَ اللهُ بِهِ عَيْناً ، ثم استَدنيتُ ، وَقِيْلَ لِيّ : أَنْشِدْ أَميرَ الْمُؤمنينَ فَأَنْشَدْتُهُ حَتّى قُلتُ :

تَزُورُ امْرأً لاَ يُبْرِمُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ وَلاَ يَنْتجِي الأَدْنَيْنَ فِيمَا يُحَاوِلُ
وَلَيس بِمُعْطِي الْعفُوَ عَنْ غَيْرِ قُدْرَةٍ وَيعْفُو إذَا مَا أَمْكَنَتْهُ الْمَقَاتِلُ
لَهُ لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي سَرِيْرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ ونَائِلُ

قَالَ : فَقَالَ ارْفَعِ السِجْفَ ، فَرُفِعَ ثُمَّ استَدْنَاني ، فدنَوتُ حتَّى قَرُبْتُ مِنهُ ثم قَالَ لي : اجْلِسْ فَجَلَسْتُ ، ثم قال لي : قَدْ كُنْتُ نَذَرْتُ أَنْ أَقْتُلَكَ وَأَعْجَبَتْنِي أَبْيَاتُكَ هَذِهِ ووقُوعُكَ فِيهَا عَلَى صِفَتي . وسكَتَ ، فَأَطْرَقْتُ فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ قَضِيبُ خَيْزُرانٍ قَد أَخَذَ قَفَاي فَضَرَبَني ضَرْبَةً ما رَأَيْتُ مِثلَهَا قَطُّ ، فَقُلْتُ : أَصْبِرُ مِن عَوْدٍ بِجَنْبَيْهِ جُلَبْ[15] ، قَالَ : فدَعَالي بِعَشْرَةِ آلآفِ دِرْهَمٍ وَقَالَ : لَولاَ أَنِّي أَكْرَهُ تَفَضُّلَ الْمُسيءِ عَلَى الْمُحْسِنِ لَفَضَّلْتُكَ على جَمِيعِ الشُّعَرَاءِ ، فدَعَوْتُ لَهُ ، فقَالَ لي : لَعَلَّكَ تَعُودُ ! ! فقُلْتُ : لاَ وَاللهِ لاَ أَعُودُ لشَيءٍ يَكْرَهُهُ أَميرُ الْمُؤمِنِينَ أَبداً ، فقالَ : وَاللهِ لَئِنْ عُدْتَ لأَقْتُلَنَّكَ . ورُوِيَ في خَبَرٍ آخر أَنَّهُ قال لَهُ — وقَدْ أَعطَاهُ عَشَرَةَ آلافِ دِرْهَمٍ — : احْتَفِظ بِهَا ، فقَالَ : يَا أَميرَ الْمُؤمِنِين أَلقَاكَ بِهَا عَلَى الصِّراطِ بِخاتِمِ الْجِهْبذِ .

الحواشي

(١) «ديوان أوس» مطبوع ، وهذه القصيدة قد تُنْسَبُ لعَبَيْدِ بن الأبْرَص ، وهي في ديوانه أيضاً ، وجاء في هامش مخطوطة (المتحف البريطاني) من كتاب «الإيناس» : على البيت الأول : (بخط ابن المغربي : أفنكْت أتَتْ بالفِنْك ، بوزن الفِعْلِ وهو العَجَبُ . قلت : في شعر أوس بن حَجَر روايتي بخط الحامض : إذ فنكت . وقال المُفَسِّر : فنكت : لَجَّتْ وتمادتْ . ويقال : اعتمدت . وهذه القصيدة تجيءُ في شعر عَبيد بن الأبرص ، وفي روايتي بخط ابن السِّكِّيتَ : إذ أفنكت . وقال : أفنكتْ : أفندت : من [الفند] الكذب انتهى ما هو واضح من تلك الحاشية .

(٢) قال الآمديُّ في «المؤتلف والمختلف» : قيل له أُفنون لقوله :

مَنَّيْتِنَا الْوُدَّ يا مضنون مضمونا أَيامنَا إنَّ للشُّبَّانِ أُفْنُونا

(٣) الأبيات من قصيدة في «المُفَضَّلِيَّات» .

(٤) في هامش مخطوطة (جستربتي) : (الجوهري : وقيل اسم موضع بالجزيرة قال ابن بَرِّيٍّ : قال بعض أهل اللغة : الرواية : وأُتْرَكُ في عُلْيَا أُلاَهَةَ ثَاوِياً — بضم الألف ، وهي مفازة سَمَاوة كَلْبٍ قال : وهذا هو الصحيح لأَنَّ بِهَا دُفِنَ قائِلُ هذا البيت) انتهى .

وأقول : أنظر عن ألاهة قسم (شمال المملكة) ص ١٢٣ — وهي قارة لا تزال معروفة ، تشاهد من بلدة طُرَيْفٍ في الشمال الشرقي منها على نحو أربعين كيْلاً ، ولكن الاسم ينطق الآن بحذف الهمزة (لاهة) ومن شعر إحداهنّ :

بعدك من خِلِّي بعد الركعا عن لاَهَةَ

وهو مثل يضرب للشيئين المتباعِدَيْن ، والركعاء جوٌّ فيه آبارٌ يقع في الحزول — المعروفة قديماً باسم حَزْن بني كلب ، في الجنوب الشرقي من السماوة حيث تقع لاهة على نحو ثلاثين كيلاً غرب لوقة والمسافة بين الموضعين لاهة والركعاء تقارب مئتي كيل .

(٥) الأبيات الثلاثة وردت في «ديوان شعر حاتم» ص ٢٧٢ — تحقيق الدكتور سليمان جمال ، وورد ذكر وَهْمٍ الممدوح (ص ١٨٠/ ١٨٨/ ١٩٠) ولم أر فيه الخبر الذي أورده صاحب «الإيناس» .

(٦) وورد ذكر حاتم الطائي في أول هذا الكتاب أيضاً بما نَصُّه : (والغريبُ المُشْكِلِ أنَّ في طَيِّءٍ رَجُلاً يقال له عَبْدُ مالِكٍ بن عبد الأَلَةِ — مثل الْعَلَةِ مخففاً — قال النَّسَّابُونَ : أرادُوا بِعَبْدِ الأَلَةِ : عَبْدَاللهِ ، وهو عبد الأَلَةِ بن حارثة بن غَزِيَّةَ بن صُهْبَان بن عَمَم بن عَمْرو ، بن سِنْبِسَ بن معاوية بن جَرْوَل بن ثُعَلٍ بن عمرو ، بن الغوث بن طَيِّءٍ — ويقولونهُ موصولاً بلفظٍ قد صَوَّرتُهُ لَكَ (عَبْدُ لَّلَةَ) بغير تحقيقٍ للهمزة ، وعبد مالكٍ هذا يُقَالُ له (ذُو الْحَصِيْرَيْنِ) لأنه كان له حَصِيرَانِ من جَرِيْدٍ ، مُقَيَّرَانِ ، يَجْعَلُ أَحَدَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، والآخَرَ خَلْفَهُ ، ثُمَّ يُسْنِدُ نَفْسَهُ بإزاء السَّلْفِ إِذَا جَاءَهُمْ عَدُوٌّ ، وهو الذي يقول فيه حاتِمٌ الطَّائِيُّ :

وذُو الْحَصِيْرَيْنِ امْرُؤٌ في أُسْرَةٍ ... غُلْبِ السَّوَالِفِ مَنْ يُلاَقُوا يَفْرِسُوا
وَمَوَطَّأُ الأَكْنَافِ غَيْرُ مُلَعَّنٍ ... بِالْحَيِّ ، مَشَاءٌ إِلَيْهِ الْمَجْلِسُ

— بالحيِّ : أراد في الحيِّ — .

ومن ولد ذي الحَصِيرَيْن : أُبَيَّةُ بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ زَجْرِ بْنِ ذِيّ الْحَصِيرَيْنِ ، القائلة لأبيها زَجْرٍ ، وكانَ زَوَّجَها من رَجُلٍ من هَمْدَانَ ، فقالت أُبَيَّةُ :

فَقُلْ لأَبِيْ ، زَجْرٍ إِذَا مَا لَقِيْتَهُ
فَفِيمَ — السَّمَوَالِيْ مِنْ رُكُوبِ النَّجَائِبِ

وجاء في حواشي مخطوطات الكتاب :

١ — السَّلْفُ قال ابن السكيت : السلفُ طريق في الجبل مُسْتَوٍ عن نسخة المتحف البريطاني) وفي هامش نسخة (جستربتي) : (قال الوزير السَّلَفُ — بتحريك اللام ، والذي وجدته بخطوط العلماء بسكونها ، وفي رواية ابن الكلبي : ثم يَسُدُّ بِنَفْسِهِ بَابَ السَّلْفِ ، إذا جاءهم العدوُّ ، والسَّلْفُ طريق في الْجَبَلِ مُسْتَوٍ) . انتهى .

وأقول : السَّلْفُ — بفتح السين وإسكان اللام وآخره فاء — لا يزالُ معروفاً ، وهو وادٍ يَشُقُّ وسط جبل أجا ، وترفده شعاب من الجبل ، من أشهرها شِعْبُ بُلْطَةَ ، وشعبُ مَدَرٍ ، وشِعْبُ مِسْطَحٍ ، ويَنْحَدِرُ وادِي

السَّلْفِ مشرقاً بِمَيْلٍ نَحْوَ الجنوب حتى يخرج من الجبل ، فيلتقي بوادي الأُدَيْرِع ، حيث تجتمع سيول أكثر الأودية الواقعة شرق الجبل وجنوبه .

ولم أر للسَّلْفِ ذِكراً فيا اطلعت عليه من معجمات الأمكنة ، وما ورد هنا يفيد بقدم التسمية . ولكن يلاحظ أن السَّلْف المذكور وادٍ واسع ، بحيث لا يستطيع سدَّهُ سوى كثير من الناس ، ولعله في القديم كان ضيِّق المجْرى ، أو أن المقصود أحد منافذه الضيقة .

٢ ــ وفي هامش نسخة (المتحف البريطاني) حاشية لم يتضح منها إلا : (وجدت بخط الفزاريّ في شِعر حاتم : ذُو الحَصِيرَيْن : عبد مالك بن عمر بن ... سِنْبِس ، أحد .. عُقْدَة ، وعُقْدَة ...) انتهى

ويفهم من هذا أنه من بني عُقْدَة من سِنبِس ، وبِعُقْدَةَ سُمِّيَتْ قرية عُقْدَة التي لا تزال معروفة داخل جبل أجا ــ وانظر عنها قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٣ ــ وفي هامش نسخة (المتحف) فوق أول بيت : (وذو الحَصِيرَين) ما نَصُّهُ : (مخزوم) وفيه : (ليس مخزوماً ، بل موقوص ، والوقص حَذْفُ الثاني المتحرِّك في آخر الكامل) انتهى .

وقد ورد في البيت في «ديوان شعر حاتم» تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ــ أنظر عنه «العرب» س ١٣ ص ٧٢/ ٤٧٧/ ٦٠١ وس١٤ ص ٣١٣ ــ في قصيدة بهذا النص :

أَوْ ذُو الْـــــحَصِير ، وفـــــارِسٌ ذُو مِيـــــرَةٍ
بِـــــكَـــــتِـــــيْـــــبَـــــةٍ مَنْ يُـــــدْرِكُوهُ يُـــــفْـــــرَسُ

وعلَّق المحقق عليه : (كان في الأصل «الأغاني» : ذو الحصين ، خطأ ، والتصويب من «المحكم» .

وأرى أن صواب البيت ما جاء في كتاب «الإيناس» لقدم المؤلف ، ولجودة أصول الكتاب .

(٧) ورد اسم (أهوى) في «المؤتلف والمختلف» للآمدي (زهري) وأراه تصحيفاً ، ووصفه بأنه فارس شاعر ، وأورد له :

قومي تَـمِـيـمٌ ، والـرِّبـابُ عِمادِي ... وأنا ابْنُ ضَبَّة ، في النِّصاب الأكْرَمِ
مَنْ يـأتِـنـا لِـجَـلِـيْـلِ أَمْرٍ خائِفاً ... أَوْ قـاصِـداً لِسَاحَـةٍ وتَـكَـرُّمِ
يـجِـدِ النَّدَى والعِزَّ حَوْلَ بُيُوتِنَا ... والخافِـقـاتِ وكـلُّ طِـرْفٍ مِرْجَمِ
وَعَـدِيْـمُـنَـا مُـتَـعَـفِّـفٌ مُـتَـكَـرِّمٌ ... وعلى الْـغَـنِـيِّ ضَـمَـانُ حَقِّ الـمُـعْـدَمِ

(٨) كذا ورد الاسم معجم الذال في الأصول ، وكذا ورد في «تاج العروس» نَقْلاً عن كتاب البلاذري في الأنساب ، ويظهر أن كتاب البلاذري هو مصدر صاحب «الإيناس» .

وجاء في مطبوعة كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي ــ كما سيأتي ــ مهملة الدال .

(٩) ومنهم ــ يقصد بني حَدَّان بن قُرَيْع ــ المار ذكرهم عند ذكر أوس بن حَجَر .

وأبو اليقظان اسمه عامر بن حفص توفي نحو سنة ١٩٠ ومن مؤلفاته : «أخبار تميم» وكتاب «النسب الكبير» .

(١٠) وورد الرجز في كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي ــ ص ١١٧ ــ تحقيق المستشرق (فريتس كرنكو) منسوبة إلى أبي دَهْلَبٍ أحد بني ربيعة بن قُرَيْع بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ــ وفي آخرها :

في خَرْعَبٍ أَجْشٍّ مُسْتَجِنّ
فيهِ كتهذيم نَوَاحِي الشِنّ .

←

وكان زَمَنُ صدور الجزء الثالث عشر من «تاج العروس» متقدماً أي في سنة ١٣٩٤ (١٩٧٤ م) غير أنَّ النسخةَ التي وصلت إليّ في ذلك الحين عندما تصفَّحتُها وجدتُ فيها نقصاً ١٦ صفحة من ٢٤٠ إلى ٢٥٧ مكان النقص أوراقٌ مكررةٌ .

فطلبتُ من الأخ الأستاذ سعود الجُمْرَان الْعَجْمِيّ أن يبعث إليّ نسخة من ذلك الجزء ، فكرم بِبَعثِها ولكن وصولها تأخَّر ثم بعثَ إليَّ نسخة أخرى وعند تصفح النسختين وجدتُهُمَا ناقصتين أيضاً وبعد ذلك وجدتُ نسخة كاملة في (مكتبة كلية الآداب في جامعة الرياض) .

← أو نقب الضِّلْع ارتجَاسَ القَنْ .

وانظر رسم (عوير) من «معجم البلدان» .

(١١) اسمه إبراهيم وهناك اختلاف في اسم أبيه والأكثرون على أنه علي ، وهو كناني مدني توفي سنة ١٧٦ وله ديوان شعر مطبوع .

وفي هامش نسخة (جستربيتي) : هو إبراهيم بن علي بن سلمة بن عامر بن هَرْمة بن الْهُذَيْل بن الرَّبِيع بن عامر بن صُبَيْح بن عَدِيّ بن قَيْس) — وهو الْخَلِيْجُ — بن الحارث بن فِهْرٍ .

(١٢) في نسخة (جستربيتي) : يُرْتَجَى . وفي هامشها : يُجْتَدَى .

(١٣) وفيها : (ومن يَعْجِل) .

(١٤) وفيها : (قَوَى) .

(١٥) : الْجُلَبُ : عِيدَانُ الرَّحْلِ ، يقصد أنَّه كالْجَمَلِ الذي أثَّر في جَنْبَيْهِ الرَّحْلُ من كثرةِ الحمل عليه ، فهو مُذَلَّلٌ ، والمثَل في رَجَزٍ تمثَّل به حَلْحَلَةُ بن قيس الفزاري لما قُرِّبَ للقتْلِ :

أَصْبَرُ مِنْ عَوْدٍ بِدَفَّيْهِ الْجُلَبْ   قَدْ أَثَّرَ الْبِطَانَ فِيهِ والْحَقَبْ

— وانظر رسم (العاه) من قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» — ص ٨٧٦ —.

فكان أنْ طالعتُ ذلك الجُزْء ، وعلقتُ عليه هذه الملاحظات .

وأكرر القولَ بأنّ أكثَر الملاحظات لا يَنْصبُّ على عمل المحقّق ، بل يتعلَّقُ بجوهر الكتاب الذي لا شك أنه أصبح من أهَمّ مصادر اللغة ، ولهذا ينبغي أن تكون المعلومات التي يحويها على درجة من الصحة تتناسب مع منزلة الكتاب لدى الباحثين .

وأُعيْدُ القولَ بأنَّ مؤلفَ الكتاب على جلالة قدره ، وقعتْ منه أخطاءٌ يمكن إرجاعُها إلى أسباب :

١ ـــ منها أنه ينقل من مؤلفات قديمة نقلاً غيْرَ صحيح ، فقد ينسب إلى كتابٍ ما ليس فيه ، ومن ذلك أنه قد ينسب إلى « معجم ما استعجم » للبكري ما نقله من كتاب « معجم البلدان » .

٢ ـــ ومنها أنَّه قد يَخْتَصر النقولَ اختصاراً مُخلاً فياقوت مثلاً قد يورد أقوالاً متعددة في تحديد مَوْضع وهي تنطبق على مواضع اسمها واحدٌ فيأتي صاحب التاج فَيُلَفِّق بين قولين متغايِرَيْن ظناً منه أنهما ينطبقان على موضع واحد .

٣ ـــ ومنها أنه قد يُضيف إلى النَّص الذي يَنقله من زياداته ما لا يتّصل به كأن يقول ياقوت مثلاً : القنفذة من مياه بَني نُمَيْرٍ فيزيد صاحب « التاج » على هذا النص بأنها مِيْنَاء عَلَى البحر وما أَبْعد ما بين الموضعين ! !

٤ ـــ ومنها أنه يأتي بزيادات من عنده على ما يذكره صاحب « القاموس » وكثير من تلك الزيادات لا تعتمد على أصول صحيحة بل يعتورها التصحيف .

٥ ـــ ومنها أنه عوّل كثيراً على مؤلفات الصاغانيّ وهي وخاصة في أسماء المواضع التي لا يعرفها الصَّاغانيُّ نَفْسُه لا تخلو من التصحيف الذي هو داءٌ قلَّ أنْ يَسْلَمَ منه مخطوط لُغَويٌّ .

وبعد هذه المقدمة ألْقِي نظرة على هذا الجزء الذي حققه الدكتور حسين نصّار وراجعه الأستاذان عبد العليم الطحاويُّ وعبد الستار أحمد فراج .

إنه يبدأ بمادَّة (ع ر ر) من باب الراء وينتهي بمادة (ق ي ر) من باب الراء أيضاً .

ويقع في (٥٠٢) من الصفحات.

والكتاب من حيث جودة الطبع وحسن الإخراج على الدرجة المعهودة في جميع الكتب التي تصدرها وزارة الإعلام الكويتية بعنوان (التراث العربي).

أما عمل المحقق الجليل الدكتور حسين نصار فعلى دَرَجة من الجودة والإتقان تتَّضح لمطالع ذلك الجزء.

ولولا أنّي أَخَذْت على نفسي تَحْقِيق رغبة أَبْدَتْهَا لي إحدى الجهات للاستمرار في الحديث عن كل الأجْزاء التي صدرتْ من ذلك الكتاب بعناية وزارة الإعلام الكويتية لولا ذلك لما تَعَرَّضْتُ للحديث عن شيء من أجزائه، فقد أَوْضَحْتُ فيما كتبته عنه جَوَانِبَ تعتبر أساساً لما يمكن أنْ أقوله عن كل ما بقي من تلك الأجزاء.

وأنا وأنْ كنتُ أُجل الإخوة الأجِلَّة الذين حققوا ذلك الكتاب، وتربطني بكثير منهم روابط قوية من المعرفة والصِّلة والمحبة، والأُخُوَّة، إلا أنني لا أرى في موقفي من بعض أعمالهم في التحقيق ما يُؤثِّر في تلك الرَّوابط، وخاصة بالنسبة لمن ينظر إلى الموضوع نظرةً متسامية عن كل غاية لا تَمُتُّ إلى العلم بِصلة.

ولن أُطيل فأنا لا أَتَصَوَّرُ أنَّ واحداً من أولئك الأخوة يتأثَّر من إبْدَاء ملاحظات حول عمله، وليست منه في الصَّميم.

ولن يَبْلُغَ مِنِّي حُسْنُ الظنِّ بنفسي أنْ أعتبر تلكَ الملاحظات صحيحة كُلَّهَا، ولكنني أنظر إليها باعتبارها وسيلة من وسائل التباحث مع عُلَماء قد يَبْدُو لي من آرائهم ما يُغيِّر وجْهة نظري فيما أبديته من تلك الملاحظات.

وقد يكون في التباحث معهم ما يُفِيْدُ مَنْ يقتني ذلك السِّفْرَ الذي صدر منه الآن نحو عشرِيْن جُزْءاً ومن المُحْزِنِ أن تَذْهَبَ الجهود العظيمة المبذولة في سبيل نشره، دون إشادةٍ أو ذكرٍ، أو استفادة منه.

١ ــ ص ١٧:

(فجعَلا بينهما رَجُلاً منْ بني حُمَيْري بْنِ قُرَانَ، وكانَتْ أُمُّهُ ضَبِّيَّةً. فحَكَمَ أنّ ناصيةَ

حَزِيمة لأُنَيْفِ بن جَبَلَة) انتهى .

صواب الجملة — على ما في كتاب «الخيل» للغندجانيّ والكتاب لا يزال مخطوطا — و«شرح المفضَّليَّات» لابن الأنباري — ج٢ ص ٢٣ —: فجعلا بينهما رَجُلاً من بني حِمِّيَرِيِّ بْنِ يَرْبُوع ، يقال له الحارث بن قُرَّان . انتهى .

وحِمّيَرِيٌّ — بكسر الحاء وإسكان الميم وفتح المثناة التحتية الأولى وكسر الراء بعدها مثناة تحتية — لا كما وقع في المطبوع — وهو ابن رِيَاح بن يَرْبُوعٍ ، بطن من بني يربوع .

وقُرَّان — بفتح الراء مشددة وضم القاف .

٢ — ص : ٢٠ — :

(وعِرَارُ بْنُ عِجْلِ بن عبد الكريم ، منْ آل قَتَادَة) انتهى .

ضَبْطُ اسْمُ عرار — بكسر العين — يخالف ما هو معروف الآن بين العرب ، فهم ينطقونه بالفَتْح ، أمَّا بالكسر فَيُسَمُّونَ بِهِ الدُّبَرَ .

٣ — ص ٢٧ —:

(يَحْيَى بْنُ مُعين) .

المعروف في ضبط اسم (معين) أبي يحيي العالم المحدث المشهور — فَتْحُ العَيْنِ (مَعِين) لا ضمها ، كما وقع في المطبوع وقد نَصَّ على ذلك صاحب «القاموس» نفسه ، قال في رسم «معن» : ومَعِيْن — كأَمِيْرٍ — بلدٌ بالْيَمَنِ ، ووالد يحيي بن مَعِيْنٍ الإمام الحافِظ ، وزاد صاحب «التاج» تقدمت ترجمَتَهُ في عَون وعَيَن انتهى .

ومَا هُنَا تطبيع ينبغي التنبيه عليه لأَنَّهُ يُغَيِّرُ المعْنَى .

٤ — ص : ٦٩ —:

(وفي حَدِيث خَيْبَر : سَلَكَ رسُول الله ، صلى الله عَلَيْهِ وسلَّم ، في مَسيرة إلَيْها عَلَى عِصْر ، هُوَ (بالكسر) ، هكذا ضَبطَه الصاغانيٌّ في التَكْمِلَةِ ، وضَبَطَه ابنُ الأثير بالتحريك ، ومثله في مُعْجَم أبي عُبَيْدٍ : (جَبَلٌ بين المَدِينَةِ) الشَّرِيْفَةِ (ووادي الفَرْعِ) ،

وعِنْدَهُ مَسْجِدٌ صَلَّى فيه رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم) انتهى .

الذي في «معجم ما استعجم» لأبي عُبَيْدٍ البكري — في رسم (خيبر) بعد أن أورد الحديث —: (هكذا رُوِيَ عنه — يعني ابْنِ اسحاق — بفتح العين وإسكان الصاد المهملة بعدها راءٌ مهملة ، وفي بعض النسخ : عَصَر — بفتح الصاد — انتهى . فقد ذكر للاسم ضَبْطَيْنِ ، ولم يقْتَصِرْ على التَّحْرِيك .

٥ — ص : ٨٤ —

قال :

خَلَا الجَوْفُ من أَعْفَار سَعْدٍ فَمَا بِهِ لِمُسْتَصْرِخٍ يَشْكو البُتُولَ نَصيرُ

أحال المحقق إلى «اللسان» ولم يذكر القائل ، وهو الأُحَيْمِر السَّعْدِي التيمي من قصيدة أورد ياقوت بعض أبياتها في «المعجم» في رسم (الجوف) وفي رسم (الأبرشية) وفي رسم (دَوْرق) . والبيت في «المعجم» :

خَلَا الْجَوفُ من قُتَال سَعْد فما بها لمستصرخ يدعو الثبور نصيرُ

وإذنْ فلا شاهد فيه على (أعفار) وقد تكون كلمة (قتال) تصحيف (فُتَّاك) .

وانظر عن الأُحَيْمِر السَّعْدِي كتاب «المؤتلف والمختلف» للآمدي .

٦ — ١٠٩ —:

(وعَقْرٌ : اسْمُ (أرْضٍ ببلاد قَيْسٍ) بالعَالِيَةِ ، قال الشاعر :

كَرِهْنَا العَقْرِ عَقْرَبني شُلَيْل إذَا هَبَّتْ لِقَارِئِهَا الرِّيَاحُ

(و) عَقْرٌ : بِبلاد بَجِيْلَةَ) .

يلاحظ هنا أن المؤلف استشهد بالبيت على الموضع الذي في بلاد قيسٍ ، في العالية ، وعطف عليه الموضع الذي ببلاد بَجيلة مع أن الشاهد لا ينطبق إلّا على الذي في بلاد بَجيلة .

ولو رجع المحقّقُ الفاضل إلى أقرب المصادر منه وهو «معجم البلدان» لوجد ما

نَصُّهُ : وعقْرُ بني شُلَيْلٍ ، قال تأبَّط شرًّا :

شَنِئْتُ الْعَقْرَ عَقْرَ بَني شُلَيْلٍ إذَا هَبَّتْ لِقَارِيْها الرِّيَاحُ

وشُلَيْلُ من بَجِيْلَةَ ، وهو جَدُّ جَرِيْرِ بنِ عبدِاللهِ البَجَلي — انتهى — فقد أوضح خطأ صاحب «التاج» وذكر قائل البيت الذي فاتَ الْمُحقِّقَ تخريْجُهُ .

٧ — ص ١١٠ —:

(و العَقَارُ : (رَمْلَةٌ) بالْقَرَيْتَيْنِ (قُرْبَ الدَّهْنَاء . و) العَقَارُ : (أرضٌ لِبَنِي ضَبَّةَ) بنِ أُدٍّ ، (و) أيضاً (أرضٌ لِبَاهِلَةَ) ، بِأكْنَافِ اليَمَامَةِ) . انتهى .

العقار ضبطه أبو أحمد الْعَسْكَري بضم العين والقول بأن العقار رملةٌ بالقريتين قرب الدَّهنا خَلْطٌ ومَزْجٌ بين قولين أوردهما ياقوت فقال : والعَقَار رملة قريبة من الدهناء عن الْعمْرَانِيِّ . وقال نَصْرٌ : العقار موضع في ديار باهلة . وقيل العقار رَمْلٌ بالْقَرَيْتَيْنِ . وقال أَبو عُبَيْدَةَ في قول الفرزدق :

أقُولُ لِصَاحِبيَّ مِنَ التَّعَزِّيْ وقَدْ نَكَّبْنَ أكْثِبَةَ الْعِقَارِ

— أكثبة : جمع كَثِيْبٍ . والْعِقَارُ : أرضٌ بِبِلاد ضَبَّةَ —

أَعِيْنَانِي عَلَى زَفَراتِ قَلْبٍ يَحِنُّ بِرَامَتَيْنِ إلَى النَّوارِ

— إلى آخر ما ذكر ياقوت —

والخَلْطُ بين القولين نشأ عنه خَطأٌ ، فالْقَرَيْتَانِ لَيْسَتَا قُرْبَ الدَّهْنَاء ، بل في وسط بلاد القَصِيْم — انظر عن تحديد موقعها مجلة «العرب» س١٥ جزء جمادى سنة ١٤٠١هـ وكتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

والمدقق في النصوص التي أوردها ياقوت يتضح له أن العقار الذي بقرب القريتين هو الذي ببلاد ضبة ، ولتوضيح هذا يحسن الرجوع إلى رسم (الشُّقَيِّقَةِ) في كتاب «بلاد القصيم» فقد أوضح مؤلفه الأستاذ الشيخ محمد العبودي أن العقارَ جانبٌ من نُفُود

الشُّقَيِّقَةِ الوَاقع بينَ رامتَيْنِ وبين القريتين .

وفي كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع» في الكلام على انتهاء سيل وادي التسرير (وادي الرشاء الآن) جاء قوله : (وإنَّما يَرُدُّ التَّسْرِيْرَ الْعَقَارُ ، وهو حَبْلُ رَمْلٍ عظيم ، عرضه ثمانية أميال ، وهو على طريق أهْلِ أُضَاخ إلى النَّبَّاج — انتهى — وهذا يُؤَيِّد رأي الشيخ الْعُبُوْدِيِّ .

٨ — ص : ١١٣ —:

(والْعُقَيْر ، (كزُبَيْرٍ : د ، بهَجَرَ عَلَي) شاطِيء (الْبَحْرِ . و) العُقَيْرُ : (نَخْلٌ لِبَنِي ذُهْلٍ) بن شَيْبَانَ (باليَمَامَةِ . و) العُقَيْرُ : نَخْلٌ لِبَنِـي عامِرٍ) بن صَعْصَعَةَ ، (بهَا) أيضاً . انتهى .

العُقَير البلد الذي بهَجَر ، لا يزال معروفاً ، وهو مَرْفأ على ساحل الخليج ، ولكنَّ إضَافَتي صاحِبِ «التَّاج» وهما : (ذهل بن شيبان) و(عامر بن صعصعة) أبعدتا بالموضعين الآخرين عن مكانهما الصحيح ، فبنو ذُهْل مِنْ حنيفة وكذا بنو عامر وها هو نَصُّ كلام ياقوتٍ في «معجم البلدان» وهو مصدر صاحب «القاموس» : (العُقَيْرُ قَرْيَةٌ على شاطيء البَحْرِ ، بِحِذَاءِ هَجَرَ .

والْعُقَيْرُ باليمامة نَخْلٌ لبني ذُهْل بن الدِّيْلِ بْنِ حَنِيفَةَ ، وبها قبر الشيخ إبراهيم بن عَرَبِيٍّ ، الذي كان وَالِي اليمامة في أيَّام بني أُميَّة .

والعُقَيْرُ — أيضاً — نَخْل لبني عامر بن حَنِيْفَةَ ، باليمامة ، كلاهما عن الحفصي . انتهى أمَّا بلاد بني عامر بن صعصعة فَلاَ تَصِلُ إلاَّ إلى الحُدود الغربية الجنوبية من اليمامة وهي بعيدة عن بلاد حَنِيْفة في عِرْضِها المعروف الآن باسم (باطن الرياض) .

وبلاد بني ذهل بن شيبان شرق الجزيرة في أطراف العراق بعد ظهور الإسلام .

٩ — ١٣٩ —:

(والْعَمَّارَةُ) ، بالتَّشْدِيد : (مَاءَةٌ جاهلِيةٌ) لها جِبَالٌ بيضٌ ، ويَلِيها الأَغْرِبة وهيَ

جِبَالٌ سُودٌ ، ويَلِيهَا بِرَاقٌ رزْمَة بَيْضٌ . انتهى .

ولكن أيْنَ تَقع هذه المواضع مِن أرض الله العريضة ، ولمن هي مِنَ القبائل ؟! أنظر لمعرفة ذلك كتاب « بلاد العرب » لِلُغْدَةً ـــ ص ٢١٥ ـــ تلك المواضع في عالية نجد ، وكَانتْ مِنْ بلاد بني كِلَابٍ مِنْ هوازن ، وهي في عَالِيَةِ نَجْدٍ .

١٠ ـــ ص : ١٤٠ ـــ

(وبُسْتَانُ ابنِ عَامِرٍ بنَخْلَةَ) ، وهو عبدُاللهِ بن عامِرِ بن كُرَيْزِ بن رَبِيْعَةَ . (ولا تَقُلْ) بُسْتَانَ (ابنِ مَعْمَرٍ) فإنَّه قَوْلُ العَامَّة ، هَكَذا قاله الصاغانيُّ ، وتَبِعَه المصنِّف . ونقلَ شيخُنا عن « مراصِدِ الاطّلاع » للصَّفيِّ الحَنْبَلِيِّ ما نصُّهُ : وبُسْتَانُ ابنِ مَعْمَرَ مُجْتَمع النَّخْلَتَيْن : النَّخْلَةَ اليَمَانِيَة والنَّخْلَة الشاميَّة ، وهُمَا وَادِيَان ، والنَّاسُ يقولون بُسْتَانُ ابنِ عامِرٍ ، وَهُو غَلَطٌ ، انتهى . قال : وعَلَيْهِ اقتصَرَ أكثَرَ المُتَكَلِّمينَ على الأماكن ، ولا أَدْرِي ما وَجْهُ إنْكارِ المُصَنِّف له ، ولعلَّه التَّقْلِيْدُ . انتهى .

ولكن صاحب « مراصد الاطلاع » لَخَّص كتاب « معجم البلدان » تلخيصاً مُخلاً ، وكان الأوْلَى بصاحب « التاج » الرجوع إلى « معجم البلدان » لِيَجدَ أنَّ مؤلف « القاموس » عكس الأمر ، فقد جاء في « معجم البلدان » عن الأصمعي وأبي عُبَيْدَةَ ـــ وهما أوثق وأعلم بالمواضع من صاحب « مراصد الاطلاع » :ـــ بستان ابن مَعْمَرٍ مُجْتَمِعُ النَّخْلَتَيْنِ ، النخلة اليمانيةِ والنخلة الشاميّةِ ، وهما واديان ، والناس يسمونه بستان ابن عامر وهو غلط ، قال الأصمعي وأبو عُبَيْدَة وغيرهما : إنّما هو لعمر بن عبدالله ابن مَعْمَرٍ ـــ ثُمَّ ساق نسبه وأضاف :ـــ ولكن الناس غلطوا فقالوا : بستان ابن عامر ، وبستان بني عامرٍ ، وإنما هو بُسْتان ابن مَعْمَرٍ ، وقوم يقولون ، نُسِبَ إلى حَضْرَميٍّ بْنِ عامر ، وآخرون يقولون : نُسِبَ إلى عبدالله بن عامر بن كُرَيْزٍ ، وكلُّ ذلك ظَنٌّ وتَرْجيم ـــ وأطال ياقوت في هذا ـــ ومنه يتَّضح أن صاحب « القاموس » وقبله الصاغاني انعكس عليهما الأَمْرُ .

١١ ـــ ص : ١٤٠ ـــ :

(والعُمَيْرُ ، كزُبَيْرٍ) : مَوْضِعٌ (قُرْبَ مَكَّةَ) حَرَسَها الله تعالى : وقد جاء في شعْرِ عَبِيد

ابْنِ الأبْرَص) انتهى .

وَعَلَّق المحقق : ليس في ديوانه المطبوع.ولكنَّ الاسمَ ورد مصحفا بالعين المهملة ، وهو بالغَيْنِ المعجمة على ما في «معجم البلدان» : قال أبو المُنْذِرِ : سُمِّيَ الْغُمَيْر لأنَّ الماءَ الذي غمر ذلك الموضع غُيِّرَ كثير ، موضع بين ذات عِرْقٍ والبُسْتَان ، وقبله بميلين قبر أبي رِغالٍ . وغُمَيْر أيضاً — موضعٌ في ديارِ بني كلاب ، عند الثَّلَبُوتِ ، وغُمَيْرُ الصَّلْعَاء من مياه أجَإٍ أحدِ جَبَلَيٍّ طَيِّءٍ بقرب الْغُرَي ، قال عَبِيْدُ بنُ الأَبْرَصِ :

تَبَصَّرْ خليلِي هل ترى مِنْ ظَعائِنٍ
سَلَكْنَ غُمَيْراً دُونَهُنَّ غُمُوْضُ ؟

— ثم أورد بعده ثلاثة أبيات —

فأنتَ ترى أنَّ الاسم يطلق على مواضع ، وأنَّ كلام عَبِيْدٍ لم يُوْرِدْه ياقوتُ شاهداً على الموضع الذي قرب مكة ، وعَبِيْد أسَدِيٌّ وبلاد بني أسَدٍ هي التي عند الثَّلَبُوْتِ ، شمال الْقَصِيْمِ وحَوْلَهُ ، بعيدةٌ عن مكة .

وقد ورد اسم هذا المواضع في رسم (غَمَرٍ) — بالغين المعجمة — في «القاموس» وشرحه — ص ١٦٢ وكما سيأتي : ولكنَّ ياقوتاً — رحمه الله — أورد الاسم أيضاً مُصَحَّفاً في رسم (عمر) بالعين المهملة قائلاً : الْعُمَيْرُ موضع قرب مكة يصب منه نخلة الشامية ، وبِئْر عُمَيْرٍ في حَزْمِ بني عوال —وهو ها هنا اسم رجل ، وعُمَيْر اللصوص : قرية من قرى الحِيْرة ، — وأورد شعرا لِعَدِيِّ بن زَيْد — وقال بعده : وهو في شعر عبيد أيضاً عن نَصْرٍ . وقد رَجَعْتُ إلى مخطوطة كتاب نَصْرٍ فوجَدْتُ ما نَصُّهُ : (باب الغُمَيْر ، والْعُمَيْر : أما بِالْغَيْنِ : موضع بين ذات عِرْقٍ والبُسْتَان ، وقبله بميلين قَبْرُ أبي رِغَالٍ ، وأيْضاً في ديار بني كلابٍ عند الثَّلَبُوْتِ .

وأمَّا بِالْعَيْنِ المُهْمَلَةِ في شعر عَبِيْدٍ انتهى .

ومجمل القول :

١ — أنَّ ياقوتاً ومَنْ حَذَ حَذْوَهُ لم يتحقق لديه صواب الاسم الواقع في طريق مكة

في وادي نَخْلَة هل هو بالغين المعجمة أو العين المهملة ، فأورده في الموضعين ، وتلك عادة ياقوت فيما لم يتحقق عنده وجه الصواب فيه . من أسماء المواضع . ولكن اسم الموضع بالغين المعجمة على ما ورد في كتب علماء سبقوا زَمَن ياقوت .

منهم الإمام الحربي في «المناسك» ولُغْدَةُ الأصبهانيّ في «بلاد العرب» وغيرهما ممن لا داعي للإطالة بذكر أقوالهم.

٢ ــ قول عَبِيْد بن الأبْرص ــ سواء ورد الاسم فيه بالعين أو الغين ــ لا ينطبق على الموضع الذي في وادي نَخْلَةَ ، في قول أحد من المتقدمين الذين اطَّلَعْتُ على كلامهم ، وكما يفهم من إيراد ياقوت له . وقد ينطبق على الموضع القريب من الثَّلَبُوتِ ، حيث بلاد بني أَسَدٍ ، قَوْم عَبِيْدٍ .

٣ ــ لا أَسْتَبْعِدُ أنَّ في قول نَصْر : وأيضاً في ديار بني كلاب عند الثَّلَبُوْتِ ــ نَقْصاً أو خَطَأً ، فالثَّلَبُوتُ بعيد عن ديار بني كلاب ، إذا كان الوادي المشهور الواقع شمال القصيم ، المعروف الآن باسم وادي (الشُّعْبَة) . وقد يكون المقصود موضعاً غيره ، فأسماء المواضع ــ كأسماء الناس ــ قد لا تختص بواحدٍ .

١٢ ــ ص : ١٤٨ ــ :

قال : وسَمِعْتُ ناساً من أَهْلِ مَكَّةَ يقُولون : هُوَ صفع ثَوْرٍ في بَحْرِ الْهِنْدِ . انتهى يَعْنِي العَنْبَرَ .

وردت كلمة (صفع) بالصاد المهملة والصواب إعجامها (ضَفْع) ولا تزال الكلمة . مُسْتعملة لدى البادية في نَجْدٍ ، فيقولون للرجل الحقير هو ضَفْعٌ وضَفْعَةٌ ويقصدون سَلْحُ البَقَرِ (خِثْيُهُ) .

١٣ ــ ص ١٨٢ ــ :

قال في «ع ي ر» : وتِعارٌ ، بالكَسْر : اسمُ جَبَلٍ ، قال بِشْرٌ يصف ظُعُناً ارْتَحَلْن من منازلهن فشبههنّ في هَوَادِجهن بالظِّبَاء في أَكْنِسَتِهَا :

بَـلِـيْـلٍ مـا أُتَـيْـنَ عـلى أُرُومٍ   وشـابَـةَ عـنْ شَمَائِـلِـهـا تِـعـارُ
كَـأنَّ ظِـبَـاءَ أسْـنُـمَـةٍ عَـلَيْـهَـا   كَـوَانِـسَ قـالـصـاً عـنهـا الـمَـغَـارُ

قال المَغَارُ : أمَاكِنُ الظِّبَاءِ ، وهي كُنُسُها .

وأُرُوم : موضعٌ . وشابَةُ وتعارُ : جَبَلَانِ في بلاد قَيْس) . انتهى .

ما أوسع بلاد قيس عَيْلَان ، وجبل تِعَار في بلاد بني سُلَيْمٍ ، في عَالِيَةِ نَجْدٍ ، بقُرْبِ أَبْلَى ، بمنطقة مَعْدَنِ بني سُلَيْم (مَهْد الذّهَب) .

١٤ — ص ٢١٠ —:

(و) غُدَرُ ، (كزُفَرَ : مِخْلَافٌ باليَمَن) ، فيه ناعِط ، وهو حِصْنٌ عَجِيبٌ قيل : هو مَأْخُوذٌ مِنْ الغَدْرِ ، وَهو المَوْضع الكَثِيرُ الحجارةِ الصَّعْبُ المَسْلِك ، ويُصَحَّف بعُذَر ، كذا في «مُعْجَم ما اسْتعجم» . انتهى .

ولم أجد في مطبوعة «معجم ما استعجم» هذا الكلام ولا ذِكْراً لموضع في اليمن بهذا الاسم ، وإنما ورد فيه عَرَضاً في ذكر الرَّامُوسَة اسم غدر ، بين حلب والرَّقة — أ ي في بلاد الشام وصاحب «تاج العروس» كثيراً ما يخلط بين «معجم البلدان» و«معجم ما إستعجم» فينسب لأحدهما ما هو في الثاني ، وهكذا فعل هُنَا ، فالكلام في «معجم البلدان» رسم غُدر ، وعَدَّهُ من مخاليف اليمن .

ولم أجد هذا الاسم أثنا تَصَفُّحي لكتاب «صفة جزيرة العرب» مع أنَّ ياقوتاً نقل وصف مخاليف اليمن عنه . ولا أستبعد أنَّ الاسم مُصَحَّفٌ .

١٥ — ص ٢٢٠ —:

(و) الأَغَرُّ : فَرَسُ مالِكِ بنِ حَمَّادٍ . انتهى .

وأشار المحقق إلى أن في «التكملة» و«العُبَاب» ونسخة من «القاموس» : حِمَار .

وأُضيف : حِمَار — بالراء وتخفيف الميم — هو الصواب ، وهو مالك بن حِمَار الشمخي الفزاري ، على ما في كتاب «النقائض» — ٦٧٤ — وكتاب «الخيل» للأسود

الغندجاني وورد اسمه في شعر النابغة :

زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ   وعلى كُنَيْبٍ مالِكُ بنُ حِمَارِ

— «ديوان النابغة» ص ١٢٩ — و«معجم البلدان» رسم كُنَيْبٍ — من قصيدة رَائِيَّةٍ منها :

وعَلَى الرُّمَيْثَةِ من سُكَيْنٍ حاضِرٌ   وعلى الدُّثَيْنَةِ من بني سَيَّارِ

١٦ — ص ٢٢٠ —:

(ولكنَّ فَرَسَ تَمِيمِ بنِ طَرِيفٍ قِيلَ إنَّهَا الغَرَّاءُ لا الأَغَرُّ، كما في «اللِّسَان»، وسيأتي) انتهى .

وأقول : صواب الاسم : طَرِيْفُ بْن تميم — وهو ابن نامية بن عَدِيِّ بن جُنْدَب الْعَنْبَرِيُّ ومن شعره في فرسه :

تَحْتِي الأَغَرُّ، وفوْقَ جِلْدِي نَثْرَةٌ   زَغَفٌ تَرُدُّ السَّيْفَ وهْوَ مُثَلَّمُ

فهو الأَغَرُّ — وبهذا الاسم ورد في كتابي ابن الأعرابي والأسود الغندجاني، وهما أعلم من صاحب «اللسان» في هذا الشأن .

١٧ — ص ٢٢٠ —:

(وفاتَه الأَغَرُّ فَرَسُ بَنِي جَعْدَةَ بنِ كَعْبِ بنِ رَبِيْعَةَ) .

وفيه يقول النابغَةُ الجَعْدِيُّ :

أَغَرُّ قَسَامِيٌّ كُمَيْتٌ مُحَجَّلٌ   خَلَا يَدَهُ اليُمْنَى فَتَحْجِيْلُهُ خَسَا

لم أر في كتب الخيل لابن الكلبي وابن الأعرابي والأسود الغندجاني من ذكر أنَّ لبني جَعْدَةَ فرسا يُدْعى الأَغَرَّ .

وقول النابغة لا يقوم دَلِيْلاً على ذلك فالْغُرَّةُ صِفَةٌ من صفات الخيل، والأَغَرُّ في قول النابغة وَصْفٌ كالكميت وليس عَلَماً .

ويقال مثل هذا في قول صاحب «التاج» ـــ:

ص : ٢٢٠ ـــ :

(وكذَلك الأَغرُّ فَرسُ بَني عجْل ، وهو من وَلَدِ الحَرُونِ ، وفيه يقول العِجْليُّ :

أَغَـرّ من خَيْـل بَنِي مَيْمُون بَـيْنَ الـحُـمَـيْـلِيَّاتِ والـحَرُونِ

١٨ ـــ ص ٢٢٣ ـــ:

(وغُرَّةُ : أُطُمٌ بالمَدِينَةِ لبَني عَمرِو بنِ عَوْف) من قَبَائل الأَنْصَار ، بُني (مكَانَه مَنارَةُ مَسْجِدِ قُبَاء الآن) . انتهى .

كلمة (الآن) من زيادات صاحب «التاج» الذي عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، والبناء متقدم على عهده بأكثر من خمسة قرون ، فقد ذكره ياقوت ، ثم نقله عنه صاحب «القاموس» وقد يكون البناء قبل زمن ياقوت .

ومسجد قُبَاء أُصْلِحَ وأُعِيْدَ بناؤه وَوُسِّعَ مِرَاراً . ولهذا فكلمة (الآن) لا محلَّ لها ـــ فيما أرى ، إذْ يُفْهَمُ منها عَدَمُ تغيير وضع المسجد في قرون كثيرة .

١٩ ـــ ص ٢٢٨ ـــ: (والغراء فرس ابنة هشام بن عبد الملك بن مروان هكذا نقله الصاغاني) انتهى .

ووجه الإشكال هنا في (ابنة) حيث نقطت الهاء ، وكذا ورد في مطبوعة كتاب «التكملة» للصاغاني ـــ ج٣ ص ١٤٠ ـــ

وأرى الصواب عدم نقط الهاء (ابنه) وأنَّ الصاغاني نقل عن كلام يتعلق بعبد الملك بن مروان ، ورد بعده ذكر ابنه هشام ، فعطف عليه .

٢٠ ـــ ص ٢٢٨ ـــ:

(والغَرَّاءُ : (ع بديارِ بني أَسَدٍ) بِنَجْدٍ عند ناصِفَةَ : قُوَيْرَةٍ هُنَاك ، قال معْنُ بْنُ أَوْسٍ :

سَرَتْ مِنْ قُرَى الْغَرَّاءِ حَتَّى اهْتَدَتْ لَنَا ودُونِي حَزَابِيُّ الطَّرِيْقِ فَيَنْقُبُ

إيراد قول مَعْنٍ شاهداً على الغَرّاء الذي هو موضع في ديار أسَدٍ غير واضح ، فالْغَرّاء التي ذكرها مَعْنٌ ذات قُرَى ، والموضع الذي في بلاد بني أسَدٍ ، جُرَيْعَةٌ في وَسَطِ قارةٍ نَاصِفَةَ — أي أرض صغيرة ذات رَمْلٍ ، في تلك القارة ، على ما ذكر صاحب كتاب « بلاد العرب » ص ٦٠ — وهي بقرب الأجْفُرِ ، شَرْقِيَّ نَجْدٍ ، ومعن بن أوس مِنْ مُزَيْنَة وبلادُ قومِهِ حوْلَ المدينة ، بعيدة عن بلاد بني أسد .

ولهذا فالشاهد ليس في محله .

٢١ — ص : ٢٣٠ —:

(والغَرَّانِ ، بالفتح : ع) نقله الصاغانيُّ . قُلْتُ : وهُمَا ماءَان بِنَجْدٍ أَحَدُهُمَا لِبَنِي عُقَيْل . انتهى .

ذكر ياقوت أنَّ الْغَرَّيْنِ اسم موضع في شعر مُزَاحِمٍ العُقَيْلي :

أَتَـعْرِفُ بِـالْغَـرَّيْنِ داراً تَـأَبَّـدَتْ   من الْوَحْشِ واستفَّتْ عليها الْعَواصِفُ

— ثم أورد أربعة أبيات من قصيدة أوردها الهجري في « التعليقات والنوادر » في نحو مئة بيت .

والموضع أي موضع — قَلَّ أن يَخْلُو من الماء ، ولكن استدراك صاحب « التاج » بقوله : (قلت : وهما ماءان) . استدراك في غير مَحَلِّهِ .

والْغَرَّان المذكورانِ لا يزالانِ معروفين ولَيْسَا ماءً ، هُمَا شَعِيْبَان ينحدران من جبل الكَوْرِ ، أحدهما من جهته الشمالية الغربية ، ويَتَّجِهُ نَحْوَ الجنوب حتى يَمُرَّ ببلدة الرَّوْضَةِ قاعدة منطقة رَنُيَةَ ، حيث يَجْتَمِعُ بوادي رَنُيَةَ المعروف .

والشَّعِيب الثاني يتجه من جبل الكَوْرِ شرقاً حتى ينتهي غرب ناضحة وبُرْقَتِها وفَحْلَيْنِ ، على مقربة من رملة بني عبدالله بن كلاب (نفود سُبَيْع الآن) .

٢٢ — ص : ٢٣١ —:

(والأَغَرَّانِ : جَبَلانِ) هكذا في النُّسَخ بالجيم والباء المُحَرَّكَتَيْنِ) والصَّوابُ

(حَبْلاَن) بالحَاء والمُوَحَّدَةِ الساكِنَةِ ، من جِبَال الرَّمْلِ المُعْتَرِضِ (بطَرِيق مَكَّةَ) شَرَّفها الله تعالى . قَالَ الراجِزُ :

وقدْ قَطَعْنَا الرَّمْلَ غَيْرَ حَبْلَيْن ... حَبْلَيْ زَرُوْدَ وَنَقَا الأغْرَّيْنْ

مَا أكْثَرَ طُرُق مكَّة ، في أيّها يقعُ الحَبْلاَنِ المذكوران ؟!

إنّهما يقعان في الطريق العراقي الكوفي ، وهما في غَرْبِي الدَّهْنَاء ، على مسافة تقرب من ٣٨ كيلاً غربي منهل زَرُوْد شرقي منطقة حايل — وانظر قسم (شمال المملكة) من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ص ١٠٥/١٠٧ — فهناك النصوص المتعلقة بتحديد الأَغَرَّيْنِ .

٢٣ — ص : ٢٣٦ —:

(وغَرَّتَانِ ، بالفَتْح : من الأَمَاكِن النَّجْدِيَّةِ ، وهُمَا أُكْمَتَانِ سَوْدَاوَانِ يَسْرَةَ الطَّرِيقِ إذَا مَضَيْتَ من تُوزْ إلى سُمَيْرَاء) .

سَمِيْرَا — بفتح السين وكَسْرِ الميم — لاَ كَمَا وقع في المطبوع — وهي بلدة معروفة .

وصاحب «التاج» نقل كلام ياقوت في «معجم البلدان» .

ويظهر أن ياقوتاً اعتمد على ما جاء في كتاب نَصْرٍ ونَصُّهُ : في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً —

(بابُ الْغَرِيَّيْن والْغُرَّتَينِ : ما هو تثنية غَرِيٌّ فهما بظاهر الكوفة عند الثَّوِيَّة . حيث قبر أمير المؤمنين رضي الله عنه وخيالان من أخيلَةِ حِمَى فَيْد . يَطَؤُهُمَا طريقُ الحاجِّ ، بينهما وبين فيد ستة عشر ميلاً .

وأما بفتح الراء المشددة تثنية غُرَّةٍ : من الأماكن النجدية . وقيل : أُكَمَتَان سَوْدَاوان يَسْرة الطريق ، إذا مَضَيْتَ من تُوْزٍ إلى سَمِيْراء لا أدري هما أم غيرهما) انتهى .

وكذا في كتاب الحازمي مع حذف (من الأماكن النجدية وقيل ولا أدري) إلخ .

ونقل ياقوت ما في كتاب نصر : هما خيلان من أخيلة حمى فيد بينهما وبينه ١٦ ميلاً يطأهما طريق الحاج . في كلامه على الغرِيَّيْن ، ونسبهُ للحازمي .

وفي كتاب «المناسك» الغريان أكيمتان سوداوان عن يسار الطريق .

وفي «معجم ما استعجم» ورد اسمها (القرنين) .

وهكذا جاء في كتاب «أبو علي الهجري وأبحاثه» .

وقد ورد هذا الاسم مصحفاً في صور مختلفة :

١ ـــ الغريان :

٢ ـــ العزيان : كما في «تاج العروس» ـــ عزز .

٣ ـــ المعرس : كما في مخطوطة مكتبة الحرم المكي من كتاب «وفاء الوفاء» وهذا من أغرب أنواع التصحيف .

٤ ـــ القرنين كما في «معجم ما استعجم» ومطبوعة «وفاء الوفاء» .

والصواب في كل ذلك (الغُرَيَّان) مثنى غُرَيِّب تصغير غُراب .

والغُرَيَّبان : أُكَيْمَتَانِ سوداوان في أَرْضٍ منقطعة من الحرة ، يَمِيْن المتجه من سَمِيراءَ إلى فَيْد ، بعد تُوْز ، يُشَاهَدانِ من الطريق على اليمين بمسافة قريبة جداً .

وكُلُّ أوصاف المتقدمين تنطبق عليهما .

٢٤ ـــ ص : ٢٤١ ـــ :

(وغَضْوَرُ : (ماءٌ لِطَيِّءٍ) قال امرؤ القيس :

كـأثْـلٍ مـن الأَعْـرَاضِ مِنْ دُوْنِ بِـيْشَـةٍ
وَدُونَ الـغُـمَـيْـرِ عـامِـدَاتٍ لِـغَضْـوَرَا

وقال الشماخ :

كَـأَنَّ الشَّـبَـابَ كَـانَ رَوْحَـةَ راكِب
قَضَى حـاجَـةً مِنْ سُقْفَ في آلِ غَضْـوَرَا

غَضْوَرُ ـــ كانَ ماءً لطيٍّء ، أمَّا الآنَ فَقَدْ أَصْبَحَ قَرْيَةً ، وسُكَّانُها الآ مِن بني تَميم لا مِنْ طيٍّء ، وهو في وادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ جبل رَمَّانَ الْغَرْبِيَّة ، يفيض سَيْلُهُ في الشُّعْبَةِ (الثَّلَبُوت قديماً) ثم في وادي الرُّمةِ .

ويَبْعُدُ غَضْوَرُ عن مدينة حايلٍ نحو مئة وسبعة أكيال جنوبها .

وبَيْتُ الشَّمَّاخ ـــ كما في ديوانِهِ ص ١٣٠ ـــ

كَأَنَّ الشَّبَابَ كانَ رَوْحَةَ رَاكِبٍ قَضَى أرباً مِنْ أَهْلِ سَقْفٍ لِغَضْوَرَا

وقد أشار المحقق إلى ورود البيت في «ديوان الشماخ» باختلاف ، وكان ينبغي إيراد هذا الاختلاف الذي به يختلف المعنى أيضاً .

وغَضْوَرُ ـــ أيضاً ـــ موضع آخر ورد في شعر عُرْوَةَ بْنِ الْوَرْدِ الْعَبْسِيِّ :

عَفَتْ بَعْدَنَا مِنْ أُمِّ حَسَّانَ غَضْوَرُ وفي الرَّحْلِ (؟) منها آيَةٌ لا تَغَيَّرُ
وبِالْغَرِّ والْغَرَّاءِ مِنْهَا منازِلٌ وَحَوْلَ الصَّفَا مِنْ أَهْلِهَا مُتَدَوَّرُ

قال البكريُّ في «معجم ما استعجم» بعد إيراد الْبَيْتَيْنِ ـــ : غَضْوَر ثَنِيَّةٌ فيما بين المدينة إلى بلاد خُزَاعة . ونقل ياقوت هذا عن ابن السِّكِّيت ، ووقعت كلمة (ثنية) في مطبوعة «معجم البلدان» محرفة (مدينة) .

أمَّا سَقْفُ ـــ فإنه ينطق الآن بفتح السِّين ، ويظهر أنَّه هُوَ الصَّواب ، فقد جاء في كتاب نَصْر ـــ وهو من مصادر ياقوت : (باب سَقْف وشَعْف وَشَغْفٍ : أَمَّا بفتح السِّين وسكون القاف ـــ جبل في دِيَار طَيِّءٍ . وقيل بِضَمِّ السِّينِ ، وقيل : منهل في دِيَار طَيِّءٍ بِوَادِي القَصَّة قاصِداً الرِّمَّانَ ـــ إلى آخر ما ذكر. وسَقْفُ وادٍ ذو نَخْلٍ ، وجَبَلٌ ، وقَرْيَةٌ في سفح ذلك الجبل ، في الجنوب الغربي من حايل على نحو مِئَةٍ كِيل ـــ انظر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم (شمال المملكة) ـــ ص ٦٧١ وما بعدها.

٢٥ ـــ ص : ٢٦٥ :ـــ:

(وعُمَارَةُ ، كثُمَامَة : عَيْنُ مَاءٍ بالبَادِيَةِ نُسِبَ إلى عُمَارَةَ من وَلَدِ جَرِير ، نَقَلَهُ الأَزْهَرِيُّ) انتهى .

وما في كتاب «التهذيب» ج٨ ص ٥٦ يُخَالِفُ ما نقل صاحبُ «التاج» ونَصُّهُ :

وعينُ غُمَازَةَ ، معروفة ، ذكرها ذُو الرُّمَّةِ فقال :

تَوَخَّى بِهَا الْعَيْنَيْنِ عَيْنَيْ غُمَازَةٍ أَقَبُّ رَبَاعٍ أَوْ قُوَيْرِحُ عَامِ

ورَأَيْتُ بالسَّوْدَةِ عَيْناً أُخْرَى يقال لها عُيَيْنَةَ غُمَازَةَ ، وقَدْ شَرِبْتُ مِنْ مَائِهَا . وأَحْسِبُهَا نُسِبَتْ إلى غُمَازَةَ من وَلَدِ جَرِيْرٍ — كذا ورد في «التهذيب» .

أوردها بالزاي المعجمة لا الراء المهملة .

وما أرى غمارة وغُمازة — في الموضعين عن اسم ولد جرير سوى تصحيف عُمَارة — بالعين المهملة — وهو من أشهر أحفاد جرير ، عمارة بن عَقِيل بن بلال بن جرير .

وأرى غمازة التي شرب منها الأزهريُّ هي غمازة التي ذكر ذُو الرُّمَّة ، فأكثر العيون الواردة في شعره في نواحي السَّوْدَة .

٢٦ — ص : ٢٧٨ :—

(ومُغيرَةُ ابْنُ الحارث) بن عبد المُطَّلب ، مشهورٌ بكُنْيَتِه ، سَمَّاه جماعةٌ ، منهم الزُّبَيْر بن بَكَّار وابنُ الكَلْبِيِّ) وقد وَهِمَ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ في «الاسْتيعاب» هُنا ، فَجَعَلَهُ أخَا أبي سُفْيانَ ، فتَنَبَّهْ — انتهى .

كان الأولَى بصاحب «التاج» أن يَذْكُرَ الاختلاف الواقع في اسم ابي سفيان المذكور ، ثم بعد ذلك يَجْزِمُ بما يراه صحيحا . وها هو نَصُّ ما في كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البر — ج٣ ص ٣٧٦ — على هامش كتاب «الاصابة» الطبعة الأولى —:

(المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي ، أخو أبي سفيان بن الحارث ، بْنِ عَمِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، له صُحْبَةٌ ، وقَدْ قيل : إنَّ أبا سُفْيان بن الحارث اسمه المُغِيرةُ ، ولا يَصِحُّ ، والصحيح أنه أخوه ، والله أعلم) انتهى فابن عبد البرّ قد علم الاختلاف ، فصحح ما يراه صحيحاً ، وإن لم يُوَضِّح معتمده في ذلك .

وابْنُ حَجَر في «الإصابة» ج٣ ص ٤٥٣ — أَوْرَدَ نَصَّ كلام ابن عَبْدِ البَرِّ ، وعَقَّبَ

عليه بقوله : (وتعقَّبَ ابْنُ الأثيرِ هذا بأن أصحابَ الأنْسَابِ ــ كالزُّبَيْرِ وابنِ الكلبِيِّ ذكروا بأنَّ أبا سُفْيَان اسمه المُغِيرَةُ ابن الحارث . والله أعلم) انتهى كلام ابن حَجَر ، وكأنَّه لم يَتَرَجَّحْ عنده شيءٌ ، فقدْ وَكَلَ الْعِلْمَ إلى عالمِهِ .

ويظهر مما ذكره كثير من علماء النَّسَب أنَّ أبا سُفْيَان اسمه المغيرة ــ على ما نَصَّ على ذلك ابن حَزْم في «جمهرة أنساب العرب» وأن له أَخَوَيْنِ لا ثلاثة ، على ما ذكر مُؤَرِّج السَّدُوسِيّ في كتابه «حَذْف من نسب قُرَيش» ــ ص ٢٢ ــ قال : (وولد الحارث بن عبد المطلب ثلاثة : ربيعة ونَوْفَلاً وأبَا سُفْيَانَ) على أَنَّ ابْنَ حَزْم سَمَّى أبناءَ الحارث بن عبد المطلب : أبا سُفْيَان ــ واسمه المغيرة ، وهو الشاعر ، وعبد شَمْسٍ ، سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم عبدالله ، وأُمَيَّةَ ، فأنْتَ تَرَى عالمَيْن جليلين مُؤَرِّجاً وهو من أول من ألف في الأنساب من أهل القرن الثاني الهجري ، وابْنَ حَزْمٍ العالم المعروف ــ لم يَتَّفقا على أسماء أبناء الحارث .

على أنَّ أبا عُمَر بْنَ عَبْد البَرِّ ــ رحمه الله ــ له في كتابه «الاستيعاب» أَوْهامٌ تعقَّبها ابْنُ فَرْحُوْنَ ، وغيرُهُ ، ولكن عِلْمَ الأنْسَاب لم يُحَرَّرْ وَلَمْ يُضْبَطْ ضَبْطاً كافياً .

٢٧ ــ ص : ٢٨٠ ــ :

(والْغَوارَةُ ، كَسَحَابَةٍ : ة بِجَنْب الظَّهْرَانِ) نقله الصَّاغَانِيُّ ــ انتهى .

وإذا صح النقل عن الصاغاني فهو من الأسماء التي تصحَّفَتْ عليه ، فالاسم بالفاء ، لا بالغين المعجمة وسيأتي في رسم (فور) ص ٣٤٩ والْفَوَّارَةُ : (ة بِجَنْبِ الظَّهْرَانِ) .

نقله الصاغاني : وهذا هو الصحيح إذ الْفَوَّارَةُ على ما في كتب من تَصَدَّوْا لتحديد المواضع محددة مضبوطة الاسم ، ولا تزال معرفة ، أنظر كتاب «بلاد القصيم» أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» .

٢٨ ــ ص : ٣١٨ ــ :

(وعَمْرو بنُ فُرْفُرٍ الجُذَامِيُّ ــ بالضمِّ ــ : سَيِّدُ بَني وائل) بنِ قَاسِطِ بْنِ هِنْبِ بْنِ

أَفْصَى بْنِ دُعْمِيٍّ بْنِ جَدِيْلَةَ بنِ أَسَدِ بْنِ رَبِيْعَةَ الفَرَسَ . وضَبطَهُ الحافِظُ بالْفَتْح ، وقال : هُوَ أَحَدُ الأَشْرَافِ ، شَهِدَ فَتْحَ مصر. انتهى .

ولكن كيف يكون جُذَامِيًّا ويَسُوْد بني وائِلٍ الذين من رَبِيْعَةَ ثم من عَدْنَان ، وَجُذَامُ من قَحْطَان ؟!

أرى أنَّ الزَّبِيْدِيَّ أخطأ في نَسَبِ وائِلٍ ، إذْ أَوْرَدَ نَسَبَ مَنْ هُوَ المشهور عند الإطلاق ، وفاته أن في جُذَام وائل بن مالك بن زيد مناة ابن أفصى بن سعد بن حرام بن جذام ، وهو الذي يغلب على الظَّنِّ أن المذكور سيِّد بَنِيْه ، إذْ هُمْ من قَوْمِهِ جُذَام .

٢٩ ـــ ص : ٣٣٣ ـــ :

(وَفِغْرَى كَضِيزَى : ع) قال كُثَيِّر عَزَّةَ :

وأَتْبَعْتُهَا عَيْنَيَّ حَتَّى رَأَيْتُهَا أَلَمَّتْ بفِغْرَى والْقِنَانِ تَزُوْرُهَا

كذا ورد الاسم في رسم فغر ، وصوابه فِعْرَى بالعين المهملة بعد الفاء المكسورة والعين ساكنة والراء مفتوحة بعدها ألف مقصورة . كما أشار المحقق الفاضل إلى أن صاحب «معجم البلدان» أوردها بالعين المهملة .

وفِعْرَى سلسلة جبال لا تزال معروفة ، يمرُّ وادي الْعَرْج بينها وبين جبال ثافل تقع فِعْرَى شماله وثافل جنوبه ، وهي في بلاد بني صبح من مَيْمُون من قبيلة حرب فيما بين مكة والمدينة ، وَلَمْ أَرَ فيما اطَّلَعْتُ عليه من كلام من حَدَّدَ المواضع من العلماء المتقدمين ، مَنْ قال إن هذا الاسم بالغين المعجمة .

وها هي بعض نُصُوصهم . قال ياقوت في «معجم البلدان» : فِعْرَى : قال ابن السكيت : فَعْرَى ، بفتح الفاء ، جبل ، قال البكريُّ : فَعْرَى تصحيف إنما هو فِعْرَى : هو جبل يَصُبُّ في وادي الصفراء ، وقال في موضع آخر : فِعْرَى جبل تَصُبُّ شعابُه في غَيْقة ، قال كثير ـــ وأنشد البيت وكلمة (البكري) صوابها السكريّ لأنَّ البكريَّ لم يرد في كتابه المطبوع سوي قوله : (فِعْرَى) بكسر أوّله ، وإسكان ثانيه ، بعده راء مهملة ، مقصور ، على وزن فِعْلَى : جبل أحمرُ تَدْفع شعابُه في غَيْقَة : قال محمّد بن حبيب :

ويقال فُعْرَى ، بضمّ الفاء ، وقد تَقَدَّم تَحْديد غَيْقة في رسمها وفي رسم رَضْوَى ، وقال كُثَيِّر : وأورد البيت ــ

وياقوت لم يطلِعْ على كتاب «معجم ما استعجم» للبكريّ ، كما صَرَّح بذلك في مقدمة كتابه ، وإذا ورد نقلٌ عنه فبواسطة يُصَرِّح بها ــ ككتاب السُّهَيْلي «الروض الأُنف» .

٣٠ ــ ص : ٣٦٢ ــ :

(والغُمَيْر ، كزبَيْرٍ : ع قُرْبَ ذاتِ عِرْق) ، بينهَا وبَيْنَ الْبُسْتَانِ ، وقَبْلَهُ بِمِيلَيْن قَبْرُ أبي رِغَال .

وقال امْرُؤُ الْقَيْس :

كَأَثْلٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ من دُوْنِ بِيْشَةٍ ودُون الْغُمَيْرِ عَامِدَاتٍ لِغَضْوَرا

يلاحظ على هذا :

١ ــ الغُمَيْر هو الذي سبق أن ورد ذكره مصحفاً ــ بالعين المهملة ــ :

٢ ــ أقدم من رأيته ذكر أنَّ قبر أبي رِغالٍ بين ذات عِرْق وبين البستان هو صاحب كتاب «المناسك» من أهل القرن الثالث الهجريّ ، وهذا نَصُّ كلامه ــ في وصف طريق المتجه من ذات عرق إلى مَكّة ــ قال : ــ ص ٣٥٢ ــ في وصف طريق المتجه إلى مكة ــ : وعلى ميلين من ذاتِ عِرْقٍ عَيْنٌ وآبارٌ ونَخْلٌ ، على يسار الطريق .

وإذا جاوزْتَ الْبَرِيْد تَسِيْر في عِقَابٍ صعبةٍ وجبال وخُشُوْنَةٍ .

وقبل الغُمَيْر بنحو من ميلين قَبْرُ أبي رِغالٍ ، وكان دَلِيْلَ أَصْحَابِ الفِيْلِ ، وعنده قَبْرٌ آخر .

ــ ثم أورد بسنده إلى عبدالله بن عَمْرو : خرجنا مع رسول الله (ص) فلما كنّا عند قَبْر أبي رِغَالٍ قال رسول الله : «هذا قبر أبي رِغَالٍ ، وكان امْرأً كافراً ، وكان مِنْ ثَمُودٍ ، وكان يسكن الحرم ، وأنه خَرَجَ حتى إذا صارَ في هذا الموضع مات فدفنوه ، ومعه

غُصْنٌ من ذهب ، فاسْتَخْرَجُوه » . فابتدرنا فاستخرجناه ، — ثم وصف الطريق —

وفي سُنَنِ أبي داود عن عبدالله بن عَمْرٍو ، سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجنا معه إلى الطائف ، فررنا بِقَبْرٍ فقال : « هذا قبر أبي رِغال ، وهو أبو ثقيف ، وكان بهذا الحرم يدفع عنه ، فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قَوْمَهُ بهذا المكان ، فَدُفِنَ فيه » — إلى آخر الحديث —.

وقد علَّق ابن كثير في « البداية والنهاية » على حديث عبدالله بن عَمْرو بقوله : تفرَّد به بُجَيْرُ بن أبي بُجَيْرٍ ، ولا يُعْرَف إلا بهذا الحديث ، ولم يَرْوِ عنه سوى اسماعيل بن أُمية ، قال شيخنا الحافظ المِزِّيُّ : فيحتمل أنه وَهِمَ في رفْعِهِ ، وإنَّما يكون من كلام عبدالله بن عمرو ، مِنْ زَامِلَتِهِ . انتهى .

٣ — ولكن ياقوتا وقد أطال في « معجم البلدان » القول عن أبي رغالٍ فذكر أنه :

أ — كان ملكاً بالطائف ظَلُوماً رماه الله بقارعة أهْلكته فرجمتِ العربُ قَبْرَهُ ، وهو بين مكة والطائف .

ب — وقيل بل كان قائدَ الْفِيْلِ ، ودليل الحبشة لما غَزَوْا الكعبة ، فهلك فيمن هلك منهم ، فدفن بين مكة والطائف ، فمَرَّ النبيُّ — صلى الله عليه وسلم — بقبره ، فأمر بِرَجْمِهِ فصار ذلك سُنَّةً .

جـ — وقال السُّكَّرِيُّ في شرح قول جَرِيرٍ :

إِذَا مَـاتَ الْـفَـرَزْدَقُ فَارجُـمُـوهُ   كَـمَـا تَرْمُـونَ قَـبْـرَ أَبِـي رِغَـالِ

أبو رغال كان عَبْداً لصالح النبي (ص) فبعثه مُصَدِّقاً فأتَى قوماً ليس لَدَيْهِم لَبَنٌ إلَّا شاة واحدة ، ولهم صَبِيٌّ قد ماتَتْ أُمُّهُ ، فَهُمْ يُعَاجُوْنَهُ بِلَبَنِ تلك الشاةِ ، فأَخَذَهَا فنزلت به قارعة من السَّماءِ ، ويقال : قتله رَبُّ الشاة ، فلما فقده صالح (ع . م) قام في الموسم فنشد الناس ، فأُخْبِرَ بصنيعه فلعنه ، فقبره بين مكة والطائف ترجمه الناس .

د — ثم قال ياقوت ما مُلَخَّصَهُ : وذكر ابنُ اسحاق ما هو أَحسَنُ من جميع ما تَقَدَّم . وهو أن صاحب الفِيل أَبْرَهَةَ لما قدم لهدم الكعبة مَرَّ بالطائف فانْقَادَ له أَهْلُهَا ،

وبعثوا معه أبا زِغالٍ رَجُلاً منهم يَدُلُّهُ على مكة . فخرج أبْرَهَةُ ومعه أبو رِغالٍ حتى أنْزَلَهُ بالْمُغَمِّس ، فلما نزله مات أبو رِغالٍ هناك فَرُجمَ قَبْرُهُ ، فهو الْقَبْرُ الذي يُرْجَمُ بِالْمُغَمِّسِ .

وقال ياقوت أيضاً عن المُغَمِّسِ : موضع قرب مكة ، في طريق الطائف ، مات فيه أبو رِغالٍ ، وقَبْرُهُ يُرْجَمُ ، لأنه كان دَليل صاحب الْفِيل — وبسط الحديث عن المُغَمِّس — وأورد خبراً أن رسول الله (ص) لما كان بمكة ، كان إذا أراد حاجة الإنسان خرج إلى المُغَمِّس وهو على ثلثي فَرْسخ من مكة .

٤ — وقبل ياقوت ابن اسحاق ، فقد نقل عنه ابن هشام في « السيرة النبوية » طبعة الحلبي — ج١ ص ٤٧ — في الكلام على مرور أبرهة صاحب الفِيل بثقيف في الطائف — قال ابن اسحاق : فَبَعَثُوا مَعَهُ أَبَا رِغَالٍ ، يَدُلُّهُ على الطريق إلى مكة ، فخرج أبرهة ، ومعه أبو رِغَالٍ حتى أَنْزَله الْمُغَمِّسَ ، فلما أنزله به مات أبو رِغَالٍ هُنَاك ، فرجمَتْ قَبْرَهُ العَرَبُ .

٥ — كُلُّ تلك النُّصوص المُتَقَدِّمة تدل على أن قَبْرَ أبي رغالٍ دَلِيْل أصْحَاب الْفِيْلِ يقع بين مكة والطائف .

وذات عِرْقٍ وما حَوْلَهَا لا تقع بَيْنَهُمَا ، بل شمال الطائف بمسافة بعيدة .

وطريق الطائف إلى مكة لا يَمُرُّ بنخلة الشامية التي أعلاها ذاتِ عرق وفيها الغُمَيْر الذي يقع القَبْرُ بينه وبين ذات عرق ، على ما ورد في النصِّ المتقدِّم ، ولكنَّه يَمُرُّ بنخلة اليمانية ، طريق الحج القديم وطريق القوافل .

وللطائف طريقان آخران كان سلوكها صَعْباً ، طريق الثَّنِيَّةِ ثَنِيَّةِ دَجْنًا وطريق جبل كَرًا الذي ينزل إلى عرفات ، وليس من المعقول أن يسلك أصحاب الفيل سوى الطريق الأسهل ، وهو الطريق الذي سلكه رسول الله (ص) بجيش المسلمين لغزو الطائف — كما سيأتي إيضاحه .

٦ — أكْثَرَ أقْوَال المؤرخينَ تدل على أن قبر أبي رِغَال في الْمُغَمَّسِ وهو الموضع الذي

ذَكَرُوا أنَّ الْفِيْلَ حُبِسَ فيه ، والْمُغَمَّسُ لا يزال مَعْرُوفاً ، وهو السَّهْلُ الْمُنْبَسِطُ الواقع شرق الأميال (حدود الحرم) وهو بَعِيْدٌ عن ذاتِ عِرْقٍ ، وعن وادي نخلة الشاميَّة .

٧ ــ والقول بأنَّ رسول الله (ص) سار إلى الطائف مرَّ بقبر أبي رغال ــ الواقع بِقُرْبِ الْغُمَيْرِ في نخلة الشامية يعترضه بل يَرُدُّهُ أُمُورٌ :

١ ــ منها أنَّ المتقدمين من العلماء ، حَدَّدُوا ذلك الطريق تحديداً دقيقاً .

لقد وصف ابن اسحاق «السيرة النبوية» لابن هشام ج٢ ص ٤٨٢ ــ طبعة الحلبي وابنُ جَرِيرٍ في تاريخه ــ القسم الأول ــ ص ١٦٧ ــ طبعة أوربة ــ وَصَفَا طريق الرسول (ص) إلى الطائف هكذا : سلك إلى الطائف منْ حُنَيْنٍ على نَخْلَةَ اليمانيَّةِ ، ثم على قَرْنٍ ثم على الْمُلَيْحِ ، ثم على بَحْرَةِ الرَّغَاءِ مِنْ لِيَّةَ .

وابن اسحاقَ وابن جَرِيرٍ من أقدم المؤرخين وأوثقهم فيما يتعلق بالسِّيرة النَّبويَّةِ . وهذا الطريق هو الطريق المعروف ، المسلوك إلى الطائف ومنه إلى مكة ، منذ أقدم العصور ، حتى تغيَّرت الطرق بِتَغَيُّرِ وَسَائِلِ السَّفَر في عصرنا .

٨ ــ ولَعَلَّ ابْن كثير ــ رحمه الله ــ كَفَى الباحثِ مَشَقَّةَ التَّعَمُّقِ لمعرفة منزلة ذلك الحديث ، الذي ورد فيه أنَّ قبر أبي رِغَال بقُرْبِ ذاتِ عِرْقٍ . ــ عند المحدِّثين ، وأن شيخه الحافظ الْمِزِّي (يوسف بن عبد الرحمن المتوفي سنة ٧٤٢هـ) قال : يحتمل أنه من الزَّامِلَةِ أي مجموعة الصحف ــ التي وجَدَهَا ابنُ عَمْرٍو من أخبار بني اسرائيل .

كما أنَّ ما ذكر ابْنُ إسحاقَ وغَيْرُهُ مِنْ وصف طريق الرسول (ص) لغزو الطائف ينفي كونه سلك طريق نَخْلَة الشاميَّة .

٩ ــ وقد يقال : ألا يكون سلكه مرَّة أخرى ، ويَرُدُّ هذا أنه لم يَرِدْ ــ فيما اطلعتُ عليه من كتب السِّيرة أنَّ الرَّسُول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أتَى الطائفَ بَعْدَ الهجرة إلا غازِياً مَرَّةً واحدةً ، أما قَبْلَ ذلك فقد ذهب إليها بعد البعثة داعياً أَهْلها إلى الإسلام ، ولكنه كان وَحْدَهُ ، ويظهر أنه سلك طريق المشاة ، وهو طريق كَرَا إذْ هو أقصر الطرق ــ فقد ورد في خبر عودته : «فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلَّا وأنا بِقَرْن الثَّعَالِبِ» وهذا جبل مُطِلٌّ على عرفات .

والحديث الذي رواه عبدالله بن عَمْرٍو جاء فيه : خرجنا مع رسول الله . والمسلمون خرجوا معه حين غزَا الطائف .

وَاذَنْ ينبغي أن يُبْحَث عن موقع القبر الوارد في خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم — في الطريق الذي ذكر متقدمو العلماء ، ومحققوهم في أخبار سيرته وهو الطريق المارُّ بجُنَيْنٍ (الشرايع) ثم يَدْعان (جَدْعان) وادي حُنَيْن الذي نزلته هوازن ، ثم سَبُوحَةَ ، ثم وادي نَخْلَة اليمانيَّة ، ثم المُلَيْح (السَّيْل الصغير) ثم على بَحْرةِ الرُّغاء من وادي لِيَّةَ .

١٠ — لقد كان في هذا الطريق — الذي تقدم وَصْفُهُ ، فيما بَيْنَ سَبُوحَةَ ووادي يَدعان (جدعان) تَلٌّ مُرْتَفِعٌ من الحِجارةِ يَدَعُهُ المتَّجِهُ إلى سَبُوحَةَ فنخلة اليمانية عن يمينه ، يَحُفُّ به الطريق ، وكان مُتَعَارفاً عند الناس الذين يَمرُّون بذلك الطَّريق أنه قَبْرٌ يُرْجَمُ ، مَرَرْتُ به أول مرَّة عند قدومي للحج في ٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٧ — مع رفقة ، وكنا خمسةً من أهل البرود ، على الإبل ، ثم شاهدته بعد ذلك مِراراً ، وعند إصلاح الطَّريق لأوَّلِ مرَّةٍ لمرور السَّيَّارات في عشر الستين من القرن الماضي أُزِيلَ قِسْمٌ من ذلك التلِّ لتوسعة الطريق ، وكانت آثاره باقية إلى عهد قريب .

١١ — ولكن هذا الموضع الذي ذكرته بَعِيْدٌ عن الْمُغَمَّسِ — الذي تكرر القول بأن قبر أبي رِغالٍ فيه ، ولكنه يقع على الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم لِغَزْوِ الطائف وهو الطريق الذي يغلب على الظَّنِّ أنَّ أصحابَ الْفِيْلِ سَلَكُوه .

١٢ — إنَّ من عادة الْعَرَب رَجْمَ قُبورِ من يَكْرَهُونَ . كما رَجَمُوا قَبْرَ أبي رِغَالٍ في الجاهليَّةِ ، وقَبْرَ الْعَبَادِيِّ في طريق الحجِّ في الإسلام ، ولهذا يصح القول بأنه كان بقرب ذاتِ عِرْقٍ قَبْرٌ يُرْجَمُ ، فَظُنَّ أنه قَبْرُ أبِي رُغَالٍ ، فقيل عنه في كتاب « المناسك » أو أحد المؤلفات قبله ما قيل ، وأصبح هذا القول مُتناقلاً منذ القرن الثالث الهجريِّ أوْ قَبْلَه إلى عهدنا ، وحمِلَ عليه حَدِيثُ ابن عَمْرٍو ، الوارد في ذكر طريق الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو طريق نَخْلة اليمانية إلى الطائف ، لا نَخْلَةَ الشاميَّةَ التي لا تَتَّصِلُ بطريق الطائف إلى مكة .

١٣ — ومُجْمَلُ القول استِبْعَادُ وقوع قبر أبي رِغال دليل أصحاب الفيل عن ذات عِرْق ، لعدم وقوعه بطريق القادم من الطائف إلى مكة ، ولأن أكثر الأقوال نَصَّتْ على أنه في المُغَمَّس الواقع بعيداً عن ذات عرق ، وأنَّ الرسول — صلى الله عليه وسلم — مَرَّ به في طريق غزوة الطائف ، وذلك الطريق يمرُّ بنخلة اليمانية ، لا نخلة الشامية التي يقع ذلك القبر فيها .

مع كثرة القُبُور التي كانت تُرْجم .

ولَئِنْ أطلت القول عن قبر أبي رِغَالٍ في غَيْرِ محَلِّ الإطالَةِ فإنَّما قَصَدت إيضاح جوانب من الخلط في تحديد بعض المواضع عند متقدمي العلماء ، مع إيراد بعض الأدلة في غير موضعها ، مما ينبغي معه إمعان النَّظَر في كثير من النصوص قبل الجزم بمدلولاتها .

١٣ — قول امرىء القيس لا يصح شاهداً على الغُمَيْر الواقع بقرب ذات عِرْق ، فهذا يقع في تِهامة غربَ الحجاز ، وامرؤ القيس ذكر موضعين في نَجْدٍ هُمَا بِيْشَةَ المعروفة ، وغَضْوَرُ في جبل رَمَّان ، وقد أصْبَحَ قَرْيةً الآن .

واسم الْغُمَيْر من الأسماء التي تطلق على مواضع متباعدة ، ومنها ما لا يزال معروفاً الآن .

٣١ — ٣٧١ — :

وأَنْشَدَ في المَفْتُوح :

قَدرٌ أَحَلَّك ذَا النُّخَيْل وقد أرَى أبِيْك مالكَ ذُو النُّخَيْلِ بِدَارِ

قال ابن سِيْدَه : هكذا أنشده بالفتح ، والوزْنُ يقبل الحركة والسكون انتهى .

لم يُخَرِّج المحقق الفاضل هذا البيت وأحال إلى « اللسان » والبيت أورده الْهَجَرِيُّ فِيْمَا نَقل عنه البكري في « معجم ما استعجم » ولم يصرح بالنقل ، ولكن السمهوديَّ في « وفاء الوفاء » صرَّح بذلك .

جاء في « معجم ما استعجم » ص ٦٣٤ — وأقربُ المِيَاه من أَسْوَدِ الْبَرم حَفَائِرُ

حفرها المَهْدِيُّ ، على مِلين منه ، تُدْعَى ذَا بَقَرٍ ، وقد ذكرها مُؤَرِّجٌ السُّلَمِيُّ ، فقال :

قَدَرٌ أَحَلَّكَ .ذَا النَّخَيْلِ وقَدْ أَرَى وأَبِيكَ مالك ذُو النُّخَيْلِ بِدَارِ

إِلَّا كَدَارِكُمْ بِذِي بَقَرِ الحِمَى هَيْهَاتَ ذُو بَقَرٍ مِنَ الزُّوَّارِ؟!

٣٢ — ص : ٣٩٨ — :

(و) قُرَانُ ، فِي شِعْرِ أَبِي ذُؤَيْبٍ : (وَادٍ) : قِيلَ : هو بِتِهَامَةَ (بَيْنَ مَكَّةَ والمَدِينَةِ) شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى وعَلَّقَ على هذا المحقق قائلاً : يعني قوله في « شرح أشعار الهُذَلِيِّين » — ٥٤ — :

رَأَتْنِي صَرِيعَ الْخَمْرِ يَوْماً فَسُؤْتُهَا بِقُرَّانَ إِنَّ الْخَمْرَ شُعْثٌ صِحَابُهَا

وأَقُولُ : أَصْوَبُ من ذلك القول في تَحْدِيدِ موقع قُرَّان ما جاء في « معجم البلدان » : وقُرَّان اسم وَادٍ قُرْبَ الطائفِ في شعر أبي ذُؤَيْبٍ قال — ويُرْوَى لِأَبِي جُنْدَبٍ — :

وحيٌّ بِالْمَنَاقِبِ قَدْ حَمَوْهَا لَدَى قُرَّانَ ، حَتَّى بَطْنَ ضِيمِ

كُلُّهَا بَيْنَ مكة والطائف — هذا كلام ياقوت وهو حَقٌّ في قُرَّان والْمَنَاقِبِ ، وأَمَّا ضِيمُ فَلَا ، لأنه وادٍ تِهامِيٌّ جنوب مَكَّةَ .

الْمَنَاقِبُ هي الرِّيْعَانُ — جَمْعُ رِيْع — الثنايا التي يُنْزَلُ منها إلى قَرْنِ المنازل (السيل الكبير) .

وأَمَّا قُرَّانُ فهو وادٍ لا يزال معروفاً ، يجزعه طريق الطائف إلى مكة ، الطريق القديم ، الذي يَمُرُّ بالسَّيْل (قرن المنازل) ثم بنخلة اليمانيَّة .

وقُرَّانُ على مقربة من بَلْدَةِ الْحَوِيَّةِ ، وسَيْلُهُ يَتَّجِهُ شمالاً حتَّى يجتمع بسيل وادي الْعَقِيْقِ الذي تقع فيه قرية عُشَيْرَةَ . وهذا الوادي ليس في تِهَامَةَ ، بل من أودية الحجاز الشَّرْقِيَّة ، ولا يقع بين مكة والمدينة .

واسم قُرَّان يُطْلَقُ على مواضع أشهرها قُرَّان الذي في اليمامَةِ ، قُرْبَ بَلْدَةِ مَلْهَمَ ،

ويُعْرَفُ الآنَ باسم (القَرِيْنَةِ) وهُنَاكَ موضع قال عنه ياقوت : بين مكة والمدينة ، وهو الذي أراد صاحب «القاموس» ولكن صاحب «التاج» أراد أنْ يُغْرِبَ قوله فأَعْجَمَهُ ، حيث زاد على كلام صاحب «القاموس» : قيل هُوَ بتِهامَةَ ، وذلك الوادي ليس في تِهَامَةَ ، قال عنه ياقوت بِلِصْقِ أَبْلَى ، وأَبْلَى جَبَلٌ يقع قُرْبَ مَعْدِنِ بني سُلَيْم من جبال نَجْدٍ ، شرقيٌّ حَرَّة بني سُلَيْمٍ . قال فيه الشاعر ، على ما روى «الهجري» — ص ٢١٥ — وصاحب كتاب «بلاد العرب» — ص ٤٠٢ —:

أُحِبُّكِ ما دَامَتْ بِنَجْدٍ وَشِيْجَةٌ   وما سُكِنَتْ أُبْلَى بِهَا وتِعَارُ

وأَبْلَى وتِعَارُ وقُرَّانُ الذي بقرب أَبْلَى كُلُّهَا معروفة الآن . وكلها في عالية نَجْدٍ شرق الحجاز الذي يفصل بين تهامة ونجد .

ولعلَّ الذي حمل صاحب «التاج» على القول بأنَّ قُرَّان في تِهَامَةَ ما فَهِمَهُ من جملة (بين مكة والمدينة) لأن طريق المدينة المشهورة تسلك تهامة ، وفاتَهُ أنَّ للمدينة طَرِيقاً أُخْرَى ، هو الطَّرِيقُ النَّجْدِيَّة . التي تَمُرُّ بقرب معدن بني سُلَيْم ، وتدع الجبالَ والْحِرَارَ غَرْبَها حتى تقابل فُرُوْعَ وَادِيَي النَّخْلَتَيْنِ ، فتقطع الْحِجَازَ إلى مَكَّة ، وهذه الطريق هي التي سَلَكَتْهَا سَرِيَّةُ عبدالله بن جَحْشٍ ، بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، إلى نَخْلَة اليمانية ، فقتلت ابن الْحضرميّ الذي نزلت بقتله الآيةُ الكريمةُ : (يَسْئَلُونَكَ عنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فيه) الآية .

وهي طريق كانت تسلكها القوافل إلى عصرنا ، وخاصّة حين يخشى أصحابُها أذى سكان الطريق التِّهامِيَّةِ .

٣٣ — ص : ٤٠٠ —:

(والقُرَاقِرُ : (فَرَسٌ لِعَامِرِ بن قَيْسٍ) قال :

«وكان حَدَّاءٌ قُرَاقِرِيًّا»

تقدم من كلام صاحب «التاج» رسم — فرفر — ص ٣١٧ — أن اسم فرس عامر بن قيس الأشجعي (الفُرَافِر) سُمِّيَتْ بِفَرْفَرَةِ اللِّجَامِ . وهذا الاسم — بدون التفسير —

يوافق ما في كتاب الخيل لابن الأعرابي ، وما جاء في كتاب « التكملة » ج٣ ص ١٥٢) للصاغاني — على أنَّ الصاغانيَّ أعاد الاسم مرَّة أخرى بالقاف « التكملة » ج٣ ص ١٩٣ كما هنا .

وهذا يطابق ما ذكره الأَسْوَدُ الْغَنْدُجَانِيُّ في كتابه عن « خيل العرب وفرسانها » فقد ذكر في حرف القاف : الْقُرَاقِرُ من خَيْلِ أَشْجَعَ من غَطَفَانَ . ذكر ذلك أَبو النَّدَى . قال سَلَمَةُ بنُ الْخُرْشُبِ الأَنْمَارِي :

فَأَدْرَكَهُمْ شَرْقَ الْمَرَوْراةِ مُقْصِراً بَقِيَّةُ نَسْلٍ من بنات الْقُرَاقِرِ

وقال في موضع آخر : الْقُرَاقِرُ فَرَسُ عامِرِ بن قَيْسٍ الأشجعي انتهى .

وأرى أنَّ ما قاله الأسود الغندجانيُّ أَصْوَب لأنه يتلقَّى عن شيخه مشافهةً ، لا ينقل عن كُتُبٍ قد يعتريها التصحيف .

٣٤ — ص : ٤٠١ —:

(قُرَاقِر : (ع بِالسَّمَاوَةِ) في بادِيَةِ الشام لِبَني كَلْبِ تَسِيْلُ إليهِ أَوْدِيَة مَا بَيْنَ الجَبَلَيْنِ في حقِّ أَسَدٍ وَطَيِّء) انتهى .

صاحب « التاج » هُنَا لَفَّقَ بَيْنَ قَوْلَيْنِ قُصِدَ بهمَا مَوْضِعَان مُتَبَاعِدَانِ ، هٰذان القولان وَرَدَا في « معجم البلدان » بهٰذا النَّصِّ : وقُرَاقِرُ أَيْضاً : وادٍ لِكَلْبٍ بالسماوة ، من ناحية العراق ، نزله خالد بن الوليد عند قَصْدِهِ الشَّامَ — وبعد كلام طَوِيْلٍ قال ياقوت : وقُرَاقِرُ أيضاً : قاعٌ ينتهي إليه سَيْلُ حائل ، وتَسِيْلُ إليه أوْدِيَةُ ما بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ ، في حقِّ أَسَدٍ وَطَيِّءٍ — واسترسل في الكلام — فوادي كَلْبٍ يعرف الآن باسم (وادي السِّرْحَان) وهو الذي في السَّمَاوَةِ ، وكان من بلاد كَلْبٍ وسكانُهُ الآن قبيلة الشَّرَارَات بقايا قبيلة كَلْبٍ .

وهذا يبعد عن قُرَاقِر الذي تنتهي إليه سيول جبلي طَيِّءٍ مسيرة أيّامٍ وليالي بِسَيْر الإِبِل .

والاسم يطلق على مواضع أُخْرَى غير هٰذَيْنِ الموضعين ، ذكر ياقوتُ بَعْضَهَا .

٣٥ ــ ص : ٤٠١ :ــ

(وقُرَاقِرُ : (قاعٌ) مُسْتَطِيلٌ (بالدَّهْنَاءِ) ، وقيلَ : هي مَفَازَةٌ في طَرِيقِ اليَمَامَةِ قَطَعَهَا خالِدُ بنُ الْوَلِيد . وقد جاءَ ذِكْرُهَا في الحَدِيث ، وهكذا فَسَّرَهُ ابنُ الأَثِير) انتهى .

ووقع صاحب «التاج» أيضاً هنا في الْخَلْط بين موضعين مُتَبَاعِدَيْنِ ، فالمفازة التي قطعها خالد ليست في طريق اليمامة ، بل في طريق الشام ، وهي مفازة السَّمَاوَة ، وفيها قُرَاقِرٌ الواردُ في خبر مسير خالدٍ، وفيه قال الرَّاجِزُ :

لله دَرُّ خــالِــدٍ أَنَّى اهْـتَــدَى   فَـوَّزَ مِنْ قُــرَاقِــرٍ إلى سُوَى

أَمَّا القاع المُسْتَطِيل فهو بقرب الدهنا وليس فيها ، وهو الذي تنتهي إليه سيول ما بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ .

وتقدم ذِكْرُ الموضِعَيْنِ .

٣٦ ــ ص : ٤١٠ :ــ

(وَقُرْقُرٌ ، كجَعْفَر : جَانِبٌ مِنْ الْقُرَيَّةِ ، بِهِ أَضاةٌ لِبَنِي سِنْبِس ، والْقُرَيَّةُ هذه بَلْدَةٌ بَيْنَ الفَلَج ونجْرَانَ) انتهى .

لو أَوْرَدَ صاحبُ «التاج» الكلام مَنْسُوباً إلى مَصْدَرِهِ لسَلِمَ مِنْ تَبِعَةِ ما فيه مِنَ الخَلْطِ . وَنَصُّهُ ــ كما في «معجم البلدان» : قُرْقُرٌ قال أَبو الْفَتْحِ : هو جَانِبٌ من الْقَرْيَةِ ، به أضاةٌ لبني سِنْبِس . قال : وأَظُنُّ الْقَرْيَةَ هذه بَيْنَ الْفَلَج ونَجْرَان انتهى ، قد عُلِّقَتُ على هذا في «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» قسم شمال المملكة ــ ص ١٠٨٢ ــ بما هذا نَصُّهُ :

ــ بعد أنْ أوردت كلام أبي الفتح الذي هو نصر بن عبد الرحمن الاسكندري في كتابه الذي لا يزال مخطوطاً ، وهو نصٌّ ما أورد ياقوت في «المعجم» قلت : وهنا خَلْطٌ بين موضعين أحدهما : القُرَيَّة التي لبني سِنْبِس بقرب جبلهم أَجا .

والموضع الثاني يقع بين الْفَلْج ونَجْران وهذا يُدْعَى قَرْيَة بدون تعريف ، ذكره

الأطباق الطائرة .

تَمَنَّيْتُ أثناء مطالعتي لهذا الكتاب الذي ألفه العالم الأستاذ الدكتور محمد عبده يماني — وزير الإعلام — بعنوان «الأطباق الطائرة ، حقيقة أم خيال» ؟ — تَمَنَّيْتُ أنْ يقرأ كثير من شبابنا مِمَّن خدِعُوا بمظاهر الحياة الغربية هذا الكتاب ، وأمثاله من الكتب التي أَلَّفَهَا علماءُ ذَوو اختصاص فيما تصدَّوْا للتأليف فيه ، مِمَّنْ أدركوا ما لعلماء المسلمين من آثارٍ في وَضْع أُسُس الحضارة الحديثة ، يجهلها أولئك الشباب .

وكتاب الاستاذ الدكتور[1] محمد وإنْ تناول موضوعاً يعتبر ظاهرةً من ظواهر هذا الْعَصْرِ إلَّا أنه تَطَرَّق — بدراسة علمية — للبحث في وسائل تعليل هذه الظاهرة ، وتعمَّق في البحث في الظواهر الكونية العامَّةِ ، وأثر علماء المسلمين في دراسة تلك الظواهر . ومباحث ذلك الكتاب :—

١ — الكون الذي نعيش فيه .
٢ — العلوم الكونية في الإسلام .
٣ — دور أسلافنا في دراسة علم الفلك والفضاء .
٤ — شواهد من التاريخ (عن حضارة قديمة) .
٥ — الأطباق الطائرة حقيقة أم خيال ، وملخص الجواب أن من الصعب الإجابة بنفي أو إثبات (ص ١٦٠) والإنكار المطلق للأجسام الطائرة الموجودة لا يغيِّر من الواقع

(١) الألقاب المبتذلة مما رمى به الأعاجم ، فتلقفناه بعدهم . فما أحوجنا إلى نَبْذِها .

الهمداني وذكر أن فيه آثارا . وقد عثر على تلك الآثار بقربِهِ في (الفاو) .

ويظهر أنَّ قَرْقَرَ التي في بلاد بني سنبس تقع في شرقيِّ مدينة حايل بقرب ما يعرف الآن باسم السُّوَيْفلة كما يفهم من شاهد تقدم ذكره في قراقر . انتهى .

(للبحث صلة)   حمد الجاسر

شيئاً ، وستظل المجهولة ، وكل ما ينقصنا أن نعرف كنهها (ص ١٦٤).

وصفحات الكتاب ١٩٢ ويحوي كثيراً من الصور الملوّنة ، والطباعة ممتازة ورقاً وحروفاً وصوراً — (المطابع الأهلية للأوفست) في الرياض . وقد صدر في العام الماضي (١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) .

☐ الشعر الإسلامي في صدر الإسلام :

عُني الدكتور عبدالله الحامد ، الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية ، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، عُني بدراسة الشعر الإسلامي منذ زمن ، فقد صدر له في عام ١٣٩١ بعنوان «شعر الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والخلفاء الراشدين» وهو كتاب جمع فيه طائفة من ذلك الشعر ، محاولاً تحقيقها .

ثم في عام ١٣٩٤ ألف هذا الكتاب «الشعر الإسلامي في صدر الإسلام» ليشفع ما سبق أن جمعه بدراسته ليلفت الأذهان إلى ذلك الشعر الذي بخسه أغلب الدارسين قَدْرَهُ ، واختلفوا في كثير من قضاياه — على ما قال المؤلف الفاضل في مقدمة الكتاب الذي تدور أغلب مباحثه حول الإسلام والشعر — مصادر الشعر الإسلامي — قضايا حول الشعر في صدر الإسلام — الأسلوب — المضمون — الشعراء وتحدث عن ثلاثة من مشاهير شعراء الصحابة في المدينة ، وخمسة من شعراء البادية في عهد الرسالة ، وعن شعر الخلفاء ، وشعر النساء ، وعَدَّ صفيَّةَ عَمَّة النبي صلى الله عليه وسلم الشاعرة الأولى في كَثْرَةِ شعرها الإسلامي .

ويقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع الوسط ، والطباعة حسنة ، بمطابع الإشعاع التجارية في الرياض ، وصدر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م) .

☐ المقدمة في النَّحْو :

علي بن فضّال بن علي المجاشعي المتوفي سنة ٤٧٩ هـ عالم لغويٌّ ذو مؤلفات وصل إلينا منْها «المقدمة في النحو» وهو على إيجازه (خلاصة النحو ، قصره المؤلف على أيسر الموضوعات ، وأمَسّها بحاجة المتعلم) على ما ذكر محققه الدكتور حسن شاذلي فرهود — أستاذ النحو والصرف في (كلية الآداب — جامعة الرياض) الذي صدر الكتاب

بترجمة وافية للمؤلف ، ووصف مخطوطة الكتاب ، كما أضاف إيضاحات ومعلومات في الهوامش ، بها تزداد قيمة الكتاب وتتضح كثير من عباراته . وقد بلغتْ صفحاته ٨٨ بطباعة حسنة (المطبعة العربية الحديثة) بمصر ، وصدر عام ١٤٠٠ (١٩٨٠م) .

☐ المقصور والممدود :

وحقّق الأستاذ الدكتور حسن شاذلي فرهود كتاب «المقصور والممدود» للعالم اللغوي نِفطَوَيْهِ إبراهيم بن محمد (٢٤٤/ ٣٢٣هـ) مُصَدَّراً بترجمة له . والكتاب وإن كانت مباحثه تتعلق بعلم الإملاء إلا أنه يتطرق إلى كثير من المسائل النحوية ، وقد شرح بعض الكلمات شرحاً لُغوياً . ويقع في ٦٤ صفحة ، مطبوعاً سنة ١٤٠٠ (١٩٨٠م) بمصر (المطبعة العربية الحديثة) .

☐ مختصر في ذكر الألفات :

محمد بن القاسم بن محمد المعروف بابن الأنباري (٣٢٨/٢٧١هـ) من أعلام علماء اللغة والأدب ، وكتابه عن الألِفات مما وصل إلينا من مؤلفاته التي نُشِر بعضها ، وفقد كثير منها ، وهو على إيجازه مما يستفيد به المعنيون بالمباحث اللغوية .

وقد حققه الدكتور حسن شاذلي فرهود ــ أستاذ النحو والصرف في كلية الآداب في جامعة الرياض ــ وصدر عام ١٤٠٠ (١٩٨٠م) مطبوعاً بمصر طباعة حسنة في (المطبعة العربية الحديثة) وبلغت صفحاته ٤٦ صفحة مصدرا بترجمة للمؤلف ، وبوصف المخطوطة التي اتخذت أصْلاً للتحقيق ، وهي في مكتبة (لا للي) في اصطنبول .

☐ الشعر في ظلال حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب :

قال مؤلفه الدكتور عبدالله الحامد الأستاذ المساعد في كلية اللغة العربية في جامعة الإمام محمد بن سعود في المقدمة : (هذا الكُتَيِّب قسم مُسْتَلٌّ من رسالة تتناول الشعر في الجزيرة العربية ونجد والحجاز والأحساء والقطيف منذ قيام حركة الإمام محمد بن عبد الوهاب حتى منتصف القرن الرابع عشر ، وهي محاولة لتأريخ هذا الشعر ، والوقوف على

---

(١) نقل المحقق الفاضل عن كتاب «طبقات المفسّرين» للسيوطي أنه وُلِد بِهَجر ، على أن الأستاذ الزركلي ــ رحمه الله ــ ذكره من أهل القيروان .

أبرز سِمَاتِهِ وظواهره) .

ثم أشار المؤلف الفاضل إلى محاولته ليكشف جوانب مضيئة في هذا الشعر فيها قوة وجدَّة وسمات أخرى تدفع ما وصفه به بعض الباحثين من الضحالة والركاكة والضعف .

ويقع هذا الكتاب في أربعة فصول ، الأول : الموضوعات والثاني : الشعراء والثالث : سمات وخصائص عامة . والرابع الشعر في نجْد .

ويقع هذا الكتاب في ١٦٤ صفحة صغيرة وهو من منشورات (النادي الأدبي في الرياض) لعام ١٣٩٩ (١٩٧٩ م-) وقد طبع في (مطابع الجزيرة) في الرياض — بدون ذكر تاريخ .

□ الوحشيات والأوابد لشعراء في الجاهلية والإسلام :

اسم مؤلف حديث لشيخنا الأديب الشيخ حمد بن إبراهيم الْحُقَيْل ، رئيس محكمة الخرج سابقاً — جاء في مقدمته (اجتمع عندي حصيلة من الشعر المشهور ، والمقطعات الرائعة ، التي استشهد بها العلماء في فنون شتَّى ، في اللغة والأدب ، والمعاني والبيان والبديع والحكم وغير ذلك ، وهو شعر في وصف المعاني الوجدانية ، ووصف المرثيّات ، وما قيل عن هَوَى النفوس ونزعاتها من الحب والبغض والنبل ، والتعرض لما يقع لأهل المِهَنِ والرؤساء من الهنات والعورات) فهو كتاب أدب يتنقل القارىء بين صفحاته — بل بين سطوره — من موضوع إلى آخر ، مُنْطلِقاً مع لذة الاستمتاع بما يقرأ من مختار الشعر في مختلف الأغراض ، من حكم وأمثال ، وجدٌّ وهَزْل وإحماض وغير ذلك من المعاني التي لا تتلاءم رِقَّتُها مع وصفها بالتوحش والأبود ، ولكن شيخنا المؤلف قد يجنح إلى الإغراب في أسماء مؤلفاته مثل «المعمعة في أخبار المجمعة» بل هو قدير على اقتناص الآبد المتوحِّش.

وقد صدر الكتاب عام ١٤٠٠ (١٩٨٠ م) مطبوعاً بمصر ، بمطابع سجل العرب ، ووقع في ٣٥٣ صفحة ، مصدرا بترجمة للمؤلف .

□ فهارس الخزانة الملكية :

هي خزانة صاحب الجلالة الحسن الثاني ملك المغرب التي تحوي من المخطوطات

زهاء خمسة عشر ألف مخطوطة ، منها من كتب التاريخ نحو ألف كتاب ، ومن نوادر مخطوطاتها السفر الخامس من « المقتبس » لابن حيّان ، و « روضة الآس » للمقري . وفيها كثير من المخطوطات متعددة النسخ — على ما جاء في مقدمة الجزء الأول من « فهارس الخزانة » الذي وضعه الأستاذ محمد عبدالله عنان ، عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة ومؤلّف « موسوعة التاريخ الأندلسي » .

وهذا الجزء من « فهارس الخزانة الملكية » هو (فهرس قسم التاريخ وكتب الرحلات) ويقع في ٤٨٠ صفحة ، وقد طبع في (مطبعة النجاح الجديدة) في الدار البيضاء عام ١٤٠٠ هـ (١٩٨٠ م) ورتبت أسماء الكتب على ترتيب الحروف ، وبعد ذكر الكتاب ومؤلفه يوصف بذكر ورقه وتاريخ نسخه وبيان موضوعه وتعداد النسخ المكررة منه إن وُجدت ، ويُشار أحياناً إلى طبع الكتاب إنْ سبق طبعه . وقد تأتي المعلومات ناقصة مثل : (تيجان الملوك وأخبار التبابعة تأليف العالم المحدث محمد عبد الملك بن هشام الحميدي) ثم ذكر ورق النسخة وتاريخ نسخها (١٠٦٠ هـ) والقول بأنه (يتضمن حديث بدء الخليقة ، وسفينة نوح ... وقصه إرم ذات العماد ، ويختم بكتاب « التعليق في ذكر الصلوات الخمس — الخ — ثم رقم النسخة ٦٢٤٩ — ولا شيء غير هذا ومعروف أن كتاب « التيجان » في ملوك حمير لابن هشام صاحب « السيرة النبوية » وهو أبو محمد عبد الملك بن هشام الحِميَري المعروف ، وقد طبع الكتاب مرتين ، الأولى في حيدر آباد في الهند بتحقيق المستشرق الألماني ف كرنكو ، والثانية في صنعاء عن تلك الطبعة . أما كتاب « التعليق في ذكر الصلوات » فلا صلة له بكتاب « التيجان » وموضع ذكره فهرس كتب الفقه .

ويقال مثل هذا عن كتاب « الذهب الإبريز » — الذي شغل وصف نسخه أكثر من خمس صفحات ، محله كتب التَّصَوُّف . ونقل مقدمات الكتب بدون الإشارة إلى مخالفتها لما هو مطبوع منها إن وُجِد اختلافٌ —

ومهما يكن فطالما تَطَلَّعَ الْمُهتَمُّون بالمخطوطات لِمعرفة ما تحويه (المكتبة الملكية) في المغرب وفي هذا القسم من الفهرس ما قد يخفف شدة تطلعهم .

فهـــارس السنـــة الخامســـة عشـــــرة

١ ــ الكتـــاب والمعلقـــون والمؤلفـــون
٢ ــ الموضوعـــات العامـــة
٣ ــ الأعـــــــلام
٤ ــ الاسر والقبائل والجماعـات
٥ ــ الكتب والصحف والمجـــلات
٦ ــ المواضـــــع

أولًا:ــ الكتاب والمؤلفين والمعلقون

ثانيًا: الموضوعات العامة

ثالثًا: الأعـــلام

رابعًا: الجماعات والقبائل والأسر

خامساً: الكتب والصحف والمجلات

سادسًا : المواضـع